جامع رسائل

فضيلة الشيخ

محمد العريفي

المجلد الأول

دار التدمرية

بسم الله الرحمن الرحيم

د. محمد بن عبد الرحمن العريفي
Dr. Mohammad A. Al Areefi

أحمد الله تعالى أن يسر إخراج " مجموع رسائل العريفي " سائلاً الله النفع والقبول .. آمين .

وقد اجتهد الإخوة في دار التدمرية بإخراجه بشكل جيد ومراجعة دقيقة ، وذلك أن بعض المكتبات أخرجوا كتبا نسبوها إليّ دون تنسيق معي ولا مراجعة لها ، وبعضها خطب ومحاضرات مرتجلة استخرجوها من الانترنت والفضائيات وفرغوها كتابة ونشروها ! دون إذن ولا مراجعة مني ، وأكثرها يحتاج تصويبات يقتضيها تحويل الحديث من إلقاء لكتابة .. فتفاجأت بها في المكتبات حاملة اسمي على غلافها ! ..

لذلك وكلت دار التدمرية بطباعة ونشر كتبي ، ومتابعة من يطبعها بغير إذن .

فأصدروا : " استمتع بحياتك " و " نهاية العالم " و " الدرر البهية من كتب ابن تيمية " و " زبدة الفوائد من كتب ابن تيمية " و " مجموع رسائل العريفي " ، ويعملون حالياً في طباعة آخر كتبي : " العالمُ الأخيرُ " .

واشترطت عليهم بيع الكتب بسعر قريب من التكلفة ، ويخفضوا السعر للتوزيع الخيري ..

أسأل الله تعالى أن يرزقنا جميعاً العلم النافع والعمل الصالح .. آمين ..

كتبه /

محمد بن عبد الرحمن العريفي

الأستاذ بجامعة الملك سعود

خطيب جامع البواردي

الرياض ٨/١١/١٤٣١هـ ١٦/١٠/٢٠١٠م

P.O.Box 151597 Riyadh 11775
Fax 00966 1 2440062
Mobile 00966 505845140
00966 555845140
www.arefe.com Email: arefes@yahoo.com
ص.ب ١٥١٥٩٧ الرياض ١١٧٧٥
فاكس ٠٠٩٦٦ ١ ٢٤٤٠٠٦٢
جوال ٠٠٩٦٦ ٥٠٥٨٤٥١٤٠
٠٠٩٦٦ ٥٥٥٨٤٥١٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

جامع رسائل

فضيلة الشيخ

محمد العريفي

[١]

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار التدمرية

الرياض - ص.ب: ٢٦١٧٣ - الرمز البريدي: ١١٤٨٦
هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦ - ٤٩٢٥١٩٢ - فاكس: ٤٩٣٧١٣٠
Email: TADMORIA@HOTMAIL.COM
المملكة العربية السعودية

فهرس إجمالي للكتب

الكتاب	الصفحة
١ ـ الرسوم المتحركة وأثرها في عقيدة الناشئة	٧
٢ ـ مناظرة البدع في القنوات الفضائية	٨٣
٣ ـ هل تبحث عن وظيفة	١٤٧
٤ ـ رحلة إلى السماء	٢١٣
٥ ـ صرخة في مطعم الجامعة	٢٤١
٦ ـ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	٣٠٩
٧ ـ في بطن الحُوت	٤١٥
٨ ـ اركب معنا	٤٨٣
٩ ـ عاشق في غرفة العمليات	٥٤٥
١٠ ـ قم فأنذر	٦٠٩
١١ ـ إنها ملكة	٦٧٥
١٢ ـ جلسة مع مغترب	٧٤١
١٣ ـ لا تحزن! إن الله معنا	٧٧٩
١٤ ـ المفيد في تقريب أحكام الآذان	٧٩١
١٥ ـ المفيد في تقريب أحكام المسافر	٨٤٧

الرسوم المتحركة وأثرها في عقيدة الناشئة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم..

وبعد..

لقد وجهت ضربات عديدة إلى مقاتل المجتمع المسلم بقصد تغريبه عن دينه، وتجهيله بحقيقته، ومسخه إلى مجتمع مفتوح على كل الثقافات، ليس له هوية يعتنقها، أو يدافع عنها.

ولم تكن طبيعة تلك الضربات عسكرية، بل ضربات من نوع خبيث بطيء لكنه قوي المفعول ولو بعد حين، استهدف بها أعداؤنا فئة هي أكثر استعداداً لقبول كل جديد، والتغير السريع، إنها فئة الأطفال، تلك الفئة العمرية البريئة، التي تكون في تلك المرحلة مقتصرة على التلقي واكتناز المعلومات، لتحويلها إلى سلوك عملي، يحدد كثيراً من منحنيات حياتهم بعد البلوغ.

لقد علم هؤلاء بأن غالب الأطفال في عالمنا اليوم يتلقون ثقافتهم ـ وبخاصة قبل المدرسة ـ من التلفاز، بحيث تشكل تلك أكثر مؤثرات الثقافة في حياتهم، وغالبها من أفلام الرسوم المتحركة (أفلام الكارتون).

حتى أصبح لتلك الأفلام الكارتونية قنوات خاصة تبث طوال اليوم، في قالب فني جذاب متطور، باللغة العربية، فالتصق بها أطفال المسلمين التصاقاً مخيفاً، أثر على تشكيل نفسياتهم وعقولهم، إلى جانب التأثير السلبي على صحتهم.

إن بعض أفلام الرسوم المتحركة هي قنابل تتفجر كل يوم في شاشاتنا الصغيرة دون وعي منا أو متابعة، فهي لا تزال بريئة في أعيننا، مجرد تسلية، ومن عادة الكثيرين أنهم لا يتنبهون للأمر حتى يبلغ ذروته.

لقد أشغلت هذه الرسوم المتحركة كثيراً من أطفال المسلمين أيما إشغال، فما عادوا يطيقون أن يستغنوا عن مشاهدتها ولو يوماً واحداً، بل ربما فضلوها ـ أحياناً ـ على مرافقة الآباء والأمهات في النزهات والحفلات، حتى أكلت أوقاتهم، وبددت طاقاتهم، وشلت تفكيرهم، فما عاد لهم وقت لمراجعة دروسهم، أو حفظ كتاب ربهم، فضلاً على أن يجلسوا مع أهليهم جلسة صافية، ليتلقوا منهم الأدب والدين والخلق.

ولا شك أن حرص الآباء على صلاح الأبناءِ؛ أمر يجنون ثماره في الدنيا ويومَ القيامة قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إذا مَاتَ ابن آدم انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلَّا مِن ثَلاث، إلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَة، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صالحٍ يَدْعُو لَهُ**»(١).

فالتقييدُ بالصلاحِ يُخْرِجُ ما سواه، وهذا حافزٌ عظيمٌ ينبغي أنْ تذوبَ على أعتابهِ كُلُّ مَشَقَّةٍ لِعِظَمِ هذه الثمرةِ المرْجُوَّةِ لتحقيق منهجٍ صائبٍ في تربيةِ أبنائنا تربية إيمانيّة مُوَفَّقةٍ بمشيئةِ الله تعالى.

وقد كشفت بعض الإحصائيات أن تأثير الإعلام بشكل عام في ثقافة الطفل يصل إلى ٩٥٪، وكشفت أيضاً أن تأثير الرسوم المتحركة هو أخطر ما في إعلام الأطفال، وأغلب البرامج تنتج في أمريكا بما يعادل ٧٠٪، حيث تناسب عقيدتهم وهويتهم المفرغة من أي مضمون إسلامي أو أخلاقي أو حتى قيمي(٢).

ومعلوم أن ما يتلقاه الطفل من عقائد له أثر عظيم في تكوين شخصيته، وأن العقيدة ترتبط بفكر الطفل وسير حياته، والاقتران كبير بين العقيدة الصحيحة والأخلاق الفاضلة، ودور وسائل الإعلام كبير في ترسيخ العقيدة الصحيحة ومحاربة الانحرافات والعقائد الفاسدة خاصة مع الانفتاح

---

(١) رواه مسلم (١٦٣١)؛ وأبو داود (٢٨٨٠).

(٢) الدكتور شحاته محروس، أستاذ علم النفس بجماعة حلوان، انظر:
http://muslimeng.org/vb/showthread.php?t=4586.

على شعوب العالم[١].

ويقبع غالبية الأطفال بشكل يومي الساعات الطوال أمام شاشات التلفاز سواء حظوا بمتابعة أسرية وانتقاء ما يقدم لهم أم لا، مما يجعلهم يتلقون ما يرون ويسمعون خلال مشاهدتهم لما يعرض في التلفاز وغيره من وسائل الإعلام من أفكار وأمور واقعية أو حتى خيالية..

فما مدى الأثر الذي تتركه هذه الوسائل على أطفالنا وسلوكهم؟

وما دور الوالدين؟

ومتى يمكن أن يشاهد الطفل بلا قيود؟

لأهمية هذه الأمور، والعناية بها، رأيت كتابة هذا البحث المختصر في «الرسوم المتحركة وأثرها في عقيدة الناشئة».

وقسَّمت هذا البحث إلى ثلاثة فصول، وعدة مباحث:

الفصل الأول: أهمية التربية على العقيدة، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أهمية العقيدة ومنزلتها من الدين.

المبحث الثاني: تأثر الصغير بالتربية المبكرة.

المبحث الثالث: نشأة الرسوم المتحركة.

المبحث الرابع: الرسوم المتحركة، وتأثيرها على الأطفال.

الفصل الثاني: الرسوم المتحركة، نشأتها، وتأثيرها، وفيه:

المبحث الأول: آثار واقعية لأفلام الرسوم المتحركة على الأطفال.

المبحث الثاني: نماذج لأخطاء عقدية في الرسوم المتحركة، وفيه خمسة مطالب:

---

(١) جريدة الجزيرة العدد (١٢٣٢١) الجمعة (٢٧)، جمادى الاولى ١٤٢٧هـ.

دراسة أعدتها الباحثة هدى بنت محمد بن جار الله الغفيص بعنوان: (أثر وسائل الإعلام المرئية على عقيدة الطفل)، وحصلت بها على درجة الدكتوراه من قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية للبنات ببريدة.

المطلب الأول: نماذج من أثرها على عقيدة الطفل في توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: نماذج من أثرها على عقيدة الطفل في توحيد الألوهية.

المطلب الثالث: احتواء بعضها على شعارات الأديان الأخرى.

المطلب الرابع: اشتمال بعضها على السحر.

المطلب الخامس: جرأة بعض الرسوم المتحركة على عقيدة الإيمان باليوم الآخر.

الفصل الثالث: العلاج.

المبحث الأول: حكم هذه الأفلام.

المبحث الثاني: تحصين الأطفال.

المبحث الثالث: بدائل مقترحة.

ثم خاتمة، وثبت المصادر، والفهرس.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.. آمين..

كتبه

د. محمد بن عبد الرحمٰن العريفي

الأستاذ المساعد بكلية المعلمين

جامعة الملك سعود بالرياض

٢٤ ربيع الأول ١٤٣٠هـ.

الفصل الأول

أهمية التربية على العقيدة

المبحث الأول

أهمية العقيدة ومنزلتها من الدين

حاجتنا إلى العقيدة فوق كل حاجة، وضرورتنا إليها فوق كل ضرورة، ولا سعادة للقلوب، ولا نعيم، ولا سرور إلا بأن تعبد ربها وفاطرها تعالى.

والعقيدة الإسلامية هي أعظم الواجبات وآكدها؛ لذا فهي أول ما يُربى عليه الصغير، ويُدعى إليه الكافر، ويطالب به الناس، كما قال ﷺ: «**أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**»(١)، والعقيدة الإسلامية هي العقيدة الوحيدة التي تحقق الأمن والاستقرار، والسعادة والسرور. كما قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢].

كما أن العقيدة الإسلامية وحدها هي التي تحقق العافية والرخاء، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

والعقيدة الإسلامية هي السبب في حصول التمكين في الأرض، وقيام دولة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وللعقيدة الإسلامية أهمية عظيمة في حياة الإنسان، بل في حياة البشرية، لذا كان لا بد من تربية الأبناء عليها، وحمايتها من الشوائب.

وجميع الرسل أرسلوا بالدعوة للعقيدة الصحيحة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾

---

(١) رواه البخاري (٢٩٤٦)؛ مسلم (٢١).

[الأنبياء: ٢٥]، وتحقيق توحيد الألوهية وإفراد الله بالعبادة هو الغاية الأولى من خلق الإنس والجن، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقبول الأعمال متوقف على تحقق التوحيد من العبد، وكمال أعماله على كمال التوحيد، فأي نقص في التوحيد قد يحبط العمل أو ينقصه، والعقيدة تحدد العلاقة بين العبد وربه معرفة، وتوحيداً، وعبادة شاملة لله تعالى، والسعادة في الدنيا أساسها العلم بالله تعالى، فحاجة العبد إليه فوق كل حاجة، فلا راحة ولا طمأنينة إلا بأن يعرف العبد ربه، ويحسن التعبد له.

وتبرز أهمية تربية النشء على العقيدة منذ الصغر، أن العقيدة تجيب عن جميع التساؤلات التي ترد على ذهن الصغير والكبير، ومن هذه التساؤلات صفات الخالق ﷻ، ومبدأ الخلق ونهايته، وغيرها من الأمور، لذا كان تركيز القرآن والسنّة على موضوع العقيدة بياناً، وتقريراً، وتصحيحاً، أمر ظاهر في النصوص الشرعية كلها.

ولا بد لكل بناءٍ مادياً كان أو معنوياً من أساس يقوم عليه، والدين الإسلامي بناء متكامل يشمل حياة المسلم منذ ولادته إلى مماته ثم ما يصير إليه بعد موته، وهذا البناء المتين يقوم على العقيدة الإسلامية التي تتخذ من وحدانية الخالق، وتعظيمه، وحماية جناب التوحيد، منطلقاً لها كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، فالإسلام يعنى بالعقيدة ويوليها أكبر عناية سواء من حيث ثبوتها بالنصوص ووضوحها، أو من حيث ترتيب آثارها في نفوس معتقديها.

لذا نجد أن الرسول ﷺ مكث عشر سنين بمكة ينزل عليه القرآن، وكان في غالبه ينصب على البناء العقدي للصغير والكبير، حتى إذا ما تمكنت العقيدة في النفوس نزلت التشريعات الأخرى بعد الهجرة إلى المدينة.

فالعقيدة تعد من ضروريات الإنسان التي لا غنى له عنها، ذلك أن الإنسان بحسب فطرته، يميل إلى اللجوء إلى قوة عليا يعتقد فيها القوة الخارقة

والسيطرة الكاملة عليه وعلى المخلوقات من حوله[١]، وهذا الاعتقاد يحقق له الميل الفطري للتدين ويشبع نزعته تلك، فإذا كان الأمر كذلك فإن أولى ما يحقق ذلك هو الاعتقاد الصحيح الذي يوافق تلك الفطرة ويحترم عقل الإنسان ومكانته في الكون، وهذا ما جاءت به العقيدة الإسلامية، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

والعقيدة في الإسلام والعبادات والمعاملات والسلوك، كلها تتجه لوجهة واحدة هي إخلاص الدين لله تعالى، وهذا الاتجاه المتحد له أهمية قصوى في فهم الدين الإسلامي، وتربية الصغار عليه منذ نعومة أظفارهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

والعقيدة إذا تمكنت من القلب أورثته الثقة بالله تعالى، وطردت الخوف من غيره ﷻ، وصار الذل والانكسار لله وحده لا شريك له، وتربية الصغير على إفراد الله تعالى بالتعظيم، والتوجه إليه في جميع الأمور، يحقق للطفل الإيمان واليقين، فلا يكون إلا عبداً لله تعالى وحده لا شريك له، فتصغر بذلك في عينه جميع المعبودات من دون الله، ويتكون عنده من اليقين، ما تتكسر على جداره جميع العقائد والمفاهيم الضالة، التي يحاول المفسدون غرسها من خلال الرسوم المتحركة وغيرها.

(١) المتأمل في عدد من أفلام الرسوم المتحركة، يجدها تبرز عدداً من القوى الخارقة، التي تحاول غرسها في أذهان الناشئة، وتعطيها من الصفات والخوارق، ما ينافس صفات الخالق جل وعلا، وهو ما سيأتي تفصيله في ثنايا البحث.

المبحث الثاني

تأثر الصغير بالتربية المبكرة

معلوم أن الصورة الملونة البراقة تجذب اهتمام الطفل الصغير، لذا فإن مرحلة ما قبل سن المدرسة تعتبر مرحلة الرسوم والصور الملونة، سواء كانت في المجلات أو التلفاز.

فالطفل يتدرج من تناول الكتاب أو المجلة باليد، إلى الإشارة إلى الصورة، إلى تسمية الأشياء، إلى الربط بين الرسوم والكلمات، إلى معرفة المعنى، إلى تتبع السرد القصصي إلى معرفة القراءة والكتابة.

والأطفال الذين أعمارهم بين الخمس والتسع والاثني عشر عاماً، يشاهدون كثيراً من البرامج التلفزيونية يومياً، التي يظهر تأثيرها واضحاً عليه في سلوكه، ومفاهيمه، وثقافته، بل: ولغته.

يميل الطفل في طفولته المبكرة إلى التقليد، وتكون لديه قابلية كبيرة للاستهواء والانقياد، كما أن قدرته على التفكير المجرد تكون جيدة، لهذا كانت تربيته على أساسيات الدين وحمايته من الفكر المنحرف، أمراً هاماً للغاية، خاصة أن الولد مستعد للتقبل والاقتناع.

والتعليم الذي يتلقاه الطفل في السنوات المبكرة يترك بصماته على عقليته في الطفولة المتأخرة، لهذا كان السلف يبدؤون تلقين أولادهم الشهادتين وغيرها منذ الطفولة المبكرة عند ابتداء نطقهم.

والحديث عن أهمية التربية ودورها في الصغر ضرورة ومطلب ملح، والمجتمعات تنادي اليوم بالتربية وتحث الأب، والأم على العناية بذلك.

۞ الطفولة المبكرة مرحلة هامة لها آثار نفسية:

وفي مؤتمر «نحو استراتيجية إسلامية موحدة لرعاية الطفولة المبكرة» بالكويت سنة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م، خرج الباحثون بنتيجة أن الوعي والذكاء الانساني، فـ ٦٠٪ من ذكاء الطفل يتبلور خلال السنوات الأربع الأولى من حياته بحسب جل المدارس النفسية والاجتماعية... المهتمة بحقل الطفولة.

وهذا يدلنا على أهمية رعاية الطفولة المبكرة مع مراعاة خصوصيات الأمة، ومقوماتها وثوابتها[١].

ومن هنا كان الحديث أيضاً عن تأثير ما يشاهده الطفل، والعناية بنوعيته، أمراً بالغ الأهمية.

(١) كتاب «الطفولة المبكرة» د.عبد الفتاح الفاتحي.

المبحث الثالث

نشأة الرسوم المتحركة

الرسوم المتحركة سبقت التصوير الفوتوغرافي الذي تم اكتشافه سنة ١٨٣٥م، في حين أن الرسوم كانت تتحرك على أقراص منذ عام ١٨٣٢م، وتم تنظيم أول عرض للرسوم المتحركة في أكسفورد استريت عام ١٨٩٦م.. متزامناً مع أول عرض سينمائي شهده العالم في فرنسا في «الجراند كافيه»[١].

وبالنسبة لمنطقتنا العربية والإسلامية فقد بدأت الرسوم المتحركة فيها مع مطلع القرن العشرين، ثم تطورت بظهور التليفزيون في مصر عام ١٩٦٠م.

ثم تطور هذا الفن تطوراً هائلاً، إلا أن كثيراً منه لا يزال واقعاً في أسر الإنتاج المستورد، خاصة من أمريكا، بما يحمله من نماذج فاسدة، وقيم مدمرة، لا تتفق مع ما ينبغي أن يتربى عليه أطفالنا، أو ما يمثله ديننا، وتراثنا[٢].

(١) المصدر: الأستاذ محمود خليل، مجله التبيان أفلام الكارتون:

http://www.hadielislam.com/articles/article.php?a=878&back=aHR0cDovL3d3-dy5oYWRpZWxpc2xhbS5jb20vYXJ0aWNsZXMvc2VhcmNoLnBocD9xPSVD-NyVFMSVEMSVEMyVFNiVFMyUyMCVDNyVFMSVFMyVDQSVDRCVEMS-VERiVDOQ.

(٢) المصدر: الأستاذ محمود خليل، مجله التبيان أفلام الكارتون:

http://www.hadielislam.com/articles/article.php?a=878&back=aHR0cDovL3d3-dy5oYWRpZWxpc2xhbS5jb20vYXJ0aWNsZXMvc2VhcmNoLnBocD9xPSVD-NyVFMSVEMSVEMyVFNiVFMyUyMCVDNyVFMSVFMyVDQSVDRCVEMS-VERiVDOQ.

المبحث الرابع

الرسوم المتحركة، وتأثيرها على الأطفال

الرسوم المتحركة هي حكاية وقصة تمثل فكر وثقافة من رسمها، بل تتضمن ما شاء راسمها من عقائد وأخلاق، يتأثر بها ـ غالباً ـ المشاهد، سواء شعُر بذلك أو لم يشعُر.

وتثبت الدراسات أن ٧٠٪ من الأفلام الكرتونية تنتج في الولايات المتحدة الأمريكية[١]، ولا تخلوا هذه الأفلام من فكر وثقافة يتعمد صانعوها أن يضمنوها الحكايات والقصص المرسومة.

فكثير من هذه الرسوم المتحركة تمثل حرباً فكرية عقدية ضد الإسلام، وأهله، وأخلاقه، وثقافته، تستهدف عقيدة أبناء المسلمين، ومرتكزات الدين، والإيمان بالله، وكتبه، ورسله[٢].

وأثبتت عدد من الدراسات أن فترة تعلق الأطفال بوسائل الإعلام مرتفعة عند سن الثالثة للذكور، والخامسة للإناث، وهذه أخطر مراحل نمو الطفل، وبناء أفكاره، ومعتقداته[٣].

وأظهرت الدراسات أيضاً أن نسبة عالية من الأمهات والآباء لا يدركون دور الرسوم المتحركة في التأثير على عقيدة وأخلاق الأطفال، وهذا يدلنا على أهمية إثارة هذا الموضوع[٤].

---

(١) انظر: http://www.almsloob.com/vb/t20361.html.

(٢) سيأتي سياق أمثلة على ذلك، في المباحث القادمة.

(٣) انظر: http://www.midad.me/fatwa/print/24242.

(٤) جريدة الجزيرة العدد (١٢٣٢١)، الجمعة (٢٧) جمادى الأولى عام ١٤٢٧هـ دراسة أكاديمية، للباحثة هدى الغفيص بعنوان: أثر الرسوم المتحركة على الطفل، في مختلف نواحي حياته.

إضافة إلى ما سبق فإن سهولة تلقي الطفل وتقبله للأفكار التي تحتويها الرسوم المتحركة تجعل من الأهمية بمكان أن نفحص ما يشاهده الطفل قبل السماح له بمشاهدته.

زد على ذلك أن كثرة مشاهدة الطفل لرسوم لا تمثل واقعه في اللباس، ولا في الثقافة، ولا الفكر، فإن هذا يؤدي إلى تدني مستوى الاعتزاز، ويضعف الفخر بالانتماء للإسلام، فلا هي تغرس حب الإسلام في قلب الطفل، ولا توعيه بقيمة كونه مسلماً موحداً[١].

وفي دراسة أصدرها المجلس العربي للطفولة والتنمية، حذرت من خطورة تأثير الرسوم المتحركة المستوردة على عقيدة أطفالنا.

وبيَّنت أن الدراسات أثبتت أن نسبة كبيرة من الأطفال يقضون أمام شاشات التليفزيون وقتاً ضعف الوقت الذي يقضونه في مدارسهم أو مع أهليهم، كما بينت الدراسات أن الرسوم المتحركة تمثل نسبة ٨٨٪ مما يشاهده الأطفال، وأظهرت بعض أحد استطلاعات الرأي أن ٦١٪ من الأطفال يعتمدون على القنوات الفضائية في مشاهدة أفلام الكرتون[٢]..

(١) http://www.islam - qa.com/ar/ref/112018.

(٢) الباحث: حاتم حمدي محمود، انظر:
http://www.google.com.sa/url?sa=t&source=web&ct=res&cd=28&ved=0CCEQFjAHOBQ&url=http%3A%2F%2Fwww.wasateah.net%2Fwasateah%2Fwasateah.net%2Fsection%2Ffull_story.cfm%3Faid%3D693&ei=R8ESS9KFB8uBkQXNm8miBw&usg=AFQjCNHEhKGB0N6tW4VIaZa7Z-pxG-1WcQ&sig2=Ryj5xhmjvSsaj0u5AC2ITQ.

الفصل الثاني

الرسوم المتحركة
تأثيرها في العقيدة

المبحث الأول

آثار واقعية لأفلام الرسوم المتحركة على الأطفال

أفلام الرسوم المتحركة لها تأثير واضح على الناشئة، في أفكارهم، وأخلاقهم، وعقائدهم، وهذا ظاهر لمن تأمل مشاهدة الأطفال لها زمناً يمتد إلى أكثر من عشر ساعات أسبوعياً، أو أكثر.

وفي دراسة ميدانية أجريت على ١١٦٤ شخصاً:

منهم أطفال من سن ٧ ـ ١٣سنة.

وآباء وأمهات لأطفال من سن ٧ ـ ١٣ سنة.

ومعلمون ومعلمات يدرّسون في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة.

وكانت الأسئلة حول مضمون مجموعة من أفلام الرسوم المتحركة الأجنبية تم اختيارها بطريقة عشوائية في فترة شهرين، وذلك من القناة الأولى لتلفزيون المملكة العربية السعودية، وقناة البحرين، وقناة سبيستون (spacetoon).

وأسفرت الدراسة عن عدة وقائع ومضامين هي:

١ ـ يشاهد جميع أطفال العينة أفلام الرسوم المتحركة وتستحوذ على اهتمامهم.

٢ ـ يفضل الأطفال مشاهدة أفلام الرسوم المتحركة من خلال القنوات الفضائية ثم من خلال الفيديو.

٣ ـ تؤثر أفلام الرسوم المتحركة على المحصول اللغوي للطفل وقدرته على التعبير بدرجة متوسطة.

٤ ـ تؤثر أفلام الرسوم المتحركة على ثقافة الطفل ومعلوماته بدرجة متوسطة.

٥ ـ يفضل الأطفال الرسوم المتحركة الأجنبية التي تتحدث باللغة العربية وأن تكون قصتها خيالية.

٦ ـ تؤثر أفلام الرسوم المتحركة بما تحتويه من عقائد غريبة على عقيدة الطفل المسلم وعلى مفهومه للحلال والحرام.

٧ ـ تؤثر السمات التي تتصف بها شخصيات أفلام الرسوم المتحركة الأجنبية على انفعالات الطفل.

٨ ـ يرى الآباء أن القيم التي تحتويها أفلام الرسوم المتحركة الأجنبية لها تأثير على سلوك الطفل بدرجة عالية.

٩ ـ تحتوي أفلام الرسوم المتحركة الأجنبية على عقائد غريبة تعمل على تشكيك الطفل بإيمانه بالله، ومفهوم الحلال والحرام، حيث بلغ مجموع المخالفات الدينية في أفلام التلفزيون نسبة ٤,٩٦٪، بينما الموافقات الدينية في أفلام التلفزيون بنسبة ٣,٦٪.

١٠ ـ تشتمل أفلام الرسوم المتحركة الأجنبية على قيم سلبية هي أكثر تنوعاً وكماً من القيم الإيجابية، حيث إن القيم السلبية في أفلام التلفزيون كانت نسبة ٣,٧٥٪ بينما القيم الإيجابية في أفلام التلفزيون كانت نسبة ٢٤,٧٪.

١١ ـ تحتوي أفلام الرسوم المتحركة الأجنبية على معلومات وثقافات بنسبة ضئيلة وغير دقيقة في صحتها وتوثيقها.

١٢ ـ كسرت هذه الأفلام الحاجز النفسي الذي وضعه الإسلام بيننا وبين بعض الحيوانات، فالخنازير المحرم أكلها، والكلاب المحرم اقتناؤها داخل المنزل، والدببة التي لا علاقة للبيئة المسلمة بها، جعلت منها هذه الأفلام أبطالاً محببين للمشاهد الصغير، حتى تسابق الأطفال إلى اقتناء دُماها وتماثيلها المجسمة، فينام بعضهم وهو يحتضن دمية دب صغير، أو

كلب أو نحو ذلك[١].

بل ويعلق صور تلك الحيوانات والشخصيات الكرتونية على باب الغرفة، وجدرانها، وكأن أهله لا يعلمون أن الملائكة لا تدخل مكاناً فيه تصاوير، فيحرمون طفلهم من حفيف الملائكة وحفظها له، فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتُوبُ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» قُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ وَقَالَ: إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»[٢].

١٣ ـ هذا غير ما يقع من تغلغل هذه الشخصيات الكارتونية في نفس الطفل إلى درجة مخيفة، يجعل منها تصل إلى حد التعلّق الروحي.

(١) أفلام الرسوم المتحركة وأثرها على الطفل المسلم في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير، الباحثة: أ. فاطمة أحمد خليل أبو ظريفة، منشورة في الشبكة العنكبوتية:

http.//www.hadielislam.com/readlib/rasael/rasael.php?by=bah&byid=362.

(٢) رواه البخاري (٢١٤٧).

المبحث الثاني

نماذج لأخطاء عقدية في الرسوم المتحركة

العقيدة هي أصل الأصول، ولبّ الدين، وصراط رب العالمين، وقد كان حرص النبي ﷺ وأصحابه، والسلف من بعدهم، على بيان العقيدة، وحماية جنابها، والذب عنها، أمراً ظاهراً.

والأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ الدالة على أهمية التوحيد، كثيرة، متعددة الدلائل، متنوعة الأسلوب.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له..**»(١).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة**»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات...**»(٣).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معاذ أتدري ما**

---

(١) رواه الإمام أحمد ٢/ ٥٠ ـ ٩٢؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ١٥٠ وصححه الألباني في الإرواء ٥/ ١٠٩ وفي صحيح الجامع رقم (٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٤٧٤ ـ الفتح)؛ ومسلم (١/ ٣١٠ ـ النووي).

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٦٧ ـ الفتح)؛ ومسلم (١/ ٢٧٢ ـ النووي).

حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً يا معاذ أتدري ما حق العباد على الله؟** قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **أن لا يعذبهم...»**[١].

حديث جبريل حيث سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام قال رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة...**»[٢].

وغير هذه النصوص كثير يظهر منها تعظيم التوحيد وأنه أعظم ما أمر الله جل وعلا به عباده وأمر به رسوله ﷺ وأن جزاءه الجنة.

قال شارح الطحاوية: «اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله ﷻ قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩][٣].

وهكذا كل الأنبياء هود وصالح وشعيب وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

إلى أن قال: «فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا كما قال النبي ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[٤] فهو أول واجب وآخر واجب»[٥].

لأجل ذلك اهتم السلف رحمهم الله بقضية العقيدة والتوحيد، سواء في تربية الناشئة عليها، أو في حماية جنابها، وتعظيم شأنها، وسار السلف الصالح على ما كان عليه نبيهم ﷺ من الحرص على التوحيد ونشره وبيان معالمه ودلالة الناس عليه وإقامة الحجة وقد رفعوا راية التوحيد في كل مكان، وقد انتشر صحابة رسول الله في كل البلاد التي فتحوها ينشرون التوحيد فيها

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٣٤)؛ ومسلم (٣١٩٠).
(٢) أخرجه البخاري (١١١٤).
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٩.
(٤) رواه أبو داود (٣٦١٦).
(٥) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢١ ـ ٢٣.

مجتهدين غاية الاجتهاد في إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ظلمات الدنيا إلى سعة الآخرة، والآثار الواردة عنهم في ذلك كثيرة، من ذلك:

قال ابن مسعود ﷺ: «من سره أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال أبو العالية:

«تعلموا الإسلام وعليكم بالصراط المستقيم وعليكم بسُنَّة نبيكم والذي كان عليه أصحابه وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء»(١).

وكان ابن عباس يوصي فيقول: «عليكم بالاستقامة اتبعوا ولا تبتدعوا»(٢).

وقال ابن مسعود: «الاقتصاد في السُّنَّة خير من الاجتهاد في البدعة»(٣).

وقال الزهري: «الاعتصام بالسُّنَّة نجاة»(٤).

وقال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السُّنَّة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما يسعهم»(٥).

وقد سار على هذا المنهج الصحابة والتابعون ومن بعدهم من الأئمة من أهل العلم والفضل ممن تحملوا أمانة تبليغ شرع الله ونشر التوحيد بين الخلائق في سائر الأمصار والأعصار، وجهودهم في هذا الباب ظاهرة للعيان.

---

(١) الإبانة لابن بطة ١/ ٢٩٩.
(٢) المرجع السابق ١/ ٣١٤.
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٥٥.
(٤) المرجع السابق ١/ ٥٦.
(٥) المرجع السابق ١/ ١٥٤.

والناظر اليوم في عدد من الرسوم المتحركة يجد أنه يظهر فيها أخطاء ومخالفات عقدية، لا يمكن التهاون بها، فيها جرأة على الخالق ﷻ، وتعظيم لبعض المخلوقات إلى درجة رفعها لمقام الربوبية، أو إضفاء بعض صفات الخالق سبحانه على المخلوق، مع الاستخفاف باليوم الآخر، وأمور من العقيدة.

وسأعرض هنا نماذج لبعض ما عُرض في قنوات يشاهدها أبناء المسلمين، وذلك من خلال خمسة مطالب:

المطلب الأول

نماذج من أثرها على عقيدة الطفل في توحيد الربوبية

۞ توحيد الربوبية:

هو إفراد الله تعالى بأفعاله الدالة على ربوبيته التي لا يشاركه فيها أحد؛ كخلق الخلق وتدبيرهم والقيام على مصالحهم ومعايشهم وما تفرع من ذلك؛ لأن الرب عند العرب هو السيد المالك، فمعناه يتعلق بملكه وتدبيره ورعايته.

وأصل هذا التوحيد هو: الاعتراف بأن الله هو الرب المتفرد بالخلق والملك والتدبير، ولذلك كان الأصل في هذا التوحيد أنه مما يتعلق بعمل القلب، والبدن تابع له، بخلاف توحيد الألوهية فإنه يتعلق بالقلب والبدن معاً.

وتوحيد الربوبية هو إفراد الله تعالى في ثلاثة أمور:

الأول: الخلق؛ أي: أنه لا يقدر على الخلق إلا الله.

والأدلة على ذلك كثيرة:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [النحل: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ [الرعد: ١٦].

وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحج: ٧٣].

وقال ربنا: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].

وقال: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الفرقان: ٣].

وقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: ٤].

وقال: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس: ٣٤].

والآيات في ذلك كثيرة.

والمراد بالخلق هنا: إيجاد الشيء من العدم، وهذا لا يقدر عليه إلا الله[1].

الثاني: الملك؛ أي: أنه تعالى متفرد بالملك.

والأدلة في ذلك كثيرة:

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقال ﷻ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [فاطر: ١٣].

وقال: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١].

وقال: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٤٩].

وقال: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ [طه: ٦].

والآيات في ذلك كثيرة.

وتأمل في قوله تعالى: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] وقوله: ﴿بِيَدِهِ

---

(١) إذا تأملت في الأمثلة الواردة في هذا البحث حول جرأة بعض الرسوم الكرتونية على توحيد الربوبية، يجد أنها تنسب الخلق لغير الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

مَلَكُوتُ﴾ [المؤمنون: ٨٨] وقوله: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [فاطر: ١٣] وقوله: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.. [الزمر: ٤٤]، وقوله: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحشر: ٢٤] ونحو ذلك، تعرف إفراد الله بهذه المعاني بما تقدم من أساليب وطرق الإفراد في اللغة.

الثالث: التدبير؛ أي: أنه تعالى متفرد بتدبير الأمور، وتصريف هذا الكون.

والآيات في ذلك كثيرة:

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

وقال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥].

وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣١].

والآيات في إثبات تفرد الله بتصريف الأمور، وتدبير المعايش كثيرة.

❁ ومعاني الربوبية ترجع إلى ثلاثة الخلق والملك والتدبير:

وهناك معاني كثيرة أخرى من معاني الربوبية مثل الرزق والقبض والبسط، والإحياء والإماتة، وهبة الولد، وشفاء المريض، والنصر على العدو ونحو ذلك، وهي كثيرة نذكر منها:

الضر والنفع: فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٩].

وغير ذلك من الآيات.

والعلة من ذكر تفرده تعالى بالضر والنفع: أن انتفاء ذلك عن المخلوق دليل على عجز المخلوق في نفسه، فضلاً عن أن يملك لغيره شيئاً، وأن الذي يستحق أن يعبد رغبة ورهبة هو الله لأنه مالك ذلك كله.

ومن ذلك الرزق: فهو الذي يسوقه ويأتي به ويسهله للخلائق، وكل ما

يجده الناس في معايشهم من الأرزاق فهو من فضله وكرمه سبحانه وحده لا يشاركه في ذلك أحد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ١٧].

فنفى ﷻ أن يكون غيره يملك شيئاً من الرزق ولو يسيراً، وعرفنا ذلك بالأسلوب البلاغي في وجود النكرة في سياق النفي فنستفيد العموم أي:

لا يملكون رزق المال ولا الأولاد ولا الطعام ولا الشراب ولا العافية ولا غير ذلك، ثم أمر بالتوجه إلى الله وحده وذلك بتقديم ما حقه التأخير حيث قدم الظرف فقال سبحانه: ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، ولم يقل تعالى: فابتغوا الرزق عند الله.

وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣]، فأفرد نفسه بالرزق ونفاه عن غيره؛ لأن هذا استفهام يراد به النفي.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨]، وغير ذلك.

ومن ذلك كشف الضرر: فإنه لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧].

وقال: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٨].

وقال: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ﴾ [الأعراف: ١٣٥].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ﴾ [يونس: ١٢]، وغير ذلك من الآيات.

ومن ذلك النصر على العدو: كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٢].

وقال: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ١١٦].

وقال: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وهذا التوحيد لا يكفي وحده، بل لا بد أن يقترن به توحيد الألوهية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما توحيد الربوبية فقد أقر به المشركون وكانوا يعبدون مع الله غيره ويحبونهم كما يحبونه، فكان ذلك التوحيد ـ الذي هو توحيد الربوبية ـ حجة عليهم»(١).

وقال ابن القيم: «ولهذا كانت لا إله إلا الله أفضل الحسنات، وكان توحيد الإلهية الذي كلمته لا إله إلا الله رأس الأمر.

فأما توحيد الربوبية الذي أقر به كل المخلوقات فلا يكفي وحده وإن كان لا بد منه وهو حجة على من أنكر توحيد الألوهية»(٢).

ومن نظر في بعض ما يشاهده أبناؤنا من أفلام الرسوم المتحركة، وجد أنواعاً من الجرأة والاستخفاف بهذا التوحيد، وإضفاء الربوبية على المخلوق.

ومن هذا ما ينشر في بعض الأفلام الكرتونية حيث إنهم يشبّهون الله ﷻ بشيخ رهيب، مزعج المنظر، ذي لحية طويلة، عملاق، فوق السحاب، يسخّر الرياح ويعمل ما يريد.

ومن ذلك:

زعزعة عقيدة الطفل في الله ﷻ: مثل ما بثته قناة فضائية واسعة الانتشار، وهو مشهد يوجَّه الأطفال توجيهاً معاكساً في أساس من أسس ديننا وحياتنا؛ فعدم نزول المطر، والجدب والقحط، قضية تربط المسلم بالخالق، والسُّنَّة النبوية المطهرة تبني في كيان الطفل المسلم من خلال صلاة الاستسقاء التوجه إلى الله تعالى.

وفي هذا المسلسل تظهر الشخصيات الكارتونية وهي تقف في الغابة تنتظر سقوط المطر، فيتقدم كبيرهم قائلاً: لا ينزل المطر إلا بالغناء، فهيا نغني.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٨٠.

(٢) طريق الهجرتين ص٥٦ ـ ٥٧.

وتبدأ شخصيات المسلسل تغني أغنية سقوط المطر، يصاحبها الرقص والأدوات الموسيقية:

ويرددون:

هيا اضربي يا عاصفة

كي يسقط المطر

هيا اضربي لتغمري

الجميع بالمطر

مطر مطر مطر

يا منزل المطر

مطر مطر مطر

نريد شيئاً واحداً

مطر مطر مطر

وعندما لم ينزل المطر يتساءل أحدهم: لماذا لم تمطر السماء؟ فيجيب أحدهم: لعلها مشغولة بالبحث عن أمنا الطبيعة[١][٢].

ومن ذلك أيضاً: ما يحصل في برنامج (ميكي ماوس) هذا الفأر الأمريكي الذي يوهم أطفالنا ـ في بعض حلقاته ـ بأنه يعيش في الفضاء، ويكون له تأثير واضح على البراكين والأمطار فيستطيع أن يوقف البركان!! وينزل المطر ويوقف الرياح!! ويساعد الآخرين، والسؤال الذي قد يتبادر إلى

---

(١) د. خالد الحليبي:

http.//www.google.com.sa/url?sa=t&source=web&ct=res&cd=42&ved=0CAoQFjABOCg&url=http%3A%2F%2Fwww.almostshar.com%2Fweb%2Fimages%2FMat%2F157.doc&ei=wMUSS4-yN8PykAXSvYijBw&usg=AFQjCNGWIv6aoInXlVoOAS1q95AlxoRZIQ&sig2=V-NXU7RmG3aBidPf69imMg.

(٢) نعوذ بالله من هذا الشرك الذي يلقن لأبنائنا ونحن غافلون عنهم، فرحون بأنهم هدؤوا بين يدي التلفاز؛ لنفرغ نحن عنهم لأمور لن تكون مهما كبرت أهم من سلامة أولادنا من الانحراف في عقائدهم وأخلاقهم.

الذهن: لماذا يجعل هذا الفأر في السماء؟!! ولماذا يصور على أن له قوة في أن يتحكم بالظواهر الأرضية؟!!

ومن ذلك ما تكرر في كثير من الأفلام من ظهور رجل ضخم فوق السحاب يمتلك دجاجة تبيض ذهباً[١].

المطلب الثاني

نماذج من أثر هذه الرسوم على عقيدة الطفل في توحيد الألوهية

التوحيد هو: مصدر وحَّد؛ أي: جعل الشيء الكثير واحداً، وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحَّد، وإثباته له.

والإلهية مشتقة من الإله، قال ابن فارس: «الهمزة واللام والهاء أصل واحد وهو التعبد، فالإله: الله تعالى، سمي بذلك لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل إذا تعبد»[٢].

ومعنى الألوهية في الاصطلاح: إفراد الله تعالى بالعبادة؛ أي: تعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً، لا تشرك به نبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرباً، ولا رئيساً ولا ملكاً، ولا أحداً من الخلق، بل تفرده وحده بالعبادة محبةً وتعظيماً ورغبةً ورهبة[٣].

وحقيقة هذه العبادة هي: إفراد الله سبحانه بجميع ما تعبَّد العباد به، من دعاء وخوف ورجاء وصلاة وصوم وذبح ونذر وغير ذلك من أنواع العبادة،

---

(١) د. خالد الحليبي:

http://www.google.com.sa/url?sa=t&source=web&ct=res&cd=42&ved=0CAoQFjABOCg&url=http%3A%2F%2Fwww.almostshar.com%2Fweb%2Fimages%2FMat%2F157Ûdoc&ei=wMUSS4-yN8PykAXSvYijBw&usg=AFQjCNGWIv6aoInXlVoOAS1q95AlxoRZIQ&sig2=V-NXU7RmG3aBidPf69imMg.

(٢) مقاييس اللغة ١/١٢٧.

(٣) معجم ألفاظ العقيدة ص١٠٢.

على وجه الخضوع له والرغبة والرهبة، مع كمال الحب له سبحانه والذلّ لعظمته[١].

وقال ابن تيمية: «إن حقيقة التوحيد أن نعبد الله وحده فلا يُدعى إلا هو، ولا يخشى إلا هو، ولا يتقى إلا هو، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، لا لأحدٍ من الخلق، وأن لا نتخذ الملائكة والنبيين أرباباً، فكيف بالأئمة والشيوخ والعلماء وغيرهم»[٢].

قال الشيخ ابن باز: «وأحسن ما يعرف هذا التوحيد هو قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]»[٣].

ويسمى توحيد الألوهية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد العبادة، ونحو ذلك.

قال الشيخ ابن سعدي: «ويقال له: توحيد الإلهية، فإن الإلهية وصفه تعالى الذي ينبغي أن يؤمن به كل بني آدم، ويوقنوا أنه الوصف الملازم له سبحانه الدال عليها الاسم العظيم وهو الله، وهو مستلزم جميع صفات الكمال، ويقال له: توحيد العبادة باعتبار وجوب ملازمة وصف العبودية بكل معانيها للعبد بإخلاص العبادة لله تعالى، وتحقيقها في العبد أن يكون عارفاً بربه، مخلصاً جميع عبادته محققاً ذلك بترك الشرك صغيره وكبيره»[٤].

والأدلة الواردة في توحيد الألوهية كثيرة، وهذه الألوهية تعني تفرد الرب بحق العبادة فلا يشاركه في ذلك أحد.

قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ [يوسف: ٤٠].

---

(١) العقيدة الصحيحة وما يضادها لابن باز ص٦.

(٢) منهاج السُّنَّة ٣/ ٤٩٠.

(٣) العقيدة الصحيحة وما يضادها ص١٨.

(٤) القواعد الحسان ص٤٢.

وقال ربنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزمر: ٦٤].

وقال: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحقاف: ٢١].

وتوحيد الألوهية هو المقصد الأعظم من بعثة الرسل، فقد أمرت به جميع الشرائع، وأقامته جميع الملل.

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

وغير ذلك من الآيات.

ومن هؤلاء الآيات قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١]، والمراد أنه إذا أقررتم أنه الخالق لكم ولغيركم فكيف تعبدون غيره؟!

قال ابن كثير عند هذه الآية: «ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غَيره»[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند آيتي العنكبوت: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾.. [العنكبوت: ٦١]: «وكثيراً ما يقرر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية فإن المشركين كانوا يعترفون بذلك»[(٢)].

والله تعالى خلق الخلق لعبادته وحده سبحانه، ومن صرف العبادة لغيره

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٢١٤.

لم يحقق العبودية المطلوبة لله والعبادة المطلقة، والله لم يخلق الناس عبثاً، ولم يتركهم سدى لا يؤمرون ولا ينهون، بل خلقهم لعمارة هذا الكون بالطاعة والعبادة.

ولا ينجو المرء بمجرد الإقرار بتوحيد الربوبية، قال شيخ الإسلام: «ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بعث إليهم محمد ﷺ أولاً لم يكونوا يخالفونه في هذا بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء حتى أنهم كانوا يقرون بالقدر أيضاً وهم مع هذا مشركون، فقد تبين أن ليس فى العالم من ينازع فى أصل هذا الشرك»(١).

وقال ابن القيم: «وغاية هذا الفناء في توحيد الربوبية وهو أن لا يشهد رباً وخالقاً ومدبراً إلا الله، وهذا هو الحق ولكن توحيد الربوبية وحده لا يكفي في النجاة فضلاً عن أن يكون شهوده والفناء فيه هو غاية الموحدين ونهاية مطلبهم، فالغاية التي لا غاية وراءها ولا نهاية بعدها الفناء في توحيد الإلهية»(٢).

وقال ابن القيم ـ أيضاً ـ: «ولهذا كانت لا إله إلا الله أفضل الحسنات، وكان توحيد الإلهية الذي كلمته لا إله إلا الله رأس الأمر، فأما توحيد الربوبية الذي أقر به كل المخلوقات فلا يكفي وحده وإن كان لا بد منه وهو حجة على من أنكر توحيد الألوهية»(٣).

۞ والمتأمل في بعض أفلام الرسوم المتحركة، يجد فيها قدحاً في هذا التوحيد، ومن الأخطاء العقدية المنتشرة في تلك البرامج:

١ ـ الاستعانة بغير الله تعالى:

أمرنا ربنا أن نقرأ الفاتحة في كل ركعة وفيها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٩٧ ـ ٩٨.
(٢) طريق الهجرتين ص٣٠.
(٣) طريق الهجرتين ص٥٦ ـ ٥٧.

نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]، لنعلم أن العبادة لا تتم إلا بالاستعانة بربنا، والاستعانة هي اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة بالله في حصول ذلك وحسن الظن به، فاعتماد القلب يعني أن تكون الاستعانة للقلب كالعماد للبنيان، والمنافع هي كل مطلوب من أمور الدنيا والآخرة والمضار هي كل مرهوب في الدنيا والآخرة، والثقة بالله تتضمن معرفة الله وتتضمن حسن العبادة فإن حسن الظن من حسن العبادة، وقد قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «**لا تدع دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على شكرك وذكرك وحسن عبادتك**»(١).

وشرع الله تعالى لنا الصلوات وأمرنا أن نستعين بها على أمور ديننا ودنيانا فقال ﷻ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥]، إذاً الاستعانة الحقيقة تكون مع القرب من الله، والتعبد له سبحانه.

والاستعانة بغير الله في شفاء مريض أو إنزال غيث أو إطالة عمر، وأمثال هذا مما هو من اختصاص الله تعالى نوع من الشرك الأكبر الذي يخرج من فعله من ملة الإسلام.

وكذا الاستعانة بالأموات أو الغائبين عن نظر من استعان بهم من ملائكة أو جن أو إنس في جلب نفع أو دفع ضر نوع من الشرك الأكبر الذي لا يغفر الله إلا لمن تاب منه؛ لأن هذا النوع من الاستعانة قربة وعبادة، وهي لا تجوز إلا لله خالصة لوجهه الكريم، ومن أدلة ذلك ما علَّم الله عباده أن يقولوه في آية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ أي: لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك.

قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ الآية [البينة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ١٦٢٠.

وما ثبت من قوله ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»(١).

وقوله ﷺ في حديث معاذ رضي الله عنه: «**وحق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**»(٢).

وقوله ﷺ: «**من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار**»(٣).

أما الاستعانة بغير الله فيما كان في حدود الأسباب العادية التي جعلها الله إلى الخلق وأقدرهم على فعلها؛ كالاستعانة بالطبيب في علاج مريض وبغيره، وإطعام جائع، وسقي عطشان، وإعطاء غني مالاً لفقير، وأمثال ذلك، فليس بشرك، بل هو من تعاون الخلق في المعاش وتحصيل وسائل الحياة، وهكذا لو استعان بالأحياء الغائبين بالطرق الحسية؛ كالكتابة، والإبراق، والمكالمة الهاتفية ونحو ذلك(٤).

وفي بعض أفلام الرسوم المتحركة، أنواع من الخلل في جانب الاستعانة بالله تعالى وحده لا شريك له.

ومن ذلك: مشهد طفل ينزل من بين السحاب لينقذ من يمر في محنة فالمشهد يصور نزوله قائلاً: أرنب في محنة! أنا قادم!!

وهذا المشهد له مدلول عقدي خطير على عقيدة الطفل، فهذا المخلوق القادم من السحاب له قدرات غير البشر لأنه يسمع من يستغيث به دون وسائل وقد يكون دعوة لتصور عالم غيبي لا تدركه الحواس، فيكون هذا تهوين وتجذير لأمر الشرك، وهذا أيضاً يضعف عقيدة الاستعانة بالله تعالى عند الشدائد.

٢ ـ الانحناء للغير:

حتى تكون الهيئة أقرب ما تكون للسجود والركوع، مثل ما يكون في برنامج (الكابتن ماجد) فعند نهاية المباراة يقوم أعضاء الفريقين بالانحناء

---

(١) رواه الترمذي، سنن الترمذي (٢٥١٦).
(٢) رواه البخاري (٦٥٠٠).
(٣) رواه ابن خزيمة في التوحيد ٢/٨١٥.
(٤) فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء برقم (٢١٤).

بعضهم البعض، بشكل أشبه ما يكون بالركوع للصلاة؛ كتعبير للمحبة والصفاء، ومثله ما يحصل أيضاً في برنامج (النمر المقنع) من وضع مماثل للسجود[١].

٣ ـ ومنه أيضاً ما يتبادله الشخصيات الكرتونية من عبارات مخلة بالعقيدة:

مثل (أعتمد عليك) و(هذا بفضلك يا صديقي)، وفي أحدها قال أحدهم لما نزل المطر: (ألم تجد وقتاً أفضل من هذا لتنزل فيه؟)[٢].

المطلب الثالث

احتواء بعضها على شعارات الأديان الأخرى

يبرز في بعض أفلام الرسوم المتحركة شعارات الديانات الأخرى:

فأحياناً إظهار الراهب ومعه الصليب، وإلباس بعض الممثلين الصليب، أو يظهر رجل قوي وشجاع مقاتل، فيخرج من داخل ثيابه الصليب ويقبله، ثم يبدأ المعركة، وفي بعض المشاهد يلجأ بطل المغامرة للصليب ليحرق به المخلوقات الشريرة، أو يظهر مشهد لفتاة تطلب الانضمام للكنيسة لتعلم العادات الدينية، وغير ذلك[٣].

---

(١) د. خالد الحليبي:
http://www.google.com.sa/url?sa=t&source=web&ct=res&cd=42&ved=0CAoQFjABOCg&url=http%3A%2F%2Fwww.almostshar.com%2Fweb%2Fimages%2FMat%2F157.doc&ei=wMUSS4-yN8PykAXSvYijBw&usg=AFQjCNGWIv6aoInXlVoOAS1q95AlxoRZIQ&sig2=V-NXU7RmG3aBidPf69imMg.

(٢) د. خالد الحليبي:
http://www.google.com.sa/url?sa=t&source=web&ct=res&cd=42&ved=0CAoQFjABOCg&url=http%3A%2F%2Fwww.almostshar.com%2Fweb%2Fimages%2FMat%2F157Ûdoc&ei=wMUSS4-yN8PykAXSvYijBw&usg=AFQjCNGWIv6aoInXlVoOAS1q95AlxoRZIQ&sig2=V-NXU7RmG3aBidPf69imMg.

(٣) د. خالد الحليبي:
http://www.google.com.sa/url?sa=t&source=web&ct=res&cd=42&ved=0CAoQFjABOCg&url=http%3A%2F%2Fwww.almostshar.com%2Fweb%2Fimages%2FMat%2F157.doc&ei=wMUSS4-yN8PykAXSvYijBw&usg=AFQjCNGWIv6aoInXlVoOAS1q95AlxoRZIQ&sig2=V-NXU7RmG3aBidPf69imMg.

ومعلوم أنّ الصليب، في حدّ ذاته رمز للتكذيبِ بالقرآن، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النساء: ١٥٧]، وهو رمز لدين كفري باطل، ليس هو دين عيسى عليه السلام، فإنّ دينه كان الإسلام، كدين سائر الأنبياء، وقد بشّر عيسى ﷺ نبيّنا محمد ﷺ وأمر باتباعه، كما أمرت الأنبياء من قبله.

ولهذا فإنّ المسيح عليه السلام، عندما ينزل آخر الزمان، يكسر الصليب، كما تُحطّم الأوثان، ولهذا كان نبينا محمد ﷺ، لا يدع شيئاً في بيته فيه تصاليب إلّا نقضه، كما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها[١]، فالصلبان كالأوثان.

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، وإماماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد، وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها**»[٢].

قال الإمام ابن حجر: «وفي هذا الحديث، **ينزل عيسى عليه ثوبان ممصران فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، وتقع الأمنة في الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، وتلعب الصبيان بالحيات** ـ وقال في آخره: ـ **ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون**»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال ﷺ: «**ينزل عيسى فيقتل الخنزير ويمحي الصليب وتجمع له الصلاة ويعطي المال حتى لا يقبل ويضع الخراج، وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما**»، وتلا أبو هريرة ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ الآية [النساء: ١٥٩]. قال حنظلة: قال أبو هريرة: يؤمن به قبل موت عيسى»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٥٢).
(٢) رواه البخاري (٣٤٤٨)
(٣) فتح الباري لابن حجر ٦/٥٦٩.
(٤) رواه أحمد في المسند ١٥/٢٧.

وفي حديث أبي سعيد ﷺ: أنه لما ينادي المنادي يوم القيامة، من كان يعبد شيئاً فليتبعه «فيذهب أهل الصليب مع صليبهم، وأصحاب كلّ الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كلّ آلهة مع آلهتهم»(١).

وفي سؤال للجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية، جاء فيه:

أنا شاب مسلم أشتغل مع الصليب الأحمر الهولندي كمترجم متطوع، وقد أضطر في المستقبل إلى لباس سترة أو قبعة تحمل شعار الصليب.. ما قول الشرع في ذلك؟

فكان الجواب كالتالي:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فلا يجوز للمسلم أن يلبس زي المشركين، فقد روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كتب إلى المسلمين المقيمين ببلاد فارس: إياكم وزي أهل الشرك(٢).

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: رأى رسول الله ﷺ علي ثوبين معصفرين، فقال: «**إن هذه ثياب الكفار فلا تلبسها**»(٣).

وروى أبو بكر الخلال: أن حذيفة بن اليمان أتى بيتاً، فرأى شيئاً من زي العجم، فخرج وقال: من تشبه بقوم فهو منهم(٤).

وقال الإمام أحمد بن حنبل: وأكره الصرار ـ وهو نوع من أحذية العجم ـ وقال: هو من زي العجم.

ومما سبق يعلم أنه لا يجوز للمسلم أن يلبس زي المشركين، فكيف إذا اشتمل هذا الزي على شعار الكفر كالصليب، فلا شك أن الأمر سيكون أشد حرمة.

---

(١) رواه البخاري (٢١٥٤).
(٢) رواه البخاري (١٢٦٥).
(٣) رواه مسلم (٢٢٤٥).
(٤) رواه أبو بكر الخلال (١٢٥٧).

هذا وقد روي عنه ﷺ أنه أمر بنقض التصاليب[١].

فلا تلبس مثل هذه الملابس المشتملة على شعار الكفر، وإن اضطروك إلى لبسها فلا تفعل حتى لو أدى بك ذلك إلى ترك العمل.

ويفيد هنا أن ننقل لك فتوى اللجنة الدائمة في السعودية في حكم تكفير من لبس الصليب، وهذا نصها:

السؤال: اختلفنا في المسلم الذي يلبس الصليب شعار النصارى، فبعضنا حكم بكفره بدون مناقشة، والبعض الآخر قال: لا نحكم بكفره حتى نناقشه، ونبين له تحريم ذلك، وأنه شعار النصارى، فإن أصر على حمله حكمنا بكفره.

الجواب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

التفصيل في هذا الأمر وأمثاله هو الواجب، فإذا بيَّن له حكم لبس الصليب، وأنه شعار النصارى ودليل على أن لابسه راض بانتسابه إليهم، والرضا بما هم عليه، وأصر على ذلك حكم بكفره، لقوله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، والظلم إذا أطلق يراد به الشرك الأكبر.

وفيه أيضاً إظهار لموافقة النصارى على ما زعموه من قتل عيسى عليه الصلاة والسلام، والله سبحانه قد نفى ذلك وأبطله في كتابه الكريم، حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[٢].

---

(١) يشير إلى حديث عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه» رواه البخاري (٥٩٥٢).

(٢) فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برقم (١٩٣٣٧).

المطلب الرابع

اشتمال بعضها على السحر

السحر عبارة عن ما خفي ولطف سببه.

ومنه سمي السحر سحراً لأنه يقع خفياً آخر الليل، كما ثبت من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من البيان لسحراً**»[(١)]، لما في البيان من قدرة من يتصف به على إخفاء الحقائق.

والسحر عمل تُقُرِّب فيه إلى الشيطان، وبمعونة منه، كلّ ذلك الأمر كينونَة للسِّحر، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى، وليس الأصل على ما يرى، والسحر الأخذة، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر، وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأن الساحر ـ لما أرى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته ـ قد سحر الشيء عن وجهه؛ أي: صرفه»[(٢)].

وتعود معاني السحر اللغوية إلى الخفاء واللَّطافة، وإلى الخداع والتمويه، وإلى التلهية، والتعليل وإلى الصرف والاستمالة، ومن هذه المعاني اللغوية عرف السحر في الاصطلاح[(٣)].

والسحر هو عزائم ورقى وعقد تؤثر في القلوب والأبدان، فتمرض وتقتل وتفرق بين المرء وزوجه، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقد أمر الله بالتعوذ من السحر وأهله، فقال جل شأنه: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤]، وهن السواحر اللواتي ينفخن في عقد السحر[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٢١٤٧)؛ ومسلم (٢٤٥٩).

(٢) أورده ابن منظور عن الأزهري في لسان العرب ـ مادة «سحر» ـ ٤/ ٣٤٨

(٣) السحر ـ حقيقته ـ أنواعه ـ الوقاية منه، للأستاذ راجي الأسمر ـ ص٧ ـ ٨.

(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٤٥.

والساحر ليس هو ولا سحره مؤثرين بذاتهما ولكن يؤثر السحر إذا تعلق به إذن الله القدري الكوني، وأما إذن الله الشرعي فلا يتعلق به البتة؛ لأن السحر مما حرمه الله ولم يأذن به شرعاً، قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال الحافظ ابن حجر: «السحر: هو صرف الشيء عن وجهه، قال القسطلاني: أمر خارق للعادة، صادر عن نفس شريرة لا تتعذر معارضته، وهو بتأثيره نوع من الأمراض، كما قال القرطبي: الحق أن لبعض أصناف السحر تأثيراً في القلوب كالحب والبغض وإلقاء الخير والشر، وفي الأبدان بالألم والسقم»[(١)].

وقال الجصاص: «السحر: كلّ أمر خفي سببه، وتُخيِّل على غير حقيقته، وجرى مجرى التمويه والخداع»[(٢)].

و«علم السحر» هو: علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة بأشياء خفية، قاله في كشاف اصطلاحات الفنون[(٣)].

والسحر في الاصطلاح لا يمكن حده بحد جامع مانع، لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعاً لها مانعاً لغيرها، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حدِّه اختلافاً متبايناً[(٤)].

فيصورون السحر على أن حكمه يختلف حسب المقصد من استعماله، وذلك بأن يصوروا الساحر أو الساحرة رجلاً كان أم امرأة قد ملأهما الشر والأذى والبغضاء والحسد، يحققون بالسحر ما يصبون إليه من طموحات شخصية على حساب الآخرين، كما في برنامج (السنافر)، الذي يتمثل في الرجل الشرير (شرشبيل)[(٥)].

---

(١) إرشاد الساري ٨/ ٤٠١.

(٢) أحكام القرآن ١/ ٥١.

(٣) أبجد لعلوم، لصديق بن حسن القنّوجي ٢/ ٣١٨؛ وانظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٢/ ٢٢٤.

(٤) محمد الأمين الشنقيطي في أضواء البيان ١/ ٢١٢.

(٥) انظر مقاطع من برنامج السنافر في الشبكة العنكبوتية:
http://www.youtube.com/watch?v=Pkm-Fskw9aQ

وأحياناً يصورون الساحر بأنه رجل طيب محب للخير لجميع الناس، يساعد المظلومين كما في برنامج (السنافر) أيضاً، ويمثل بزعيم القرية، أو كما في برنامج (سندريلا)[١] والتي تظهر فيها امرأة ساحرة طيبة، تساعد سندريلا على حضور حفلة الملك والاستمتاع بالرقص!! وغير ذلك[٢].

من الأمثلة أيضاً: عبارة سآخذ المصباح وأصبح أقوى ساحر في العالم.

التعلق: إن مشاهدة الطفل وسماعه لعبارة كهذه يهون لديه قضية السحر والسحرة وحصاد هذا تحصده أمتنا جليّاً في هذا الزمان.

المطلب الخامس

جرأة بعض الرسوم المتحركة على عقيدة الإيمان باليوم الآخر

جعل سبحانه الإيمان باليوم الآخر ركناً من أركان الإيمان، وعلّق سبحانه صحة إيمان العبد على الإيمان بذاك اليوم، وقرن تعالى الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر في تسعة عشر موضعاً في القرآن.

منها قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقوله تعالى في حق المطلقات: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقال ﷻ مخاطباً أولياء النساء: ﴿مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

---

(١) انظر مقاطع من برنامج سندريلا في الشبكة العنكبوتية:

http://www.youtube.com/watch?v=u2-JwjrYz8Q&feature=PlayList&p=C00-C8549AF7E370F&index=0&playnext=1.

(٢) د. خالد الحليبي:

http://www.google.com.sa/url?sa=t&source=web&ct=res&cd=42&ved=0CAoQFjABOCg&url=http%3A%2F%2Fwww.almostshar.com%2Fweb%2Fimages%2FMat%2F157.doc&ei=wMUSS4-yN8PykAXSvYijBw&usg=AFQjCNGWIv6aoInXlVoOAS1q95AlxoRZIQ&sig2=V - NXU7RmG3aBidPf69imMg.

ووصف سبحانه المؤمنين بأنهم الذين آمنوا بالله واليوم الآخر، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [البقرة: ٦٢].

وبالمقابل فقد رتب سبحانه على الكفر بذاك اليوم ما رتبه على الكفر به.

فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

وأكد سبحانه أن هذا اليوم واقع لا محال، وأنه لا مفر منه مهما حاول الإنسان ذلك، فقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [آل عمران: ٢٥].

وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧].

وكان من حكمة الله سبحانه أن جعل ذلك اليوم ليجمع الناس فيه على صعيد واحد، فيحاسب المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، ويقتص للمظلوم من الظالم.

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧].

وقال ﷺ في معرض ذكره لدقة الحساب يوم القيامة: «**حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»(١).

و«الجلحاء» الشاة التي لا قرن لها، و«القرناء» الشاة ذات القرون(٢).

---

(١) رواه مسلم (٢٢٥٦).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٩/ ١٤٥.

وقال ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر**»(١).

ومقتضى الإيمان باليوم الآخر، يستلزم من المؤمن أن يعلم علم اليقين أن الله سبحانه جامع الناس ليوم لا ريب فيه، وهذا القدر من الإيمان هو الواجب على كل مؤمن، وأما تفاصيل الإيمان باليوم الآخر، كمعرفة علامات هذا اليوم، ومقدماته، وماذا يكون فيه، وأحوال الجنة والنار، وملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وغير ذلك من التفاصيل، فهذا من غير الواجب على كل مؤمن معرفته، بل يكفي أن يعلمه البعض ولا يضر الآخرون جهله، فهو من فروض الكفاية التي إذا قام بها من يكفي سقطت عن الباقين.

فإذا علم المؤمن واعتقد بحق أن ذاك اليوم آتٍ لا مراء فيه ولا جدال، كان عليه أن يَعُدَّ العدة، ويُشمِّرُ عن ساعد الجدِّ استعداداً له، فيعمل جهده لكل ما فيه خير، ويبذل وسعه لتجنب كل ما فيه شر، عملاً بقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

وقد ظهر في بعض أفلام الرسوم المتحركة تصوير واستهزاء ساخر بأحوال اليوم الآخر، ومن ذلك:

ما ظهر في مسلسل كرتوني موجه للأطفال يحكي قصة قط (اسمه توم) وفأر (اسمه جيري) يتشاكسان دوماً، وعند التأمل في الأفكار التي تدور حولها مواضيع الحلقات، تجد أن عدداً منها لا يخلوا من ملاحظات عقدية وغيرها.

ومن ذلك ما جاء في إحدى الحلقات، التي بُثّت ـ مع الأسف ـ في عدد كبير من القنوات العربية.

وسأقف هنا على قصة هذه الحلقة باختصار.

---

(١) رواه مسلم (١٥٢٤).

بداية القصة توم يرفع السكين على جيري

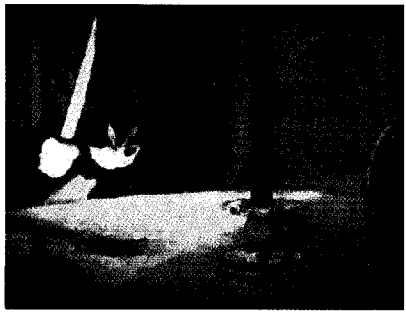

جيري يهرب ويصعد الدرج إلى الطابق الأعلى هرباً من القط توم
ولكن توم يسحب السجاد من تحت رجله ليعيقه عن التقدم

فيحدث ما لم يكن بالحسبان فجهاز العزف الموسيقي (البيانو) يتدحرج من أعلى الدرج
ويسقط على القط توم

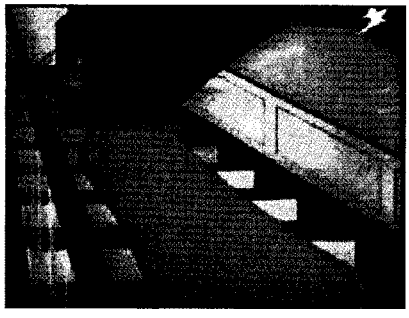

توم يسقط عليه البيانو ويموت

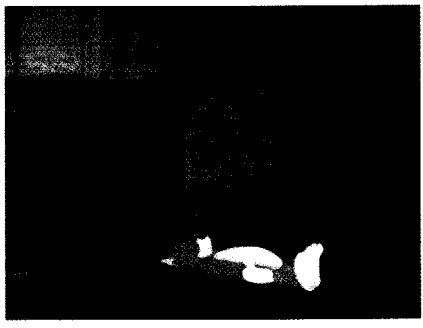

بعد موت القط توم، يظهر درج ذهبي من السماء فتصعد عليه روح توم

تصعد الروح وترتفع إلى السماء

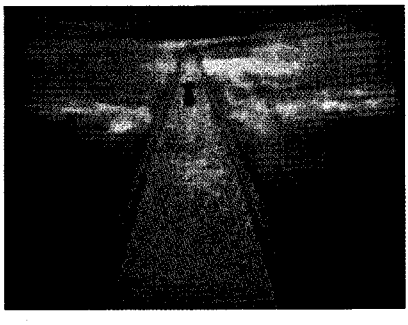

عندما وصل توم إلى السماء رأى أسوار الجنة وشاهد القطط تتنعم في الجنة فتمنى أن يكون من أهلها، لكنه تفاجأ بقط أبيض عجوز يستوقفه ومعه كتاب فيه أعمال توم ويبدأ الحساب، فمن يكون هذا القط العجوز؟ وإلى من يرمز؟

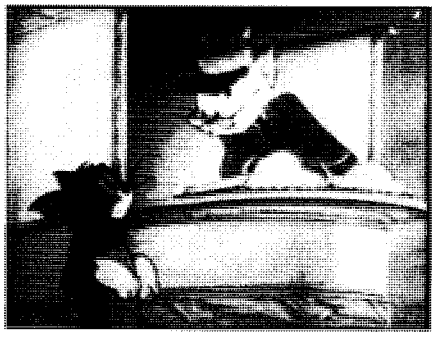

تصفح القط العجوز كتاب توم فوجد أخطاءه وذنوبه أكثر من حسناته ولكن القط العجوز تغلبه الرحمة فيعطي توم فرصة أخيره للرجوع إلى الحياة الدنيا مرة أخرى لمدة ستين دقيقة فقط ويعطي توم ورقة فيها مكتوب فيها شرط للرجوع للحياة

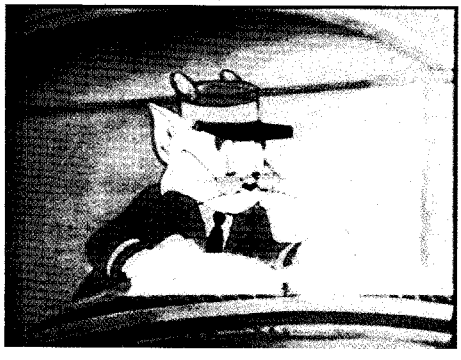

مضمون الرسالة:

«أن يعتذر للفأر جيري وأن يعامله معاملة طيبة»

وأيضاً أن يحصل على شهادة موقعة من الفأر جيري تشهد أنه سامح القط توم

وإن لم يحصل على الشهادة موقعة من الفأر جيري دخل النار، فيرى توم النار، ويرى حارسها الذي يحش النار ويوقدها وهو الكلب الشرير، فمن يكون المقصود بهذا الكلب؟!!

وافق توم ورجعت روحه إلى الأرض على شكل دخان أبيض، ودخلت إلى جسده الميت فعاد إلى الحياة، والآن على توم أن يتوسل للفأر جيري ليقبل اعتذاره ويوقع على الشهادة بأنه سامحه، ولكن الفأر يرفض

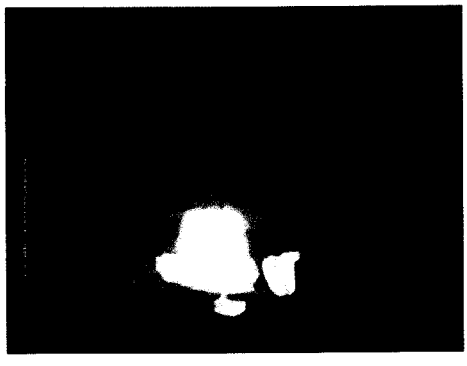

تمر الدقائق بسرعة وجيري لا يقبل اعتذار توم ويرفض التوقيع وتمر الدقائق الأخيرة وتوم يتوسل والفأر يمتنع

٥٥ ـ ٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨ ـ ٥٩ ـ ٦٠

وعندها ينتهي الوقت، ولم يحصل توم على التوقيع، فيفتح له باب من أبواب جهنم فيسقط فيه توم إلى الدرك الأسفل من النار

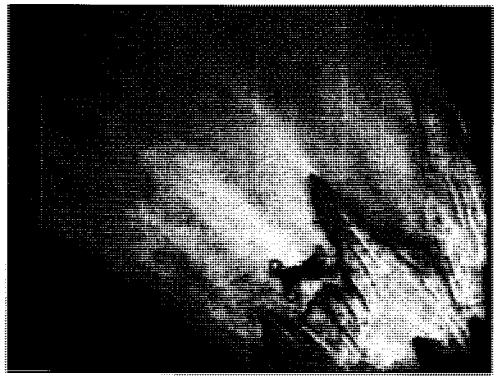

وفجأة يستيقظ توم من نومه فيكتشف أنه كان يحلم، وأن ما حصل له من موت ومحاسبة ودخول النار إنما هي أضغاث أحلام وليست وقائع[١]

فهذا الاستخفاف بأمر الآخرة، والاستهزاء الواضح، والتندر الساخر، إذا شاهده الصبي في أول تمييزه، سوف تنطبع في نفسه هذه الصور إلى أن يموت، إلا ما شاء الله، قال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء**»[٢].

وهذا نوع من الغزو الفكري العقدي، يدخل إلى عقول الصغار من حيث لا يشعرون، وعرضها وتمكين الصغار من متابعتها قد ينتج أطفالاً يستخفون بالخالق جل وعلا، ولا يؤمنون بالآخرة[٣].

ومن ذلك أيضاً: الفلم الكرتوني الياباني (يسمى anime باللغة

---

(١) انظر تفاصيل هذه القصة في هذه الصفحة من الشبكة العنكبوتية:
http://www.alqawafl.net/up/up/upload/wh_88667458.jpg.
ولا شك أن الذين يعرضون هذه الأشياء لصبيان المسلمين، مسئولون في الدنيا، ومحاسبون في الآخرة، وعلينا أن نحذر من مثل هذه الأفلام؛ وهذه جرأة على الدين، وسخرية برب العالمين.

(٢) رواه البخاري برقم (١٣٨٥).

(٣) شرح العقيدة السفارينية ابن عثيمين ص٢١ ـ ٢٣.

الإنجليزية)، وهو وسيلة لنشر ديانتهم البوذية والشنتوية، وهذا واضح من خلال شخصيات التي ترمز للآله الشنتوية، مثل شخصية تسمى غارا (GAARA)[١] وهي شخصية لشاب يحب القتل وسفك الدماء بقدراته[٢].

ولا يفوتني أن أنبه هنا، إلى أنه في السنوات الأخيرة بحمد الله مع تطور الإعلام الإسلامي، وظهور عدد كبير من القنوات المحافظة، أنتجت أعداد كبيرة من أفلام الرسوم المتحركة المنضبطة في أخلاقها وأفكارها، بل ظهرت عدد من القنوات الموجهة للأطفال، تحمل فكراً نيراً، ورسومات غير فاضحة، والأفكار مبنية على أسس تربوية، ودراسات نفسية[٣].

إلا أن القنوات التي تحمل الفكر السيئ المشار إليه في هذا البحث لا تزال موجودة، بأخطائها وإفسادها[٤].

وسيأتي التفصيل في حكم هذه القنوات الفاسدة، وطرق تحصين أبنائنا منها[٥].

(١) انظر مقاطع من هذا البرنامج في هذه الصفحة من الشبكة العنكبوتية:
http://www.youtube.com/watch?v=hA-34zO566U.

(٢) شبكة الشفاء الاسلامية:
http://vb.ta7a.com/t292601.

(٣) من الأمثلة على القنوات الأطفال المحافظة: قناة المجد للأطفال، قناة مواهب وأفكار.

(٤) من الأمثلة على هذه القنوات السيئة: قناة mbc للأطفال، قناة سبيستون.

(٥) انظر الفصل الثالث.

الفصل الثالث

العلاج

المبحث الأول

حكم هذه الأفلام

تقدم عرض عدد من النماذج للمخالفات العقدية التي تحتويها بعض أفلام الرسوم المتحركة[١]، وعند الكلام عن حكم هذه الأفلام عموماً، وحكم مشاهدتها، سأعرض عدداً من آراء أهل العلم فيها، ثم ألخص ما ذكروه.

في سؤال وُجّه للجنة الدائمة للإفتاء، جاء فيه:

ما حكم مشاهدة وشراء أفلام الكرتون الإسلامية الرسوم المتحركة وهي تعرض قصصاً هادفة ونافعة للأطفال مثل حثهم على بر الوالدين والصدق والأمانة وأهمية الصلاة ونحو ذلك، والمراد منها أن تكون بديلاً عن جهاز التلفاز الذي عمت به البلوى، والإشكال أنها تعرض صوراً للآدميين والحيوانات مرسومة باليد فهل تجوز مشاهدتها؟ أفتونا مأجورين.

الجواب: لا يجوز بيع ولا شراء ولا استعمال أفلام الكرتون لما تشتمل عليه من الصور المحرمة، وتربية الأطفال تكون بالطرق الشرعية من التعليم والتأديب والأمر بالصلاة والرعاية الكريمة[٢].

وسُئلَ الشيخ ابن عثيمين: ما حكمُ صورِ الكرتونِ التي تخرج في التلفزيون؟

فأجابَ: «أمَّا صورُ الكرتونِ التي ذكرتم أنها تخرجُ في التلفزيون فإن كانت على شكلِ آدميٍّ: فحكمُ النظرِ فيها محلُّ ترددٍ، هل يُلحقُ بالصورِ

---

(١) لم أتعرض للمخالفات الأخلاقية لأنها تحتاج لبحث آخر، وهي أكثر شيوعاً من المخالفات العقدية.

(٢) فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء برقم (٢٢٤٥).

الحقيقية أو لا؟ والأقربُ أنه لا يُلحَقُ بها، وإن كانت على شكلِ غيرِ آدمي: فلا بأس بمشاهدتِها، إذا لم يصحبها أمرٌ منكَرٌ، من موسيقى أو نحوِها، ولم تُلهِ عن واجبٍ»[١].

وفي سؤال آخر للشيخ أيضاً:

قال السائل: فضيلة الشيخ: ظهرت رسوم متحركة يقولون: إنها إسلامية يعني: ظهر منها مثلاً فتح القسطنطينية أو رحلة السلام، وأخيراً ظهر غلام نجران الذي ذكر في سورة البروج، أو في الحديث الذي في صحيح مسلم، وهذه الرسوم المتحركة يجعلونها بديلاً عن الرسوم المتحركة الفاسدة، ما هو الحكم في ذلك يا شيخ؟

الجواب: والله! أنا أرى أنها إن شاء الله ما فيها بأس؛ لأن الواقع أنك كما تفضلتَ أنها تحمي الصبيان عن الأشياء المحرمة، فأقل ما فيها إذا كان ولا بد أن نقول بالتشديد أنها أسهل من الرسوم الأخرى التي يسمونها أفلام الكرتون، يعني: تلك كما سمعنا فيها التشكيك في العقيدة، وتمثيل ـ والعياذ بالله ـ للرب ﷻ عند إنزال المطر وما أشبه ذلك، فعلى كل حال لا أرى فيها بأساً.

السائل: من حيث كونها مرسومة باليد ـ يا شيخ ـ أما تأخذ حكم التصوير؟

الشيخ: الكلام على الذي رسمها إن كان هناك شيء من الإثم فعليه هو، أما نحن فنشاهد شيئاً مكتوباً منتهياً، ثم إن الظاهر أنها لا ترسم على صفة إنسان.

السائل: بل على صورة إنسان! إنسان عادي؟ إنسان عادي، ولِحَى، وعمائم، وكل شيء، فما الحكم؟

الشيخ: يبقى للنظر، لا ينسبون إلى أحد من قواد هذه الفتوحات ما لم يقله، هذه هي المشكلة، فأرى أنه إذا كانت ليس فيها إلا الخير ما فيها شيء إن شاء الله.

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/ سؤال رقم (٣٣٣).

وإذا كانت مصحوبة بموسيقى فهذا لا يجوز؛ لأن الموسيقى من المعازف المحرمة[١].

وفي فتوى أخرى للشيخ:

فضيلة الشيخ: ما رأيك بأشرطة الفيديو التي فيها أفلام كرتون كقصص الأنبياء ومحاضرات بعض المشايخ؟

الجواب: أما المحاضرات فلا بأس؛ لأن فيها مصلحة وليست هذه من الصور التي يحذر منها؛ لأنها في نفس الشريط لا ترى ولا تشاهد، وأما الأنبياء فلا يجوز أن تصور صور الأنبياء، لا في الفيديو ولا في الأوراق؛ لأنهم أشرف من أن تبتذل صورهم بين أيدي الناس.

السائل: أفلام الكرتون؟

الشيخ: أفلام كرتون أرجى؛ لأن الكرتون حسب ما نعرفه تجعل الصور مشوهة، ما هي حقيقية فلا يجوز.

السائل: من قصص القرآن مثل غلام الأخدود.

الشيخ: هذا أيضاً غلط؛ لأنه ما الذي أدراهم أن أصحاب الأخدود على هذه الكيفية من الأجسام والصفة، الخلق يتضاعف من آدم إلى هذه الأمة، كان الناس في السابق طولهم ستون ذراعاً وعرضهم سبعة أذرع، ثم بدأ الخلق يتناقص إلى أن وقف عند هذه الأمة، وصار كما تشاهدون، فالذي أرى أن ما يمثل شيئاً لا علم للإنسان به فإنه لا يجوز عرضه.

السائل: بعضهم يقول: لكي يترسخ في عقول الأطفال.

الشيخ: هل أنت الآن لا تعرف قصة أصحاب الأخدود؟

السائل: بلى!

الشيخ: عرفتها بواسطة هذا؟

السائل: لا!

---

(١) لقاء الباب المفتوح للشيخ العثيمين ١٣/٧.

الشيخ: انتهى، إذا عرفتها أنت عرفها غيرك بدون هذه الأشياء، ثم من الذي يمثل هذا قد يكون إنساناً لا يعرف شيئاً عن قصة أصحاب الأخدود، لكن تخيله قال: هذه هي صورتهم.

السائل: القصة بها أشياء ظاهرية تفهم.

الشيخ: المهم أني أرى أن ما يتعلق بقصص القرآن لا يجوز تمثيله ولا يجوز عرضه على الصبيان حتى أنا في نفسي شيء من عرض قصة محمد الفاتح على الصبيان؛ لأنه إذا كان لا يعرض أمام الصبي إلا قصة هذا الرجل فسوف يظن أن هذا الرجل هو بطل الإسلام، وأنه لا بطل غيره، وهذا ليس بصحيح، ففي الإسلام أبطالٌ لا يدركهم الفاتح ولا إلى ركبهم[1].

وفي فتوى لمجموعة من المفتين في مركز الفتوى على الشبكة العنكبوتية، جاء فيها:

إن ما يسمى بالأفلام المتحركة أو أفلام الكرتون، وكذا الأفلام المصورة بالفيديو، ونعني بها المسرحيات والتمثيليات التي يقوم بتمثيلها أشخاص، وتعرض على خشبات المسرح وما يتصل بها إعداداً واتجاراً ومشاهدة.. اختلفت حولها أنظار أهل العلم وتباينت اجتهاداتهم بين مجيز ومانع.

ولعل من المفيد أن نعرض لمجمل المحاذير والمآخذ التي قد تتلبس بها وتشتمل عليها، أو على بعضها هذه الأفلام.

أولاً: أن يكون مضمون الفلم مخلاً بالشريعة الإسلامية؛ كأن يشتمل على ما يناقض أصول الإسلام وعباداته وأخلاقه وآدابه، من تحقير أو تخطئة لها، أو تزيين أو تفضيل لما يخالفها، بالقول أو بالفعل والحركة، وكأن يتقمص الممثل شخصيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ثانياً: أن تشارك فيه المرأة متبرجة غير محتشمة، أو تؤدي أدواراً غير لائقة بها.

---

(١) لقاء الباب المفتوح للشيخ العثيمين ١٧/ ٢٢.

ثالثاً: أن يشتمل على الموسيقى صراحة، بحيث تكون مصاحبة للفيلم، وليس للمستخدم خيار في حذفها وإلغائها.

وهذه المخالفات أدناها يبلغ حد التحريم على الصحيح من مذاهب أهل العلم، إذ النصوص متضافرة على تحريم أي منها، لما تفضي إليه من فساد المعتقد وهدم الأخلاق وكسر حاجز الحياء، واستمراء المحرم والتهوين من شأنه، والاشتغال بالباطل، وإضاعة المال.. ونحو ذلك.

وعليه فأي فيلم اشتمل على شيء من ذلك فهو محرم لا يجوز إعداده ولا الاتجار به ولا مشاهدته، لما في ذلك من التعاون على الإثم والعدوان، والرضى بالمنكر وإقراره، والغش للنفس والأهل وعموم المسلمين.

وإلى جانب تلك المخالفات، هناك أمران لا ينفك عنهما أي من هذه الأفلام وهما: التصوير والتمثيل.

والتصوير في أفلام الكرتون أشد منه في الأفلام المصورة؛ لأنه رسم وليس مجرد تصوير فوتوغرافي.

والتمثيل في الأفلام المصورة أشد منه في أفلام الكرتون؛ لأنه تمثيل حقيقي، وليس صورة تتحرك.

وكلا الأمرين: التمثيل والتصوير فيه محاذير، ولأهل العلم فيه اجتهادات مختلفة، لاختلاف درجات كل منهما، فمنهم من منعهما بإطلاق، لعموم النصوص الواردة، وهي في التصوير أوضح وأصرح منها في التمثيل.

والتمثيل بالنظر إلى واقعه وحال المشتغلين فيه، فاسد مفسد للأخلاق والبيوت، إلا النادر منه، وعند بعضهم هذا النادر لا حكم له، ولهذا منعوه بإطلاق.

وليس المقام هنا مقام بسط واستدلال، إذ الكلام في التصوير وأنواعه مستفيض، وكذا التمثيل، والذي يعنينا هنا ما يتحرر به الجواب فنقول:

استناداً إلى ما ذهب إليه جماعات من العلماء من جواز التصوير الفوتوغرافي للحاجة فإننا نرى ـ بالنظر إلى الواقع ـ أن إيجاد البدائل المرئية

الهادفة، المشتملة على عناصر النجاح، القادرة على المنافسة في عالم أصبحت فيه الأسر والأطفال تلاميذ على شاشات التلفاز وأفلام الفيديو وصفحات الإنترنت.. نرى أن إعداد مثل هذه المواد حاجة ماسة، ومصلحة راجحة، يغتفر في سبيلها ما دونها مما يصنف في خانة المخالفات الشرعية بالنظر الجزئي.

وذلك لأمور، منها:

أولاً: عموم البلوى بالنظر إلى الأفلام بأنواعها، ومن عامة طبقات المجتمع، ومعلوم أن أغلب ما يشاهد ـ إن لم يكن كله ـ مما لا يتفق وآداب الإسلام، بل هو خارج عن هديه خروجاً كلياً أو جزئياً. وليس من الحكمة ولا من النظر السديد أن يترك هؤلاء فريسة لهذه الأفلام الهدامة بحجة أن التصوير مثلاً أو التمثيل حرام، في حين أنه تم استثناء بعض الأحوال كالتصوير للتوثيق، والتمثيل للتعليم.. ونحو ذلك. وما نحن بصدده أعظم خطراً في أثره وأولى بالاستثناء والاعتبار.

ثانياً: لا وجه فيما نرى لترك الناس ـ على جهة المعاقبة لهم على إدخال التلفاز أو الدش والتخلية بينهم وبين شياطين الإنس والجن، يعبثون بعقائدهم وأخلاقهم وأعراضهم، ونقف مكتوفي الأيدي، سلبيين، نكتفي بالنقد واللوم والتهديد بالعقاب وبالآثار السيئة، جزاء ما فعل الناس بأنفسهم. وهذا وإن كان ضرورياً، فإنه غير كاف ـ وبالتجربة ـ في حجز الناس عن الباطل.. بل لا بد من العمل الإيجابي ومواجهة الباطل بمثل سلاحه، وإيجاد البديل المقنع، جنباً إلى جنب مع الدعوة والبيان والتحذير، وإلا فإننا لم نستفرغ الوسع في النصح، ولم نتماش مع ما تمليه قواعد الشريعة ومقاصدها؛ يبين ذلك الوجه الثالث.

ثالثاً: مع التسليم بوجود بعض المحاذير الشرعية التي لا ينفك منها مثل هذا النوع من العمل الإعلامي، فإننا نرى أنها عامل مهم في تخفيف الشر ومزاحمته، وتخفيف الشر ما أمكن أمر اعتبره الشارع، إذ هو معنى ما تقرر من أن ارتكاب أخف الضررين، ودفع كبرى المفسدتين مصلحة شرعية.

وقد جاء الشرع بتحصيل المصالح وتكميلها، ودفع المفاسد وتقليلها.

ومع يقيننا أنه لو أمكن ـ عملياً ـ دفع مفاسد الأفلام بمجرد التحذير منها لم نستجز عمل البديل لمجرد التسلية والمتعة، ولكن الواقع ينطق بغير ذلك.

رابعاً: أن الأفلام الخالية من صور النساء المتبرجات ومن الموسيقى، ذات الأهداف الخيرة في مضامينها وإخراجها؛ كالتعليم وتصحيح المفاهيم المغلوطة، وذكر وقائع التاريخ والإشادة بأعلام الإسلام.. وما شابه ذلك من المعاني والمقاصد الصحيحة. هذه الأفلام تترك أثراً طيباً على النشء وعلى المشاهد عموماً، في زمن اختفت فيه القدوة الصالحة من وسائل الإعلام إلا ما ندر فيه، وأصبح المهرجون والمغنون واللاعبون ـ ذكوراً وإناثاً ـ هم وجوه الناس ومثلهم العليا!!

خامساً: أن إيجاد البديل المناسب جزء من إقامة الحجة على القائمين على القنوات الفضائية وأجهزة التلفاز، وأصحاب محلات الفيديو، من جهة، وعلى المشاهد والمستهلك من جهة أخرى، الذين يجلبون إلى الناس وإلى بيوتهم الأفلام الماجنة، وإذا قيل لهم في ذلك، قالوا: هذا هو الموجود!.

ومع تسليمنا بخطأ هذا المنطق، إلا أنه ـ ومرة أخرى ـ لا يكفي أن يكون منطقهم هذا نقطة مفاصلة بيننا وبينهم، فالدمار والعقوبات الإلهية والفوضى والانحلال سوف نكتوي بنارها جميعاً.

كما أننا يجب أن نقف من الناس موقف الأطباء من المرضى، فنعمل على حجب أسباب المرض، ونؤخر ما أمكن أسباب الهلاك وموجبات العقوبة.

سادساً: أن واجب حماية المجتمعات الإسلامية من أسباب الانحلال والفساد هو واجب الحكام والحكومات بالدرجة الأولى؛ لأن بيدهم قرار المنع، وإليهم يرجع تشجيع البديل الأفضل وإحلاله.

يلي ذلك العلماء وأهل الإصلاح في الدعوة وإقامة الحجة، والاجتهاد في حث الناس على مقاومة الفساد وأسبابه بالوسائل المناسبة، ومنها تشجيع

القادرين من أهل المال والاختصاص بالتعاون والتفكير في إيجاد البدائل، وتذليل العقبات لهم، وفي مقدمتها:

دراسة الأمر من وجوهه المختلفة، والنظر في المصالح العامة والمقاصد الشرعية، وتنزيل النصوص منازلها منها، وتشجيعهم وضبط مسيرتهم.

وإذا قصر هؤلاء وأولئك في أماناتهم وتخلوا عن مسؤولياتهم فأي مصير مجهول ينتظر هذه المجتمعات المغلوبة على أمرها، التي فقدت النصح والتوجيه على كل المستويات؟!

إن من غير المقبول أن نعجز عن حماية المجتمع الإسلامي من أسباب الرذيلة وطرق الانحراف، ثم يضيق أفقنا أو نتقاعس عن تيسير المخارج الأقل خطراً، من باب رفع الحرج عن الناس والتدرج في استصلاحهم.

سابعاً: إن تغير وسائل التخاطب وأنماط الحياة وأساليب التأثير حقيقة ماثلة لا يمكن تجاهلها بعدم التعامل معها، أو تجاوزها واختزالها، ومطلوب منا نحن المسلمين أن نعيش عصرنا بالإسلام، وأن نجتهد لكل نازلة بما يتناسب وطبيعتها وظروفها، وأن نقر بشدة وطأة أعداء الإسلام الإعلامية والثقافية على بلاد المسلمين، وأن وسائل المسلمين في مقاومة هذا الغزو ضعيفة جداً، وأنها حرب غير متكافئة، وإذا كنا نسلم بجواز مصالحة العدو مرحلياً في حال الضعف، حتى نتمكن من أسباب القوة والمقاومة، فإننا أمام حرب لا تجدي معها المهادنة، بل المطلوب هو التسليم المطلق وبدون شروط.

أفلا يكون إفساح المجال أمام الأفلام الهادفة ـ والحالة هذه ـ ضمن قيود تراعي خصوصيتنا الإسلامية، لتحقيق الكفاية أو مقاربتها، ألصق بالحكمة ومقاصد الشريعة من إغلاق الباب في وجوه أصحاب النوايا الحسنة الراغبين في سد هذا الثغر، لنصبح عيالاً على البديل الأسوأ، بحجة أن هؤلاء كفار، دينهم ما تهواه نفوسهم، ونحن مسلمون، لنا موازيننا في القبول والرفض، فكيف سمحنا لهذه الموازين أن تختل في تلقي زبالة أفكارهم وقمامة رذائلهم! ولم نجتهد ـ وفق موازيننا ـ في إبداع الوسائل المقاومة لهم!

وإذا كنا نعذر أنفسنا في الأول بالعجز عن منع المنكر، فلا عذر لنا في الثاني بمقاومته بكل وسيلة هي أقل ضرراً منه. هذا مقتضى العقل وعين مقاصد الشرع.

ولا بد أن نفرق بين من يدعو إلى التنازل عن الثوابت، واقتحام المحرمات لذاتها، مجاراة لأعداء الإسلام وتزيناً أمامهم.. وبين من أفزعه الواقع المؤلم، ونهض لإيجاد البديل، مرتكباً أخف الضررين، دون توسع، مجتنباً الوقوع في المحرم لذاته، متذرعاً بما وسع بعض المجتهدين من أهل العلم المعتبرين في التجوز فيه، فيما يتعلق بالمحرم لغيره، إذا دعت مصلحة راجحة لاستخدامه.

كما لا بد أن نفرق في الأمر المنكر الذي يشيع في الناس:

بين ما تكون الحكمة في الردع عنه تغليظ العقوبة فيه، كما فعل عمر رضي الله عنه في حد شارب الخمر، لما فشا في الناس شربها؛ حيث جعل الحد ثمانين جلدة، ووافقه الصحابة رضي الله عنهم في ذلك[1].

وبين ما تكون الحكمة حجز الناس عنه بالرفق واللين، وإعطائهم بعض ما يحبون حتى ينكفوا عما وراءه مما هو أعظم منه، كما فعل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في حمل الناس على الأمر الأول، وقد بعدوا عنه بعض الشيء! فكان يعطيهم الحلوة من الدنيا رجاء أن يقبلوا معها ما يريده رضي الله عنه منهم من أمر الدين[2].

ولا شك أن ما نحن بصدده هو من جنس الأمر الثاني.

فلهذه الأسباب ونحوها يظهر ـ والله أعلم ـ أن إنتاج وتصوير الأفلام الكرتونية والمسرحيات الهادفة، المنضبطة بالضوابط المذكورة سابقاً أشبه بالصواب، تيسيراً على الناس، واستصلاحاً لما أمكن، وتخفيفاً للشر ومزاحمة له، وإقامة للحجة في ترك ما هو أعظم شراً منها، ومراعاة لاختلاف أحوال الناس في طرائق التعلم والتلقي، ومخاطبة الناس باللغة التي هي أكثر تأثيراً

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: منهاج السُّنَّة النبوية لابن تيمية ٦/ ٨٤: فتح الباري لابن حجر ١٢/ ٧١.

(٢) انظر تفصيل ذلك في: الموافقات للشاطبي ٢/ ٩٤.

من غيرها، وأن ما يرتكب في سبيل ذلك مما لا بد منه من مخالفات، لا تبلغ ما ذكرنا من المحاذير التي لا يتأول في تجاوزها، فإنه مغتفر مغمور بالمصلحة الكبرى المرجوة، على أن يجتهد أهل العلم والمختصون بالبحث الدائم عن الوسائل التي تؤدي الغرض، وتكون أسلم وأبعد من المخالفات الشرعية حسب الإمكان. والله تعالى أعلم[١].

وعموماً: لا يختلف مسلمان على تحريم إنتاج أو بث أو مشاهدة الرسوم المتحركة المشتملة على ما تقدم من صور الشرك، والقدح في دين الإسلام، أو الاستهزاء برب العالمين جل وعلا، أو نشر الأخلاق السيئة، وهذا أمر ظاهر، لا يحتاج إلى سوق الأدلة والنصوص الشرعية لإثباته[٢].

۞ فنستطيع أن نستخلص الحكم مما تقدم من فتاوى، وهو:

- أن حكم أفلام الرسوم المتحركة، يتحدد بحسب ما يعرض فيها من أفكار، وصور، فما كان منها يعرض أفكاراً نيرة، وقصصاً تربوية، وفوائد للمشاهدين، فلا بأس بها، ونفعها أكثر من ضررها.
- أن الواجب على الآباء حماية من تحت يدهم، من أفلام الرسوم الكرتونية السيئة.
- وجوب حرص المؤسسات الإعلامية الإسلامية على إنتاج أفلام الرسوم الكرتونية النافعة، مع حرص القنوات على التعاون معها في عرض ما ينفع ومنع ما يضر.

وقد تضمنت الفتاوى السابقة عدداً من الوسائل لتحصين الناشئة من أفلام الرسوم المتحركة، وسيأتي في المبحث القادم تفصيل طرق ووسائل التحصين.

---

(١) الفتوى رقم (٣١٢٧)، حكم احتراف وبيع الأفلام الكرتونية والتمثيل، صادرة من مركز الفتوى بإشراف د. عبد الله الفقيه. . /http://www.islamweb.net/ver2/Fatwa/S...lang=A&Id=3127.

(٢) توجيهات مهمة لشباب الأمة/ للعلامة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان ص٥١، ٥٢ http://www.ajurry.com/vb/showpost.php?p=18945&postcount=7.

المبحث الثاني

تحصين الأطفال

تربية الأولاد مهمة عظيمة، ومسؤولية جسيمة يجب على الآباء أن يحسبوا لها حسابها، ويعدوا لها العدة خصوصاً في هذا الزمن الذي تلاطمت فيه أمواج الفتن واشتدت غربة الدين، وكثرت فيه دواعي الفساد حتى صار الأب مع أولاده بمثابة راعي الغنم في أرض السباع الضارية إن غفل عنها أكلتها الذئاب، أو انتهشتها السباع.

وإن مما يحزن له القلب ويتفتت له الفؤاد أن ترى كثيراً من الآباء قد أهمل تربية أولاده، واستهان بها وأضاعها، فلا حفظوا أولادهم ولا ربوهم على البر والتقوى.

بل إن كثيراً من الآباء يكونون سبباً لشقاء أولادهم وفسادهم، بسبب تركهم سدى من غير حسيب ولا رقيب، ولا توجيه ولا نصح ولا إرشاد، مع توفير الوسائل المتنوعة من فضائيات وشبكة عنكبوتية، وألعاب إلكترونية، ونحو ذلك..

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة؛ بإهماله وترك تأديبه وإعانته على شهواته، وهو بذلك يزعم أنه يكرمه وقد أهانه، ويرحمه وقد ظلمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوت على ولده حظه في الدنيا والآخرة»، ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا سبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء».[1].

ولا شك أن الأولاد أمانةٌ في أعناقِ الآباء، واللهُ سائلٌ كلَّ راعٍ عمّا

---

(١) انظر: تحفة المودود في أحكام المولود ص١٤٥.

استرعاه، قال ﷺ: «**كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيّته، فالإمام راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، وهي مسؤولة عن رعيتها..**»[(١)].

إن مسؤولية الآباء في تربيةِ الأبناء مسؤوليةٌ كاملةٌ، يحاسبهم الله تعالى عليها، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولدِهِ يومَ القيامة قبل أن يَسْأَلَ الوَلَدَ عن والِدِهِ، فإنه كما أن للأب على ابنه حقاً، فلِلابن على أبيه حق»[(٢)].

ثم يقول: «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء غاية الإساءة، وأكثرُ الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً»[(٣)].

والأب راعٍ في بيته مسؤول عن رعيته، مسؤول عن الأولاد بنين وبنات، مسؤول عن التربية والتوجيه، مسؤول عن أخلاقهم وأعمالهم.

وأخبر النبي ﷺ أن من فرط في تربية ولده وأهمله فقد غشه وجزاؤه أن الجنة عليه حرام.. حيث قال: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنة**»[(٤)].

ومن صور الغش للرعية ومنهم الأولاد سوء التربية والتنشئة، بإهمالهم وعدم تعليمهم أمور دينهم وما ينفعهم في الدنيا والآخرة وعدم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر..

بل الأسوأ من ذلك أن بعض الآباء مع إهماله وتخليه عن مسؤوليته التربوية تجاه أولاده.. يجلب لهم ما يُضلهم ويُفسد عقائدهم ويلوث أفكارهم

---

(١) رواه البخاري (١٥٢٢)؛ مسلم (١٤٥٢).
(٢) انظر: تحفة المودود في أحكام المولود ص١٤٨.
(٣) تحفة المودود في أحكام المولود ص١٤٩.
(٤) رواه البخاري (٧١٥٠)؛ مسلم (١٤٢) واللفظ له.

ويدمر أخلاقهم، ويربيهم على مشاهد لا تخلو من فواحش وآثام وجرائم وسفك دماء، من قنوات وألعاب إلكترونية إجرامية ثم يتركهم بلا مراقبة ولا متابعة..

والهدف من رعاية الأولاد وتعليمهم وتربيتهم، هو إنقاذهم من عذاب الله وسخطه وأليم عقابه، ولكي يكون أعضاء نافعة وفاعلة في المجتمع تعمر الكون بطاعة الله واستصلاحه والانتفاع بخيراته، فينفعوا أنفسهم وآبائهم ومجتمعاتهم..

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦].

إن مسؤوليتنا تجاه أولادنا عظيمة، وهم أمانة جسيمة ملقاة على عواتقنا فواجب علينا أن نقوم برعايتهم، ونحسن تربيتَهم، ونأخذ بأيديهم حتى يعبروا قنطرةَ الطفولة والمراهقةِ ويسلموا من غلوائها..

وقد لا يستطيع المرء أحياناً مهما بلغ من الحرص والعناية أن يسد جميع أبواب الفساد، عن نفسه أو عن أولاده، وذلك لاتساع البقاع، وتنوع الطباع، وكثرة اختلاط الناس بعضهم ببعض، والإنسان مدني بطبعه، يخالط الناس ويجالسهم، ولا بد له من ذلك.

وأبناؤنا من الناس، فهم يخالطون غيرهم من الصغار والكبار، في المدارس والأسواق، وغيرها، فيسمعون عن أو يشاهدون أموراً، فيها أنواع من الأخطاء والمخالفات الشرعية.

ومهما حاول المربون الغيورون، والآباء الناصحون، الحيلولة بين الأبناء وبين مشاهدة أفلام الكرتون المسمومة بأفكار فاسدة، فلن يستطيعوا ذلك ـ إلا ما شاء الله ـ.

لذا يجب تحصين الأبناء ضد الأفكار التي في بعض هذه الأفلام الكرتونية، وذلك من خلال أمور:

١ ـ مراقبه أولياء الأمور لأبنائهم ومنع مشاهدة البرامج المحتوية على

فساد عقدي أو أخلاقي؛ لأنها تؤثر سلبياً على سلوكيات الأطفال، والحفاظ على هوية الأبناء من خلال مراقبتهم بشكل لا يشعرهم بهذه المراقبة.

٢ ـ استثمار أوقات الأطفال من خلال حفظ القرآن الكريم وممارسة الهوايات النافعة، وتشجيع الإنتاج المحلي لهذه الرسوم المتحركة، ليتم الحفاظ على هوية الأطفال وحمايتها من التدمير.

٣ ـ البحث عن شخصيات كرتونية من تراث الأدب العربي والتاريخ الإسلامي، بما لا يصطدم مع الدين، لإبرازها، وصناعة أفلام تحكي بطولاتها.

٤ ـ تدريس ما يحصن هؤلاء الأطفال من خلال المناهج والكتب الدراسية للأطفال في المدارس ومعالجة الأفكار المسلطة عليهم.

٥ ـ إعداد دراسات واضحة تبين مدى كثافة مشاهدة الأطفال للرسوم المتحركة، والتعرف على أي القنوات أكثر جذباً لهم، ومعرفة مدى تأثير أفكار الرسوم المتحركة على عقيدة الطفل المسلم وإيمانه بالله واليوم الآخر ومفهوم الحلال والحرام، والمحصول اللغوي له.

٦ ـ بذل النصيحة للقائمين على وسائل الإعلام بأن يتقوا الله تعالى في أطفال المسلمين، وأن يعلموا أنهم ببعض مشاهد إعلامهم ساهموا في تدمير المجتمعات، ونشر الرذيلة، والعنف، والفساد، بل صنعوا ما يُفسد عقائد وأخلاق الأطفال ببرامج ورسوم متحركة تساهم في إتلافهم وإفسادهم.

٧ ـ تربية الأبناء على حب النبي ﷺ وأصحابه الكرام من خلال النظر في سيرتهم وتراجمهم، وحسن اختيار الكتب المناسبة لأعمارهم.

٨ ـ تعليم الأبناء مسائل العقائد بأسلوب سهل ميسَّر؛ كتوحيد الله، وتعظيمه، ومحبته، والخوف منه، وقدرته على كل شيء، وأنه الخالق، الرازق، وغير ذلك مما يتناسب مع سنهم وتفكيرهم.

٩ ـ تربيتهم على إنكار المنكر، وبغضه، فيعلَّم أنه لا يرى رسوماً فيها موسيقى، أو فيها صليب، وللأطفال الذين تربوا على ذلك قصص لطيفة، كانت سبباً في منع كثير من المنكرات.

١٠ ـ تكثيف جلسات الحوار والنقاش مع الأبناء.

١١ ـ الحرص على مشاركتهم في المشاهدة بهدف استثارة عقولهم ليكونوا مقيمين لما يرونه.

١٢ ـ إجراء المسابقات بين الأطفال حول إيجابيات وسلبيات ما يشاهدونه.

أما دور القائمين على إعلام الطفل، فيمكن الإشارة إليه فيما يلي:

١ ـ أهمية تطوير كفاءة العاملين في الرقابة الإعلامية لبرامج أطفالنا وإطلاعهم المستمر على ما يستجد من أنماط للغزو الفكري للمجتمع المسلم الموجه لأغلى ثروة لدينا.

٢ ـ أن تدرس المادة المستوردة من أي دولة وتُفحص الأفكار المطروحة فيها؛ لأن إنتاج أي دولة ـ في الغالب ـ هو ترجمة لعقيدتها وثقافتها[١]..

(١) انظر عدداً من الأفكار في ذلك:

http://www.moemagazine.net/news.php?action=show&id=1701.

المبحث الثالث

بدائل مقترحة

إنَّ من الأولويات الهامة للعمل في حقل الدعوة الإسلامية؛ الفهم الناضج لمقاصد الشريعة لدى طلبة العلم، والمشتغلين بالإصلاح الديني، ليخرجوا بمحصِّلات مدروسة، ونتائج ملموسة في فقه البديل الإسلامي المواكب لروح هذا العصر ومتطلباته، وكيفية إنقاذ هذه الأمَّة من الأزمات التي تحلُّ بها سواء كانت تعليمية أو تربوية أو إعلامية، وغيرها.

والعالِمُ الحق هو الذي يعرف الحق، ويرحم الخلق، وكلَّما اتسعت معرفة العالم بالشريعة وروحها، كان أرحم بالعباد وأعظم الناس تيسيراً عليهم ورفقاً بهم[١].

وحين يتأمل المسلم الهدي الربَّاني في القرآن الكريم يجد أنّ الله تعالى ما حرَّم على عباده شيئاً إلَّا وأبدلهم عوضاً عنه ما هو خير منه، حتَّى في مجال الألفاظ والعبارات.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ [البقرة: ١٠٤]، فقد نهاهم الله ﷻ عن ذلك لأنَّ فيه شبهاً بيهود حين كانوا يقولون ذلك لنبينا محمد ﷺ ويقصدون بذلك السخرية به عليه الصلاة والسلام فنهى الله صحابة رسوله أن يقولوا هذه الكلمة لنبينا محمد ﷺ وأبدلهم بأن يقولوا له (انظرنا)[٢].

---

(١) انظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥/ ٢٢٤

(٢) أسباب النزول لعلي بن أحمد الواحدي ص١٠٤.

كذلك من تدبّر سيرة المصطفى ﷺ يجد ذلك واضحاً في منهجيته في التربية والتعليم، فإنَّه كان إذا حرَّم شيئاً أتى بالبديل المشروع مقابل ذلك الأمر المُحَرَّم؛ لأنَّه يعلم أنَّ النفوس ضعيفة، ومجبولة على حبِّ العوض والبديل، وخذ أمثلة على ذلك:

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء بلال إلى النبي ﷺ بتمر برني، فقال له النبي ﷺ: **«من أين هذا»؟**

قال بلال: كان عندنا تمر رديء، فبعت منه صاعين بصاع لنُطعم النبي ﷺ.

فقال ﷺ: **«أوّه! أوّه! عين الربا! عين الربا! لا تفعل! ولكن إذا أردت أن تشتري فَبِعْ التمر ببيع آخر، ثمَّ اشتره»**(١).

فتأمل كيف أنَّه ﷺ حين حرَّم فعل بلال رضي الله عنه نقله نقلة بديلة ومشروعة قبالة ذلك الأمر المحرم.

وهكذا العالم الرباني، والبصير بالواقع الذي حوله.

ولهذا قال الإمام ابن القيِّم في ذلك:

«من فقه المفتي ونصحه إذا سأله المستفتي عن شيء فمنعه منه، وكانت حاجته تدعوه إليه، أن يدلَّه على ما هو عوض له منه، فيسد عليه باب المحظور، ويفتح له باب المباح، وهذا لا يتأتى إلَّا من عالم ناصح مشفق قد تاجر الله وعامله بعلمه، فمثاله في العلماء مثال الطبيب النَّاصح في الأطباء يحمي العليل عمَّا يضره، ويصف له ما ينفعه، فهذا شأن أطباء الأديان والأبدان.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنّهَ قال: **«ما بعث الله من نبي إلَّا كان حقَّاً عليه أن يدلَّ أمَّته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم»**(٢).

هذا شأن خلق الرسل وورثتهم من بعدهم، ورأيت شيخنا ـ قدَّس الله

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٠١)؛ ومسلم (١٥٩٣).

(٢) رواه مسلم (١٨٤٤).

روحه ـ يتحرَّى ذلك في فتاويه مهما أمكنه، ومن تأمَّل فتاويه وجد ذلك ظاهراً فيها»[١].

وقال ابن تيمية:

«إذا أراد تعريف الطريق الَّتي يُنَالُ بها الحلال، والاحتيال للتخلص من المأثم بطريق مشروع يقصد به ما شرع له؛ فهذا هو الذي كانوا يفتون به ـ أي: السَّلف الصالح ـ وهو من الدعاء إلى الخير، والدَّلالة عليه، كما قال ﷺ: **«بع الجمع بالدراهم، ثمَّ ابتع بالدراهم جنيباً»**[٢].

وكما قال عبد الرحمٰن بن عوف لعمر الخطَّاب: «إنَّ أوراقنا تُزيَّفُ علينا، أفنزيد عليها ونأخذ ما هو أجود منها؟ قال: لا، ولكن ائت النقيع فاشتر بها سلعة، ثمَّ بعها بما شئت[٣]»[٤].

ومن الأمثلة على ذلك من هدي المصطفى ﷺ أنَّه إذا منع شيئاً فتح لمن منعه باباً آخر من الأمر المشروع، والبديل المنضبط بمعيار الشَّريعة، ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم النبي ﷺ ولأهل المدينة يومان يلعبون فيهما في الجاهلية، فقال: **«قدمت عليكم ولكم يومان تلعبون فيهما في الجاهلية، وقد أبدلكم الله بهما خيراً منهما: يوم النحر، ويوم الفطر»**[٥].

فهذا هديه ﷺ في ذلك، حيث إنَّه لا يرضى بوقوع المنكر، ولا أن يُؤْلف، ولكنَّه عليه الصلاة والسَّلام يبيِّن خطر الشيء المحرَّم، ومن ثمَّ يبين البديل الشرعي عمَّا حرَّمه الله، ومن هنا فطن العلماء لتوضيح هذه القضيَّة في

---

(١) إعلام الموقعين ٤/ ١٢١ـ ١٢٢.

(٢) رواه البخاري (٤٢٤٤).

(٣) لم أقف على الأثر.

(٤) انظر بيان الدليل على بطلان التحليل ص١٣٣.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٠٣ـ ١٧٨ ـ ٢٣٥؛ وأبو داود (١١٣٤)؛ والنَّسائي ٣/ ١٧٩ بسندٍ صحيح.
(واليومان اللذان يلعب فيهما أهل الجاهلية هما: يوم النيروز ويوم المهرجان) وللمزيد انظر: عون المعبود ٣/ ٤٨٥ للعظيم آبادي.

مدوناتهم ورسائلهم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية فقد بيَّن بأنَّ المبتلى بالمنكر أو البدعة فإنَّه يتوجب على ناصحه أن يدعوه للإقلاع عن هذا الأمر المحرَّم ولو كان في ظاهره الخير.

ومثَّل ابن تيمية لذلك بالبدعة فقال: «إذا كانت في البدعة من الخير فعوِّض عنه من الخير المشروع بحسب الإمكان، إذ النفوس لا تترك شيئاً إلَّا بشيء فالنفوس خلقت لتعمل لا لتترك، وإنَّما الترك مقصود لغيره»[١].

ومن هذا المنطلق فإنَّ البحث المضني من العالم أو المربي أو المفكر لما يخدم به أمَّة الإسلام من برامج جذَّابة تكون بديلاً عمَّا هو متاح ويستطاع الوصول إليه بأسرع الوسائل وأدنى السبل؛ فإنَّ هذا النوع من البحث من الضرورة بمكان وخاصَّة في هذا العصر الراهن؛ فأمتنا تحتاج لبدائل كثيرة في عدَّة مضمارات، وتحتاج للبدائل المفيدة عن القنوات الفاسدة التي تنشر الغثَّ بلا سمين، وتلهي النَّاس عن دين ربِّ العالمين، وتجدُّ في إيقاعهم بفتن الشبهات أو الشهوات.

وإذا كنَّا قد علمنا مكمن الدَّاء، وموطن الخلل، فليت دعاة الإصلاح والتغيير يستشعرون المسؤولية الفردية والجماعية، والتأهل للإنقاذ وللمشاريع الإصلاحيَّة لهذا الشباب التائه، الذي قلَّ مَنْ أخذ بيده، وبيَّن له طريق النَّجاة، والحلول المثمرة، والبدائل النافعة والإيجابيَّة.

في الوقت نفسه يجب أن تكون البدائل والحلول شرعية، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لكن لا يجوز لأحدٍ أن يغيِّر شيئاً من الشريعة لأجل أحد»[٢].

بيد أنَّ من أراد أن يحمل نفسه على تجنُّب البدائل المباحة، والالتزام بالأوامر والنَّواهي الشرعية فله ذلك، وصاحب العزمات يأخذ بالأقوى، وقد يكون في جانبه أفضل، إلَّا أنَّ عليه أن لا يقارن نفسه بغيره من الناس، ولا

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ١٢٥.
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ١٣٣.

يفرض عزيمته على ضعفاء الدين، وقليلي الإيمان، ومن المعلوم أنَّه إذا أردت أن تطاع فأمر بالمستطاع.

ومهمَّة المصلحين أن يأتوا البيت من بابه، ويضعوا الحقَّ في نصابه، ويرشدوا أبناء هذا الجيل مبيِّنين لهم مخطَّطات الغرب، ووسائل المجرمين بالإطاحة بهذا الجيل عن غاياته النَّبيلة وأهدافه السَّامية.

قال الإمام سفيان الثوري: «إنَّما العلم عندنا الرخصة من ثقة، فأما التَّشدد فيحسنه كلُّ أحد»(١).

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «من أفتى ليس ينبغي أن يحمل النَّاس على مذهبه ويشدِّد عليهم»(٢).

ولا يعني ذلك التراجع تحت ضغط الواقع، أو تتبع رخص العلماء وزلَّاتهم، ولشيخ الإسلام ابن تيمية تعليق جيد على قوله ﷺ: «**كلُّ لهو يلهو به الرجل فهو باطل، إلَّا رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته امرأته؛ فإنَّهنَّ من الحق**»(٣).

حيث قال ابن تيمية تعليقاً على هذا الحديث:

كلمة (الباطل) فيه يعني (المحرَّم) فقال: «والباطل من الأعمال هو ما ليس فيه منفعة، فهذا يرخص للنفس الَّتي لا تصبر على ما ينفع، ولهذا أُثر عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنَّه قال: إنِّي لأستجمُّ نفسي بالشَّيء من الباطل، لأستعين به على الحق»(٤).

ومن هنا نستنتج أنَّ معرفة نفسيات الصغار والكبار ومراعاتها كلٌ بحسبه، تعتبر من أهمِّ المهمات ليتدرج معهم في الإصلاح؛ وذلك أنَّ الخروج عن المألوفات من أشق الأشياء على النفوس، ولذا فمن المهم توفير البدائل لهم

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر١/ ٧٨٤.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ٤٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢/ ٩٤٠ والنَّسائي، انظره مع شرح السيوطي ٦/ ١٨٥ بسند صحيح.

(٤) الاستقامة ١/ ٢٧٧؛ مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٦٨.

الَّتي تجعلهم يتناسون ما كانوا عليه، متدرجاً بهم بهذه الطريقة إلى مرحلة القناعة والطمأنينة بما هم فيه.

ومن أقوى ما يحتجُّ به لذلك، ما قاله عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه يوماً منكراً عليه عدم إسراعه في إزالة كلِّ بقايا الانحراف والمظالم والتعفية على آثارها ورد الأمور إلى سنن الراشدين، حيث قال:

ما لك يا أبتِ! لا تنفذ الأمور؟ فو الله! ما أبالي لو أنَّ القدور غلت بي وبك في الحق!

وكان عبد الملك شاباً متحمساً للإصلاح السريع، فتأمل كيف كان جواب الأب الفقيه عمر بن عبد العزيز، قال: لا تعجل يا بني! فإنَّ الله ذمَّ الخمر في القرآن مرتين وحرَّمها في الثالثة، وإنِّي أخاف أن أحمل النَّاس على الحقِّ جملة فيدعوه جملة، فيكون من ذا فتنة[١]..

ولهذا فإنَّ التدرج في الوصول إلى الحقِّ بهذه التربية سببٌ أكيد لقناعة المدعوين، وليأخذوا بهذه الأحكام بتمام الرضى والفهم العميق لمقاصد الشريعة الإسلامية.

قال الإمام ابن القيِّم: «إنَّ حكمة هذا التدريجِ التربيةُ على قبول الأحكام، والإذعان لها، والانقياد لها شيئاً فشيئاً»[٢].

وكذلك ينبغي تشجيع الإعلاميين المخلصين بإيجاد البدائل الشرعية، وإنتاج المشاريع والبرامج الجذَّابة لمن ابتلي بمتابعة البرامج الهابطة، وبثُّ روح الإبداع والتفكير، والابتكار والطُّموح لصناعة البدائل وإيجادها والموافقة لروح الشَّريعة والاستفادة من المعطيات الجديدة، وتنمية الحس لأهمية الاطِّلاع والقراءة، وكسر جميع الحواجز الَّتي تحول دون الإتيان بالجديد، وبورك في الشباب الطَّامحين.

وحين يكون هناك جدب ثقافي، وضحالة فكرية فإنَّ الإنسان لا يهتدي

---

(١) الموافقات للشاطبي ٢/ ٩٤.

(٢) بدائع الفوائد ٣/ ١٨٤.

إلى كثير من البدائل الَّتي تتاح لأهل الثَّراء الفكري[١].

ولا يعني أنَّه إذا نودي بإيجاد البديل المنضبط، أن نشترط البديل في كل شيء نريد أن نمنع منه أولادنا، فليس كلُّ شيء حرِّم يستطاع أن يؤتى ببدائل تحل عنه، وأنَّ هذا البديل الذي استهلك العقل البشري في التفكير لإيجاده، ليس شرطاً أن يكون فيه كلُّ مظاهر اللذَّة والمتعة عن الشيء المحرَّم، إلَّا أنَّه ينبغي أن تكون فيه مادَّة تصرف من تعلقت نفسه بالماضي، وتكون فيه روح شفَّافة جذَّابة ليتعلق بها.

لكن من المهم جدَّاً أن يواكب هذا التغيير لتلك النفس البشرية التي نشأت من قريب على طاعة الله بأن تربى هذه النفس على طاعة الله، وأن يكون ديدنها لأوامر الله ونواهيه بكلمة (سمعنا وأطعنا) وإذا كان البديل ليس على مستوى درجة الجاذبية لما ألفته النفس في الماضي، أو في أيام الجاهلية فلا يعني ذلك أن ترجع النفس لماضيها؛ لأنَّ ذلك من تبديل نعمة الله على العبد والتنكر لها. بل من ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه، وهذا التعويض كما ذكر علماء الشريعة إمَّا أن يكون في الحياة الدنيا، أو أن يكون ذلك في دار الآخرة وجنَّة الرضوان.

كما أنه ينبغي علينا أن نتعدى مرحلة المدافعة والتحذير، إلى مرحلة المواجهة والتبشير، وهذه وصيَّة رسول الله ﷺ لأصحابه فقال: «**بشِّروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا**»[٢].

ونحن من خلال الممارسة العملية نقترب من معرفة ما هو متاح، كما أنَّنا نوفر على أنفسنا عناء (الحرث في البحر) حيث ألف الكثيرون منَّا تبديد الجهد والوقت والمال في محاولات الوصول إلى أشياء ليس إلى الحصول عليها أي سبيل[٣].

---

(١) من كتاب خطوة نحو التفكير القويم ـ ثلاثون ملمحاً في أخطاء التفكير وعيوبه لعبد الكريم بكَّار ص٥٩.

(٢) رواه البخاري (٢٠٠١)؛ ومسلم (٢٥١).

(٣) جزء من كلام الدكتور عبد الكريم بكَّار في كتابه تشكيل عقلية إسلامية معاصرة ص٧٨.

وينبغي الانتباه هنا إلى أن بعض البدائل التي أتيح نشرها داخل الأوساط الإسلامية تجاوزت الحدود الشرعية، وصار فيها من تنازلات وأخطاء شرعية لأنَّ كثيراً منهم في صنع إنتاجه الإعلامي لا يستشير أهل العلم وفقهاء الشريعة الربانيين، في عرض مثل هذه المنتجات، وأخذ آرائهم تجاهها، والنبي ﷺ يقول: «**من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أسخط النَّاس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس**»[(١)].

ويمكن مما سبق أن نستخلص بدائل مقترحة لتلك الرسوم المفسدة:

١ ـ إنتاج برامج مشابهة لتلك الرسوم توافق منهج الإسلام، فتخلو من المنكرات، وتربي على الفضائل، ولا مانع من أن تكون هي نفسها لكن بإنتاج جديد، تُحذف منها المنكرات، وتؤدى فيها الأدوار بكلمات مباحة لا تخالف الشرع، فيجمع الطفل بين تحقيق الرغبة، وحسن التربية والتعليم.

وهذه الرسوم المتحركة النافعة تحمي الصبيان عن الأشياء المحرمة[(٢)].

والابتكار والتجديد في الرسوم المتحركة الموثوقة، ذات الأفكار النافعة، لجذب وشغل أوقات فراغ الأطفال، وتفعيل هذه القضية في المجتمع، ووقفة أرباب رؤوس الأموال لتمويل المؤسسات الإنتاجية التي تصيغ إعلام أطفالنا في قالب إسلامي.

٢ ـ اختيار برامج ثقافية تعليمية، تجمع بين المتعة والتعليم، وقد انتشرت مثل هذه البرامج بالصوت والصورة، وفيها الحديث عن عالَم البحار، وعالَم الحيوانات.

٣ ـ إشغال الأطفال ببرنامج صحي مفيد، يمارس فيها الرياضة، والسباحة، وغيرها من الألعاب المباحة، وهي تجمع له بين المتعة والفائدة.

٤ ـ مشاهدة المواقع الإسلامية التي تُعنى في بعض أقسامها بالأطفال،

---

(١) أخرجه ابن حبَّان بسند جيد، صحيح بن حبان (٤٥٢)؛ انظر: السلسلة الصحيحة (٢٣١١).

(٢) «لقاءات الباب المفتوح» (١٢٧/السؤال رقم ١٠).

وذلك من خلال عرضهم لفلاشات مفيدة، أو لعب مسلية، أو رسوم متحركة فيها قصص الأنبياء، والصالحين، وفيها عرض للغزوات والمعارك الإسلامية.

٥ ـ حث الشركات والمؤسسات القادرة على إنتاج ما يستفيد منه الطفل بالصوت والصورة أن لا يُقَصّر في ذلك، فهم أحوج ما يكونون لهذا، وأولياء الأمور أحوج ما يكونون لبديل نافع مفيد ممتع يقدمونه لأولادهم.

٦ ـ تحويل سيرة النبي ﷺ إلى واقع قصصي يعيشه الطفل.

فهذه جملة من البدائل والأفكار، يمكن تطبيقها في الواقع، إذا أحسنا التخطيط لها، ودراسة وتنظيم عملها، والله ولي التوفيق والسداد.

الخاتمة

أحمد الله تعالى على ما يسر وأعان، وأسأله النفع والسداد، وقد خلصنا من هذا البحث إلى نتائج هامة:

١ ـ أن مرحلة الطفولة من أهم مراحل التربية التي ينبغي حماية فكر الطفل والعناية به.

٢ ـ حرص النبي ﷺ على الصغار وتربيتهم، وإشعارهم بقيمتهم.

٣ ـ ترسيخ العقيدة في الصغار، وتنشئتهم منذ نعومة أظفارهم عليها.

٤ ـ حرمة مشاهدة الرسوم المتحركة المحتوية على مخالفات شرعية.

٥ ـ التفريق في الحكم بين الرسوم المتحركة السيئة، والرسوم النافعة في أفكارها وقصصها.

٦ ـ توفير البدائل المناسبة، أمر هام، يعين على حماية فكر الناشئة.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث.. وأن يحفظ أبناءنا من الشرور.. آمين.

كتبه
د. محمد بن عبد الرحمٰن العريفي
الأستاذ المساعد بكلية المعلمين
جامعة الملك سعود
١٥ ربيع الثاني ١٤٣١هـ.

مناظرة البدع في القنوات الفضائية

نظرة عقدية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم..

وبعد..

خلق الله تعالى الخلق لعبادته، وأمرهم بطاعته، وبعث الرسل مبشرين ومنذرين، ودالّين وموجهين، وجعل هدي الأنبياء وطريقتهم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك.

وآخر الأنبياء وخاتمهم هو محمد بن عبد الله ﷺ، بعثه الله تعالى للناس كافة بشيراً ونذيراً، فوجه لسبل الهدى، وحذر من سبل الردى، وما ترك خيراً إلا دلّ الخلق عليه، ولا شراً إلا حذرهم منه.

وأنزل الله تعالى عليه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فأمر الناس بالاتباع ونهاهم عن الابتداع، وذلك لخطر البدع، فالبدعة أحب إلى إبليس من المعصية لعظم إفسادها، وضلال سعي أهلها، ولأن صاحبها لا يتوب منها لأنه يرى أنه على الحق فكيف يرجع عنه، إلا ما شاء الله تعالى.

وأخطر البدع ما كان علمياً اعتقادياً؛ كبدع الفرق الاعتقادية مثل الشيعة، والخوارج، والمعتزلة، وغيرهم..

وهذه الفرق ظهرت قديماً ولا زال فكرها وأتباعها إلى هذا الزمان، بل اشتد الأمر في زماننا فصار لهذه الأفكار البدعية وسائل إعلام حديثة يروجها أهلها بها.

وقد اجتهد العلماء من القديم بالرد على المبتدعة تأليفاً وتدريساً ونصيحة إلا أن هذه الوسائل على عظيم منفعتها وكبير أثرها أصبحت في زماننا محدودة التأثير؛ لأن أكثر الناس اليوم لا يهتمون بالقراءة.

فسلك فريق من أهل العلم سبيلاً رأوا أنه من أنجع الوسائل اليوم لمواجهة هذه البدع والتحذير من أهلها، وحماية الإسلام منها، وهذا السبيل هو مناظرة أهلها على رؤوس الأشهاد، ومزاحمتهم في المنابر التي تمكِّن لهم، في القنوات الفضائية، وصفحات وغرف الشبكة العنكبوتية.

ومن هنا يبرز السؤال عن مشروعية هذا الأمر، وعن المنهج الشرعي تجاهه، والضوابط في ذلك، والنتائج المترتبة عليه.

فرأيت كتابة هذا البحث المختصر في «مناظرة أهل البدع في القنوات الفضائية ـ نظرة عقدية» خاصة أني ممن شارك في عدد من المناظرات مع الشيعة من خلال قناة «المستقلة» في بريطانيا ـ لندن.

وقسمت هذا البحث إلى فصلين، وسبعة مباحث:

الفصل الأول: مفهوم البدعة، والمناظرة.

المبحث الأول: البدعة، تعريفها، والنصوص الواردة فيها.

المبحث الثاني: الآثار الواردة عن السلف في التحذير من البدع.

المبحث الثالث: معنى المناظرة، وأدلتها.

المبحث الرابع: موقف السلف الصالح من مناظرة أهل البدع.

الفصل الثاني: المناظرة في القنوات الفضائية.

المبحث الأول: مصالح مناظرة أهل البدع علانية.

المبحث الثاني: مفاسد مناظرة أهل البدع علانية.

المبحث الثالث: آداب المناظرة.

المبحث الرابع: توجيهات عامة لمناظر المبتدعة.

ثم خاتمة، وثبت المصادر، والفهرس.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.. آمين..

كتبه د. محمد بن عبد الرحمٰن العريفي
الأستاذ المساعد بكلية المعلمين
جامعة الملك سعود بالرياض
الرياض في ٢٤ جمادى الثانية ١٤٣١هـ

الفصل الأول

مفهوم البدعة، والمناظرة

المبحث الأول

البدعة، تعريفها، والنصوص الواردة فيها

تمهيد

لم يختلف أهل العلم في ذم البدع، وتكاثرت أقوالهم في التحذير منها، وبيان خطرها، واتفقوا أن خير الهدي هو هدي رسول الله ﷺ، ووضعوا للبدع ضوابط وتعريفات، كشفوا بها عوارها، وجلّوا معناها.

وفيما يلي سياق شيء من تعريفات أهل العلم للبدعة.

۞ أولاً: تعريف البدعة لغة واصطلاحاً:

تعريف البدعة لغة:

قال ابن منظور: بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه: أنشأه وبدأه.

البديع، والبدع: الشيء الذي يكون أولاً، وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] أي: ما كنت أول من أرسل وقد أرسل قبلي رسل كثير.

والبدعة: الحدث، وما ابتدع من الدين بعد الإكمال، وأبدع وابتدع وتبدع: أتى ببدعة قال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الفتح: ٢٧] وبدَّعه: نَسبه إلى البدعة.

واستبدعه: عده بديعاً. والبديع المحدث العجيب.

والبديع: المبدع وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال.

والبديع: «من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها..»[1].

---

(١) لسان العرب مادة (بدع) ١/ ٣٤١ ـ ٣٤٢.

وقال الراغب الأصفهاني: «الإبداع: إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء... والبديع يقال للمبدع نحو قوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] قيل معناه: مبدعاً لم يتقدمني رسول..

والبدعة في المذهب: إيراد قول لم يستن قائلها وفاعلها فيه بصاحب الشريعة وأماثلها المتقدمة وأصولها المتقنة»[(١)].

وقال أبو البقاء الكفوي: «البدعة كل عَمل عُمل على غير مثال سبق فهو بدعة»[(٢)].

۞ ثانياً: تعريف البدعة اصطلاحاً:

تعددت أقوال العلماء في تعريف البدعة وتحديد مفهومها فمنهم من حصر البدعة في باب العبادات، فضيق مفهومها فقصرها على الابتداع في باب العبادات اصطلاحاً.

ومنهم من وسع مفهومها فأطلقها على كل محدث من الأمور وجعلها تنقسم إلى أقسام خمسة: فهي إما واجبة أو مندوبة أو مباحة أو مكروهة أو محرمة[(٣)].

والمختار في تعريف البدعة شرعاً: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعيّة، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى[(٤)].

---

(١) المفردات ص٣٨ ـ ٣٩.

(٢) الكليات ص٢٢٦.

(٣) انظر مسالك العلماء في تعريف البدعة في المصادر الآتية: قواعد الأحكام ٢/ ١٧٢؛ الاعتصام ١/ ٣٧؛ تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٢٢؛ الباعث ص١٣؛ اقتضاء الصراط المستقيم ص٢٧٠؛ الأمر بالاتباع ص٨١؛ تلبيس إبليس ص١٦؛ فتح الباري ٥/ ١٥٦؛ جامع العلوم والحكم ص٣٣٥؛ الفروق ٤/ ٢٠٢؛ تهذيب الفروق ٤/ ٢١٧؛ البدعة ص١٩٥؛ إصلاح المساجد ص١٤؛ اتقان الصنعة ص٧؛ السُّنَّة والبدعة ص١٩٥؛ السنن والمبتدعات ص١٥؛ كلمة علمية هادئة في البدعة وأحكامها ص١٢؛ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٢/ ٣٢١؛ الموسوعة الفقهية ٨/ ٢١.

(٤) الاعتصام ١/ ٣٧.

(طريقة في الدين) الطريقة والطريق السبيل، وقيَّدت بالدين لأنَّها فيه تُخترع، وإليه يضيفها صاحبُها.

(مخترعة) أي: طريقة ابتدعت على غير مثال سابق.

(تضاهي الشرعيّة) يعني: أنَّها تشابه الطريقة الشرعيَّة من غير أن تكون في الحقيقة كذلك؛ من التزام كيفيَّات وهيئات معيَّنة.

(يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى)؛ لأنّ أصل الدخول فيها يحثّ على الانقطاع إلى العبادة والترغيب في ذلك[١].

قال ابن رجب: «فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة، والدين منه بريء»[٢].

وقال: «والمراد بالبدعة: ما أحدث ممّا لا أصل له في الشريعة يدل عليه، فأمّا ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة لغة»[٣].

قال ابن حجر: «والمراد بقوله: «**كل بدعة ضلالة**» ما أحدث ولا دليل له من الشرع بطريق خاص ولا عام»[٤].

مقارنة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للبدعة:

المعنى اللغوي أعمّ من المعنى الشرعي، فالعلاقة بينهما العموم والخصوص المطلق؛ إذ كل بدعة في الشرع يطلق عليها لغة أنها بدعة، وليس كل ما يطلق عليه في اللغة أنه بدعةٌ بدعةً في الشرع.

والبدعة في الشرع ملازمة لصفة الضلالة؛ لقوله ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**»[٥].

---

(١) انظر: علم أصول البدع لعلي حسن ص٢٤ ـ ٢٥.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/١٢٨.

(٣) جامع العلوم والحكم ٢/١٢٧.

(٤) فتح الباري ١٣/٢٥٤.

(٥) رواه مسلم (٨٦٧)؛ وأبو داود (٤٦٠٧).

وأما البدعة بمعناها اللغوي فليست كلها ملازمة لوصف الضلالة.

۞ ثالثاً: نصوص الكتاب والسُّنَّة في الحث على اتباع السُّنَّة والتحذير من البدعة:

أولاً: الآيات الآمرة بالاتباع الناهية عن الابتداع:

الآيات التي أمر الله تعالى فيها باتباع الشريعة، وملازمة طريق الأنبياء، كثيرة متنوعة، منها:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [النساء: ١٥٣].

قال القرطبي: «هذه آية عظيمة... فإنه لما نهى وأمر وحذر هنا عن اتباع غير سبيله فأمر فيها باتباع طريقه»(١).

فالصراط المستقيم المذكور في الآية الكريمة هو سبيل الله الذي دعا إليه وهو السُّنَّة، والسبل هي سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم وهم أهل البدع والأهواء.

٢ ـ وقال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال الراغب الأصفهاني: «والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله»(٢).

٣ ـ وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

٤ ـ وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

---

(١) تفسير القرطبي ٧/ ١٣٧.

(٢) المفردات في ألفاظ القرآن ص١٥٦.

فأمر الله ﷻ برد المتنازع فيه إلى قوله ﷻ وإلى قول الرسول ﷺ.

٥ ـ وقال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال الإمام مالك: «ومن أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الدين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً»(١).

ولأن الله ﷻ أخبر بأن الشريعة قد كملت قبل وفاة النبي ﷺ فلا يتصور أن يجيء إنسان ويخترع فيها شيئاً؛ لأن الزيادة عليها تعتبر استدراكاً على الله ﷻ وتوحي بأن الشريعة ناقصة وهذا يخالف ما جاء في كتاب الله(٢).

٦ ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي: «**تنبيه**: يؤخذ من هذه الآية الكريمة أن علامة المحبة الصادقة لله ورسوله ﷺ هي اتباعه ﷺ فالذي يخالفه ويدعي أنه يحبه فهو كاذب مفتر إذ لو كان محباً له لأطاعه، ومن المعلوم عند العامة أن المحبة تستجلب الطاعة ومنه قول الشاعر:

لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع»(٣).

٧ ـ وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فكيف يسوغ لمسلم بعد ذلك أن يخترع شيئاً في الدين، يضاهي به شرع الله تعالى، ويضل به العباد.

* * *

(١) الاعتصام ٢/ ٥٣.

(٢) الموسوعة الفقهية ٨/ ٢٣.

(٣) أضواء البيان ١/ ٢١٧؛ وانظر: تفسير المنار ٣/ ٢٨٤.

ثانياً: الأحاديث الآمرة بالاتباع الناهية عن الابتداع:

الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في النهي عن البدع والمحدثات كثيرة متنوعة، منها:

١ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: «**صبحكم ومساكم**». ويقول: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى. ويقول: «**أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة**»[(١)].

وفي رواية عند النسائي: «**وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**»[(٢)].

٢ - وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**خطَّ لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً ثم قال: هذا سبيل الله**» ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: «**هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾» الآية [النساء: ١٥٣][(٣)].

٣ - وعن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الفجر ثم وعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا.

فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة**

---

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٤٦٤.

(٢) سنن النسائي ٣/ ١٨٨ - ١٨٩؛ صحيح سنن النسائي ١/ ٣٤٦.

(٣) رواه الدارمي، سنن الدارمي مع شرحه فتح المنان ٢/ ٢٤١؛ وأحمد ٣٠٥٢؛ والنسائي ٢١٥؛ وانظر حول الحديث: كتاب السُّنَّة ص١٣؛ مشكاة المصابيح ١/ ٥٩.

وكل بدعة ضلالة»[١].

٤ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٢].

وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ**»[٣].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: «وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام كما أن حديث: «**الأعمال بالنيات**» **ميزان للأعمال في باطنها وهو ميزان للأعمال في ظاهرها فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب؛ فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء**»[٤].

٥ ـ وعن بلال بن الحارث رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أحيا سُنَّة قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من الناس لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن ابتدع بدعة لا ترضي الله ورسوله فإن له مثل إثم من عمل بها من الناس لا ينقص ذلك من آثام الناس شيئاً**»[٥].

٦ ـ وعن أبي شريح الخزاعي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟**».

---

(١) رواه أبو داود، انظر: عون المعبود ١١/ ٢٣٤؛ والترمذي، تحفة الأحوذي ٧/ ٣٦٥ وقال: حسن صحيح؛ ورواه أحمد الفتح الرباني ١/ ١٨٨؛ وابن حبان، صحيح ابن حبان ١/ ١٧٨، وهو حديث صحيح صححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي؛ المستدرك ١/ ٢٨٨.

(٢) رواه البخاري ومسلم، صحيح البخاري مع الفتح ٦/ ٢٣٠؛ صحيح مسلم مع شرح النووي ٣/ ٣٧٩.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم مع شرح النووي ٣/ ٣٨٠.

(٤) جامع العلوم والحكم ص٨١.

(٥) رواه الترمذي وابن ماجه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال البغوي: هذا حديث حسن، انظر: سنن الترمذي مع شرحه عارضة الأحوذي ١٠/ ١٠٦ ـ ١٠٧؛ سنن ابن ماجه ١/ ٧٦؛ شرح السُّنَّة ١/ ٢٣٣؛ صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٤١ ـ ٤٢.

قالوا: بلى. قال: «**إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً**»(١).

٧ - وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: «**إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم، فاحذروا إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسُنَّة نبيه**»(٢).

٨ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته**»(٣).

فهذه النصوص واضحة في التحذير من الابتداع في الدين، وبيان خطر البدعة، لذلك كان السلف يحذرون من البدع ويشنعون على أهلها، كما ستأتي نصوصهم في ذلك.

(١) رواه الطبراني في الكبير ٣١٥ بإسناد جيد.
(٢) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. المستدرك ١/ ٢٨٤.
(٣) رواه الطبراني ٣٢٢ وإسناده حسن.

المبحث الثاني

الآثار الواردة عن السلف في التحذير من البدع

تمهيد

خير الناس هم القرن الذين بُعث فيهم النبي ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، والسلف الصالحون هم القدوة بعد رسول الله ﷺ في التعامل مع أهل البدع، والموقف تجاههم.

وقد تكاثرت الآثار عن السلف في التحذير من البدعة والابتداع، وبيان المنهج في التعامل مع المبتدعة، وسوف أورد هنا عدداً من هذه الآثار، ثم أبيِّن كيف نستفيد منها في واقعنا في التعامل مع أهل البدع اليوم.

١ ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة»[(١)].

٢ ـ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «الاقتصاد في السُّنَّة خير من الاجتهاد في البدعة»[(٢)].

٣ ـ وعنه أيضاً قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»[(٣)].

---

(١) رواه البيهقي في المدخل ص٢١٥؛ إصلاح المساجد ص١٣؛ وانظر: البدعة وأثرها السيء في الأمة ص٤٢.

(٢) رواه الدارمي، سنن الدارمي مع شرحه فتح المنان ٢/ ٢٨٨؛ والبيهقي ٢١٧؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، المستدرك ٢/ ٤٤٥؛ وانظر: الباعث ص١٣؛ الأمر بالاتباع ص٤٨؛ صحيح الترغيب والترهيب ص٢١.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢١٩) ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي: ورواه الدارمي؛ مجمع الزوائد ١/ ١٨١؛ سنن الدارمي مع شرحه فتح المنان ٢/ ٢٥٨.

٤ ـ وعنه قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعة ضلاله»[١].

٥ ـ وعنه قال: «أيها الناس إنكم ستحدثون ويحدث لكم فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالأمر الأول»[٢].

٦ ـ وعنه قال: «تعلموا العلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله ألا وإياكم والتنطع والتعمق والبدع وعليكم بالعتيق»[٣].

٧ ـ وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً فإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً» رواه البخاري.

قال الحافظ: «قوله: يا مشعر القراء: المراد بهم العلماء بالقرآن والسُّنَّة العبّاد»[٤].

٨ ـ وعنه رضي الله عنه قال: «كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تتعبدوا بها فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً، فاتقوا الله يا معشر القرّاء خذوا طريق من كان قبلكم»[٥].

٩ ـ وقال أبو العالية: «عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا»[٦].

---

(١) رواه أبو خيثم في كتاب العلم، وقال الشيخ الألباني: هذا إسناد صحيح، كتاب العلم ص١٢٢.

(٢) رواه الدارمي، سنن الدارمي مع شرحه فتح المنان ٢/ ١٨٤؛ وانظر: الأمر بالاتباع ص٥٩ ـ ٦٠.

(٣) رواه الدارمي وعبد الرزاق في المصنف، سنن الدارمي مع شرحه فتح المنان ٢/ ١١٥؛ المصنف لعبد الرزاق ١١/ ٢٥٢؛ جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٥٢؛ وانظر: الأمر بالاتباع ص٥٩.

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري ١٧/ ١٥.

(٥) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ٢/ ١١٥؛ ومحمد بن نصر في السُّنَّة ص١٥٤، وذكره أبو شامة في الباعث وعزاه لأبي داود، وقال الشيخ الألباني: لم أجده في السنن، انظر: الباعث ص١٥ ـ ١٦؛ الاتباع ص٦٢؛ إصلاح المساجد ص١٢؛ السلسلة الضعيفة ١/ ٣٧٤.

(٦) ذكره ابن الجوزي والسيوطي ورواه معمر في الجامع؛ انظر: تلبيس إبليس ص٨؛ الأمر بالاتباع ص٤٩؛ المصنف لعبد الرزاق ١١/ ٣٦٧.

١٠ ـ وقال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السُّنَّة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم»(١).

١١ ـ وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «سَنَّ رسول الله وولاة الأمر من بعده سُنناً الأخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، من عمل بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً»(٢).

قال الشاطبي: «وبحق وكان يعجبهم فإنه كلام مختصر جمع أصولاً حسنة من السُّنَّة منها ما نحن فيه لأن قوله: ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها. قطع لمادة الابتداع جملة. وقوله: من عمل بها فهو مهتد. مدح لمتبع السُّنَّة وذم لمن خالفها بالدليل الدال على ذلك، وهو قول الله سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥]»(٣).

١٢ ـ وقال عمر بن عبد العزيز يوصي رجلاً: «أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سُنَّته... فعليك بلزوم سُنَّته فإنها لك بإذن الله عصمة...»(٤).

١٣ ـ وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: «اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين»(٥).

---

(١) ذكره ابن الجوزي والسيوطي، انظر: تلبيس إبليس ص٩؛ الأمر بالاتباع ص٤٩.
(٢) رواه ابن عبد البر، وذكره الشاطبي في الاعتصام وقال: إنه كان يعجب مالكاً جداً، جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٨٧؛ الاعتصام ١/ ٨٧.
(٣) الاعتصام ١/ ٨٧.
(٤) رواه أبو داود، سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ١٢/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩، صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٧٣.
(٥) ذكره الشاطبي والسيوطي؛ الاعتصام ١/ ٨٣؛ الأمر بالاتباع ص١٥٢.

١٤ ـ وعن عثمان الأزدي قال: «دخلت على ابن عباس ﷺ فقلت له: أوصني، فقال: عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع»[١].

فهذه نصوص السلف رحمهم الله في الأمر بلزوم السُّنَّة واجتناب البدعة.

أما ما يتعلق بموقفهم من مناظرة أهل البدع، فسيأتي الكلام عليه لاحقاً[٢].

(١) ذكره الخطيب في الفقيه والمتفقه، والبغوي في شرح السنه، وأبو شامة في الباعث؛ والسيوطي في الأمر بالاتباع، الفقيه والمتفقه ١/ ١٧٣؛ شرح السُّنَّة ١/ ٢١٤؛ الباعث ص١٥؛ الأمر بالاتباع ص٦١.

(٢) انظر المبحث: الرابع، في الفصل: الأول.

المبحث الثالث

معنى المناظرة، وأدلتها

تمهيد

اختلاف الآراء وتعددها، من طبيعة البشر، وليس هذا الاختلاف مختصاً بأمور الشريعة ومسائل الدين، كلا، بل هو عام في كل العلوم.

فكان أهل كل فن يتناظرون، في مجالسهم، ومؤلفاتهم، فيتفقون بعدها، أو يبقون على اختلافهم، ولا يزال مسائل الخلاف والنقاش والمناظرة موجودة إلى زماننا هذا، بل صارت اليوم أكثر توسعاً وتأثيراً من خلال وسائل الإعلام الحديثة.

وسوف أسوق هنا تعريفات للمناظرة، وأبيِّن شيئاً من آدابها قبل الخوض في المناظرة عبر القنوات الفضائية.

۞ معنى المناظرة:

من أحسن تعريفات المناظرة ما اختاره إمام الحرمين الجويني عندما تكلم عن تعريف الجدل، وهو: إظهار المتنازعَيْن مقتضى نَظْرَتِهما على التدافع والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة[1]..

وأشار رَحِمَهُ اللَّهُ في كلامه إلى أنه لا فرق عنده بين الجدل والجدال والمناظرة، وهذا يعني صلاحية هذا التعريف للمناظرة كذلك.

وبذلك يظهر من معنى المناظرة أنها مختصة بتراجع الكلام مع خصم لا

(١) الكافية في الجدل ١٩ ـ ٢١.

يرى رأيك على سبيل إثبات صواب قولك وبطلان قوله، فيكون المراد منها الظهور والغلبة، ولا يبحث فيها فيما إذا كان قوله صواباً أم فيه شيء من الصواب ليتبعه المناظر، وإنما كل طرف من أطراف المناظرة يبتغي العلو على مناظريه بالحجة، ويريد أن يقطع حجج خصومه.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، في معرض كلام له عن المناظرة: «وهي في الاصطلاح ـ أي: المناظرة ـ: المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين، يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق»(١).

وقال الزَّبيدي في تاج العروس: «والمناظرة: المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته»(٢).

۞ شروط المناظرة:

الأول: أن يجمع بين خصمين متضادين.

والثاني: أن يأتي كل خصم في نصرته لنفسه بأدلة ترفع شأنه وتعلي مقامه فوق خصمه.

والثالث: أن تصاغ المعاني والمراجعات صوغاً لطيفاً.

بسم الله القائل: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

ولكثرة الاختلاف بين الناس وجدت المناظرات لإقرار الحق والوصول إليه.

وهذا العلم من أرفع العلوم وأعظمها شأناً؛ لأنه السبيل الى معرفة الاستدلال وتميز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من القويم.

---

(١) آداب البحث والمناظرة: ٢/ ٣

(٢) تاج العروس مادة (ن ظ ر) ٣/ ٥٧٥.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ تحت باب ما يكره فيه المناظرة والجدال والمراء: أن «الآثار كلها في هذا الباب المروية عن النبي ﷺ إنما وردت في النهي عن الجدال والمراء في القرآن.. وليس الاعتقادات كذلك؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يوصف عند الجماعة ـ أهل السُّنَّة ـ إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله ﷺ..»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «.. وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية..»[(٢)].

۞ دليل المناظرة من القرآن:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال ابن كثير في تفسيرها: «وقوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب..»[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقال: ﴿يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ

---

(١) جامع بيان العلم ٢/ ١١٣.
(٢) مجموع الفتاوى ٢٤/ ١٧٢ ـ ١٧٣.
(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٣٢.

أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: ١١١].

وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ﴾ [المائدة: ١٨].

۞ دليل المناظرة من السُّنَّة:

قال ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»(١).

وهذا يتضمن الأمر بالمناظرة وأنها نوع من الجهاد.

۞ حكم تعلم فنّ المناظرة:

أما حكم إقامة المناظرة، والمشاركة فيها، فهو يختلف باختلاف الحالات الّتي تجري فيها هذه المناظرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الجدال قد يكون واجباً أو مستحباً كما قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [الرعد: ١٢٥] وقد يكون الجدال محرماً في الحج وغيره؛ كالجدال بغير علم وكالجدال في الحق بعد ما تبين»(٢).

وقال الإمام النووي: «اعلم أن الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾ وقال الله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾... »(٣).

والمناظرة عموماً أمر مندوب إليه إذا كان فيها مصلحة، إلا أنها قد تكون واجبةً نصرة للحقّ، بإقامة الحجج العلميّة، والبراهين القاطعة، وحلّ المشكلات في الدّين، لتندفع الشّبهات، وتصفو الاعتقادات، إذا كانت البدعة ظاهرة وأهلها لهم في الناس تأثير، وكان المناظر من أهل السُّنَّة له قدرة على دحض البدعة والرد على الشبهات.

---

(١) رواه أحمد وغيره.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٦/١٠٧.

(٣) الأذكار ص٥٣٠ ـ ٥٣١.

بل قد تكون فرض عين، إذا لم يوجد سوى عالم واحد وكان أهلاً للمناظرة في الحالات الّتي تجب فيها، وتجب أيضاً إذا عيّن الحاكم عالماً لمناظرة أهل الباطل وكان هذا العالم أهلاً لذلك.

المبحث الرابع

موقف السلف الصالح من مناظرة أهل البدع

تمهيد

تقدم سياق أقوال السلف في التحذير من الابتداع في الدين، والتحذير من الأهواء والمحدثات، ومن ذلك ما جاء عن معاوية بن قرة؛ أن سالم بن عبد الله حدثه عن ابن عمر قال: «ما فرحتُ بشيء من الإسلام أشد فرحاً بأنّ قلبي لم يدخله شيءٌ من هذه الأهواء»(١).

وسأل المرُّوذِيُّ الإمامَ أحمد بن حنبل: من مات على الإسلام والسُّنَّة مات على خير؟!

فقال له أحمد: «اسكت، من مات على الإسلام والسُّنَّة مات على الخير كله»(٢).

وليس مشروعاً سماع شبهات أهل البدع، أو مجالستهم، أو قراءة كتبهم، إلا لعالم ممتلئ القلب بالإيمان، ضليعاً بالعلم، كما قال النبي ﷺ: **«من سمع بالدجال فليَنأَ عنه، فوالله إنّ الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به الشبهات»**(٣).

قال الإمام ابن بطة معلِّقاً على هذا الحديث: «هذا قول رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، فاللهَ الله معاشر المسلمين، لا يحملنَّ أحداً منكم

---

(١) اللالكائي ١/ ١٣٠.

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ١٨٠.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٢٨؛ وأبو داود ٥٠١؛ والحاكم ٢/ ٤٥١.

حسنُ ظنه بنفسه وما عهده من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء فيقول أُداخله لأناظره، أو لأستخرج منه مذهبه، فإنهم أشد فتنة من الدجال، وكلامهم ألصق من الجَرَب، وأحرق للقلوب من اللهب.

ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبُّونهم فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم فما زالت بهم المباسطة وخفي المكر ودقيق الكفر حتى صبوا إليهم»[١].

لذلك كانوا يتجنبون مجالسة أهل البدع، أو سماع شبهاتهم، خشية أن يتأثروا بشيء من مذاهبهم.

ومن ذلك ما ورد عن محمد بن سيرين أنه دخل عليه رجلان من أهل الأهواء.

فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟!

قال: لا. قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟

قال: لا، تقومان عني وإلا قمتُ.

فقام الرجلان فخرجا، فقال بعض القوم: ما كان عليك أن يقرآ عليك آية؟

قال: «إني كرهت أن يقرآ آيةً فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي»[٢].

وهذا يدل على شدة حذرهم من قليل البدع، فكيف بكثيرها.

وعن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآيـة: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فإذا رأيت**

---

(١) الإبانة الكبرى ٢/ ٤٧٠.

(٢) الشريعة للآجري ١/ ٤٤١، ٥/ ٢٥٤٥؛ الإبانة الكبرى ٢/ ٤٤٥، و٤٥٨ بنحوه.

الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى اللهُ فاحذروهم»[١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: باب شرك فُتح على أهل الصلاة: التكذيب بالقدر، فلا تجادلوهم، فيجري شركهم على أيديكم[٢].

وعن أبي ثور قال: سمعت الشافعي يقول: كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال: «أما أنا فإني على بينة من ديني، وأما أنت فاذهب إلى شاك مثلك فخاصمه»[٣].

وعن الحسن أن رجلاً أتاه فقال: يا أبا سعيد إني أريد أن أخاصمك (يعني أناظرك في شيء)، فقال الحسن: إليك عني، فإني قد عرفت ديني، وإنما يخاصمك الشاك في دينه، وإذا كان الرجل ذا جدل تكلفنا له في الرد بالعقل والمنطق ولا نقيم للقرآن والسُّنَّة وزناً؟[٤].

وقال شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمٰن الصابوني: ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالأذان وقرت في القلوب، ضرت وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت وفيه أنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨][٥].

وقال موفق الدين بن قدامة المقدسي: «ومن السُّنَّة: هجران أهل البدع، ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب

---

(١) البخاري (٤٥٤٧)؛ مسلم (٢٦٦٥).
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة للالكائي ٤/ ٦٣٠.
(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٩٩؛، حلية الأولياء ٦/ ٣٢٤، ٩/ ١١٢.
(٤) اللالكائي ١/ ١٢٨.
(٥) العقيدة السلفية ص١٠٠.

المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعة»[١].

قال اللالكائي: «فما جُني على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة، ولم يكن لهم قهر ولا ذل أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة يموتون من الغيظ كمداً ودرداً، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلاً، حتى جاء المغرورون ففتحوا لهم إليها طريقاً، وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلاً، حتى الغرماء بينهم المشاجرة وظهرت دعوتهم بالمناظرة! وطرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة، حتى تقابلت الشبه في الحجج! وبلغوا من التدقيق في اللجج فصاروا أقراناً، وأخداناً، وعلى المداهنة خلاناً وإخواناً، بعد أن كانوا في الله أعداء وأضداداً، وفي الهجرة في الله أعواناً يكفرونهم في وجوههم عياناً ويلعنونهم جهاراً، وشتان ما بين المنزلتين وهيهات ما بين المقامين»[٢].

قال الغزالي: «وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً؛ فقلما ينفع معه الكلام، فإنك إن أفحمته لم يترك مذهبه، وأحال بالقصور على نفسه، وقال: إن عند غيره جواباً ما، وهو عار عنه، وإنما هو ملبس عليه بقوة المجادلة»[٣].

وقد بوّب الآجُرِّيُّ في الشريعة عدة أبواب تدل على هذا الأصل من مجانبة المبتدعة والحذر من الاختلاط بهم والجلوس معهم فمن ذلك:

«باب الحث على التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وسنة أصحابه ﷺ، وترك البدع، وترك النظر والجدال فيما يخالف الكتاب والسُّنَّة وقول الصحابة ﷺ»[٤].

وبوّب اللالكائي: «سياق ما ورد عن النبي ﷺ في النهي عن مناظرة أهل

---

(١) متن لمعة الاعتقاد ص١١١.
(٢) اللالكائي ١/ ١٩.
(٣) إحياء علوم الدين ١/ ٤٧.
(٤) الشريعة ١/ ٣٩٨.

البدع وجدالهم والمكالمة معهم والاستماع إلى أقوالهم المحدثة وآرائهم الخبيثة»[١].

وبعد سياق هذه النصوص، أقول: هذا الرأي من السلف ليس قاعدة مطَّرِدة منهم في كل المواقف والأحوال، بل ينبغي على الناظر أن يتلمّس بواعثهم على هذه الآراء والمواقف، وينظر أيضاً في مواقفهم الأخرى التي ثبتت عنهم في مناظرتهم وكلامهم مع أهل البدع، ثم يقيسها بواقعنا ليعرف إمكانية تطبيقها اليوم.

فقد ثبت مناظرة بعض السلف لأشخاص من رؤوس المبتدعة، كما في المناظرة المشهورة بين الإمام عبد العزيز الكناني المكي الشافعي مع أحد أكبر شيوخ المعتزلة بشر المريسي..

وذلك في زمن الخليفة العباسي المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ)، وكانت المناظرة لإبطال رأي المعتزلة في القرآن، إذ زعموا أنه مخلوق من جملة المخلوقات لم يتكلم الله به!

وهذا رأي باطل، فمذهب أهل السُّنَّة والجماعة أن القرآن كلام الله تعالى تكلم به حقيقة غير مخلوق منه بدأ واليه يعود، نزل به الروح الأمين على سيد البشر أجمعين، وهذا معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في القرآن..

وقد استطاع المعتزلة الوصول للخليفة المأمون والتأثير عليه بمذهبهم، وجعلوه يمتحن العلماء بسؤالهم عن قولهم ومعتقدهم في القرآن الكريم.. ووقعت على المسلمين فتنة ومحنة عظيمة.

فكانت عند ذلك المناظرة العلنية المشهورة بين الإمام الكناني، وبشر المريسي.

فهذه مواقف متفاوتة لأهل العلم في التعامل مع المبتدعة.

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ:

---

(١) اللالكائي ١/ ١١٤.

• أن الذين كرهوا مناظرة المبتدعة أو سماع شبهاتهم، إنما كرهوا ذلك لأنهم رأوا فيه إعلاء لشأن القائل بالبدعة، وإظهاراً لبدعته، فإنك متى ناظرته أقمت له وزناً، وزاد هو في الدفاع عن الباطل الذي يحمله.

أما إذا تُرك المبتدع لا يُكلم، ولا يُجالس، ولا يُناظر، ماتت بدعته ولم تلق رواجاً.

• وظروف المناظرات وأسبابها تختلف من زمان إلى زمان، ومن شخص لآخر، ومن بلد لغيره، ومن موضوع لغيره، ومن فرقة مبتدعة لغيرها، وهذا سبب اختلاف آراء أئمة السلف رحمهم الله في مناظرة أهل البدع، من محذر عن ذلك، إلى حاثّ عليه، وذلك أنهم كانوا أهل حكمة وعلم، وورع وتقوى، يقدرون الأمور بقدرها، ويتأملون الظروف المحيطة، والمصالح والمفاسد.

• ومسألة اتباع السلف في مواقفهم وآرائهم تتعلَّق بسَعة العقول والأفهام، وتصوُّر الموضوع من كل جوانبه، وقد يتبنى البعض رأي رجل من السلف دون تفَقُّهٍ لمنهجه وظروف الرأي الذي تكلم به أو أفتى، ولربما تمسَّك بظاهر بعض أقوالهم أو أفعالهم ونزلها على ظروف زماننا دون تأمل، مع أن العاقل الحكيم يجزم أنهم ـ ربما ـ لو عاشوا زماننا لرأوا غير ما رأوه وقالوا فيه بغير ما قالوه في ظروف زمانهم، ولكنَّ الله تعالى قسَّم بين الناس الفهوم والعقول كما قسَّم بينهم المعايش والأرزاق.

• وهذه الآراء والمواقف تختلف باختلاف العصور والأحوال، ومما يناسب أن يورد هنا، ما ذكره الفقهاء: أن الإمام ابن أبي زيد القيرواني صاحب (الرسالة) المعروفة في المذهب المالكي، والتي شرحها كثيرون. هذا الإمام زاره بعض معاصريه من الفقهاء، فوجدوا في داره كلباً للحراسة، فقالوا له: إن مالكاً كان يكره اقتناء الكلاب! فقال لهم: لو أدرك مالك زمننا لاتخذ أسداً ضارياً[1]. يعني: لقد تغيّرت أحوال الناس، ولم تَعُد حاجات الناس في

(١) راجع القصة في: منح الجليل شرح مختصر خليل، باب في البيع ٩/ ٣٦٩؛ وانظر: شرح العلّامة زروق على الرسالة ٢/ ٤٢٤.

زمن أبي زيد القيرواني كما كانت في زمن مالك، فلجأ الناس إلى الكلاب لتحرسهم من اللصوص وقُطّاع الطرق، فالحاجات إذن والأحوال والآراء والأشخاص كلها تتغير، وإذا تغيّرت تغير الحكم المبنى عليها.

• وبذلك نستطيع التوفيق بين ما ورد من نهي السلف عن مناظرة أهل البدع، وبين ما ورد عنهم في حوادث كثيرة من حكاية مناظرات طويلة ـ أحياناً ـ مع أهل البدع.

وسيأتي تفصيل ذلك في المباحث اللاحقة عند الكلام عن ضوابط المناظرات، ومنافعها وأضرارها[١].

(١) انظر المبحث: الأول والثاني، من الفصل الثاني.

الفصل الثاني

المناظرة في القنوات الفضائية

المبحث الأول

مصالح مناظرة أهل البدع علانية

تمهيد

أضحت القنوات الفضائية اليوم، سلاحاً صارماً، ومؤثراً لا يستهان به في صياغة العقول والقرارات، وقد كشفت إحصائية أجريت مؤخراً عن انطلاق ١٠٣ قنوات تليفزيونية فضائية عربية في عام ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م وحده فيما وصل عدد القنوات العراقية التي انطلقت في الفترة بين عامي ٢٠٠٣م و٢٠٠٨م إلى ٤٣ قناة متنوعة[١].

ولذلك استعملها أصحاب الفكر والأديان في بث معتقداتهم، وآرائهم، وعقد المناظرات والحوارات بينهم، ومن ذلك ما بثته قناة «المستقلة»[٢] من مناظرات بين السُّنَّة والشيعة، وكانت مناظرات علنية يراها الكبير والصغير، والعالم والجاهل، والعربي والأعجمي، بل يراها جميع أهل الأديان.

وكانت الأفكار تطرح وتناقش بكل صراحة، ويصرح كل فريق بمذهبه وعقيدته، مستدلاً بما بين يديه من حجج.

---

(١) جريدة الاقتصادية، الجمعة ١٢ محرم ١٤٣٠هـ. الموافق ٩ يناير ٢٠٠٩م العدد (٥٥٦٩).

(٢) قناة المستقلة: قناة فضائية أنشأها د. محمد الهاشمي، عام ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م مقرها بريطانيا ـ لندن، تُعنى بالحوارات الثقافية، والمناظرات العلمية، في شتى المواضيع، الدينية، والسياسية، والثقافية، وغيرها، ومن أشهر ما نشر فيها من مناظرات، المناظرات التي حصلت بين السُّنَّة والشيعة، شارك فيها عدد من علماء أهل السُّنَّة والجماعة، وعدد من الطائفة الشيعية، وكان لهذه المناظرات تأثير كبير، خاصة على عامة الناس من الفريقين.

والمناظرات في الغالب لا تخلو من فوائد، قال الإمام المزني: «لا تعدو المناظرة إحدى ثلاث:

إما تثبيت لما في يديه.

أو انتقال من خطأ كان عليه.

أو ارتياب فلا يقدم من الدين على شك.

قال: وكيف ينكر المناظرة من لم ينظر فيما به يردها؟»[١].

وحديثي هنا عن المناظرات التي تناقش مواضيع جادة، بأساليب علمية، وحوار مرتب منظم، ويمثل المشاركون فيها فرقاً ومذاهب ينتسبون إليها، لها أتباع، وأصول، وفكر، ومؤلفات، وسيكون كلامي منصباً في أغلبه على المناظرات بين السُّنَّة والشيعة التي شاركت فيها، ولمست أثرها.

وقد كان لهذه المناظرات العلنية، عدد من المصالح، منها:

- رفع مستوى الوعي عند جماهير الناس وعامتهم، وجذب اهتماماتهم بأسلوب مناسب، وتحريك أذهانهم، وشحذ عقولهم.
- أسلوب المناظرة المبني على السؤال الجواب، من أنجع الأساليب في التعليم، وتناقل المعلومات، وهذا ما يقع في الحوارات بين المتناظرين.
- إبراز العلماء، وتعريف عامة الناس بهم، ولفت النظر إلى برامجهم الأخرى ليتابعها الناس ويستفيدوا منها[٢].
- تعريف الناس بكتب أهل العلم، وربطهم بالبحث والمراجعة.
- كشف مخططات أهل البدع، وإظهار عوار معتقداتهم، وهتك أستارهم، وفضح أسرارهم.
- ومن ذلك أن المناظرين الشيعة كان خطابهم موجهاً للسنة فقط،

---

(١) جامع بيان العلم ٢/ ١٣٢.

(٢) وهذه إيجابية فيما يخص العلماء من أهل السُّنَّة والجماعة، وهي مفسدة فيما يخص المبتدعة، وذلك أنهم إذا عرفهم عامة الناس وتابعوا برامجهم تأثروا بفكرهم، وسيأتي بيان لذلك في المبحث القادم.

وحاولوا أن يبرؤوا أنفسهم من المعائب، وجرّهم ذلك إلى إنكار عدد من عقائدهم المشهورة المتفق عليها عندهم، والتهرب من حقيقة مذهبهم، ولم يأخذوا بعين الاعتبار أن كثيراً من متابعيهم هم من طائفة الشيعة، فصاروا متناقضين، ولا شك أن هذه التناقضات سوف تؤتي أكلها في قادم الأيام.

• فهم حرصوا على مخاطبة عوام أهل السُّنَّة خاصة، والعالم أجمع، لكسب أتباع جدد، وتحسين صورتهم أمام الناس، ولم يراعوا أن الشيعي يسمع ويرى مشايخه ينفون أصول مذهبهم الذي يقرؤه في كتبهم ويسمعه في مجالسهم؛ كإنكارهم القول بسب الصحابة ﷺ، أو تكفيرهم، وإنكارهم قولهم بتحريف القرآن.. وغير ذلك، مع أن هذه حقائق وعقائد شيعية ثابتة تحفظها نساؤهم وأطفالهم قبل كبارهم وعلمائهم، فيقع عند الشيعي شك في أصول مذهبه وعلمائه.

• وكذلك التشكيك في كتب ومراجع الشيعة المعتمدة عندهم، مثل كتاب «الكافي» وغيره، وهذا بيِّن واضح أثناء المناظرات؛ لأنه كلما أورد أحد المناظرين من أهل السُّنَّة حجة على الشيعة واستدل بأقوالهم المعتمدة وقرأ على الملأ نصوصاً من كتبهم، كان جواب مناظري الشيعة أن هذا غير صحيح وأن الكتاب غير معتمد.. فيقع عامة الشيعة في اضطراب بين قبول ما في كتبهم أو رده.

• أن عوام الشيعة ومثقفيهم اكتشفوا فساد معتقدهم، وضلال ما تربوا عليه من مذهب التشيع، وعلموا أن علماءهم عند المناظرة والمكاشفة مع الحق، لا يستطيع أحدهم البوح بحقيقة مذهبه على الملأ، بل تتضارب أقواله ويفقد سيطرته على نفسه، ويضطرب كلامه، وتتناقض آراؤه، وينتهي إلى حيرة هو وأتباعه.

ولم يسبق ـ فيما أعلم ـ أنه حصل فضح لعقائد الشيعة بمثل هذه الشمولية والانتشار، كما وقع في قناة المستقلة[1].

---

(١) لقراءة بيانات أصدرها رؤوس من الشيعة، انظر: =

• هذه المناظرات تفيد العوام الذين لا يقرؤون، كما تفيد المثقف والعالم، خاصة إذا كانت بأسلوب واضح، وعبارة سهلة[١].

• فضح جرأة أعداد من رؤوس الشيعة على الله تعالى، فضلاً عن جرأتهم على الصالحين من عباده؛ كالأنبياء وأتباعهم من أصحابهم الكرام.

ومن الأمثلة على ذلك قول أحد المناظرين من الشيعة: إن الرب الذي أمات أبا سفيان على الإسلام وأمات أبا طالب على الكفر هذا رب لا نريده!! عياذاً بالله من ذلك[٢]..

وبهذا يظهر أن لهذه المناظرات فوائد لا يمكن تغافلها، وتزداد هذه الفوائد والمنافع بهاءً إذا لوحظ آداب وشروط مهمة، سيأتي تفصيلها[٣].

فهذه جملة من المصالح، التي إن تحققت، نفعت هذه المناظرات، وحققت ما يرجى منها من مصالح، بإذن الله.

= ١ ـ وكالة الأنباء الشيعية بيان لمنير الخباز.
http://ebaa.net/khaber/2203/01/04/khabero4.htm.
٢ ـ بيان رفيق الموسوي.
http://www.ansarh.ws/forum/showthread.php?p=133757.
٣ ـ بيان محمد سعيد الطباطبائي الحكيم.
http://www.aldair.net/forum/showthread.php?t=46829.
٤ ـ بيان آية الله الشيرازي.
http://www.altwafoq.net/v2/art13938. html.

(١) انظر للاستزادة ومشاهدة أمثلة لما ذكرنا موقع فيصل نور:
http://www.fnoor.com/fn0237.htm.

(٢) انظر مقطع فيديو في ذلك:
http://www.mashahd.net/view_video.php?viewkey=d368c6cd90bc0999c207.

(٣) انظر المبحث: الثالث الفصل: الثاني.

المبحث الثاني

مفاسد مناظرة أهل البدع علانية

تمهيد

مع تعدد مصالح المناظرات العلنية مع المبتدعة، وكثرة فوائدها، وكبير تأثيرها، وما لمسته أنا وغيري ـ ممن شاركوا في المناظرات ـ من نفعها للإسلام، وتقوية أهله، ودحض الباطل، وكشف الشبهات، إلا أنها لا تخلو من مفاسد، ربما كانت بسبب عدم انضباط المتناظرين، أو تحليهم بآداب المناظرة، وتنبيهنا على المفاسد هنا يعني الحرص على تجنبها والسعي في إصلاحها، فالشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها.

ومن هذه المفاسد:

• إشهار رموز أهل البدع، وإظهارهم، وربما كان أحدهم متحدثاً فصيحاً، أو أديباً بليغاً، فيعجب به عوام الناس، ويكون له عندهم شأن، سواء عوام أهل السُّنَّة أو الشيعة.

وهذا يمكن تجنبه أو تقليله بأن يكون مناظره من أهل السُّنَّة، أحسن منه منطقاً، وأفصح بياناً، فيسقطه من أعين الناظرين، ويقلل شأنه عند المتابعين.

• ومنها: إظهار البدع المغمورة، والشبهات المطمورة، ونفض الغبار عنها، وإثارتها من جديد.

وهذا يمكن تجنبه بتحديد موضوع النقاش في نقاط محددة، وشبهات مشهورة، معلومة عند أكثر الناس، يحرص المناظر من أهل السُّنَّة أن لا

يخرج النقاش عنها، لئلا يستفيد المبتدع من المناظرة في تمرير أفكار وشبهات لا تعلق لها بموضوع المناظرة.

• ومن المفاسد التي ذكرها بعضهم: ما نلحظه من استكبار أعداد من المبتدعة وإعراضهم عن الاستجابة للنصح الذي يسمعونه ويرونه في هذه المناظرات، وهذا حال عدد من أهل البدع قديماً وحديثاً.

ومن أمثلة ذلك مناظرة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي مع الرافضة، فقد جرت بينه وبين رأس من رؤوس الرافضة عبد المحسن الكاظمي مناظرة في حضرة ثلاثمائة رافضي، واستعان الرافضي بعشرة من شيعته؛ «فقطعهم الهلالي»[(١)]، ومع ذلك لم يزدد رؤوسهم ـ خاصة ـ إلا فجوراً، يدل على ذلك قول أحد الرافضة في مؤلف له: «كان الشيخ تقي الدين الهلالي قد أجرى حواراً أو مناظرة مع بعض خطباء الشيعة ولم أعرف من هم الشيعة الذين ناظرهم، ولم أكن أدري ما السبب الذي جعل تقي الدين الهلالي يستنكف عن مناظرة رجال الشيعة مثل السيد الحكيم، والسيد الخوئي، والسيد الصدر، والسيد الشيرازي، وعشرات العلماء والمراجع المعاصرين له في العراق ولبنان وقم... وعجبت كيف راح يبحث في القرى عن الأميين، وهؤلاء موجودون طوع البنان»[(٢)].

فانظر كيف بحث هذا الرافضي عن ملجئ يفر إليه من الإقرار للهلالي بالحق والغلبة على الرافضة.

ويظهر لي ـ والله أعلم ـ أن هذه مفسدة قليلة بجانب المصالح الكبيرة المتحققة من المناظرات، وأيضاً قد يكون بعض رؤوس المبتدعة تابوا ورجعوا عن بدعتهم دون أن يظهروا ذلك لأقوامهم، لأسباب لا تخفى.

• ومن مفاسد هذه المناظرات، ما يقع ـ أحياناً ـ من تبادل ألفاظ السب والشتائم، وما شابهها مما لا يليق، وهذا وإن كان قليلاً، إلا أنه موجود في بعض المناظرات.

---

(١) انظرها في: «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» للهلالي ص١٥٠ ـ ١٨٠.

(٢) قال ذلك إدريس الحسيني، في كتابه «لقد شيعني الحسين» ص٣٠.

ويمكن تجنب ذلك، بحسن اختيار المتناظرين ابتداءً، وأن يكون المذيع أو مدير الحوار حازماً، حسن الإدارة للحوار، قادراً على التصرف وعلاج الأمر في مثل هذه المواقف.

وبهذا يتبين أن منافع هذه المناظرات، ومصالحها أكثر من مفاسدها، بشرط الالتزام بما تقدم، والاهتمام أيضاً بالتحلي بصفات المناظر، وسيأتي تفصيل ذلك[١].

(١) انظر المبحث القادم.

المبحث الثالث

آداب المناظرة

تمهيد

تعتبر المناظرة وسيلة لا يستهان بها في دعوة الناس، وحماية العقيدة، ودحض أهل البدع، وتحذير الناس منهم، إلا أن لها آداباً إذا تحلى بها المتناظران، تحقق المقصود من المناظرة.

ومن هذه الآداب:

١ ـ إخلاص النية لله:

والإخلاص هو شرط قبول العمل، قال الإمام المزني: «وحق المناظرة أن يراد بها الله ﷻ، وأن يقبل منها ما يتبين»[(١)].

وأن يجعل المناظر نيته إظهار الحق وبعيداً عن الرياء والمباهاة، قال تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢١٣].

والعزم على الانقياد للحق إذا تبين له، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

ويعترف بخطئه إذا تبين له، قال الامام الغزالي في شروط المناظرة: أن يكون كل طرف من طرفي المناظرة في طلب الحق كناشد ضالة، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه. .واعلم أن المناظرة لقصد

---

(١) جامع بيان العلم ٢/ ١٣٢.

الغلبة والتظاهر بالعلم والفضل والتشدق عند الناس وقصد المباهاة هي: منشأ جميع الأخلاق المذمومة عند الله، المحمودة عند عدو الله إبليس، ونسبتها للفواحش من الكبر والعجب والحسد وحب الجاه وغير ذلك كنسب شرب الخمر للفواحش الظاهرة من الزنا، والقتل والسرقة[١].

٢ ـ أن يكون الموضوع المحدد للمناظرة، نافعاً لسامعه، مفيداً، يستحق أن يبذل فيه الجهد، والبعد عن المناظرة ولا حوار في المواضيع التافهة قليلة الفائدة، قال الإمام مالك: «أدركت أهل هذا البلد ـ يعني المدينة ـ وهم يكرهون المناظرة والجدل إلا فيما تحته عمل»[٢].

٣ ـ العلم بالموضوع الذي يناظر فيه:

فيشترط العلم لمن يناظر ويعلم نقاط القوة والضعف لدى الخصم والثوابت والفروع.

قال تعالى: ﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [آل عمران: ٦٦].

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٣٥]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

قال شيخ الإسلام: «وكان السلف ينهون عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة»[٣].

٤ ـ أن يحتج المناظر بالكتب التي يعتمدها خصمه.

وذلك حتى تقوم الحجة على الخصم، ويقبل ما يورده خصمه عليه، كما بيَّن ربنا ﷻ هذا المنهج في كتابه فقال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران: ٩٣].

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ٢٠١.

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٣٢.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٧/ ١٧٣.

فإن كان يهودياً تحتج عليه بالكتب التي يعتمدها في دينه، مما يوافق ما تحتج به عليه، وإن كان نصرانياً فكذلك، وإن كان شيعياً ألزمته بما ورد في كتبهم المعتمدة عندهم(١).

٥ ـ حدد موضوع المناظرة، فلا تجعل المناظرة مفتوحة تناقش فيها كل نقاط الاختلاف.

وذلك حتى لا تتشعب المواضيع، ويضطرب ذهن السامع الباحث عن الفائدة من المناظرة، فتحدد النقاط التي يحصل النقاش فيها، وتكتب، ولا يخرج عنها الحديث والحوار.

٦ ـ ركز على موضوع المناظرة وليس شخصية من يناظرك.

وهذا أمر مهم، لتتحقق الفائدة من المناظرة، ولا تخرج عن موضوعها الأساسي، وهذه أخلاق الكبار، أما من ينشغل بنقاش أمور تتعلق بشخصية من يناظره، ليحرج خصمه، أو يشتت ذهنه، فهذا يضيع فائدة المناظرة، وقد يسقط من عين الجمهور المتابع.

٧ ـ لا تسمح لخصمك بالانتقال عن الموضوع الأصلي للمناظرة، إلا إذا انتهى النقاش فيه.

وذلك أن بعض المناظرين، إذا شعر بهشاشة رأيه، وسقوط حجته، وضيق الزاوية التي حصر فيها، حاول أن يخرج من الموقف بالانتقال إلى موضوع آخر، وهذا ما يسميه العلماء «حيده» عن المناظرة، وهي فعل الضعفاء.

وانظر إلى ما ذكره الله تعالى لنا في القرآن، في: مناظرة موسى ﷺ مع فرعون لما أراد فرعون تغيير موضوع المناظرة واستفزاز موسى إلى موضوع آخر، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا

(١) مثل كتاب «الاستبصار» و«الصحيفة السجادية» و«الكافي» و«بحار الأنوار» و«كتاب الجفر الجامع» و«من لا يحضره الفقيه» و«معاني الأخبار» و«المجالس» و«علل الشرائع» و«تحفة العقول» وغيرها.

بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣ ـ ٣٣].

قال الإمام أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي في معرض كلامه عن الجدل: «فأما آدابه التي إذا استعملها الخصم وصل بغيته، وإن لم يستعملها كثر غلطه واضطرب عليه أمره: تحديد السؤال والجواب، وترك المداخلة[1]، والإمهال إلى أن يأتي الخصم على آخر كلامه، وينتظم آخر معانيه، والإقبال على خصمه والإصغاء إليه دون غيره، وأن لا يخرج من مسألة إلى أخرى حتى يستوفي الكلام في الأولى، واستعمال الحسن الجميل دون التشنيع والتقبيح، وحفظ المقول، لئلا تجري مناكرة لما قيل، أو دعوى ما لم يقل، ولا يغير كلامه بما يحيل المعنى، ولا يلغو في نوبته، لأن ذلك يعمي عين البصيرة ويكسر حدة الخاطر»[2].

وانظر كذلك إلى نبي الله نوح ﷺ في: مناظرته مع قومه، وهم يغيرون الموضوع، ويحاولون استفزازه باتهامه في شخصه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: ٥٩ ـ ٦٢].

٨ ـ أحسن اختيار من تناظر.

ارفع نفسك عن مناظرة البطالين الذين لا هم لأحدهم إلا إضاعة الوقت في المناظرات، وكثرة الحوارات، ولا يعود عن باطله وإن تبين له الحق، كما

---

(١) يعني مقاطعة المتحدث.

(٢) كتاب الجدل لأبي الوفاء بن عقيل ص٢٤.

قال ﷻ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٩ ـ ولا تناظر من تهابه عند الحوار.

وذلك أن المرء إذا ناظر من يهابه، كأن يكون شيخاً له، أو عالماً له أتباعه، أو حاد العبارة شديد الكلام، فهنا إن كان خصمه أقل منه، فقد يرتج عليه في المناظرة، ويتشتت ذهنه، وتضيع منه الحجج.

ويمكن أن يستأنس هنا بقوله ﷺ: «**رحمة الله على لوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد إذ قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] فما بعث الله من بعده نبياً إلا في ذروة من قومه**»[(١)].

١٠ ـ إن كنت ناقلاً فاحرص على صحة النقل، وإن كنت مدَّعياً فأورد الدليل.

وذلك أنه ولا يحسن بالمرء الاستدلال بدليل ضعيف، أو حكاية أثر أو قول غير ثابت، فإن ذلك يهدم بناءه، ويضعف حجته، ويمكن منه خصمه.

وإذا الدعاوي لم تقم بدليلها ... بالنص فهي على السفاه دليل

١١ ـ لا تلتفت أثناء المناظرة إلى من يحاول إثارة الفتنة أو الشغب من جمهور الحاضرين، أو من المناظرين الآخرين، بل ركز فكرك واجمع حجتك، لحوار نظيرك، ولا تلتفت إلى الحاضرين غيره، ولا تنشغل بهم سواء مدحوك أو ذموك.

ومن لطائف ما أورده أهل الأدب في ذلك:

أنه اجتمع متكلمان، فقال أحدهما للآخر:

١٢ ـ هل لك في المناظرة؟

فقال الآخر: نعم، على شرائط:

- ألّا تغضب
- ولا تعجب

---

(١) رواه الترمذي (ح٤٢٥)؛ وأصله في البخاري (ح١٢٥٤).

- ولا تشغب
- ولا تحكم
- ولا تُقبل على غيري وأنا أكلمك
- ولا تجعل الدعوى دليلاً
- ولا تجوّز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلّا جوزت لي تأويل مثلها على مذهبي.
- وعلى أن تؤثر التصادق.
- وتنقاد للتعارف.
- وعلى أن كلاً منا يبني مناظرته على أن الحق ضالته والرشد غايته[١].

١٣ ـ الإنصات التام للخصم وعدم مقاطعته.

فإنك إذا لم تنصت لخصمك فلن ينصت لك، وعندها ما الجدوى من المناظرة؟

ولنا في رسول الله ﷺ، أسوه حسنة، فإنه لما أتى عتبة إلى رسول الله ﷺ فقال:

يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ.

فقال عتبة: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ.

فقال عتبة: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك قد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، أما والله ما رأينا سخطة أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً، ما ينتظر إلا مثل صيحة الحبلى، بأن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى!

أيها الرجل! إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك من أموالنا حتى تكون

---

(١) الراغب الأصفهاني، في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ص٢١٥.

أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش فنزوجك عشراً.

والنبي ﷺ ينصت إليه بهدوء، لم يقاطعه، ولم يعترض عليه، حتى إذا انتهى عتبة من كلامه، قال له رسول الله ﷺ بكل أدب: **أفرغت؟**

قال: نعم.

فقال رسول الله ﷺ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ حتى بلغ ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ۝١٣﴾، فقال عتبة: حسبك[1].

١٢ ـ كن عادلاً، ولا تنكر الحق في كلام خصمك، حتى وإن كان أكثر كلامه باطلاً.

وتأمل فيما حكاه الله تعالى عن نبي الله موسى ﷺ، في حواره مع فرعون، قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝١٨ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝١٩ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢١ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝٢٢﴾ [الشعراء: ١٨ ـ ٢٢].

١٣ ـ أن لا يستأثر أحد المتناظرين بالكلام، بل يقسم بينهما بالعدل.

قال ابن عقيل: «وليتناوبا الكلام مناوبة لا مناهبة، بحيث ينصت المعترض للمُستَدِلّ حتى يفرغ من تقريره للدليل، ثم المُستدِلُّ للمعترض حتى يُقرر اعتراضه، ولا يقطع أحد منهما على الآخر كلامه وإن فهم مقصوده من بعضه»[2].

١٤ ـ لا تستعجل بالرد على الخصم إلا بعد الفهم التام لما قال، ولا تخجل من طلب التوضيح أو التكرار عند الحاجة إلى ذلك.

وذلك أن «المستدلّ إذا بيّن دعواه بدليل، فإن خفي على الخصم مفهوم

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ـ ٦/ ٢٢، من رواية جابر بن عبد الله ﷺ. ورجاله ثقات.

(٢) فن الجدل ص٣٤.

كلامه لإجمال أو غرابة فيما استعمل استفسره، وعلى المستدلّ بيان مراده عند الاستفسار، وإلّا يبقى مجهولاً فلا تمكن المناظرة»[١].

ولا تستعجل بالرد على الشبهة، «ولا ترد على أحد جواباً حتى تفهم كلامه، فإن ذلك يصرفك عن جواب كلامه إلى غيره، ويؤكد الجهل عليك، ولكن افهم عنه، فإذا فهمته فأجبه ولا تعجل بالجواب قبل الاستفهام، ولا تستح أن تستفهم إذا لم تفهم فإن الجواب قبل الفهم حُمق»[٢].

١٥ ـ تخير الألفاظ الفصيحة الواضحة، وتجنب العامية والكلمات غير المفهومة أو الألفاظ التي تحتمل معنيين.

فإن المتكلم عبر الوسائل الإعلامية العامة؛ كالقنوات الفضائية، وقنوات الشبكة العنكبوتية، يسمعه ويشاهده كل أحد مع اختلاف الأجناس واللغات، وقد قال الله تعالى في حكاية دعاء موسى عليه السلام: ﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾ [القصص: ٣٤].

١٦ ـ من ذكاء المناظر وحنكته، أن يسأل خصمه أسئلة غير متوقعه، ويورد عليه إيرادات مفاجئة، لكنها جميعاً داخلة في موضوع المناظرة، وذلك أن الخصم يكون مستعداً لأسئلة مشهورة، قد جهز الرد عليها، فمباغتته بسؤال لم يتوقعه، يُظهر عجزه وجهله.

١٧ ـ اهدم الرأي الباطل ثم اشرح الحق، ليستقيم كلامك عند السامع.

معلوم أن المناظر الذي يبدأ المناظرة يشرع في بيان ما يراه حقاً، مع الاستدلال له، فهو يبني بناءً يقويه بحجته ودليله، عندها فإن الطرف الآخر المعترض المخالف لا يصح أن يبدأ بالاستدلال لرأيه أيضاً إلا بعد أن يهدم ما بناه خصمه، وذلك لتكتمل الفائدة وتزول الشبهة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن الدليل إن لم تقرر مقدماته ويجاب عما يعارضها لم يتم.. فإن المبتدع الذي بنى مذهبه على أصل فاسد متى

---

(١) الموسوعة الفقهية ٣٩/ ٥٤.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٤٨.

ذكرت له الحق الذي عندك ابتداءً أخذ يعارضك فيه، لما قام في نفسه من الشبهة.. فينبغي إذا كان المناظر مدعياً أن الحق معه أن يبدأ بهدم ما عنده، فإذا انكسر وطلب الحق فأعطه إياه، وإلا فما دام معتقداً نقيض الحق لم يدخل الحق إلى قلبه، كاللوح الذي كتب فيه كلام باطل، امحه أولاً، ثم اكتب فيه الحق»[١].

١٨ ـ اختصر كلامك قدر المستطاع عند عرض رأيك، دون إخلال بالمعنى.

وذلك أن السامع للمناظرة الباحث عن الحق، ربما شق عليه فهم الكلام مع التطويل والتفصيل، وربما أيضاً شرد ذهنه وهجمت عليه السآمة والملل.

ومن لطائف ما ذُكر في ذلك، أن الإمام الباقلاني كان كثير التطويل في المناظرة مشهوراً بذلك عند الجماعة، وجرى يوماً بينه، وبين أبي سعيد الهاروني مناظرة، فأكثر القاضي أبو بكر المذكور فيها الكلام، ووسع العبارة، وزاد في الإسهاب، ثم التفت إلى الحاضرين، وقال: اشهدوا علي أنه إن أعاد ما قلت لا غير لم أطالبه بالجواب!

فقال الهاروني: اشهدوا علي أنه إن أعاد كلام نفسه سلمت له ما قال![٢].

وقال طاش كبري زاده، في منظومته عن آداب المناظرة:

وليجتنب فيها عن الإطناب ... ثم عن الإيجاز والخطاب
إلى رفيع القدر والمهابة ... وعن كلام شابه الغرابة
ومجمل من غير أن يفصلا ... كذا تعرّض لما لا مدخلا
كذاك عن دخل قبيل الفهم ... لا بأس من إعادة للفهم
ولا يظن خصمه حقيرا ... وليلزم التعظيم والتوقيرا
ثم عن الضحك وما قد ذكرا ... وما عنيناه ومنا صدرا

(١) العقيدة الأصفهانية ١/ ٢٣.
(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٢٦٩ في ترجمة الباقلاني.

إيراده قد صح في ذا الباب فهذا خواتيم الآداب[١]

١٩ ـ لا تبدأ المناظرة إلا وأنت مستقر النفس، مرتاح البال، فلا تناظر وأنت خائف، أو جائع، أو مريض، أو غضبان، أو منشغل البال بشيء، وذلك حتى تستجمع الفكر، وتستحضر الحجة، وتأمن الغلط.

٢٠ ـ حاول أن تورد في البداية الآراء المتفق عليها بينك وبين الخصم، وأن تسأله أسئلة يكون جوابها: نعم، وهذا أمر نفسي معروف، وهو من طبيعة البشر.

فمثلاً عند مناظرة الرافضي الذي ينصب للصحابة ﷺ العداء، قل له ابتداءً:

ألست تؤمن أن الله تعالى يختار لرسوله الأصلح؟

فيقول: نعم.

فقل: أليس الله تعالى قد فضح أعداداً من المنافقين، ونص على صفاتهم تصريحاً؟

فيقول: نعم.

فقل: إن الله تعالى أثنى على أبي بكر في القرآن، وسماه صاحباً لرسوله ﷺ، وقدر أن يدفن أبو بكر بجانب رسول الله ﷺ، ألا يدل هذا على فضيلة أبي بكر؟

فقد يسكت، أو يقول: نعم ـ مضطراً ـ.

فقل: أفيكون هذا كله لأبي بكر وهو منافق أو كافر كما تزعم؟

إلى غير ذلك مما يمكن أن يناظر به المخالفون، سواء من المنتسبين إلى الإسلام، أو غيرهم.

٢١ ـ لا تناقش في فروع المسائل وتفصيلاتها، وأنت وخصمك لم تتفقا على الأصل.

---

(١) ذكرها في كتابه «علم البحث والمناظرة» نقلاً عن كتاب الذخيرة في المصنفات الصغيرة لأبي عبد الرحمٰن بن عقيل للظاهري ١/ ٢٩٥.

وصورة ذلك: أن تناظر أحد الشيعة في مناقب أبي بكر ﷺ وهذا الشيعي يعتقد كفر أبي بكر ﷺ! بل أقم عليه الحجة ابتداءً بإيمان أبي بكر ﷺ، ثم ناقشه في الفروع، كما قيل أثبت العرش ثم انقش.

٢٢ ـ اجمع قبل المناظرة أكثر ما تستطيع من مسائل، لتناظر بها الخصم.

حتى إذا ذُهلت عن مسألة، أو لم يناسب السياق إيرادها، أوردت غيرها، وليكن لك أسوة بنبي الله تعالى إبراهيم ﷺ في مناظرته للنمرود، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

٢٣ ـ احفظ لسانك، وجمّل منطقك، ولا يستثرك الخصم، ولا يجرك إلى استعمال ألفاظ عبارات الشتم واللعن، والسخرية والاستهزاء والتهكم.

ولا شك أن حفظ اللسان، وتجنب اللغو، هو من أخلاق المؤمنين، فضلاً عن أن يكون من أهم أخلاق أهل العلم، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال لموسى ﷺ: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٢ ـ ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعَّان، ولا اللعَّان، ولا الفاحش، ولا البذيء**»(١).

٢٤ ـ ضبط النفس وعدم الانفعال والحرص على التلطف مع الخصم أثناء الحوار بكلماتِ مودةٍ واحترام طيلة المناظرة، رغبة في جرّه إلى الخير، وجذبه لأهله.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٣٣٨)؛ وأحمد (٣٨٣٩)؛ والبخاري في الأدب المفرد ٣١٢؛ والترمذي (١٩٧٧)؛ وابن أبي عاصم في السُّنَّة ١٠١٤.

ومن جميل ما ورد في ذلك، ما جاء عن ابن عون رحمه الله تعالى: «أنّه كان إذا أغضبه رجل، كظم غيظه وقال له: بارك الله فيك»[١]، وأعجب منه ما روي عن يوسف ابن الإمام ابن الجوزي من ضبط نفسه أثناء المناقشة، فقد حكي عنه أنه «كان يناقش ولا يحرك جارحة!»[٢]، وجاء عن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة: «أنه كان لا يناقش أحداً إلا وهو يبتسم، حتى قال بعض الناس: هذا الشيخ يقتل خصمه بالتبسم!»[٣].

وكان المبارك ابن المبارك الضرير النحوي قد التزم سماحة الأخلاق، وسعة الصدر، فكان لا يغضب من شيء، ولم يره أحد قط حردان، وشاع ذلك عنه، فبلغ ذلك بعضهم فقال: ليس له من يغضبه، ولو أُغضب لغضب! فخاطره أشخاص على أن يغضبه.

فجاءه، فسلم عليه، ثم سأله عن مسألة نحوية، فأجابه الشيخ بأحسن جواب، ودله على محجة الصواب.

فقال له: أخطأت!

فأعاد الشيخ الجواب بألطف من ذلك الخطاب، وسهل طريقته، وبيَّن له حقيقته.

فقال له: أخطأت أيها الشيخ، والعجب ممن يزعم أنك تعرف النحو، ويهتدي بك في العلوم، وهذا مبلغ معرفتك!!

فلاطفه، وقال له: يا بني لعلك لم تفهم الجواب، وإن أحببت أن أعيد القول عليك بأبين من الأول فعلت.

فقال الرجل: كذبت! لقد فهمتُ ما قلتَ، ولكن لجهلك تحسب أنني لم أفهم.

فقال الشيخ ـ وهو يضحك ـ: قد عرفت مرادك، ووقفت على مقصودك،

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٦٦.
(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٦٠.
(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ١٣٧.

وما أراك إلا وقد غُلبت، فأدِّ ما بايعت عليه، فلستَ بالذي تغضبني أبداً، وبعد يا بني: فقد قيل إن بقة جلست على ظهر فيل، فلما أرادت أن تطير قالت له: استمسك فإني أريد الطيران! فقال لها الفيل: والله يا هذه ما أحسست بك لما جلست! فكيف أستمسك إذا أنت طرت؟!

والله يا ولدي ما تحسن أن تسأل، ولا تفهم الجواب، فكيف أستاء منك[١].

٢٥ ـ تجنب أسلوب التحدي وكن رفيقاً حسن النية، وذلك أن التحدي قد يجعل الخصم يكابر ولا يعترف بخطئه حتى لو اقتنع به في داخل قلبه، إلا إذا رأيت أن الخصم يكابر ـ مع قناعته ـ وأن تحديك له سيسوقه إلى الاعتراف بالحق، فهنا لكل مقام مقال، كما قال ربنا تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

٢٦ ـ ليكن هدفك في المناظرة بيان الحق، وإيضاحه، وليس شرط انتصار الحق في المناظرة أن يعترف الخصم بخطئه.

فلا تتكلف إلجاءه إلى الزوايا الضيقة لتضغط عليه ليصرح بالاعتراف بخطئه، إلا إذا كان في ذلك مصلحة ظاهرة، كتحذير الناس منه، أو تنفير أتباعه العوام عنه، أو ما شابه ذلك.

والمقصود من المناظرة إظهار الحق، وتعريف الناس به، وفضح الباطل، وتحذير الناس منه، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

٢٧ ـ تكلم أثناء المناظرة بصوت معتدل، فلا تخفضه خفض الضعيف المتخاذل، ولا ترفعه رفع اللجوج المتعالي، بل اجعل صوتك متوسطاً.

وقد وُجد بالخبرة والتجربة، أنَّ الصوت المعتدل الهادئ المتأني من غير صراخ أو صياح، ومن غير إسرارٍ وإخفات، هو الأدخل إلى النفوس، والأنفذ إلى الأعماق، والأحفظ لجلال الكلمة ووقار المتكلم.

---

(١) معجم الأدباء ٥/ ٤٤.

ولا يحسن بالمحاور أن يرفع الصوت أكثر مما يحتاج إليه السامع، فإنَّ رفع الصوت لا يُقوِّي حجة صاحبه، وفي أكثر الحالات يكون صاحب الصوت الأعلى قليل المضمون، ضعيف الحجة، يستر عجزه بالصراخ، على عكس صاحب الصوت الهادئ الذي يعكس عقلاً متزناً وفكراً منظماً وحجة وموضوعية.

قال أبو عثمان محمد بن الشافعي: ما سمعتُ أبي ناظر أحداً قط فرفع صوته[١].

غير أن الإنسان قد يضطر إلى تغيير نبرات الصوت تبعاً للموقف ونوع الكلام، لينسجم الصوت مع الفكرة التي يناقشها، كما قال ربنا تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨].

٢٨ ـ التواضع وترك الإعجاب بالنفس.

ولا شك أن التزام الأدب وحسن الخلق ـ عموماً ـ والتواضع أثناء المناظرة على وجه الخصوص، له دور كبير في إقناع الطرف الآخر، وقبوله للحق، وإذعانه للصواب، فكل من يرى من مُحاوره توقيراً وتواضعاً، وخلقاً كريماً، وعبارة رفيقة، فإن ذلك يدعوه إلى أن يحترم مُحاوره، ويفتح قلبه لسماع رأيه، وربما رجع عن الباطل الذي يعتقده، وإن لم يصرح بذلك.

٢٩ ـ لا تكثر استعمال ضمير المتكلم، مثل: «في رأيي» أو «أرى» فهي ثقيلة على أذن السامع ونفسه، والصواب استعمال عبارات عامة مثل «وقد تقدم قبل قليل..»، و«مما سبق يتبين..»، ونحوها من العبارات التي لا تنسب فيها الفعل إلى نفسك.

٣٠ ـ ومن آداب المناظرة إنصاف الخصم، وعدم ظلمه، فلا تستغل جهله فتنسب إلى مذهبه ما ليس فيه، ولا تعتدِ على وقته المخصص له في المناظرة، وأثنِ على ما يورده من حق، وربنا تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

---

(١) تهذيب الأسماء، للنووي ص٨٤.

ولك أسوة بالسلف، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية عندما تكلم في بعض العلماء مثل: الجويني والباقلاني وعدد من من المتكلمين ممن لا يخلو حالهم من خلل، قال: «ثم ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساعٍ مشكورة، وحسنات مبرورة، ولهم في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السُّنَّة والدين، ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلمٍ وصدقٍ وعدلٍ وإنصاف»[1].

٣١ ـ اعرض رأيك أثناء المناظرة بأسلوب، يشعر معه الخصم أن الفكرة فكرته، حتى يقيم هو الحجة على نفسه، ليسهل عليه تبني الرأي واعتقاده.

ومن نظر في سيرة النبي ﷺ وجد أن هذا الأسلوب ظاهر في حواراته، من ذلك ما رواه أبو أمامة رضي الله عنه: أنّ فتىً شاباً أتى النّبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزّنا!

فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال له ﷺ: **«أدنه»**.

فدنا منه قريباً، فجلس.

فقال له ﷺ: **«أتحبه لأمّك؟»**.

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال: **«ولا النّاس يحبونه لأمّهاتهم، أفتحبه لابنتك؟»**.

قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك.

قال: **«ولا النّاس يحبونه لبناتهم، أفتحبه لأختك؟»**.

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال: **«ولا النّاس يحبونه لأخواتهم، أفتحبه لعمّتك؟»**.

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال: **«ولا النّاس يحبونه لعمّاتهم، أفتحبه لخالتك؟»**.

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/ ١٣٢.

قال: «**ولا النّاس يحبونه لخالاتهم**».

ثم وضع النبي ﷺ يده عليه وقال: «**اللّهمّ اغفر ذنبه، وطهّر قلبه، وحصّن فرجه**».

فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[١].

وهذا ظاهر أيضاً في محاورة إبراهيم عليه السلام مع قومه، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء: ٦٢ ـ ٦٧].

ومن لطائف ما يورد في ذلك: أن أبا العباس الطوسي سيء الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فأقبل عليه يوماً وقال له: يا أبا حنيفة، إن أمير المؤمنين يدعو الرجل منا فيأمره بضرب عنق الرجل ولا يدري أحدنا ما هو! أيسعه أن يضرب عنقه؟

قال أبو حنيفة: يا أبا العباس، أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل؟

قال أبو العباس: بالحق.

قال أبو حنيفة: أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه.

فلما رحل أبو العباس، قال أبو حنيفة لمن حوله: إن هذا أراد أن يوثقني فربطته[٢].

٣٢ ـ قد تنتهي المناظرة، أو المناظرات، وخصمك مصرّ على رأيه، مع ضلال هذا الرأي، ويظهر له الحق واضحاً كوضوح الشمس، ومع ذلك لا يتبعه، إما غياً واستكباراً، أو جهلاً وضلالاً، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا

---

(١) رواه أحمد في مسنده ح ٢٢٤٥؛ والطبراني في المعجم الكبير (ح٢١٤).

(٢) الأذكياء لابن الجوزي ص٧٩.

وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤][(١)].

فهنا لا تعتبر نفسك فشلت في المناظرة، ولا يخذلك عن نصح غيره، ومناظرته، فقد يقبل الحق في داخل نفسه دون أن يظهر لك ذلك، أو قد يقبله أتباعه الذين رأوا حجته دُحضت، ومذهبه أُسقط، قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل: ٨٢، ٨٣].

٣٣ ـ بعد انتهاء المناظرة، ومفارقتك مناظرك، احذر من غيبته عند من يسألك عنه، أو تنقصه والكلام في عرضه، إلا إن احتجت إلى التحذير منه، فاذكر ما اضطررت إليه من بيان حاله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم: ١٠، ١١].

فهذه بإيجاز جملة من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المناظر عموماً، سواء ناظر في قضية عقدية أو فقهية، أو سياسية، أو غيرها، وسواء كان المتناظران كلاهما من أهل السُّنَّة والجماعة، أو كان أحدهما من أهل السُّنَّة والآخر مبتدعاً، فإن المتناظرين في كل هذه الأحوال ينبغي أن يلتزموا بالآداب لتؤتي مناظرته أكلها، وتحقق الغاية منها.

أما إن كانت المناظرة في العقيدة، وكان المناظر المخالف هو من أهل البدع، وكانت المناظرة علنية في القنوات الفضائية أو ما شابهها، فهناك آداب تضاف لهذه الآداب، أعرضها في المبحث القادم.

(١) للاستزادة من آداب المناظرة يمكن مراجعة: كتاب «فن المناظرة» للأستاذ عمر سليم، منشور في الشبكة العنكبوتية، و«أصول الجدل والمناظرة» للشيخ حمد بن إبراهيم العثمان، وأدب الحوار والمناظرة للأستاذ علي جريشة، آداب البحث والمناظرة للشيخ الأمين الشنقيطي، وغيرها.

المبحث الرابع

توجيهات عامة لمناظر المبتدعة

تمهيد

تقدم عرض آداب المناظرة، وأخلاق المناظر، بوجه عام، لكني هنا سأسوق توجيهات خاصة لمن يناظر أهل البدع عامة، والشيعة خاصة.

فمن يريد خوض المناظرات، والمشاركة في الحوارات، لا بد أن يتحلى بصفات، ليحقق الغاية من المناظرة، ويصيب الهدف الذي تناظر لأجله.

وفيما يلي أعرض شيئاً من الصفات التي ينبغي توافرها في المشارك في هذه المناظرات، وأسوق بعض التوجيهات حول ذلك:

١ ـ أن يكون المشارك من أهل السُّنَّة والجماعة ممن يستحق أن يمثل الإسلام، ويتحدث باسم المسلمين.

وذلك يتحقق بشروط:

- أن يكون فصيحاً، واضح العبارة، سهل الشرح والبيان، ليفهمه عوام الناس، وجهلاؤهم قبل غيرهم.
- أن يكون عنده من الجرأة والشجاعة، ما يعينه على بيان الحق، وعدم السكوت عن الباطل.
- أن يكون سريع البديهة، ذكياً، لماحاً، له قدرة على مباغتة الخصم، وانتهاز الفرص أثناء المناظرة.
- أن يكون حليماً، قادراً على ضبط نفسه، غير متعجل، ولا سريع الانفعال، ولا يستجيب لإثارة الخصوم له.

• أن يكون له علم واسع بمذهب أهل السُّنَّة، ومذهب المخالف، ليستطيع الإجابة عن الشبهات، ويبين رأي أهل السُّنَّة والجماعة بوضوح، ولئلا ينسب إلى أهل السُّنَّة والجماعة ما ليس في مذهبهم.

• أن يكون في قلبه من الدين والإيمان ما يعصمه بإذن الله من الشبهات، قال الإمام مالك بن أنس: «الداء العضال التنقُّل في الدين، وقال: قال رجلٌ: ما كنتَ لاعباً به فلا تلعبَنَّ بدينك»[١].

• أن يتنبه غاية التنبه لقلبه ونيته، وسلامة عقيدته، ويقول لنفسه: «إني لو نجوتُ وعطب أهلُ الأرض من أهل الأهواء ما ضرني ذلك، ولو عطبتُ ونجَوا ما نفعني، فإقامتي الحجة عليهم وتركي أن أقيم الحجة على نفسي - في تضييعي أمره حتى أؤدي ما أمرني به ربي، وأنتهي عمَّا نهاني عنه، وأربح أيام عمري ليوم فقري وفاقتي - أولى بي فقد شغلوني عن نفسي وعن العمل لنجاتي»[٢].

• أن يكون له ارتباط بإخوانه من العلماء وطلبة العلم، تثبيتاً له على الخير، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

• أن يكون له معرفة ومقدرة على البحث السريع فيما أشكل عليه من كلامه أو كلام الخصم، وذلك إما بالاتصال بأهل العلم، أو استعمال الوسائل الحديثة مثل الأقراص الممغنطة المحتوية على ملايين الصفحات، أو الشبكة العنكبوتية.

• أن يحذر من إغراءات الخصوم، وكيدهم، ومكرهم، وذلك أن المبتدع قد يسلك معه طرقاً يوصل بها إليه ضرراً، أو يغريه بمال أو هدية، يستميل قلبه، ليسكت عن الحق أو بعضه.

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة ٢/٥٠٦.

(٢) الرعاية لحقوق الله تعالى للحارث المحاسبي ص٤٦٠.

٢ ـ كلما كان المشارك من أهل السُّنَّة له وجاهته، وشهرته، كان أثره أكبر، سواء على أهل السُّنَّة أو غيرهم.

٣ ـ الحرص على أن لا يشتغل أكثر وقته بهذه المناظرات، ويغفل عن قلبه وصلاح نفسه، قال جعفر بن محمد: إياكم والخصومة في الدين؛ فإنها تُشغل القلب، وتورث النفاق[١].

٤ ـ وجود حكم في المناظرة يفصل بين الخصمين عند الاختلاف، أو أصول يرجع إليها.

وذلك أن المناظر قد يستدل بحديث على خصمه المبتدع فيرده الخصم بناء على أن الراوي غير معتمد عنده، أو الكتاب ليس بحجة عنده.

قال الإمام الشاطبي: «روينا أن الخصمين إما أن يتفقا على أصل يرجعان إليه أو لا، فإن لم يتفقا على شيء لم يقع بمناظرتهما فائدة بحال».

والأصل هو الرجوع للكتاب والسُّنَّة أن كان المتناظرين مسلمين: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا تنازع المسلمون في مسألة وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، فأي القولين دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة وجب اتباعه»[٢].

ولا يجوز التحاكم إلى عقول الناس لأن العقول متفاوتة في الفهم والإدراك، قال شيخ الإسلام: «وهذا لأن الناس لا يفصل بينهم النزاعَ إلا كتاب من السماء، وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل»[٣].

وكان أبو هريرة يتوضأ مما مست النار، فبلغ ذلك ابن عباس فأرسل إليه: أرأيت لو أخذت دهنة طيبة فدهنت بها لحيتي أكنت متوضئاً؟ قال أبو

---

(١) الإبانة الكبرى ٢/ ٥٢٦.
(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٢.
(٣) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٢٩.

هريرة: يا ابن أخي، إذا حدثت بالحديث عن النبي فلا تضرب له الأمثال جدلاً[١].

وإن كان المناظر ملحداً أو لا يؤثر فيه النصوص، سواء من القرآن والسُّنَّة، أو كتبه، أو غيرها فتناظره بالأدلة العقلية والبراهين.

وقد ذكر الله تعالى هذه الطريقة في القرآن، فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥] وقوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ [مريم: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [الإسراء: ٩٩].

٥ ـ أن لا يقبل المناظر السُّنِّي أن يناظر كل أحد من المبتدعة مناظرات معلنة جماهيرية، بل يناظر رؤوسهم الذين لهم تأثير، وذلك أن هؤلاء معتمدون عند قومهم، وقولهم حجة في مذهبهم، وكلامهم له وزنه، ودحضهم وفضح باطلهم، له تأثيره.

أما صغار المبتدعة والمغمورون فهؤلاء لا ينبغي الاستجابة لمناظراتهم، وذلك أنه إذا ناظر العالم السُّنِّي مبتدعاً غير مشهور ولا معتمد في مذهب قومه فقد يظهر هذا المبتدع لعوام الناس، ويعرفونه، وربما صار له مستمعون ومتابعون بعدها، بعدما كان مغموراً لا يكاد يعرفه أحد، بل مثل هذا لا يناظر على الملأ، ولكن يُنصح ويُناظر في مجالس مختصرة.

فمجالسة أئمة السُّنَّة للمبتدع قد تغرُّ به مَن سَلِم من هذه البدعة ولم يعلم بها، أو قد تعطي لهؤلاء شيئاً من الاعتبار والمكانة التي لا يستحقونها، وقد تؤدي إلى شهرة المبتدع وظهوره وانتشار البدعة وعلم الناس البرءآء منها.

قال أبو القاسم الأصبهاني وهو يذكر فصولاً مستخرجة من السُّنَّة: «وترك مجالسة أهل البدعة ومعاشرتهم سُنَّة؛ لئلا تعلق بقلوب ضعفاء المسلمين بعضُ بدعتهم، وحتى يعلم الناس أنهم أهل بدعة، ولئلا يكون في

(١) أورده ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام ٢/ ١٠٤.

مجالستهم ذريعة إلى بدعتهم»[١].

فكان الحزم عند وُجهاء أهل السُّنَّة، الحذر من استفادة هؤلاء المغمورين من جماهير أهل السُّنَّة.

وقد هجر الإمامُ أحمد بن حنبل الحارثَ المُحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على المبتدعة، وقال له: ويحك، ألستَ تحكي بدعتهم أولاً ثم ترد عليهم؟!، ألستَ تحمل الناسَ بتصنيفك على مطالعة البدعة؟ والتفكر في تلك الشبهات؟ فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث[٢].

ولعل هذا هو الذي أدخل على الحارث رَحِمَهُ اللَّهُ التأثر ببعض المذاهب البدعية فدخلت عليه البدعة من حيث أراد ردها[٣].

وقال ابن هانيء: «سألت أبا عبد الله عن رجل مبتدع داعية يدعو إلى بدعته، أيجالس؟. قال: لا يجالَس ولا يُكلَّم لعله أن يرجع»[٤].

قال الإمام اللالكائي: «فلم تزل الكلمة مجتمعة، والجماعة متوافرة على عهد الصحابة الأول ومن بعدهم من السلف الصالحين حتى نبغت نابغة بصوت غير معروف، وكلام غير مألوف في أول الإمارة المروانية تنازع في القدر وتتكلم فيه.. ثم انطمرت هذه المقالة، وانجحر من أظهرها في جحره، وصار مَن اعتقدها جليسَ منزله، وخبَّأ نفسه في السرداب كالميِّت في قبره؛ خوفاً من القتل والصلب والنكال والسَّلب، ومِن طلبِ الأئمة لهم لإقامة حدود الله عَزَّوَجَلَّ فيهم ـ وقد أقاموا في كثير منهم، ونذكر في مواضعه أساميهم ـ. وحثَّ العلماءُ

(١) كتابه الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السُّنَّة ٢/ ٥٠٩.
(٢) إحياء علوم الدين ١/ ٩٥.
(٣) وقارن بميزان الاعتدال ١/ ٤٣١ وفيه تعليق قيم للإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ؛ سير أعلام النبلاء ١٢/ ١١٢؛ موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١/ ٤٥٢ ـ ٤٦٦؛ وانظر حول منع أحمد من الرد على المبتدعة ـ أيضاً ـ: الإبانة الكبرى ٢/ ٤٧١ ـ ٤٧٢.
(٤) مسائل الإمام أحمد ابن حنبل برواية ابن هانيء ٢/ ١٥٣؛ والإبانة الكبرى لابن بطة ٢/ ٤٧٥؛ وانظر كذلك حول السكوت وترك المراء: الشريعة ١/ ٤٥٣؛ الإبانة الكبرى ٢/ ٥٢٢.

على طلبهم، وأمروا المسلمين بمجانبتهم، ونهوهم عن مكالمتهم، والاستماع إليهم، والاختلاط بهم لسلامة أديانهم. وشهّروهم عندهم بما انتحلوا من آرائهم الحديثة، ومذاهبهم الخبيثة خوفاً من مكرهم أن يُضلوا مسلماً عن دينه بشبهة وامتحان، أو بَرِيق قولٍ من لسان. وكانت حياتهم كوفاة، وأحياؤهم عند الناس كالأموات. المسلمون منهم في راحة، وأديانهم في سلامة، وقلوبهم ساكنة، وجوارحهم هادية. وهذا حين كان الإسلام في نضارة، وأمور المسلمين في زيادة»[١].

ثم ذكر بداية أمر مناظرة أهل البدع ثم قال: «فما جُني على المسلمين جنايةٌ أعظم من مناظرة المبتدعة، ولم يكن لهم قَهر ولا ذُلٌّ أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة يموتون من الغيظ كمداً ودرداً، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلاً، حتى جاء المغرورون ففتحوا لهم إليها طريقاً، وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلاً؛ حتى كثرت بينهم المشاجرة، وظهرت دعوتهم بالمناظرة، وطَرَقَ أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة..»[٢].

فهذه جملة ما تيسر جمعه في صفات المناظر، في هذا النوع من المناظرات.

وختاماً: لا ينبغي التوسع في مثل هذه المناظرات، إنما تكون على سبيل إقامة الحجة على أهل الضلال وإظهار دين الله تعالى، وهذا لا ينبغي للإنسان أن يكثر سماعه للمناظرات، ربما يقع في شبه وشبهات وضلالات.

قال تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢].

وقال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [مريم: ٣٤].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة ١/ ١٦ ـ ١٧.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٩؛ وانظر كلاماً نفيساً حول هذا المعنى في: الإبانة الكبرى لابن بطة ٢/ ٥٤٢ ـ ٥٤٤.

﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ جَـٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَـٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [النساء: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿وَجَـٰدَلُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥].

الخاتمة

أحمد الله تعالى على ما يسر وأعان من إتمام هذا البحث.. وأساله تعالى النفع والقبول..

ولا شك أن العناية بموضوع المناظرات العلنية، أمر من الأهمية بمكان.

وقد خلصت من هذا البحث إلى عدد من النتائج:

١ ـ أن المناظرات أسلوب لا يستهان به من أساليب إثبات الحق، ودحض الباطل.

٢ ـ لا بد أن يتأدب المناظر بآداب المناظرة، لتحقق المناظرة الغاية منها.

٣ ـ اهتم العلماء قديماً وحديثاً بالمناظرات، وألّفوا فيها، وشرحوا آدابها وشروطها.

٤ ـ المناظرات العلنية، في القنوات الفضائية، لها مصالح ومفاسد، لكن مصالحها أكثر من مفاسدها.

٥ ـ على المناظر في القنوات الفضائية أن يلتزم بأساليب وطرق وآداب، أكثر ممن يناظر في غير القنوات الفضائية.

٦ ـ لا ينبغي أن ينشغل طالب العلم بالمناظرات، عن صلاح نفسه، والاستزادة من العلم.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الكلمات..

والله تعالى أعلم.. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين..

كتبه

د. محمد بن عبد الرحمٰن العريفي

الأستاذ المساعد بكلية المعلمين

جامعة الملك سعود بالرياض

الرياض في ٢٤ محرم ١٤٣٠هـ

هل
تبحث عن وظيفة

هل تبحث عن وظيفة؟!

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد..

نعم.. أكثر الناس يحرصون على الوظائف.. ويتسابقون إليها..

فما يُعلن عن وظيفة شاغرة إلا ويتسابق إليها الآلاف..

ولكن هناك وظائف شاغرة.. وظائف ربانية.. عرضها الله تعالى على العالمين.. لا يوفق إليها إلا من أحب.. قال ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قبل موته.. فسأله رجل من القوم: ما استعمله يا رسول الله؟! قال ﷺ: يوفقه الله ﷻ إلى العمل الصالح قبل موته ثم يقبضه على ذلك**»(١).. ولهذا.. كان الصالحون يتحسرون على فواتها..

وانظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه عن يوم القيامة.. ويخبرهم.. أن من أمته سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب..

فيعجب الصحابة بهذا الفضل العظيم.. ويقفز عكاشة بن محصن رضي الله عنه.. سريعاً.. يبادر الموقف وينتهز الفرصة قبل أن تفوت..

ويقول: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم.. قال: «**أنت منهم**».. ويفوز بها عكاشة.. ثم يغلق الباب.. ويقال لمن بعده: «**سبقك بها عكاشة**».. نعم.. كانوا يعيشون حالة سباق في جميع أبواب الخير..

وأنت حين ترى نفسك لا تهشّ إلى مسابقة الأخيار في ميدان العمل الصالح.. فحاسب نفسك.. فلعل ذنوبك هي السبب.. وتذكر أولئك.. الذين كرههم الله فلم يستعملهم في خير أبداً.. قال الله عن المنافقين:

---

(١) صحيح، رواه الإمام أحمد وغيره.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التوبة: ٤٦].

وقد اجتهدت في جمع بعض الوظائف ذات الأجور العظيمة.. ونثرتها في هذه الورقات.. فما كان فيها من صواب فهو من توفيق الله وإحسانه وفضله.. وما كان فيها من خطأ فهو من نفسي والشيطان.. وأنا تائب إلى الله ومستغفر منه.. وقابل للتنبيه والنصح.. وشاكر وداعٍ لمن أشار ونصح..

أسأل الله أن ينفع بها المسلمين والمسلمات.. آمين..

كتبه
د. محمد بن عبد الرحمٰن العريفي
الرياض ٦/ ٦/ ١٤٢٢هـ
ص. ب ١٥١٥٩٧ ـ الرياض ١١٧٧٥
Arefy@hotmail.com

في مساء ليلة شاتية.. رن جرس الهاتف..

رفعت السماعة فإذا هو عبد الله..

نعم.. عبد الله.. قد تخرَّج من الكلية في العام الماضي، وانقطعت العلاقة بيننا منذ ذلك الحين.

ما إن سمعت صوته، حتى استعادت ذاكرتي ذاك الوجه البهيّ والجسم الممتلئ شباباً..

ـ حياك الله يا عبد الله.. مرحباً.. كيف حالك.. ما أخبارك.. ما..

قاطعني بصوت ضعيف:

*** تذكرتني يا شيخ؟**

ـ نعم.. وكيف أنساك.

لم يتفاعل مع عباراتي، ولم يبدُ منه تجاوب، لكنه قال بصوت ضعيف: أريدك أن تزورني في البيت.. ضروري.. هاه!.. أنا لا أستطيع زيارتك.. لا تسألني لماذا! إذا جئتني عرفت السبب!

قال هذه العبارات بصوت خافت حزين.. لكنه كان بنبرة جادة.. وصف لي طريق منزله.. طرقت الباب.. فتح لي أخوه الصغير.

*** أين عبد الله؟**

ـ عبد الله.. في المجلس.. تفضل..

مشى الصغير أمامي، وفتح باب المجلس، فلما دخلت المجلس دُهشت.. ماذا أرى!! عبد الله على سرير أبيض.. بجانبه عكاز.. وجهاز يُلبس في الرَّجل لأجل المشي.. ومجموعة من الأدوية.. أما هو فجسد ملقى على السرير..

قال لي مُرحِّباً وقد حاول جاهداً أن يقف على قدميه للسلام:

*** حياك الله يا شيخ.. حياك الله.. كلفناك وأتعبناك..**

- لا.. لم تتعبني في شيء.. عفواً لم أعلم بمرضك من قبل.. ولكن ماذا أصابك؟ ماذا حدث لك؟ ألم تتخرج من الكلية؟ ألم تكن تحدثني أنك سوف تتزوج، وسوف.. وسوف..

*** نعم، ولكن حدث ما لم يكن في حسباني..**

- تخرجت من الكلية قبل أشهر معدودة كما تعلم، وأصابني ما يصيب الشباب عادة من الزهو والفرح بالتخرج.. وبدأت مشوار الحياة الجديدة.. فتحت كتاب مستقبلي المزهر ورُحت استمتع بتقليب صفحاته وأحلم بأيامه السعيدة..

ومضت الأيام السعيدة سريعة.. لا يكدر صفوها إلا صداع بسيط كان ينتابني في بعض الأوقات.. ومع مضي الأيام بدأ هذا الصداع يزداد شدة وألماً.. لكن الأدوية المسكنة كانت كفيلة بالقضاء عليه.. ومضت الأيام على هذا الحال وقد تعوّد رأسي على هذا الصداع حتى صرت أنساه في كثير من الأحيان مع شدته وألمه.

لكن شدة هذا الصداع بدأت تزداد وتزداد.. وبدأ يصاحب ذلك ضعف في النظر.. حتى اشتدّ ذلك عليّ في إحدى الليالي.. فذهبت إلى قسم الطوارئ في أحد المستشفيات.. شاكياً مما أصابني من صداع وضعف في النظر.. فلما قابلني الطبيب المختص، عمل لي التحاليل والأشعة اللازمة، ثم قال لي:

- نحتاج إلى إجراء أشعة مقطعية دقيقة لرأسك، وهذا غير متوفر حالياً في المستشفى.. اذهب إلى مستوصف خاص واعمل هذه الأشعة ثم ارجع إليّ بها.. وحاول أن يكون ذلك سريعاً!..

خرجت يتملكني الوجل تارة.. والاستغراب تارة أخرى.. هذا الطبيب! لماذا يتعبني هكذا؟ كان الأحرى أن يعطيني مسكناً للصداع.. أو قطرة

للعين.. وينتهي الأمر.. وجعلت أشاور نفسي: هل أهمل الطبيب وأشعته.. واشتري دواءَ بخمسة ريالات يسكن هذا الصداع واذهب للبيت وأنام؟ أم أعمل الأشعة التي طلبها وأنظر على ماذا ينتهي الأمر.. لكني مع كل هذه الخواطر ذهبت إلى ذاك المستوصف وأجريت الأشعة.. ثم رجعت إلى الطبيب، أحمل بين يدي أوراقاً لا أفهم شيئاً من رموزها..

- تفضل يا دكتور.. هذه هي الأشعة التي طلبت.

لبس الطبيب نظارة سميكة على عينيه.. أخذ يقلب الأوراق بين يديه.. تغير وجهه.. وسمعته يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.. ثم رفع بصره إليّ وقال:

- استرح.. اجلس..

*** بشّر يا دكتور.. خيراً إن شاء الله؟**

- خيراً.. إن شاء الله.. خيراً..

وظل صامتاً، لا يرفع بصره إليّ! ثم رفع سماعة الهاتف، وبدأ بالاتصال على مجموعة من كبار الأطباء يطلب حضورهم!! ما هي إلا دقائق حتى اجتمع عنده ستة أو سبعة منهم.. بدؤوا جميعاً يقلبون نتائج التحاليل.. يتأملون صور الأشعة.. ويتحدثون باللغة الإنجليزية، ويسارقونني النظر..

مضت قرابة ساعة على هذا الحال.. وأنا في حال لا أحسد عليه..

بدأ يمرّ في عقلي شريط ذكرياتي.. أخذت استعرض سجل حياتي.. بل مستقبلي.. ترى ما بالهم يتناقشون؟ ما بال الطبيب اهتم كل هذا الاهتمام.. ثم رُحت أطمئن نفسي وأقول لها: هؤلاء الأطباء يُكبرون المسائل دائماً.. كل منهم يريد أن يستعرض قواه.. تحاليل..! أشعة..! اجتماعات..! والمسألة حلها سهل: حبة أو حبتان من الـ(بندول) مع قطرة للعين، وينتهي كل شيء!! ظللت أنظر إلى الأطباء محاولاً أن أفهم شيئاً مما يقولون، ولكني مع تركيزي الشديد لم أفهم كلمة واحدة بدأت نقاشاتهم تهدأ وتهدأ.. ثم خيم الصمت عليهم..

خرج أحدهم من العيادة وتبعه آخر.. فثالث.. حتى لم يبق إلا اثنان..

قال لي أحدهما:

ـ اسمع يا عبد الله! أنت أكبر من أن نقول لك أحضر والدك!!

ـ خير إن شاء الله يا دكتور.. ماذا تقصد؟!

فقال بأسلوب حازم:

ـ التقارير والأشعة تدل! على وجود ورم في رأسك، حجمه يزداد بسرعة مُخيفة، وهو الآن يضغط على عروق العين من الداخل، وفي أي لحظة يمكن أن يزداد هذا الضغط.. فتنفجر عروق العين من الداخل.. فتصاب بالعمى.. ثم تصاب بنزيف داخلي في الدماغ ثم تموت!!..

ثم سكت الطبيب.. نعم سكت.. لكن كلمته الأخيرة بدأت تتردد في أذني.. تموت.. تموت.. يا للهول.. ما أقسى هذه الكلمة.. ما أشد وقعها على النفس.. أموت.. نعم أموت.. ولكن شبابي.. رواتبي.. وظيفتي.. أمي.. أبي.. أموت!! صحت بأعلى صوتي..

يا دكتور!!.. ماذا؟.. كيف؟.. متى؟.. ورم؟.. كيف ورم؟.. متى ظهر عندي؟.. ما سببه؟.. وأنا في هذا السن؟.. أعوذ بالله؟.. ورم؟.. سرطان؟.. لا حول ولا قوة إلا بالله..

ـ نعم، ورم.. ولا بدّ من علاجه بسرعة، كل دقيقة.. بل كل ثانية تمرّ.. ليست في صالحك.. الليلة ندخلك المستشفى ونكمل التحليلات اللازمة، وفي الصباح ـ إن شاء الله ـ نفتح رأسك ونخرج الورم..

قال الطبيب هذه الكلمات بكل حزم.. وبرود..

قالها وهو يمسح نظارته ويقلب نظره في أوراق بين يديه..

أما أنا فلم أكن أستمع إليه بأذني فقط بل أظن أن جسدي كله قد تحول في تلك الساعة إلى أذن تسمع وتعي..

استمّر الطبيب في كلامه..

ـ اصبر.. واحتسب.. لست الوحيد الذي تجرى له مثل هذه العملية..

أناس كثيرون أجريت لهم وشفوا بإذن الله.. وأنت شاب مؤمن وعاقل، لا يحتاج مثلك إلى تصبير وتثبيت واصل الطبيب كلماته وهو ينظر إليّ.. أما أنا.. فقد كانت عيناي جاحظتين في عينيه.. نعم كنت أنظر إليه بتركيز شديد..

أما كلامه: فقد اختلطت عباراته الأخيرة بعباراته الأولى.. ولم يثبت في ذاكرتي من كلامه إلا: ورم.. سرطان.. عملية..

ماذا لو كتب الله عليّ الموت أثناء العملية؟.. ماذا ستفعل أمي؟.. أبي الذي جاوز السبعين؟.. إخواني؟.. أخواتي الصغار؟..

بل كيف سأدخل القبر وحدي؟.. كيف سأمرّ على الصراط؟.. كيف؟ وكيف؟ أين تخطيطاتي.. وشهاداتي.. الزواج.. الوظيفة الجديدة.. كيف يحصل هذا فجأة.. أسئلة كثيرة تتردد في داخلي.. جعلتني أسبح في بحر من الأفكار لا ساحل له..

أخذت أصرخ في داخلي: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله.. يا ليتني قدمت لحياتي الآخرة..

كل المتع التي كنت أجمعها.. والمراكز التي أسعى لها.. تذهب فجأة.. هكذا بدون مقدمات.. ما أقصر هذه الحياة.. والله ما كنت إلا في غرور..

كيف كنت أتتبّع الشهوات.. وأواقع اللذات.. وجهنم قد سعرت.. والأغلال قد نصبت.. والزبانية قد أعدت؟!

تباً لهذه الدنيا.. إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً.. وإن أفرحت أياماً أحزنت أعواماً.. وإن متعت قليلاً أشقت طويلاً..

وأخذت أعاتب نفسي الخاطئة أشدّ المعاتبة..

آه.. ما أطول حزني غداً.. رحماك يا ربِّ.. رحماك يا ربِّ..

وفجأة.. قال الطبيب:

ـ هذه أوراق العملية! وقع عليها، حتى نحجز لك سريراً، وننهي إجراءات إدخالك إلى المستشفى!!

بقيت واجماً أنظر إليه، فقال:

ـ خذ! ما بالك؟.. خُذ..

ـ لا.. لن أوقع على شيء!

ـ كيف؟ لن توقع!! مجنون أنت؟! المصلحة لك وليست لنا.. والمضرة عليك لا علينا.. لا تظن أننا فارغون نبحث عن رأس نتسلى بإجراء عملية فيه!!.. الأمر هام.. وخطير..

ـ لا.. لن أوقع على شيء..

ـ عموماً لا نستطيع إلزامك.. ولكن وقع على هذه الورقة حتى نخلي مسؤوليتنا منك لو حدث لك نزيف مفاجئ.. أخذت الورقة فإذا فيها:

أقرّ أنا الموقع أدناه أني خرجت بطوع إرادتي واختياري من مستشفى.. إلخ.. وقعت الورقة وانصرفت..

ولكن أين أذهب؟! إلى البيت وأخبر أمي وأبي؟.. أم أرجع إلى المستشفى؟.. أم أذهب إلى مستشفى آخر.. لا حول ولا قوة إلا بالله.

بعد تفكير سريع قررت أن أذهب إلى مستشفى آخر..

وفي قسم الطوارئ:

ـ السلام عليكم.. يا دكتور أنا أشكو من صداع في الرأس يصاحبه ضعف في النظر وبعد الكشف السريع وعمل الأشعة اللازمة.. قال الطبيب:

ـ نحتاج إلى أشعة مقطعية دقيقة لرأسك، وهذا غير متوفر حالياً في المستشفى.. أذهب إلى مستوصف خاص واعمل هذه الأشعة.. ثم ارجع إلي بها.. وحاول أن يكون سريعاً!

قالها الطبيب ثم سكت..

نزلت إلى السيارة وأخذت أوراق الأشعة ثم صعدت بها إليه..

ـ عجباً!! كيف جئت بهذه السرعة!!.. لماذا لم تعمل الأشعة؟!..

ـ قد عملتها قبل أن آتيك.. وها هي بين يديك..

أخذ الطبيب يفكك رموز هذه الأوراق..

أما أنا فقد جلست على الكرسي لا تكاد تحملني قدماي..

لكني كنت أكثر ثباتاً من المرة الأولى...

ذكرت الله تعالى.. سبحان الله.. والحمد لله.. ولا إله إلا الله.. والله أكبر.. أستغفر الله.. أستغفر الله.. تذكرت وصيته ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس: واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأعلم أن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسراً.. هان الأمر عليّ.. واطمأنت نفسي..

ماذا سيحدث؟! ورم! لست الأول ولا أظنني الأخير..

أمي.. أبي.. إخوتي.. سيبكون يوماً أو يومين.. ثم ينسون..

فجأة رفع الطبيب سماعة الهاتف واستدعى مجموعة من كبار الأطباء إلى عيادته.. جاءوا.. نظروا في الأوراق.. تحدثوا طويلاً..

كنت أنتظر خبراً مفزعاً.. لكني لم أضطرب كثيراً.. علقت أمري بالله.. بدأت الأوهام تعود إليّ.. لماذا أنا بالذات أصاب بالمرض الخبيث؟ الناس كثيرون.. ثم صرخت بنفسي: أعوذ بالله ولماذا أجزم بذلك! لعل ذاك الطبيب قد أخطأ.. صداع عارض وينتهي الأمر..

طالت فترة الانتظار فالتفتُّ إلى الطبيب.. وسألته:

ـ هاه.. بشّر.. ما الخبر؟!

ردّ بنبرة حازمة: انتظر قليلاً.. اصبر..

ثم تركني في دوّامتي ومضى يتلمظ بلغة أعجمية مع زملائه..

لم تمض ساعة حتى انتهوا من نقاشاتهم ثم خرج الأول فالثاني فالثالث.. التفت إليّ الطبيب ثم قال:

اسمع يا عبد الله!..

أنت شاب مؤمن وكل شيء بقضاء الله تعالى وقدره.. التقارير والأشعة

تدل! على وجود ورم في رأسك، حجمه يزداد بسرعة مخيفه، وهو الآن يضغط على عروق العين من الداخل وفي أي لحظة قد يزداد هذا الضغط.. فتنفجر عروق العين من الداخل.. فتصاب بالعمى.. ثم تصاب بنزيف داخلي في الدماغ..

ثم تموت!!..

لذا لا بدّ أن تدخل الآن إلى المستشفى.. والليلة تدخل غرفة العمليات.. ونزيل جزءاً من عظم الجمجمة ثم نخرج الورم.. وبعد ذلك نعيد العظم مرة أخرى..

ثم سكت الطبيب..

أما أنا فقد كانت الصدمة عليّ أهون من الأولى.. تقبلت الخبر بهدوء تعجب منه الطبيب ثم رفعت سماعة الهاتف واتصلت بوالدي..

جاء والدي..

شيخ كبير تجاوز السبعين من العمر.. أحضره السائق.. فنظره الكليل لا يساعده على القيادة.. كم تعب واجتهد في التربية والعناية.. جزاه الله خيراً.

لما رآني أبي.. فزع من وجوم وجهي واصفرار عيني.. وقال وهو واقف:

ما الذي جاء بك إلى هنا.. ولماذا جئت.. و..

قلت له: يا أبي.. تعلم أني أشكو من صداع دائم وقد ذهبت إلى مستشفى.. وعملوا لي الفحصوات.. ثم جئت إلى هذا المستشفى.. وبعد الفحوصات أخبروني أن عندي ورم في الرأس ولا بدّ من إجراء عملية عاجلة في الرأس.. سمع أبي هذه الكلمات فكان أقل تحملاً مني.. صاح بي:

ورم.. ورم.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. ثم جلس على الأرض.. وهو يردد:

إنا لله وإنا إليه راجعون.. إذاً نرسلك لتعالج مع أخيك في أمريكا.. لا

حول ولا قوة إلا بالله.. قال هذه الكلمات وهو يتذكر معاناته منذ سنة كاملة مع أخي الأكبر عبد الرحمٰن الذي يعالج في أمريكا من مرض السرطان..

كم رأيت أبي يبكي في الهاتف وهو يكلمه..

كم كان يدعو له آخر الليل.. وفي الصلوات.. كان حزن أبي عليه ظاهراً.. خاصة إذا رأى أولاد عبد الرحمٰن الصغار يسألون عن أبيهم: جدي أين بابا.. لماذا ما عندنا أب مثل بقية الأولاد..

أخذت أنظر إلى أبي ودموعه تسيل على خديه.. وهو يرى أولاده يموتون بين يديه.. فأخي خالد توفي في حادث سيارة قبل سنتين.. وأخي عبد الرحمٰن يصارع الموت في أمريكا.. وأنا في أول طريق لا تعرف نهايته..

التفت أبي إلى الطبيب.. وحاول أن يتجلد وهو يسأله عن خطورة المرض.. لكن عاطفة الأبوة كانت أقوى.. فبدأت الدموع تسيل من عينيه..

قال الطبيب: لا تحزن يا أبا عبد الله.. الأمر سهل إن شاء الله.. اطمئن..

قال أبي: يا دكتور.. نريد أن تعطينا الأوراق والفحوصات الخاصة بعبد الله وسوف يسافر إلى أمريكا.. يعالج هناك مع أخيه..

وافق الطبيب على ذلك.. أخذ أبي الأوراق.. وتمت الحجوزات بسرعة.. وسافرت إلى أمريكا مع أخي عبد العزيز.

وصلنا إلى المستشفى مساء.. عملوا لي التحليلات والفحوصات اللازمة..

كل شيء تم بسرعة..

وفي الصباح أدخلوني غرفة العمليات.. كم هي غرفة مفزعة.. أجهزة هنا وهناك.. سكاكين ومقصات ومشارط.. كأني في مشرحة.

وجوه واجمة.. وأعين تنظر إليك بتلهف كأنما تريد أن تفترسك..

أيدي الأطباء تألف الدماء.. لا أتصرف في نفسي بل هم يتصرفون فيَّ

كيفما شاءوا.. حملوني (نعم حملوني حملاً) من على السرير المتحرك إلى سرير العمليات..

بسم الله.. لا إله إلا الله.. ذكرت الله ذكراً كثيراً..

بقيت انتظر بداية العملية.. وأتأمل في وجوه من حولي..

رفعت يدي إلى رأسي أتحسسه.. مسكين يا رأسي!! كيف سيكون حالك بعد قليل.. وقف الممرضون ينتظرون.. يظهر أن الطبيب الذي سيباشر العملية لم يصل بعد.. فجأة فتح باب غرفة العمليات ودخل رجل لا ترى منه إلا عينيه.. صافحني بلطف.. ثم أشار إلى أحدهم فجاء بإبرة كبيرة (إي والله كبيرة) ثم طعن بها فخذي فكان آخر عهدي بالدنيا.. دخلت في غيبوبة تامة.

حلق الطبيب شعر رأسي.. ثم قطع فروة رأسي على هيئة دائرية.. ثم بدأ ينشر عظم الجمجمة.. حتى نزع أعلاها.. ووضع العظم بجانبه.. ولم يكن حجم هذا العظم صغيراً.. كان بحجم الصحن الصغير..

ثم أخرج الورم.. وكان أكبر من البيضة بقليل..

الأمور تسير على ما يرام..

وفجأة اضطرب الدم في عروق الدماغ.. ثم توقف الدم في الشرايين وأصابتني جلطة في الدماغ.

فاضطرب الطبيب وحرّك ـ خطئاً ـ الأعصاب المتصلة بالمخيخ فأصابني شلل نصفي في الجزء الأيسر من جسمي..

فلما رأى الطبيب ذلك أنهى ما تبقى من العملية بسرعة.. وسارع إلى إرجاع عظم الجمجمة إلى مكانه.. وغطى بالجلد فوقه.. وخيّط المكان..

ثم حملوني من على سرير العملية وألقوني فوق السرير المتحرك.. وساقوني إلى غرفة العناية المركزة التي يسمونها الـ(إن عاش).

مكثت بعد العملية في غيبوبة تامة لمدة خمس ساعات..

وفجأة أصابتني جلطة في الرجل اليسرى.. فحملوني سريعاً إلى غرفة العمليات وفتحوا صدري ووضعوا لي فلتراً صغيراً على أحد شرايين القلب..

ثم أعادوني إلى غرفة الـ(إن عاش) استقرّت حالتي أربع ساعات.. ثم أصبت بنزيف شديد في الرئة..!!..

حملوني للمرة الثالثة ـ أو لعلها الرابعة ـ إلى غرفة العمليات وفتحوا صدري مرة أخرى ونظفوا الرئة من الدم.. وعالجوا النزيف.. ثم أعادوني إلى غرفة الـ(إن عاش).. ضاق الطبيب بأمري ذرعاً.. أمراض متتابعة.. حالة متقلبة.. مفاجآت لا آخر لها.. استقرّت حالتي أربع وعشرين ساعة.. أحس الطبيب بشيء من الانتعاش والسرور. وفجأة بدأت درجة حرارة جسدي ترتفع بشكل مخيف..

أجرى الطبيب فحصاً سريعاً عليّ.. فاكتشف بعد الفحص الدقيق أن العظم الذي استخرج الورم من تحته قد أصابه التهاب شديد.. ولا بدّ من إخراجه وتعقيمه.. قبل أن يؤدي إلى تسمم في الدماغ!!

استدعى الطبيب فريق العلميات.. ثم حملوني كالجنازة.. وألقوني على سرير في غرفة العمليات..

بدأت أنظر إليهم.. لا أملك من أمري شيئاً.. وكلت أمري إلى الله. غلبني البكاء فبكيت تمنيت أن أرى أمي وأبي لأقبل أيديهما.. بل والله وألثم أرجلهما.. قبل أن أودع الدنيا.. دعوت الله واستغثت به: ربِّ إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين.. ثم رفعت بصري إلى السماء وقلت: يا أرحم الراحمين.. إن كانت هذه عقوبة فأسألك المغفرة والرحمة.. وإن كانت بلاء فارزقني الصبر على البلاء.. وعظّم لي الأجر والجزاء.. ثم غلبني البكاء.. فأخذ الممرضون يصيحون بي بلغة أعجمية.. لم أفهم ما يقولون.. لكني كنت أعلم أنهم يصمتونني.. غالبت نفسي.. وتصبرت..

ذكرت هادم اللذات.. وتفكرت في انحلال الملذات..

طالما سخرت بي الدنيا حتى ذهبت أيامي..

كلما نصحني الناصحون.. قلت: عن قريب أتوب.. وما تبت..

قد غرّني فيما مضى شبابي.. وجمال سيارتي وثيابي.. ونسيت

الاستعداد للحياة الأخرى والله لقد عظمت كربتي.. وذهبت قوتي.. وغداً يصبح التراب فراشي.. ليتني كنت من قوّام الليل.. الذين أطار ذكر النار عنهم النوم.. وأطال اشتياقهم إلى الجنان الصوم..

فنحلت أجسادهم.. وتغيّرت ألوانهم..

تفكرت في الحشر والمعاد.. وتذكرت حين يقوم الأشهاد..

ويلي.. إن في القيامة لحسرات.. وإن في الحشر لزفرات.. وعلى الصراط عثرات.. وعند الميزان عبرات.. والظلم يومئذٍ ظلمات.. والكتب تحوي أخفى النظرات..

والحسرة العظمى عند عرض السيئات.. فريق في الجنة يرتقون الدرجات.. وفريق في السعير يهبطون الدركات.. وما بيني وبين هذا إلا أن يقال: فلان مات..

وأخشى أن أصيح: ربّ ارجعوني.. فيقال: العمر.. فات..

عجباً للموتى.. جمعوا فما أكلوا الذي جمعوا.. وبنوا مساكنهم فما سكنوا.. تباً لهذه الدنيا.. أولها عناء.. وآخرها فناء.. حلالها حساب.. وحرامها عقاب.. تفكرت في حالي.. فإذا عمري محدود.. ونفسي معدود.. وجسمي بعد الممات مع الدود..

آه.. إذا زلت يوم القيامة القدم.. وارتفع البكاء وطال الندم..

ويلي إذا قدمت على من يحاسبني على الصغير والكبير..

يوم تزل بالعصاة الأقدام.. وتكثر الآهات والآلام.. وتنقضي اللذات كأنها أحلام.. ثم بكيت.. نعم.. بكيت وتمنيت البقاء في الدنيا.. لا لأجل التمتع بها.. وإنما لأصلح علاقتي بربي جل جلاله..

وفجأة..

أقبل الطبيب نحوي.. فأردت أن أسأله عن المرض.. ولماذا هذه المضاعفات.. فلم يلتفت إليّ.. وإنما أمر بتخديري تخديراً عاماً..

فلما غبت عن الدنيا.. سل سكاكينه ومشارطه..

ثم انتزع فروة الرأس التي تغطي العظم.. وأخرج العظم ووضعه جانباً.. ثم أعاد الجلد فوق الدماغ من غير عظم!!..

استغرقت العملية ساعات.. وبعدها حملوني.. وألقوني على سرير في غرفة الـ(إن عاش) أفقت من إغمائي.. فإذا الأجهزة تحيط بي من كل جانب.. هذا لقياس التنفس.. وهذا لقياس الضغط.. والثالث لضربات القلب.. والرابع.. والممرضون يحيطون بي من كل جانب..

تعجبت من هذه المناظر.. أين أنا.. بقيت واجماً..

ثم تذكرت أني في أمريكا.. وأني قد كنت في غرفة العمليات..

رفعت يدي وتحسست رأسي فإذا هو ليّن.. أين العظم؟!.. بالأمس كان رأسي مكتملاً.. بكيت.. سألت الطبيب: أين بقية رأسي؟!!

فقال لي بكل برود: عظمك يبقى عندنا لتعقيمه.. وبعد ستة أشهر ترجع إلينا لنعيده مكانه.. مكثت أياماً تحت العناية المركزة.. ثم أخرجت منها..

مكثت في أمريكا شهراً كاملاً.. ثم رجعت إلى الرياض..

وها أنذا أنتظر انتهاء الأشهر الستة لأستعيد بقية رأسي!!..

ثم سكت عبد الله.. وهو يدافع عبراته.. وحق له أن يبكي..

أما أنا..

فاستمعت منه هذه الكلمات.. وأنا في أشد العجب من تقلب الزمان على أهله.. فبعد ما كان شاباً مفتول العضلات.. بهيّ الوجه.. يتقلب بين المال الوفير.. والوظيفة.. والصحة.. والعائلة المرموقة.. و.. ثم هو الآن على هذا الحال..

فسبحان من يقضي ولا يُقضى عليه..

ما أحقر هذه الدنيا.. حقاً إن الآخرة هي دار القرار..

مضت الأيام.. وأنا أزوره من حين لآخر..

ومع العلاج منَّ الله عليه فشفي من الشلل واستطاع المشي..

فانقطعت عنه مدة.. ثم اتصل بي وأخبرني أنه سيسافر إلى أمريكا

لاستعادة بقية رأسه.. وبعد رجوعه جئته زائراً فإذا وجهه متهلل فرح مسرور.. وقد أكمل الله عليه نعمته واستعاد بقية رأسه.. وناولني بطاقة يدعوني فيها إلى زواجه..

أما حال هذا الشاب الآن فهو من الصالحين.. بل من الدعاة إلى الله تعالى.. الذين يخدمون الدين بكل ما يملكون..

إن نظرت إلى المساكين وجدت أنه يكفل عدداً منهم.. يتولى جمع الزكوات وإنفاقها عليهم بل إن له باعاً في تنسيق المحاضرات لبعض الدعاة..

والمساعدة في طباعة الكتب وتوزيعها.. إلى غير ذلك من وجوه الخير.. ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]...

أسأل الله تعالى لي.. وله.. ولك.. ولجميع المسلمين الثبات على دينه.. آمين. وبعد:

أيها الأخ الكريم..

أيتها الأخت الكريمة..

لا أدري كيف أبدأ معك الكلام..

ولا أدري هل ستقبل مني أم لا..

ولكن لا بدّ من المصارحة.. فأنت أخ مسلم لك عليّ حق النصح والتوجيه.. ووالله ما كتبت إليك هذه الكلمات إلا لأنني أحب لك ما أحب لنفسي من الخير.. فأحسن بي الظن.. ولا تعجل بتمزيق أوراقي..

أنت عبد لله تعالى تقف بين يديه كل يوم خمس مرات.. وكل ذرة من ذرات جسمك.. بل وكل نفس من أنفاسك لا يتحرك إلا بإذن خالقك.. فهل سألت نفسك يوماً: كيف علاقتي معه؟!!

هل هو راض عني أم لا؟!!

كيف سيكون اللقاء يوم القيامة؟!

أنت وحدك الذي تستطيع أن تجيب عن هذه الأسئلة..

والاشتغال بالطاعات.. والكف عن المحرمات.. هو سبيل الوصول إلى رضى الله تعالى.. بل هو سبيل دخول الجنة..

قال ﷺ: **«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى! قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟! قال من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي»**[١].

هذه هي الوصية الأولى لمن أراد أن يكون من أهل الجنة.. أن يوقن أنه في هذه الدنيا عابر سبيل.. وأن الدار الآخرة هي دار القرار.. وأن البلاء قد ينزل به في أي لحظة.. وأن النَّفَسَ إذا خرج فقد لا يعود إليه.

ولا يغتر بماله وصحته وقوته.. ولا بجاهه ومنصبه.. فإنما هذه أحلام قد تزول في طرفة عين..

قال الشيخ[٢]:

دعاني ابن لأحد كبار التجار يوماً لزيارة والده المريض..

سألت الولد عن مرض أبيه. فقال: هو مصاب بتليّف في كبده.. وسرطان في أجزاء أخرى من جسده.. لكن الطبيب لم يخبره بذلك.. ونحن لم نخبره أيضاً.. فهو لا يدري عن مرضه شيئاً.

دخلت على هذا التاجر.. فإذا هو على السرير الأبيض عمره لم يتجاوز الستين.. لم يتمكن المرض منه بعد.. ولا يزال جسمه نشيطاً.. إلى حد ما..

صافحني ثم أمر أولاده بالخروج..

فلما خرجوا وبقيت أنا وهو.. ظل ساكتاً.. ثم بكى.. والتفت إليّ وقال:

آه.. يا شيخ.. تباً لهذه الدنيا.. منذ أن عرفت نفسي وأنا أجمع الأموال.. وأعدها عدّاً.. وأغامر في مختلف التجارات.. كم كنت أتعب في ذلك.. وأنشغل عن عبادة ربي، كم نمت عن الصلاة بسبب السهر على

---

(١) رواه البخاري.

(٢) إذا قلت في هذا الكتاب: الشيخ فإنني لا أعني به شخصاً معيناً، وإنما أرمز به إلى من حدثني بالقصة من الدعاة.

الأموال.. ومتابعة الشركات.. وكم غفلت عن قراءة القرآن.. وبخلت عن الإنفاق على المساكين والأيتام..

والله يا شيخ..

كلما حدثتني نفسي بالاهتمام بديني.. والالتفات إلى آخرتي..

قلت لها: ليس بعد.. بل إذا بلغت الستين.. أعطيت نفسي تقاعد.. واشتريت مزرعة.. وأقمت في راحة وعبادة.. حتى الموت..

ثم ها أنذا يفجعني ما نزل بي من المرض.. وأسأل أولادي عن المرض.. فيقولون: هو التهابات يسيرة واضطرابات في الهضم.. وأنا أظن الأمر على غير ذلك..

ثم بكى الرجل وقال:

هل رأيت أولادي هؤلاء.. الذين يدعونك لزيارتي.. ويظهرون الشفقة والرحمة بي.. بالأمس جلسوا عندي فتظاهرت بالنوم ليخرجوا عني..

فلما ظنوا أني قد نمت بدؤوا يتكلمون عن تجاراتي.. ويحسبون أموالي.. وكم سينال كل واحد منهم من التركة.. وكيف سيتمتع بالمال..

ثم ارتفعت أصواتهم.. واختصموا على عمارة كبيرة لي.. قال الأول: نبيعها وندخل ثمنها في التركة.. وقال الآخر: بل نؤجرها.. وصاح الثالث: بل تكون من نصيبي.. وارتفعت الأصوات.. تباً لهم.. يختصمون في مالي وأنا حي بين أظهرهم..

ثم بدأ ينوح على نفسه.. ولسان حاله يردد: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩﴾ [الحاقة: ٢٨ ـ ٢٩]... ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠]...

هذه هي الوصية الأولى لمن أراد أن يكون من أهل الجنة...

۞ أما الوصية الثانية:

فإن أهل الجنة.. إذا ضاق صدر أحدهم بمصيبة.. أو اشتاقت نفسه إلى حاجة.. بسط في ظلمة الليل يداً سائلة.. وسجد بنفس واجلة.. وسأل ربه

من خير كل نائلة.. وأحسن الظن بربه.. وعلم بأنه واقف بين يدي ملك.. لا تشتبه عليه اللغات.. ولا تختلط عنده الأصوات.. ولا يتبرم بكثرة السائلين وتنوع المسؤولات.. إذا جنَّ عليهم الليل.. وفتح ربهم أبواب مغفرته.. كانوا أول الداخلين.. فهم المؤمنون بآيات الله حقاً.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ ـ ١٧]...

وقد أمر النبي ﷺ بقيام الليل.. وصلاة الوتر فقال ﷺ: **«إن الله وتر يحب الوتر فأوتروا يا أهل القرآن»**[١]..

ويجمع الله لمن يصلي الوتر بين نعمتي الدنيا والآخرة.. قال ﷺ: **«عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد»**[٢]..

والعجب.. أن صلاة الوتر هي أسهل العبادات.. ومع ذلك يهملها كثير من الناس.. لو أن إنساناً صلى المغرب.. فقلنا له: يا فلان لم لا تصلي سنة المغرب؟! فسألنا: كم ركعة سنة المغرب؟

فقلنا له: هي ركعتان.. فقال: سوف أصليها ركعة واحدة!!

لقلنا له: لا يجوز.. صلها ركعتين أو لا تصلها..

وكذلك صلاة الضحى.. وسنة الفجر.. وسنة العشاء.. وصلاة الاستخارة.. أقلها ركعتان.. أما صلاة الوتر.. فهي أفضل النوافل على الإطلاق.. ومع ذلك خففها رب العالمين على الناس فيجوز أن تصليها ركعة.. فصلها ولو ركعة واحدة تقرأ فيها سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١] ما تستغرق منك دقيقتين..

---

(١) رواه الترمذي وأصله في الصحيحين.

(٢) رواه الترمذي وهو حديث حسن.

نعم تصلي ركعة واحدة وتكتب عند الله ممن صلوا الليل.. فإذا جيء إلى الله يوم القيامة بأسماء قوام الليل في تلك الليلة تجد اسمك من بينهم وأنت ما صليت إلا ركعة واحدة.. فكيف لو زدت ثلاث ركعات. أو خمساً.. أو سبعاً.. هذا أفضل.. ومن زاد فله الزيادة عند الله..

وليس شرطاً أن تصليها قبل الفجر.. بل صلها بعد العشاء مباشرة أو قبل النوم.. وقد كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر.. أو ضاق صدره.. فزع إلى الصلاة.. وكان يقول: **«أرحنا بالصلاة يا بلال»**.. وقال ﷺ: **«جعلت قرة عيني في الصلاة»**.. وكان للصالحين مع الصلاة شأن عجيب.. قال أبو صالح ابن أخت مالك بن دينار: كان خالي مالك بن دينار إذا جنَّ عليه الليل دخل إلى غرفة في بيته وأغلق عليه الباب ولا يخرجه إلينا إلا أذان الفجر.. فبكرت يوماً إلى الغرفة واختبأت في إحدى زواياها في ظلمة الليل.. فدخل خالي وفرش سجادته.. وصف قدميه عليها فلما رفع يديه ليكبر.. غلبه البكاء فبكى.. ثم أخذ يبكي ويستغفر ويبتهل.. ثم قبض على لحيته وقال: اللهم اذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك على النار.. وأخذ يرددها ويبكي.. واعلم أخيراً.. أن الإكثار من الصلاة والسجود لله تبارك وتعالى من أسباب دخول الجنة..

عن ربيعة بن كعب رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فآتيه بوضوئه وحاجته، فقال لي: **«سل»**، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: **«أو غير ذلك»**؟.. قلت هو ذاك، فقال: **«فأعني على نفسك بكثرة السجود»**[(١)].

ومن ذلك: صلاة السنن الرواتب.. قال ﷺ: **«من صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة بني له بيت في الجنة: أربعاً قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل صلاة الغداة «الفجر»**[(٢)].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي.

الوصية الثالثة:

إن من أعظم صفات أهل الجنة هي أن وظيفة أحدهم الأساسية في هذه الحياة هي عبادة الله.. والدعوة إليه.. والعمل لهذا الدين.. ونصح الناس.. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وبصراحة..

بعض الناس إذا سمع الحديث حول الدعوة إلى الله.. ظن أن الدعوة مقصورة على من أعفى لحيته وقصر ثوبه.. ثم قال لك: أنا أحلق لحيتي.. وأسبل ثوبي.. وأدخن.. وجعل هذه الأمور حائلاً بينه وبين الدعوة إلى الله تعالى ونصح المقصرين.. وهذا خطأ من وساوس الشيطان..

نعم لا أنكر أن الأصل في الداعية أن يكون مستقيماً مطبقاً لما يدعو إليه.. ولكن لا يعني هذا أن يترك الرجل الطاعات بسبب وقوعه في بعض المعاصي.. ولعل تلك المعاصي أن تغوص في بحر الحسنات..

بل قد يستطيع المقصر أن يصل إلى أشخاص لا يستطيع أن يصلهم الداعية المستقيم.. فأنت وإن كنت مقصراً إلا أنك تستطيع أن تدعو تارك الصلاة إلى أن يصلي.. فترك الصلاة كفر..

أنت تستطيع أن تنصح من يقع في الفواحش أن يتوب منها.. تنصح من يتعرض لأعراض المسلمين بأن يكف عن ذلك..

بل قد يجالس الداعية المستقيم بعض الناس ولا يعلم أنهم يأكلون الربا.. أو يقعون في الفواحش.. أو يتركون الصلاة.. لأنهم يتظاهرون بالخير أمام الصالحين.. أما من رأوه مثلهم فلا يتصنعون أمامه بشيء.. بل يكشفون أمامه أوراقهم.. ويظهرون كل شيء.. أما كيف تنصحهم وتدعوهم.. فهذا يكون بأساليب شتى.. كإهداء الأشرطة النافعة إليهم.. ودعوة بعض الدعاة إلى مجالسكم أحياناً.. والنصيحة الفردية لهم.. وغير ذلك.. ولا تقل أنا غير ملتزم فكيف أدعو وأنصح؟!.. فإن وظيفة الدعوة إلى الله وظيفة ربانية واسعة.. كثيرة الأساليب لا تزال تحتاج إلى عاملين.. وكلنا ذوو خطأ.. وكل بني آدم خطّاء..

ولو لم يعظ في الناس من هو مذنب فمن يعظ العاصين بعد محمد؟!

قال الشيخ:

خرجت من المسجد يوماً فجاءني شاب عليه آثار المعصية.. وقد اسودت شفتاه من كثرة التدخين.. فعجبت لما رأيته.. ماذا يريد.. فلما سلم عليّ قال: يا شيخ أنتم تجمعون أموالاً لبناء مسجد أليس كذلك؟

قلت: بلى..

فناولني ظرفاً مغلقاً وقال: هذا مال جمعته من أمي وأخواتي وبعض المعارف.. ثم ذهب.. ففتحت الظرف فإذا فيه خمسة آلاف ريال.. وأنفق هذا المال في بناء المسجد.. واليوم لا يذكر الله في ذلك المسجد ذاكر.. ولا يتلو القرآن قارئ.. ولا يصلي مصل.. إلا وكان في ميزان ذاك الشاب مثل أجره.. فهنيئاً له..

ولو أن هذا الشاب استسلم لتخذيل الشيطان وقال: أنا عاصٍ.. فإذا تبت بدأت أخدم الدين وأبني المساجد.. لفاته أجر عظيم.. وقد قال ﷺ: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»**[1].

- وأعرف اثنين من الشباب - المقصرين - هما منذ سنوات.. إذا أقبل شهر رمضان أو موسم الحج ركبا في سيارة وأخذا معهما أدوات خاصة بإصلاح أعطال السباكة والكهرباء.. ثم توجها إلى مكة.. ومرا على جميع دورات المياه التي في طريق الحجاج والمعتمرين وأصلحا أعطالها.. خدمة لإخوانهم المسلمين.. ولا أحد يعرف عنهما ذلك..

وحدثني أحد الدعاة أنه طرق عليه الباب في آخر الليل..

قال الشيخ: فخرجت فزعاً فإذا شابٌ عليه آثار التقصير والمعصية.. فسألته: ماذا تريد؟!

---

(١) رواه مسلم.

فقال: معي في السيارة اثنان من العمال الهنود أسلما على يدي وقد أحضرتهما إليك لتلقنهما الشهادة وتجيب عن أسئلتهما..!!

قال الشيخ: فعجبت وقلت: كيف دعوتهما؟

فقال: لا زلت أتابعهما بالكتب والأشرطة حتى أسلما..

ـ وحدثني أحد العاملين في مكتب للدعوة والإرشاد أن شاباً مدخناً.. وعنده معاصٍ أُخر. ومع ذلك فإن هذا الشاب إذا أقبل رمضان جمع تبرعات من التجار ثم اشترى آلاف الأشرطة وحملها إلى مكاتب الدعوة لتوزيعها خلال نشاطاتهم في رمضان.. طالما اشتكى العاملون في مكاتب الدعوة والإرشاد من قلة المتعاونين معهم.. يقسم لي أحدهم: أن بعض العمال الكفار ليس بينه وبين الإسلام إلا أن يتفرغ له شخص أسبوعاً أو أسبوعين يأتي به إلى مكتب الدعوة لحضور المحاضرات.. ولا يجد المكتب متعاوناً يهتم بمثل هذا..

بل.. كم من خادمة كافرة ما نشط أصحابها في دعوتها ولا أهدوا لها كتاباً ولا شريطاً عن الإسلام.. فبقيت على كفرها.. وكم من شاب فاجأه الموت وهو تارك للصلاة.. أو مقيم على كبيرة من الكبائر.. لأن الدعاة ما استطاعوا الوصول إليه.. وأصحابه ما نشطوا في نصيحته..

وكم في فتاة ترى زميلاتها في المدرسة.. يتبادلن الصور والأشرطة المحرمة.. بل وأرقام الهواتف المشبوهة.. ومع ذلك إذا طالبناها بنصيحتهن قالت: أنا أحتاج إلى من ينصحني.. أنا مقصرة.. إذا أصبحت ملتزمة نصحتهن..

عجباً..

ما أسعد الشيطان بسماع هذه الكلمات..

كيف دخل الإسلام إلى أفريقيا والهند والصين..!! حتى صار في الهند مائة مليون مسلم.. وفي الصين قريباً من ذلك.. من دعا هؤلاء؟..

إنهم أقوام من عامة الناس.. ليسوا طلبة علم.. ولا أئمة مساجد.. ولا تخرجوا من كليات شرعية..

أقوام ذهبوا للتجارة.. فدعوا الناس فأسلموا على أيديهم.. فخرج من هؤلاء المسلمين الهنود والصينيين والأفارقة علماء ودعاة.. وأجر هدايتهم لأولئك التجار..

لقد سألت مراراً عدداً من العمال الكفار الذين في محطات البنزين.. أقول لأحدهم: منذ متى وأنت في هذه البلاد فيقول: منذ خمس سنوات.. وسبع سنوات.. فأقول: هل أعطاك أحد شريطاً أو كتاباً عن الإسلام منذ جئت إلى هنا؟!

فيعتصر قلبي بقوله: لا.. كل الناس يملئون سياراتهم بالوقود ويذهبون..

يا أخي قد تكون مقصراً.. بل قد تستمع إلى الأغاني.. وقد تدخن.. وقد تقع في المعاصي ولكن أنت مسلم أولاً وآخراً..

وقال قال لك النبي ﷺ: **«بلغوا عني ولو آية»**.. أفلا تحفظ آية تبلغها..

إن توزيع الأشرطة.. ونشر الكتب.. وتوزيع بطاقات الأذكار.. أمور لا تحتاج إلى علم.. من منا إذا سافر أخذ معه مجموعة من الأشرطة النافعة ثم إذا وقف في محطة وقود وضع في البقالة بعضها.. والبعض الآخر في مسجد المحطة.. أو وزعها على السيارات الواقفة.. الناس في الطريق لا بدّ أن يستمعوا إلى شيء فكن معيناً لهم على سماع الذكر والخير..

من منا إذا رأى كتاباً نافعاً اشترى منه كمية ثم وزعها في مسجده.. أو أهداها لزملائه في العمل.. أو طلابه في المدرسة..

وأنا بكلامي هذا لا أسوغ الوقوع في المعاصي.. أو أعتذر عن أصحابها.. ولكن.. ذكّر إن نفعت الذكرى ولا ينبغي أن تحول المعصية بين صاحبها وبين خدمة هذا الدين..

أبو محجن الثقفي رضي الله عنه رجل من المسلمين كان قد ابتلي بشرب الخمر.. وطالما عوقب عليها ويعود.. ويعاقب ويعود.. بل كان من شدة تعلقه بالخمر يوصي ولده ويقول:

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة ... تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فإنني ... أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

فلما تداعى المسلمون للخروج لقتال الفرس في معركة القادسية خرج معهم أبو محجن.. وحمل زاده ومتاعه.. ولم ينس أن يحمل معه خمراً.. دسها بين متاعه.. فلما وصلوا القادسية.. طلب رستم مقابلة سعد بن أبي وقاص قائد المسلمين.. وبدأت المراسلات بين الجيشين.. عندها وسوس الشيطان لأبي محجن رضي الله عنه فأختبأ في مكان بعيد وشرب الخمر.. فلما علم به سعد رضي الله عنه غضب عليه.. وحرمه من دخول القتال.. ثم أمر به فقيد بالسلاسل.. وأغلق عليه في خيمة..

فلما ابتدأ القتال وسمع أبو محجن صهيل الخيول.. وصيحات الأبطال.. لم يطق أن يصبر على القيد.. واشتاق إلى الشهادة.. بل اشتاق إلى خدمة هذا الدين.. وبذل روحه لله تعالى.. نعم.. وإن كان عاصياً.. وإن كان مدمن خمر.. إلا أنه مسلم يحب الله ورسوله.. فأخذ يتحسر على حاله ويترنم قائلاً:

كفى حزناً أن تدحم الخيل بالقنى ... وأترك مشدوداً علي وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وغلقت ... مصاريع من دوني تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وأخوة ... وقد تركوني مفرداً لا أخا ليا
فلّله عهد لا أحيف بعهده ... لإن فرّجت ألا أزور الحوانيا

ثم أخذ ينادي بأعلى صوته..

فأجابته إمرأة سعد: ماذا تريد؟

فقال: فكي القيد من رجلي وأعطيني البلقاء فرس سعد.. فأقاتل فإن رزقني الله الشهادة فهو ما أريد.. وإن بقيت فلك علي عهد الله وميثاقه أن

أرجع حتى تضعي القيد في قدمي.. وأخذ يرجوها ويناشدها.. حتى فكت قيده وأعطته البلقاء.. فلبس درعه.. وغطى وجهه بالمغفر.. ثم قفز كالأسد على ظهر الفرس.. وألقى نفسه بين الكفار يدافع عن هذا الدين ويحامي..

علق نفسه بالآخرة ولم يفلح إبليس في تثبيطه عن خدمة هذا الدين.. حمل على القوم يلعب برقابهم بين الصفين برمحه وسلاحه.. تعجب الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروه في النهار.. ومضى أبو محجن يقاتل.. ويبذل روحه رخيصة في ذات الله.. نعم.. مضى أبو محجن..

أما سعد بن أبي وقاص فقد كانت به قروح في فخذيه فلم ينزل ساحة القتال.. لكنه كان يرقب القتال من بعيد.. فلما رأى أبا محجن عجب من قوة قتاله.. وقال: الضرب ضرب أبي محجن.. والكرّ كرُّ البلقاء.. وأبو محجن في القيد.. والبلقاء في الحبس..!! فلما انتهى القتال عاد أبو محجن إلى سجنه.. ووضع رجله في القيد ونزل سعد فوجد فرسه يعرق فقال: ما هذا؟ فذكروا له قصة أبي محجن فرضي عنه وأطلقه وقال: والله لا جلدتك في الخمر أبداً. فقال أبو محجن: وأنا والله لا شربت الخمر أبداً..

فللّه در أبي محجن[1]..

۞ الوصية الرابعة:

ذكر ابن كثير في تاريخه أن رجلاً من ضعفاء الناس كان له على أحد الأمراء مال كثير. فماطله ومنعه حقه.. وكلما طالبه به آذاه.. وأمر غلمانه بضربه.. فاشتكاه إلى قائد الجند.. فما زاده ذلك إلا منعاً وجحوداً..

قال هذا الرجل المسكين:

فلما رأيت ذلك.. يئست من المال الذي عليه ودخلني غم من جهته. فبينما أنا كذلك وأنا حائر إلى من أشتكي..

إذ قال لي رجل: ألا تأتي فلاناً الخياط أمام المسجد..

---

(١) إسناد قصة أبي محجن صحيح كما ذكر ابن حجر في الإصابة ج٤ قسم الكنى.

فقلت: ما عسى أن يصنع خياط من هذا الظالم؟ وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه..

فقال: الخياط هو أقطع وأخوف عنده من جميع من اشتكيت إليه.. فاذهب لعلك أن تجد عنده فرجاً.. قال: فقصدته غير محتفل في أمره.. فذكرت له حاجتي ومالي وما لقيت من هذا الظالم.. فقام وأقفل دكانه.. ومضى يمشي بجانبي حتى وصل بيت الرجل.. وطرقنا الباب.. ففتح الرجل الباب مغضباً.. فلما رأى الخياط.. فزع.. وأكرمه واحترمه..

فقال له الخياط: أعط هذا الضعيف حقه..

فأنكر الرجل وقال: ليس له عندي شيء..

فصاح به الخياط وقال: ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنت..!!

فتغير لون الرجل ودفع إلي حقي كاملاً..

ثم انصرفنا..

وأنا في أشد العجب من هذا الخياط.. مع رثاثة حاله.. وضعف بنيته.. كيف انقاد ذلك الكبير له..

ثم إني عرضت عليه شيئاً من المال فلم يقبل..

وقال: لو أردت هذا لكان لي من المال ما لا يحصى..

فسألته عن خبره وذكرت له تعجبي منه.. فلم يلتفت إليّ.. فألححت عليه..

وقلت: لماذا هددته بأن تؤذن؟!

قال: قد أخذت مالك فاذهب.. قلت: لا بدّ والله أن تخبرني..

فقال: إن سبب ذلك أنه كان عندنا قبل سنين في جوارنا أمير تركي من أعالي الدولة وهو شاب حسن جميل.. فمرت به ذات ليلة امرأة حسناء قد خرجت من الحمام وعليها ثياب مرتفعة ذات قيمة..

فقام إليها وهو سكران فتعلق بها يريدها على نفسها ليدخلها منزله.. وهي تأبى عليه وتصيح بأعلى صوتها وتقول: أنا امرأة متزوجة.. وهذا رجل

يريدني على نفسي ويدخلني منزله.. وقد حلف زوجي بالطلاق أن لا أبيت في غير منزله ومتى بت هاهنا طلقت منه.. ولحقني عار ومذلة.. لا تغسلها الأيام..

قال الخياط: فقمت إليه فأنكرت عليه وأرت خلاص المرأة من بين يديه فضربني بسكين في يده فشج رأسي وأسال دمي..

وغلب المرأة على نفسها فأدخلها منزله قهراً..

فرجعت وغسلت الدم عني وعصبت رأسي.. وصحت بالناس وقلت..

إن هذا قد فعل ما قد علمتم فقوموا معي إليه لننكر عليه ونخلص المرأة منه..

فقام الناس معي فهجمنا عليه في داره فثار إلينا في جماعة من غلمانه بأيديهم العصي والسكاكين يضربون الناس.. وقصدني هو من بينهم فضربني ضرباً شديداً مبرحاً حتى أدماني.. وأخرجنا من منزله ونحن في غاية الإهانة والذل..

فرجعت إلى منزلي وأنا لا أهتدي إلى الطريق من شدة الوجع وكثرة الدماء.. فنمت على فراشي فلم يأخذني النوم.. وتحيرت ماذا أصنع حتى أنقذ المرأة من يده في الليل لترجع فتبيت في منزلها حتى لا يقع عليها من زوجها الطلاق..

فألهمت أن أؤذن للصبح في أثناء الليل لكي يظن أن الصبح قد طلع فيخرجها من منزله.. فتذهب إلى منزل زوجها..

فصعدت المنارة وبدأت أؤذن وأرفع صوتي..

وجعلت أنظر إلى باب داره هل أرى المرأة خرجت.. ثم أكملت الأذان فلم تخرج.. ثم عزمت على أنه إن لم تخرج أقمت الصلاة حتى يتحقق الخبيث أن الصباح قد خرج.. فبينما أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا.. إذ امتلأت الطريق فرساناً ورجالاً..

وهم يقولون: أين الذي أذن هذه الساعة؟ وينظرون إلى منارة المسجد..

فصحت بهم: أنا الذي أذنت.. وأنا أريد أن يعينوني عليه.

فقالوا: أنزل! فنزلت..

فقالوا: أجب الخليفة.. ففزعت.. وسألتهم بالله أن يسمعوا القصة فأبوا.. وساقوني أمامهم وأنا لا أملك من نفسي شيئاً حتى أدخلوني على الخليفة.. فلما رأيته جالساً في مقام الخلافة ارتعدت من الخوف وفزعت فزعاً شديداً..

فقال: ادن.. فدنوت..

فقال لي: ليسكن روعك وليهدأ قلبك.. وما زال يلاطفني حتى اطمأنت نفسي.. وذهب خوفي..

فقال لي: أنت الذي أذنت هذه الساعة؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين..

فقال: ما حملك على أن أذنت هذه الساعة؟.. وقد بقي من الليل أكثر مما مضى منه؟ فتغر بذلك الصائم والمسافر والمصلي وتفسد على النساء صلاتهن..

فقلت: يؤمنني أمير المؤمنين حتى أقص عليه خبري؟

فقال: أنت آمن.. فذكرت له القصة.. فغضب غضباً شديداً..

وأمر بإحضار ذلك الرجل والمرأة.. فأحضرا سريعاً.. فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ثقات.. ثم أقبل على ذلك الرجل فقال له: كم لك من الرزق؟ وكم عندك من المال؟ وكم عندك من الجواري والزوجات؟ فذكر له شيئاً كثيراً فقال له: ويحك أما كفاك ما أنعم الله به عليك حتى انتهكت حرمة الله وتعديت على حدوده وتجرأت على السلطان؟! وما كفاك ذلك حتى عمدت إلى رجل أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر فضربته وأهنته وأدميته؟! فلم يكن له جواب..

فأمر به فجعل في رجله قيد.. وفي عنقه غل.. ثم أمر به فأدخل في كيس.. وهذا الرجل يصيح ويستغيث.. ويعلن التوبة والإنابة.. والخليفة لا

يلتفت إليه.. ثم أمر الخليفة به فضرب بالسكاكين ضرباً شديداً حتى خمد..

ثم أمر به فألقي في دجلة فكان ذلك آخر العهد..

ثم أمر الخليفة صاحب الشرطة أن يحتاط على ما في داره من الأموال التي كان يتناولها من بيت المال..

ثم قال لي: كلما رأيت منكراً صغيراً أو كبيراً ولو على هذا ـ وأشار إلى صاحب الشرطة ـ فأعلمني.. فإن اتفق اجتماعك بي وإلا فعلامة ما بيني وبينك الأذان.. فأذن في أي وقت كان.. أو في مثل وقتك هذا..

فقلت: جزاك الله خيراً.. ثم خرجت..

فلهذا: لا آمر أحد من هؤلاء بشيء إلا امتثلوه.. ولا أنهاهم عن شيء إلا تركوه خوفاً من الخليفة المعتضد.. وما احتجت أن أؤذن في مثل تلك الساعة إلى الآن.. والحمد لله.

أيها الأخ الحبيب.. والأخت الكريمة..

إن المشتاقين إلى الجنة.. والراغبين في دخولها.. لا يسكتون عن منكر رأوه.. بل يسلكون شتى الطرق.. ومختلف الأساليب لإزالة المنكرات ومناصحة أهلها..

فأين أولئك.. الذين يرون المنكرات.. ولا تنشط نفوسهم لإنكارها.. وربما أنكروا مرة أو مرتين فلما لم يقبل منهم.. يئسوا من الإصلاح.. وألقوا السلاح.. وليسألن يوم القيامة عن ذلك..

وما كثرت المنكرات بين الناس.. في أسواقهم.. وبيوتهم.. ومدارسهم.. وأماكن أعمالهم.. إلا بسبب أنهم ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾...

وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يحقر أحدكم نفسه**»، قالوا: يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه؟! قال: «**يرى أمراً لله عليه فيه مقال.. ثم لا يقول فيه، فيقول الله له يوم القيامة: ما منعك أن تقول فيَّ كذا وكذا؟**

فيقول خشية الناس.. فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى»[١].

واعلم أن قوله ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه. وذلك أضعف الإيمان**»[٢] يشمل كل مسلم ومسلمة.. وأنت من المسلمين بل أن الساكت عن إنكار المنكر يخشى عليه أن يكون شريكاً لفاعله في الإثم.. قال ﷺ: «**إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها ـ وقال مرة: أنكرها ـ كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها**»[٣].

۞ الوصية الخامسة:

من محبة الله تعالى للصالحين.. الذين هم أهل الجنة.. أن الله يجمع لهم بين سعادتي الدنيا والآخرة..

واعلم أن الملل الدائم الذي ينزله الله بمن عصاه.. أو طلب السعادة في غير رضاه.. يضيق على أهل المعصية دنياهم.. وينغص عليهم عيشهم.. حتى يتحول ما يسعون وراءه من متع إلى عذاب يتعذبون به..

فلماذا..؟!

لماذا يتحول سماعهم للغناء.. ومواقعتهم للفحشاء.. وشربهم للخمر.. ونظرهم إلى الحرام.. لماذا يتحول هذا إلى ضيق بعد أن كان سعة.. وحزن بعد أن كان فرحة.. لماذا؟

الجواب واضح.. لأن الله تعالى خلق الإنسان لوظيفة واحدة.. لا يمكن أن تستقيم حياته لو اشتغل بغيرها.. ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

فإذا استعمل الإنسان جسده وروحه لغير الوظيفة التي خلق لأجلها

---

(١) رواه ابن ماجه، وهو صحيح.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود، وفي إسناده مقال.

تحولت حياته إلى جحيم، وخذ مثالاً على ذلك: لو أن رجلاً يمشي في طريق فانقطع نعله فجأة فلما رأى ذلك قال: لا مشكلة أستعمل القلم بدل النعل ثم وضع قلمه تحت رجله وأراد المشي.. لقلنا له: أنت مجنون لأن القلم صنع للكتابة ولم يصنع للمشي..

وكذلك لو احتاج قلماً فلم يجد فقال: لا مشكلة أكتب بحذائي..!! ثم تناول حذاءه وبدأ يجرّه على الورق!! لقلنا له: أنت مجنون لأن الحذاء إنما صنع لوظيفة واحدة هي المشي ولم يصنع للكتابة..

وكذلك الإنسان.. خلق لوظيفة واحدة هي طاعة الله وعبادته.. فمن استعمل حياته لغير هذه الوظيفة فلا بدّ أن يضل ويشقى..

ولو نظرت في حال من استعملوا حياتهم لغير ما خلقوا له لوجدت في حياتهم من الفساد والضياع ما لا يوجد عند غيرهم.. هلا تساءلت معي: لماذا يكثر الانتحار في بلاد الإباحيَّة والفجور..؟

لماذا ينتحر في أمريكا سنوياً أكثر من خمسة وعشرين ألف شخص..؟

وقل مثل ذلك في بريطانيا.. وقل مثله في فرنسا.. والسويد.. وغيرها..!

لماذا ينتحرون؟!..

ألم يجدوا خموراً يشربون؟.. كلا.. بل الخمور كثيرة..

ألم يجدوا بلاداً يسافرون؟.. كلا.. البلاد واسعة..

أم منعوا من الزنا؟

أم حيل بينهم وبين الملاعب والملاهي..

كلا.. بل هم يفعلون ما شاءوا.. يتقلبون بين متع أعينهم.. وأبصارهم وفروجهم..

إذن.. لماذا ينتحرون.. لماذا يملون من حياتهم؟!

لماذا يتركون الخمور والزنا والملاهي.. ويختارون الموت.. لماذا..؟؟

الجواب واضح ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]..

تلاحقهم المعيشة الضنك في ذهاب أحدهم ومجيئه.. وسفره وإقامته.. تأكل معه وتشرب.. تقوم معه وتقعد.. تلازمه في نومه ويقظته.. تنغص عليه حياته حتى الموت..

ومن أعرض عن الله وتكبر.. ألقى الله عليه الرعب الدائم.. قال الله: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾.. لماذا؟ ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آل عمران: ١٥١]..

أما العارفون لربهم.. المقبلون عليه بقلوبهم فهم السعداء ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾...

قال الشيخ:

ذهبت للعلاج في بريطانيا..

فأدخلت إلى مستشفى من أكبر المستشفيات هناك.. لا يكاد يدخله إلا كبير أو وزير..

فلماذا دخل عليّ الطبيب ورأى مظهري قال: أنت مسلم؟

قلت: نعم..

فقال: هناك مشكلة تحيرني منذ عرفت نفسي.. هل يمكن أن تسمعها مني؟

قلت: نعم.

فقال: أنا عندي أموال كثيرة.. ووظيفة مرموقة.. وشهادة عالية.. وقد جربت جميع المتع.. شربت الخمور المتنوعة.. وواقعت الزنا.. وسافرت إلى بلاد كثيرة.. ومع ذلك.. لا أزال أشعر بضيق دائم.. وملل من هذه المتع..

عرضت نفسي على عدة أطباء نفسيين.

وفكرت في الانتحار عدة مرات لعلي أجد حياة أخرى.. ليس فيها ملل..

ألا تشعر أنت بمثل هذا الملل والضيق؟!

فقلت له: لا.. بل أنا في سعادة دائمة.. وسوف أدلك على حل المشكلة.. ولكن أجبني.. أنت إذا أردت أن تمتع عينيك فماذا تفعل؟ قال: انظر إلى امرأة حسناء أو منظر جميل.

قلت: فإذا أردت أن تمتع أذنيك فماذا تفعل؟ قال: أستمع إلى موسيقى هادئة.

قلت: فإذا أردت أن تمتع أنفك فماذا تفعل؟ قال: أشم عطراً.. أو أذهب إلى حديقة..

قلت له: حسناً.. إذا أردت أن تمتع عينك لماذا لا تستمع إلى الموسيقى؟

فعجب مني وقال: لا يمكن لأن هذه متعة خاصة بالأذن..

قلت: فإذا أردت أن تمتع أنفك لماذا لا تنظر إلى منظر جميل؟

فعجب أكثر مني وقال: لا يمكن لأن هذه متعة خاصة بالعين.. ولا يمكن أن يتمتع بها الأنف.. قلت له: حسناً.. وصلت إلى ما أريده منك..

أنت تحس بهذا الضيق والملل في عينك؟

قال: لا!!.. قلت: تحس به في أذنك؟!.. في أنفك؟!.. فمك؟!.. فرجك؟!.

قال: لا.. بل أحسّ به في قلبي.. في صدري..

قلت: أنت تحس بهذا الضيق في قلبك.. والقلب له متعة خاصة به.. لا يمكن أن يتمتع بغيرها.. ولا بدّ أن تعرف الشيء الذي يمتع القلب.. لأنك بسماعك للموسيقى.. وشربك للخمر.. ونظرك وزناك.. لست تمتع قلبك وإنما تمتع هذه الأعضاء!!..

فعجب الرجل، وقال: صحيح.. فكيف أمتع قلبي؟!!

قلت: بأن تشهد أن لا إله إلا الله.. وأن محمداً رسول الله.. وتسجد بين يدي خالقك.. وتشكو بثك وهمك إلى الله.. فإنك بذلك تعيش في راحة

واطمئنان وسعادة.. فهز الرجل رأسه وقال: أعطني كتباً عن الإسلام.. وادع لي.. وسوف أسلم.. ثم أكملت علاجي وسافرت.. ولعل الرجل يكون أسلم بعد ذلك..

وصدق الله إذ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٧ ـ ٥٨]... فعجباً لأقوام يلتمسون الأنس والانشراح.. ويبحثون عن السعادة في غير طريقها.. والله يقول: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١]...

ففرق الله بين عيش السعداء.. وعيش الأشقياء.. في المحيا والممات..

قال الشيخ: جاء إليّ شاب يوماً.. فتأملت وجهه فإذا وجه مظلم مكتئب.. فسألته عن حاجته.. فسكت.. كررت عليه السؤال.. فلم يتكلم.. نظرت إليه.. فإذا دموعه تسيل من عينيه.. فسألته: لماذا تبكي؟

فقال: لا أستطيع التنفس من شدة الضيق.. والملل.. أشعر والله يا شيخ أن على صدري جبلاً يكتم أنفاسي.. لم أعد أتحمل الناس.. ولا الأصدقاء.. بل أمي وأبي وإخوتي.. لم أعد أطيق الجلوس معهم.. ضحكي مجاملة.. وسروري تظاهر.. فجئت إليك لتعالجني بالرقية.. أو تدلني على من يعالجني.. ثم احتبس صوته وصمت..

فسألته: هذا الضيق لا بدّ أنه له سبباً.. فما السبب؟ فقال: لا أدري..

فقلت: كيف علاقتك بربك..

فقال: سيئة.. واسمع قصتي.. قلت: هاتها..

فقال: لما كان عمري أربع عشرة سنة.. ذهب أبي إلى أمريكا للدراسة فذهبت معه.. وأهملني أبي هناك بين المراقص والأسواق وأنا في تلك السن المبكرة.. فلما أتم أبي دراسته سنتين عدنا إلى الرياض فطلبت أن يعيدني إلى

أمريكا لأكمل الدراسة فرفض.. فدرست في السنة الثالثة المتوسطة وتعمدت أن أرسب في جميع المواد.. وأعدت السنة.. وتعمدت أن أرسب.. فأعدت السنة ثالثة.. وتعمدت أن أرسب أيضاً.. فلما رأى أبي ذلك أرسلني إلى أمريكا.. لأكمل دراستي.. وكان المفروض أن أنهي الدراسة في أربع سنوات لأتخرج من الثانوية.. لكني أنهيتها في تسع سنوات..

لم تبق معصية على وجه الأرض إلا فعلتها هناك.. لأنني كنت أريد أن أتمتع بشبابي بقدر ما أستطيع..

ثم عدت إلى الرياض وبدأت أدرس في الجامعة.. وأنا لا أزال على المعاصي الكبيرة والصغيرة لكن هذا الضيق الشديد.. بدأ يكتم عليّ أنفاسي.. يضيق عليّ حياتي.. مللت من كل شيء.. كل شيء جربته..

لكن الملل يلازمني..!!

قال هذا الكلام كله.. وهو يدافع عبراته.. ويبكي..

فسألته: هل تصلي..؟ قال: لا..

قلت: أول علاج لهذا الهم هو أن تصلح علاقتك بالذي قلبك بين يديه يقلبه كما يشاء.. فحافظ على الصلاة في المسجد.. وموعدي معك بعد سبعة أيام.. ومضت الأيام..

وبعد أسبوع جاءني بغير الوجه الذي فارقته عليه.. وأول ما رآني عانقني وقال: جزاك الله خيراً.. والله يا شيخ إنني في سعادة ما ذقتها منذ تسع سنوات.. فسألته عن الضيق والملل والاكتئاب.. فإذا هو قد زال عنه كله.. وصدق الله إذ قال: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥]...

قال الشيخ:

جاءني شخص يوماً وقال:

يا شيخ أخي مصاب بسحر وأريدك أن تدلنا على أحد يقرأ عليه شيئاً من

القرآن.. ويرقيه بالرقية الشرعية.. فطلبت أن أقابل أخاه.. فلما جاء إليّ.. فإذا المريض مكتئب الوجه.. ضائق الصدر.. مضطرب الحال..

فسألته من ماذا تشتكي؟

فقال: أنا مسحور!!

فسألته: ما علامات سحرك؟!

فقال: أشعر بضيق دائم.. يلازمني الملل والاكتئاب.. مللت من كل شيء.. وكرهت مخالطة الناس.. حتى أمي وأخوتي لم أعد أتحمل مجالستهم.. زوجتي كثرت المشاكل بيننا فذهبت إلى أهلها منذ سنة.. أولادي أملّ من مجالستهم.. ثم دافع عبراته وسكت..

فقلت له: ولماذا تجزم بأنك مصاب بسحر.. لعل ما أصابك هو عقوبة من الله تعالى على بعض معاصيك.. لعل الله اطلع عليك وأنت تعصيه فنزع منك انشراح الصدر.. والله يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠]...

فقال: لا.. أنا مسحور فاقرأ عليّ الرقية الشرعية..

قلت: حاسب نفسك وراقب عملك وأبشر بالخير.

فقال: لا.. بل أنا مسحور فاقرأ عليّ..

فلما أكثر عليّ تناولت كأس ماء كان بجانبي ثم قرأت الفاتحة ونفثت فيه.. ثم قلت له: اشرب.. قد قرأت عليك!!..

فشرب الماء وخرج..

وبعد يومين اتصل بي أخوه وقال: يا شيخ.. أبشرك.. قد نفع الله بتلك القراءة.. فعجبت!!.. وقلت: كيف؟

قال: قد كان أخي بالأمس عند أمي وأخوتي طوال اليوم.. وفي المساء أحضر زوجته وأولاده.. والله يا شيخ إن أمي وزوجته تدعون لك.. وجزاك الله خيراً على فك السحر.. فعجبت والله من ذلك.. وطلبت منه أن يحضر مع أخيه إليّ..

فلما حضرا.. سألت المريض: هاه.. يا فلان.. وجدت السحر؟!

قال: لا.. ولكن وجدت شيئاً آخر. وجدت أفلاماً خليعة.. ومخدرات..

قلت: كيف؟!!

قال: لما ذهبت من عندك حاسبت نفسي.. وتأملت في الآية ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾... فأخذت أتلمس موضع الخلل. فإذا أنا لست حريصاً على الصلاة أبداً.. إضافة إلى أني منذ زمن.. مدمن النظر إلى الأفلام الخليعة.. فمن كثرة مشاهدتي لها أبغضت زوجتي.. وأولادي.. وصار الضيق يلازمني.. فبدأت أتعاطى المخدرات لإزالة هذا الضيق عني.. فزاد غمي غماً.. وكنت أظن أني مسحور لشدة هذا الضيق..

فجمعت هذه الأفلام وأحرقتها.. ثم أخذت ما تبقى عندي من المخدرات وألقيتها في المرحاض وصببت عليها الماء.. وأعلنت التوبة إلى الله تعالى..

فوالله يا شيخ ما كدت أفعل ذلك.. حتى شعرت كأن جبلاً كان فوق صدري وانزاح عني..

۞ الوصية السادسة:

أهل الجنة قوم سمت نفوسهم عن التعلق بمحبة الخلق إلى التعلق بمحبة الخالق..

يحبهم ربهم.. ويحبونه.. ربهم أحب إليهم من أهلهم وأموالهم وأنفسهم.

طالما تملقوا إليه في الأسحار.. وبكوا من خشيته في النهار..

اشتاقت عيونهم إلى رؤيته.. وتقطعت قلوبهم من عظم محبته..

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

اشتاقت نفوسهم لرؤية ربهم حتى استحقوا النظر إليه يوم القيامة فبشرهم الله بذلك وقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]. . .

فكن من هؤلاء. . واحذر أن تكون ممن تعلقت نفوسهم بالعشق المحرم. .

فقد تحب (أو تحبين) أحداً لأنه قوام لليل. . صوام للنهار. . أو حافظ للقرآن. . أو داع إلى الله. . فهذه المحبة لله. . وصاحبها مأجور عليها. . والمتحابون في الله يوم القيامة يكونون على منابر من نور يغبطهم عليها الأنبياء والشهداء. .

وقد تحب شخصاً (أو تحبينه). . لجمال وجهه. . أو رقة كلامه. . أو تغنجه ودلاله. . دون النظر إلى صلاحه وطاعته لله. . فهذه المحبة لغير الله. . ولا تزيدك من الله إلا بعداً. . وقد هدد الله أصحابها فقال: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧]. . وقال: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩]. . . بل إن هؤلاء المتحابين الذين اجتمعوا على ما يغضب الله يعذبون يوم القيامة. . وينقلب حبهم إلى عداوة. . كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ [العنكبوت: ٢٥]. . .

وإن من أكبر أسباب وقوع هذا العشق المحرم. .

النظر إلى الأفلام الهابطة. . التي يختلط فيها الرجال بالنساء. . حتى يقع في قلب الناظر إليها أن الاختلاط أمر عادي. . فيبدأ في البحث عن معشوق أو معشوقة. .

وأعظم من ذلك إذا كانت هذه الأفلام مما يقع فيها مشاهد الحب والغرام. . واللمسات والقبلات. . فإذا رآها الشباب والفتيات حركت فيهم الساكن. . وأظهرت الباطن. . ونزعت الحياء. . وقربت البلاء. . وكذلك من رأى صور الفجور. . ومشاهد المجون. . فلا بدّ أن تندفع إلى نفسه إلى تقليدها في كل حين. . في السوق. . وعلى فراشه. . وفي مكتبه. . ولا يزال الشيطان

يدعوه إليها.. لذلك لما أمر الله تعالى بحفظ الفروج عن الزنا.. أمر قبل ذلك بغض البصر فقال سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]... وفي الحديث «**العين تزني وزناها النظر**»[١]..

ومن أسباب التعلق بهذا العشق..

الاستماع إلى الأغاني.. وقد قال ابن مسعود ﷺ: (الغناء رقية الزنا).. يعني طريقه ووسيلته..

عجباً.. هذا يقوله ابن مسعود لما كان الغناء يقع من الإماء المملوكات. يوم كان الغناء بالدف والشعر الفصيح.. يقول ﷺ: هو رقية الزنا.. فماذا يقول لو رأى زماننا وقد تنوعت الأصوات والألحان.. وأصبحت الأغاني تسمع في السيارة والطائرة والبر والبحر.. وكم في الأغاني من شرور.. فما يذكر فيها إلا الحب والغرام.. والعشق والهيام..

بالله عليك هل سمعت مغنياً غنّى في الحث على غضّ البصر؟

أو كفالة الأيتام؟

أو الصلاة في المسجد؟

أو التوبة؟

ما سمعنا عن شي من ذلك.. بل كل إناء بما فيه ينضح.. امتلأ قلب هذا المغني بالشهوات.. وتعلق بالملذات.. فبدأ ينفق مما عنده.. ويلغ في قلوب الشباب والفتيات.. ويدعوهم إلى الولوغ فيما ولغ فيه.. وإذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً.. إحداهن بالتراب..

إن تعلق الشاب بشاب مثله.. وافتتان الفتاة بفتاة مثلها.. لهو الخطر الأكبر.. والخطب الأعظم..

ومن تساهل بالنظر الحرام.. أوقعه ذلك في أحد الخطرين.. إما عشق النساء.. أو عشق المردان.. ولا يزال الشيطان به حتى يقع في الفاحشة عياذاً بالله..

---

(١) متفق عليه.

وقد ذمَّ الله هذه الفاحشة الشنيعة وجعلها قرينة الشرك والقتل فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾.. ثم ذكر الله تعالى عذاب الزناة يوم القيامة فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٦٩]...

وكم من فتاة ضيعت شبابها.. وفضحت أهلها.. أو قتلت نفسها بسبب ما تسميه العشق.. وكم من فتى أشغل أيامه وساعاته.. وأضاع أنفاس حياته.. فيما يسميه العشق.. ونحن في زمن كثرت فيه المغريات.. وتنوعت الشهوات..

وترك المفسدون في قنواتهم ومجلاتهم.. مخاطبة العقول والأفهام.. ولجئوا إلى مخاطبة الغرائز وإثارة الحرام.. فأصبح الشباب والفتيات حيارى.. بين مجلات تغري.. وشهوات تسري.. وقنوات تعري.. وأفلام تزين وتجرئ.

ودواء ذلك كله الصحبة الصالحة.. وغض البصر.. والنكاح الحلال.. وملء وقت الفراغ بما ينفع.. ولا شك أن الرفاهية الزائدة.. ونقص الإيمان تجرّ هذه التوافه..

قال الشيخ:

كان ابن عم لي يسكن في إحدى الدول المجاورة.. التي يظهر فيها السفور.. وكان هذا الرجل غنياً منعماً.. وكبر أولاده وبناته.. فلما وصلت إحدى بناته إلى المرحلة الجامعية طلبت منه أن يشتري لها سيارة تنتقل بها كيفما شاءت.. فغضب وقال: السيارة مفتاح شر.. وقد يتعرض لك الفساق.. وتجعلك تختلطين بالرجال في الشارع وإدارة المرور وغير ذلك.. وأنا وإخوانك لم نقصر معك..

فأصرت الفتاة.. وبكت.. حتى اشترى لها السيارة.. وبدأت تذهب وتجيء كيفما شاءت.. فلما أنهت سنة من الجامعة وجاءت العطلة..

قالت لأبيها: أريد أن أقضي الإجازة في بريطانيا مع صديقاتي لدراسة اللغة الإنجليزية!!

فعجب الأب المسكين وقال: في بريطانيا!!.. لا ضرورة لذلك..

فأصرت عليه وتباكت..

فقال لها: نعم تذهبين.. ولكن أذهب معك أنا.. أو أخوك..

فغضبت.. وقالت: أنا واثقة في نفسي.. ولا يمكن أن أتعرض لمكروه.. فأبى عليها.. لكنها تعرف دواءه.. بكت.. وأقفلت على نفسها في غرفتها.. وأضربت عن الطعام والشراب.. حتى رق لها قلبه.. ودمعت عينه.. وقال: أخرجي من عزلتك وسوف تسافرين إلى بريطانيا.. ففرحت الفتاة.. وبدأت تجمع حقائبها.. وترتب ملابسها.. لكن الأب في هذه المرة طفح عنده الكيل.. وعلم أنه لا بدّ أن يجد حلاً حازماً.. فماذا فعل؟

رفع الأب سماعة الهاتف واتصل بأحد أقاربهم.. يسكت في مدينة تقع على طريق مكة المكرمة.. اتصل به وقال له: يا فلان!! هل تذكر فلان ابن عمنا.. الذي يسكن في خيمة في البر؟

قال صاحبه: نعم.. وهو لا يزال على حاله في البر.. يرعى الغنم.. وعنده إبل.. ويشتغل ببيع السمن.. والإقط.. فسأله صاحبنا: هل تزوج؟

قال: لا.. ومن يزوجه.. وهو أعرابي في الصحراء.. لا يقر له قرار.. يرحل بخيمته كل حين.

فقال: حسناً.. أنا آت إلى مكة بعد يومين.. وسوف أتغدى عندك وأريدك أن تدعو فلاناً ليتغدى معنا..

قال: حسناً.. ثم ودعه وأقفل الهاتف..

وجاء الأب إلى ابنته وقال: سوف نذهب للعمرة بالسيارة.. ثم تسافرين إلى بريطانيا بالطائرة عن طريق مطار جدة.

فلم كان يوم السفر.. جمعوا الحقائب.. وسارت العائلة في أمان الله..

فلما انتصف بهم الطريق إلى مكة توجه الأب إلى مدينة صاحبه وقال

لأهله: نرتاح قليلاً في بيت فلان.. ونتغدى.. ثم نكمل السفر..

وصل إلى بيت صاحبه.. فدخلت النساء عند النساء.. ودخل هو عند الرجال.. والتقى بصاحبه راعي الإبل والغنم.. فتحدث معه طويلاً.. ثم عرض عليه أن يزوجه ابنته!! فوافق فوراً.. ثم دعوا مأذوناً شرعياً.. وعقد النكاح..

ثم خرج الأب ونقل حقائب البنت.. العروس.. من سيارته إلى سيارة زوجها.. ثم صاح بأهله ليخرجوا.. فخرجت زوجته بأطفالها.. وخرجت البنت الرقيقة.. تنفض يديها من غبار المنزل.. وتتأفف من ذبابه وحشراته..

فلما ركبت مع أبيها.. زف إليها بشرى زواجها.. فظنت أنه يمزح..

لكنه بدا جاداً.. وأمرها بالنزول مع زوجها.. فأبت.. وبكت.. وتعلقت بأمها..

فتوجه الأب إلى الزوج وقال: زوجتك العروس تستحي أن تأتي لتركب معك.. فتعال أنت وخذها..

فنزل الرجل فرحاً مستبشراً.. متغنجاً متدللاً.. وفتح باب السيارة.. وحملها معه.. ثم أركبها في سيارته.. وشق الصحراء.. وغاب بين كثبان الرمال.. ومضى بها إلى خيمة السعادة..

أما الأب فقد كان حازماً.. تغلب على بكاء الأم وتوسلاتها.. ورجع ببقية العائلة إلى بلده..

ومضى أسبوع.. فاتصل الأب بصاحبه الذي في المدينة وسأله عن أخبار صهره الجديد وابنته.. فقال: قد رأيتهما في السوق قبل يومين وهما بخير.. ومضت الأيام والشهور.. والأب يتلقى الأخبار من صاحبه هاتفياً.. فلما مضت سنة.. اتصل به صاحبه وبشره بأن ابنته قد رزقت بغلام..

وبعد شهور.. ذهبت العائلة لزيارة ابنتهم.. ووصلوا إلى مدينة صاحبهم.. واصطحبوه معهم..

وشقوا الصحراء.. ومشوا بين الكثبان.. وبدؤوا يبحثون عن ابنتهم

وخيمتها.. وبينما هم يبحثون.. إذ أقبلوا على خيمة عند بابها امرأة حامل وبجانبها طفل صغير.. فلما اقتربوا.. فإذا هي ابنتهم.. فرحبت. وحيت..

وصاحت بزوجها.. وجاء وأكرمهم..

فكان زواجها من هذا الرجل خيراً لها من جامعتها. ومن بريطانيا..

مع ملاحظة أن تزويج البنت بغير رضاها لا يجوز.. ولكني أوردت هذه الحادثة لبيان عاقبة الترف والفراغ على الشباب والفتيات.

وقد يزين الشيطان للفتى أو للفتاة أنه جميل جذاب.. وأن الطرف الآخر معجب به.. فإذا مشى في الأسواق.. أو ضاحك الرفاق.. ظن أنه يلفت الأنظار.. ويفتن الواقف والمار.. فيدفعه ذلك للتعرض والتبذل.. ويحتال عليه أصحاب الشهوات حتى يعبثوا به (أو بها) فإذا قضوا شهواتهم منه (أو منها).. ذهبوا يبحثون عن فريسة أخرى..

قال الشيخ:

ألقيت محاضرة في أحد المساجد.. فلما خرجت من المسجد فإذا بشاب ينتظرني عند سيارتي.. جسمه نحيل.. ووجهه شاحب.. ومظهره مخيف.. فلما رأيته فزعت.. وقلت له: ماذا تريد؟!

فقال لي: أنا يا شيخ.. قررت أن أتوب..

فظننت أنه سيتوب من تهريب المخدرات.. أو قطع الطريق.. أو القتل.. إذ أن مظهره قد يوحي بذلك..

لكنني سألته وقلت: تتوب من ماذا؟

فقال: من مغازلة الفتيات؟!

فعجبت.. لكني سكت.. وقلت له مشجعاً: نعم.. الحمد لله على أن وفقك الله للتوبة.

فصاح بي قائلاً: ولكن هناك أمر يمنعني من التوبة!!

قلت له: ما هو؟

فقال: إذا مشيت في السوق.. البنات ما يتركنني.. يغازلنني في كل زاوية..!!

فتأمل كيف خدعه الشيطان..

فعجباً لمسلم (أو مسلمة) يستغويه الشيطان بنظرة أو كلمة.. وهو يعلم أنه سوف يحاسب على الخطرات والنظرات.. ومن أعظم صفات أهل الجنة الصبر عن الشهوات.. لذا يقال لهم يوم القيامة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٤]... أما أهل النار فيقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأحقاف: ٢٠]..

فهل تكون من الصابرين عن الشهوات لتفوز بجنات النعيم..

۞ الوصية السابعة:

أحرص على تعلم أحكام الدين وتعليمها.. وهذه عبادة عظيمة.. بل هي وظيفة الأنبياء الذين هم أرفع أهل الجنة منازل.. ولشرف العلم وعلو مرتبته قال الله لنبيه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]... وما أمر الله رسوله بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم.. ومن نظر في حال أكثر الناس وجد عندهم من العزوف عن العلم وتعلمه.. وحضور مجالسه.. وقراءة كتبه.. ما أغرق كثيراً منهم في لجج الجهل والسفاهة..

أوقفني مرة شاب يدرس في المرحلة الجامعية وقال: عندي سؤال! قلت: ما سؤالك؟ فقال: إذا أردت أن أصلي النافلة كالوتر والضحى هل يجب عليّ أن أتوضأ.. أم أصلي من غير طهارة؟!

فعجبت من سؤاله وظننت أنني لم أفهم.. وطلبت منه إعادة السؤال.. فأعاده كما هو!!

فقلت: طبعاً يجب عليك أن تتوضأ.. عندك شك في هذا؟!!

فقال: هذه الصلاة تبرع مني.. فلماذا أتوضأ لها..؟!

وقال الشيخ:

ألقيت كلمة في أحد المساجد حول أحكام الطهارة الكبرى والصغرى..

فلما خرجت أمسك بي شاب جامعي وقال: ذكرت يا شيخ أن من استيقظ من نومه وهو جنب.. بسبب الاحتلام.. فإنه يلزمه الغسل..

قلت له: نعم.. صحيح..

فصاح بي وقال: هل الذي يلزمه وضوء فقط كوضوء الصلاة.. أم غسل كامل..؟!

قلت: بل يلزمه غسل كامل.. يعمم جسده كله بالماء.. فإن لم يفعل لم يرتفع حدثه.. وبالتالي لا تصح صلاته..

فقال: والله إني منذ سنوات إذا أصابتني جنابة في النوم اكتفيت بالوضوء كوضوء الصلاة.. ولم أعلم بوجوب الغسل في هذه الحالة إلا الآن..!!

ولا عجب أن ترد مثل هذه الأسئلة في زمن قل علماؤه.. وكثر جهاله.. بل قد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن يقل العلم.. ويكثر الجهل.. ففي الحديث: «**إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل**»[١]، وقال ﷺ: «**إن بين يدي الساعة لأياماً يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل..**»[٢].

ومن نظر في مجالس كثير من الناس اليوم.. وجد أنها تشغل بمعصية من سماع أو نظر محرم.. أو بأمور تافهة.. وأحاديث لا تفيد في دين ولا دنيا..

قال الشيخ:

جلست مرة في مجلس فيه أكثر من أربعين رجلاً.. فكثر لغطهم.. حتى ارتفعت أصواتهم.. ومضى قرابة ساعة على ذلك..

فحاولت إسكاتهم فشق عليّ.. وكان الذي بجانبي من أكابرهم.. فالتمست منه أن يسكتهم فصاح بهم فسكتوا..

فقلت لهم:

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

منذ أن جلسنا وأنتم تتحدثون في أمور لا أدري هل تكتب في صحيفة الحسنات أم السيئات.. ولكن أسألكم سؤالاً..

كلكم تحفظون سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾؟

فتصايحوا: نعم.. نعم..

فقلت: ما معنى ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ... ۝٢﴾؟

فسكتوا جميعاً.. فقلت: تحفظون سورة الفلق؟

قالوا: نعم.. نعم..

فقلت: ما معنى ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ... ﴾..؟!.. فسكتوا..

فقلت: لو أنكم أثناء جلوسكم قرأتم تفسير آية.. أو شرح حديث.. أو تعلمتم حكماً من أحكام الدين لكان خيراً لكم وأقوم..

وقد قال أبو القاسم ﷺ: «**إيما قوم جلسوا.. فأطالوا الجلوس.. ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله.. ويصلوا على نبيه ﷺ.. إلا كانت عليهم من الله ترة (أي: ثأر وعقوبة) إن شاء الله عذبهم.. وإن شاء غفر لهم..**»[1].

والعجب من أقوام يشغلون مجالسهم بما لا يفيد فإذا تكلم من يفيدهم.. أو يلقي عليهم كلمة.. أعرضوا عنه وشعروا بالملل..

واشتاقوا إلى الاشتغال بغير ذلك من التوافه.. ويخشى على هؤلاء أن يكون بهم شبه ممن قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٤٥﴾ [العنكبوت: ٤٥]..

ذكر أن خالد بن صفوان ـ وهو أحد البلغاء الأدباء ـ كان يعمر مجالسه بتذاكر الأخبار والتاريخ والأدب..

فقال له رجل يوماً: أيها الأمير.. ما لي إذا رأيتكم تتذاكرون الأخبار.. وتتدارسون الآثار.. وتتناشدون الأشعار.. مللت ووقع عليّ النوم؟!

فقال له خالد: لأنك حمار في صورة إنسان..

---

(١) رواه الترمذي والحاكم واللفظ له وهو حديث حسن.

نعم إن الذي همه في دنياه الأكل والشرب والنوم.. ويتغافل عن طلب العلم.. وتعلم الدين.. هو أشبه بالدواب.. وأقرب إلى الخرب.. حياته محدودة.. وأنفاسه معدودة.. وأوقاته ضائعة..

فانتبه أن تمضي حياتك سدى..

ولتكن أنت المبادر إلى إفادة الناس في مجالسهم.. أحضر معك كتاباً نافعاً واقرأ عليهم منه ولو لمدة عشر دقائق تزكون بها مجلسكم.. وتطهرون نفوسكم..

قال إبراهيم التيمي:

أتيت أبا يوسف القاضي أعوده في مرض موته فوجدته مغمى عليه..

فلما أفاق قال لي: يا إبراهيم.. أيهما أفضل للحاج في رمي الجمار.. أن يرميها الرجل راجلاً أو راكباً..

فقلت: راكباً.. فقال: أخطأت..

قلت: ماشياً.. قال: أخطأت..

قلت: قل فيها.. رضي الله عنك..!!

قال: أما ما يوقف عنده للدعاء.. فالأفضل أن يرميه راجلاً.. وأما ما لا يوقف عنده. فالأفضل أن يرميه راكباً..

فقلت: نفع الله بعلمك.. وجزاك عني خيراً.. ثم قمت من عنده..

فما بلغت باب داره حتى سمعت الصراخ عليه.. وإذا هو قد مات رَحِمَهُ اللَّهُ..

وقال الفقيه الوالجي:

دخلت على أبي الريحان البيروني وهو يجود بنفسه.. وقد حشرج نفسه.. وضاق به صدره.. فتذكر وهو في تلك الحالة مسألة في المواريث.. كنت قد حدثته بها.. فقال لي:

كيف قلت لي يوماً حساب الجدات من جهة الأم؟!

فقلت له ـ إشفاقاً عليه ـ: أفي هذه الحالة؟!

فقال لي: يا هذا!! أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة.. ألا يكون خيراً من أن أموت وأنا جاهل بها؟!

فأعدت عليه تلك المسألة.. فحفظها..

ثم خرجت من عنده فلما صرت في الطريق سمعت الصراخ عليه..

فاتعظ بهذه الهمم العلية.. وابك على تقصيرك ودنو همتك.. واستدرك ما فرط من عمرك.. وتدارك أوقاتك وأنفاسك أن تذهب سدى..

عود نفسك أن لا يمر يوم إلا وقد قرأت صفحات من كتاب نافع.. أو تعلمت تفسير آية.. أو معنى حديث..

وإذا مر بك يوم ولم تكتسب تقى ولم تستفد علماً فما ذاك من عمرك..

وطلب العلم من أسباب دخول الجنة، قال ﷺ: «.. **ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»[1].

۞ الوصية الثامنة:

أهل الجنة.. عظموا ربهم حق التعظيم.. قاموا على أقدام الخوف.. فخافوا من ويلات الذنوب.. وتركوا لذة عيشهم.. في سبيل أن يلقوا ربهم وهو راض عنهم.. ماعز بن مالك رضي الله عنه..

كان شاباً من الصحابة.. متزوج في المدينة..

وسوس له الشيطان يوماً.. وأغراه بجارية لرجل من الأنصار..

فخلا بها عن أعين الناس.. وكان الشيطان ثالثهما.. فلم يزل يزين كلاً منهما لصاحبه حتى زنيا..

فلما فرغ ماعز من جرمه.. تخلى عنه الشيطان.. فبكى وحاسب

---

(١) رواه مسلم.

نفسه.. ولامها.. وخاف من عذاب الله.. وضاقت عليه حياته.. وأحاطت به خطيئته.. حتى أحرق الذنب قلبه..

فجاء إلى طبيب القلوب.. ووقف بين يديه وصاح من حر ما يجد.. وقال: يا رسول الله.. إن الأبعد قد زنا.. فطهرني..

فأعرض عنه النبي ﷺ.. فجاء من شقه الآخر فقال: يا رسول الله.. زنيت.. فطهرني..

فقال ﷺ: «**ويحك ارجع.. فاستغفر الله وتب إليه..**».

فرجع غير بعيد.. فلم يطق صبراً..

فعاد إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله طهرني..

فقال رسول الله ﷺ: «**ويحك ارجع.. فاستغفر الله وتب إليه**»..

قال: فرجع غير بعيد.. ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني..

فصاح به النبي ﷺ.. وقال: «**ويلك.. وما يدريك ما الزنا؟**»؟..

ثم أمر به فطرد.. وأخرج..

ثم أتاه الثانية.. فقال: يا رسول الله، زنيت.. فطهرني..

فقال: **ويلك.. وما يدريك ما الزنا؟..**

وأمر به.. فطرد وأخرج..

ثم أتاه.. وأتاه.. فلما أكثر عليه..

سأل رسول الله ﷺ قومه: **أبه جنون؟**

قالوا: يا رسول الله.. ما علمنا به بأساً..

فقال: **أشرب خمراً؟** فقام رجل فاستنكهه وشمه فلم يجد منه ريح خمر..

فالتفت إليه النبي ﷺ وقال: «**هل تدري ما الزنا**»؟

قال: نعم.. أتيت من امرأة حراماً، مثل ما يأتي الرجل من امرأته حلالاً..

فقال ﷺ: «**فما تريد بهذا القول**»؟!

قال: أريد أن تطهرني..

فقال ﷺ: «**نعم.. فأمر به أن يرجم.. فرجم حتى مات..** رضي الله عنه»..

فلما صلوا عليه ودفنوه.. مر النبي ﷺ على موضعه مع بعض أصحابه..

فسمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما لصاحبه:

انظر إلى هذا.. الذي ستر الله عليه ولم تدعه نفسه حتى رُجم رَجم الكلاب..

فسكت النبي ﷺ ثم سار ساعة.. حتى مر بجيفة حمار.. قد أحرقته الشمس حتى انتفخ وارتفعت رجلاه..

فقال ﷺ: «**أين فلان وفلان**»؟

قالا: نحن ذان.. يا رسول الله..

قال: «**انزلا.. فكلا من جيفة هذا الحمار**»..

قالا: يا نبي الله!! غفر الله لك.. من يأكل من هذا؟

فقال ﷺ: «**ما نلتما.. من عرض أخيكما آنفاً.. أشد من أكل الميتة.. لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم.. والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها**»[1].

فطوبى.. لماعز بن مالك.. نعم وقع في الزنا.. وهتك الستر الذي بينه وبين ربه.. لكنه لما فرغ من معصيته وذهبت اللذات.. بقيت الحسرات.. وعظمت السيئات.. فندم.. وتاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم..

ولا يعني كلامنا عن ماعز رضي الله عنه أننا نطلب من كل من وقع في كبيرة أن يطالب بإقامة الحد عليه.. لكن الذي نريده وهو أن لا تتمكن المعصية من القلب حتى يألفها ولا يحدث منها توبة.. وقد أخبر النبي ﷺ عن أحوال

---

(١) أصل القصة في الصحيحين، وسقتها هنا من مجموع رواياتها في الصحيحين وغيرهما.

القلوب فقال: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً.. فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء.. وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء.. حتى تصير على قلبين..**

على أبيض مثل الصفا.. فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض..

والآخر أسود مرباداً.. كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه»[1].

فأين تلك القلوب البيضاء التي ترتجف إذا وقعت في المعصية.. فتسارع إلى التوبة والإنابة.. فإن التساهل بالذنوب هو طريق السوء والخذلان.. في الدنيا والآخرة.. وأهل الجنة إذا ذكروا تذكروا..

هل سمعت عن القعنبي؟.. الإمام العالم المحدث..

كان في شبابه يشرب النبيذ ويصحب الفساق..

فدعا أصحابه يوماً ليسكروا عنده.. وقعد على الباب ينتظرهم..

فمر شعبة بن الحجاج الإمام المحدث والناس خلفه يهرعون..

فعجب القعنبي من تزاحمهم على هذا الشيخ.. فسأل أحدهم وقال: من هذا؟

قال: الإمام شعبة بن الحجاج..

فقال مستهزئاً: وأيش شعبة؟!

قال: محدث.. عالم..

فلما سمع القعنبي كلمة (محدث) قام إلى شعبة وقال له: ـ مستهزئاً ـ: حدثني.. (يعني ما دمت محدثاً فحدثني).

فنظر إليه شعبة وقال: ما أنت من أصحاب الحديث فأحدثك..

فغضب القعنبي.. وأشهر سكينه وقال: تحدثني أو أطعنك بسكيني؟!

فالتفت إليه شعبة وقال:

---

(١) رواه مسلم.

حدثنا منصور.. عن ربعي.. عن أبي مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»(١).

فلما سمع القعنبي هذا الحديث.. وافق منه قلباً صافياً.. وتذكر ما يحارب به ربه منذ سنين.. ورمى سكينه ورجع إلى منزله.. وقام إلى جميع ما كان عنده من الشراب فهراقه.. ثم استأذن أمه بالسفر إلى المدينة لطلب العلم.. ولازم مالك بن أنس.. حتى حفظ عنه وأصبح من كبار العلماء المحدثين.. وسبب هدايته موعظة عابرة.. لكنها صادفت قلباً حياً..

۞ الوصية التاسعة:

هل أدلك على عبادة من أعظم العبادات.. كان رسول الله ﷺ يفعلها على جميع أحواله.. بل أمر الله تعالى المؤمنين بفعلها بعد الصلاة.. وبعد الصيام.. وبعد الحج.. بل وأثناء القتال.. وقبل الطعام وبعده.. وقبل دخول الخلاء وبعده.. وقبل النوم وبعده.. وهي مع ذلك لا تحتاج إلى استقبال القبلة.. ولا ستر العورة.. ولا إلى فعلها في جماعة.. ولا السفر لأجلها.. ولا إنفاق ريال واحد لأجلها..

هذه العبادة.. يستطيع فعلها الكبير والصغير.. والغني والفقير.. والرجل والمرأة.. والعالم والجاهل.. والمشغول والفارغ..

هل عرفت هذه العبادة؟؟

هي التي مدح الله تعالى الصالحين والصالحات بأنهم يفعلونها دائماً فقال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥]...

وقال ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟! قالوا: بلى، قال:**

---

(١) رواه الترمذي وهو حديث حسن، ومعنى الحديث: أنك إذا تجرأت على المعاصي ولم تخف أو تستح من خالقك الذي يراك ويراقبك، فافعل ما شئت من المعاصي فسوف تحاسب به يوم القيامة.

ذكر الله تعالى»[١].. قال معاذ بن جبل ﷺ: ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله.. وكان أبو هريرة ﷺ يسبح في اليوم والليلة أكثر من اثني عشر ألف تسبيحة ويقول: هذا التسبيح أَفتكُّ به نفسي من النار.. ومن أفضل الأذكار.. قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة.. قال ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة لم يحل بينه وبين دخول الجنة إلا الموت**»[٢] وقال ﷺ: «**ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**»[٣].. فكن ذاكراً لله على جميع أحوالك.. نعم.. قد تقصر في قيام الليل.. أو صيام النافلة.. أو الصدقة.. فانتبه أن تتكاسل نفسك عن الذكر.. وهو لا يكلفك شيئاً.. وقد قال ربك ﷻ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢]...

۞ الوصية العاشرة:

ما هو مصدر تلقي الدين بالنسبة إليك؟!.. سؤال مهم..

لاحظت أن بعض الناس يتتبعون الرخص.. ويفرحون بمن يفتيهم بما يوافق أهواءهم.. بل بعضهم إذا سمع فتوى توافق هواه.. طار بها فرحاً ومدح المفتي قائلاً: هذا هو الشيخ العالم.. هذا هو الشيخ الذي يفهم الواقع.. هذا الذي يعيش جراح المسلمين.. يقول هذا عن الفتوى وإن كانت تخالف الكتاب والسُّنَّة.. أو فيها تمييع للدين.. أو تساهل بالنصوص الشرعية.. أو تحايل للبحث عن الرخص والأقوال الضعيفة.. فالمهم أنها فتوى.. فتوى.. إن الله سيسألك يوم القيامة سؤالاً واحداً محدداً ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥]..

لن يسألك عن الشيخ فلان ولا فلان.. وإنما عن اتباع الكتاب

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه، وهو صحيح.
(٢) رواه النسائي وابن السني، وهو صحيح.
(٣) رواه مسلم.

والسُّنَّة.. فقط.. أعيد عليك السؤال المهم مرة أخرى: ما هو مصدر تلقي الدين بالنسبة إليك؟!

هل كل من لبس جبة أو عمامة وظهر في القنوات الفضائية.. وبدأ بـ الحمد لله.. وختم بـ والله أعلم.. يكون مفتياً؟!

هل كل أحد يصلح أن يكون مصدراً لتلقي الدين؟!

إن المقياس الذي ينبغي أن تحكم به على الشيخ المفتي هو أن تكون فتاواه موافقة للكتاب والسنة.. ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [صٓ: ٢٦]..

قال الشيخ:

ألقيت محاضرة في أحد المساجد.. فجاء إليّ أحدهم وقال:

يا شيخ لماذا تشدد في مسألة الاختلاط.. والشيخ الدكتور فلان في قناة (...) يقول: إن الاختلاط بين الرجال والنساء جائز في الولائم والحفلات إذا حسنت النية.. وكان النظر بغير شهوة؟!

وألقيت محاضرة في مكان آخر فجاء إليّ أحدهم.. وقال:

يا شيخ ما حكم الربا؟

قلت: حرام بجميع صوره وأشكاله..

فقال: إن الشيخ فلان في قناة (...) يقول: إنه ضرورة من ضرورات العصر.. ولا بأس به..

وجاء إليّ ثالث مستفتياً عن حكم المعازف والموسيقى.. ثم قال: قد أفتى الشيخ فلان أنها حلال فلا تجعل دينك عرضة لكل من أراد أن ينتقصه أو يفسده عليك.. فإنك ستحاسب وحدك.. وتسأل وحدك ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]..

واحذر أن تكون ممن يتبعون الأئمة المضلين.. وقد قال ﷺ: «**إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**»[1]..

---

(١) رواه الترمذي والدارمي، وهو حديث صحيح.

وخلاصة القول.. أن كلام هؤلاء المفتين المتساهلين بالدين لا ينطلي إلا على الأغبياء والجهال.. أما العقلاء فإنهم لا يطيرون خلف كل ناعق..

واستمع إلى هذين المثالين الطريفين..

الأول: غياث بن إبراهيم[1].. كان يتظاهر بالعلم.. ويزعم أنه يحفظ الأحاديث ويرويها.. وكان له وجاهة ولسان.. فكان الناس يجتمعون حوله فيحدثهم بالأعاجيب وهم يصدقونه..

رآه رجل يوماً على فعل لا يليق.. فقال له، ألا تستحي من الناس؟! فقال: أين هم الناس؟!!

قال: هؤلاء الذين اجتمعوا لك..

فقال: تعني هؤلاء!! هؤلاء ليسوا ناساً.. هؤلاء بقر.. وإذا أردت أن أثبت لك فتعال معي.. ثم ذهبا.. فجلس غياث في مجلسه وبدأ يحدث الناس عن الجنة ووصفها.. وهم يستمعون منصتين.. فلما رأى تفاعلهم معه.. اخترع حديثاً من عقله وقال لهم: قال ﷺ: «**من استطاع منكم أن يلمس أرنبة أنفه بلسانه دخل الجنة!!**» فبدأ الناس ـ فوراً ـ يخرجون ألسنتهم ويحاولون لمس أرنبة الأنف!!

فالتفت غياث إلى صاحبه وقال له: ألم أقل لك إنهم بقر؟!!

أما الثاني: فهو رجل كان يدّعي العلم الغزير.. ويجيب عن كل سؤال يردُ عليه.. ولم يقل يوماً في أيّ مسألة: لا أعلم.. بل كان يؤلف أجوبة من عنده.. ويضع لها أدلة.. ويتظاهر بها أمام الناس..

فاجتمع بعض العقلاء يوماً وقالوا: هذا الرجل إما أنه أعلم أهل الأرض. أو أنه يستغل جهلنا.. ثمَّ اتفقوا على أن يجروا له امتحاناً.. فألفوا كلمة من ستة أحرف ثمّ جاؤوا إليه وقبلوا رأسه وعظموه.. ثم قالوا: يا شيخ.. مسألة.. مسألة.. أشكلت علينا وأردنا أن تبين لنا جوابها..

---

(١) كان كذاباً وضاعاً للحديث: قال عنه أبو حاتم في كتاب المجروحين: كان يضع العجائب عن الأثبات.

فقال: وقعتم على الخبير.. ما هي مسألتكم؟ تختلفون وأنا حي!!..

فقالوا: ما هو الخنفشار؟!

فقال: الخنفشار نبات ينبت في جنوب اليمن.. فيه مرارة.. وإذا أكلته الناقة حبس اللبن في ضرعها.. ويستخدمه أهل الإبل إذا أرادوا بيعها.. يغشون به الناس حتى يظن المشتري أن الناقة تدر لبناً كثيراً.. وهي غير ذلك..

ثم اتكئ الشيخ وقال:

والخنفشار مشهور عند العرب.. وقد ذكروه في أشعارهم.. وذكره النبي ﷺ في سنته..

قال الشاعر متغزلاً بمحبوبته:

لقد عقدت محبتكم فؤادي كما عقد الحليبَ الخنفشارُ

ثم تنحنح.. وقال: أما الدليل من السُّنَّة.. فقد قال ﷺ..!!

فتدافعوا إليه.. وتصايحوا.. وقالوا: كفى.. كفى.. اتق الله يا كذاب.. كذبت على لغة العرب.. وكذبت على الشاعر.. وتريد أن تكذب على رسول الله ﷺ..ثمّ طردوه من بينهم.

فلا تجعل دينك عرضة لكل أحد يوجهه كيف شاء.. فالمتفي لا بدّ أن يتوفر فيه شرطان: العلم، والورع.

أما العلم فهو الاستدلال الصحيح بنصوص الكتاب والسُّنَّة..

والورع هو الخوف من الله تعالى في الفتوى.. وعدم الاغترار بالمال أو الجاه.. بل يقول الحق ولا يخاف في الله لومة لائم..

وما أقل العلماء الربانيين اليوم..

۞ الوصية الأخيرة:

اذكر الوقوف بين يدي الله تعالى واعلم أن هذه الدنيا دار ممر لا مقر، واسأل الله تعالى حسن الخاتمة..

قال صاحبي: كنت أدرس الطب في كندا. ولا أنسى أبداً ذلك اليوم الذي كنت أقوم فيه بالمرور اليومي على المرضى في غرفة العناية المركزة في المستشفى، ولفت انتباهي اسم المريض الذي في السرير رقم (٣)، إنه محمد..

أخذت أتفحص وجهه الذي لا تكاد تراه من كثرة الأجهزة والأنابيب على فمه وأنفه، إنه شاب في الخامسة والعشرين من عمره مصاب بمرض (الإيدز) أدخل إلى المستشفى قبل يومين إثر التهاب حاد في الرئة..

حالته خطرة.. جداً.. جداً..

اقتربت منه.. حاولت أن أكلمه برفق: محمد.. محمد.. إنه يسمعني لكنه يجيب بكلمات غير مفهومة..

اتصلت ببيته فردت عليّ أمه.. يبدو من لكنتها أنها من أصل لبناني.. عرفت منها أن أباه تاجر كبير يمتلك محلات حلويات.. شرحت للأم حالة ابنها.. وطال الكلام.. وأثناء حديثي معها بدأت أجراس الإنذار تتعالى بشكل مخيف من الأجهزة الموصلة بذلك الفتى مؤشرة على هبوط حاد في الدورة الدموية.. ارتبكت في حديثي مع الأم.. صرخت بها: لا بدّ أن تحضري الآن..

قالت: أنا مشغولة في عملي وسوف أحضر بعد انتهاء الدوام..!!

قلت: عندها ربما يكون الأمر قد فات.. وأغلقت السماعة..

بعد نصف ساعة أخبرتني الممرضة أن أم الفتى وصلت وتريد مقابلتي.. قابلتها.. امرأة في متوسط العمر لا تبدو عليها مظاهر الإسلام.. رأت حالة ابنها فانفجرت باكية.. حاولت تهدئتها وقلت: تعلقي بالله تعالى واسألي له الشفاء، قالت بذهول: أنت مسلم؟!!

قلت: الحمد لله!! قالت: نحن أيضاً مسلمون..

قلت: حسناً.. لماذا لا تقفين عند رأسه وتقرئين عليه شيئاً من القرآن لعل الله أن يخفف عنه..

ارتبكت الأم.. ثم انخرطت في بكاء مرير.. وقالت: هاه! القرآن؟! لا أعرف!! لا أحفظ شيئاً من القرآن!!

قلت: كيف تصلين..؟ ألا تحفظين الفاتحة؟!!

فغصت بعبراتها وهي تقول: نحن لا نصلي إلا في العيد منذ أن أتينا إلى هذا البلد..

سألتها عن حال ابنها.. فقالت: كان حاله على ما يرام، حتى تردت بسبب تلك الفتاة..

قلت: هل كان يصلي؟

قالت: لا، لكنه كان ينوي أن يحج في آخر عمره(!!)..

بدأت أجهزة الإنذار ترتفع أصواتها أكثر وأكثر.. اقتربت من الفتى المسكين.. إنه يعالج سكرات الموت..

الأجهزة تصفر بشكل مخيف..

الأم تبكي بصوت مسموع..

الممرضات ينظرن بدهشة..

اقتربت من أذنه وقلت: لا إلٰه إلا الله.. قل: لا إلٰه إلا الله.. الفتى لا يستجيب.. قل: لا إلٰه إلا الله.. إنه يسمعني.. بدأ يفيق وينظر إليّ.. المسكين يحاول بكل جوارحه.. الدموع تسيل من عينيه.. وجهه يتغير إلى السواد..

قل: لا إلٰه إلا الله.. قل: لا إلٰه إلا الله..

بدأ يتكلم بصوت متقطع: آه.. آه.. ألم شديد.. آه.. أريد مسكناً للألم.. آه.. آه.. بدأت أدافع عبراتي وأتوسل إليه قل: لا إلٰه إلا الله.. بدأ يحرك شفتيه.. فرحت.. يا إلهي سيقولها.. سينطقها الآن.. لكنه قال: I) (Cant.. I Cant أين صديقتي أريد صديقتي.. لا أستطيع.. لا أستطيع.. الأم تنظر وتبكي.. النبض يتناقص.. يتلاشى..

لم أتمالك نفسي.. أخذت أبكي بحرقة.. أمسكت بيده.. عاودت المحاولة:

أرجوك.. قل: لا إله إلا الله.. لا أستطيع.. لا أستطيع..

توقف النبض.. انقلب وجه الفتى أسوداً.. ثم مات.. انهارت الأم.. وارتمت على صدره تصرخ.. رأيت هذا المنظر فلم أتمالك نفسي.. نسيت كل الأعراف الطبية.. انفجرت صارخاً بالأم: أنت المسؤولة.. أنت وأبوه.. ضيعتم الأمانة ضيعكم الله.. ضيعتم الأمانة ضيعكم الله.. ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١]..

۞ وأخيراً:

فإن أعظم ما يمنع العبد من دخول الجنة هو الشرك بالله.. فهو أعظم المحرمات على الإطلاق.. قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» (ثلاثاً) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله**».[1]. وكل ذنب يمكن أن يغفره الله إلا الشرك فلا بدّ له من توبة مخصوصة.. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦]...

ومن مظاهر هذا الشرك المنتشرة في كثير من بلاد المسلمين:

عبادة القبور، واعتقاد أن الأولياء الموتى يقضون الحاجات ويفرجون الكربات، والاستعانة والاستغاثة بهم، والله يقول: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]...

وكذلك دعاء الموتى من الأنبياء والصالحين أو غيرهم، للشفاعة أو للتخليص من الشدائد.. والله يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]...

وبعضهم يستعين بذكر اسم الشيخ أو الولي دائماً.. إن قام وإن قعد..

---

(١) متفق عليه.

وكلما وقع في ورطة أو مصيبة أو كربة.. فهذا يقول: يا محمد.. وذاك يقول: يا علي.. أو يا حسين.. ويا بدوي.. ويا جيلاني.. ويا شاذلي.. ويا رفاعي.. وهذا يدعو العيدروس.. وذلك يدعو السيدة زينب.. وابن علوان.. والله يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الأعراف: ١٩٤]...

وبعض عُبّاد القبور يطوفون بها.. ويستلمون أركانها.. ويتمسحون بها.. ويقبلون أعتابها.. ويسجدون لها.. ويقفون أمامها خاشعين سائلين حاجاتهم.. من شفاء مريض.. أو حصول ولد.. أو تيسير حاجة.. وربما نادى الزائر صاحب القبر: يا سيدي! جئتك من بلد بعيد فلا تخيبني.. والله يقول: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥]... وقال ﷺ: «**من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار**»[1]. وبعضهم يحلقون رؤوسهم عند القبور..

وبعضهم يؤلف كتباً تحث على هذا الشرك مثل: مناسك حج المشاهد، ويقصدون بالمشاهد القبور وأضرحة الأولياء.. وبعضهم يعتقد أن الأولياء يتصرفون في الكون وأنهم يضرون وينفعون.. والله يقول: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧]...

ولا تجوز الصلاة في المسجد إذا كان فيه ـ أو في ساحته أو قبلته ـ قبر، لقوله ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[2].. وقوله ﷺ: «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد.. ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**»[3].

ومن مظاهر الشرك:

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

الذبح لغير الله: والله يقول: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢]... أي: انحر لله وعلى اسم الله.. وقال ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»(١).

وقد يجتمع في الذبيحة محرمان وهما:

ـ الذبح لغير الله: كمن يذبح متقرباً إلى غير الله (كصاحب قبر يتقرب إليه، أو يذبح للجن لكف شرهم، أو غير ذلك)..

ـ والذبح على غير اسم الله: كمن يذكر اسم غير الله عند الذبح (كاسم ولي أو شيخ).. وكلاهما مانع للأكل منها..

وكذلك من الشرك: النذر لغير الله.. كما يفعل الذين ينذرون الشموع والأنوار والصدقات لأصحاب القبور..

ومن أنواع الشرك المنتشرة: السحر والكهانة والعرافة..

أما السحر فإنه من الكبائر.. ويفضي إلى الكفر، وهو يضر ولا ينفع.. قال تعالى عن تعلمه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ...﴾ [البقرة: ١٠٢].. والذي يستعمل السحر كافر عند أكثر العلماء.. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ...﴾ [طه: ٦٩]...

أما الكاهن والعراف فكلاهما كافر بالله العظيم إذا ادّعيا معرفة الغيب.. والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ...﴾ [النمل: ٦٥].

وكثير من هؤلاء يستغفل السذج لأخذ أموالهم.. ويستعملون طرقاً لاكتشاف الغيب كتخطيط الرمل أو قراءة الكف والفنجان أو غير ذلك.. وإذا صدقوا مرة كذبوا تسعاً وتسعين مرة.. ولكن المغفلين لا يتذكرون إلا المرة التي صدق فيها هؤلاء الأفاكون، فيذهبون إليهم لمعرفة المستقبل والسعادة والشقاوة في زواج أو تجارة والبحث عن المفقودات ونحو ذلك.

وحكم الذي يذهب إليهم:

ـ إن كان مصدقاً بما يقولون فهو كافر.. لقوله ﷺ: «**من أتى كاهناً أو**

---

(١) رواه مسلم.

عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[١]..

ـ أما إن كان الذي يذهب إليهم غير مصدق بأنهم يعلمون الغيب ولكنه يذهب للتجربة ونحوها.. فإنه لا يكفر لكنه يكون مرتكباً لذنب كبير ولا تقبل له صلاة أربعين يوماً.. لقوله ﷺ: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»[٢].. هذا مع وجوب الصلاة والتوبة.

ومن ذلك اللجوء إلى أبراج الحظ في الجرائد والمجلات.. فإن اعتقد تأثير النجوم والأفلاك في الكون فهو مشرك.. وإن قرأها للتسلية فهو آثم؛ لأنه لا يجوز التسلي بقراءة الشرك.. بالإضافة لما قد يلقي الشيطان في نفسه من الاعتقاد بها فتكون وسيلة للشرك.

ومن الشرك الأصغر وقد يتحول إلى أكبر:

استعمال التمائم والخرز والحلق المعدنية.. وتعليقها في رقاب الأولاد أو غيرهم لدفع العين.. أو يربطونها على أجسادهم.. أو يعلقونها في سياراتهم وبيوتهم.. أو يلبسون خواتم يعتقدون فيها رفع البلاء أو دفعه..

وكل ما تقدم حرام، «**من علق تميمة فقد أشرك**»[٣]، وفاعل ذلك إن اعتقد أن هذه الأشياء تنفع أو تضر من دون الله فهو مشرك شركاً أكبر.. وإن اعتقد أنها سبب للنفع أو الضرر.. فهو مشرك شركاً أصغر.. لأن الله لم يجعلها سبباً.

وكذلك الحلف بغير الله:

فلا يجوز للمخلوق أن يقسم بغير الله.. لأن الحلف تعظيم لا يليق إلا بالله.. قال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[٤].

فلا يجوز الحلف بالكعبة، ولا بالأمانة، ولا بالشرف، ولا بحياة فلان،

---

(١) رواه الإمام أحمد وهو صحيح.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه الإمام أحمد وهو صحيح.
(٤) رواه أحمد وهو صحيح.

ولا بجاه النبي ﷺ، ولا بجاه الولي، ولا بالآباء والأمهات.. كل ذلك حرام..

ومن وقع في شيء من هذا فكفارته أن يقول: لا إله إلا الله.. كما جاء في الحديث الصحيح: «**من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى.. فليقل: لا إله إلا الله**»(١).

ومما يفضي إلى الشرك أيضاً.. الألفاظ المحرمة كأن يقول:

أعوذ بالله وبك.. هذا من الله ومنك.. ما لي إلا الله وأنت.. والصواب الإتيان بـ(ثم) في ذلك فيقول: أنا بالله ثم بك.. وكذلك في سائر الألفاظ..

وكذلك كل عبارة فيها سب الدهر مثل: هذا زمان سوء.. وهذه ساعة نحس.. والزمن غدار ونحو ذلك.. وذلك لأن سب الدهر يرجع على خالق الدهر.. وهو الله ﷻ..

كما ينبغي على المسلم والمسلمة أن يحذرا من الابتداع في الدين.. ومن ذلك الاحتفالات البدعية كالاحتفال بالمولد النبوي.. أو الاحتفال بليلة ٢٧ من رمضان.. والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج.. أو غير ذلك..(٢).

أسأل الله أن يحفظك ويوفقك.. وأن يصفي عقيدتنا من شوائب الشرك.. آمين..

وختاماً: أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الكريمة.. هذه وصايا استخرجتها لك من مكنون نصحي.. سكبت فيها روحي.. وصدقتك النصح والتوجيه.. فلا يكن نصيبي منك أقل من دعوة لي بظهر الغيب تستنزل بها الرحمات لي ولك من أرحم الراحمين.

والله تعالى أعلم.. وصلى الله وسلم على نبينا محمد..

---

(١) رواه البخاري.

(٢) ذكرت هنا هذه التنبيهات مختصرة على أمور مهمة في العقيدة، وذلك لأنني أهم بإصدار كتاب كهذا الكتاب ينبه على المظاهر الشركية الواقعة في الأمة، وما ذكرته هنا إشارات هامة فقط.

رحلة إلى السماء

قصة المليونير..

كان صاحبي رجلاً صالحاً.. ربما قرأ الرقية الشرعية أحياناً على بعض المرضى..

قال لي: رن جرس هاتفي يوماً.. فإذا ابن أحد كبار التجار.. يقول: يا شيخ والدي مريض، ونرغب في مجيئك لزيارته وقراءة الرقية الشرعية عليه.. ذهبت إلى هناك.. فإذا قصر منيف.. تتفجر النعمة من جدرانه .. قابلني أولاده رحبوا بي.. الترف ظاهر في وجوههم.. سألتهم عن مرض أبيهم..

ـ فقال لي أحدهم: أبي كان مصاباً بتليف في الكبد، واكتشفنا قبل أيام أنه بدأ معه سرطان في الدم، وقد حدثنا الطبيب أن التقارير الطبية تشير إلى أنه لم يبق له في الدنيا إلا أيام معدودات.. والعلم عند الله تعالى..

مضيت أمشي معهم إلى أبيهم، فلما كدنا أن ندلف إليه.. جبذني أحدهم وقال: يا شيخ، عفواً، نسينا أن نخبرك، أبونا لا يعلم بحقيقة مرضه، فإنه لما سألنا عن نتيجة التحاليل.. خشينا أن يشتد حزنه، أو يزداد مرضه، فقلنا له: إنه مصاب بالتهابات في البطن... عن قريب تزول.. توكلت على الله، أدخلوني على أبيهم، فإذا غرفة فارهة.. فيها سرير عليه رجل قد جاوز الخمسين بقليل... تبدو عليه آثار النعمة.. مريض لكن جسمه لا يزال متماسكاً.. صافحته برفق... ثم جلست عند رأسه.. جلس أولاده حوله، فالتفت إليهم وأمرهم بالخروج.. خرجوا وأغلقوا باب الغرفة وبقيت أنا وهو، فخفض رأسه وظل ساكتاً قليلاً... ثم استعبر وبكى.. التفت إلي ودموعه تجري على خديه، وقال: آآآه يا شيخ.

ـ قلت: ما بالك؟!

ـ قال: هذه الدنيا التي أجمعها منذ ثلاثين سنة... حتى تشاغلت عن

صلاتي... وقراءة القرآن... ومجالس الذكر... وكلما نصحني أحد وقال: يا فلان.. التفت لآخرتك.. صلاة الجماعة.. صيام النوافل.. تربية أولادك.. ختم القرآن..

- قلت له: أنا سأجمع المال حتى يصل عمري الستين.. فإذا بلغت الستين.. أعطيت لنفسي تقاعداً من الأعمال... وأوكلتها لغيري... واشتغلت بقية عمري في إنفاق ما جمعت... والعبادة.. والآن كما ترى هجم عليَّ ما ترى من المرض الذي يزداد سوءاً يوماً بعد يوم، ثم اشتد بكاؤه..

- فقلت: أبشر بالخير... ستشفى بإذن الله... وتتعبد كما تريد... وحتى لو قضى الله عليك موتاً... فكلنا سنموت... ومالك سينفعك بعد موتك... وأولادك لن ينسوك.. سيبنون لك المساجد ويكفلون الأيتام... ويتصدقون عنك... ويدعون لك.. و.. فصرخ بي قال: ... خلاص... يكفي... وأخذ يبكي؛ كالصغير... ويردد: أولادك يتصدقون عنك!! يبنون مسجداً..!! أنت ما تعرف هؤلاء الأنجاس..

- قلت: لمَ..

- قال: أولادي هؤلاء الذين يظهرون المحبة لي والشفقة علي... كانوا البارحة مجتمعين عندي.. فطال جلوسهم وأردتهم أن يخرجوا... فأظهرت لهم أني نائم... وأغمضت عيني وبدأت بالشخير.. فظنوا أنني نائم فعلاً.. فلم تمض دقائق... حتى بدؤوا يتكلمون عن أموالي، وكم سينال كلٌّ منهم من ميراث!!.. وكلهم جهَّال في قسمة المواريث.. فاختلقوا.. واشتد نقاشهم، حتى اختصموا على عمارة لي في موقع متميز.. كل منهم يريدها من نصيبه.. ثم بكى الرجل حتى رحمته..

خرجت من عنده وأنا أردد: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩﴾ [الحاقة: ٢٨ - ٢٩].. فعلاً.. أحب الناس إليه بعد موته سيجتمعون في داره ليقتسموا أمواله لا ليقتسموا أعماله.. يموت ويتبعه ثلاثة: أهله وماله وعمله.. يرجع الأهل والمال ليتمتع بها غيره، وهو الذي جمعها.. ويبقى عمله.. نعم يبقى عمله..

- فما العمل الذي سيبقى معه..؟ ويدخل معه قبره؟

ـ قيام ليل! صدقات! بناء مساجد! أم تساهل بالدين.. ومتابعة قنوات.. ومجالسة فجار.. ولا يظلم ربك أحداً.. ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥]..

يأكل من ثمار الجنة!!

خرج النبي ﷺ يوماً مع بعض أصحابه.. فلما برزوا خارج المدينة.. فإذا راكب يقبل نحوهم.. فصوب النبي ﷺ إليه بصره، ثم التفت إلى أصحابه فقال: **«كأن هذا الراكب إياكم يريد!»** فما هو إلا قليل.. حتى أقبل الرجل على بعيره فوقف عليهم... ثم أخذ ينظر إليهم..

ـ فقال له النبي ﷺ: **«من أين أقبلت؟»**.

ـ فقال الرجل.. وهو يئن من شدة الطريق، ووعثاء السفر: أقبلت من أهلي، وولدي، عشيرتي..

ـ فقال ﷺ: **«فأين تريد؟»**.

ـ قال: أريد رسول الله ﷺ..

ـ قال: **«فقد أصبته»**.. فابتهج الرجل، وتهلل وجهه..

ـ وقال: يا رسول الله.. علمني ما الإيمان؟

ـ قال: **«تشهد أن لا إلهَ إلا الله، وأن محمداً رسول الله.. وتقيم الصلاة.. وتؤتي الزكاة.. وتصوم رمضان.. وتحج البيت..»**.

ـ قال: قد أقررتُ..

فما كاد الرجل يتم إقراره بالإسلام.. حتى تحرك به بعيره..

فدخلت يدُ البعير في جحر جرذان، فهوى البعير على الأرض، وهوى الرجل من فوقه.. فوقع على هامته.. فما زال ينتفض حتى مات..

ـ فقال النبي ﷺ: «**عليَّ بالرجل**».. فوثب إليه عمار بن ياسر، وحذيفة، فأقعداه فلم يقعد، وحركاه فلم يتحرك..

ـ فقالا: يا رسول الله.. قُبض الرجل.. مات..

فالتفت إليه النبي ﷺ.. ثم أعرض عنه فجأة..

ثم التفت إلى حذيفة وعمار.. وقال: «**أما رأيتما إعراضي عن الرجل..؟! فإني رأيت ملكين يدسان في فيه من ثمار الجنة.. فعلمت أنه مات جائعاً**»(١)..

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «**إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: يا ويلها أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمع الإنسان لصعق**»(٢).

على فراش الموت

ذكر ابن القيم: أن أحد المحتضرين.. كان صاحب معاص وتفريط.. فلم يلبث أن نزل به الموت.. ففزع من حوله إليه.. وانطرحوا بين يديه، وأخذوا يذكرونه بالله... ويلقنونه لا إله إلا الله.. وهو يدافع عبراته.. فلما بدأت روحه تنزع.. صاح بأعلى صوته.. وقال: أقول: لا إله إلا الله!! وما تنفعني لا إله إلا الله؟!! وما أعلم أني صليت لله صلاة منذ بلغت!! ثم أخذ يشهق حتى مات..

ولما نزل الموت بالعابد الزاهد عبد الله بن إدريس.. اشتد عليه الكرب.. فلما أخذ يشهق.. بكت ابنته..

---

(١) رواه أحمد في المسند.

(٢) رواه البخاري.

فقال: يا بنيتي.. لا تبكي.. فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة.. كلها لأجل هذا المصرع..

أمّا عامر بن عبد الله بن الزبير.. فلقد كان على فراش الموت.. يعد أنفاس الحياة... وأهله حوله يبكون.. فبينما هو يصارع الموت.. سمع المؤذن ينادي لصلاة المغرب.. ونفسه تحشرج في حلقه، وقد اشتدّ نزعه... وعظم كربه.. فلما سمع النداء قال لمن حوله: خذوا بيدي..!!

ـ قالوا: إلى أين؟

ـ قال: إلى المسجد..

ـ قالوا: وأنت على هذه الحال!!

ـ قال: سبحان الله.. أسمع منادي الصلاة ولا أجيبه.. خذوا بيدي.. فحملوه بين رجلين.. فصلى ركعة مع الإمام... ثم مات في سجوده.. نعم.. مات وهو ساجد..

وقال عطاء بن السائب: اشتد مرض أبي عبد الرحمٰن السلمي.. فأتيناه، فإذا هو جالس في مصلاه بالمسجد.. فإذا هو قد اشتد عليه الكرب.. وقد بدأت روحه تنزع.. فأشفقنا عليه..

ـ وقلنا له: لو تحولت إلى الفراش.. فإنه أوثر وأوطأ..

ـ فتحامل على نفسه وقال: حدثني فلان أن النبي ﷺ قال: «**لا يزال أحدكم في صلاة ما دام في مصلاه ينتظر الصلاة**».. فأنا أريد أن أقبض على ذلك..

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: «**وجبت**»، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً، فقال: «**وجبت**».

ـ فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟

ـ قال: «**هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض**»[1].

---

(١) رواه البخاري.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شهد الجنازة حتى يُصلّى عليها فله قيراط، ومن شهد حتى تُدفن، كان له قيراطان**» قيل: وما القيراطان؟ قال: «**مثل الجبلين العظيمين**»(١).

من أعجب الرؤى

قال سمرة بن جندب ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة أقبل علينا بوجهه فقال: «**هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا؟**» فإن كان أحد رأى تلك الليلة رؤيا قصها عليه، فيقول فيها ما شاء الله أن يقول.

ـ فسألنا يوماً فقال: «**هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا**»؟

ـ فقلنا: لا.

ـ قال: لكن أنا رأيت رجلين أتياني فأخذا بيدي، فأخرجاني إلى أرض فضاء، أو أرض مستوية. فانطلقت معهما وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي عليه بالصخرة لرأسه، فيثلغ بها رأسه، فيتدهده الحجر ها هنا، فيتبع الحجر يأخذه، فما يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى.

ـ قلت: سبحان الله!! ما هذان؟!

ـ قال: قالا لي: انطلق.. انطلق..

فانطلقنا، فأتينا على رجل مستلق على قفاه، ورجل قائم على رأسه بيده كلوب من حديد، فيدخله في شدقه (جانب فمه) فيشقه حتى يبلغ قفاه، ومنخريه إلى قفاه، وعينيه إلى قفاه، ثم يخرجه فيدخله في شقه الآخر، فيفعل به مثل من فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح الأول كما كان، ثم يعود فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى.

ـ قلت: سبحان الله!! ما هذان؟!

---

(١) رواه البخاري.

ـ قال: قالا لي: انطلق.. انطلق..

فانطلقنا، فإذا بيت مبني على بناء التنور، أعلاه ضيق وأسفله واسع، وإذا فيه لغط وأصوات، فاطلعت فإذا فيه رجال ونساء عراة، يوقد تحته نار، فإذا أوقدت ارتفعوا حتى يكادوا أن يخرجوا فإذا خمدت رجعوا فيها.

ـ فقلت: ما هذا؟!

ـ قال: قالا لي: انطلق.. انطلق..

فانطلقنا، فأتينا على نهر أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل يسبح، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فيقبل الرجل الذي في النهر، فإذا دنا ليخرج، يأتي ذلك الرجل الذي قد جمع الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجراً حجراً، فينطلق، فيسبح ما يسبح، ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر له فاه وألقمه حجراً.

ـ قلت: ما هذا؟!

ـ قال: قالا لي: انطلق.. انطلق..

فانطلقنا، فأتينا على رجل كريه المرآة، كأكره ما أنت راء رجلاً مرآة، فإذا هو عند نار له يحشها ويسعى حولها.

ـ قلت لهما: ما هذا؟!

ـ قال: قالا لي: انطلق.. انطلق..

فانطلقنا، فأتينا على روضة معشبة فيها من كل نور الربيع، فيها شجرة عظيمة، وإذا بين ظهراني الروضة رجل قائم طويل لا أكاد أن أرى رأسه طولاً في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط وأحسنه.

ـ قلت لهما: ما هذا؟! وما هؤلاء؟!

ـ قال: قالا لي: انطلق.. انطلق..

فصعدا بي في الشجرة، فأدخلاني داراً لم أر داراً قط أحسن منها، فإذا فيها رجال شيوخ وشباب، وفيها نساء وصبيان، فأخرجاني منها، فصعدا بي في الشجرة، فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل منها، فيها شيوخ وشباب..

فانطلقنا، فانتهينا إلى دوحة عظيمة، لم أر دوحة قط أعظم منها ولا أحسن، فقالا لي: ارق فيها، فارتقينا فيها، فانتهيت إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فأتينا باب المدينة، فاستفتحنا، ففتح لنا فدخلنا، فلقينا فيها رجالاً شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر كأقبح ما أنت راء، فقالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، فإذا نهر صغير معترض يجري؛ كأنما هو المحض في البياض، فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا، وقد ذهب ذلك السوء عنهم وصاروا في أحسن صورة..

ـ قلت: فإني رأيت منذ الليلة عجباً، فما هذا الذي رأيت؟!!

ـ قالا لي: أما إنا سنخبرك:

أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه رجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلوات المكتوبة.

وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه، وعيناه إلى قفاه، ومنخراه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق.

وأما الرجال والنساء العراة الذين في بناء مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني.

وأما الرجل الذي يسبح في النهر، ويلقم الحجارة، فإنه آكل الربا.

وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها فإنه مالك خازن جهنم.

وأما الرجل الطويل الذي رأيت في الروضة، فإنه إبراهيم عليه السلام.

وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة.

ـ فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟

ـ فقال: وأولاد المشركين.

وأما القوم الذين كان شطر منهم حسناً، وشطر قبيحاً، فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فتجاوز الله عنهم.

وأنا جبريل، وهذا ميكائيل.

ـ ثم قالا لي: ارفع رأسك، فرفعت رأسي، فإذا هي كهيئة السحاب.

ـ فقالا لي: وتلك دارك.

ـ فقلت لهما: دعاني أدخل داري.

ـ فقالا لي: إنه قد بقي لك عمل لم تستكمله، فلو استكملته دخلت دارك»[١].

القبر ناداني

خرج عمر بن عبد العزيز.. في جنازة بعض أهله فلما أسلمه إلى الديدان.. ودسه في التراب.. التفت إلى الناس فقال: أيها الناس: إن القبر ناداني من خلفي.. أفلا أخبركم بما قال لي؟

ـ قالوا: بلى..

ـ فقال: إن القبر قد ناداني فقال: يا عمر بن عبد العزيز.. ألا تسألني ما صنعت بالأحبة؟

ـ قلت: بلى.

ـ قال: خرقت الأكفان.. ومزقت الأبدان.. ومصصت الدم.. وأكلت اللحم..

ـ ألا تسألني ما صنعت بالأوصال؟

ـ قلت: بلى.

ـ قال: نزعت الكفين من الذراعين.. والذراعين من العضدين.. والعضدين من الكتفين.. والوركين من الفخذين.. والفخذين من الركبتين.. والركبتين من الساقين.. والساقين من القدمين.

ثم بكى عمر فقال: ألا إن الدنيا بقاؤها قليل.. وعزيزها ذليل.. وشبابها يهرم.. وحيها يموت.. فالمغرور من اغتر بها..

---

(١) مجموع من روايتي البخاري وأحمد.

أين سكانها الذين بنوا مدائنها.. ما صنع الترابُ بأبدانهم؟.. والديدانُ بعظامهم وأوصالهم؟.. كانوا في الدنيا على أسرةٍ ممهدة.. وفرشٍ منضدة.. بين خدم يخدمون.. وأهلٍ يكرمون.. فإذا مررت فنادهم.. إن كنت منادياً.. وادعهم إن كنت داعياً.. وانظر إلى تقارب قبورهم من منازلهم وسل غنيَّهم: ما بقي من غناه؟ وسل فقيرَهم: ما بقي من فقره؟ سلهم.. عن الألسن.. التي كانوا بها يتكلمون.. وعن الأعين التي كانوا بها إلى اللذات ينظرون.. وسلهم عن الجلود الرقيقة.. والوجوه الحسنة.. والأجساد الناعمة.. ما صنع بها الديدان؟ محت الألوان.. وأكلت اللحمان.. وعفرت الوجوه.. ومحت المحاسن.. وكسرت القفا.. وأبانت الأعضاء.. ومزقت الأشلاء.. أين خدمهم وعبيدهم.. أين جمعهم ومكنوزهم؟ والله ما زودوهم فَرْشاً.. ولا وضعوا لهم متكئاً..

أليسوا في منازل الخلوات.. وتحت أطباق الثرى في الفلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ قد حيل بينهم وبين العمل.. وفارقوا الأحبة والأهل.. قد تزوجت نساؤهم.. وأهملت في الطرقات أبناؤهم.. وتوزعت القرابات ديارهم وتراثهم.. فمنهم والله الموسع له في قبره.. الغض الناظر فيه.. المتنعم بلذته..

ثم بكى عمر، وقال: يا ساكن القبر غداً.. ما الذي غرك من الدنيا!.. أين رقاق ثيابك.. أين طيبك.. أين بخورك..

كيف أنت على خشونة الثرى..

ليت شعري بأي خديك يبدأ الدود البِلى..

ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا.. وما يأتيني به من رسالة ربي.

ثم بكى بكاءً شديداً.. حتى ثقل عليه الكلام..

ثم انصرف فما بقي بعد ذلك إلا جمعة.. ومات رَحِمَهُ اللَّهُ..

وإنا إليه راجعون

قال لي: كنت مسافراً بالسيارة إلى مكة.. وفي الطريق فوجئت بحادث سيارة.. يبدو أنه وقع لتوه.. كنت أول من وصل إليه.. أوقفت سيارتي واندفعت مسرعاً إلى السيارة أحاول إنقاذ من فيها.. تحسستها بحذر.. نظرت إلى داخلها قلبي ينبض بشدة.. ارتعشت يداي.. خنقتني العبرة.. ثم أجهشت بالبكاء.. منظر عجيب.. قائد السيارة ملقى على مقودها جثة هامدة مشيراً بسبابته.. كان وجهه مضيئاً.. تحيط به لحية كثيفة.. كأنه فلقة من قمر.. كنت أتلفت داخل السيارة كالمجنون.. وفجأة.. رأيت طفلة صغيرة ملقاة على ظهره.. محيطة بيديها على عنقه.. وقد لفظت أنفاسها وودعت الحياة.. لا إله إلا الله..

لم أرى ميتة كهذه الميتة.. سكينة ووقار.. صورته وقد أشرقت شمس الاستقامة على محياه.. منظر سبابته التي قضت وهي توحّد الله.. جمال ابتسامته التي فارق بها الحياة.. بدأت سيارات المارين تقف حول سيارته..

وارتفع اللغط والأصوات.. كل هذا حدث بسرعة عجيبة.. نسيت أن أتفحص بقية من في السيارة..

كنت أبكي بكاء الثكلى.. لم أكن أشعر بمن حولي.. من رآني ظن أني قريب للميت.. صرخ بعض الناس: يوجد امرأة وأطفال في المقعد الخلفي.. صدموني!! التفت للخلف.. فإذا امرأة قد جمعت عليها ثيابها.. وأحكمت حجابها.. وجلست بهدوء تنظر إلينا.. تضم إلى صدرها طفلين صغيرين لم يصابا بأذى.. كانا مضطربين ينتفضان.. وهي تذكر الله وتهدئ روعهما.. شعرت أنها جبل شامخ.. كانت تحاول النزول من السيارة.. بثبات عجيب.. لا بكاء.. ولا صياح.. ولا عويل.. أخرجناهم جميعاً من السيارة.. من رآني ورآها ظن أني صاحب المصيبة دونها.. اشتد بكائي.. والناس ينظرون إلي.. فالتفتت إلي وهي تغادر السيارة وقالت بصوت تقطعه

العبرات: يا أخي لا تبكِ عليه.. إنه رجل صالح.. صالح.. ثم غلبتها العبرات فسكتت..

نزلت تضم إليها طفليها: وتتفقد حجابها وتصلح من عباءتها.. فلما رأت لغط الناس وازدحامهم.. انزوت بعيداً مع طفليها.. بادر أحد المحسنين وحمل الرجل وطفلته إلى المستشفى.. وهي تنظر إلينا من بعيد.. وتحاول أن تشغل الطفلين عن النظر إلى أبيهم وأختهم.. أقبلت إليها وعرضت عليها أن تركب معي لأوصلها لمنزلها.. فردّت بكل حياء بصوت هادئ: لا والله.. لا أركب إلا في سيارة فيها نساء.. بدأ الناس ينصرفون.. كل يكمل طريقه.. بقيت أرقبها من بعيد.. شعرت أني مسئول عنهم.. مرَّ الوقت طويلاً.. ونحن ننتظر على تلك الحال العصيبة.. وهي ثابتة ثبات الجبال.. ساعتان كاملتان.. حتى مرّت بنا سيارة فيها رجل وأسرته.. أوقفناهم.. أخبرناه خبر المرأة.. وسألناه أن يحملها إلى منزلها.. فوافق..

فأقبلت بطفليها وركبت معهم.. كنت أشعر وهي تمشي أنها جبل يمشي على الأرض.. عدت إلى سيارتي وأنا أعجبُ من هذا الثبات العظيم.. كنت أقول في نفسي.. انظر كيف يحفظ الله الرجل الصالح في أهله من بعده.. تذكرت قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣١].. نعم، لا تخافوا على من تركتم في الدنيا؛ لأننا نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا.. نحفظ أهلكم من بعدكم.. نسكن روعهم.. ونربط على قلوبهم.. ونكفل رزقهم.. ونزيد عزهم.. ما أروع القرآن.. وما أجمل أن تكون علاقتك بالله قوية متينة؛ لأنه الحي الذي لا يموت.. والغني الذي لا يبخل..

ما أجمل أن يراك الله في الليل باكياً.. وفي النهار تالياً.. ما أجمل أن يراك وقد غضضت بصرك عن الحرام.. وسمعك عن الآثام.. لتكون محبوباً عند الله ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

الموت لا يرحم أحداً!!

قال أسامة بن زيد ﷺ: كنا عند النبي ﷺ فأرسلت إليه إحدى بناته غلاماً يدعوه إليها ويخبره أن صبياً لها يموت. فقال ﷺ للغلام: «**إرجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى.. فمرها فلتصبر ولتحتسب**».. فذهب الغلام فأخبرها. فإذا هي قد اشتدّ حزنها.. فعاد الغلام فقال: إنها قد أقسمت عليك لتأتينّها يا رسول الله. فقام النبي ﷺ وقام معه بعض أصحابه فحمل الصبي بين يديه ونفسه تَقعقعُ؛ كأنها في شنّة (قربة يابسة) فرحمه ﷺ حتى فاضت عيناه.. فسئل عن بكائه؟ فقال: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[1].

ومعاوية ﷺ لبث عشرين سنة أميراً على الشام.. وعشرين سنة أخرى خليفة على المسلمين.. فهو يتقلب من مُلك إلى مُلك.. فلما حضره الموت.. قال: أجلسوني.. فأجلسوه.. فأخذ يذكر الله، ثم بكى، وقال: الآن يا معاوية.. جئت تذكر ربك بعد الانحطام والانهدام.. أما كان هذا وغض الشباب نضير ريان؟! ثم بكى، وقال: يا رب.. يا رب.. ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي.. اللهم أقل العثرة واغفر الزلة.. وجد بحلمك على من لم يرج غيرك.. ولا وثق بأحد سواك، ثم فاضت روحه ﷺ..

ولما هجم على عبد الله بن المبارك واشتدت عليه السكرات غشي عليه، ثم أفاق.. ورفع الغطاء عن وجهه وابتسم، وقال: لمثل هذا فليعمل العاملون.. لا إله إلا الله.. ثم فاضت روحه..

وحين نزل ببلال ﷺ الموت.. قالت زوجته: واحزناه.. فكشف الغطاء عن وجهه وهو في سكرات الموت.. وقال: بل قولي وافرحاه.. غداً ألقى الأحبة.. محمداً وصحبه..

---

(١) رواه البخاري.

صورة وعبرة

عن ابن مسعود ﷺ قال: خطّ النبي ﷺ: خطاً مربعاً، وخطّ خطّاً في الوسط خارجاً منه، وخطّ خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، فقال: «**هذا الإنسان، وهذا أجله محيطاً به** ـ أو قد أحاط به ـ **وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض** (أي: الأمراض.. والحواث..)، **فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا**»[1].

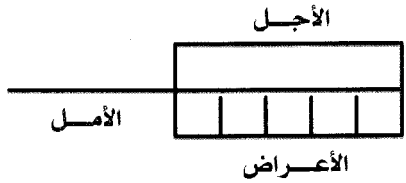

رحلة إلى السماء..

خرج ﷺ إلى جنازة فجلس على القبر، حوله أصحابه، فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**».. ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه؛ كأن وجوههم الشمس معهم كفن وحنوط من الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر... ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان.. فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في الكفن والحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة في مسك، وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟**».

---

(١) رواه البخاري.

فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها حتى يُنتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه.

- فيقولان له: من ربك؟

- فيقول: ربي الله.

- فيقولان له: ما دينك؟

- فيقول: ديني الإسلام.

- فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟

- فيقول: هو رسول الله ﷺ.

- فيقولان له: وما علمك؟

- فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به، وصدقت.

فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من روحها، وطيبها، ويفسح له في قبره مَدَّ بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح.

- فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد.

- فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير.

- فيقول: أنا عملك الصالح، كنت والله سريعاً في طاعة الله، بطيئاً عن معصية الله، فجزاك الله خيراً.

وصدق رسول الله ﷺ.. نعم، يقول له: أنا عملك الصالح: أنا صلاتك وصومك، أنا برك وصدقتك، أنا بكاؤك وخشيتك، أنا حجك وعمرتك، أنا برك لوالديك، فإذا رأى المؤمن هذا ورأى قبره أصبح واسعاً، فيه نعيم من الجنة، اشتاق للجنة فيدعوا قائلاً: رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي..

وقال ﷺ: «وإن العبد الكافر أو الفاسق، إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، فيجلس عند رأسه».

ـ فيقول: يا أيتها النفس الخبيثة، أخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟

ـ فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فيقول الله: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه.

ـ فيقولان له: من ربك؟

ـ فيقول: هاه! هاه!! لا أدري؟!

ـ فيقولان له: ما دينك؟

ـ فيقول: هاه! هاه!! لا أدري؟!

ـ فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟

ـ فيقول: هاه! هاه!! لا أدري؟!

ـ فيقولان له: لا دريت، ولا تلوت، فينادي مناد من السماء: أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح.

ـ فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، كنت بطيء عن طاعة الله، سريعاً في معصية الله، فجزاك الله شراً.

ـ فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر.

ـ فيقول: أنا عملك الخبيث».

وصدق رسول الله ﷺ.. نعم، يقول له: أنا عملك الخبيث، أنا حلفك بغير الله، أنا طوافك على القبور، وشربك للخمور، أنا الزنا والربا والغناء.

عندها يتحسر العبد وهل تغني الحسرات!! ويشتد ندمه وهل تنفعه العبرات!! كم نصحت بحفظ فرجك، وصيانه سمعك وبصرك، عندها يوقن هذا العبد إن ما بعد القبر أشد، فيقول: رب لا تقم الساعة، ثم يقيّض له أعمى أصم أبكم، في يده مرزبة، لو ضرب بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربة، حتى يصير تراباً، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلان.. الحديث بمعناه[1].

ما أغنى عني ماليه..

الموت لا يفرق بين كبير وصغير.. ولا غني وفقير.. ولا عبد وأمير..

هارون الرشيد ذاك الذي ملك الأرض وملأها جنوداً.. ذاك الذي كان يرفع رأسه.. فيقول للسحابة: أمطري في الهند، أو في الصين.. أو حيث شئت.. فوالله ما تمطرين في أرض إلا وهي تحت ملكي.. هارون الرشيد.. خرج يوماً في رحلة صيد فمرّ برجل يقال له: بُهلول..

ـ فقال هارون: عظني يا بُهلول..

ـ قال: يا أمير المؤمنين!! أين آباؤك وأجدادك؟ من لدن رسول الله ﷺ إلى أبيك؟

ـ قال هارون: ماتوا..

---

(١) رواه أحمد في المسند.

ـ قال: فأين قصورهم..؟

ـ قال: تلك قصورهم..

ـ قال: وأين قبورهم؟

ـ قال: هذه قبورهم..

ـ فقال بُهلول: تلك قصورهم.. وهذه قبورهم.. فما نفعتهم قصورهم في قبورهم؟

ـ قال: صدقت.. زدني يا بهلول..

ـ قال: أما قصورك في الدنيا فواسعة فليت قبرك بعد الموت يتسع..

ـ فبكى هارون وقال: زدني..

ـ فقال: يا أمير المؤمنين، هب أنك ملكت كنوز كسرى وعُمرت السنين فكان ماذا؟ أليس القبر غاية كل حيٍّ وتُسأل بعده عن كل هذا؟

ـ قال: بلى..

ثم رجع هارون وانطرح على فراشه مريضاً.. فلما يئس الأطباء من شفائه، وأحس بدنو أجله ولم تمض عليه أيام حتى نزل به الموت.. فلما حضرته الوفاة.. وعاين السكرات.. صاح.. بقواده وحجَّابَه: اجمعوا جيوشي.. فجاؤوا بهم.. بسيوفهم.. ودروعهم.. لا يكاد يحصي عددهم إلا الله.. كلهم تحت قيادته وأمره.. فلما رآهم.. بكى.. ثم قال: يا من لا يزول ملكه.. ارحم من قد زال ملكه.. قال: احضروا لي أكفاناً، فأحضروا له.. فقال: احفروا لي قبراً.. فحفروا له.. فنظر إلى القبر وقال: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨﴾.. ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩﴾ [الحاقة: ٢٩].. ثم لم يزل يبكي حتى مات.. فلما مات.. أُخذ هذا الخليفة.. الذي ملك الدنيا وأودع في حفرة ضيقة.. لم يصاحبه فيها وزراؤه.. ولم يساكنه ندماؤه.. لم يدفنوا معه طعاماً.. ولم يفرشوا له فراشاً.. ما أغنى عنه ملكه وماله..

أما عبد الملك بن مروان.. فإنه لما نزل به الموت.. جعل يتغشاه الكرب.. ويضيق عليه النفس.. فأمر بنوافذ غرفته ففتحت.. فالتفت فرأى

غسالاً فقيراً في دكانه.. فبكى عبد الملك، ثم قال: يا ليتني كنت غسالاً.. يا ليتني كنت نجاراً.. يا ليتني كنت حمالاً.. يا ليتني لم أَلِ من أمر المؤمنين شيئاً.. ثم مات..

عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري أن رسول الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازة فقال: «**مستريح ومستراح منه**». قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟ قال: «**العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب**»(١).

اعترافات

لما نزل الموت بأبي موسى رضي الله عنه.. دعا فتيانه.. وقال لهم: اذهبوا فاحفروا لي وأعمقوا.. ففعلوا.. فقال: أجلسوني.. فوالله إنها لإحدى المنزلتين.. إما ليوسعن قبري حتى تكون كل زواية أربعين ذراعاً.. وليفتحن لي باب من أبواب الجنة.. فلأنظرن إلى منزلي فيها وإلى أزواجي.. وإلى ما أعد الله ﷻ لي فيها من النعيم.. ثم لأنا أهدى إلى منزلي في الجنة مني اليوم إلى أهلي.. وليصيبني من روحها وريحانها حتى أبعث..

وإن كانت الأخرى ليضيقن علي قبري حتى تختلف منه أضلاعي.. حتى يكون أضيق من كذا وكذا، وليفتحن لي باب من أبواب جهنم.. فلأنظرن إلى مقعدي وإلى ما أعد الله ﷻ فيها من السلاسل والأغلال والقرناء.. ثم لأنا إلى مقعدي من جهنم لأهدى مني اليوم إلى منزلي.. ثم ليصيبني من سمومها وحميمها حتى أبعث.. ثم بكى..

ولما حضرت عبادة بن الصامت رضي الله عنه الوفاة؛

ـ قال: أخرجوا فراشي إلى الصحن.. ثم قال: اجمعوا لي أهل بيتي وجيراني، فجمعوا له، فقال: إن يومي هذا أراه آخر أيام الدنيا.. وأول أيام

(١) رواه البخاري.

الآخرة.. وإني لا أدري لعله قد فرط مني إليكم بيدي أو بلساني شيء.. وهو والله القصاص يوم القيامة.. فأقسم على أحد منكم في نفسه شيء من ذلك إلا اقتص مني قبل أن تخرج نفسي..

- فقالوا: بل كنت والداً ورفيقاً..

- فقال: أغفرتم لي ما كان من ذلك؟

- قالوا: نعم..

- فقال: اللهم اشهد.. أما الآن فاحفظوا وصيتي.. أحرج على كل إنسان منكم أن يبكي.. فإذا خرجت نفسي فتوضئوا فأحسنوا الوضوء.. ثم ليدخل كل إنسان منكم مسجداً فيصلي، ثم يستغفر لنفسه ولي.. فإن الله قال: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥].. ثم أسرعوا بي إلى حفرتي..

موعظة

عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تزهد في الدنيا، وتذكر الآخرة**»[1].

في وداع أم الخبائث!!

قال ابن القيم: احتضر رجل ممن كان يجالس شراب الخمور.. فلما حضره نزعُ روحه.. أقبل عليه رجل ممن حوله.. وقال: يا فلان.. يا فلان.. قل: لا إله إلا الله.. فتغير وجهه.. وتلبد لونه.. وثقل لسانه.. فردد عليه صاحبه: يا فلان.. قل: لا إله إلا الله.. فالتفت إليه وصاح: لا، اشرب أنت ثم اسقني.. اشرب أنت ثم اسقني.. وما زال يردّدها.. حتى فاضت روحه إلى باريها.. نعوذ بالله.. ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤].

---

(١) سنن ابن ماجه.

وذكر الصفدي: أن رجلاً كان يشرب الخمر ويجالس أهلها.. وكان إذا سكر ونام.. يمشي ولا يعقل فكان ينام في السطح ويشد رجله بحبل كي لا يقع.. فسكر ليلة ونام.. فقام يمشي.. وسقط من السطح.. فأمسكه الحبل.. فبقي معلقاً منكساً.. حتى أصبح ميتاً..

وكان محمد بن المغيث رجلاً فاسقاً.. مفتوناً بشرب الخمر.. ولا يكاد يخرج من بيت الخمار.. فلما مرض.. ونزل به الموت.. وخارت قواه.. سأله رجل ممن حوله.. هل بقي في جسمك قوة؟ هل تستطيع المشي..؟

ـ فقال: نعم.. لو شئت مشيت من هنا إلى بيت الخمار..

فقال صاحبه: أعوذ بالله أفلا قلت: أمشي إلى المسجد؟ فبكى..

ـ وقال: غلب ذلك عليَّ لكل امرئ من دهره ما تعودا.. وما جرت عادتي بالمشي إلى المسجد..

وقال ابن أبي رواد: حضرت رجلاً عند الموت.. فجعل من حوله يلقّنونه لا إله إلا الله.. فحيل بينه وبينها.. وثقلت عليه.. فجعلوا يعيدون عليه.. ويكررون.. ويذكّرونه بالله.. وهو في كرب شديد.. فلما ضاق عليه النفس.. صاح بهم وقال: هو كافر بلا إله إلّا الله.. ثم شهق ومات.. قال: فلما دفناه.. سألت أهله عن حاله: فإذا هو مدمن للخمر.. أما أهل المعازف والغناء.. فلهم عند الموت كربة وبلاء..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾ [فاطر: ٥].

فإذا جاء أجلهم..

لا أحد يعلم متى يموت.. ولا أين سيموت..

ذُكر أن وزيراً جليل القدر.. كان عند داود عليه السلام.. فلما مات داود.. صار وزيراً عند سليمان بن داود.. فكان سليمان عليه السلام يوماً.. جالساً في مجلسه في الضحى.. وعنده هذا الوزير.. فدخل عليه رجل يسلّم عليه، وجعل هذا الرجل يحادث سليمان.. ويحدّ النظر إلى هذا الوزير..

ففزع الوزير منه.. فلما خرج الرجل.. قام الوزير وسأل سليمان..

ـ وقال: (يا نبي الله! من هذا الرجل.. الذي خرج من عندك؟).. قد والله أفزعني منظره؟..

ـ فقال سليمان: هذا مَلَكُ الموت.. يتصور بصورة رجل.. ويدخل عليَّ.. ففزع الوزير.. وبكى.

ـ وقال: يا نبي الله.. أسألك بالله.. أن تأمر الريح فتحملني إلى أبعد مكان.. إلى الهند..

فأمر سليمان الريح فحملته.. فلما كان من الغد.. دخل مَلَكُ الموت على سليمان يسلم عليه كما كان يفعل..

ـ فقال له سليمان: قد أفزعت صاحبي بالأمس.. فلماذا كنت تحد النظر إليه؟..

ـ فقال مَلَكُ الموت: يا نبي الله.. إني دخلت عليك في الضحى.. وقد أمرني الله أن أقبض روحه بعد الظهر في الهند، فعجبت أنه عندك..

ـ قال سليمان: فماذا فعلت؟

ـ فقال مَلَكُ الموت: ذهبت إلى المكان الذي أمرني بقبض روحه فيه.. فوجدته ينتظرني.. فقبضت روحه..

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة: ٨].

أي بشر هؤلاء!!

مرض عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فعاده عثمان وقال: ما تشتكي؟

ـ قال: ذنوبي.

ـ قال: فما تشتهي؟

ـ قال: رحمة ربي.

ـ قال: ألا آمر لك بطبيب؟

ـ قال: الطبيب أمرضني.

ـ قال: ألا آمر لك بعطاء؟

ـ قال: لا حاجة لي فيه.

وهذا عمرو بن العاص ﷺ كان من دهاة العرب، وكان يقول دائماً: عجباً لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه؟ فلما نزل به الموت جزع جزعاً شديداً فذكّره ابنه بقوله.

ـ وقال: صِف لي الموت يا أبت..

ـ فقال: يا بني! الموت أجلّ من أن يوصف، ولكني سأقربه لك: أجدني كأن جبال رضوى على عنقي، وكأن في جوفي الشوك، وأجدني كأن نفسي تخرج من ثقب إبرة..

ـ فقال له ابنه عبد الله: يا أبتِ! ما هذا الجزع!!

وقد كان رسول الله ﷺ يدنيك ويستعملك.

ـ قال: أي بني، قد كان ذلك، وسأخبرك: إني والله ما أدري أحباً كان أم تألفاً، فلما جدّ به وضع يده على ذقنه، وقال: اللهم أمرتنا فتركنا.. ونهيتنا فركبنا.. ولا يسعنا إلا مغفرتك..

ثم بدأ يردد لا إله إلا الله.. حتى خرجت روحه وفارق الدنيا..

أما عمر بن عبد العزيز.. فقالت زوجته فاطمة بنت عبد الملك: كنتُ أسمع عمر في مرض موته يقول: اللهم أخفِ عليهم موتي ولو ساعة، فلما اشتد مرضه قلت له: ألا أخرج عنك، فإنك لم تنم فخرجت وقعدت عند باب الغرفة، فكنت أسمعه يقرأ قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣]، وجعل يعيدها مراراً، ثم انخفض صوته.. ثم سكت.. فدخلت عليه فوجدته ميتاً، وقد وجه وجهه إلى القبلة ووضع إحدى يديه على فمه والأخرى على عينيه..

وهذا ابن عساكر، الإمام العابد صلى الظهر، وجعل يسأل عن العصر،

وتوضأ ثم تشهد وهو جالس وقال: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، اللهم لقّني حُجتي، وأقلني عثرتي، وارحم غربتي.. ثم رفع بصره وقال: وعليكم السلام.. ثم انقلب ميتاً.

أي بشر هؤلاء؟ وأي فرحة تغمرهم عند الاحتضار؟

﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

أغني في حبك..

كنت في رحلة إلى محافظة القريات في شمال المملكة.. وبعدما انتهيت من المحاضرات سافرت جنوباً إلى جهة محافظة سكاكا الجوف.. وكانت محاضرة سكاكا بعنوان «ألحان وأشجان» حول الغناء.. وبعدها جاءني شخص متأثراً.. معه ولد له عمره ١١ سنة.. قال لي: يا شيخ.. في طريق مجيئي من القريات معي ولدي هذا.. مررت أثناء الطريق بحادث مروّع.. سيارة «جيب».. كان فيها اثنان من الشباب.. قادمان من..!! انقلبت السيارة بهم عدة مرات.. حتى تطايروا من خلال النوافذ.. وتبعثر عفشهم وتمزقت ملابسهم.. كنت أول من وقف عليهم.. اتصلت بالإسعاف فوراً.. في الحقيقة لم تكن أول مرة أرى فيها حادث سيارة.. بل ولا موتى.. تعودت على رؤية هذه المناظر منذ زمن.. أقبلت أنظر إليهم.. من أول وهلة تنظر فيها إلى ملابسهم.. وقصات شعورهم.. تعرف يقيناً لماذا كانوا هناك.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. عفا الله عنا وعنهم.. المهم.. توجهت مسرعاً إليهما.. أحاول إنقاذ ما أستطيع إنقاذه.. أما الأول فكان منكباً على الأرض.. قد تمرغ وجهه في التراب.. لا يزال جسمه حاراً.. لا أدري هل مات أم لا.. تمزق بنطاله وقميصه.. والغبار قد اختلط بالدماء التي صبغت ثيابه.. حتى أصابع يديه لم تسلم من جروح ودماء.. قلبته على ظهره.. فإذا لحم وجهه قد تمزق حتى لا تكاد ترى شيئاً من ملامحه.. إلا شعرات يسيرة من شاربه.. ناديته.. حركته فإذا هو قد قضى.. أسرعت إلى الثاني.. فإذا

هو على وجهه أيضاً.. والأرض حوله مليئة بالدماء.. وثيابه حمراء.. وعظامه بارزة.. ويبدو أن الضربة الكبرى كانت على رأسه.. فقد انشقت جمجمته.. وخرج مخه من خلالها.. لم أتحمل المنظر.. انتبهت أن ولدي معي التفت أنظر إليه فإذا هو يبحلق بعينيه مشدوهاً.. حاولت الوقوف بينه وبين الجثة لئلا يرى..

نظرت إلى الأغراض المبعثرة حول جثته.. فإذا جواز سفره ومحفظة نقوده وعلبة دخان.. كل هذا لم يشدني فلم أكن أنتظر أن أرى مصحفاً وسواكاً.. التفت جهة رأسه.. فإذا شريط واقع على الأرض ليس بينه وبين رأسه إلا شبر واحد.. خفضت رأسي أنظر إلى اسم الشريط فإذا قطعة من المخ قد وقعت على الشريط وغطت اسمه.. تحاملت على نفسي.. ورفعت الشريط بيدي أنظر إليه.. ثم تناولت حجراً من الأرض مسحت به المخ المتلطخ على الشريط.. فإذا هو شريط غناء بعنوان أغني في حبك.. لاحظت أن بكرة الشريط مسحوبة إلى خارجه.. وإذا خيط الشريط منطلق إلى الخارج.. وكأنه لا يزال متصلاً بشيء.. التفت أنظر أين يصل؟ فإذا بي أرى مسجل السيارة واقعاً على الأرض.. وقد خرج من مكانه في السيارة مع قوة الحادث.. وبعدما ضرب الأرض بقوة انطلق منه الشريط ووقع عند رأس هذا الفتى ليقع عليه مخه.. نعم ليقع على: أغني في حبك.. إي والله مشكله حبُّه.. ويبعث أحدكم على ما مات عليه.. ما علينا.. بدأ الناس يكثرون حولنا.. وصار كل من مر بنا يوقف سيارته ويقبل ينظر إلى الحادث.. وصل الإسعاف.. كشف الطبيب عليهما في عجل.. غطاهما بملاءة بيضاء أيقنت عندها أن أرواحهما قد صعدت إلى السماء.. لا أدري هل تفتح لها أبواب السماء.. وتبشر بروح وريحان.. أم تخر من السماء فتخطفها الطير.. أو تهوي بها الريح في مكان سحيق.. بدأ سائق الإسعاف وأصحابه في حمل الجثتين..

وبدأت أجمع أغراضهما المبعثرة.. هذه محفظة.. وهذه ساعة.. وتلك كاميرا.. أخذت أجمع في كيس معي.. في أثناء ذلك وقع في يدي ظرف

مغلق.. قد انشق طرفه مع وقوعه على الأرض.. مكتوب عليه: يصل إلى يد أبي محمد!!.. وبعدها كلمات مكتوبة لا أرغب في ذكرها.. نظرت إلى داخله فإذا مجموعة كبيرة من الصور.. أخرجتها فإذا هي أكثر من خمسين صورة لنساء عرايا.. حاولت أن أخفيها عن الناس.. لئلا يفتضح الشابان.. دافعت عبراتي.. قلت: هذه فضيحة الدنيا بين عدد قليل لا يعرفهما.. فكيف بهما في فضيحة الآخرة.. عند الأولين والآخرين.. مع اشتداد الرعب.. وكثرة الفزع.. وتطاير الصحف.. اللهم استرنا بسترك.

ما ضرهما لو أطاعا الله فما كلفهما شططاً.. إقامة خمس صلوات.. وفعل الواجبات.. وترك المحرمات.. وليس في ذلك مشقة.. فالمحرمات أشياء معدودات.. ما ضر العبد لو تركها طاعة للملك ليحبه ويدخله جنته..

صرخة
في مطعم الجامعة

مدخل

في جزيرة الكنز لم تكن سارة تختلف كثيراً عن بنات جنسها.. وجه جميل.. وقوام رائع.. وطلعة بهية.. منذ صغرها كانت متميزة.. وكانت أمها حريصة على أن تتميز في كل شيء.. كانت غالية على قلبها.. تخاف عليها من نسمات الهواء.. ولم تكن الأوضاع في جزيرة الكنز تختلف كثيراً عن الأوضاع في كثير من بلاد المسلمين.. فإذا سرت في الشارع.. رأيت المساجد شاهقة المآذن.. ووجوه المسلمين المشرقة تملأ الشوارع بهجة وجمالاً.. كانت قلوب الرجال مليئة غيرة ومروءة.. فلم يكن أحد يجرؤ أن يلطخ سمعته بالتعرض لامرأة في طريق، أو حافلة.. وكانت النساء كذلك يُلفُّهن غطاء الحياء.. وينشأن عليه..

كانت أكثر النساء يلتزمن الحجاب الشرعي.. يحمين أنفسهن من النظرات الزائغة.. والكلمات الجارحة.. كان في الجزيرة عالم مشهور يحبه الناس.. يحبه الملوك والأمراء.. والكبراء والوزراء..

كان قد أوتي من القبول ما يجعل الجميع يصدرون عن رأيه.. كان عالماً ورعاً جليلاً..

في جزيرة الكنز.. لو قدر لك أن تفتح التلفاز.. لما رأيت مغنية تشدو: يا ليل يا عين!! ولا رأيت فيديو كليب يتمايل فيه مطرب راقص قد أسدل شعرات على عينيه ونمص حاجبيه وحَقَنَ «السيليكون» في شفتيه!! لا.. لا ترى ذلك في تلفاز جزيرة الكنز.. بل حتى الدعايات التلفازية لا تكاد ترى فيها امرأة!!

كانت الحياة في جزيرة الكنز جميلة وادعة.. لم يكن الناس يختلفون في مسائل الدين.. كان العالم إذا أفتى قَبِل الناس فتواه وانساقوا إليها راضين.. وخطيب الجمعة إذا وجَّه.. تلقى المصلون توجيهه بالقبول.. لم يكن يصل

إلى هذه الصفوة من الناس أي تأثير خارجي.. إلا دعوات خافتة تنبعث من أفواه من تشربوا بأسلوب حياة آخر.. وفكر عدو!!

نعم كانت بعض الوسائل الإعلامية تعمل على استحياء لزرع الفساد.. من خلال مجلات فاسدة.. أو قنوات ماجنة.. لكن تأثيرها كان قليلاً.. أو قل: كان سطحياً..

مرت السنوات.. وتطورت وسائل الاتصال.. وصار يصل إلى الناس في جزيرة الكنز بث فضائي مباشر.. ينقل إلى أهلها العفيفين ثقافات أقوام لا يحكمهم دين ولا مروءة.. بدأ أصحاب الجزيرة يشاهدون قوماً يعيشون كالبهائم.. بل هم أضل!! أكل وشرب ونوم.. لا صلاة ولا صيام ولا غض بصر ولا حفظ فرج.

بدأت النساء العفيفات في جزيرة الكنز يرين نساءً لم يكتفين بالسفور عن وجوههن بل سفرن عن سوقهن وأفخاذهن.. بل ربما سفرن عن غير ذلك.. كان ذاك العالم الجليل يصرخ بقومه. اتقوا الله.. احذروا تقليدهم.. تمسكوا بدينكم.. كان يركز على النساء أكثر.. لا تهتكي حجابك.. أنت جوهرة لا ينبغي لكل أحد أن ينظر إليك.. أنت ملكة.. أنت أمنا وأختنا وابنتنا.. أنت.. كان رحمه الله يمسك بحجزهم عن السقوط في الهاوية..

وكان غيره من العلماء يفعلون ذلك.. من خلال أحاديث إذاعية.. ولقاءات تلفازية.. وخطب جمعة.. وكتب وأشرطة.. يخافون أن تنخرق السفينة.. فتغرق.. كان الناس يتقبلون منهم.. ويحبونهم.. مرت السنوات.. ولحق ذاك العالم بربه.. ومات آخر.. وثالث.. ورابع.. وبقي العلماء الأحياء يكملون المسيرة المباركة.. ويحرسون السفينة من الغرق..

ظل الأعداء يصرخون.. أيها الناس التفتوا إلينا.. نحن في متعة وسرور.. الشاب بجانب الفتاة.. وهي تتمتع بتكشفها!! في كل مكان.. انظروا إليها بـ «البكيني» على شاطئ البحر!! تتمتع بالجو الجميل.. انظروا

إليها في الطائرة تتمتع بحريتها فتخدم المسافرين.. انظروا إليها في مطاعمنا.. تبرز مفاتنها.. وتخدم الزبائن..

كانت هذه الدعوات تصل إلى النساء في جزيرة الكنز.. لكنها لا تلقى قبولاً؛ لأن الذين أطلقوها أغبياء.. لا يعلمون من أين تؤكل الكتف.. فنساء عفيفات تربت الواحدة منهن منذ أن كانت في مهدها على أن لا تبدي زينتها للرجال، ولو خرج طرف أصبعها لرجل أجنبي عنها.. لضاق صدرها.. واضطرب مزاجها.. فكيف تريدونها أن تخرج وجهها، أو ترمي عنها عباءتها.. أووووه يا للهول!!

تكسير الموجة

رأى الأعداء أن أساليبهم للإفساد ونزع الحجاب لم تنجح.. فأدركوا أن مواجهة التيار لا تفيد.. فعمدوا إلى سياسة تكسير الموجة!! أي: تفكيك حزمة العيدان وكسر كل عود على حدة.. نظروا فإذا عباءات النساء واسعة ساترة..

إذا مشت فيها المرأة لم يكتشف أحد زينتها.. فقالوا لها: نحن لا نقول لك: انزعي عباءتك!!.. لا.. لا.. حرام.. ولكن جددي في موديل عباءتك..

فبدأ مصممو الأزياء يخترعون أشكالاً للعباءة أضيق من العباءة الساترة.. فهي على كل حال عباءة!! لبستها بعض النساء.. فصارت العباءة كأنها فستان تزداد به جاذبية.. فبدل أن كانت العباءة تلبس لستر الزينة صارت هي في نفسها زينة.. استبشر الأعداء وشعروا أن الموجة بدأت تتكسر..

فاخترعوا عباءات تلبس على الكتفين.. ثم عباءات تربط من الجنب.. ثم عباءات ضيقة جداً تبرز مفاتن المرأة.. حتى صارت المرأة بهذه العباءات تلفت النظر أكثر مما لو نزعت العباءة!! بدأ المجتمع يضطرب.. والسفينة تتهاوى للغرق.. فلم يسكت المصلحون.. أصدر العلماء الفتاوى.. واهتزت المنابر بالخطب الرنانة.. وانطلق الدعاة يعظون وينصحون.. وخوفوا لابسة

هذه العباءات من عاقبة فعلها.. وأنها بذلك تبرز زينتها التي أمر الله بسترها..

وكان التحريم في هذه العباءات الضيقة والشفافة المبرزة لمفاتن المرأة واضحاً لكل عاقل.. فبدأ يقل وينحسر.. وبدأت النساء تعود إلى العباءات الساترة.. وإن كان لا يزال يوجد أعداد من النساء يتساهلن بلبس هذه الأشكال من العباءات..

أدرك الأعداء ذلك.. ورأوا أنهم يتعبون لإفساد الحجاب.. وزرع الاختلاط.. فإذا تأثرت بذلك ألف امرأة.. وفرحوا بهذا الإنجاز.. أقبل داعية مُفوَّه فتلا عليهن الآيات وسرد الأحاديث.. فتبن كلهن في لحظة واحدة..

فإذا رأى المفسدون النساء التائبات.. عضوا أصابعهم وتهامسوا: ياااا خساااارة..!! نعم، عرفوا أن الدين متمكن من القلوب.. وأن المسلمة وإن تساهلت يوماً فتكشفت إلا أنها سرعان ما تعود.. فمعدنها ذهب خالص.. بأدنى مسحة بيد رقيقة.. يذهب عنه الغبار.. ويعود إلى بريقه ولمعانه.. وبعد تفكير طوييييل.. جاءت الطامة..!!

المسألة فيها خلاف!!

بدأ المفسدون يقلبون صفحات التاريخ.. وينظرون كيف مات الحجاب في بلاد المسلمين الأخرى.. فرأوا أنه بدأ بالدعوة إلى كشف الوجه.. ثم لما انتشر ذلك وأصبح أمراً عادياً.. بدأ الوجه يصبغ بأنواع الزينة.. ثم أصبح الحجاب يتلون بألوان زاهية.. فصار الوجه أجمل.. ثم صار قماش الحجاب مزركشاً مزيناً بصور الورود.. فازداد الوجه بهاءً.. ثم بدأ الحجاب يتسع فظهرت الجبهة كاملة.. ثم أطراف الشعر.. ثم.. فبدؤوا في تطبيق هذه الخطة في جزيرة الكنز..

كانت النساء في جزيرة الكنز يسترن وجوههن.. فظهر لهن من خلال القنوات الفضائية ووسائل الإعلام الأخرى من صحف ومجلات من يقول

لهن: أصلاً تغطية الوجه غير واجب!! وأن المرأة يجوز لها أن تكشف وجهها!! وهناك علماء يفتون بجواز كشف الوجه!! والمسألة فيها خلاف!! ثم ظهر من أفتى النساء بجواز الخروج إلى الشوارع سافرات عن محاسن وجوههن.. فمن نظر إليها تمتع بجمال خديها.. وسحر عينيها.. ونعومة شفتيها.. كل ذلك جائز على اعتبار أن كشف الوجه جائز!! ولا يدخل في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]!!

ما علينا..

كانت سارة بعيدة عن التساهل بحجابها.. تمشي بين الناس ملكة في عرشها.. الكل معجب بقوة شخصيتها وثباتها.. في كل صباح تزدحم الشوارع بالناس.. ومن بينهم ترى أخوات مسلمات.. وقد حسرن عن محاسن وجوههن..

كانت سارة تمر بهذه المناظر وهي ذاهبة إلى مكان دراستها.. لكنها كانت مع عدد كبير من الطالبات ترتدي حجاباً يغطي وجهها وجسدها.. كانت بعض الطالبات يكشفن عن وجوههن.. وبعضهن يرتدين عباءات؛ كالفساتين.. وكان عدد من الشباب يتجمهرون عند رؤية الطالبات.. ليصطادوا من تقع في شباكهم..

وكانت سارة تلاحظ أنها تمر أمامهم.. وهي بكامل حجابها.. فلا يجرؤ أحد أن يلقي عليها رقم هاتفه.. أو يسمعها كلمة جارحة.. كانت عليها جلالة ومهابة.. وكأن الملائكة تحرسها من كل جانب..

في المستشفى!!

كانت أم سارة حاملاً في الشهر التاسع.. والبيت كله يترقب مقدم هذا الضيف الصغير إلى الدنيا.. اشتاق هذا الجنين إلى الدنيا.. وتحرك دافعاً الرحم من حوله.. أحست أم سارة بآلام المخاض.. وصلت للمستشفى.. وولدت غلاماً جميلاً.. وفي المساء ذهبت سارة مع أبيها لزيارة أمها.. كان

الزائر المعافى الذي يدخل المستشفى يتحسس تاج الصحة فوق رأسه الذي لا يراه إلا المرضى.. المرضى يملؤون الغرف.. هذا مصاب بحادث.. وذاك بمرض في القلب.. وهذه امرأة نفساء.. وتلك عندها أمراض في الرحم.. دخلت سارة على أمها.. كانت في الغرفة مع أمها أربع نساء كلهن والدات..

لمحت سارة من بين الزائرات فتاة وقوراً.. يبدو عليها الذكاء والأدب.. قد لبست عباءة فضفاضة غير مزينة.. لكنها كشفت وجهها.. فبدا؛ كالقمر ليلة البدر.. يراه الأطباء والممرضون والزوار.. جعلت سارة تتعجب.. كيف تبدي زينتها!! والله يقول: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾!! كانت سارة جريئة بأدب.. أقبلت إليها وسلمت عليها بلطف.. وعرفت أن اسمها أريج.. ثم اكتشفت أنها جاءت زائرة لأختها الوالدة.. فدعت لهم جميعاً بالبركة والتوفيق.. ثم استأذنتها قائلة: لي معك حديث خاص.. هل يمكن أن نجلس في غرفة الاستراحة المجاورة.. جلست الفتاتان جلسة هادئة.. دارت فيها أحاديث مختصرة.. اكتشفت خلالها سارة أن أريج كثيرة القراءة في الكتب الداعية إلى التبرج والسفور باسم: تحرير المرأة.. وكأن المرأة رقيقة مملوكة تحتاج لمن يحررها.. كانت معلومات سارة لا بأس بها.. مما شجعها إلى فتح نقاش طويل مع أريج..

بين سارة وأريج

ـ قالت سارة: تعلمين يا أريج أن الله تعالى خلق الرجل والمرأة شطرين للنوع الإنساني: ذكراً وأنثى قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [النجم: ٤٥]، والزوجان هما المقترنان اللذان لا يستغني أحدهما عن الآخر.. فالرجل والمرأة مقترنان لتسيير عجلة الحياة..

نعم.. الذكر والأنثى مخلوقان يشتركان في عمارة الكون كلٌ فيما يخصه.. بلا فرق بين الرجال والنساء في عموم الدين.. فهما متساويان في المسئولية.. فرسول الله ﷺ دعا النساء كما دعا الرجال.. وبايع النساء على

الدخول في الإسلام وبايع الرجال.. وصلى إماماً بالرجال والنساء.. وأفتى الرجال والنساء.. وكان الرجال والنساء يشيرون عليه ويقبل منهم.. وكان الـ..

عندها صرخت أريج: كان يقبل مشورة النساء!! عجباً!! وأبو بكر وعمر موجودان؟!!

ـ سارة: نعم.. واستمعي إلى أم سلمة وهي تقضي برأيها على مشكلة كادت أن تعصف بجيش كامل!! وهذا كله قبل قرون من اعتراف العالم الحديث للمرأة بحقها في التعبير عن رأيها الخاص بها..

ـ أريج: كيف؟!

ـ سارة: لما خرج رسول الله ﷺ إلى مكة معتمراً.. خرج مع ألف وأربعمائة من أصحابه ليعتمروا.. وذلك قبل فتح مكة.. فكان أهل مكة يمنعون ويأذنون لمن شاءوا.. وصل ﷺ مع أصحابه لا يريدون قتالاً بل سيعتمرون كبقية الناس.. منعتهم قريش من دخول مكة.. وكاد ﷺ أن يدخلها بالقوة.. ولكنه عدل عن ذلك وأراد أن يكتب بينه وبينهم صلحاً..

أرسلت قريش إليه عدة أشخاص للتفاوض معه حول بنود الصلح.. حتى جاءه سهيل بن عمرو ليكتب الصلح معه.. فدعا النبي ﷺ الكاتب فجعل يملي عليه:

ـ قال: **اكتب: بسم الله الرحمٰن الرحيم..**

ـ فاعترض سهيل قائلاً: أما الرحمٰن.. فوالله ما أدري ما هو؟ ولكن اكتب باسمك اللهم..

ـ فغضب المسلمون وقالوا: والله لا نكتبها إلا باسم الله الرحمٰن الرحيم..

ـ فقال النبي ﷺ: **اكتب باسمك اللهم..**

ـ ثم قال ﷺ: **اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله..**

ـ فقال سهيل: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله.

ـ فقال ﷺ: **والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله.**

ـ فقال ﷺ: **اكتب: على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به..**

ـ فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل..

فوافق النبي ﷺ على ذلك.. وكتبه. فأراد سهيل أن يضيق على المسلمين.. فاشترط: أنه لا يخرج من مكة مسلم يريد المدينة.. إلا رُدّ إلى مكة.. أما من خرج من المدينة وجاء إلى مكة مرتداً إلى الكفر، فيُقبل في مكة..

ـ فقال المسلمون: من جاءنا مسلماً نرده إلى الكافرين!! سبحان الله كيف نرده إلى المشركين وقد جاء مسلماً.. لكن النبي ﷺ وافق على هذا الشرط أيضاً.

ـ فقال ﷺ: **أما من ذهب منا إليهم فأبعده الله..** ثم سكت والنبي ﷺ مفكراً.. وصالح النبي ﷺ قريشاً على أن يعود المسلمون إلى المدينة.. ويعتمروا في العام القادم..

كان المسلمون قد جاؤوا بإحرامهم متحمسين للعمرة.. ثم تفاجؤوا أن قريشاً تمنعهم هكذا بكل بساطة!!.. كان الحزن يسيطر على نفوسهم.. فما فرغ النبي ﷺ من كتابة المعاهدة التفت إلى أصحابه وأمرهم أن ينحروا الهَدْي.. وهو ما جاؤوا به معهم ليذبحوه في عمرتهم من غنم وإبل.. وأمرهم أن يحلقوا رؤوسهم.. فتفاجأ الناس.. الأصل أن يفعلوا ذلك بعد العمرة.. ولا تزال نفوسهم معلقة بها.. فتباطؤا عن الاستجابة لأمره رجاء أن يتراجع عنه.. لكنه لم يتراجع.. وأخذ ينظر إليهم ينتظر تنفيذ الأمر.. فلم يقم أحد!! فأعاد عليهم.. فلم يقم أحد!!

فغضب ﷺ.. ودخل على زوجه أم سلمة.. فذكر لها أنه يأمرهم ولا يطيعون!!

ـ فقالت أم سلمة رضي الله عنها: يا نبي الله أتحب أن يطيعوك؟ اخرج إليهم.. ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة.. حتى تنحر هَدْيك.. وتدعو حالقك فيحلقك.. فخرج ﷺ ومضى يمشي ساكتاً حتى فعل ما اقترحته عليه أم سلمة.. نحر هديه.. ودعا حالقه فحلقه.. فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا هديهم.. فانظري كيف أن امرأة واحدة.. واثقة بقدراتها.. معتزة بفكرها.. لم تحتقر نفسها بل أبدت رأيها.. وهم لم يحتقروها.. بل أخذوا بالرأي.. وعملوا به..

ـ أريج: والله كلام رائع..

مساواة..

سارة: نعود إلى ما كنا فيه: فأقول لك ـ أريج ـ إن الله تعالى ساوى بين الجنسين الرجل والمرأة في كل شيء.. إلا فيما تقتضي طبيعة الرجل والمرأة الافتراق فيه.. فقال تعالى عن الرجال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الفتح: ١٠]، وقال عن النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [الممتحنة: ١٢]، وكذلك ساوى بينهما في المسئولية عن البيت.. فقال ﷺ: «.. **الرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده.. فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»[(١)].

وساوى بينهما في العبادة والتكاليف الشرعية: فأوجب الله على الرجل والمرأة تكاليف متماثلة.. ساوى بينهما فيها..

فالصلاة واجبة على الرجل وواجبة على المرأة على السواء خمس مرات.. وصوم رمضان واجب عليهما جميعاً.. والزكاة واجبة عليهما.. والحج واجب عليهما.. بل إن الله خفف على المرأة أكثر من الرجل.. فأسقط عنها الصلاة والصيام أيام حيضها ونفاسها.. وساوى بين الرجل والمرأة في عمارة الأرض.. فكلاهما مأموران بالجد والعمل..

---

(١) متفق عليه.

كما قال تعالى: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾.. وهذا خطاب للرجال والنساء..

وكلاهما مأموران بأنواع الطاعات.. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].. والرجل والمرأة على السواء مأموران بطاعة الله ورسوله قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].. بل إن نساء صالحات ضربن أروع الأمثال في الحرص على الطاعة وطلب العمل.. والتحبب إلى الله تعالى بأنواع القربات..

بطولات

واصلت سارة قائلة: أذكر أن إحدى الأخوات كانت مديرة لإحدى دور تحفيظ القرآن النسائية، تقول: لما افتتحنا الدار كان المبنى مرتفعاً قليلاً عن مستوى الشارع.. فكان هناك درج يحتاج الداخل إلى المبنى لصعوده.. وكانت الطالبات يصعدن وينزلن بكل سهولة..

في اليوم الأول للتسجيل في الدار فوجئت بامرأة كبيرة في السن.. جاءت تدفعها ابنتها على كرسي متحرك.. فلما وصلت إلى الدرج.. جعلت تلتفت إلى ابنتها.. وتنظر إلى الدرج.. ثم نزلت من كرسيها وأخذت تحبو على يديها وركبتيها على الدرج.. حتى دخلت الدار.. وسجلت اسمها لتحفظ معنا القرآن.. ثم خرجت بالطريقة نفسها..

وسمعت عن فتاة لها همة عظيمة أصيبت في حادث مروع.. صارت بسببه معاقة مشلولة على السرير أكثر من خمس عشرة سنة.. امتلأ جسمها قروحاً.. وتأكل اللحم بسبب ملازمتها للفراش.. ولا تستطيع أن تخرج الأذى من جسدها، إلا بمعاونة أمها.. لكن عقلها متدفق.. وقلبها حي

مؤمن.. فكرت أن تخدم الإسلام.. فوجدت بعض الأساليب التي تنفع بها الدين.. فاستخدمت ما تملك من قدرات..!! تدرين ماذا فعلت؟

أولاً: جعلت بيتها مستودعاً للمعونات للأسر المحتاجة.. حتى صارت ساحة البيت مليئة بصدقات الناس التي يحضرونها وهي تتولى الاتصال بالأسر الضعيفة.. وإرسالها إليهم.. وكم من جائع سدت هذه المشلولة جوعته.. وكم من عار سترت عورته.. وكم من مريض سعت في علاجه..

ثانياً: إذا أرسلت المعونات للأسر المحتاجة.. ترسل معها كتباً وأشرطة نافعة.. وتقيم المسابقات على هذه الكتب والأشرطة.. لتتأكد من سماعهم لها..

ثالثاً: لا تدع منكراً من منكرات النساء إلا وتتصل على صاحبة المنكر وتنصحها..

رابعاً: تسعى في تزويج الفتيات العوانس عن طريق المتابعة الهاتفية مع الثقاة من أهل العلم والجمعيات الخيرية..

خامساً: تساهم في إصلاح ذات البين وفي حلول المشاكل الزوجية.. إنها امرأة عجيبة والله.. كانت أريج في غاية المتعة، وهي تستمع وتستعيد في ذهنها ما سمعته مراراً من المطالبة بالمساواة بين الرجل والمرأة.. وما يردده بعضهم من أن المرأة مظلومة.. مبخوسة الحق.. كسيرة الجناح.. و.. من غير شعور أخذت أريج تردد: رائع.. رائع..

ـ قالت سارة: بل هنا نقطة هامة.. عندما تطلق كلمة: «يا أيها الناس» فالمقصود بها في القرآن والسُّنَّة: الرجال والنساء..

ففي القرآن: أكثر من عشرين موضعاً ينادي الله فيه الرجال والنساء بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.. كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١].. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨].. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٤].. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٧٧].. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣]..

نعم، الرجال والنساء جميعاً يناديهم ربهم نداءً واحداً.. وانتقلي معي إلى المدينة.. وانظري إلى أمك أم سلمة رضي الله عنها.. وقد جلست يوماً في بيتها وهو ملاصق للمسجد.. وعندها جارية تمشط شعرها.. فبينما هي كذلك.. إذ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يا أيها الناس**»، فقالت للجارية: استأخري عني.. وقامت لتذهب للمسجد..

ـ فقالت الجارية: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء!!

ـ فقلت: إني من الناس[1].

ـ قالت أريج: رضي الله عن أم سلمة.. طيب ـ سارة ـ هل تسمحين بسؤال..

ـ سارة: لحظة.. بقي كلام قليل في موضوع المساواة.. ليتك تسمعين مني..

ـ أريج: تفضلي..

ـ سارة: الرجل والمرأة كما هما متساويان في الواجبات.. كذلك متساويان في الجزاء..

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].. وقال: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ١٩٥].. وقال عز شأنه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء: ١٢٤].. وجميع الأحاديث الواردة في فضائل الأعمال هي لكل المسلمين رجالاً ونساءً.. «**ومن قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة**».. هي للرجال والنساء.. «**من صلى لله ثنتي عشرة ركعة في يوم تنفلاً من غير الفريضة، بنى الله له بيتاً في الجنة**».. هي للرجال والنساء.. وهما متساويان أيضاً في العقاب: ففي حالة انتهاك أي من الجنسين حداً من حدود الله فإن العقاب واحد للذكر والأنثى دون تمييز.. ففي عقاب الزنا

---

(١) رواه مسلم.

قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].. وفي عقاب السرقة قال: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].. وفي عقاب النفاق والشرك قال: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٧٣].. وفي القيمة الانسانية.. جعل الله تعالى كلاهما مكرم.. لا يجوز التنقص منه أو امتهانه..

قال الله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].. بنوعيه الذكر والأنثى.. وحرم تنقص المسلم عموماً رجلاً كان أو امرأة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات: ١١]..

أكرمكم أتقاكم

كانت أريج تستمع إلى سارة بكل تركيز.. وسارة تتكلم بتدفق وحماس.. وفجأة.. سكتت سارة قليلاً وكأنها تدافع عبراتها.. وقد امتلأ قلبها محبة لهذا الرب العادل جل جلاله.. كيف يتهمون الدين الذي شرعه وأكمله.. أنه ظلم المرأة، أو بخسها حقوقها.. ثم قالت بكل عزة وحزم: مقياس التفاضل الوحيد بين الرجل والمرأة هو التقوى..

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ١٣].. نعم: أكرمكم أتقاكم.. ليس أشدكم جسداً.. ولا أكثركم مالاً.. ولا أقواكم ذكورة.. ولا أعظمكم فحولة.. وإنما أتقاكم..

بدت أريج متأثرة بما تسمع..

ـ وقالت: ليت أكثر النساء اليوم المخدوعات بالدعوات الماجنة التي تردد: حقوق المرأة.. حقوق المرأة.. يعقلون مثل هذه المفاهيم.. ليتهم يدركون أن الله ليس بينه وبينهن ثأر، ولا انتقام.. وإنما هن من خلق الله.. تستطيع الواحدة منهن أن تبلغ أعالي الجنان وتسبق الرجال بتقواها..

ـ قالت سارة: صحيح.. بل أزيدك: حتى عند الزواج حفظ الكرامة لكل منهما.. فقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.. وعن حكيم بن معاوية أنه قال: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «**أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت**».. وقال ﷺ: «**ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً..**»، وأمر الأولاد باحترام الرجل والمرأة.. أعني الأب والأم.. بل إن حق المرأة (الأم) أكبر.. قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، ثم بدأ بالأم فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾.. فقدمها على الأب.. وفي الصحيحين أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: «**أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك**»..

مها.. في بنطال أحمر!!

كان الكلام حامياً.. وفي هذه الأثناء.. كانت «مها» أخت أريج.. تبحث عنها في الممرات.. وقد تعجبت أين ذهبت!! كان واضحاً من طريقة لبس مها للحجاب أن عندها تساهلاً كثيراً.. فعباءتها ضيقة يتبين منها بوضوح تفاصيل جسدها.. ومع مشيها يظهر البنطال الأحمر الذي ترتديه.. فيلفت النظر للالتفات إليها.. دخلت مها غرفة الاستراحة.. فرأت أريج مع سارة.. تعجبت من الجلسة.. ألقت التحية وصافحت سارة وتعرفت على اسمها بلطف.. وجلست تستمع للحوار..

كان الكلام ساخناً.. عن حقوق المرأة في الإسلام.. فلم تصبر مها..

ـ فقالت بكل جرأة: بصراحة.. يا سارة.. بعض النساء أذكى من الرجال.. وأكثر نجاحاً من الحياة.. فلماذا تريدين أنت وغيرك أن تفرقي بين الرجل والمرأة وتحددي لكل منهما مجالات خاصة لا يصلح أن يزاحمه فيها الآخر.. ودائماً الرجل.. الرجل..

كانت مها متحمسة كثيراً وهي تلقي هذا السؤال.. ضحكت سارة.. وقالت: وأيضاً... دائماً المرأة.. المرأة.. اسمعي يا مها.. قَدَّر الله وقضى

أن الذكر ليس كالأنثى في صِفة الخلقة والهيئة والتكوين.. فالرجل أقوى من المرأة جسداً.. وأضعف عاطفة.. والمرأة أقوى منه عاطفة.. وأضعف جسداً.. وكذلك منهما مطالب بأن يستثمر قوته..

ـ مها: كيف؟

سارة: المرأة لها طبيعتها الجسدية الخاصة.. يعتريها الحيض والحمل.. والمخاض والولادة.. والإرضاع وشؤون الرضيع.. ولهذا خلقت من ضلع آدم عليه السلام.. من عظام الصدر.. قريبة من القلب.. أما الرجل فمؤتمن على القيام بشؤون الأسرة.. المرأة والأولاد.. وحفظها والإنفاق عليها.. ولذلك خلق غليظاً.. من تراب الأرض.. ومن آثار هذا الاختلاف في الخلقة: الاختلاف بينهما في القوى، والقُدرات الجسدية، والعاطفية.. الاختلاف والتفاوت والتفاضل بين الرجل والمرأة في بعض أحكام التشريع..

فلما كان الرجل في طبيعته الجسدية.. لا أعني الذكاء والفطنة.. بل أقول: في قوته الجسدية أقوى على التحمل جعله الله مسئولاً عن السعي والإنفاق على البيت.. ولما كانت المرأة أقدر على إدارة البيت والقرب من الصغار.. جعلها مسؤولة عن القيام بشؤون البيت.. وقد أدركت مريم ـ وهي امرأة ـ هذه الفوارق فقالت: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦].. كأن مها لم تقتنع بكلام سارة كثيراً.. فالتفتت إليها سارة وقالت: مها.. عذراً.. أنت لو كنت مدرّسة وأردت أن تنظمي حفلاً في مدرستك.. وأردت أن تقومي بعدة أعمال في قاعة الاحتفال.. من تنظيف.. ورسم صحائف.. وتعليق أوراق.. ومسح سبورة.. وإعداد كلمات.. وعندك عشرون طالبة... متنوعات: فيهن السمينة، والنحيفة... وفصيحة اللسان... والأقل من ذلك.. والجريئة... والخجولة.. من ستختارين للوقوف على الكراسي وصعود السلم لتعليق الأوراق؟ الطالبة السمينة.. أليس كذلك؟ تبسمت مها وقالت: لا طبعاً.. بل الطالبة النحيفة الخفيفة..

ـ قالت سارة: ومن ستختارين للتنظيف؟ الطالبة الفصيحة الجريئة.. صحيح؟!

ـ قالت مها: لا طبعاً.. هذه سأجعلها تلقي الكلمة الترحيبية.. وغيرها يتولى صف الكراسي والتنظيف..

ـ قالت سارة: طيب.. هل في تقسيمك هذا ظلم لأحد؟

ـ قالت مها: لا.. طبعاً.. كلهن أعمالهن مهمة.. تكامل وتعاون..

ـ قالت سارة: طيب لو احتجت السمينة.. واعترضت الخجولة.. والنحيفة لم ترض بعملها.. والجريئة أبت أن تلقي الكلمة..

ـ مها: لا.. لن أقبل اعتراضها؛ لأن إسناد العمل الذي يناسب طبيعتها.. ليس ظلماً لها..

شعرت سارة أنها وصلت إلى ما تريد.. وقالت: طيب لماذا تعترضين على تخصيص الرجل بشيء وتخصيص المرأة بشيء كلٌ بناء على قدراته..؟!! يبدو أن أريج تحمل فكرة مها نفسها..

ـ فقالت ـ مقاطعة ـ: سارة.. يعني حرام المرأة تخرج من بيتها..!!

ـ سارة ـ متعجبة ـ: لا.. ليس حراماً.. وأنا لم أقل ذلك..

ـ أريج: طيب هناك أعمال يقوم بها الرجل تستطيع المرأة أن تعملها مثله.. بل قد تكون أحسن منه..

ـ سارة: صحيح.. أنا معك في هذا.. لكن ما رأيك في امرأة تعمل في محل «بنشر»!! تفك إطارات السيارات.. وعجلات الشاحنات..؟ ما رأيك بامرأة تعمل في إزالة انسداد أنابيب المجاري.. فتحفر الأرض.. وتنقل التراب.. وربما نزلت في الأنابيب.. وفتشت عن الأوساخ..

ما رأيك بامرأة في شدة الحر.. لمدة ثماني ساعات يومياً.. تسوق الونش الكبير.. وتحرك رافعته لحمل السيارات المتعطلة.. ورفع الأثقال والحديد لأعالي البنايات..

ما رأيك بامرأة تعمل في حفر الآبار.. وبناية الجسور.. وتحمل أكياس الإسمنت من سيارة إلى أخرى؟ ما رأيك بامرأة..؟ كانت أريج ومها يكتمان ضحكة مدوية أثناء استماعهما للأمثلة التي تسوقها سارة.. وفجأة ضحكت الفتاتان بصوت عالٍ..

جعلت سارة تهدئ من أصواتهما.. كان واضحاً أن كل عاقل ـ مسلماً أو غير مسلم ـ يعلم أن هذه الأمور لا توافق طبيعة المرأة.. بل حتى أصحاب الشركات لا يكادون يوظفون النساء في هذه الوظائف لعلمهم بعدم قدرتهن على المواصلة فيها.. بل إن المرأة إذا عملت فيها بدأت تفقد أنوثتها ونعومتها شيئاً فشيئاً.. فيغلظ جلدها.. وتبرز عضلاتها.. ويتغير لونها..

جعلت أريج ومها تمسحان دموعهما من الضحك.. وسارة تردد: طيب خلوني أواصل.. أريج: عذراً.. تفضلي أكملي..

ـ سارة: بس بلاش ضحك..

ـ مها: طيب.. طيب..

سارة: وبالمقابل.. ما رأيك برجل يجلس في البيت.. يعمل الرضاعة للصغير.. ثم يجلسه في حضنه ويرضعه.. وإن بكى الصغير أخذ يهزه ويطربه ببعض الأهازيج حتى يسكت.. وإذا تفاجأت إحدى بناته بشيء من علامات البلوغ.. أقبل إليها وفهمها الموضوع.. وحدثها عن مرحلة الحياة الجديدة التي تستقبلها..!! وإن نام ليلة بجانب زوجته.. وسمعوا حركة لص دخل البيت.. اكتفى بإيقاظ زوجته لتعالج الموضوع.. وتولى هو الصراخ.. وجمع الأطفال!! وما رأيك برجل.. انطلقت أريج مرة أخرى ضاحكة..

ـ وقالت: المفروض أن المرأة هي التي تصرخ، وهو يتفاهم مع اللص..

ـ ردت سارة بذكاء: لماذا؟! مساواة... كلاهما يمكن أن يقوم بالعمل نفسه..

ـ فقالت مها: عجيب!! حتى حليب الطفل هو الذي يصنعه!! ويضجعه في حضنه، ويرضعه..!! ويحل مشاكل بناته!! ما بقي إلا يحمل ويلد أيضاً.. عندها جاء دور سارة بالضحك.. فجعلت طرف عباءتها على فمها وغرقت في الضحك.. وقد تخيلت رجلاً حاملاً!!

لماذا الفوارق؟!

سارة: أعود إلى بعض الفوارق بين الرجل والمرأة التي هي بسبب افتراقهما في طبيعة الخلقة والتكوين.. فمن الأحكام التي اختصت بها المرأة.. أنها ملكة مخدومة.. فيجب على الرجل أن ينفق على زوجته وابنته وأمه وكل من كانت تحت ولايته.. ولا يجوز أن يقصر عنها بطعام ولا شراب ولا مسكن ولا ملبس ولا علاج..

ويجب عليه أن يحميها من كل ضرر ينال عرضها.. بل قال ﷺ: «**من قتل دون عرضه فهو شهيد**».. فالرجال قوامون على النساء بالرعاية وحراسة الفضيلة.. والكسب والإنفاق عليهن.. وهو معنى قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].. لأن رعاية البيت والدفاع عنه تناسب طبيعته.. فهو يحمي الجبهة الخارجية.. والمرأة تحمي الجبهة الداخلية.. لذا أوجب الله على الرجال عبادات أسقطها عن النساء.. فمثلاً: يجب عليهم الجهاد.. ويجب عليهم شهود صلاة الجمعة.. والخروج في شدة الحر والبرد للصلاة في المسجد..

ـ قالت أريج: لكن.. سارة.. اسمحي لي.. يعني.. يعني.. وبدت أريج مترددة في كلامها..

ـ قالت سارة: هاه.. ماذا عندك؟!

ـ أريج: هناك بعض الفوارق.. لماذا المرأة تأخذ نصف ميراث الرجل؟! أليس في هذا تفريقاً بينهما؟!

ـ فقالت سارة ـ وقد تملكت محبة الله وتعظيمه قلبها ـ: أريج.. لنكن واضحين.. يعني تتوقعين أن الإسلام بينه وبين المرأة عداوة!! تعالى الله.. لو كان الأمر كذلك.. لما خفف عن المرأة في الصلاة.. فهي تصلي في البيت.. وتمكث أياماً من الشهر في إجازة من الصلاة في فترة عادتها الشهرية..!!..

وخفف عنها في الصوم، فتفطر أياماً من رمضان.. والحج يسقط عنها مهما ملكت من أموال ما دامت لم تجد محرماً يذهب معها ويعتني بها.. و..

ـ أريج: أدري أن الله حكم عدل ولا يظلم أحداً.. لكن.. ما سبب التفريق في الميراث؟!!

سارة: لا يشرع الله تعالى شيئاً إلا لحكمة.. وهو سبحانه الرب العظيم الأعلم بمصلحة عباده.. افرضي أن رجلاً مات وورثه ولد وبنت.. فلما أحصينا التركة فإذا هي مائة وخمسون ألفاً.. كم للولد وكم للبنت؟

ـ أريج: للبنت خمسون ألفاً.. وللولد مائة ألف..

ـ سارة: طيب.. بعد سنة خطبت البنت.. وأعطاها خطيبها مهراً قدره خمسون ألفاً.. كم صار عندها؟

ـ أريج: مائة ألف..

ـ سارة: جاءها هدايا بعد زواجها بما مجموعه عشرون ألفاً.. كم صار عندها؟

ـ أريج: مائة وعشرون ألفاً..

ـ سارة: وجهز زوجها الشقة واشترى الأثاث وتكفل بكل التكاليف الأخرى؛ كالسفر.. والولائم.. والهدايا.. و.. أما الولد فإنه خطب فتاة.. وأعطاها مهرها خمسين ألفاً.. فكم بقي عنده؟

ـ أريج: خمسون ألفاً.. ثم اشترى أثاث الشقة.. وأنفق في تكاليف الزواج الأخرى ستين ألفاً.. هاه.. يا شاطرة!! كم بقي عنده..

ـ تبسمت أريج وقالت: يكون مديوناً بعشرة آلاف..

ـ سارة: وبقي عليه الإنفاق على البيت.. وتدريس الأولاد.. والإنفاق على الزوجة.. و.. وكل هذه تكاليف لا تجب على المرأة.. أما أخته فالمائة ألف قد جعلتها في مشروع يدر عليها أرباحاً.. وزوجها ينفق عليها وعلى أولادها.. ويسدد إيجار الشقة، وفواتير الهاتف، والكهرباء، والماء..

يعني يا أريج.. الحقوق الواجبة في مال الرجل أكثر من الحقوق الواجبة في مال المرأة.. ومقدار كبير من مال الرجل يصرفه على المرأة.. سواء كانت زوجة، أو بنتاً، أو أماً، أو أختاً.. فالأمر كما قال الله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ جمع بين الحكمة في التشريع.. والعلم بحاجات الناس..

كان الهدوء والخشية ظاهران على محيا أريج ومها.. وهما تتأملان في حكمة الرب العظيم.. الحمممد لله.. كم أحبك يا ربي.. عجباً.. ما أعدلك وأحكمك.. هل نبحث عن حكم غير حكمك؟ أو شريعة أكمل من شريعتك؟ أين هؤلاء المطبلون الذين يخفون عنا هذه الحكم العظيمة في التشريع.. أعوذ بالله.. يحاولون أن يصرفونا عن الدين وكأنه للرجال دون النساء..

إن ربك حكيم عليم

ـ قالت سارة: وعموماً يجب علينا جميعاً نرضى بما قسم الله لنا..

فكما أن الرجل لا يجوز له أن يتمنى ما فضلت به المرأة من لبس الذهب والحرير.. وسقوط كثير من التكاليف الشرعية عنها.. والتخفيف عليها في العبادات.. كذلك المرأة ينبغي أن ترضى بما قسم الله لها.. ولا يجوز لمسلم ولا مسلمة أن يتمنى ما خص الله به الآخر من الفوارق المذكورة... لأن في ذلك تسخطاً على قدر الله.. وعدم رضا بحكمه وشرعه..

ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: ٣٢]، وإذا كان هذا النهي ـ بنص القرآن ـ عن مجرد التمني.. فكيف بمن ينكر الفوارق الشرعية بين الرجل والمرأة.. وينادي بإلغائها.. ويدعوا إلى المساواة بين الرجل والمرأة فيما لا يمكن أن يساوي بينهما فيه؟ ووالله لو حصلت المساواة في جميع الأحكام ـ مع الاختلاف في الخِلقة والقدرات ـ لكان هذا ظلماً لكل منهما..

ولباس التقوى

ـ مها: ولذلك أوجب الله على المرأة الحجاب والستر.. والرجل يلبس ما يشاء!!

ـ سارة: لا.. ليس صحيحاً!! الرجل لا يلبس ما يشاء..

ـ مها: كيف؟!

ـ سارة: الحجاب والستر.. فرض على كل مسلم رجل أو امرأة.. فواجب على الرجال ستر عوراتهم من السرة إلى الركبة.. إلا عن زوجاتهم، أو ما ملكت أيمانهم.. ونهى الشرع عن نوم الصبيان في المضاجع مجتمعين.. وأمر بالتفريق بينهم.. مخافة اللمس والنظر.. المؤدي إلى إثارة الشهوة.. وكانت قريش في الجاهلية يطوفون بالكعبة عراة.. ويقولون: لا نطوف بثياب عصينا الله فيها!! فلما فتح النبي ﷺ مكة قال: «**لا يطوفن بالبيت عريان**».. رجلاً كان أو امرأة.. ولا يجوز أن يصلي أحد وهو عريان.. حتى لو كان وحده بالليل في مكان خالٍ لا يراه أحد..

ونهى النبي ﷺ إذا كان أحدنا خالياً أن يتعرى.. وقال ﷺ: «**فالله أحق أن يستحيا منه من الناس**».. وفي الإحرام: معلومة الفوارق بين الجنسين.. ونهى الرجال عن الزينة المخلة بالرجولة من التشبه بالنساء في لباس أو حلية أو كلام.. ونهى الرجال عن الإسبال تحت الكعبين.. أما المرأة فمأمورة بستر قدميها.. إما بتطويل ثوبها، أو بلبس الجوربين.. وأمر الله المؤمنين بغضِّ أبصارهم عما يظهر عن عورات الآخرين بغير قصد.. أو مما يظهر من زينة المرأة.. وحرم النظر إلى كل ما يثير الشهوة.. وهذا أدب شرعي عظيم في مباعدة النفس عن الحرام..

وهذه الأمور التي تقدمت كلها في الحجاب العام الذي أوجبه الله على الرجل والمرأة..

فالرجل مأمور بحجب أشياء من جسده.. والمرأة مأمورة بالحجاب

أيضاً.. والمرأة أولى بالتستر؛ لأن الانظار الطامعة تسبق إليها فأمرها الله بتغطية زينتها.. وستر مواضع جمالها.. وأولها الوجه.. حتى لا يخدش أحد عفافها..

ـ قالت أريج: فعلاً.. والله كلام رائع..

أذكر أن امرأة كانت متمسكة بصلاتها.. وكان زوجها يحبها كثيراً.. وكانت متساهلة بالحجاب.. فربما كشفت وجهها أمام إخوانه.. بل وأصدقائه أحياناً.. وأحياناً تصافحهم.. كان زوجها كثير الشكوك فيها.. كثرت المشاكل بسبب أسئلته: ماذا يقصد فلان بنظرته..؟ فلان لم صافحتيه.. لماذا أطلت بقاء يدك في يده؟ فلان لماذا تضحكين على نكته؟ كان زوجها رجلاً عنده غيرة.. ويشعر أنه ملك وهي ملكة.. والملكة لا ينبغي أن يشارك الملك فيها أحد..

ـ تقول هذه المرأة: من كثرة المشاكل فكرت في طلب الطلاق مراراً.. تعبت كثيراً.. ما هو الحل.. فقررت يوماً: أن أتبع ما أمر الله به المؤمنات من لبس الحجاب.. وترك مصافحة الرجال.. فالتزمت بالحجاب الشرعي.. وغطيت وجهي.. فلا يراه إلا زوجي ومحارمي.. وتجنبت الاختلاط بالرجال الأجانب عني.. شعرت بعزة.. شعرت أن من كنت أخالطهم لما علموا بحجابي احترموني أكثر.. فعلاً هذه هي الفطرة التي خلق الله عليها المرأة.. ومن بعدها.. لم يقع بيننا مشكلة واحدة.. والحمد لله..

ـ قالت سارة: لذلك.. أريج.. فرض الله على المرأة الحجاب؛ لأنه خالقها والأعلم بها..

حمي الوطيس!!

ـ أريج: العلماء اختلفوا في حجاب المرأة.. لكن ماذا لو أنها سترت جميع جسدها وأخرجت وجهها وكفيها؟!

ـ سارة: يبدو أن نقاشنا سيكون حامياً.. لأن هذه النقطة هي التي جلست معك لأجلها..

ـ أريج: نعم حمي الوطيس.. ولكن لا بأس.. ثقي تماماً أني أطلب الحق وأحرص على طاعة ربي.. فأقنعيني بالأدلة الشرعية..

ـ سارة: الحكم الذي دلت عليه الأدلة المتعددة من القرآن والسُّنَّة..

ودل عليه الإجماع العملي من نساء المؤمنين من عصر النبي ﷺ.. ودل على هذا الحكم أيضاً عمل النساء في عصر الخلافة الراشدة.. وعملت النساء أيضاً بهذا الحكم خلال القرون المفضلة.. وهي الـ ٣٠٠ سنة الأولى من تاريخ الإسلام.. بل.. واستمر العمل بهذا الحكم إلى انحلال الدولة الإسلامية وانقسامها إلى دويلات في منتصف القرن الرابع عشر الهجري.. و..

ـ أريج: عذراً!! أي حكم!!

ـ سارة: وجوب تغطية المرأة لوجهها..!! نعم.. ولم يعرف اشتهار كشف المرأة لوجهها إلا في السنين المتأخرة!!

ـ أريج: هذا غريب..!! أنت متأكدة؟

ـ سارة: سأثبت لك ذلك..

أما أن كشف الوجه لم يكن موجوداً أبداً.. وكان المعروف من نساء المسلمين ستر وجوههن.. فهذا كلام أكثر العلماء.. وأنا لا أحفظ ذلك.. لكنه موجود في مطوية تحمل توجيهات للمرأة.. أحضرت منها مجموعة لأمي لتوزعها على الممرضات.. انتظري قليلاً لعلي أجد منها نسخة.. غابت سارة قليلاً، ثم عادت ومعها الورقة التي تريد.. جلست، ثم بدأت تقرأ:

التوجيه الثالث: تساهل بعض الأخوات بكشف الوجه.. مع أن المسلمات طوال العصور لم يزل عملهن على تغطية الوجه.. ولقد ذكر ذلك العلماء المتقدمون والمتأخرون.. قال الحافظ ابن حجر (توفي سنة ٨٥٢هـ): «لم تزل عادة النساء قديماً وحديثاً يسترن وجوههن عن الأجانب»..

وقال أبو حامد الغزّاليُّ: «لم يزل الرجال على مرِّ الزمان مكشوفي الوجوه، والنِّساء يخرجن منتقبات» (فتح الباري ٩/ ٣٣٧).

وقال الإمام المفسر السيوطي المصري (المتوفى سنَة ٩١١هـ) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ هذه آية الحجاب في حق سائر النساء، ففيها وجوب ستر الرأس والوجه عليهن»..

ومما يؤكد هذا أنك لا تجد مسألة كشف الوجه أخذت حيزاً كبيراً في مصنفات العلماء السابقين، ولم تستغرق جهدهم ووقتهم، مما يدل أن كشف الوجه لم يكن معروفاً عندهم وبالتالي ما احتاج العلماء أن يؤلفوا في الرد على من يفتي بجواز كشف الوجه..

وتغطية المرأة لوجهها عمل تتوارثه الأجيال.. بل حتى الصور (الفوتغرافية) التي التقطت قديماً لديار المسلمين (تركيا، مصر، تونس، الشام،.. إلخ) تؤكد أن المرأة المسلمة كانت تغطي وجهها.. كما في كتاب «مكتب عنبر» للقاسمي، وكتاب «الطاهر الحداد ومسألة الحداثة» لأحمد خالد، وأي كتاب يتحدث عن ثورة ١٩١٩م المصرية..

التوجيه الرابع: أن..

ـ قالت أريج: يكفي.. سارة.. والله كلام مقنع.. ولكن يمكن قصدهم بالحجاب غير الذي عندنا..

ـ سارة: لاااا.. الحجاب الشرعي صفته وشروطه معروفة.. وحجاب المرأة شرعاً هو: ستر المرأة جميع بدنها وعدم إبداء زينتها.. كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]..

أريج: ولكن الله تعالى لما نهى عن إظهار الزينة قال بعدها: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾.. يعني الوجه والكفين..

ـ سارة: لا.. ليس الوجه والكفان.. بل المستثنى في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، هو الزينة التي تظهر من نفسها.. كطول المرأة وقصرها.. ونحافتها، أو سمنها.. وكذلك ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ من غير قصد.. كما لو أزاحت الريح العباءة عما تحتها من اللباس، أو البدن.. فظهر شيء

من زينتها اضطراراً لا اختياراً.. لذلك قال الله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، ولم يقل: إلا ما أظهرت.. فقوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ﴾ أي: لم تتعمد المرأة إخراجه.. ولم تقصد.. وإنما ظهر من قبل نفسه لا بفعلها هي..

- أريج: راااائع..

- سارة: وأزيدك فائدة أخرى هي:

بم يكون الحجاب؟

الحجاب يكون بـ: الجلباب، والخمار.. والخمار: هو الغطاء.. والتخمير في اللغة هو السّتر والتغطية.. وهو ما تغطي به المرأة رأسها ووجهها وعنقها وجيبها.. فكل شيءٍ غطّيْتَه وستَرْتَهُ فقد خَمّرته.. ومنه الحديث المشهور: «**خمروا آنيتكم**»؛ أي: غطُّوا فُوّهتها ووجهها حتى لا تقع فيها الدواب.. ومنه سميت الخمر خمراً.. لأنها تغطي العقل..

وصفة لبس الخمار: أن تغطي المرأة ما جرت العادة بكشفه في منزلها؛ أي: أن تضع الخمار على رأسها.. ثم تلفه حول وجهها.. ثم تلقي بما بقي منه على وجهها ونحرها وصدرها.. وبهذا تتم تغطية ما جرت العادة بكشفه في منزلها.. فهي في البيت أمام محارمها.. تكشف زينتها شعرها وجهها ورقبتها ونحرها.. فإذا خرجت أمرت بتغطية ما كانت تكشفه في بيتها من زينة الشعر والوجه..

ويشترط لهذا الخمار:

أن لا يكون رقيقاً يشف عما تحته من شعرها ووجهها... أو عنقها ونحرها وصدرها، أو أذنيها..

عن أم علقمة قالت: رأيت حفصة بنت عبد الرحمٰن بن أبي بكر.. دخلت على عمتها عائشة رضي الله عنها وعليها خمار رقيق يشف عن جبينها.. فشقته عائشة عليها..

ـ وقالت: أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور؟ ثم دعت بخمار فكستها[١]..

هذا هو الجزء الأول من الحجاب.. الخمار الذي يغطي الشعر والوجه.. والجزء الثاني هو الذي يغطي بقية البدن.. وهو الجلباب.. وهو: قماش تلبسه المرأة من رأسها إلى قدميها.. ويكون ساتراً لجميع بدنها.. وهو: العباءة..

ـ قالت أريج: لكن.. سارة.. ألا تلاحظين أن عدداً من النساء، وإن لبست العباءة وغطت وجهها تكون مظهرة لزينتها؟!!

ـ سارة: ماذا تقصدين..

ـ أريج: عدد من زميلاتي.. يلبسن عباءات ضيقة جداً تبرز الصدر ومفاتنه.. أو..

ـ فقاطعتها مها قائلة: لا.. وآخر الصيحات كتابة اسم صاحبة العباءة عليها.. أو الحروف الأولى من اسمها!!

ـ قالت سارة: قرأت فتاوى كثيرة بتحريم لبس هذه العباءات.. وبيعها..

ـ أريج: عذراً.. سارة.. إذا لبست عباءة ساترة.. وكشفت الوجه والكفين.. من دون أن أضع الماكياج، أو العطور.. ما المشكلة؟!

ـ قالت مها: إي والله.. ما المشكلة؟!! تبسمت سارة وقالت: ما المشكلة!! المشكلة كبيرة..

ـ أريج: كيف؟!!

ـ سارة: أنت مسلمة وتقتنعين بالأدلة الشرعية.. صح..

ـ أريج: طبعاً..

ـ سارة: إذن اسمعي مني..

---

(١) رواه ابن سعد، والإمام مالك في الموطأ.

ذكرت لك أن النساء من عصر الصحابة رضي الله عنهن والتابعين.. وعلى مر قرون مضت بالمسلمين.. كن لا يخرجن سافرات الوجوه، ولا متبرجات بزينة.. واتفق المسلمون على هذا العمل..

حكى ذلك جمع من الأئمة من جميع المذاهب.. منهم الحافظ ابن عبد البر المالكي.. والإمام النووي الشافعي.. وشيخ الإسلام ابن تيمية الحنبلي.. وغيرهم.. واستمر العمل به إلى نحو منتصف القرن الـ ١٤هـ.. وقت انحلال الدولة الإسلامية إلى دول.. وكانت بداية السفور بخلع الخمار عن الوجه في مصر.. ثم تركيا.. ثم الشام.. ثم العراق.. وانتشر في المغرب الإسلامي.. وفي بلاد العجم..

ثم ازداد الأمر انحداراً.. إلى الخلاعة والتجرد من الثياب الساترة لجميع البدن.. وكان لبداية السفور عن الوجه قصة..

تحمست مها.. وقالت: قصة!! سارة.. أرجوك.. احكيها لنا..

ـ سارة: سأحيكها لك.. ولأن كثيراً من بلاد الإسلام المحافظة تسير مع الأسف في الطريق نفسه.. ولكن ما رأيك أن نعرف أولاً.. الأدلة الواضحة على وجوب تغطية المرأة لوجهها..

ـ أريج: ما شاء الله عليك.. هل تحفظينها كلها..

لقاء آخر

كانت سارة مثقفة.. لكنها لم تعلم أنها ستكون في مناظرة حول الحجاب..

ـ فقالت: لا أحفظ الأدلة كلها.. لكني زرت معرض الكتاب المقام في الجامعة بالأمس.. واطلعت على كتاب فيه معلومات عن الحجاب.. وتاريخه.. والأدلة على وجوبه.. وقصة نزعه.. وسوف أذهب بإذن الله بعد العصر لشرائه.. تحمست أريج والتفتت إلى مها وقالت: مها.. ما رأيك أن نزور هذا المعرض لنستفيد؟

لم تكن مها تحب الكتب والقراءة.. لكنها هزت رأسها موافقة رجاء أن تلتقي بسارة مرة أخرى.. تواعدت الفتيات الثلاث بعد العصر في معرض الكتاب بالجامعة.. ثم افترقن.. في السيارة أثناء العودة إلى البيت كان النقاش حامياً بين أريج ومها، حول ما ذكرته سارة من معلومات..

ـ قالت مها: أقرأ كثيراً في الإنترنت مقالات حول التضييق على المرأة وأنها مظلومة.. وأتمتع بقراءة الدعوة إلى انطلاقها.. والصحف أيضاً فيها عدد كبير من ذلك.. لكن هل تصدقين أني أيقنت أن ما كنت أقرؤه فهو هراء.. وأني إن أظهرت زينتي فأول من سيستمتع بذلك هو الرجل.. لا وليس الرجل الصالح النافع لدينه وبلده.. فهذا سيغض بصره.. ولكن سيتمتع به الرجل الفاجر الذي يغريني بالتكشف ليتمكن من عفتي.. أعوذ بالله..

أعجبت أريج بهذا الكلام من مها.. لأنها طالما نصحتها بالتستر وترك التبرج في العباءة.. وعدم إظهار الألوان الصارخة.. كانت أريج أكبر سناً من مها.. ولعلها أعقل أيضاً.. ولم تكن تتعامل مع قضية الحجاب تعامل الفتاة الطائشة التي تتساهل بأحكام الدين.. وتلبس ما شاءت من العباءات واللباس مهما قيل لها بصوت عاااال: حرااااام..

بل كانت أريج مصلية صائمة.. لكنها كانت مثقفة تحب القراءة.. قرأت في بعض المقالات أن كشف المرأة لوجهها جائز.. ما دامت غير متبرجة في لباسها..

وقرأت أيضاً ما يردده بعضهم من القول بأن: جواز كشف المرأة لوجهها هو قول جمهور العلماء..!! وأن علماء السعودية فقط هم الذين يحرمون كشف الوجه، أما علماء مصر والشام واليمن وتركيا، و... جميع بلاد العالم فيبيحون كشفه.. وقرأت أيضاً: ان تغطية الوجه ليست من الدين.. بل هي عادات وتقاليد لا يلزم التقيد بها..!!

كلام سارة الذي تكلمت به بكل بساطة.. جعل أريج تعيد حساباتها من جديد.. وتفكر في مصداقية ما تقرؤه في المقالات المتفرقة في الجرائد والمجلات.. والإنترنت..

أدركت أنها كانت تقبل كل كلام دون أن تتأمل في ثقة صاحبه.. وقوة علمه.. وتقواه..

دقت الساعة الرابعة.. توجهت سارة إلى الجامعة لزيارة معرض الكتاب ولقاء الفتاتين..

وتوجهت أريج ومها إلى الجامعة أيضاً.. كان المعرض متواضعاً.. يقام سنوياً لفتيات الجامعة.. ويفتح المجال للزائرات من خارج الجامعة.. فكانت الزائرات يتنوعن ففيهن طالبات في الثانوية.. وفيهن ربات بيوت.. وفيهن من تأتي لا لشراء الكتب بل للفرجة وتغيير الجو فقط..

وصلت سارة مبكرة.. واشترت الكتاب.. وأخذت تقلب صفحاته في انتظار وصول أريج ومها.. وصلت الفتاتان.. والتقت بهما سارة ومعها الكتاب.. كانت سارة تعلم أن النقاش سيكون حامياً وطويلاً.. فتوجهت بهما إلى مطعم الجامعة..

في مطعم الجامعة

كان المطعم كبيراً يحتوي على طاولات دائرية.. تكفي كل واحدة لجلوس أربع طالبات.. لكن الزحام فيه كان شديداً بسبب معرض الكتاب.. إضافةً إلى وجود بعض الأطفال الصغار مع أمهاتهم.. جعلت الثلاث يبحثن عن مكان مناسب بعيد عن الإزعاج.. حتى رأت مها طاولة في الزاوية اليسرى بعيدة عن الناس.. فتوجهت الثلاث وجلسن.. أخرجت سارة الكتاب..

ـ قالت أريج: ما رأيك أن تقرئي علينا الفهرس.. ونختار منه ما يهمنا..

بدأت سارة تقرأ الفهرس.. ص٣ المقدمة.. ص٦ أهمية الحجاب.. ص١١ لماذا فرض الحجاب.. ص١٥ الأدلة من القرآن والسُّنَّة على وجوب تغطية المرأة لوجهها.. ص٣١ إجماع الأئمة الأربعة على وجوب تغطية الوجه.. ص٣٧ أقوال العلماء من شتى الأقطار بوجوب تغطية المرأة

لوجهها.. ص٤٣ قصة نزع الحجاب.. ص٤٦ أدلة ثلاثة استدل بها القائلون بجواز كشف الوجه.. والرد عليها.. وارحت سارة تقرأ عليهما بقية الفهرس.. صرخت أريج بحماس: ممتاااز.. كتاب رااائع.. لكن.. كم بقي ويقفل المعرض..

ـ قالت مها: باقي كثيير.. ثلاث ساعات..

ـ قالت سارة: أنا لا أستطيع الانتظار حتى يقفل المعرض.. فأبي سيأتي لأخذي بعد المغرب.. ولكن لا يزال معنا وقت.. هاه.. ماذا نختار لنبدأ بقراءته.. أقرأ المقدمة؟

ـ قالت مها: لا.. أرجوك لا أحب قراءة المقدمات.. دائماً تكون روتينية ومملة..

ـ أريج: لا أقدم على كلام الله ورسوله ﷺ شيئاً.. نبدأ بالأدلة من القرآن والسُّنَّة.. فتحت سارة ص ١٥ وبدأت تقرأ..

أدلة القرآن والسُّنَّة على وجوب تغطية الوجه

الدليل الأول: آية الحجاب الآمرة بإدناء الجلابيب على الوجوه..

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. وهذه الآية ذكرت جميع النساء.. زوجات النبي ﷺ، وبناته.. ونساء المؤمنين.. وهي صريحة في وجوب ستر الوجه على جميع نساء المؤمنين.. ويسترن جميع الزينة عن الرجال الأجانب عنهن..

وستر الجلباب للوجه وجميع البدن هو الذي فهمته نساء الصحابة، وذلك فيما أخرجه عبد الرزاق عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ خرجت نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها..

الدليل الثاني: قالت عائشة رضي الله عنها كما عند أبي داود: والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار.. أشدّ تصديقاً بكتاب الله.. ولا إيماناً بالتنزيل.. لقد أنزل في سورة النور قوله تعالى في الأمر بحجاب المؤمنات: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].. فسمعها الرجال من رسول الله ﷺ.. ثم انقلبوا إليهن.. يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها.. يتلو الرجل على امرأته.. وابنته.. وأخته.. وعلى كل ذات قرابته..

فما منهن امرأة إلا قامت إلى مِرطها ـ وهو كساء من قماش تلبسه النساء ـ فاعتجرت به.. ـ لفته على رأسها ـ.. وقامت بعضهن إلى أزرهن فشققنها واختمرن بها.. أي: الفقيرة التي لم تجد قماشاً تستر به وجهها.. وأخذت إزارها وهو ما يلبس من البطن إلى القدمين، ثم شقت منه قطعة غطت بها وجهها.. تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله في كتابه..

قالت عائشة: فأصبحن وراء رسول الله متعجرات كأن على رؤوسهن الغربان..

الدليل الثالث: عن أم عطية رضي الله عنها قالت: أن رسول الله ﷺ أمر النساء بالخروج لصلاة العيد.. فقيل له: يا رسول الله! إحدانا لا يكون لها جلباب؟ فقال: «**لتلبسها أختها من جلبابها**»(١).

وهذا صريح في منع المرأة من بروزها أمام الأجانب عنها بدون الجلباب..

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠].

ولا يرتاب عاقل أن كشف المرأة وجهها هو إغراء للرجال بالنظر إليه.. ولهذا قال تعالى في الآية التي بعدها: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]؛ أي: لا تبدي المرأة زينتها ليستطيع الرجل أن يغض بصره..

---

(١) متفق عليه.

الدليل الخامس: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]..

يعني يحرم على المرأة إذا مشت وهي لابسة خلاخل في قدميها.. والخلخال: نوع من الحلي؛ كالأساور يلبس في القدمين، ويكون فيه قطع من ذهب، أو نحاس.. فإذا مشت المرأة بسرعة ظهر لهذه الحلي صوت..

فنهى الله تعالى المرأة إذا مشت عن الضرب بالأرجل.. حتى لا يسمع الرجال صوت الخلاخل فيفتنون.. فإذا كان هذا حراماً.. فما بالك بكشف الوجه.. ونظر الرجل إلى شفتي المرأة، وخديها، ووجنتيها، وعينيها.. يعني سيفتن بصوت الخلخال.. ولن يفتن بهذه المحاسن؟ إن هذا لشيء عجاب!!

الدليل السادس: أن الله تعالى رخص للمرأة العجوز الكبيرة الطاعنة في السن.. في أن تضع ثيابها؛ أي: تكشف حجابها وتتخفف من الخمار والجلباب.. ثم بيَّن أنها إن احتجبت فهو خير لها.. مع أنها لا ترجو نكاحاً؛ أي: لا فتنة، ولا جاذبية فيها.. قال تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور: ٦٠].

الدليل السابع: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].. وهذا نص صريح في وجوب تغطية الوجه.. يعني تعالى: وإذا سألتم أزواج رسول الله ﷺ ونساء المؤمنين اللواتي لسن لكم بأزواج ﴿مَتَٰعًا﴾ (أي: حاجة)، ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾.. يعني: من وراء ستر بينكم وبينهن.. ولا تدخلوا عليهن بيوتهن.. لماذا يا رب؟ ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾؛ يعني: محادثتكم للنساء من وراء حجاب.. من غير أن ترونهن.. هو أطهر لقلوبكم وقلوبهن حتى لا تؤثر نظرة العين في القلب.. فيقع في قلب الرجل، أو المرأة.. استملاح، أو إعجاب.. بل يبقى القلب طاهراً.. لأن الرجل يكلم المرأة من وراء حجاب.. فلا يكون للشيطان عليهما سبيل..

الدليل الثامن: قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ

﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب ٣٣]. فنهى الله المؤمنات أن يتساهلن بإخراج الزينة والتبرج.. كما كانت تفعل النساء في الجاهلية الأولى.. ففي ذلك المجتمع العربي الأصيل الذي كان الرجال فيه شديدي الغيرة، وقد تقوم الحرب بين قبيلتين لو اكتشف رجل أن رجلاً غازل امرأته، أو تعرض لها..

ففي ذلك المجتمع الجاهلي المتشدد ماذا تتوقعين أن المرأة كانت تخرج من جسدها، وهي تمشي بين الرجال؟! الفخذين؟ الصدر؟ الكتفين؟ الظهر؟ الشعر؟

هاه!! ماذا تتوقعين؟!! لا شك أنها كانت تخرج وجهها.. وفي الغالب أنه يخرج معه شيء من شعرها.. وإن كانت أكثرهن تغطي وجهها كما يتبين ذلك من خلال أشعارهم.. فنادى الله تعالى جميع المسلمات فقال: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾؛ أي: انتبهي أن تكوني مثلها..

كانت سارة تقرأ منهمكة متحمسة.. وأريج ومها ترددان: رائع.. ممتاز.. الحمد لله.. وهن في منتهى التسليم لأمر الله تعالى.. فالعبد وما يملك لسيده.. شعرت سارة أن أريج سرحت بفكرها بعيداً.. ففاجأتها قائلة: مفهووووم..

ـ فابتسمت أريج وقالت: مفهوم يا أستاذة..

ـ سارة: هاه.. نكمل.. كانت مها أكثر انسجاماً فبادرت قائلة: إي والله.. أكملي.. أكملي.. حولت سارة نظرها إلى كتابها وجعلت تقرأ:

الدليل التاسع: معلوم أن المرأة إذا أحرمت بالحج والعمرة.. فإنها تكشف وجهها.. كما أن الرجل إذا أحرم يكشف وجهه.. فكانت الصحابيات في الحج والعمرة يكشفن وجوههن إذا كن في وسط الخيام..

أما إذا مر بها رجال أجانب.. فماذا تفعل.. استمعي لأمك وهي تحكي حالهن: عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان الركبان ـ تعني الحجاج ـ يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات.. فإذا حاذَوا بنا

سَدَلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها.. فإذا جاوزونا كشفناه»[١]..

فهذا بيان من عائشة رضي الله عنها لحال الصحابيات المحرمات.. أنهن إذا مر بهن الرجال غطين وجوههن.. مع أن المرأة ممنوعة من تغطية وجهها وهي محرمة.. إذن لماذا يغطين وهن محرمات؟!! لأنهن يعلمن أن تغطية الوجه أمام الرجال الأجانب أهم وأوجب..

الدليل العاشر: عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: «كنا نغطي وجوهنا من الرجال.. وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام»[٢]..

الدليل الحادي عشر: في قصة حادثة الإفك.. لما خرجت عائشة رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ في غزوة.. وفي طريق عودتهم إلى المدينة.. ذهبت عائشة لتقضي حاجتها فتأخرت.. فلما رجعت فإذا الجيش قد ارتحل عنها.. قالت عائشة: فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب.. قد انطلق الناس.. فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي.. فتلففت بجلبابي.. وجلست.. فغلبتني عيني فنمت.. فوالله إني لمضطجعة إذ مرّ بي صفوان بن المعطل.. وهو أحد الصحابة كان قد تأخر عن الجيش لبعض حاجاته.. فرأى سواد إنسان نائم.. فأتاني فعرفني حين رآني.. وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب علينا..

فلما رآني قال: إن لله وإنا إليه راجعون.. ظعينة رسول الله ﷺ؟

فاستيقظت باسترجاعه.. فخمرت وجهي بجلبابي.. ووالله ما كلمني كلمة.. ولا سمعت منه غير استرجاعه.. حتى قرّب راحلته إليّ.. فأناخها.. فركبت.. وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس.. الحديث..

الدليل الثاني عشر: وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله ﷺ صلاة الفجر متلفعات بمروطهن ـ أي: متسترات غاية

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود.

(٢) رواه ابن خزيمة، والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي.

التستر ـ ثم ينقلبن ـ أي: يرجعن ـ إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة لا يعرفهن أحد من الغلس[١].

الدليل الثالث عشر: أنه ﷺ قال: «**من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»؛ أي: لا يجوز تطويل الثياب عن الكعبين... فظنت أم سلمة رضي الله عنها أن تحريم إسبال الثياب تحت الكعبين عام في الرجال والنساء.. وكانت النساء تطولن ثيابهن لتستر أقدامهن.. وكانت أكثرهن فقيرات لا يجدن جوارب يلبسنها..

ـ فقالت: فكيف تصنع النساء بذيولهن؛ أي: بما يسحب على الأرض من ثيابهن؟

ـ فقال: «**يرخين شبراً**»..

ـ فقالت: إذاً تنكشف أقدامهن..

ـ قال: «**يرخينه ذراعاً لا يزدن عليه**»[٢]..

فإذا كانت المرأة منهية عن كشف قدميها لئلا يرى الرجل جمال القدمين فيعجب بها.. أو يقع في قلبه عشقها.. آآآه فما بالك لو أنها كشفت وجهها!!!

الدليل الرابع عشر: قوله ﷺ: «**لا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين**»[٣].. فمنع ﷺ المرأة إذا أحرمت من أن تلبس ما جرت عادتها بلبسه في غير الإحرام.. كما منع الرجل عن لبس القميص.. والعمامة.. لأنه يلبسهما في غير الإحرام..

فدل ذلك أن عادة النساء في عهده ﷺ كن ينتقبن... أي: يسترن وجوههن، ولا يخرجن إلا العينين..

الدليل الخامس عشر: قوله ﷺ: «**لا تباشر المرأةُ المرأةَ فتنعتها لزوجها**

---

(١) متفق على صحته.
(٢) رواه أحمد، غيره.
(٣) رواه البخاري.

حتى كأنه ينظر إليها»[١]. . وفي هذا دليل على أن النساء إذا خرجن يكن مغطيات وجوههن بحيث لا يستطيع الرجل أن يعرف وصف المرأة ومعالم وجهها إلا بسؤال امرأته، أو سؤال من ينظر إليها من النساء. . ولو كانت النساء في عهده ﷺ يمشين في الشوارع كاشفات عن وجوههن لما احتاجت المرأة أن تصف المرأة للرجل ما دام قادراً على أن ينظر إليها في الطريق إذا شاء. .

الدليل السادس عشر: عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: خطبت امرأة فذكرتها لرسول الله ﷺ. .

ـ فقال لي: **هل نظرت إليها؟**

ـ قلت: لا. .

ـ قال: **فانظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**. .

فأتيتها وعندها أبواها وهي في خدرها. .

ـ فقلت: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر إليها. .

فسكتا. . فرفعت الجارية جانب الخدر (الستار) فقالت: أُحَرِّجُ عليك ـ أي: أقسم عليك ـ إن كان رسول الله ﷺ أمرك أن تنظر إليَّ لما نظرت. . وإن كان لم يأمرك أن تنظر إليَّ فلا تنظر. . فنظرت إليها. . ثم تزوجتها. . فما وقعت عندي امرأة بمنزلتها. .

والشاهد. . لو كانت النساء عندهم يمشين مكشوفات الوجوه لقعد لها في الطريق ونظر إليها. . وانتهينا. .

ولما تكلف المغيرة أن يذهب إلى أهلها. . ويحرجهم. . ويطلب أن ينظر إليها. .

كانت عينا سارة مركزة على الكتاب تقرأ. . ويبدو أن هذا الحديث أثر في مها كثيراً. .

---

(١) رواه البخاري.

فكتمت عبراتها.. ثم انفجرت باكية.. رفعت سارة رأسها.. والتفتت أريج: مها.. لماذا تبكين؟!

ـ فركت مها عينيها وقالت: لا شيء.. لا شيء.. لكن ..الله يرحم حالنا.. هذي صحابية.. وتقسم على الصحابي أن لا يرى وجهها إلا إن كان الرسول ﷺ أذن له بذلك.. وأنا ألبس أحسن اللبس، وأدور في السوق والمستشفى..!! بالله ماذا استفدت!!

تلك الصحابية تنتفض أن يراها للحظة واحدة صحابي جليل عابد صالح.. جاء خاطباً.. وأنا ألبس هذه العباءات المتبرجة.. وتحتها ما الله به عليم من الزينة.. ولا أخجل..

تأثرت مها.. أكثر.. وجعلت تتذكر نظرات الرجال إليها.. وتغطي وجهها بيديها باكية.. هدأت سارة من بكائها.. وشكرتها على تأثرها..

ـ وقالت: مها.. قد حباك الله بنعم لا بد أن تطيعيه بها.. وأول ذلك التزام أوامره بالحجاب، والمسابقة إلى الخيرات.. فاشكري نعمة الصحة، والسمع، والبصر.. حتى يحبك الله ويحسن خاتمتك..

أذكر أن امرأةً صالحة.. مرت عليها خمسون عاماً وهي بكماء لا تتكلم.. لكنها كانت صائمة قائمة.. كانت تصلي الليل.. ولا يسمع لها زوجها حساً.. لأنها بكماء..

في ليلة من الليالي قامت المرأة تصلي بصوت مسموع..!! فاستيقظ زوجها مستغرباً يفرك عينيه.. فرحاً مستبشراً.. وجعل يرهف سمعه لها.. وهي تناجي ربها.. ثم سمعها تنطق بالشهادتين نطقاً واضحاً صحيحاً..

ثم تضرعت إلى الله ﷻ بالدعاء.. ثم ماتت على سجادتها..

بالله عليك ألا تتمنين هذه الخاتمة.. بدا التأثر واضحاً على مها وأريج.. ساد الهدوء المكان قليلاً..

ثم رفعت أريج رأسها إلى سارة وقالت: طيب واصلي القراءة يا سارة.. واصلت سارة القراءة..

الدليل السابع عشر: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا خطب أحدكم المرأة فقدر على أن يرى منها ما يعجبه ويدعوه إليها فليفعل**».

قال جابر: فلقد خطبت امرأة من بني سلمة.. فكنت أتخبأ في أصول النخل حتى رأيت منها بعض ما أعجبني فتزوجتها..

فلو كانت هذه المخطوبة تمشي مكشوفة الوجه.. لما احتاج جابر أن يختبأ لها في النخل ليراها.. بل كان يقعد لها في الطريق بكل سهولة وينظر إليها..

إلتفتت سارة فجأة إلى مها وقالت مازحة: لا تعملي لنا قضية مثل قبل قليل.. إذا ناوية تبكين اطلعي برّا..!! كتمت أريج ضحكتها.. تبسمت مها وقالت: طيب يا أستاذة!! واصلي القراءة.. ضحكت سارة.. وأكملت القراءة..

الدليل الثامن عشر: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قبرنا مع رسول الله ﷺ رجلاً فلما رجعنا وحاذينا بابه.. إذ هو بامرأة لا نظنه عرفها.. فنظر إليها النبي ﷺ فقال: «**يا فاطمة من أين جئت؟!**

ـ **قالت: جئت من آل الميت رحّمت إليهم ميتهم وعزيتهم**»[1]..

فقد ظن الصحابة أن النبي ﷺ لم يعرف هذه المرأة التي مرت من عنده؛ لأنها مستترة تماماً. ولكنه عرفها من مشيتها وجسمها؛ لأنها ابنته.. فلو كانت فاطمة رضي الله عنها كاشفة وجهها لما وقع عندهم تردد هل يمكن أن يعرفها أم لا..

الدليل التاسع عشر: قال الإمام مسلم في صحيحه: باب ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار..

ـ فقال له رسول الله ﷺ: «**أنظرت إليها؟**».

---

(١) الحديث رواه أحمد، والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما.

ـ قال: لا..

ـ قال: «**فاذهب فانظر إليها، فإن في أعين الأنصار شيئاً (يعني صغراً)**»..

ـ فبادرت أريج قائلة: لعله أراد أن ينظر إلى غير الوجه والكفين.. كما ينظر الخاطب إلى من يخطبها..

ـ فقالت سارة: لا.. لأنه ﷺ قال له: انظر إلى عينيها.. فأين العينان؟! في الشعر؟!! في الرقبة؟!! العينان في الوجه فهو يأمره ﷺ أن يستأذن أهلها وينظر إلى وجهها..

الدليل العشرون: دليل من العقل، وهو: إنَّ المنصف يعلم أنَّه يبعد كل البعد أن يأذن الشرع للمرأة بالكشف عن وجهها أمام الرِّجال الأجانب.. مع أنَّ الوجه هو أصل الجمال.. ومجمع الحسن.. خاصة إن كانت المرأة جميلة.. ومعلوم أن نظر الرجل إلى وجه المرأة مثير في كثير من الأحيان للغرائز البشريَّة.. وداع إلى الفتنة..

بانتهاء قراءة هذا الدليل، رفعت سارة بصرها وقالت: انتهت الأدلة التي ذكرها صاحب الكتاب.. وعموماً أنا لا أدري كيف يمكن أن نقول للمرأة استري رجليك وأذنيك وذراعيك ورقبتك..

حتى لا يفتن الرجال بالنظر إليها.. ثم نفتي لها بإخراج وجهها.. وما فيه من جمال الشفتين.. ونعومة الخدين.. وسحر العينين.. يعني الرجل سيفتن بالنظر إلى قدمي.. ولن يفتن بالنظر إلى وجهي.. إن هذا لشيء عجاب..!!

ـ فقالت أريج: صحيح والله.. هل تصدقين يا سارة ـ وهذه مها تشهد ـ أني مع لبسي للعباءة الساترة أكشف وجهي ـ مع الأسف ـ ولا أضع الماكياج..

ـ ومع ذلك بكل صراحة: ما تكلمت مع رجل في سوق، أو مستشفى، أو سائق سيارة أجرة.. إلا ولاحظت أنه يحد النظر إلى وجهي.. وأحياناً ينزل عينيه فيركزهما على شفتي.. وتارة يتبسم.. ويحاول إطالة الحديث..

ـ جعلت مها تهز رأسها وتقول: صحيح.. صحيح ..الله يهديك!!

ـ فالتفتت إليها أريج غاضبة وقالت: صحيح ..الله يهديني!! يعني مسرورة بكلامي!! والله الذي يسمعك يظن أنك أستر الناس.. قومي انظري إلى نفسك في المرآة..

ـ فزعت مها وقالت: ما أقصد والله.. أريج.. شعرت سارة أن الأختين ستتشابكان بالأيدي.. فهدأت منهما وقالت: ما رأيكما أن نقرأ كلام الفقهاء الأربعة.. أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد..

حتى لا نصدق من يقول: الأئمة الأربعة يفتون بجواز كشف الوجه..

ـ قالت أريج: رائع.. فتحت سارة ص٣١ وقرأت:

إجماع الأئمة الأربعة على وجوب تغطية الوجه..

۞ أولاً: قول أئمتنا من الحنفية:

يرى فقهاء الحنفية أنَّ المرأة لا يجوز لها كشف وجهها أمام الرجال الأجانب؛ لأنَّ الكشف مظنة الفتنة، لذلك ذكروا أنَّ المسلمين متفقون على منع النِّساء من الخروج سافرات عن وجوههنَّ، وفيما يلي بعض نصوصهم في ذلك:

قال أبو بكر الجصاص الحنفي: المرأة الشابَّة مأمورة بستر وجهها من الأجنبي، وإظهار الستر والعفاف عند الخروج، لئلا يطمع أهل الرِّيب فيها[١]..

وقال شمس الأئمة السرخسي الحنفي: حرمة النَّظر لخوف الفتنة،

(١) أحكام القرآن (٣/ ٤٥٨).

وخوف الفتنة في النَّظَر إلى وجهها، وعامة محاسنها في وجهها أكثر منه إلى سائر الأعضاء[١]..

وقال علاء الدين الحنفي: وتُمنع المرأة الشابَّة من كشف الوجه بين الرجال، قال ابن عابدين: المعنى: تُمنع من الكشف لخوف أن يرى الرجال وجهها فتقع الفتنة؛ لأنَّه مع الكشف قد يقع النّظر إليها بشهوة[٢]..

ونقل عن علماء الحنفيّة وجوب ستر المرأة وجهها، حتى وهي محُرِمَة، إذا كانت بحضرة رجال أجانب[٣].

وقال الطحاويُ الحنفي: تمنع المرأة الشابَّة من كشف الوجه بين الرجال[٤].

وقال سماحة مفتي باكستان، الشيخ محمَّد شفيع الحنفيُّ: وبالجملة، فقد اتفقت مذاهب الفقهاء، وجمهور الأمّة على أنَّه لا يجوز للنِّساء الشوابّ كشف الوجوه والأكفّ بين الأجانب، ويُستثنى منه العجائز؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[٥]..

توقفة سارة قليلاً عن القراءة، وقالت: قَبل أَن أكمل كلام بقية أئمة المذاهب الأربعة.. شدني قول الحنفية إن ترك الحجاب وكشف الوجه يُطمَع أهل الريب والفساد في المرأة.. أذكر أن امرأة سافر زوجها إلى بلد آخر للعمل.. وتركها مع أولادها في شقة وأوصى أخاه الكبير بأن يمر على زوجته وأولاده، ويتفقد أحوالهم..

---

(١) المبسوط (١٠/ ١٥٢).
(٢) حاشية ابن عابدين (٢/ ٤٨٨).
(٣) حاشية ابن عابدين (٢/ ٥٢٨).
(٤) رد المحتار (١/ ٢٧٢).
ولمطالعة المزيد من أقول الفقهاء الحنفية، يُنظر: حاشية ابن عابدين (١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٨)، والبحر الرائق لابن نجيم (١/ ٢٨٤ و٢/ ٣٨١)، وفيض الباري للكشميري (٤/ ٢٤ و٣٠٨).
(٥) المرأة المسلمة (ص٢٠٢).

تقول هذه المرأة: كان هذا الأخ الكبير يأتي كل يوم تقريباً.. وكنت أشعر أنه من أهل البيت.. فلم أكن أحتجب أمامه.. كنت أكشف وجهي.. وأحياناً طرف شعري..

كان لطيفاً في أول أيامه.. لكن لما أكثر التردد علينا، وليس عندي محرم.. ولم أتحجب.. بدأت تظهر منه تصرفات غريبة.. من تلطف بالكلام وكثرة مزاح.. حتى عاد زوجي من سفره ليقضي إجازته عندنا.. وخشيت أن أخبره فتقع مشاكل..

سافر زوجي مرة أخرى.. ورجع أخوه إلى حالته الأولى من الحركات الغريبة.. والكلام العاطفي.. وبدأ يعاكسني صراحة.. ويحضر كل وقت بسبب وبغير سبب.. تعبت من تصرفاته.. فقررت أن ألبس الحجاب الشرعي وأغطي وجهي أمامه، وأمام غيره.. وكتبت لزوجي بأني سأترك مصافحة الرجال الأجانب.. وألتزم بالحجاب الشرعي التام..

فشجعني وأرسل لي كتباً وأشرطة حول الحجاب.. فلبست الحجاب التام، والتزمت بتغطية وجهي عن غير محارمي.. وفي اليوم التالي.. لما جاء شقيق زوجي كعادته.. ورآني ملتزمة بالحجاب.. وقف بعيداً مذهولاً!! وقال: ماذا حصل؟!!

ـ قلت: لن أصافح الرجال.. ولا يراني إلا محارمي.. فوقف قليلاً يتأمل؛ كالمصدوم.. ثم نكس رأسه..

ـ فقلت له: إذا أردت شيئاً فكلمني من وراء حجاب.. فانصرف، وكف الله ﷻ شره عنها..

ـ تحمست أريج وقالت: سبحان الله.. صدق الله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].. أكملت سارة القراءة:

۞ ثانياً: أقوال أئمتنا من المالكية:

يرى الفقهاء المالكيَّة أنَّ المرأة لا يجوز لها كشف وجهها أمام الرِّجال الأجانب؛ لأنَّ الكشف مظنّة الفتنة، لذلك فإنّ النِّساء عند المالكية ممنوعات

من الخروج سافرات عن وجوههنَّ أمام الرِّجال الأجانب..

قال القاضي أبو بكر بن العربيِّ، والقرطبيُّ المالكيان: لا يجوز كشف ذلك إلا لضرورة، أو لحاجة؛ كالشهادة عليها، أو داء يكون ببدنها، أو سؤالها عمَّا يعنّ ويعرض عندها[١].

والإمام الجليل ابن عبد البر المالكي: حكى الإجماع على وجوب تغطية المرأة لوجهها..

وذكر الإمام الآبِّيُّ المالكي: أنَّ ابن مرزوق نصّ على: أنَّ مشهور المذهب وجوب ستر الوجه والكفين إن خشيت فتنة من نظر أجنبي إليها[٢].

۞ ثالثاً: أقوال أئمتنا من الشافعية:

يرى فقهاء الشافعية أنَّ المرأة لا يجوز لها كشف وجهها أمام الرِّجال الأجانب، سواء خُشيت الفتنة أم لا؛ لأنَّ الكشف مظنّة الفتنة.

قال إمام الحرمين الجوينيُّ الشافعي: اتفق المسلمون على منع النساء من الخروج سافرات الوجوه؛ لأنَّ النّظر مظنّة الفتنة[٣].

وقال ابن رسلان الشافعي: اتفق المسلمون على منع النِّساء أن يخرجن سافرات عن الوجوه، لا سيما عند كثرة الفِسّاق[٤].

وقال الموزعيُّ الشافعيُّ: لم يزل عمل النَّاس على هذا، قديماً وحديثاً، في جميع الأمصار والأقطار، فيتسامحون للعجوز في كشف وجهها، ولا

---

(١) أحكام القرآن (٣/ ١٥٧٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢٧٧).

(٢) جواهر الإكليل (١/ ٤١).
ولمطالعة المزيد من أقوال الفقهاء المالكية في وجوب تغطية المرأة وجهها، يُنظر: المعيار المعرب اللونشريسي (١٠/ ١٦٥ و١١/ ٢٢٦ و٢٢٩)، ومواهب الجليل للحطَّاب (٣/ ١٤١)، والذّخيرة للقرافي (٣/ ٣٠٧)، والتسهيل لمبارك (٣/ ٩٣٢)، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٢/ ٥٥)، وكلام محمد الكافي التونسي كما في الصارم المشهور (ص١٠٣)، وجواهر الإكليل للأبي (١/ ١٨٦).

(٣) روضة الطالبين (٧/ ٢٤)، وبجيرمي على الخطيب (٣/ ٣١٥).

(٤) عون المعبود (١١/ ١٦٢).

يتسامحون للشابَّة، ويرونه منكراً، وما أظنُ أحداً منهم يُبيح للشابَّة أن تكشف وجهها لغير حاجة، ولا يبيح للشابِّ أن ينظر إليها لغير حاجة[١].

۞ رابعاً: أقوال أئمتنا من الحنابلة:

يرى فقهاء الحنابلة أنَّ المرأة لا يجوز لها كشف وجهها أمام الرِّجال الأجانب.

قال الإمام أحمد: إذا خرجت من بيتها، فلا تُبِن منها شيئاً[٢].

النتيجة

أن قول الجمهور: هو بتحريم كشف وجه المرأة، حكى إجماع العلماء على ذلك أئمة يعتمد نقلهم للإجماع وهم:

- ابن عبد البر من المالكية المغاربة، حيث حكى: أن العلماء أجمعوا على وجوب تغطية المرأة لوجهها، خاصة في زمن الفتنة..
- والنووي من الشافعية المشارقة، كذلك..
- وابن تيمية من الحنابلة، كذلك..
- وحكى الاتفاق السهارنفوري، والشيخ محمد شفيع الحنفي من الحنفية، كلاهما حكى إجماع الأمة على: وجوب تغطية المرأة وجهها في زمن الفتنة..

فهل يبقى بعد ذلك حجة لمدعٍ أن قول الجمهور خلاف ذلك؟ كان كلام

---

(١) تيسير البيان لأحكام القرآن (٢/ ١٠٠١).

ولمطالعة مزيد من أقوال الفقهاء الشافعية، يُنظر: إحياء علوم الدين (٢/ ٤٩)، وروضة الطالبين (٧/ ٢٤)، وحاشية الجمل على شرح المنهج (١/ ٤١١)، وحاشية القليوبي على المنهاج (١/ ١٧٧)، وفتح العلام (٢/ ١٧٨) للجرداني، وحاشية السقاف (ص٢٩٧)، وشرح السُّنَّة للبغوي (٧/ ٢٤٠).

(٢) انظر: الفروع (١/ ٦٠١).

الأئمة مقنعاً جداً.. حتى إن مها كانت تتحسس شكل عباءتها.. وتقلب ناظريها فيها.. وكأنها تقرر شيئاً.. أما أريج، فإنها لا يزال في نفسها شيء.. التفتت إلى سارة وقالت: سارة أنا يمكن أن أهز رأسي وأظهر الموافقة.. لكن بقي في نفسي شيئان قرأتهما في عدد من المقالات..

ـ سارة: وما هما؟

ـ أريج: الأول: أن القول بتغطية الوجه لا يفتي به في عصرنا، إلا مشايخ السعودية.. والعالم الإسلامي ولله الحمد مليء بالعلماء.. والثاني: أن تغطية الوجه هو من العادات والتقاليد.. وليس من واجبات الدين.. ثم واصلت أريج قائلة: عذراً سارة.. صحيح أن الأدلة التي ذكرتيها قوية الحجة.. واضحة البيان على وجوب تغطية الوجه.. وأن هذا أمر الله تعالى.. وأمر رسول الله ﷺ.. وعليه عمل الصحابيات رضي الله عنهن.. ولكن هل أفتى بوجوب تغطية الوجه غير مشايخ السعودية..؟

تبسمت سارة.. وقد أعجبت بحرص أريج وجرأتها..

ـ وقالت: قد قرأت عليك الفهرس قبل قليل.. وفيه فصل بعنوان: أقوال العلماء من شتى الأقطار بوجوب تغطية المرأة لوجهها.. فتحت سارة ص٣١، وشرعت في القراءة..

أقوال العلماء من شتى الأقطار بوجوب تغطية المرأة لوجهها

۞ الشيخ الأمير الصنعاني: (يمني):

في كتابه «الأدلة الجلية في تحريم نظر الأجنبية»، رد فيه على القائلين بجواز الكشف.

۞ الشيخ أبو الأعلى المودودي: (باكستاني):

ألف رسالة بعنوان «الحجاب» قال فيها تعليقاً على آية الحجاب[١]: وكل من تأمل كلمات الآية وما فسرها به أهل التفسير في جميع الأزمان بالاتفاق، وما تعامل عليه الناس على عهد النبي ﷺ، لم ير في الأمر مجالاً للجحود بأن المرأة قد أمرها الشرع الإسلامي بستر وجهها عن الأجانب. وما زال العمل جارياً عليه منذ عهد النبي ﷺ إلى هذا اليوم.

۞ الشيخ محمد علي الصابوني: (سوري):

عقد مبحثاً في كتابه «روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن» بعنوان «آيات الحجاب والنظر» قال في خاتمته (٢/ ١٨٢): (بدعة كشف الوجه: ظهرت في هذه الأيام الحديثة، تدعو المرأة إلى أن تسفر عن وجهها، وتترك النقاب بحجة أن النقاب ليس من الحجاب الشرعي، وأن الوجه ليس بعورة.

ولست أدري: أي إثم يتخلصون منه، وهم يدعون المرأة إلى أن تطرح هذا النقاب عن وجهها، وتُسفر عن محاسنها في مجتمع يتأجج بالشهوة ويصطلي بنيران الهوى ويتبجح بالدعارة، والفسق، والفجور؟!).

۞ الشيخ أبو بكر الجزائري: (جزائري):

في كتابه «فصل الخطاب في المرأة والحجاب»، ذكر فيه أدلة وجوب ستر الوجه ورد على شبهات المخالفين..

۞ الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي: (موريتاني):

في كتابه «أضواء البيان»، فسر آيات الحجاب، وبين بالأدلة القوية، وجوب ستر الوجه[٢].

---

(١) (ص٣٢٦ ـ ٣٣٠).

(٢) انظر: (٦/ ٥٨٦).

۞ الشيخ محمد بن يوسف الكافي: (تونسي):

في كتابه «المسائل الكافيّة في بيان وجوب صدق خبر رب البريّة»، شنع فيه على الداعين إلى كشف الوجه[١].

۞ الشيخ عبد القادر بن حبيب السندي: (من علماء السند):

صنف كتابين «رسالة الحجاب في الكتاب والسُّنَّة»، و«رفع الجُنة أمام جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسُّنَّة»، وكلاهما نص فيه على وجوب تغطية الوجه..

۞ الشيخ مصطفى صبري «مفتي الدولة العثمانية»: (تركي):

شنع على دعاة سفور الوجه في رسالته «قولي في المرأة».

۞ الشيخ عبد الرشيد بن محمد السخي: (نيجيري):

في كتابه «السيف القاطع للنزاع في حكم الحجاب والنقاب»، رد فيها على من قال (ص٨): (ليس الحجاب من الإسلام، إلا أنه عادة من عادات أهل الحجاز)!! رد على هذا القول، واختار وجوب ستر الوجه.

۞ الأستاذة اعتصام أحمد الصراف: (مصرية):

ألفت كتاب «أختي المسلمة: سبيلك إلى الجنة»، قالت فيه (ص١٢٠): (إن تغطية الوجه هي الأصل، وقد ندب الشرع لها ندباً شديداً).

۞ الأستاذة يسرية محمد أنور: (مصرية):

ألفت كتاب «مهلاً يا صاحبة القوارير»، وقالت (ص٦٢): (فإذا كان الإسلام قد اعتبر ظهور القدمين عورة، وأمر بعدم الضرب على الأرجل حتى لا تبدو، أو يُسمع صوت الخلاخل، فإن أمره بتغطية الوجه أولى؛ لأنه مجمع الحسن).

---

(١) نقل عنه الشيخ حمود التويجري في«الصارم المشهور» (ص١٠٨، ١٠٩).

۞ الشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي: (قطري):

ألف رسالة بعنوان «الأدلة من السُّنَّة والكتاب في حكم الخمار والنقاب».

۞ الشيخ محمد الزمزمي بن الصديق: (مغربي):

ذكره الشيخ محمد بن إسماعيل في كتابه «عودة الحجاب» ١/ ٢٨٥، فيمن يقول بوجوب التغطية.

۞ الشيخ عبد الحليم محمود «شيخ الأزهر في وقته»: (مصري):

كتب مقالاً بعنوان «مظهر المرأة»، قال فيه عن المرأة إذا لم تأمن الفتنة: (وجب عليها ستر الوجه والكفين سداً للذرائع إلى المفاسد)[١].

۞ الشيخ حسن البنا «مرشد جماعة الإخوان المسلمين»: (مصري):

في كتابه «المرأة المسلمة»، قال فيه (ص١٨): (إن الإسلام يحرم على المرأة أن تكشف عن بدنها).

۞ الشيخ محمد بن الحسن الحجوي: (مغربي):

رد في كتابه «الدفاع عن الصحيحين» (ص١٢٩)، على أحد الداعين إلى سفور الوجه.

۞ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: (سوري):

في كتابه «إلى كل فتاة تؤمن بالله»، قال (ص٥٠): (فقد ثبت الإجماع عند جميع الأئمة أنه يجب على المرأة أن تستر وجهها عند خوف الفتنة، بأن كان من حولها ينظر إليها بشهوة. ومن ذا الذي يستطيع أن يزعم بأن الفتنة مأمونة اليوم، وأنه لا يوجد في الشوارع من ينظر إلى وجوه النساء بشهوة؟).

---

(١) مجلة صوت العرب، البيروتية، كانون الثاني، عام ١٩٦٧م.

۞ الشيخ عيادة الكبيسي: (عراقي):

في كتابه «لباس التقوى»، نصر فيها القول بوجوب تغطية الوجه.

۞ الشيخ محمد زاهد الكوثري: (تركي):

نصر القول بوجوب تغطية الوجه في مقال له بعنوان «حجاب المرأة»[١].

۞ الشيخ صفي الرحمٰن المباركفوري: (هندي):

في كتابه «إبراز الحق والصواب في مسألة السفور والحجاب»، للرد على من أجاز كشف الوجه، وقال (ص١٠): (وهذه الحكمة المقصودة بالحجاب تقتضي أن يعم حكم الحجاب جميع أعضاء المرأة؛ ولا سيما وجهها الذي هو أصل الزينة والجمال)..

۞ الأستاذة الزهراء: فاطمة بنت عبد الله: (يمنية):

ألفت كتاب «المتبرجات»، ناصحت فيه المسلمات، وذكرت شروط الحجاب (ص١٦١)، وأدلة وجوب ستر الوجه.

۞ الأستاذة كوثر المناوي: (مصرية):

في كتابها «حقوق المرأة في الإسلام»، قالت (ص١٢٨) بعد إيراد آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾..: (وفي هذه الآية الكريمة أمر الله جميع نساء المؤمنين بإدناء جلابيبهن على محاسنهن من الشعر والوجه، وغير ذلك).

۞ شيخ الجامع الأزهر: محمد أبو الفضل رحمه الله: (مصري):

له فتوى طويلة مشهورة نصر فيها القول بوجوب تغطية المرأة لوجهها..

---

(١) نشر في مجموع مقالاته (ص٢٤٥ ـ ٢٥٠).

۞ الشيخ عبد الرب القرشي الملكياري: (باكستاني):

في كتابه «الأبحاث الفقهية القيمة»، تعرض فيه للقضية ورجح وجوب تغطية المرأة لوجهها[١].

سمعنا وأطعنا

في الحقيقة لم تكن أريج تحتاج إلى أن يساق لها فتاوى العلماء الثقاة من شتى الأقطار بوجوب تغطية الوجه.. ما دام أن الكتاب والسُّنَّة أوجبا ذلك..

ـ قالت أريج: أما قول من قال إن تغطية الوجه هو عادة من عادات العرب.. أو هو من عادات السعوديين.. فهذا أظننا ـ يا سارة ـ لا نحتاج الرد عليه.. بعدما أوردت كلام علماء مصر، والشام، واليمن، وتركيا، والهند، وباكستان، وموريتانيا.. وغيرهم..

القرار الشجاع

انتهزت سارة فرصة تأثر أريج ومها.. وقالت: الناس الأقوياء فقط هم الذين يستطيعون اتخاذ القرار الشجاع بتغيير تصرفاتهم إلى الأصوب.. كم من أخواتنا المؤمنات اقتنعت بوجوب تغطية الوجه.. أو على الأقل اقتنعت بأن الأفضل تغطيته.. وتتمنى أن تغطي وجهها.. وإذا رأت مسلمة قد غطت وجهها تمنت لو تحذو حذوها.. ومع ذلك تمر عليها الشهور.. وربما السنوات دون أن تتخذ القرار الشجاع بالطاعة والاتباع..

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

---

(١) انظر: (٢/٣٦).

لاحظي قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ [الأحزاب: ٣٣]؛ أي: الخطاب عام للرجال والنساء.. نهاهم الله تعالى جميعاً أن يكون لهم اختيار آخر مع اختياره.. فليست أوامر الله مبنية على الاختيار والتشهي.. بل التزام الحجاب ليس سُنَّة من السنن؛ كصلاة الضحى إن شئت أن تفعليها، أو تتركيها.. لا.. بل فريضة فرضها الله، وسوف يسألك عنها.. أريج.. مها.. الكون كله يتحجب!! الكرة الأرضية عليها غلاف.. والثمار الندية عليها حجاب.. والسيف: يحفظ داخل غمده.. والقلم بدون غطاء يجف حبره وتنعدم فائدته، ويُلقى تحت الأقدام؛ لأنه فقد الغطاء..

تُرى.. لماذا تغلف بناتنا كتبهن، ودفاترهن؟ إلا لحمايتها.. والمرأة زهرة جميلة الكل يشتهي أن يقطفها.. فلا بد أن نحميها بحجاب.. والتفاحة، لو نزعت قشرتها، وتركتها فسدت.. والموز، لو نزعت قشره انقلب أسود.. وعين الإنسان، لما كانت غالية جعل عليها حجاب.. ألا.. فكوني بطلة وتحجبي، فإن الكون كله يتحجب..

كانت مها متأثرة كثيراً بما تسمع.. وتذكرت قصة الفتاة الأمريكية التي قرأت قصتها يوماً في أحد مواقع الإنترنت..

ـ فقالت: سارة.. والله إن الحجاب عِزة وشرف.. وربما دخل بعض الكفار في الإسلام بسبب الحجاب!!

ـ تعجبت سارة.. وقالت: يدخلون في الإسلام بسبب الحجاب!! كيف؟

ـ قالت مها: نعم.. قرأت في أحد مواقع الإنترنت أن فتاة لتمسكها بحجابها أسلم على يدها ٧ أشخاص..!! هي طالبة أمريكية معتزة بدينها أسلم بسببها ٣ دكاترة، و٤ طلاب..

قال أحد الدكاترة بعدما أسلم: قبل أربع سنوات ثارت عندنا مشكلة في الجامعة بسبب طالبة مسلمة أمريكية متحجبة.. وكان أحد معلميها متعصباً يبغض الإسلام..

كان يبحث عن أي فرصة لاستثارة هذه الطالبة.. تحملت كثيراً.. ثم قدمت شكوى لمدير الجامعة.. فأجابت الجامعة طلبها وقررت أن يُعقد لقاء بين الطرفين مع جمع من الأساتذة لسماع وجهة نظر الفتاة مع الدكتور..

حضر أكثر الدكاترة لهذه المناظرة التي تعتبر الأولى من نوعها.. ذكرت الطالبة أنَّه يبغض الإسلام ولأجل هذا فهو يظلمها.. كان بعض الطلبة قد حضروا وشهدوا معها ضد الدكتور، مع أنهم غير مسلمين!..

لم يجد الدكتور: جواباً ففقد أعصابه، بدأ يسب الإسلام، يتهجم عليه.. فقامت الفتاة تدافع عن دينها، وتظهر محاسن الإسلام..

وكان لها أسلوب عجيب جذبت به الحاضرين.. حتى بدؤوا يسألونها عن أمور تفصيلية في الإسلام فتجيب بسرعة بلا تردد!.. لما رأى الدكتور أن الجلسة تحولت إلى محاضرة عن الإسلام!! خرج من القاعة غاضباً.. استمرت الفتاة تتكلم.. ثم فتحت حقيبتها وأهدت إليهم ورقتين مكتوب عليهما: (ماذا يعني لي الإسلام؟). صارت قصتها وحجابها حديث الجامعة أياماً.. وصار الطلاب والدكاترة يتناقلون أوراقها عن الإسلام.. ولم تمضي أشهر حتى دخل ثلاثة دكاترة وأربعة طلاب في الإسلام..

كانت سارة وأريج مستمتعتان بالقصة كثيراً.. وهي ممتعة فعلاً..

وكانت الأسئلة عند أريج لم تنته بعد.. خاصة بعدما رأت سارة متجاوبة معها..

من يرى الملكة؟!

ـ قالت أريج: سارة.. إذن من الذين يجوز أن أكشف وجهي وأخرج زينتي عندهم..

ـ سارة: هم المحارم فقط.. وهم الذين لا يجوز أن تتزوجيهم.. وهم ١٢ صنفاً.. ذكرهم الله في سورة النور فقال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ (الزوج).. ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ (الأب).. ﴿أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ (أبو

الزوج).. ﴿أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ﴾ (الأبناء، سواء من النسب أو الرضاعة).. ﴿أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ (أبناء الزوج من امرأة أخرى إن كان عنده أكثر من زوجة).. ﴿أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾ (إخوان المرأة، سواء الأشقاء، أو الإخوان من الأب، أو الإخوان من الأم).. ﴿أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾ (أبناء إخوانها الذين تكون هي عمتهم أخت أبيهم).. ﴿أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ (أبناء أخواتها الذين تكون هي خالتهم أخت أمهم).. ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ (النساء عموماً).. ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ (العبد المملوك الرقيق).. ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ (وهم فاقدو الإدراك الذين ليس عندهم شهوة للنساء ولا رغبة فيهن).. ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ (الأطفال الصغار غير البالغين)..

كانت مها وأريج تنصتان إلى سارة بإعجاب.. وهن في غاية التسليم لأمر الله.. بل إن أريج جعلت تعدل من خمارها الذي تلفه على رأسها وتحاول أن تخرج منه جزءاً تغطي به وجهها.. وهكذا فعلت..

وهي تقول: من اليوم وصاعداً.. يا وجه لن يراك إلا المحارم.. آآآآه.. ما أجمل طاعة الله..

غابت الشمس.. وأذن لصلاة المغرب.. وقد أمضت الفتيات ثلاث ساعات في حديثهن.. وكان وقت المعرض يشارف على نهايته.. والفراق قد حان.. لكن فصلاً مهماً من هذا الكتاب كان لا بد من قراءته..

ـ قالت سارة: أريج.. مها.. هل أنتما مستعجلتان؟!.. بقي معنا فصل في هذا الكتاب حول أدلة من يجيزون كشف الوجه والرد عليهم.. أتمنى أن أقرأه معكما.. حتى لو ناقشكما أحد حول تغطية الوجه تكونان على معرفة بالأدلة.. هاه ما رأيكما؟

ـ قالت أريج: رائع.. لكن يبدو أنه سيكون بعد صلاة المغرب.. قامت الفتيات يصلين المغرب بكل سكينة.. وبعد الصلاة اتصلت سارة بأبيها وطلبت منه أن يتأخر عليها قليلاً..

ثم عادت إلى صاحباتها وجلست معهن.. فتحت سارة ص٤٦، وقرأت العنوان:

ثلاث أدلة استدل بها القائلون بجواز كشف الوجه، والرد عليها

دليلهم الأول: استدلوا بحديث سفعاء الخدين.. وهو ما رواه البخاري عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ توجه في آخر خطبة العيد للنساء.. ثم أمر النساء بالصدقة.. قال جابر: «فقامت امرأة من سِطَةِ النساء سفعاء الخدين فقالت: لِمَ يا رسول الله؟».. إلى آخر الحديث.. والشاهد منه أنهم قالوا: سفعاء الخدين؛ أي: في خديها تغير وسواد.. قالوا: فمن أين عرف جابر ـ راوي الحديث ـ أنها سفعاء الخدين وعرف لون خديها.. إلا لأنها كانت كاشفة وجهها فرأى صفة خديها..

۞ والجواب عن استدلالهم به:

أولاً: قد روى القصة نفسها صحابة كثير غير جابر، كلهم حضروا الصلاة ورأوا المرأة، ولم يذكر أحد منهم صفة خديها، فروى القصة أيضاً: أبو هريرة، وابن مسعود وابن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد الخدري ﷺ فلعل جابراً كان يعرف المرأة من قبل ورآها قبل الحجاب، أو أن لفظة: سفعاء الخدين هي لقب للمرأة، لذلك لم يعرف عنها هذا الوصف إلا جابر..

ففي رواية ابن مسعود قال:.. فقالت امرأة ليست من علية النساء[١].

وفي رواية ابن عمر قال: فقامت امرأة منهن جزلة (قال النووي في شرحه: جزلة بفتح الجيم: تامة الخلق (أي: قوية البدن)، وكلامها جزل؛ أي: شديد فقالت:[٢]..

فانظري كيف لما رأى تكامل جسدها من بعيد وصفه فقال: جزلة: ولم يذكر صفة وجهها.. وفي رواية ابن عباس قال: فقالت امرأة واحدة لم يجبه

---

(١) رواه أحمد والحاكم.

(٢) رواه مسلم.

غيرها منهن: نعم يا نبي الله، لا يُدْرَى حينئذ من هي[١].. وفي رواية أبي هريرة: فقالت امرأة منهن: ولم ذلك؟[٢].. وفي رواية أبي سعيد الخدري ﷺ: فقلن: وبمَ يا رسول الله؟[٣]..

فهؤلاء خمسة من الصحابة كلهم حضروا الحادثة غير جابر ﷺ، ولم يذكر واحد منهم صفة وجهها، فلعل جابراً كان يعرف وصفها من قبل، أو أنه لمحها أول ما قدمت، وقد سقط خمارها عن وجهها.. أو غير ذلك.. وإذا ورد الاحتمال بطل الاستدلال.

ثانياً: أن المرأة إن كانت كاشفة وجهها، فقد تكون من القواعد من النساء (العجائز)، وذلك لأن الفتيات ليس عندهن جرأة لتقوم في محفل كبير كهذا، وتتكلم بصوت عال يسمعه الرجال.. فلعلها لكبر سنها رأت نفسها؛ كالأم للجالسات فقامت تسأل..

ثالثاً: أن قوله: «من سطة النساء.. سفعاء الخدين»؛ أي: ليست من أعاليهن وأشرفهّن نسباً، وفي خديها سواد، وهذا الوصف في الغالب ينطبق على الإماء المملوكات، وهن لا يجب عليهن تغطية وجوههن كوجوبه على الحرائر..

رابعاً: أن الحديث قد يكون قبل نزول فرض الحجاب، فإن الحجاب فرض في السنة ٥ أو ٦هـ، وصلاة العيد فرضت في السنة ٢هـ. كانت سارة تقرأ بحماس.. وكانت مها وأريج تستمعان بإعجاب..

ـ قالت أريج: سبحان الله.. سارة.. لقد قرأت مقالاً في إحدى الجرائد يدعو إلى كشف المرأة لوجهها.. ويستميت في سبيل نزع خمارها.. وكأن هزائم الأمة كلها بسبب قطعة قماش جعلتها المرأة على وجهها..

ما علينا.. المهم استدل بهذا الحديث على جواز كشف الوجه..

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

وبصراحة لما قرأت الحديث.. وأنه رواه مسلم.. وقع في قلبي شك.. ولم أنتبه إلى أن هذا الكاتب أغفل الروايات الأخرى واختار الرواية التي تؤيد مذهبه..

ـ قالت سارة: عفا الله عنا وعنه.. ثم نظرت سارة إلى ساعتها، وقالت: طيب.. نكمل؟

ـ قالت أريج: نعم أكملي.. ولا تنظري إلى ساعتك لا يزال الوقت مبكراً.. فتحت سارة ص٤٨، وقرأت:

الدليل الثاني: قصة المرأة الخثعمية..

روى البخاري عن عبد الله بن عباس ﷺ، عن أخيه الفضل بن العباس قال: «أردف رسول الله ﷺ الفضل بن العباس يوم النحر خلفه على عجز راحلته، وكان الفضل رجلاً وضيئاً، فوقف النبي ﷺ للناس يفتيهم وأقبلت امرأة من خثعم وضيئة تستفتي رسول الله ﷺ، فطفق الفضل ينظر إليها، وأعجبه حسنها، فالتفت النبي ﷺ والفضل ينظر إليها، فاخلف بيده فأخذ بذقن الفضل فعدل وجهه عن النظر إليها».. (أي: أدار وجه الفضل عنها بيده الشريفة ﷺ)[1]..

أولاً: ليس في الرواية التصريح بأن المرأة كانت كاشفة الوجه.. وكلمة وضيئة؛ أي: بيضاء.. جميلة.. حسناء.. جسمها حسن.. وحتى تحكم لامرأة بالبياض والوضاءة ليس شرطاً أن تنظر إلى وجهها، بل يكفي أن يظهر لك شيء من يديها.. أو ترى أطراف قدميها.. فتعلم بياضها ونضارة جلدها.. فلا يصح أن نجزم فوراً أن المرأة كانت كاشفة وجهها، ولو كانت كذلك لقال الراوي: جاءت امرأة جميلة.. لكنه اكتفى بقوله: وضيئة؛ أي: بيضاء..

ثانياً: ذكر في الرواية أن الفضل لما رآها «أعجبه حسنها»، لم يقل: أعجبه جمالها.. لأن الجمال يتعلق بالوجه والوجه كان مستوراً.. فرأى

(١) متفق عليه.

الفضل جمال جسمها وتناسق قوامها فأعجبه حسنها.. وجعل يتأملها فصرف النبي ﷺ بصره عنها..

ثالثاً: نفرض أن المرأة كانت كاشفة وجهها ـ فعلاً ـ فلو كان كشف المرأة عن وجهها جائزاً في الحج وغيره ـ كما يفتي بعضهم ـ لما صرف النبي ﷺ وجه الفضل عن النظر إلى المرأة؛ لأن الفضل لم يفعل حراماً!!

رابعاً: أنه جاء في رواية لعلي بن أبي طالب ﷺ قال: ولوى عنق الفضل، فقال له العباس: يا رسول الله، لم لويت عنق ابن عمك؟! فقال: **«رأيت شاباً وشابة، فلم آمن الشيطان عليهما»**[1].. فهو ﷺ لوى عنق الفضل لا لأجل أن لا ينظر الفضل إليها ويرى حسن قوامها، ويسمع جمال منطقها، وإنما؛ لأن الفضل أيضاً كان جميلاً فخشي النبي ﷺ أن تفتن به المرأة، فأراد أن لا تنظر هي إليه، ولا ينظر هو إليها.. فيسد الباب على الاثنين.. كان الكلام مقنعاً فعلاً.. فلم يصرح في الحديث أنها كانت كاشفة الوجه..

كانت أريج تستمع بتركيز شديد.. وكأنها ستدخل امتحاناً.. فلما أنهت سارة القراءة..

ـ قالت أريج: انتهت الردود..!!

ـ قالت سارة: نعم.. أربعة ردود كافية..

ـ قالت أريج: أنا عندي رد خامس.. التفتت مها متعجبة.. وقالت: ماااا شاء الله.. عندك رد خامس.. والله وطلعت الثقافة!! ما هو الرد يا فضيلة الشيخة؟!! غضبت أريج، وقالت: أنا جادة.. والله عندي رد خامس..

ـ قالت سارة: ما هو؟

ـ أريج: إذا كان الفضل ﷺ هذا الصحابي وهو حاج؛ أي: بإحرامه من غير زينة.. والمرأة صحابية وهي حاجة أيضاً؛ أي: بإحرامها من غير زينة.. مع ما كان عليهما من العرق واتساخ الثياب.. وظهور الإرهاق على

---

(١) رواه الترمذي.

الوجوه بسبب التعب وكثرة المشي.. والحر الشديد ووجود رسول الله ﷺ معهما.. ومع ذلك انجذب ينظر إلى المرأة وهما حجاج في مكة..!!! حتى صرفه رسول الله ﷺ بيده..!!

آآآآه.. يا للهول.. ما بالك بالله عليك بمن يقول: يجوز للمرأة أن تكشف وجهها بين زملائها في الشركة.. وتكشفه في السوق بين البائعين.. وتكشفه في البيت أمام إخوان زوجها.. وبين أبناء عمها وخالها.. وتكشفه في الطائرة.. وتكشفه في المستشفى.. بالله عليك.. كم نظرة إعجاب ستقع على هذا الوجه.. وكم رجل متزوج سيقلب نظره في وجوه النساء.. فيقل إعجابه بزوجته؟! صرخت مها: راائع.. ممتاااااز..

كان صوتها عالياً.. التفتت بعض النساء اللاتي في المطعم إليها.. شعرت مها بالإحراج.. فخفضت رأسها.. ضربتها أريج برجلها وقالت: ابقي هادئة.. بلاش صراخ.. أدري أن كلامي جميل.. لكن لا تتحمسي كثيراً..

كتمت سارة ضحكة كادت تدوّي بها.. وقالت: الله يزيدك علم يا أريج.. هاه بقي دليل.. نقرؤه أم ماذا؟

ـ قالت مها: اقرئيه.. اقرئيه.. يمكن صاحبة الفضيلة تخترع لنا كم رد!! سكتت أريج.. نظرت إليها سارة متبسمة وقالت: لا تغضبي يا أريج.. كل ذي نعمة محسود.. والذي ما يطول العنب يقول: حامض..

تبسمت أريج.. وقالت: أكملي القراءة لنستفيد.. فتحت سارة ص٤٩ وقرأت:

دليلهم الثالث: ما رواه أبو داود: عن خالد بن دريك عن عائشة رضي الله عنها: «أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال: **«يا أسماء، إن المرأة إذ بلغت المحيض لم تصح أن يُرىٰ منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه»** وهذا الحديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به..

أولاً: قال أبو داود بعد روايته للحديث: هذا مرسل، خالد بن دريك لم يدرك عائشة رضي الله عنها..

ثانياً: في سنده رجل اسمه: سعيد بن بشير أبو عبد الرحمٰن البصري، وهو ضعيف لا يحتج برواياته للحديث.

ثالثاً: أن من بين رواته: قتادة، والوليد بن مسلم، وكلاهما يدلسان في الحديث، ولا يثبت الحديث بروايتهما..

فهذه ثلاث علل تجعل الحديث ضعيفاً.. لا يصح الاحتجاج به.. قرأت سارة هذه العلل.. ثم رفعت رأسها.. ونظرت إلى مها وتبسمت، وقالت: وعندي رد رابع على استدلالهم بهذا الحديث..

وهو: مما يدل أن الحديث لا يثبت عن رسول الله ﷺ.. أنه لا يعقل أن يجلس النبي ﷺ مع زوجته عائشة وتدخل عليه أسماء أخت زوجته وهي لابسة ثياباً رقاقاً؛ أي: شفافة.. مع أنها أكبر من عائشة بعشر سنين[1]..، ومع أنهم في الجاهلية كانوا يتسترون.. كما في قصة المرأة الجاهلية التي سقط نصيفها ـ خمارها ـ عن وجهها، وهي تمشي، فالتقطته بيدها، وغطّت وجهها بيدها الأخرى، وفي ذلك قال الشاعر:

سَقَطَ النّصِيفُ ولم ترد إسقاطه ... فتناولته واتّقَتْنا باليد

إذا كان هذا هو تسترهم في الجاهلية.. فما بالك بهم في الإسلام..

همست أريج قائلة: الله المستعان..الله يصلح الأحوال..

نظرت سارة إلى ساعتها وقالت: لم يبق على حضور أبي إلا نصف ساعة..

ـ فقالت مها: سارة.. بقيت قصة نزع الحجاب.. لم تحكيها لنا..

ـ قالت سارة: لا أحفظها والله..

ـ قالت أريج: لا تتهربي.. قرأتيها قبل قليل في الفهرس.. أظن ص.. ص..

قلبت سارة الفهرس وأسعفتها قالت: ص٤٣: قصة نزع الحجاب.. في ثلاث صفحات.. سأقرؤها بسرعة حتى لا نتأخر..

---

(١) كما في سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٩، ٣/ ٣٨٠).

قصة نزع الحجاب

نساء المؤمنين كن غير سافرات الوجوه، منذ عصر النبي ﷺ إلى منتصف القرن ١٤هـ. . على مشارف انحلال الدولة الإسلامية في آخر النصف الأول من القرن ١٤هـ دبّ الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين، وأخذوا يحولون المسلمين من عادات الإسلام إلى غيره. . وكانت أول سفور المسلمات عن وجوههن، في مصر. . حين بعث والي مصر محمد علي باشا البعوث لفرنسا للتعلم، وكان فيهم رفاعة الطهطاوي. وبعد عودته لمصر، دعا لسفور المرأة عن وجهها، ثم تتابع على هذا العمل النصراني مرقس فهمي في كتابه «المرأة في الشرق» الذي هدف فيه لنزع الحجاب وإباحة الاختلاط.

وأحمد لطفي السيد، وهو أول من أدخل الفتيات المصريات في الجامعات مختلطات بالطلاب، سافرات الوجوه، وناصره في هذا طه حسين. وقاسم أمين في كتابه: «تحرير المرأة»، ثم كتابه «المرأة الجديدة»؛ أي: تحويل المسلمة إلى أوروبية.

وقرأ كتب قاسم أمين ودعا إليها: سعد زغلول، وأحمد زغلول، ثم ظهرت الحركة النسائية بالقاهرة لدعوة المرأة لنزع الحجاب برئاسة هدى شعراوي، وكان أول اجتماع للنساء الداعيات إلى ذلك في. . في. .

من أين انطلقوا!!

سكتت سارة وقالت: أعوذ بالله. . سبحاااان الله. .

ـ قالت أريج: هاه أين اجتمعوا. .؟

ـ قالت سارة: في مكان إذا ذكرته لك عرفت أن الأمر بتخطيط من غير المسلمين. . اسمعي: وكان أول اجتماع للنساء الداعيات إلى ذلك في الكنيسة المرقُصِيَّة بمصر سنة ١٩٢٠م!! وعملن خطة لذلك. . وانتظرن ساعة الصفر. .

ـ قالت أريج: عجيييب!! يَعني المسألة تخطيط لإفساد المجتمع عن طريق إفساد الأم والأخت والزوجة..!! أكملي سارة.. بالله عليك..

أكملت سارة القراءة: كانت هدى شعراوي أول مصرية مسلمة تجرّأت على نزع الحجاب.

ـ ياااا ويلها من الله ـ في قصة تمتلئ النفوس منها حسرة وأسى..

ذلك أن سعد زغلول لما عاد من بريطانيا، صُنِع لاستقباله خيمتان كبيرتان، خيمة للرجال، وخيمة للنساء.. وأقبل نازلاً من الطائرة.. وبدل أن يتوجه لخيمة الرجال.. توجه لخيمة النساء، وكانت مليئة بالنساء المتحجبات.. فلما وصل الخيمة استقبلته هدى شعراوي.. وعليها حجابها.. فمد يده ـ ياااا للهول ـ فنزع الحجاب عن وجهها ـ فصفقت هي.. وصفق جمع من النساء ونزعن الحجاب.. وكل ذلك بتخطيط مسبق..

لم يسكت العلماء بل أنكروا.. وألفوا الكتب.. وحذروا الناس..

في يوم آخر

وفي يوم آخر.. وقفت صفية فهمي زوجة سعد زغلول، في وسط مظاهرة نسائية في القاهرة، فخلعت الحجاب، وداسته تحت أقدامها، وفعلت النساء مثلها، والناس ينظرون، ثم أشعلن النار بتلك الأحجبة الملقاة على الأرض..

ثم تتابع تكسير السفينة..

ففي نحو سنة ١٩٠٠م.. أُصْدِرَت مجلة باسم: «مجلة السفور»، تدعو للسفور.. وتردد أن «المرأة شريكة الرجل»، وتفسرها بنزع الحجاب، والاختلاط بالرجال في كل مجال!! وبدأت تنشر الحوادث المخلة بالعرض على أنها حريات!! وتمجد الممثلات، والمغنيات، وصار من الطبيعي رؤية

المرأة السافرة عن وجهها.. بناء على أن تغطية الوجه تشدد.. مع أنه لم يعرف في مصر خلال تاريخها الإسلامي الممتد أكثر من ألف سنة أن مشت المسلمات كاشفات الوجوه في الشوارع!! بدأ صوت سارة يتقطع.. وكأنها تدافع عبراتها.. وتتخيل حفيدات الصحابة وهن يمشين سافرات بتخطيط من ثلة اجتمعت في كنيسة.. سكتت سارة وجعلت تردد: لا حول ولا قوة إلا بالله..

ـ قالت أريج: طيب أين العلماء..!! أين المصلحون!! أين الدعاة والخطباء!! لماذا لم ينقذوا السفينة من الغرق؟!

سكتت سارة.. وأكملت القراءة: جعلت الوجوه المكشوفة تكثر في الشوارع.. والمفسدون يحاربون الحجاب بكل سبيل..

وانتشرت النار

وهكذا لما بدأ كشف الوجه ينتشر.. بشعارات عديدة: تحرير المرأة.. الحرية.. المساواة.. بدأت مبادئ المسلمة تتحطم.. فباسم الحرية والمساواة: أخرجت المسلمة من بيتها لتزاحم الرجال سافرة ضاحكة.. واشتغلت المرأة عاملة في المطار.. وساقية في البار.. ونادلة في مطعم.. ومضيفة في طائرة.. وإن حاول زوجها، أو أبوها منعها قالوا: مقتضى الحرية أن لا يكون له سلطة عليك.. فصاروا يتاجرون بعرضها دون رقيب عليها.. ورفعوا حواجز منع الاختلاط والخلوة..

وليت الأمر توقف على كشف وجه المرأة.. لا.. بل تصاعدت القضية من قضية إفساد المرأة إلى قضية إفساد العالم الإسلامي، حتى آلت الحال ـ واحسرتاه ـ إلى واقع شُرعت فيه أبواب بيوت الدعارة ودور البِغاء بأذون رسمية، في بلاد المسلمين!! وعمرت خشبات المسارح بالفن الهابط.. وسُنّت القوانين بإسقاط حد الزنا.. ما دام أن الطرفين راضيان!!

واتسع الخرق على الراقع

توقفت سارة قليلاً.. وجعلت تنظر إلى ساعتها.. ثم نظرت في الكتاب، وقالت: هنا في ص٥٦ كلام جميل مختصر حول أساليب أصحاب الشهوات لإفساد العالم الإسلامي من خلال استغلال المرأة.. ما رأيكما أن أقرأه على عجل..

ـ أريج: رائع.. ما دام المسألة فيها عشاء على حسابك.. تدرين نحن في مطعم.. وأنت كريمة ونحن نستاهل!!

ـ تبسمت سارة وقالت: عشاء إيش؟!! والدي يبدو أنه قريب الوصول..

ـ قالت مها: أنت يا أريج منذ أن جلسنا وضرسك لم يقف من تتابع الطعام عليه.. كعك.. بسكويت.. فطائر.. وأنا أيضاً ما قصرت.. والمسكينة سارة تقرأ، ونحن نأكل.. تبسمت سارة وقالت: هنيئاً مريئاً ..الله يجعل فيه العافية..

لكن لا بد أن نفهم طرق هؤلاء.. لأننا قد نستعمل لتحقيق مآربهم ونحن لا نعلم.. ثم بدأت القراءة:

أساليب!!

بدؤوا يدعون إلى خلع غطاء الوجه.. والتخلص من الجلباب، أو العباءة.. والاكتفاء بلبس الثياب الفضفاضة ـ مبدئياً ـ بدلاً من العباءة.. ويسلكون لإقناع النساء بذلك أساليب عديدة.. الدعايات.. إبراز المتبرجات على أنهن قدوات.. بيع العباءات المزينة، والضيقة والشفافة.. الدعوة إلى مشاركة المرأة للرجل في كل شيء.. في الاجتماعات، واللجان، والمؤتمرات، والندوات، والاحتفالات، والنوادي.. الدعوة إلى سفر المرأة بلا محرم، ومنه سفرها غرباً وشرقاً للتعلم ودراسة اللغة.. وسفرها

لمؤتمرات: سيدات الأعمال..!! الدعوة إلى قيامها بدورها في الفن، والغناء، والتمثيل، والمطالبة بإنشاء فريق كرة قدم نسائي.. تصوير المرأة في الصحف.. وخروجها في التلفاز مذيعة، ومقدمة برامج.. وهكذا.. وعرض برامج مباشرة تعتمد على المكالمات الخاضعة بالقول بين النساء والرجال في الإذاعة والتلفاز.. والدعوة إلى الصداقة بين الجنسين عبر برامج في أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، وتبادل الهدايا بالأغاني، وغيرها..

نقطة الانطلاق!!

طبعاً نقطة البداية في هذا كله: خلع الحجاب عن الوجه، ثم باشروا التنفيذ لخلعه، ودوسه تحت الأقدام وإحراقه، وعلى إثر هذه الفعلات، صدرت القوانين آنذاك في بعض الجمهوريات مثل: تركيا، وتونس، وإيران، وأفغانستان، وألبانيا، والصومال، والجزائر، بمنع حجاب الوجه، وتجريم المتحجبة، وفي بعضها معاقبة المتحجبة بالسجن والغرامة المالية!!!

- قالت أريج: صدقت والله.. والعجيب أن في بعض بلاد المسلمين مع الأسف يمارس التضييق على الحجاب.. ومحاربة تغطية الوجه.. بينما تجدين بلاد غير المسلمين أحياناً فيها حرية في الحجاب.. بل إني قرأت في خبر نقلته وكالة رويتر.. قبل أيام أن شركات قطارات طوكيو باليابان أطلقت حملة لحماية النساء من الرجال الذين يتعمدون مضايقتهن بطرق مخلة أثناء التنقل، وتضمنت الحملة تخصيص عدد من العربات للنساء فقط! مما أدى إلى إثارة غضب الرجال الذكور على اعتبار أن ذلك تميزاً ضدهم..!

الوداع

رن الهاتف المحمول الذي مع سارة.. نظرت إلى رقم المتصل وقالت: هذا أبي يبدو أنه وصل.. ردت عليه: وعليكم السلام.. نعم.. نعم أنا

قادمة.. وبدأت تلبس عباءتها.. وتغطي محاسن وجهها.. ووقفت مها وأريج.. يودعانها.. وهي تقول: إن شاء الله سنلتقي مرة أخرى..

أريج.. مها.. والله ما يريد الداعون إلى نزع العباءة.. وإلقاء الحجاب.. وكشف الزينة.. والاختلاط بالرجال.. والله ما يريدون؛ إلا أن تكوني كالأمة المملوكة يمضغك الرجل متى شاء.. ويلفظك متى شاء.. كانت أريج ومها.. تحاولان أن تبطئا سارة في المشي ليطول الكلام.. لكن هاتف سارة رن مرة أخرى.. فودعتهما.. وذهبت.اهـ.

أشكر كل من استفدت من مؤلفاته في إعداد هذا الكتاب، وعلى رأسهم الشيخ د. بكر أبو زيد، الشيخ: سليمان الخراشي، الشيخ: أحمد بن عبد العزيز الحمدان.

أسأل الله أن ينفع به وصلى الله على نبينا محمد..

وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله..

ما خلقنا الله إلا لعبادته، وأعظم العبادات أركان الإسلام الخمسة، وقد تكلمت تفصيلاً عن الركن الأول: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، في كتابي «اركب معنا»، وهنا بقية الأركان: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت..

أسأل الله أن ينفع به وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.. آمين.

تسعة أنفاس في الدقيقة

حدثني أحد الأطباء أنه دخل في غرفة الإنعاش على مريض.. فإذا شيخ كبير.. على سرير أبيض وجهه يتلألأ نوراً..

قال صاحبي: أخذت أقلب ملفه فإذا هو قد أُجْرِيَت له عملية في القلب.. أصابه نزيف خلالها مما أدى إلى توقف الدم عن بعض مناطق الدماغ.. فأصيب بغيبوبة تامة، وإذا أجهزة كثيرة قد وصلت به منها جهاز قد وُضِع على فمه للتنفس الصناعي يدفع إلى رئتيه تسعة أنفاس في الدقيقة..

كان بجانبه أحد أولاده.. سألته عنه، فأخبرني أن أباه مؤذِّن في أحد المساجد منذ سنين.. أخذت أنظر إليه، حرّكت يده، حرّكت عينه، كلّمته، لا يدري عن شيء أبداً..

كانت حالته خطيرة فعلاً.. اقترب ولده من أذنه وبدأ يكلمه.. وهو لا يعقل شيئاً، فبدأ الولد يقول: يا أبي.. أمي بخير، وإخواني بخير، وخالي رجع من السفر.. واستمر الولد يتكلم.. والأمر على ما هو عليه.. الشيخ لا يتحرك.. والجهاز يدفع تسعة أنفاس في الدقيقة..

وفجأة قال الولد: والمسجد مشتاق إليك، ولا أحد يؤذن فيه إلا فلان ويخطئ في الأذان، ومكانك في المسجد فارغ..

فلما ذكر المسجد والأذان اضطرب صدر الشيخ وبدأ يتنفس، فنظرت إلى الجهاز فإذا هو يشير إلى ثمانية عشر نَفَساً في الدقيقة.. والولد لا يدري.. ثم قال الولد: وابن عمي تزوج، وأخي تخرّج.. فهدأ الشيخ مرة أخرى.. وعادت الأنفاس تسعة.. يدفعها الجهاز الآلي..

فلما رأيت ذلك أقبلت إليه.. حتى وقفت عند رأسه.. حركت يده..

عينه.. هززته.. لا شيء.. كل شيء ساكن.. لا يتجاوب معي أبداً.. تعجبت.. قربت فمي من أذنه ثم قلت: الله أكبررر.. حي على الصلاة.. حي على الفلاح.. وأنا أسترق النظر إلى جهاز التنفس.. فإذا به يشير إلى ثمانية عشرة نَفَساً في الدقيقة..

رجل قلبه معلّق بالمساجد..

فللّه درهم من مرضى.. بل والله نحن المرضى.. نعم.. ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

صلاة في المتحف

وآخر قال لي: كنت في السويد، فذهبت مع اثنين من الإخوة المقيمين المغتربين لزيارة متحف للكتب القديمة والآثار.. وبعدما دفعنا رسوم الدخول وأمضينا دقائق.. دَخَلَ وقت صلاة العصر..

فقال أحدهما: يا شيخ، هيا نخرج لنصلي ثم نعود.. فسألته مستغرباً: لماذا لا نصلي هنا؟! فقال: هاه! نصلي أمامهم؟! لا.. لا هذا صعب جداً! قلت: لماذا صعب جداً؟!

فقال: يا شيخ.. نصلي أمام السويديين؟!..

قلت: نعم نصلي أمام السويديين.. ولماذا لا نصلي أمامهم؟! ألست تراهم يفعلون ما يشاؤون في الشوارع أمامنا. ويكشفون عوراتهم.. ولا يستحون!! ويرتكبون الأفعال المخلة بالحياء.. ويعتبرون ذلك حرية.. ونحن أحياناً ننظر إليهم إعجاباً بهذه الحرية!

فلماذا لا نصلي أمامهم ونعتبرها حرية؟!

فوافق صاحبي على مَضض.. فأخذنا جانباً من المتحف واتجهت إلى القِبلة ووضعت أصبعي في أذني..

فصرخ صاحبي: يا شيخ!! ماذا ستفعل؟! فأجبته بهدووء: أؤذن.. فقال ـ باضطراب شديد ـ: تؤذن هنا؟!

قلت: نعم، أليست حرية!.. أليسوا يغنون في الشوارع والطرقات ويسمون ذلك حرية!.. سمّه أنت أيضاً: حرية Free..!!

ثم أذنت وأقمت بصوت منخفض وصلّينا.. وأكملنا زيارتنا ورآنا الناس ونحن نصلي جماعة، نُكَبِّر ونُسَبِّح ونركع ونسجد.. ولم يمسك بنا رجال الشرطة.. ولم يدفعونا غرامة.. ولم يقتادونا إلى السجن.. ولم تنطبق السماء على الأرض.. فلماذا يخجل بعض المسلمين من الصلاة أمام الناس.. في الحدائق والأماكن العامة..

بل إن بعض المسلمين يجمعون بين الصلاتين من غير عذر سفر ولا مرض إلا أنهم يخجلون أن يقيموا الصلاة أمام الناس..

فالصلاة ركن من أركان الإسلام، ومبانيه العِظام، ولم تخل منها شريعة رسول من رُسل الله.

وقد فرضها الله على نبيه ﷺ ليلة المعراج في السماء؛ لعظمتها ومكانتها عند الله. وأمر الله بها في (٥٨) موضعاً من كتابه..

وقبل تعلَّم أحكام الصلاة لا بدّ من معرفة أحكام الطهارة..

أحكام الطهارة

المُحْدِثُ (غير المتطهر) ممنوع من بعض الأعمال، منها:

١ ـ **الصلاة**، فلا تصح صلاة المحدث (القادر على الوضوء أو التيمّم) ولا تصح صلاته، سواء كان جاهلاً أو عالماً، ناسياً أو عامداً، ويجب عليه إعادتها.

٢ ـ **مس المصحف**؛ فلا يمسه المحدث بدون حائل؛ لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٩] أي: من الحدث جنابة أو غيرها.

على القول بأن المراد بهم المطهرون من البشر، وهناك من يرى أن المراد بهم الملائكة الكرام. وحتى لو فسرت الآية بأن المراد بهم الملائكة؛ فإن ذلك يتناول البشر بدلالة الإشارة، ومنع مس المصحف لغير المتطهر: «هو مذهب الأئمة الأربعة».

٣ ـ **ويحرم على المحدث** الطواف بالبيت العتيق لقوله ﷺ: «**الطواف بالبيت صلاة؛ إلا أن الله أباح فيه الكلام**».

٤ ـ **ومن كان عليه جنابة** (حدث أكبر من جِمَاع أو نحوه) يحرم عليه قراءة القرآن غيباً، واللّبث في المسجد بغير وضوء.

آداب قضاء الحاجة

فإذا أراد المسلم دخول الخلاء ـ وهو المحل المُعَدّ لقضاء الحاجة ـ؛ فيستحب له أن يقول: «**بسم الله، أعوذ بالله من الخبث والخبائث**». ويقدم رجله اليسرى حال الدخول، وعند الخروج يقدم رجله اليمنى، ويقول: «**غفرانك**».

ويستتر عن الأنظار بحائط أو شجر أو غير ذلك، ويحرم أن يستقبل القِبْلَة أو يستدبرها حال قضاء الحاجة، وعليه أن يتحرز من رشاش البول أن يصيب بدنه أو ثوبه.

خصال الفطرة

من مزايا ديننا: خصال الفطرة، وهي أفعال اتفق عليها الأنبياء، قال ﷺ: «**خمس من الفطرة: الاستحداد، والخِتان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر**»، وقال: «**أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى**»[1].

(١) متفق عليه.

ـ **الاستحداد**: وهو حلق العانة، وهي الشعر النابت حول الفرج، فيزيله بما شاء من حلق أو غيره.

ـ **الختان**: وهو إزالة الجلدة التي تغطي حشفة الذكر، وهو واجب في حق الذكر، مكرمة في حق الأنثى.

ـ **قص الشارب** وإعفاء اللحية.

ـ **تقليم الأظافر**، وهو قصها.

ـ **إزالة الشعر** النابت في الإبط بالنتف أو الحلق.

لا يجوز أن يمر عليه أربعون يوماً دون أن يفعلها.

أحكام الوضوء

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: ٦].

وكيفية الوضوء كالتالي:

• ينوي الوضوء بقلبه ثم يقول: «بسم الله» والتسمية سُنّة إن تركها فلا شيء عليه، ثم يغسل كفيه ثلاث مرّات، ولا يشترط للوضوء أن يغسل فرجه؛ لأن غسل الفرج (القُبُل والدُّبُر) يكون بعد البول أو الغائط، ولا دخل له بالوضوء.

• ثم يتمضمض ثلاث مرات؛ أي: يدير الماء في فمه، ثم يخرجه.

• ثم يستنشق ثلاث مرات؛ أي: يجذب الماء بنَفَس من أنفه، ثم يستنثر؛ أي: يخرجه من أنفه، ويُستحب أن يُبَالغ في الاستنشَاق (أي: يستنشق

بقوة) إلا إذا كان صائماً، فإنه لا يُبالغ، خشية أن يدخل الماء إلى جوفه، وإن تمضمض واستنشق بغرفة واحدة فلا بأس.

• ثم يغسل وجهه ثلاث مرات، وَحَدُّ الوجه طولاً: من منابت شعر الرأس، إلى ما انحدر من اللحيين والذقن، ومن الأذن إلى الأذن عرضاً، أما اللحية: فإن كانت خفيفة فتغسل وما تحتها من البشرة، وإن كانت كثيفة غسل ظاهرها، ويُستحب تخليلها بالماء، بأن يجعل في كفه ماء يفركها به من تحتها.

• ثم يغسل يديه مع المرفقين ثلاث مرات، ويدخل كفيه في الغسل.

• ثم يمسح رأسه مع الأذنين مرة واحدة، يبدأ بيديه من مقدمة رأسه ويمرهما إلى مؤخرة رأسه ثم يعود إلى مقدمة رأسه، ويمكن أن يمسح رأسه من مقدمه إلى مؤخره دون أن يعود لمقدمه مرة أخرى.

• ثم يمسح أذنيه بما بقي على يديه من ماء الرأس.

• ثم يغسل رجليه مع الكعبين، والكعبان هما العظمان البارزان في أسفل الساق، ويخلل أصابع رجليه بخنصر يده اليسرى.

۞ أذكار ما بعد الوضوء:

«أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»[1]. **«سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»**[2].

۞ تنبيهات:

١ ـ يجب على المتوضئ أن يغسل أعضاءه بتتابع، فلا يؤخِّر غسل عضو منها حتى ينشف الذي قبله.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الطبراني.

٢ ـ يباح أن يُنشف المتوضئ أعضاءه بعد الوضوء.

٣ ـ يجوز للمتوضئ أن يغسل أعضاءه في الوضوء مرة مرة، ومرتين مرتين، لكن السُّنَّة ثلاثاً ثلاثاً، إلا الرأس فلا يمسحه إلا مرة.

٤ ـ ولا يترك من العضو شيئاً لم يصبه الماء: فقد رأى النبي ﷺ رجلاً ترك موضع ظفر على قدمه؛ فقال له: «**ارجع، فأحسن وضوءك**».

وإن توضأ وبه جرح ملفوف بخرقة، مسح على الخرقة، وإن كان الجرح غير مغطى؛ كالحروق، فإنه يتوضأ فيما يستطيع من بدنه، ثم يتيمم.

۞ الدعاء بعد الفراغ من الوضوء:

إذا فرغت من الوضوء فيسنّ أن تقول: (**أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله**)، ويسن بعد الوضوء صلاة ركعتين.

أحكام المسح على الخفين

الخف وهو ما يُلبس على الرجل من جلد أو قطن أو صوف وغيره.

وكيفية المسح: أن يمر أصابع يديه مفرقة مبللة على ظاهر قدم الخف من أصابعه إلى أول ساقه دون أسفله وعقبه.

قال علي رضي الله عنه: رأيت رسول ﷺ يمسح أعلى الخف[1].

قال الحسن البصري: حدثني سبعون من أصحاب رسول الله ﷺ أنه مسح على الخفين، وقال الإمام أحمد: ليس في نفسي من المسح شيء، فيه أربعون حديثاً عن النبي ﷺ.

شروط المسح على الخفين ونحوهما:

١ ـ مدة المسح: للمقيم يمسح يوماً وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام. ويبتدئ حساب مدة المسح من أول مسح على خفيه إذا كان ماسحاً بعد حدث، قال

---

(١) رواه أحمد.

علي ﷺ: «جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوماً وليلة للمقيم»[١].

٢ ـ يشترط أن يكون قد لبس الخفين أو الجوربين على طهارة، عن المغيرة ابن شعبة ذكر وضوء النبي ﷺ قال: ومسح برأسه ثم أهويت لأنزع خفيه فقال: «**دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين**» ومسح عليهما[٢].

٣ ـ الخف والجورب المخرق يجوز المسح عليه، قال سفيان الثوري: امسح عليها ما تعلقت به رجلك، وهل كانت خفاف المهاجرين والأنصار إلا مخرّقة مشقّقة مرقّعة.

٤ ـ إذا توضأ ومسح على الجوربين، ثم نزعهما قبل الصلاة فطهارته باقية، دون حاجة إلى غسل القدمين ولا إعادة وضوء.

٥ ـ إذا أصابت المرء جنابة في نوم أو غيره، فيجب عليه نزع الخفين (أو الجوربين) والاغتسال، ولا يجزئه المسح عليهما؛ لأنهما يمسحان في الطهارة الصغرى دون الكبرى.

ويجوز كذلك المسح على الجبيرة، وهي الجبس الذي تغطى به الكسور في اليد أو الرِّجل أو غيرهما، وكذلك يجوز المسح على لفائف القماش ونحوه التي تكون على الجروح.

وليس للمسح على الجبيرة وقت محدد، بل يمسح عليها إلى نزعها؛ لأن مسحها لأجل الضرورة، فتقدر بقدر الضرورة، والدليل على مسح الجبيرة حديث جابر ﷺ؛ قال: خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منا حجر، فشجّه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟

قالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء. فاغتسل، فمات، فلمّا قدمنا على رسول الله ﷺ؛ أخبر بذلك، فقال: «**قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذا**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

لم يعلموا؛ فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليها»[١].

نواقض الوضوء

وهي الأشياء التي إذا وقعت للشخص صار محدثاً (غير متوضئ):

١ ـ الخارج من السبيلين، من بولٍ أو غائط، أو ريح.

٢ ـ زوال العقل بجنون، أو إغماء، أو سُكْر، أو نوم عميق لا يحس فيه بما يخرج منه، أما النوم اليسير الذي لا يغيب فيه إحساس الإنسان، فإنه لا ينقض الوضوء.

٣ ـ لمس الفرج باليد بشهوة، سواءً كان فَرْجه هو أو فَرْج غيره؛ لقوله ﷺ: **«مَن مسّ فرجه فليتوضأ»**[٢].

٤ ـ أكل لحم الإبل أو كرشه أو كبده؛ لأنه ﷺ سُئل: أنتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: **«نعم»**[٣].

٥ ـ وهناك أشياء قد اختلف العلماء فيها؛ هل تنقض الوضوء أو لا؟ وهي: مس المرأة بشهوة، وتغسيل الميت، ولو توضأ من هذه الأشياء خروجاً من الخلاف؛ لكان أحسن.

جنة المؤمن في محرابه

• دخل أحدهم على رجل مقعد مشلول تماماً في أحد المستشفيات.. لا يتحرك إلا رأسه.. فلما رأى حاله.. رأف به وقال: ماذا تتمنى؟ فقال

---

(١) صحيح، رواه أبو داود.

(٢) رواه ابن ماجه والنسائي.

(٣) رواه مسلم.

المريض: أنا عمري قرابة الأربعين.. وعندي خمسة أولاد.. وعلى هذا السرير منذ سبع سنين.. والله لا أتمنى أن أمشي.. ولا أن أرى أولادي.. ولا أن أعيش مثل الناس.. لكنني أتمنى أني أستطيع أن ألصق هذه الجبهة على الأرض ذلة لرب العالمين.. وأسجد كما يسجد الناس..

فأنت يا سليماً من الأمراض والأسقام.. هل أقمت صلاتك كما أمرك الله..

أحكام الغسل

الغسل هو التطهر من الحدث الأكبر: جنابةً كان أو حيضاً أو نفاساً، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا۟﴾ [المائدة: ٦].

وموجبات الغسل ستة أشياء، إذا حصل واحد منها؛ وجب على المسلم الاغتسال:

١ ـ خروج المني في اليقظة أو النوم (الاحتلام)، فالنائم إذا استيقظ ووجد أثر المني؛ وجب عليه الغسل، وإن استيقظ وذكر أنه قد احتلم، ولم يخرج منه مني، ولم يجد له أثراً؛ لم يجب عليه الغسل.

٢ ـ الوطء (الجماع) ولو لم ينزل.

٣ ـ الحيض.

٤ ـ النفاس.

ويسن الغسل للجمعة والعيدين.

وصفة الغسل الكامل

ـ أن ينوي بقلبه.

ـ ثم يسمي ويغسل يديه ثلاثاً ويغسل فرجه.

ـ ثم يتوضأ وضوءاً كاملاً.

- ثم يحثي الماء على رأسه ثلاث مرات، يروي أصول شعره.

- ثم يعم بدنه بالغسل، ويدلك بدنه بيديه، ليصل الماء إليه.

ويجب على المغتسل أن يتفقد أصول شعره ومغابن بدنه وما تحت حلقه وإبطيه وسرّته وطي ركبتيه، وإن كان لابساً ساعة أو خاتماً؛ فإنه يحركهما ليصل الماء إلى ما تحتهما.

أحكام التيمم

التيمم هو: استعمال التراب لرفع الحدث، عند عدم القدرة على استعمال الماء.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾... إلى أن قال سبحانه: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦].

والتيمم هو: مسح الوجه واليدين بصعيد طيب، وبعد التيمم يفعل المتطهر كل ما يفعله المتطهر بالماء من الصلاة والطواف وقراءة القرآن وغير ذلك.

يجوز التيمم في أربع حالات:

أولاً: إذا عدم الماء سواء عدمه في الحضر أو السفر، بشرط أن يبذل وسعه للحصول عليه ولا يجده.

ثانياً: إذا كان معه ماء لكنه قليل، ويحتاجه لشرب وطبخ.

ثالثاً: المريض العاجز عن الوضوء بالماء، أو المصاب بحروق في جلده، ولا يستطيع استعمال الماء.

رابعاً: إذا كان الماء موجوداً لكنه لا يستطيع الحصول عليه إما لبُعده عنه، أو لخطورة الطريق، أو لغلاء سعره جداً، فيجوز له في هذا الحال أن يتيمّم.

خامساً: في البرد الشديد، ولم يجد شيئاً يسخن به الماء.

ففي هذه الأحوال يتيمم ويصلي.

ويجوز التيمم بكل ما علا وجه الأرض من تراب ورمل وحصى وغيره؛ لقوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٦].

وصفة التيمم: أن يضرب التراب بيديه مفرجتي الأصابع، ثم يمسح وجهه بباطن أصابعه، ويمسح ظهر كفيه بباطنهما..

ومَن حضره وقت الصلاة، ولم يستطع أن يستعمل الماء ولا التراب، لشدة مرضه أو غيره (كأن يكون في طائرة ليس عنده ماء ولا تراب، أو في مستشفى) وخشي خروج وقت الصلاة، فإنه يصلي بلا وضوء ولا تيمم ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

إن الله يدافع...

روى البخاري: أن إبراهيم عليه السلام.. بينما هو ذات يوم يسير مع زوجه سارة.. إذ أتى على بلد يحكمها جبار من الجبابرة..

فأتى هذا الجبار بعض حاشيته وقالوا: إن هاهنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس ولا تصلح إلا لك..

فأرسل هذا الجبار جنده إلى إبراهيم وسألوه من هذه التي معك؟ فعلم إبراهيم عليه السلام أنه لا قوة له بهذا الطاغية..

وأنه لو قال: زوجتي، لقتلوه.. فقال لهم: هي أختي.. ثم أتى إبراهيم إلى سارة.. وقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك.. وإن هذا سألني عنك.. فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني..

فأرسل الجبار إليها.. فأحضرت إليه.. فلما دخلت عليه.. أقبل عليها.. فلما رفع يده إليها.. شلت يده.. ففزع الرجل.. وقال: ادعي الله لي ولا أضرك.. فدعت الله له..

فأطلق.. فوسوس له الشيطان.. فأقبل إليها مرة أخرى.. فدعت

عليه.. فأصابه كالأولى أو أشد.. فلما رأى أنه لا طاقة له بها.. فزع وقال: ادعي الله لي ولا أضرُّك.. فدعت له فأطلق الله يديه.. ففزع منها..

ودعا بعض حجابه.. وقال: إنكم لم تأتوني بإنسان وإنما أتيتموني بشيطان.. ثم أخرجها من قصره.. وأعطاها جارية اسمها هاجر.. فخرجت سارة.. إلى زوجها.. فلما دخلت عليه فإذا هو قائم يصلي.. ويدعو ويبتهل.. فلما أحس بها أومأ بيده.. يسألها عن الخبر..

فقالت: رد الله كيد الكافر ـ أو الفاجر ـ في نحره..

فانظر كيف فزع إبراهيم إلى الصلاة لم حزبته الأمور.

أحكام الصلاة

الصلاة ركن من أركان الإسلام، ومبانيه العظام، ولم تخلُ منها شريعة رسول من رسل الله عليهم الصلاة والسلام.

وقد فرضها الله على نبيه ﷺ ليلة المعراج في السماء؛ لعظمتها ومكانتها عند الله. وأمر الله بها في (٥٨) موضعاً من كتابه..

ويؤمر بها الطفل الصغير في السابعة من عمره ليهتم بها، ويتمرن عليها.. قال ﷺ: «**مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها لعشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع**»(١).

ولا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

ومن ترك الصلاة تهاوناً أو كسلاً ومن جحد وجوب الصلاة كفر، فقد قال فيه ﷺ: «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**»(٢) وقال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»(٣).

---

(١) رواه أحمد والترمذي.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه أحمد.

صفة الصلاة

قال ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(١).

وتكره الصلاة في مكان فيه تصاوير؛ لما فيه من التشبه بعُبّاد الأصنام.

ويُسن أن يجعل المصلي أمامه سترة، إذا كان منفرداً أو إماماً؛ قال ﷺ: «**إذا صلّى أحدكم، فليصل إلى سترة، وليدن منها**»(٢)، لتمنع المار بين يديه، وتمنع المصلي من الانشغال بما وراءها.

وإن كان في صحراء؛ جعل أمامه شجرة أو حجراً أو عصاً، ويُسن للمصلي رد مَن يقطع صلاته؛ قال: «**إذا كان أحدكم يصلي، فلا يدعن أحداً يمر بين يديه، فإن أبى، فليقاتله؛ فإن معه القرين**»(٣).

وصفة الصلاة هي أن:

• يستقبل القبلة ثم يقول: «**الله أكبر**»، وهي ركن لا تنعقد الصلاة إلا بها، ولا بدّ من قولها باللسان، ولا يشترط أن يرفع صوته بها، والأخرس ينويها بقلبه، ويُسَن أن يرفع يديه عند التكبير إلى منكبيه، أو يرفعهما بمحاذاة أذنيه.

• ثم يقرأ: دعاء الاستفتاح، وهو سُنّة، فيقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك**»، أو يقول: «اللهم باعِد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني بالماء والثلج والبرد»، ثم يقول: «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**».

أو: «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم**» «**بسم الله الرحمٰن**

---

(١) رواه ابن حبان والدارقطني.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه مسلم

الرحيم»، ثم يقرأ الفاتحة في كل ركعة وهي ركن لا تصح الصلاة بدونها.

• وإذا كان المصلي لا يُجيد الفاتحة، فإنه يقرأ ما تيسر من القرآن بدلها، فإذا كان لا يجيد ذلك (كالمسلم الجديد) فإنه يقول: «**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله**»، ويجب عليه المبادرة بتعلم الفاتحة.

• ثم يقرأ بعد الفاتحة ما تيسر من القرآن.

• وإذا عرض للمصلي أمر؛ كاستئذان أحد عليه، أو سها الإمام، أو خاف على إنسان الوقوع في هلكة، فله التنبيه على ذلك؛ بأن يسبِّح الرجل وتصفِّق المرأة؛ لقوله ﷺ: «**إذا نابكم شيء في صلاتكم؛ فليسبِّح الرجال، ولتصفِّق النساء**»[1].

• وإذا سَلم أحد على المصلي فإنه يرد السلام بالإشارة بيده فقط.

أخطاء أثناء القيام في الصلاة:

١ ـ قول بعض الناس: «نويت أن أصلي كذا»، وهذا خطأ؛ لأن النية محلها القلب والتلفظ بها بدعة.

٢ ـ قول بعض الناس في الصلاة الجهرية عند قول الإمام: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾: استعنا بالله، وهذا خطأ.

٣ ـ زيادة بعضهم كلمة «ولك الشكر» بعد قوله: «**ربنا ولك الحمد**».

٤ ـ مسح الوجه بعد رفع اليدين من الركوع.

٥ ـ عدم التراص في الصفوف وترك أماكن فراغ وهذا مخالف للأمر بتسوية الصف.

٦ ـ الالتفات في الصلاة ورفع البصر إلى السماء، والمشروع أن يخفض رأسه وينظر لموضع سجوده.

---

(١) متفق عليه.

٧ ـ مدافعة الأخبثين في الصلاة، وهو أن يصلي مع شدة حاجته لقضاء الحاجة من بول أو غائط.

٨ ـ تغطية الفم من غير حاجة، أو سدل اليدين عن جانبيه في الصلاة.

٩ ـ وضع اليد اليمنى على اليسرى على البطن، والسُّنّة وضعهما على الصدر.

١٠ ـ تغميض العينين لغير ضرورة.

١١ ـ تشبيك الأصابع أو فرقعتها.

ثم يركع قائلاً: «**الله أكبر**»، رافعاً يديه إلى حذو منكبيه أو إلى حذو أذنيه، كما فعل عند تكبيرة الإحرام.

ويجب أن يسوي ظهره في الركوع، ويقبض بأصابع يديه على ركبتيه مع تفريقها، ويقول في ركوعه: «**سبحان ربي العظيم**»، والواجب أن يقولها مرة واحدة، وما زاد فهو سُنّة.

ويُسن أن يقول في ركوعه أيضاً: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**» و«**سبُوح قدُوس رب الملائكة والروح**».

ثم يرفع رأسه من الركوع قائلاً: «**سمع الله لمن حمده**» ويُسَن أن يرفع يديه، كرفع تكبيرة الإحرام، ثم يقول بعد أن يستوي قائماً: «**ربنا ولك الحمد**»، أو «**اللهم ربنا ولك الحمد**».

ويُسَن أن يقول بعدها: «**ملء السماوات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»، ويُسن أن يضع يديه على صدره في هذا القيام، كما فعل في القيام الأول قبل الركوع.

أخطاء في الركوع:

١ ـ عدم إقامة الصلب أثناء الركوع، والسُّنّة أن يكون الظّهر مستوياً.

٢ ـ النظر إلى القدمين، والسُّنّة النظر لموضع السجود.

٣ ـ عدم مساواة الرأس مع الظهر، والسُّنّة أن يكون على امتداد الظّهر.

ثم يسجد قائلاً: «**الله أكبر**»، ويقول في سجوده: «**سبحان ربي الأعلى**» مرة واحدة، وما زاد على ذلك فهو سُنّة.

ويجب أن يسجد المصلي على سبعة أعضاء: رجليه، وركبتيه، ويديه، وجبهته مع الأنف، ولا يجوز أن يرفع عضواً منها عن الأرض أثناء سجوده، وإذا لم يستطع المصلي أن يسجد بسبب المرض فإنه ينحني بقدر استطاعته حتى يقرب من هيئة السجود.

ويسن في السجود أن يُبعد بطنه عن فخذيه، وأن يُبعد عضديه عن جنبيه إلا إذا كان ذلك يضايق من بجانبه.

ويُسَن أن يكثر من الدعاء في سجوده، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

أخطاء في السجود:

١ ـ عدم السجود على الأعضاء السبعة.

٢ ـ أن يبسط المصلي ساعديه ويضع مرفقيه على الأرض في سجوده.

٣ ـ أن يسجد على الجبهة دون الأنف، أو الأنف دون الجبهة.

٤ ـ أن يرفع رجليه عن الأرض، أو يكتفي بوضع رؤوس الأصابع، والواجب إلصاق بطون الأصابع بالأرض.

٥ ـ أن يلصق بطنه بفخذيه، أو عضديه بجنبيه، والأصل أن يجافي بين ذلك كله.

ثم يرفع رأسه من سجوده قائلاً: «**الله أكبر**» ويجلس بين السجدتين مفترشاً رجله اليسرى ناصباً رجله اليمنى، واضعاً يديه على فخذيه، وأطراف أصابعه عند ركبتيه، أو يضع يده اليمنى على ركبته اليمنى ويده اليسرى على ركبته اليسرى.

ويجب أن يقول وهو جالس بين السجدتين: «**رب اغفر لي**» أو «**اللهم اغفر لي**» أو «**رب اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني**» مرة واحدة، وما زاد على ذلك فهو سُنّة.

ثم يسجد السجدة الثانية، ثم ينهض من السجود إلى الركعة الثانية قائلاً: «**الله أكبر**»، وإن جلس جلسة خفيفة قبل أن يقوم للركعة الثانية فلا بأس وتسمّى «جلسة الاستراحة».

ثم يصلي الركعة الثانية كما صلى الركعة الأولى، إلا أنه لا يقرأ دعاء الاستفتاح، ولا يتعوّذ قبل قراءة الفاتحة؛ لأنه قد استفتح وتعوّذ في بداية الركعة الأولى.

وبعد السجود الثاني في الركعة الثانية يجلس للتشهد الأول مفترشاً.

ويقبض أصبعه الخنصر والبنصر ويُحلق الإبهام مع الوسطى ويشير بالسبابة، أو يقبض جميع أصابع يده اليمنى ويشير بالسبابة، أما يده اليسرى فيقبض بها على ركبته اليسرى، وله أن يبسطها على فخذه الأيسر دون قبض الركبة.

ويقول في التشهد: «التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله».

فإذا كانت الصلاة ركعتين؛ كصلاة الفجر، صار هذا هو الجلوس الأخير، فأكمل التشهد فقال: «**اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**».

وإن كانت الصلاة ثلاثية؛ كالمغرب، أو رباعية؛ كالظهر والعصر والعشاء، قرأ التشهد الأول، ثم نهض إلى الركعة الثالثة، رافعاً يديه إلى حذو منكبيه، كما فعل في تكبيرة الإحرام، قائلاً: «**الله أكبر**».

ويضع يديه على صدره.. كما تقدم.. ويقرأ الفاتحة فقط (في الركعة الثالثة والرابعة).

فإذا جلس للتشهد الأخير، جلس متوركاً، واضعاً قدمه اليسرى تحت ساقه اليمنى، وبعض مقعدته على الأرض، ويضع يده اليسرى على ركبته، متكئاً عليها، ويقرأ التشهد كاملاً: التحيات لله... إلى آخره: إنك حميد مجيد، ويُسَن أن يقول بعده: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وعذاب**

القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال» ثم يدعو بما شاء، كقول: **«اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»** وغيره.

ثم يسلم عن يمينه: **«السلام عليك ورحمة الله»** وعن يساره كذلك.

ويُسَن له بعد الصلاة أن يأتي بأذكار الصلاة وهي:

أن يستغفر ثلاثاً، ثم يقول: **«اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجدُ، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»**.

ثم يقول: **«سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر»** كلّاً منها (٣٣) مرة.

ثم يتم المائة بقوله: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»**.

ثم يقرأ آية الكرسي وهي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ثم يقرأ سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ والفلق، والناس، (مرة واحدة).

إلا بعد صلاتي الفجر والمغرب، فيستحب تكرار هذه السور الثلاث (ثلاث مرات).

كما يستحب أن يقول بعد صلاتي الفجر والمغرب: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير»** (عشر مرات).

صليت!.. لا.. لم تصل

في «الصحيحين».. أن النبي ﷺ كان جالساً في المسجد مع أصحابه يوماً.. فدخل رجل فصلى.. وجعل النبي ﷺ يرمقه وهو يصلي.. ثم جاء فسلّم على النبي ﷺ فردّ عليه السلام.. ثم قال: «**ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ**»!! فرجع الرجل فصلى.. كصلاته الأولى.. ثم جاء إلى النبي ﷺ فسلّم عليه.. فقال له: «**وعليك السلام.. ارجع فصلِّ.. فإنك لم تصلِّ..**» فقال الرجل: والذي بعثك بالحق.. ما أُحْسِن غير هذا.. فعلِّمني.. فقال ﷺ: «**إذا قمت إلى الصلاة فكبِّر.. ثم اقرأ ما تيسّر معك من القرآن.. ثم اركع حتى تطمئن راكعاً.. ثم ارفع حتى تعتدل قائماً.. ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً.. ثم ارفع حتى تطمئن جالساً.. ثم افعل ذلك في صلاتك كلها..**».

عجباً.. فما أحوج كثيراً من الناس اليوم أن يُقال له بعد صلاته: «**ارجع فصلِّ فإنك لم تُصلِّ..؟!**» ينقر أحدهم سجوده كنقر الغراب.. ويركع مستعجلاً كالمرتاب.. لا يناجي ربّه في السجود.. ولا يخشع للرحيم الودود..

صلاة المريض

للمريض في الطهارة عدة حالات:

١ ـ إن كان مرضه يسيراً لا يضره معه استعمال الماء؛ كالمريض بالصداع ووجع الضرس ونحوهما، فهذا يجب عليه الوضوء ولا يجوز له التيمم.

٢ ـ وإن كان به مرض يزداد باستعمال الماء، فهذا يجوز له التيمم.

٣ ـ المريض إذا لم يستطع الوضوء أو الغسل بالماء لعجزه أو لخوفه من زيادة المرض فإنه يتيمم بتراب نظيف؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا۟ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٦].

فإن كان لا يستطيع التيمم يمّمَهُ غيره، بأن يأخذ يدي المريض فيضرب بهما على التراب ثم يمسح وجهه وكفيه، وإن كان بدنه أو ملابسه أو فراشه متلوثاً بالنجاسة، ولم يستطع إزالة النجاسة، أو التطهر منها جاز له الصلاة على حالته التي هو عليها؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

٤ ـ من به جروح أو قروح أو كسر أو مرض يضره استعمال الماء، فأصابته جنابة، جاز له التيمم للأدلة السابقة، وإن أمكنه غسل الصحيح من جسده وجب عليه ذلك وتيمم للباقي.

٥ ـ إذا كان المريض في محل لم يجد ماء ولا تراباً ولا من يحضر له الماء أو التراب، فإنه ينوي الطهارة بقلبه، ويصلي على حسب حاله وليس له تأجيل الصلاة؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

٦ ـ المريض المصاب بسلس البول، أو استمرار خروج الدم أو الريح ولم يبرأ بمعالجته، عليه أن يتوضأ لكل صلاة بعد دخول وقتها ويغسل ما يصيب بدنه وثوبه من نجاسة، أو يجعل للصلاة ثوباً طاهراً إن تيسر له ذلك. وإن تيسر أن يضع على فرجه قطناً أو نحوه مما يمنع وصول النجاسة إلى ملابسه وبقية بدنه، فهو أفضل، ويزيله عنه بعد الصلاة.

٧ ـ وإن كان أحد أعضاء المريض عليه جبيرة فيمسح عليها في الوضوء والغسل، ويغسل بقية العضو، أما إن كان المسح على الجبيرة أو غسل ما يليها من العضو يضره، أو كان فيه جروح لا يستطيع غسلها ولا مسحها (كالحروق) اكتفى بالتيمم بعد انتهائه من الوضوء.

۞ كيفية صلاة المريض:

• أجمع أهل العلم على أن من لا يستطيع القيام، له أن يصلي جالساً، ويكون جلوسه حسب ما يسهل عليه، فكيفما جلس جاز.

• فإن عجز عن الصلاة جالساً فإنه يصلي على جنبه مستقبلاً القبلة بوجهه، والمستحب أن يكون على جنبه الأيمن، فإن عجز عن الصلاة على جنبه صلى على ظهره وتكون رجلاه جهة القبلة إن أمكن؛ لقوله ﷺ لعمران بن

حصين: «**صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب**»، وزاد النسائي: «**فإن لم تستطع فمستلقياً**»(١).

• ومن قدر على القيام وعجز عن الركوع أو السجود لم يسقط عنه القيام، بل يصلي قائماً فيومئ بالركوع (يعني: يَميلُ بجسمه خافضاً رأسه) ثم يرفع من الركوع، فإذا أراد السجود جلس (ولو على كرسي)، وأومأ بالسجود؛ لقوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ولقوله ﷺ: «**صل قائماً**»(٢).

• وإن كان المرض شديداً، أو شللاً، ولم يقدر على الإيماء برأسه، نوى الركوع والسجود بقلبه.

• وإن لم يكن عنده مَن يوجهه إلى القبلة، ولم يستطع التوجه إليها بنفسه؛ صلى على حسب حاله، إلى أي جهة.

• وبعض المرضى ممن تجري لهم عمليات جراحية، يتركون الصلاة لأنهم لا يقدرون على أدائها بصفة كاملة، أو لعجزهم عن الوضوء، أو لأن ملابسهم نجسة، وهذا خطأ كبير؛ فلا يجوز ترك الصلاة. بل يصليها على حسب حاله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

• وبعض المرضى يقول: إذا شفيت؛ قضيت الصلوات التي تركتها، وهذا تساهل؛ فالصلاة تصلى في وقتها حسب الإمكان، ولا يجوز تأخيرها عن وقتها.

• وإذا نام المريض أو غيره عن صلاة أو نسيها وجب عليه أن يصليها حال استيقاظه من النوم، أو حال ذكره لها، ولا يجوز له تركها إلى دخول وقت مثلها ليصليها فيه؛ لقوله ﷺ: «**من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها متى ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك**»(٣).

• وإن شق عليه فعل الصلاة بوقتها فيجمع الظهر والعصر، والمغرب

---

(١) رواه البخاري والنسائي.
(٢) رواه البخاري.
(٣) متفق عليه.

والعشاء جمع تقديم أو تأخير حسبما يتيسر له، إن شاء قدّم العصر مع الظهر وإن شاء أخّر الظهر مع العصر، وإن شاء قدّم العشاء مع المغرب، وإن شاء أخّر المغرب مع العشاء، أما الفجر فتصلى في وقتها.

شروط الصلاة

• للصلاة شروط إذا لم تتوافر لم تصح الصلاة، منها:

أولاً: الطهارة قبلها، بالوضوء أو التيمم، إلّا العاجز عنهما فيصلي حسب حاله.

ثانياً: دخول وقتها: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، وأوقاتها هي:

ـ **صلاة الظهر**: ويبدأ وقتها بزوال الشمس؛ أي: ميلها إلى الغرب بعد تعامدها، وينتهي وقتها بأن يصير ظل كل شيء مثله.

ـ **صلاة العصر**: تبدأ بنهاية وقت الظهر، وتنتهي باصفرار الشمس ويسن تعجيلها في أول وقتها.

ـ **صلاة المغرب**: من غروب الشمس إلى مغيب الشفق الأحمر (والشفق: آثار غروب الشمس وهو بيض تخالطه حمرة، ثم تذهب الحمرة ويبقى بياض خالص ثم يغيب).

ـ **صلاة العشاء**: تبدأ بخروج وقت المغرب إلى طلوع الفجر، وينقسم وقتها إلى قسمين: وقت اختيار يمتد إلى ثلث الليل، ووقت اضطرار من ثلث الليل إلى طلوع الفجر الثاني.

ـ **صلاة الفجر**: تبدأ بطلوع الفجر الثاني، ويمتد إلى طلوع الشمس، ويستحب تعجيلها.

ثالثاً: ستر العورة: يستحب التزين عموماً للصلاة، لكن الواجب على الرجل ستر ما بين السرة والركبة، والمرأة تستر جسمها كله إلا وجهها وكفيها (في الصلاة).

رابعاً: اجتناب النجاسة: بأن يبتعد عنها المصلي، ويخلو منها تماماً في بدنه وثوبه وبقعته التي يقف عليها للصلاة.

• ومن رأى عليه نجاسة بعد الصلاة ولا يدري متى حدثت؛ فصلاته صحيحة، وكذا لو كان عالماً بها قبل الصلاة، لكن نسي أن يزيلها؛ فصلاته صحيحة على القول الراجح.

• وإن علم بالنجاسة في أثناء الصلاة وأمكنه إزالتها بسهولة كخلع النعل أو العمامة؛ أزالها وأكمل صلاته، وإن لم يتمكن من إزالتها؛ قطع صلاته وغسل النجاسة ثم أعاد الصلاة.

• ولا تصح الصلاة في المقبرة، ولا في المسجد المبني على القبر، فإن كان المسجد مبنياً قبل القبر؛ نُبش القبر وأخرج وإن كان القبر قبل المسجد؛ فإما أن يزال المسجد، وإما أن يزال القبر.

خامساً: استقبال القبلة: إلا العاجز عن الاستقبال كالمريض والمربوط، وإن جهل القبلة سأل قدر المستطاع وصلى، فإن لم يجد من يسأله وصلى حسب اجتهاده فصلاته صحيحة، سواء أصاب القبلة أو أخطأها.

سادساً: النية: ومحلها القلب فلا يتلفظ بها.

أركان الصلاة وواجباتها وسننها

الأركان: إذا ترك منها شيئاً، بطلت صلاته، سواء تركه عمداً أو سهواً.

والواجبات: إذا ترك منها شيئاً متعمداً؛ بطلت صلاته، وإن تركه سهواً؛ لم تبطل، ويجبره بسجود السهو.

والسنن: لا تبطل الصلاة بترك شيء منها لا عمداً ولا سهواً، لكن النبي ﷺ صلى صلاة كاملة بأركانها وواجباتها وسننها، وقال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[1].

---

(١) رواه ابن حبان والدارقطني.

وأركانها هي:

١ ـ القيام مع القدرة.

٢ ـ وتكبرة الإحرام «يقول: الله أكبر».

٣ ـ وقراءة الفاتحة، وهي ركن على الإمام والمنفرد في كل ركعة، وعلى المأموم في الصلاة السريّة، أما في الجهرية فهي ركن في حق المأموم في الثالثة والرابعة، أما في الأولى والثانية فواجبة، وفي الصلاة الجهرية على المأموم أن يقرأها بعد فراغ الإمام من قراءتها.

٤ ـ والركوع.

٥ ـ والرفع منه.

٦ ـ والسجود.

٧ ـ والجلوس عنه.

٨ ـ والتشهد الأخير جالساً.

٩ ـ والصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير.

١٠ ـ والتسليمة الأولى.

١١ ـ الترتيب بين الأركان.

١٢ ـ والطمأنينة في كل الأفعال المذكورة، وهي التأني والسكون.

وواجباتها هي:

١ ـ جميع تكبيرات الانتقال (وهي التي يقولها أثناء انتقاله بين أفعال الصلاة) غير تكبيرة الإحرام فهي ركن.

٢ ـ وقول: «سمع الله لمن حمده» للإمام والمنفرد، فأما المأموم؛ فيقول: ربنا ولك الحمد.

٣ ـ التحميد؛ أي: قول: «ربنا ولك الحمد»، للإمام والمأموم والمنفرد.

٤ ـ قول: «سبحان ربي العظيم» في الركوع.

٥ ـ قول: «سبحان ربي الأعلى» في السجود.

٦ ـ قول: «رب اغفر لي»، بين السجدتين.

٧ - التشهد الأول وهو أن يقول: «التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله».

٨ - الجلوس للتشهد الأول.

فهذه الواجبات، مَن ترك واجباً منها متعمداً؛ بطلت صلاته؛ لأنه متلاعب فيها، ومَن تركه سهواً أو جهلاً؛ فإنه يسجد للسهو.

مسؤول عن رعيته

• بعث عبد العزيز بن مروان ابنه عمر إلى المدينة يتأدب بها ويطلب العلم.. وكتب إلى صالح بن كيسان يتعاهده.. وكان يلزمه في الصلوات.. فأبطأ يوماً عن الصلاة.. فقال: ما حبسك؟ قال: كنت أمشط شعري.. فقال: بلغ من حبك لشعرك أن تؤثره على الصلاة؟! وكتب بذلك إلى والده.. فبعث أبوه رسولاً إليه فما كلَّمه حتى حلق شعره.

• وفقد عبد الملك بن مروان ولده هشاماً يوماً في صلاة جمعة.. فبعث إليه بعد الصلاة يسأله عن تغيبه..

فقال: عجزت بغلتي عن حملي.. ولم أجد دابة.. فأرسل إليه: وإذا لم تجد دابة تغيب عن الجمعة.. أقسمت عليك ألا تركب دابة سنة كاملة.

• وقال مجاهد: سمعت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ ممن شهد بدراً قال لابنه: أدركت الصلاة معنا؟ قال: نعم.. قال: أدركت التكبيرة الأولى؟ قال: لا.. قال: لما فاتك منها خير من مائة ناقة كلها سود العين..

• وكان أبو هريرة رضي الله عنه إذا خرج للصلاة.. مر ببيوت أهله يصيح ويخرجهم معه إلى المسجد.. وهو يقرأ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢].

صلاة التطوع

التطوع بالصلاة من أفضل القربات؛ قال ﷺ: «**اعلموا أن خير أعمالكم الصلاة**»[١].

۞ وصلوات التطوع نوعان:

صلوات مؤقتة بأوقات معينة، وتسمى بالنوافل المقيدة (كصلاة الضحى والوتر). صلوات غير مؤقتة بأوقات معينة، وتسمى بالنوافل المطلقة.

۞ صلاة الوتر وأحكامها:

ولسهولة فعلها وعظم أجرها، صار الذي لا يصليها مذموماً، قال الإمام أحمد: «من ترك الوتر عمداً؛ فهو رجل سوء، لا ينبغي أن تُقْبل شهادته».

ووقت الوتر يبدأ من بعد صلاة العشاء ويستمر إلى طلوع الفجر.

وأقل الوتر ركعة واحدة وأكثره (١١) ركعة ويجوز أن يزيد عليها، يصليها ركعتين ركعتين، ثم يصلي ركعة واحدة يوتر بها.

وله أن يوتر بثلاث ركعات، فيصلي ركعتين ويسلم، ثم يصلي الركعة الثالثة وحدها، ويستحب أن يقرأ في الأولى بـ﴿سَبِّحِ﴾، وفي الثانية: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾، والثالثة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

ويستحب له أن يرفع يديه ويقنت بعد الركوع في الوتر (وهو الركعة الأخيرة) فيدعو الله، ويقول: «اللهم اهدني فيمن هديت...» إلخ الدعاء الوارد.

---

(١) رواه أحمد وغيره.

صلاة التراويح وأحكامها

هي في شهر رمضان، وهي سُنّة مؤكدة، سميت تراويح لأن الناس كانوا يستريحون فيها بين كل أربع ركعات؛ لطول الصلاة، وفعلها جماعة في المسجد أفضل، قال ﷺ: «**من قام مع الإمام حتى ينصرف؛ كتب له قيام ليلة**»، وقال: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه**»(١).

أما عدد ركعاتها، فقد أخبرت عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره عن (١١) ركعة، ولكن لم يثبت فيها أمر قاطع عن النبي ﷺ، فله أن يصلي (١١) ركعة، أو (٢٣) ركعة، وله أن يزيد على ذلك.

السنن الراتبة مع الفرائض

ولها فضل عظيم، قال ﷺ: «**ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة، تطوعاً غير فريضة، إلا بنى الله له بيتاً في الجنة: أربع ركعات قبل الظهر.. وركعتين بعد الظهر.. وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء.. وركعتين قبل الصبح**»(٢).

فهذه هي السنن الرواتب، وآكدها ركعتا سنة الفجر، قال ﷺ: «**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها**»(٣).

والسُّنَّة تخفيف ركعتي سُنَّة الفجر ويقرأ في الركعة الأولى من سُنَّة الفجر بعد الفاتحة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، أو يقرأ في الأولى منهما: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.

وفي الركعة الثانية: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

وكذلك يقرأ في الركعتين بعد المغرب بالكافرون والإخلاص.

وإذا فاته شيء من هذه السنن الرواتب، فيسن له قضاؤه. وكذا إذا فاته الوتر من الليل، فإنه يسن له قضاؤه في الضحى، قال ﷺ: «**من نام عن الوتر أو نسيه، فليصله إذا أصبح أو ذكر**»[(١)]. لكنه عند قضاء الوتر يزيد فيه ركعة، فيجعله شفعاً، فإن كان يصلي دائماً خمس ركعات، فيقضيها ست ركعات، وهكذا.

صلاة الضحى

قال أبو هريرة رضي الله عنه: «أوصاني خليلي رسول الله ﷺ بثلاث: «**صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام**»[(٢)]. وسماها النبي ﷺ صلاة الأوابين (التوابين): «**صلاة الأوابين حين تُرْمَض الفصال**»[(٣)]؛ أي: حين يشتد حر الشمس؛ فتبرك الإبل الصغار من شدة الحر.

ووقت صلاة الضحى يبدأ من بعد طلوع الشمس بربع ساعة، ويمتد إلى قبيل أذان الظهر بعشر دقائق.

سجود التلاوة

• يسن عند تلاوة آية فيها سجود أثناء الصلاة أو خارجها، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**إذا قرأ ابن آدم السجدة، فسجد؛ اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله! (يعني: نفسه) أمر ابن آدم بالسجود، فسجد؛ فله الجنة؛**

---

(١) رواه الدارقطني.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه مسلم.

وأمرت بالسجود، فأبيت، فلي النار»[١].

• ويكبر إذا سجد للتلاوة؛ لحديث ابن عمر: «كان رسول الله ﷺ يقرأ علينا القرآن، فإذا مر بالسجدة؛ كبّر وسجد، وسجدنا معه»[٢]. ويقول في سجوده: «سبحان ربي الأعلى»، وإن قال: «سجد وجهي لله الذي خلقه وصوّره، وشق سمعه وبصره، بحوله وقوته، اللهم اكتب لي بها أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود» فلا بأس.

• ويستحب أن يخرّ لسجود التلاوة من قيام، لا من قعود.

التطوع المطلق

وأفضله الصلاة في الليل، فصلاة الليل أفضل من صلاة النهار.

• قال ﷺ: **«أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل»**[٣]، وقال: **«إن في الليل ساعة، لا يوافقها عبد مسلم، يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة؛ إلا أعطاه إياه»**.

وقال: **«عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم»**[٤].

ومدح الله القائمين من الليل: فقال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨].

وقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه أبو داود
(٣) رواه أصحاب السنن.
(٤) رواه الحاكم.

الأوقات المنهي عن الصلاة فيها

• هناك أوقات ورد النهي عن الصلاة فيها، وهي ثلاثة أوقات:

الأول: من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس وارتفاعها قدر رمح (أي: ينتظر بعد طلوع الشمس بمقدار ١٥ دقيقة ثم يصلي إن شاء).

والثاني: قبيل أذان الظهر لمدة عشر دقائق.

والثالث: من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس.

لقول عقبة بن عامر: «ثلاث ساعات نهانا رسول الله ﷺ أن نصلي فيهن وأن نقبر فيهن موتانا: حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تزول، وحين تتضيف الشمس للغروب حتى تغرب»[(١)].

• فهذه الأوقات لا يصلّى فيها إلا: قضاء الفريضة، وركعتا الطواف، والصلوات ذوات الأسباب؛ كصلاة الجنازة، وتحية المسجد، وصلاة الكسوف.

وجوب صلاة الجماعة وفضلها

• قال ﷺ: «**صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما، لأتوهما ولو حبواً**»[(٣)].

• وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل يقوم الليل ويصوم النهار ولا يحضر جمعة ولا جماعة، فقال: «هو في النار».

وتسقط صلاة الجماعة عن أصحاب الأعذار، كالمريض.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

كاد يحرق بيوتهم

• في الصحيحين: أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب.. ثم آمر بالصلاة فيؤذنَ لها.. ثم آمرَ رجلاً فيؤمَ الناس.. ثم أخالفَ إلى رجال فأحرقَ عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء**»..

فقام ابن أم مكتوم الأعمى رضي الله عنه فقال: يا رسول الله! يا رسول الله! إني رجل ضرير البصر.. شاسع الدار.. وليس لي قائد يلائمني.. فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي.. قال: «**أتسمع النداء**»؟

قال: نعم.. قال: «**فاحضرها**».. قال: يا رسول الله.. إن بيني وبينها نخلاً وشجراً.. وليس لي قائد.. قال: «**أتسمع الإقامة**»؟

قال: نعم.. قال: «**فاحضرها**» ولم يرخص له..

• وروى مسلم: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن.. فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى.. وإنهن من سنن الهدى.. ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته.. لتركتم سُنَّة نبيكم.. ولو تركتم سُنَّة نبيكم لضللتم.. ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق.. ولقد كان الرجل يؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف.

صلاة المسافر

• المسافر يشرع له قصر الصلاة الرباعية من أربع إلى ركعتين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النساء: ١٠١].

• ويقصر المسافر الصلاة، ولو كان يتكرر سفره؛ كصاحب البريد وسيارة الأجرة.

• ويجوز للمسافر الجمع بين الظهر والعصر، والجمع بين المغرب والعشاء؛ في وقت إحداهما؛ فكل مسافر يجوز له القصر فإنه يجوز له الجمع، والأفضل ألا يجمع إلا عند الحاجة.

• إذا دخل عليه وقت الصلاة وهو في بلده وهو يريد السفر ولم يفارق البنيان فلا يترخص بأحكام السفر من قصر وجمع وإفطار في نهار رمضان، وغيرها؛ لأن الترخص يبدأ بمفارقة البنيان.

أما إذا دخل عليه وقت الصلاة وهو في بلده، لكنه قد ركب سيارته وشرع في السفر لكن لم يخرج من البلد بعد، فإنه يجوز أن يصلي خارج البلد قصراً، أو يجمعها إلى ما بعدها إن شاء.

• إذا كان المطار خارج بنيان البلد فيقصر المسافر الصلاة فيه إذا كان الحجز مؤكداً، أما إذا كان الحجز انتظاراً فلا يقصر؛ لأنه لم يجزم بالسفر، أما إذا كان المطار داخل البلد فلا يقصر الصلاة فيه سواء كان الحجز انتظاراً أو مؤكداً؛ لأنه لم يفارق البنيان.

• نية القصر لا يشترط استحضارها قبل الصلاة؛ لأن القصر هو الأصل في السفر فلا يحتاج إلى نية، كالإتمام في الحضر.

وهنا مسائل تقع للمسافر:

أ ـ إذا نوى المأموم المسافر الإتمام وصلى إمامه قصراً فيقصر مثله إن كان كلاهما مسافر.

ب ـ إذا نوى المأموم المسافر القصر وصلى إمامه إتماماً لزمه متابعة إمامه والإتمام.

جـ ـ إذا دخل المسافر في الصلاة ونسي أن ينوي القصر فيقصر سواء إماماً أو مأموماً.

د ـ إذا ائتم المسافر بإمام لا يدري هل هو مسافر أو مقيم فيلزمه ما صلى إمامه.

هـ ـ إذا ابتدأ المسافر صلاته بنية الإتمام سواء كان إماماً أو مأموماً ثم تذكر

أنه مسافر صلى قصراً (رجّحه ابن عثيمين) لأن الأصل في المسافر القصر.

و - إذا نوى المسافر القصر ثم قام إلى الثالثة ناسياً فإنه يرجع عن الثالثة، ويصلي قصراً، ثمّ يسجد للسهو بعد السلام.

• يستحب تخفيف القراءة في صلاة السفر، وكان أصحاب النبي ﷺ يقرؤون في السفر بالسور القصار.

• لا يجوز للمسافر ترك الجماعة في المسجد إذا كان نازلاً في البلد المسافر إليه سواء كان مسافراً فرداً أو كانوا جماعة، لعموم أدلة وجوب الجماعة في المسجد، ولا دليل على استثناء المسافر من وجوب صلاة الجماعة، قال ﷺ: «**من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له إلا من عذر**»[١].

• لا يصح القصر وراء الإمام المتم سواء دخل المسافر في أول الصلاة أو آخرها؛ لقوله ﷺ: «**إنما جعل الإمام ليؤتم به**»[٢].

ومن الخطأ أن بعض المسافرين يدخل مع الإمام المقيم في الرباعية في الركعتين الأخيرتين ويكتفي بهما وهذا لا يجوز، بل لا بدّ للمسافر إذا صلى خلف المقيم أن يصلي أربعاً.

• إذا دخل المسافر مع إمام يظن أنه مسافر فأدرك معه الركعتين الأخيرتين ثم علم بعد السلام أن الإمام متم، فعلى المسافر عندئذٍ أن يتم الصلاة أربعاً فوراً ويسجد للسهو بعد السلام.

• إذا كان المسافر لم يصل المغرب، ودخل مع إمام مسافر يصلي العشاء، فإنه إذا سلم الإمام قام فأتى بالثالثة، فإن كان الإمام مقيماً (يصلي العشاء أربعاً) فإنّ المأموم يجلس بعد الثالثة وينتظر حتى يسلم مع الإمام[٣].

• إذا أراد المسافر أن يصلي العشاء ركعتين، ودخل مع إمام يصلي

---

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان.

(٢) متفق عليه.

(٣) رجحه الشيخ ابن عثيمين.

المغرب، فإنه يدخل بنية العشاء، فإذا سلم الإمام قام وأتى بركعة رابعة، ولا يصح أن يكتفي بركعتين.

صلاة الجمعة

• فضل يوم الجمعة: قال ﷺ: «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلق آدم عليه السلام، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة**»(١)، وقال ﷺ: «**من أفضل أيامكم يوم الجمعة**»(٢).

• حكمها: فرض عين على كل مكلف قادر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

فإن غاب عنها صلى الظهر أربع ركعات.

وفي صحيح مسلم أنه ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة: «**لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم**». وقال: «**من ترك ثلاث جمع تهاوناً طبع الله على قلبه**»(٣).

وقال: «**لينتهين أقوامٌ عن ترك الجمعة أو ليختمن الله على قلوبهم وليكونن من الغافلين**»(٤).

• **وقتها**: هو وقت الظهر، من زوال الشمس إلى دخول وقت العصر.

ومما ابتلي به اليوم كثير من الناس التأخر عن صلاة الجمعة، قال ﷺ: «**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح، فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً**

---

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه الخمسة.
(٤) رواه مسلم.

أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»[١]، والساعات تبدأ من طلوع الشمس، وقيل من الفجر.

وقال ﷺ: **«إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد.. ملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر»**[٢].

من أجل ذلك كان الصالحون يتسابقون إليها، ويشتغلون بالصلاة النافلة والذكر والقراءة حتى تبدأ الخطبة، وكان الصحابة، قبل صلاة الجمعة؛ منهم من يصلي عشر ركعات، ومنهم من يصلي اثنتي عشرة ركعة، ومنهم من يصلي ثماني ركعات، وليس لها راتبة قبلها محددة.

قال الإمام الزركشي: إن من أول ما أحدث المتأخرون من التغيير في صلاة الجمعة أنهم يتأخرون في المجيء إليها.. ولقد أدركنا السابقين يأتي أحدهم إلى صلاة الجمعة بيده السراج (يعني يأتي إليها قبل أن تطلع الشمس).

ومن حب الله تعالى للذين يبكرون إلى صلاة الجمعة، أنهم هم الأقرب إليه في يوم المزيد في الجنة إذا اجتمع المؤمنون ينظرون إلى ربهم جل جلاله، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

آداب الجمعة

• يستحب أن يأتي إليها (ماشياً)؛ لقوله ﷺ: **«من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكّر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها»**[٣]، ويستحب أن يشتغل في طريقه بقراءة أو ذكر.

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه الترمذي.

• ويستحب «أن يتزين بأحسن ثيابه ويتطيب»؛ لقوله ﷺ: «**من اغتسل يوم الجمعة ولبس من أحسن ثيابه ومس من طيب إذا كان عنده ثم أتى الجمعة ولم يتخط أعناق الناس ثم صلى ما كتب الله له ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يفرغ من صلاته، كان كفارة لما بينه وبين جمعته التي قبلها**»[١] وقال: صحيح على شرط مسلم.

• وإن دخل والإمام يخطب لم يجلس حتى يصلي ركعتين تحية المسجد، لحديث سليك الغطفاني أنه دخل المسجد ورسول الله ﷺ يخطب فجلس، فقال له ﷺ: «**أركعت ركعتين؟ فقل: لا، فقال: قم فاركعهما**».

• ولا يتخطى رقاب الناس؛ لأنه ﷺ رأى رجلاً يتخطى رقاب الناس، فقال له: «**اجلس فقد آذيت وآنيت (أي: تأخرت)**»[٢].

• ويستحب أن يقرأ سورة الكهف يومها أو ليلتها ليغفر له ما بين الجمعتين. (ليلة الجمعة: تبدأ من مغرب يوم الخميس).

• ويكثر الدعاء في يوم الجمعة وليلتها، رجاء أن يصادف ساعة الإجابة، قال ﷺ: «**فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه وأشار بيده يقللها**»[٣].

• ويستحب كثرة الصدقة وفعل الخير يومها وليلتها.

• ويكثر الصلاة على رسول الله ﷺ في يومها وليلتها، لقوله ﷺ: «**إن من أفضل إيامكم يوم الجمعة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي**»[٤].

وقوله ﷺ: «**أكثروا علي من الصلاة ليلة الجمعة ويوم الجمعة فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً**»[٥].

---

(١) رواه ابن حبان والحاكم.
(٢) رواه ابن حبان والحاكم وصححاه.
(٣) رواه الشيخان.
(٤) رواه أبو داود.
(٥) رواه البيهقي بإسناد جيد.

• ويكره تشبيك الأصابع في طريقه إلى المسجد، وكذا سائر أنواع العبث ما دام مستمعاً للخطبة، أو منتظراً للصلاة.

• إذا نعس أثناء استماع الخطبة، فيفعل كما قال ﷺ: «**إذا نعس أحدكم وهو في المسجد فليتحول من مجلسه ذلك إلى غيره**»(١).

• الاغتسال لها، وهو سُنَّة مؤكدة، ومن العلماء من يوجبه.

• سُنَّة الجمعة البعدية.. إن صلى في بيته؛ صلى ركعتين، وإن صلى في المسجد، صلى أربع ركعات.

• وتسن الصلاة على النبي ﷺ إذا سمعها من الخطيب، ولا يرفع صوته بها.

• ويستحب أن يؤمن على دعاء الخطيب بلا رفع صوت.

• ومن دخل والإمام يخطب؛ فإنه لا يسلم، بل ينتهي إلى الصف بسكينة، ويصلي ركعتين ويجلس لاستماع الخطبة، ولا يصافح من بجانبه.

• ويحب الإنصات ولا يجوز الكلام والإمام يخطب، قال ﷺ: «**إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب؛ فقد لغوت**»(٢).

ويجوز للإمام أن يكلم بعض المأمومين حال الخطبة، ولا يجوز العبث حال الخطبة بيد أو ظفر أو لحية أو ثوب أو فرش؛ لقوله ﷺ: «**مَن مس الحصا؛ فقد لغا، ومن لغا، فلا جمعة له**»(٣).

• وكذلك لا ينبغي له أن يتلفت يميناً وشمالاً، ويشتغل بالنظر إلى الناس؛ لأن ذلك يشغله عن الخطبة، ولكن ليتجه إلى الخطيب.

• وإذا عطس؛ فإنه يحمد الله سراً بينه وبين نفسه.

ويجوز الكلام إذا جلس الإمام بين الخطبتين، لمصلحة.

---

(١) أبو داود والترمذي، صحيح.

(٢) متفق عليه.

(٣) صححه الترمذي.

• ومن خرجوا إلى البَر في نزهة أو غيرها، ولم يكن حولهم مسجد تقام فيه الجمعة، فلا جمعة عليهم، ويصلونها ظهراً مهما كان عددهم؛ لأنه يشترط للجمعة أن يكونوا مستوطنين.

• ومن جاء متأخراً، فأدرك مع الإمام من صلاة الجمعة ركعة؛ أتمها جمعة، وإن أدرك أقل من ركعة؛ كالتشهد الأخير، أو السجدتين، فقد فاتته صلاة الجمعة، فيدخل معه بنية الظهر، فإذا سلم الإمام، أتمها ظهراً أربع ركعات.

• ويشترط لصحة صلاة الجمعة تقدم خطبتين.

• وليس من شرط الخطبتين أن تكونا طويلتين منفصلتين، بل أقل شيء أن يوجد فيهما حمد الله، والشهادتان، والصلاة على رسوله، والوصية بتقوى الله، والموعظة، وقراءة شيء من القرآن، ولو آية.

• ويسن للخطيب أن يسهل خطبته للفهم، ويخاطب الناس على قدر عقولهم، فإذا صعد المنبر سلَّم على المأمومين ثم يجلس إلى فراغ المؤذن، ويخطب قائماً، ويجلس بين الخطبتين، ولا يكثر الالتفات عن جانبيه أثناء الخطبة؛ لأنه ﷺ كان يقصد تلقاء وجهه في الخطبة، ويستقبله الحاضرون بوجوههم، ويسن أن يختصر الخطبة اختصاراً معتدلاً، بحيث لا يملوا، ويسن أن يرفع صوته بها؛ لأنه ﷺ كان إذا خطب؛ علا صوته، واشتد غضبه، ولأن ذلك أوقع في النفوس، وأبلغ في الوعظ، ويسن أن يدعو للمسلمين بما فيه صلاح دينهم ودنياهم، فإذا فرغ من الخطبتين تقام الصلاة مباشرة.

• وصلاة الجمعة ركعتان، يجهر فيهما بالقراءة، ويسن أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ وفي الثانية ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾، أو يقرأ في الأولى سورة (الجمعة)، وفي الثانية سورة (المنافقون).

(٧٠) سنة لم تفته صلاة

• كان سعيد بن عبد العزيز إذا فاتته صلاة الجماعة بكى..

• وسعيد بن المسيب: ما نودي للصلاة منذ أربعين سنة إلا وهو في المسجد.

• والأعمش كان قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى.

• وسئل سليمان المقدسي عن صلاة الجماعة وقد قارب عمره التسعين.. فقال: لم أصلّ الفريضة قط منفرداً إلا مرتين وكأني لم أصلهما قط..

• وقال حاتم الأصم: فاتتني صلاة الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده.. ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف..

• وكان الربيع بن خثيم بعدما شُلّ جسده وأصابه الفالج.. يُحمل بين رجلين إلى مسجد قومه.. وكان أصحابه يقولون: يا أبا يزيد.. لقد رخص الله لك لو صليت في بيتك.. فيقول: إني سمعته ينادي: حي على الفلاح.. فمن سمعه منكم ينادي حي على الفلاح.. فليجبه ولو زحفاً ولو حبواً..

صلاة العيدين

• ليس في الإسلام إلا عيدان: عيد الفطر، وعيد الأضحى.. ولا تجوز الزيادة على هذين العيدين بإحداث أعياد أخرى كعيد الأم وعيد المعلم وعيد الحب وغيرها، بل هذا ابتداع في الدين، وتشبه بالكافرين، سواء سميت أعياداً أو أياماً، وقد قال ﷺ: «**مَن تشبّه بقوم، فهو منهم**»[١].

• ودليل مشروعية صلاة العيد: قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢]؛ أي: صلِّ العيد ثم انحر أضحيتك.

---

(١) رواه أحمد.

• وأول صلاة عيد صلاها النبي ﷺ في يوم الفطر من السنة الثانية للهجرة، ولم يتركها ﷺ حتى مات.

• والسُّنَّة أن تصلي العيد في صحراء قريبة من البلد؛ لأن النبي ﷺ كان يصلي العيدين في المصلى الذي على باب المدينة، إلا في مكة؛ فإنها تصلى في المسجد الحرام، والمأموم إذا حضر لصلاتها في مصلى بالصحراء فيجلس مباشرة دون تحية مسجد إلى أن يحضر الإمام، أما إن صلاها في مسجد فيصلي ركعتين تحية للمسجد قبل الجلوس.

• ويبدأ وقت صلاة العيد من بعد طلوع الشمس بربع ساعة، ويمتد وقتها إلى زوال الشمس (وقت الظهر)، ويسن التبكير بوقت صلاة عيد الأضحى ليفرغ الناس بعد الصلاة لذبح أضاحيهم، وتأخير إقامة صلاة عيد الفطر ليتسع الوقت لإخراج زكاة الفطر قبلها.

• ويسن أن يأكل قبل الخروج لصلاة عيد الفطر تمرات، وأن لا يأكل يوم الأضحى حتى يصلي العيد، فقد كان ﷺ: «**لا يخرج يوم الفطر حتى يفطر، ولا يطعم يوم النحر حتى يصلي**»(١).

• ويسن أن يتجمل للصلاة، وكانت للنبي ﷺ حلة يلبسها في العيدين ويوم الجمعة وكان ابن عباس يلبس في العيدين أحسن ثيابه.

• ويشترط لصلاة العيد الاستيطان؛ بأن يكون الذين يقيمونها مستوطنين في مساكن مبنية، كما في صلاة الجمعة؛ فلو كان قوم في نزهة وحضرت صلاة العيد لم يصح أن يصلوها.

• وصلاة العيد ركعتان قبل الخطبة بدون أذان ولا إقامة، فقد «**كان ﷺ وخلفاؤه يصلون العيدين قبل الخطبة**»(٢)، والخطبة بعد صلاة العيد سُنّة، والاستماع إليها سُنّة أيضاً.

• وكيفية الصلاة أن يكبّر للإحرام.. ثم يقرأ دعاء الاستفتاح، ثم يكبّر

---

(١) رواه أحمد وغيره.

(٢) متفق عليه.

ست تكبيرات؛ فتكبيرة الإحرام ركن، وبقية التكبيرات سُنّة، ثم يقرأ الفاتحة، وفي الركعة الثانية يكبّر قبل القراءة خمس تكبيرات ويرفع يديه مع كل تكبيرة؛ لأنه ﷺ كان يرفع يديه مع التكبير، قال ابن القيم: «كان ﷺ يسكت بين كل تكبيرتين سكتة يسيرة، ولم يحفظ عنه ذكر معين بين التكبيرات».

• وإن دخل المأموم مع الإمام بعدها شرع في القراءة؛ فيكبر تكبيرة واحدة فقط للإحرام.

• وصلاة العيد ركعتان، يجهر الإمام فيهما بالقراءة، وكان ﷺ يقرأ في الأولى ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ وفي الثانية ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾[1]، أو يقرأ في الأولى بسورة ﴿قٓ﴾، وفي الثانية بسورة ﴿ٱلْقَمَرُ﴾[2].

• فإذا سلَّم من الصلاة؛ خطب خطبتين، يجلس بينهما، ثم ينصرف الناس، وليس لصلاة العيد سُنَّة بعدية.

• ويستحب حضور النساء لصلاة العيد.

• ومن فاتته صلاة العيد أو فاته بعضها، فإنه يقضيها ركعتين؛ بتكبيراتها، فإن جاء والإمام يخطب؛ جلس لاستماع الخطبة، فإذا انتهت؛ صلاها، ولا بأس بقضائها منفرداً أو مع جماعة.

• ويسن في العيدين الإكثار من التكبير يرفع به صوته، ففي عيد الفطر: يبدأ التكبير ليلة العيد (من بعد مغرب اليوم الذي قبله)، وينتهي ببداية صلاة العيد؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ويجهر بالتكبير في البيوت والأسواق والمساجد وفي كل موضع يجوز فيه ذكر الله تعالى، ويجهر به في الخروج إلى المصلى؛ وكان ابن عمر إذا غدا يوم العيد؛ يجهر بالتكبير، حتى يأتي المصلى، ثم يكبر حتى يأتي الإمام.

• وفي عيد الأضحى: يبدأ التكبير من أول أيام شهر ذي الحجة في كل

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه مسلم.

وقت، ويتأكد بعد كل صلاة فريضة كلّ شخص يكبّر بنفسه من غير أن يكون جماعياً بلفظ واحد، لكنه بعد صلاة الفجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق (١٣ ذي الحجة) يكون التكبير مقيداً (أي: بعد الصلوات المفروضة فقط). وهذه الصيغة من التكبير عامة للحاج وغيره.

لكن الحاج؛ يبتدئ تكبيره المقيد من صلاة الظهر يوم العيد إلى عصر آخر أيام التشريق (١٣ ذو الحجة)؛ لأنه قبل ذلك مشغول بالتلبية، وصيغة التكبير أن يقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

• ولا بأس في العيدين، بتهنئة الناس بعضهم بعضاً.

صلاة الكسوف

• صلاة الكسوف سُنّة مؤكدة باتفاق العلماء، ولما كسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ، خرج إلى المسجد مسرعاً فزعاً، فصلى بالناس، وأخبرهم أن الكسوف آية من آيات الله، يخوف الله به عباده، وأنه قد يكون سبب نزول عذاب بالناس، فأمر بالصلاة عند حصوله والدعاء والاستغفار والصدقة.

• ووقت صلاة الكسوف من ابتداء الكسوف إلى انتهائه؛ لقوله ﷺ: «**وإذا رأيتم شيئاً من ذلك، فصلوا حتى ينجلي**»[١].

وإذا لم يعلموا بالكسوف إلا بعد انتهائه، فلا يشرع لهم أن يصلوا لفوات وقت الصلاة.

• وصفة صلاة الكسوف أن يصلي ركعتين يجهر فيهما بالقراءة، يقرأ في الأولى الفاتحة وسورة طويلة كسورة البقرة أو نحوها، ثم يركع ركوعاً طويلاً قريباً من طول قيامه، ثم يرفع رأسه قائلاً: «**سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد**»، ثم يقرأ الفاتحة وسورة طويلة أقصر من الأولى، ثم يركع فيطيل الركوع، ثم يرفع رأسه قائلاً: «**سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد حمداً**

---

(١) رواه مسلم.

كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السمٰوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد» ثم يسجد سجدتين طويلتين، ولا يطيل الجلوس بين السجدتين، ثم يصلي الركعة الثانية كالأولى بركوعين طويلين وسجودين طويلين مثلما فعل في الركعة الأولى، ثم يتشهد ويسلم، وتصلى في جماعة، ويجوز أن تصلى فرادى.

• فإذا انتهت الصلاة قبل أن ينجلي الكسوف، اشتغلوا بالذكر والدعاء، وإن انجلى الكسوف وهو في الصلاة؛ أتمها خفيفة، ولا يقطعها.

(٦٠) سنة ما سها في صلاة

• كان علي بن الحسين رضي الله عنهما: إذا توضأ أخذته رعدة وتصبب عرقاً.. فيسألونه عن ذلك؟ فيقول: ويلكم.. أتدرون بين يدي من سوف أقوم!!

• أما مسلم بن يسار.. فقال عنه بعض أصحابه: ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتاً في صلاته قط.. خفيفة ولا طويلة.. ولقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدته وإنه لفي المسجد في صلاة ما التفت إليهم..

• وقال ابن سيرين: رأيت مسلم بن يسار رفع رأسه من السجود في المسجد فنظرت إلى موضع سجوده كأنه صب فيه الماء من كثرة دموعه.

• وقال ابن عون: رأيت مسلم بن يسار يصلي كأنه وتد.. لا يميل على قدم مرة ولا على قدم مرة.. ولا يتحرك له ثوب.

• وكثير الحمصي.. أمّ أهل حمص ستين سنة كاملة.. ولم يسهُ في صلاة قط.. فسئل عن ذلك.. فقال: «ما دخلت من باب المسجد قط وفي نفسي غير الله».

صلاة الاستسقاء

• الاستسقاء هنا هو طلب السقي (المطر) من الله تعالى، ويشرع الاستسقاء إذا أجدبت الأرض وانحبس المطر.

● وحكم صلاة الاستسقاء أنها سُنَّة مؤكدة كما ثبت في الصحيحين.

● وصفة صلاة الاستسقاء: يستحب فعلها في المصلى (أي: في الصحراء خارج البلد) كصلاة العيد، وأحكامها كأحكام صلاة العيد في عدد الركعات والتكبيرات والجهر بالقراءة، وفي كونها تصلى قبل الخطبة كصلاة العيد تماماً.

● وينبغي أن يكثر الإمام في خطبة الاستسقاء من الاستغفار والدعاء ويرفع يديه؛ لأنه ﷺ كان يرفع يديه في دعائه بالاستسقاء.

● ويسن أن يستقبل الإمام القبلة في آخر الدعاء، ويقلب رداءه؛ فيجعل اليمين على الشمال والشمال على اليمين، فيكون باطنُ الرداء ظاهراً والظاهرُ باطناً، ويفعل المأمومون ذلك أيضاً بأرديتهم ونحوها، والحكمة في ذلك التفاؤل بتحويل الحال عما هي عليه من الشدة إلى الرخاء، ثم إن سقى الله المسلمين، وإلا أعادوا الاستسقاء ثانياً وثالثاً؛ لأن الحاجة داعية إلى ذلك.

أحكام الجنائز

يسن الإكثار من ذكر الموت والاستعداد له بالتوبة ورد المظالم لأصحابها، قال ﷺ: **«أكثروا من ذكر هادم اللذات»**[1].

۞ أولاً: أحكام المريض، والمحتضر:

● إذا أصيب الإنسان بمرض، فعليه أن يصبر ويحتسب، ولا يجوز التداوي بمحرم لقوله ﷺ: **«إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم»**، وقال في الخمر: **«إنه ليس بدواء ولكنه داء»**، ومن الحرام التداوي عند المشعوذين والكهان والسحرة والمستخدمين للجن، فعقيدة المسلم أهم عنده من صحته.

● وتسن عيادة المرضى، ولا يطيل الجلوس عنده، إلا إذا كان المريض

---

(١) رواه الحاكم وصححه.

يرغب ذلك، ويقول للمريض: (لا بأس عليك، طهور إن شاء الله)، ويدخل عليه السرور، ويدعو له بالشفاء، ويرقيه بالقرآن، لا سيما سورة الفاتحة والإخلاص والمعوذتين.

• ويسن للمرء أن يكتب وصيته، ويوصي بشيء من ماله في أعمال الخير، ويبين ما له وما عليه من الديون، لقوله ﷺ: «**ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي به يبيت ليلتين ألا ووصيته مكتوبة عنده**»(١).

• فإذا احتضر المريض، فيسن لمن حضره أن يلقنه لا إله إلا الله، رفق ولين، ولا يكثر عليه؛ لقوله ﷺ: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**»(٢)، وقال: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، دخل الجنة**»(٣)، ويستحب أن يوجه المحتضر للقبلة.

۞ ثانياً: أحكام الوفاة:

• فإذا مات الشخص يستحب لمن عنده تغميض عينيه لأن النبي ﷺ أغمض عيني أبي سلمة رضي الله عنه لما مات، وقال: «**إن الروح إذا قبض، تبعه البصر، فلا تقولوا إلا خيراً، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون**»(٤).

• ويسن ستر الميت بعد وفاته بثوب، قالت عائشة: «لما توفي النبي ﷺ سُجِّي ببرد حبرة»(٥).

• وينبغي الإسراع في تجهيزه إذا تأكد موته؛ لقوله ﷺ: «**لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهله**»(٦).

• ويستحب الإسراع بتنفيذ وصيته، وقضاء ديونه، سواء كانت لله تعالى من زكاة وحج أو كفارة، أو كانت للخلق من أمانات وديون.

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه مسلم.
(٥) متفق عليه.
(٦) رواه أبو داود.

ثالثاً: تغسيل الميت:

الرجل يغسله الرجال، والمرأة تغسلها النساء، إلا أنه يجوز للمرأة أن تغسل زوجها، وللرجل أن يغسل زوجته.

• ولا يجوز لمسلم أن يغسل كافراً أو يحمل جنازته أو يكفنه أو يصلي عليه أو يتبع جنازته، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ . . .﴾ [التوبة: ٨٤]، ولا يدفنه، لكن إذا لم يوجد من يدفنه من الكفار، فإن المسلم يواريه، بأن يلقيه في حفرة، منعاً للتضرر بجثته؛ ولأن النبي ﷺ ألقى قتلى المشركين في معركة بدر في البئر.

وكيفية التغسيل كالتالي:

• يسن عند تغسيل الميت أن يستر عورته بخرقة أو نحوها، وينزع ثيابه، ثم يرفع رأسه وظهره كهيئة الجالس، ويعصر بطنه ليخرج الأذى منه، ويُكثر صب الماء حينئذٍ ليذهب ما يخرج من الأذى.

• ثم يلف الغاسل على يديه خرقة فيغسل بها فرج الميت دون أن يرى عورته أو يمسها، ثم يسمي ويوضئه كوضوء الصلاة، ولكن لا يُدخل الماء في أنفه وفمه، بل يُدخل الغاسل أصبعه ملفوفاً به خرقة مبلولة بين شفتي الميت فيمسح أسنانه، وفي منخريه فينظفهما، ثم يغسل برغوة السدر رأسه ولحيته وبقية جسده.

• ثم يغسل جانبه الأيمن من جهة الأمام والخلف، ثم الأيسر كذلك، وللغاسل أن يزيد في الغسلات على (٣) مرات عند الحاجة.

• يسن أن يجعل في الغسلة الأخيرة كافوراً وهو طيب معروف بارد تطرد رائحته الحشرات، أو أي طيب آخر.

• يستحب أن يُغسل الميت بماء بارد إلا إذا احتاج الغاسل للماء الحار بسبب أوساخ الجسد، ويمكن استعمال الصابون لإزالة الوسخ، ولكن يفركه بلطف.

• يستحب قص شارب الميت وشعر الإبط إن كان طويلاً، وتقليم أظافره.

شعر المرأة يضفر ثلاث ضفائر ويُسدل وراء ظهرها.

• يستحب أن ينشف الميت بعد غسله.

• إذا خرج من الميت بول أو غائط أو دم ولم ينقطع مع تكرار الغسل، فإنه يُسَدّ فرجه بقطن، ثم يُوضأ الميت، أما إن خرج شيء بعد تكفينه، فلا يُعاد غسله للمشقة، وإنما يغسل مكان الخارج، ويزال ما أصاب الكفن.

• **«إذا مات الحاج أو المعتمر أثناء إحرامه فيُغسل ولكن لا يُطيب ولا يُغطى رأسه فإنه يُبْعث يوم القيامة ملبياً»**(١).

• شهيد المعركة لا يُغسل؛ لأنه ﷺ **«أمر بقتلى أُحُد أن يُدْفنوا في ثيابهم وألا يُغسلوا»**(٢)، ولا يُصلى عليه لأنه ﷺ **«لم يصل على شهداء أُحُد»**(٣).

• أما السقط وهو الجنين الذي يسقط من بطن أمه أثناء حملها به، إذا كان قد تم له في بطن أمه أربعة أشهر فيُغسل ويُصلى عليه ويُسَمى؛ لقوله ﷺ: **«إن أحدكم يكون في بطن أمه أربعون يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يُرْسل له المَلَك فينفخ فيه الروح»**(٤)؛ أي: بعد أربعة أشهر، أما قبلها فهو قطعة لحم يُدْفن في أي مكان بلا غسل ولا صلاة.

• من تعذر غسله إما لعدم وجود الماء، أو لتمزقه، أو احتراقه، فإنه يُيَمم؛ أي: يضرب المغسِّل بيده التراب ويمسح بهما وجه الميت وكفيه.

۞ رابعاً: أحكام التكفين:

• يكفن الرجل في ثلاث لفائف بيضاء؛ لأن النبي ﷺ كُفّن في ثلاث لفائف بيض وطُيِّب بالبخور، فتُبْسط بعضها فوق بعض، ويُجعل الطيب بينها، ثم يوضع الميت عليها مستلقياً على ظهره، مستورة عورته بخرقة، ويوضع قطن

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه البخاري.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه مسلم.

مطيّب تحت مقعدته لئلا تخرج رائحة كريهة، وإن ربط خرقة عليها قطن تغطي عورة الميت وأدارها على فرجيه فهو حسن.

• يستبح أن يجعل الطيب على عيني الميت وأنفه وشفتيه وأذنيه، ومواضع سجوده، وإن طُيب جميع بدنه فحسن.

• يبدأ في تكفينه فيطوي طرف اللفافة الأولى على جنبه الأيمن، ثم طرفها الآخر على جنبه الأيسر، ثم يطوي اللفافة الثانية كالأولى، ثم الثالثة كذلك، تسحب الخرقة التي تستر عورته، ثم تربط العُقَد السبع على الكفن، ثم تحل العقد في القبر، وإن كانت العقد أقل من سبع جاز.

• المرأة تكفن في خمسة أثواب: إزار يغطي أسفل البدن وخمار يغطي الرأس، وقميص (وهو كالثوب ولكن مفتوح الجانبين)، ولفافتان تعمان جميع الجسد. (ولو كفنت كالرجل جاز ذلك).

۞ خامساً: أحكام الصلاة على الميت:

• قال ﷺ: «**من شهد الجنازة حتى يصلي عليها، فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن، فله قيراطان. قيل: وما القيراطان، قال: مثل الجبلين العظيمين**»[1].

• الصلاة على الجنازة فرض كفاية؛ أي: يكفي أن يقوم به بعض المسلمين.

• يكبر أربع تكبيرات، يتعوذ بعد التكبيرة الأولى ويقرأ الفاتحة، وبعد الثانية يقرأ الصلاة على النبي ﷺ: «**اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»، وبعد التكبيرة الثالثة يدعو للميت، ومن ذلك: «**اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعفُ عنه، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله**

(١) متفق عليه.

الجنة، وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار»[١]، أما الطفل الميت فيدعو له ولوالديه.

● بعد التكبيرة الرابعة يسكت قليلاً، ثم يُسَلم عن يمينه تسليمة واحدة، ويجوز أن يسلم تسليمة ثانية عن يساره، ويرفع المصلي يديه مع كل تكبيرة.

● من فاتته الصلاة على الميت جاز أن يصلي عليه بعد دفنه؛ أي: يجعل القبر بينه وبين القبلة ويصلي عليه كما يصلي على الجنازة؛ لفعله ﷺ[٢].

● من فاتته بعض الصلاة على الجنازة، ودخل مع الإمام في أثنائها، فإنه إذا سلم الإمام قضى ما فاته على صفته، وإن خشي أن ترفع الجنازة، تابع التكبيرات (أي: بدون فصل بينها)، ثم سلم.

۞ سادساً: حمل الميت ودفنه:

● يسن الإسراع بالجنازة برفق؛ لقوله ﷺ: **«أسرعوا بالجنازة، فإن تك صالحة، فخير تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك، فشرٌ تضعونه عن رقابكم»**[٣]. ويكون على حامليها ومشيعيها السكينة، ولا يرفعون أصواتهم، ولا بقراءة ولا ذكر.

● يجوز أن يمشي الناس أمام الجنازة، أو خلفها، وعن يمينها وشمالها، ويكره لمن يتبع الجنازة أن يجلس قبل أن توضع الجنازة على الأرض؛ لنهي النبي ﷺ عن ذلك.

● هناك ثلاثة أوقات نهى النبي ﷺ عن الدفن فيها: وقت طلوع الشمس حتى ترتفع، وقبل أذان الظهر بعشر دقائق، وحين تبدأ الشمس بالغروب حتى تغرب، قال عقبة بن عامر رضي الله عنه: «ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نصلي فيهن أو أن نقبر فيهن موتانا: حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس، وحين تضيّف الشمس للغروب

---

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه.

حتى تغرب»[١]. ويجوز الدفن في الليل.

• يسن أن يُدْخل الميت القبر من عند رجليه إلى القبر، فإذا لم يكن أدخل من جهة القبلة، ويقول من يُدخل الميت في قبره: «بسم الله وعلى ملة رسول الله»[٢].

• اللحد أفضل من الشق، قال ﷺ: «**اللحد لنا والشق لغيرنا**»[٣]. واللحد هو أن يُحفر للميت في قاع القبر حفرة من جهة القبلة يوضع فيها، والشق هو أن يحفر له حفرة وسط قاع القبر، ويسن تعميق القبر ليأمن على الميت من السّباع، ومن خروجه رائحته.

• يسن وضع الميت في قبره على شقه الأيمن مستقبلاً القبلة.

• يسن أن يُرْفع القبر مقدار شبر ليُعلم أنه قبر فلا يُهَان، ويكون مُسَنماً؛ أي: على هيئة سنام البعير، ويضع على قبره حجراً جهة الرأس ليعرف، كما فعل ﷺ بقبر عثمان بن مظعون رضي الله عنه[٤].

• يحرم البناء على القبر، والكتابة عليه، وتحرم إهانة القبور بالمشي عليها ووطئها بالنعال والجلوس عليها لما روى مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: «**لأن يجلس أحدكم على جمرة، فتحرق ثيابه، فتخلص إلى جلده خير من أن يجلس على قبر**».

• الأصل أن يدفن كل ميت في قبر بمفرده، ولكن عند الضرورة يجوز دفن الاثنين والثلاثة في قبر واحد، كما في حالة كثرة الموتى وقلة من يدفنهم، كما فعل بشهداء أُحُد، ويجعل بين كل اثنين حاجزاً من التراب.

• ويستحب إذا فرغ من دفنه أن يقف المسلمون على قبره ويدعون له ويستغفرون له لأنه عليه الصلاة والسلام كان إذا فرغ من دفن الميت، وقف

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) رواه أبو داود.
(٤) رواه أبو داود.

عليه، وقال: «**استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل**»[١]. وأما قراءة شيء من القرآن عند القبر، فإن هذا بدعة؛ لم يفعله النبي ﷺ ولا صحابته.

• ويحرم إسراج القبور؛ أي: إضاءتها بالأنوار الكهربائية وغيرها، ويحرم بناء المساجد عليها، والصلاة عندها.

۞ سابعاً: أحكام التعزية وزيارة القبور:

• تسن تعزية المصاب بالميت، وحثه على الصبر والدعاء للميت؛ لقوله ﷺ: «**ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة، إلا كساه الله من حُلل الكرامة يوم القيامة**»[٢]. فيقول في التعزية: «**إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلّ شيء عنده بأجل مسمّى، اصبر واحتسب**» أو يقول: «**أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك**».

• يجوز البكاء اليسير على الميت، ولكن بلا نياحة أو صراخ؛ لأنه ﷺ دمعت عيناه لما مات ابنه إبراهيم.

• يجوز للمصاب بالميت أن يحد على الميت؛ أي: يترك تجارته أو الخروج للنزهة أو نحو ذلك حزناً على الميت، ويكون ذلك لثلاثة أيام فقط، إلا الزوجة على زوجها، فيجب عليها أن تحد على زوجها مدة العدة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام إن لم تكن حاملاً، أما الحامل فتحد على زوجها إلى أن تلد.

• ولا ينبغي الجلوس للعزاء والإعلان عن ذلك كما يفعل بعضهم اليوم، ويستحب أن يعد لأهل الميت طعام يُبعث به إليهم؛ لقوله ﷺ: «**اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد جاءهم ما يشغلهم**»[٣].

وما يفعله بعض الناس من أن أهل البيت يهيئون مكاناً لاجتماع الناس

---

(١) رواه أبو داود.
(٢) رواه ابن ماجه بسند حسن.
(٣) رواه أحمد والترمذي وحسنه.

عندهم، ويصنعون الطعام، ويستأجرون المقرئين لتلاوة القرآن، ويتحملون تكاليف مالية، فهذه مآتم محرمة مبتدعة، قال جرير بن عبد الله ﷺ: «كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام بعد دفنه من النياحة»[١].

• تسن زيارة الرجال فقط للقبور للعبرة والاتعاظ، قال ﷺ: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنها تذكركم الآخرة**»[٢].

• ويقول زائر المقبرة: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»[٣].

• **زيارة القبور تستحب بثلاثة شروط:**

١ ـ أن يكون الزائر من الرجال لا النساء؛ لأن النبي ﷺ «**لعن زوارات القبور**»[٤].

٢ ـ أن تكون بدون سفر؛ لقوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»[٥].

٣ ـ أن يكون القصد منها الاعتبار والدعاء للأموات، أما الذي يتبرك بالقبور والأضرحة ويطلب قضاء الحاجات من الموتى فهذه زيارة بدعية شركية.

على فراش الموت

• لما نزل الموت بالعابد الزاهد عبد الله بن إدريس.. اشتد عليه الكرب.. فلما أخذ يشهق.. بكت ابنته.. فقال: يا بنيتي.. لا تبكي.. فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة.. كلها لأجل هذا المصرع.

• أما عامر بن عبد الله بن الزبير.. فلقد كان على فراش الموت.. يعد

---

(١) رواه أحمد ورجاله ثقات.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه الترمذي وابن ماجه.
(٥) متفق عليه.

أنفاس الحياة.. وأهله حوله يبكون.. فبينما هو يصارع الموت.. سمع المؤذن ينادي لصلاة المغرب.. ونفسه تحشرج في حلقه.. وقد اشتدّ نزعه.. وعظم كربه.. فلما سمع النداء قال لمن حوله: خذوا بيدي..!! قالوا: إلى أين؟.. قال: إلى المسجد.. قالوا: وأنت على هذه الحال!! قال: سبحان الله..!! أسمع منادي الصلاة ولا أجيبه.. خذوا بيدي.. فحملوه بين رجلين.. فصلى ركعة مع الإمام.. ثم مات في سجوده.. نعم.. مات وهو ساجد..

• احتضر عبد الرحمٰن بن الأسود.. فبكى.. فقيل له: ما يبكيك!! وأنت.. أنت.. يعني في العبادة والخشوع.. والزهد والخضوع.. فقال: أبكي والله.. أسفاً على الصلاة والصوم.. ثم لم يزل يتلو حتى مات..

• أما يزيد الرقاشي فإنه لما نزل به الموت.. أخذ يبكي ويقول: مَن يصلي لك يا يزيد إذا متّ؟ ومن يصوم لك؟ ومن يستغفر لك من الذنوب.. ثم تشهد ومات..

أحكام الزكاة

• الزكاة أحد أركان الإسلام، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ١١٠]، فرضت في السنة الثانية للهجرة.

• روى البخاري أنه ﷺ قال: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثّل له ماله شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه (يعني بطرفي فمه) يقول: أنا مالك أنا كنزك ثم تلا هذه الآية:** ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠]».

• وروى مسلم أنه ﷺ قال: «**ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي حقها إلا أقعد لها يوم القيامة بقاع قرقر تطؤه ذات الظلف بظلفها وتنطحه ذات القرن بقرنها ليس فيها يومئذٍ جماء (لا قرن لها) ولا مكسورة القرن، قلنا:**

يا رسول الله وما حقها؟ قالَ: إطراق فحلها وإعارة دلوها ومنيحتها وحلبها على الماء وحمل عليها في سبيل الله، ولا من صاحب مالٍ يؤدي زكاته إلا تحول يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبع صاحبه حيثما ذهب وهو يفر منه ويقال: هذا مالك الذي كانت تبخل به فإذا رأى أنه لا بدّ منه أدخل يده في فيه فجعل يقضمها كما يقضم الفحل».

- **وتجب الزكاة على الشخص إذا توفرت فيه شروط خمسة:**

أحدها: الحرية، فلا تجب على عبد مملوك.

الثاني: أن يكون صاحب المال مسلماً.

الثالث: امتلاك النصاب وهو قدر معلوم من المال يأتي تفصيله.

الرابع: استقرار الملكية، فإذا كان ماله محجوزاً عند أحد، أو كان هو ممنوعاً من التصرف في ماله، فلا زكاة عليه.

الخامس: مضي الحول على المال، إلا الخارج من الأرض كالحبوب والثمار، فتجب فيه الزكاة عند حصاده.

زكاة بهيمة الأنعام

- فتجب الزكاة في الإبل والبقر والغنم بشرطين:

الأول: أن تتخذ للاستفادة من لبنها، وتكاثرها.

الثاني: أن تكون ترعى من العشب في الصحراء السنة كلها أو أكثرها، أما إن كان يعلفها السنة أو أكثر السنة، فليس فيها زكاة.

زكاة الذهب والفضة

- قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة: ٣٤].
- قال ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها، إلا إذا كان**

يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»[١].

• فتجب الزكاة في الذهب إذا بلغ (٨٤) غراماً، وفي الفضة إذا بلغت (٥٩٥) غراماً.

• والرجل يباح له الخاتم من الفضة، ويحرم عليه خاتم الذهب، والمرأة يجوز لها التحلي بالذهب والفضة، لقوله ﷺ: «**أحل الذهب والحرير لإناث أمتي، وحرم على ذكورها**»[٢].

• ولا زكاة في حلي النساء من الذهب والفضة إذا كان معداً للاستعمال أو للإعارة؛ لقوله ﷺ: «**ليس في الحلي زكاة**»[٣].

وأفتى بذلك جماعة من الصحابة، منهم أنس: وجابر، وابن عمر، وعائشة، وأسماء أختها.

قال أحمد: «فيه عن خمسة من أصحاب النبي ﷺ؛ ولأنه لا يقصد به النماء والزيادة، بل الاستعمال فقط كالثياب ودور السكنى، أما إن كان عند المرأة حلياً، لا تستعمله دائماً، لكنها تحتفظ به لتبيعه عند الحاجة، فهذا تجب فيه الزكاة؛ لأنه كنز (والمسألة فيها خلاف واسع بين العلماء ولو أخرجت المرأة الزكاة في جميع حُليِّها، المستعملة وغير المستعملة، احتياطاً، فلا بأس).

• **فائدة:** يحرم أن يطلى شيء من الأواني أو الأقلام، أو السيارات أو مفاتيحها بذهب أو فضة، قال ﷺ: «**الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم**».

• تجب الزكاة في الأوراق النقدية إلحاقاً لها بالذهب والفضة، مع بلوغ

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه الطبراني عن جابر بسند ضعيف.

النصاب، ومضي الحول، أما نصاب المال فقد حدده النبي ﷺ بالفضة فقال: **«ليس فيما دون خمس أواقٍ صدقة»**[١].

والخمس أواق تساوي (٥٩٥ جراماً) = (٥٩٥ ريالاً)، فإذا ملك ما لا يقل عن هذا المقدار، وحال عليه الحول، وجبت عليه الزكاة، ومقدار الزكاة الواجب إخراجها ربع العشر. أي (٢,٥٪).

• وإذا كان المال يزيد وينقص، كما هو حال أكثر الناس اليوم، فإنه يحدد تاريخاً معيناً من السنة، وكلما أتى هذا التاريخ، نظر كم يملك من المال ثم زكاه، سواء ملكه من سنة، أو شهر.

• وإذا اجتمع للشخص نقود تبلغ النصاب فعليه زكاتها، إذا حال عليها الحول، سواءً كان أعدها للنفقة، أو للتزوج، أو لشراء عقار، أو لقضاء دين، أو غير ذلك من المقاصد، لعموم الأدلة الشرعية الدالة على وجوب الزكاة في مثل هذا.

• وبعض الناس يخصص رمضان لإخراج الزكاة، ويمكن إخراجها بقية السنة، لكنهم ربطوا الزكاة برمضان حتى لا ينسوها، فإذا كان الأمر كذلك فلا حرج إن شاء الله تعالى.

• من له دين على آخر، هل تجب عليه زكاته؟ الجواب: فيه تفصيل؛ إذا كان المدين معسراً، أو كان قادراً على الوفاء لكنه مماطل لا يمكن تحصيل الدين منه، فهذا لا تجب فيه الزكاة؛ لأن الزكاة في المال، ولا مال في هذا الحال.

وإذا كان المدين يمكن تحصيل الدين منه، لكن الدائن تكاسل عن طلبه وتسلمه، فالزكاة فيه واجبة؛ لأنه قادر على تحصيل الدين فهو كأنه عنده، قال ابن عمر رضي الله عنهما: «كل دين ترجو أخذه، فإنما عليه زكاته كلما حال عليه الحول»[٢].

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه أبو عبيد، صحيح.

زكاة عروض التجارة

• وهو ما أعد للبيع والشراء لأجل الربح، سمي بذلك لأنه يعرض ليباع ويشترى، قال سمرة رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ يأمرنا أن نخرج الزكاة مما نعده للبيع»[١]. فتجب فيه الزكاة إذا حال عليه الحول، وهو ناوٍ به التجارة؛ لقوله ﷺ: **«لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول»**[٢].

• وكيفية إخراج زكاة العروض: أنها عند تمام الحول ينظر كم تساوي لو باعها، ثم يخرج زكاة القيمة، مثال: لو كان عنده بضاعة في دكان (مهما كانت هذه البضاعة: طعام، لباس، سيارات، أجهزة...) فحال عليها الحول، فينظر كم قيمتها الآن، فيزكي القيمة، فإن كانت تساوي ألف ريال أخرج ٢,٥٪ منها؛ أي: أخرج ٢٥ ريالاً.

• وما زاد ونما أثناء الحول فحوله حول أصله:

مثال (١): فتح المحل في أول السنة ووضع فيه بضاعة بألف ريال، وباع واشترى، وفي آخر السنة لزمته الزكاة فنظر كم يساوي ما في المحل فإذا هو يساوي (١٥٠٠) ريال، فيزكي (١٥٠٠) ريال.

مثال (٢): رجل عنده صيدلية، فتجب فيها الزكاة إذا حال عليها الحول، فيحسب المعروض للبيع كله بقيمته عند إخراج الزكاة، وليس بقيمة شرائه لها.

• أما الأشياء غير المعدة للبيع فلا تزكى؛ كأثاث المحل، والهاتف، والثلاجات، وسيارات الشحن وآلات المخابز، فهذه لا تجب فيها الزكاة، فيحسب التاجر ما عنده من مال، وقيمة البضاعة الموجودة المعدة للبيع فيخرج زكاتها جميعاً ٢,٥٪، وزكاة العروض لا تكون من العروض نفسه، وإنما تكون

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه ابن ماجه.

بإخراج قيمتها؛ لأن المقصود منها هو القيمة، وإن أخرج الزكاة من المعروض نفسه وكان الفقير يحتاجه، جاز.

• الأراضي والبيوت والسيارات، لا زكاة فيها، إلا إذا أعدت للتجارة بالبيع، أما إذا كانت للاقتناء والاستعمال، فلا زكاة فيها، قال ﷺ: «**ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة**»[1]. أما إذا أعد الأرض أو البيت أو السيارة للبيع فتجب الزكاة فيها بعد مضي الحول، ويبدأ حولها من حين عزمه على البيع، أما الذي يملك أرضاً ـ مثلاً ـ ويفكر في بيعها، لكنه لم يعزم على البيع، وإنما هو متردد، فمثل هذا لا تجب عليه الزكاة، وكذلك من اشترى أرضاً ونيته بيعها بعد فترة طويلة، لكنه لم يعرضها للبيع، ولم يجرِ عليها سوم، فليس عليها زكاة حتى يعرضها للبيع.

• ومن وجبت عليه الزكاة، ومات قبل إخراجها، وجب إخراجها من تركته، فلا تسقط بالموت.

• أما العمارات والمحلات والأراضي المعدة للإيجار لا للبيع، فالزكاة في أجورها إذا حال عليها الحول، أما ذاتها فليس فيها زكاة، وكذلك السيارات الخصوصية والأجرة ليس فيها زكاة إذا كانت لم تُعد للبيع، وإنما اشتراها صاحبها للاستعمال.

(٧٠٠٠) درهم.. وسجن

• ذكر في تاريخ بغداد.. أن فقيراً جاء إلى عبد الله بن المبارك.. فسأله أن يقضي عنه ديناً عليه.. فناوله عبد الله كتاباً.. إلى وكيل ماله.. فذهب به الفقير.. فلما قرأه الوكيل.. قال للفقير: كم الدين الذي سألت فيه عبد الله أن يقضيه عنك؟ قال: سبعمائة درهم.. فكتب الوكيل إلى عبد الله.. أن الرجل سألك أن تقضي عنه سبعمائة درهم.. وكتبت له سبعة آلاف.. وسوف

(١) متفق عليه.

تفنى الأموال أو فنيت.. فكتب إليه عبد الله: إن كانت الأموال قد فنيت.. فإن العمر أيضاً قد فني.. فأجز له ما سبق به قلمي.

• وكان ابن المبارك كثيراً ما يسافر إلى الرقة.. وينزل في خان فيها.. فكان شاب يأتي إليه.. ويقوم بحوائجه.. ويسمع منه الحديث.. فقدم عبد الله الرقة مرة.. فلم ير ذلك الشاب.. فسأل عنه.. فقالوا: إنه محبوس.. لدين ركبه.. فقال عبد الله: وكم مبلغ دينه؟ فقالوا: عشرة آلاف درهم.. فلم يزل عبد الله يستقصي.. حتى دُل على صاحب المال.. فدعا به ليلاً وأعطاه عشرة آلاف درهم.. وحلفه أن لا يخبر أحداً.. ما دام عبد الله حياً.. وقال له: إذا أصبحت.. فأخرج الرجل من الحبس.. ثم خرج عبد الله من ليلته من الرقة.. فلما خرج الفتى من الحبس.. قيل له: عبد الله بن المبارك كان هاهنا.. وكان يسأل عنك.. فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة.. فلما قابله.. قال له عبد الله: يا فتى. أين كنت؟ لم أرك في الخان! قال: كنت محبوساً بدين.. قال: فكيف كان سبب خلاصك؟ قال: جاء رجل فقضى ديني.. ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس.. فقال له عبد الله: أحمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك.. ثم فارقه ومضى.

زكاة الفطر

• وهي الزكاة التي تخرج قبل صلاة عيد الفطر أو قبل العيد بيوم أو يومين، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥]. «وفرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من بُر أو صاعاً من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين»(١).

• ومقدارها صاع (٢,٤ غرام، كيلوان وأربعون غراماً)، وتخرج من الطعام من غالب ما يأكله أهل البلد، أرزاً، أو بُراً، أو شعيراً، أو ذرة..

(١) متفق عليه.

• وقتها: يبدأ وقت الإخراج الأصلي بغروب الشمس ليلة العيد (بعد المغرب من آخر يوم من رمضان) ويجوز تقديم إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين، وإخراجها يوم العيد قبل صلاة العيد أفضل، ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد.

• ويخرج المسلم زكاة الفطر عن نفسه وعن من يعولهم من الزوجات والأولاد أو غيرهم كالأب والأم ونحوهما؛ لقوله ﷺ: «**أدوا الفطرة عمن تعولون**» يخرج ويستحب إخراجها عن الحمل، لفعل عثمان رضي الله عنه.

• ويجوز التبرع بإخراجها عمن لا يلزمه؛ كإخراجها عن الخادمة والسائق.

• وينبغي إخراج زكاة الفطر طعاماً كما سنّها النبي ﷺ، أما إخراج قيمتها مالاً بأن يدفع دراهم، فهو خلاف السُّنَّة، ولم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه، ولكن أجازه بعض العلماء عندما يكون الفقير أحوج إلى المال.

مصارف الزكاة

• تجب الزكاة في كل مال مملوك، حتى لو كان مالاً لصبي يتيم، أو مجنون، ويتولى إخراجها عنهما وليهما، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة: ١٠٣] أي: ادع لهم.

• الأموال التي لا مالك لها، كالأموال التي تجمع لبناء مساجد، أو دعم مشاريع خيرية فهذه لا زكاة فيها مهما بلغت ولو حال الحول.

• وعند إعطاء الزكاة للفقير لا يجب إخباره أنها زكاة، لئلا يحرجه، ولكن إن أعطاها لشخص يشك في أنه فقير فالأبرأ لذمة المعطي أن يقول: هذه زكاة، حتى إن لم يكن الآخذ مستحقاً لها ردها، أو دفعها إلى مستحقها.

• والأفضل إخراج زكاة كل مال في بلده، بأن يوزعها على فقراء ذلك

البلد الذي فيه المال، ويجوز نقلها إلى بلد آخر لمصلحة شرعية، كأن يكون له قرابة محتاجون في بلد آخر.

• ويجوز تعجيل إخراج الزكاة قبل وجوبها؛ لأن النبي ﷺ تعجل من العباس صدقة سنتين[١]، فلو جاءك فقير محتاج في شهر صفر، وزكاتك لا تحل إلا في رمضان، فيجوز أن تعطيه صدقة تنوي أنها من الزكاة، فإذا جاء رمضان خصمتها من زكاتك.

أهل الزكاة

• قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة: ٦٠].

فهؤلاء هم أهل الزكاة لا يجوز صرفها لغيرهم، وقال ﷺ: «**إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أجزاء**»[٢]، وأهل الزكاة هم:

١ ـ ٢ ـ الفقراء والمساكين، وهم من لا يجدون كفايتهم، والفقير أشد حاجة من المسكين، فيعطى الفقير أو المسكين ما يكفيه وعائلته لمدة سنة، فإن كان لا يحسن التصرف، وقد يصرف المال المخصّص لسنة في شهر، فيمكن أن تسلم لثقة يقسطها عليها طوال السنة.

أما الغني، أو القوي الذي يستطيع الاكتساب فإنها لا تحل له، لقوله ﷺ: «**لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي**»[٣].

٣ ـ العاملون عليها، وهم العمال الذين يقومون بجمع الزكاة من

---

(١) كما رواه أحمد وأبو داود.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) رواه النسائي وأحمد.

أصحابها، فيعطون من الزكاة قدر أجرة عملهم، إلا إن كان لهم رواتب من بيت المال، فلا يجوز أن يعطوا شيئاً من الزكاة، كما هو الجاري في هذا الوقت، فإن العمال يعطون من قبل الدولة، فيأخذون انتدابات على عملهم في الزكاة، فهؤلاء حرام عليهم أن يأخذوا من الزكاة شيئاً عن عملهم؛ لأنهم قد أعطوا أجرة عملهم من غيرها.

٤ ـ المؤلفة قلوبهم، وهم قسمان: كفار، ومسلمون، فالكافر يعطى من الزكاة لتحبيبه في الإسلام، أو لكف شره عن المسلمين، والمسلم يعطى من الزكاة لتقوية إيمانه وتثبيته على الدين.

٥ ـ الرقاب، وهم الأرقاء المكاتبون الذين لا يجدون وفاء، ويجوز أن يفتدى من الزكاة الأسير المسلم.

٦ ـ الغارمون، وهم نوعان:

أحدهما: غارم لغيره، وهو الغارم لإصلاح ذات البيْن، بأن يقع بين قبيلتين نزاع في أموال أو نحوها، ويحدث بسبب ذلك عداوة، فيتوسط رجل بالصلح بينهما، ويدفع مالاً من ماله ليطفئ الفتنة، فيسدد له ما غرِمه من الزكاة.

الثاني: الغارم لنفسه، كمن يكون عليه دين تحمله بسبب صحيح كعلاج أو سكن أو نحوه، ولا يقدر على تسديده، فيعطى من الزكاة ما يسدد به دينه.

الثالث: في سبيل الله، وهم المجاهدون.

الرابع: ابن السبيل، وهو المسافر المنقطع في سفره لضياع ماله أو نفاده، فيعطى ما يوصله إلى بلده.

• ويستحب دفعها إلى أقاربه المحتاجين كإخوانه وأخواته (إلا الآباء والأبناء) لقوله ﷺ: «**صدقتك على ذي القرابة صدقة وصلة**»[1]، وسألت امرأة النبي ﷺ عن بني أخ لها أيتام في حجرها، أفتعطيهم زكاتها، قال: «**نعم**»[2]،

---

(١) رواه الخمسة.

(٢) رواه البخاري.

وقال ﷺ: «الصدقة على المسكين صدقة والصدقة على ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة»[١].

أحكام الصيام

كانوا في رمضان:

• كان الصحابة في عهد عمر يصلون ثلاثاً وعشرين ركعة، ويختمون القرآن مراراً في رمضان.

• وفي الموطأ عن ابن هرمز قال: ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان.. فكان القارئ يقوم بسورة البقرة في ثماني ركعات.. فإذا قام بها في اثنتي عشرة ركعة.. رأى الناس أنه قد خفف.

• وفي الموطأ عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه قال: كنا ننصرف من القيام في رمضان.. فنستعجل الخادم بالطعام مخافة الفجر..

• وفي شعب البيهقي عن خالد بن دريك قال: كان لنا إمام بالبصرة يختم بنا في شهر رمضان في كل ثلاث.. فمرض فأمّنا غيره.. فختم بنا في كل أربع.. فرأينا أنه قد خفف.

• وقال السائب بن زيد: كان القارئ يقرأ بالمئين ـ يعني بمئات الآيات ـ حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام.. وما كنا ننصرف إلا عند الفجر.

فقارن حالهم بحالنا اليوم.

كتب عليكم الصيام

• صوم رمضان فرض، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣]،

(١) أخرجه أحمد.

وقال ﷺ: «**بُني الإسلام على خمس: ... صوم رمضان**»(١).

• فرض الصيام: الصيام يشفع للعبد يوم القيامة، يقول: «**أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه**»(٢).

و«**خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»(٣).

و«**من صام يوماً في سبيل الله باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً**»(٤).

و«**في الجنة باب يُقال له الريان يدخل منه الصائمون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد**»(٥).

• ورمضان، أُنزل فيه القرآن، وفيه ليلة خير من ألف شهر، و«**إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين**»(٦).

وصيامه يعدل صيام عشرة أشهر، و«**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٧)، و«**لله ﷻ عند كل فطر عتقاء**»(٨).

• من أفطر يوماً من رمضان بغير عذر فقد أتى كبيرة عظيمة، قال ﷺ لما ذكر رؤيته لبعض أنواع عذاب العصاة: «**حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟**

قالوا: هذا عواء أهل النار، ثم انطلق بي، فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم، مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دماء.

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه أحمد.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه البخاري.
(٦) رواه البخاري.
(٧) رواه البخاري.
(٨) رواه أحمد.

قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يُفطرون قبل تحلّة صومهم؛ أي: قبل وقت الإفطار»[١].

آداب الصيام وسننه

• الحرص على السحور وتأخيره، قال ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة»[٢]، و«نِعمَ سحور المؤمن التمر»[٣].

• تعجيل الفطر لقوله ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما عجّلوا الفطر»[٤]، «وأن يفطر على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتميرات، فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء»[٥].

• وكان ﷺ إذا أفطر قال: «ذهب الظمأ، وابتلّت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله»[٦].

• البعد عن الرفث لقوله ﷺ: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث...»[٧]، والرفث هو الوقوع في المعاصي (وقيل: الجماع)، وقال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[٨].

• وينبغي اجتناب الصائم الغيبة والفحش والكذب، فربما ذهبت بأجر صيامه، قال ﷺ: «رُب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع»[٩].

---

(١) رواه ابن خزيمة.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه أبو داود.
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه الترمذي.
(٦) رواه أبو داود.
(٧) رواه البخاري.
(٨) رواه البخاري.
(٩) رواه ابن ماجه.

• أن لا يشتم ولا يخاصم، لقوله ﷺ: «**وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم، إني صائم**»(١).

• عدم الإسراف في الطعام: لحديث: «**ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه...**»(٢).

• الجود والكرم بالصدقة والمساعدة للمحتاج، وقد كان ﷺ أجود الناس «**وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة**»(٣).

• والجمع بين الصيام والإطعام من أسباب دخول الجنة؛ لقوله ﷺ: «**إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**»(٤).

وقال ﷺ: «**من فطَّر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً**»(٥). والمراد بتفطيره أن يُشبعه.

من أحكام الصيام

• من الصيام ما يجب فيه تتابع أيامه؛ كصوم رمضان، والصوم في كفارة القتل الخطأ، وكفارة الوطء بنهار رمضان.

• ومن الصيام ما لا يلزم فيه التتابع كقضاء رمضان والصوم في كفارة اليمين.

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه أحمد.
(٥) رواه الترمذي.

• نهى النبي ﷺ عن إفراد الجمعة بالصوم[١]، ويحرم صيام يومي العيدين، وأيام التشريق (١١ ـ ١٢ ـ ١٣ من شهر ذي الحجة) لأنها أيام أكل من الأضاحي وشرب وذكر الله، ولكن يجوز للحاج الذي لم يجد الهدي أن يصومها بمنى.

• يثبت دخول شهر رمضان برؤية هلاله أو بإتمام شعبان ثلاثين يوماً.

• ويجب الصيام على كل مسلم بالغ عاقل مقيم قادر سالم من الموانع (الموانع: كالحيض والنفاس).

يحصل البلوغ بواحد من أمور ثلاثة:

١ ـ أو إنزال المني باحتلام أو غيره.

٢ ـ نبات شعر العانة الخشن حول القُبُل.

٣ ـ إتمام خمس عشرة سنة، وتزيد الأنثى أمراً رابعاً وهو الحيض فيجب عليها الصيام ولو حاضت قبل سنّ العاشرة.

• يستحب أن يؤمر الصبي بالصيام وعمره سبع سنين إن قَدِرَ، وأجر صيامه له ولوالديه، قالت الرُبيِّع بنت معوِّذ رضي الله عنها: كنا نُصَوِّم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن (القطن)، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار[٢].

• إذا أسلم الكافر، أو بلغ الصبي، أو أفاق المجنون، أثناء النهار، لزمهم الإمساك بقية اليوم؛ لأنهم صاروا من أهل الوجوب، ولا يلزمهم قضاء ما فات من الشهر؛ لأنهم لم يكونوا من أهل الوجوب في ذلك الوقت، وإن قضوا هذا اليوم الذي وجب عليهم الصوم في منتصفه فهو أولى.

• المجنون مرفوع عنه القلم، فإن كان يجنّ أحياناً ويُفيق أحياناً، لزمه الصيام في حال إفاقته دون حال جنونه، وإن جُنّ في أثناء النهار لم يبطل صومه، كما لو أغمي عليه بمرض أو غيره؛ لأنه نوى الصيام وهو عاقل. ومثله في الحكم: المصروع.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

• من مات أثناء الشهر فليس عليه ولا على أوليائه شيء فيما تبقى من الشهر.

أحكام صيام المسافر

• المسافر، يجوز له الفطر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ويشترط لفطره في السفر: أن يكون سفراً (أكثر من ٨٠كم) (وفي المسألة خلاف بين العلماء)، وأن يُجاوز بنيان البلد، فلا يفطر قبل مغادرة البلد، وإن سافر جواً أفطر إذا أقلعت به الطائرة وفارقت البنيان، وإذا كان المطار خارج بلدته أفطر فيه، أما إذا كان المطار في البلد أو ملاصقاً لها فإنه لا يُفطر فيه؛ لأنه لا يزال في البلد، وألا يكون قصد بسفره التحيّل للفطر.

• يجوز الفطر للمسافر سواء كان قادراً على الصيام أم عاجزاً، وسواء شقّ عليه الصوم أم لم يشقّ.

• إذا غربت الشمس فأفطر على الأرض، ثم أقلعت به الطائرة فرأى الشمس لم يلزمه الإمساك لأنه أتمّ صيام يومه كاملاً، فلا سبيل إلى إعادته للعبادة بعد فراغه منها.

وإذا أقلعت به الطائرة قبل غروب الشمس وأراد إتمام صيام ذلك اليوم في السفر فلا يُفطر إلا إذا غربت الشمس في المكان الذي هو فيه من الجو، ولا يجوز للطيار أن يهبط إلى مستوى لا تُرى فيه الشمس لأجل الإفطار؛ لأنه تحايل، لكن إن نزل لمصلحة الطيران فاختفى قرص الشمس أفطر[1].

• من وصل إلى بلد ونوى الإقامة فيها أكثر من أربعة أيام وجب عليه الصيام (وفي المسألة خلاف بين العلماء)، فالذي يسافر للدراسة في الخارج أشهراً أو سنوات، فالجمهور ومنهم الأئمة الأربعة أنه في حكم المقيم يلزمه صوم رمضان وإتمام الصلاة.

---

(١) فتوى الشيخ ابن باز.

• وإذا مر المسافر ببلد غير بلده وهو مفطر، فليس عليه أن يمسك عن الطعام، إلا إذا كانت إقامته فيها أكثر من أربعة أيام فإنه يمسك (يصوم) لأنه في حكم المقيمين.

• ومن كان يسافر كثيراً؛ كموظف البريد وأصحاب سيارات الأجرة والطيارين ولو كان سفرهم يومياً، يجوز لهم الفطر وعليهم القضاء.

• إذا رجع المسافر إلى بلده، ووصلها أثناء النهار، وهو مفطر، فهل يجب عليه الإمساك إلى المغرب أم لا؟ فيه خلاف، والأحوط له أن يمسك مراعاة لحرمة الشهر، وعليه القضاء.

• إذا ابتدأ الصيام في بلده، ثم في آخر الشهر سافر إلى بلد صاموا قبل بلده بيوم، أو بعدهم بيوم، فإن حكمه حكم من سافر إليهم، فلا يعيّد إلا في عيدهم، ولا ينتهي عنه رمضان إلا معهم، ولو زاد عن ثلاثين يوماً؛ لقوله ﷺ: «**الصوم يوم تصومون والإفطار يوم تُفطرون**»(١).

وإن نقص صومه عندهم عن تسعة وعشرين يوماً فعليه إكماله بعد العيد إلى تسعة وعشرين يوماً؛ لأن الشهر الهجري لا ينقص عن تسعة وعشرين يوماً(٢).

هداية

ذكر ابن قدامة في التوابين.. عن عبد الواحد بن زيد قال: كنت في مركب.. فطرحتنا الريح إلى جزيرة.

وإذا فيها رجل يعبد صنماً.. فقلنا له: يا رجل.. مَن تعبد؟ فأومأ إلى الصنم.. فقلنا: إن معنا في المركب من يصنع مثل هذا.. وليس هذا إله يُعبد.. قال: فأنتم مَن تعبدون؟

---

(١) رواه الترمذي والدارقطني.

(٢) ابن باز.

ـ قلنا: الله.. قال: وما الله؟ قلنا: الذي في السماء عرشه.. وفي الأرض سلطانه.. وفي الأحياء والأموات قضاؤه.

* فقال: كيف علمتم به.. قلنا: وجه إلينا هذا الملك رسولاً كريماً.. فأخبر بذلك.. قال: فما فعل الرسول؟

ـ قلنا: أدّى الرسالة.. ثم قبضه الله.

* قال: فما ترك عندكم علامة؟

ـ قلنا: بلى.. ترك عندنا كتاب الملك.. فقال: أروني كتاب الملك.. فينبغي أن تكون كتب الملوك حساناً.. فأتيناه بالمصحف.. فقال: ما أعرف هذا.. فقرأنا عليه سورة من القرآن.. فلم نزل نقرأ ويبكي.. حتى ختمنا السورة.. فقال ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يعصى.. ثم أسلم.. وحملناه معنا.. وعلمناه شرائع الإسلام.. وسوراً من القرآن.. وأخذناه معنا في السفينة.. فلما سرنا وأظلم علينا الليل.. أخذنا مضاجعنا فقال لنا: يا قوم.. هذا الإله الذي دللتموني عليه.. إذا أظلم الليل هل ينام؟ قلنا: لا يا عبد الله.. هو عظيم قيوم لا ينام.. فقال: بئس العبيد أنتم.. تنامون ومولاكم لا ينام.. ثم أخذ في التعبد وتركنا.. فلما وصلنا بلدنا قلت لأصحابي: هذا قريب عهد بالإسلام وغريب في البلد.. فجمعنا له دراهم وأعطيناه.. فقال: ما هذا؟ قلنا: تنفقها في حوائجك.. فقال: لا إله إلا الله.. أنا كنت في جزائر البحر.. أعبد صنماً من دونه.. ولم يضيعني.. أفيضيعني وأنا أعرفه..!! ومضى يتكسب لنفسه.. وكان بعدها من كبار الصالحين.

أحكام صيام المريض

• كل مريض يشق عليه الصوم، يجوز له الفطر، لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

أما المرض اليسير كالسعال والصداع فلا يجوز الفطر بسببه.

• وإذا كان الصيام يزيد المرض أو يؤخر الشفاء، ويحتاج نهاراً لأكل

الدواء، فيجوز له أن يُفطر، ويُكره له الصيام لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

• إذا كان الصوم يسبب له الإغماء وشقّ عليه مواصلة اليوم، أفطر وقضى، وإذا أصبح صائماً فأغمي عليه أثناء النهار وأفاق قبل الغروب أو بعده فصيامه صحيح ما دام لم يأكل ولم يشرب، ومن أغمي عليه، أو وضعوا له مخدراً لمصلحته، فغاب عن الوعي، فإن كان ثلاثة أيام فأقلّ، فيقضي ـ قياساً على النائم ـ وإن كان أكثر فلا يقضي قياساً على من غاب عقله بجنون[١].

• المريض الذي يُرجى بُرؤه (كمن أجريت له عملية جراحية) إذا شق عليه الصوم أفطر وقضى.

• والمريض مرضاً مزمناً لا يُرجى برؤه (كمرض السرطان، والفشل الكلوي مثلاً) وكذلك الكبير العاجز عن الصيام والقضاء، يُطعم عن كلّ يوم مسكيناً نصف صاع من قوت البلد (كيلو ونصف من الرز).

• والمريض الذي أفطر بعض رمضان وينتظر الشفاء ليقضي ثم علم أن مرضه مزمن، وأنه لن يستطيع القضاء أبداً، فالواجب عليه إطعام مسكين واحد عن كل يوم أفطره.

• ومن كان ينتظر الشفاء من مرض يُرجى برؤه، فمات قبل أن يوجد وقت للقضاء، فليس عليه ولا على أوليائه شيء.

(مثال: شخص عمل عملية جراحية في (٢٥) رمضان، فأفطر بنية القضاء بعد الشفاء، فتوفى في (٣٠) رمضان، فهذا لا يلزم أهله عنه قضاء ولا إطعام).

• ومن مرض فأفطر، ثم شفي وتمكن من القضاء، فتكاسل حتى مات، أُخرج من ماله طعام مسكين عن كل يوم، وإن تبرع أحد أقاربه بالصوم عنه فهو أولى؛ لقوله ﷺ: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليّه**»[٢].

---

(١) ابن باز.

(٢) متفق عليه.

(مثال: عمل عملية في (٢٥) رمضان، فأفطر بنية القضاء، فشفي في (٣٠) رمضان، وتكاسل عن القضاء حتى مات في شهر الحج، فهذا يلزم أهله عنه قضاء أو إطعام).

• ومن كان مرضه يُعتبر مزمناً، فأفطر وأطعم (لعجزه عن القضاء)، ثم تطور الطبّ فاكتُشِف علاج لمرضه، فاستعمله وشفي، فلا يلزمه شيء عما مضى؛ لأنّه فعل ما وجب عليه في حينه[١].

• ومن أصابه جوع أو عطش شديد، فخاف على نفسه الهلاك، أفطر وقضى لأن حفظ النفس واجب، ولا يجوز الفطر لمجرد الشدة المحتملة أو التعب أو خوف المرض متوهماً.

• وأصحاب المهن الشاقة؛ كالحدادين والنجارين، وعمال الطرق، لا يجوز لهم الفطر، فإن كان يضرهم الصوم وخشوا على أنفسهم الموت أثناء النهار، فإنهم يُفطرون بمقدار ما يدفع المشقة من ماء أو طعام، ثم يُمسكون إلى الغروب ويقضون بعد ذلك، وعلى العامل في المهن الشاقة كأفران صهر المعادن وغيرها إذا كان لا يستطيع تحمّل الصيام أن يحاول جعل عمله بالليل[٢].

• امتحانات الطلاب ليست عذراً يبيح الفطر في رمضان.

• الإطعام له صورتان: فيجوز أن يجعله آخر الشهر، فيطعم (٣٠) مسكيناً في آخر الشهر، ويجوز أن يطعم مسكيناً كل يوم.

• الشيخ الكبير والعاجز والهرم الذي ضعف جسمه لكبر سنه، لا يلزمه الصوم، ما دام الصيام يشق عليه، ويطعم عن كل يوم مسكيناً.

• وأما كبير السن الذي بلغ حد الخرف، وسقط تمييزه، فهذا سقط عنه التكليف لعدم العقل، ومن شروط وجوب الصوم، العقل (وهذا فاقد للعقل)، فلا يجب عليه ولا على أهله شيء، فإن كان هذا الكبير يميز أحياناً ويهذي أحياناً، وجب عليه الصوم حال تمييزه، ولم يجب حال هذيانه.

---

(١) اللجنة الدائمة.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة.

النية في الصيام

• تشترط النية من الليل في كل صوم واجب كرمضان والقضاء والكفارة، لقوله ﷺ: «**لا صيام لمن لم يبيّت الصيام من الليل**»(١). والنية عزم القلب على الفعل، والتلفظ بها بدعة، وكل من علم أن غداً من رمضان وهو عازم على الصوم فقد نوى، أما صيام النفل فلا تُشترط له النية من الليل، لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «**هل عندكم من شيء؟**» فقلنا: لا، فقال: «**فإني إذاً صائم**»(٢).

• من شرع في صوم واجب كالقضاء والنذر والكفارة فلا بد أن يتمّه، ولا يُفطر بغير عذر، وأما صوم النافلة فإنّ «**الصائم المتطوع أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء أفطر**»(٣)، ولو بغير عذر.

• من لم يعلم بدخول شهر رمضان إلا بعد طلوع الفجر فعليه أن يمسك بقية يومه وعليه القضاء عند جمهور العلماء؛ لقوله ﷺ: «**لا صيام لمن لم يبيّت الصيام من الليل**»(٤).

أحكام الإفطار والإمساك

• إذا غابت الشمس يفطر الصائم؛ لقوله ﷺ: «**إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم**»(٥).

• والسُّنَّة أن يعجِّل الإفطار، وقد كان ﷺ لا يصلي المغرب حتى يُفطر،

---

(١) رواه أبو داود.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه أحمد.
(٤) رواه أبو داود
(٥) رواه البخاري.

ولو على شربة من الماء[١]، والسُّنَّة أن يفطر على رطب، فإن لم يجد، فعلى تمر، فإن لم يجد، فعلى ماء؛ لأنه ﷺ: «**كان يفطر قبل أن يصلي على رطبات، فإن لم تكن رطبات، فتمرات، فإن لم تكن تمرات، حسا حسوات من ماء**»[٢]، فإن لم يجد رطباً ولا تمراً ولا ماء أفطر على ما تيسر من طعام وشراب، فإن لم يجد شيئاً يُفطر عليه نوى الفطر بقلبه.

• ولا بأس أن يدعو عند إفطاره بما أحب، فإن للصائم عند فطره دعوة لا ترد، وكان ﷺ إذا أفطر قال: «**ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله**»[٣].

• وليحذر من الإفطار قبل الوقت، فإن النبي ﷺ رأى بعض أنواع عذاب العُصاة فقال: «**ثم انطلق بي، فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم، مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دماً، قال: قلت: من هؤلاء؟ قال (جبريل): الذين يُفطرون قبل تحلّة صومهم**» أي: قبل وقت الإفطار[٤].

• إذا طلع الفجر وجب على الصائم الإمساك فوراً، سواء سمع الأذان أم لا، وإذا كان يعلم أن المؤذن دقيق حريص، لا يؤذن إلا عند طلوع الفجر الحقيقي، فيجب عليه الإمساك فور سماع أذانه، وأما إذا كان المؤذن يؤذن قبيل الفجر احتياطاً فلا بأس من الاستمرار في الأكل والشرب إلى بداية الأذان أو منتصفه، وإن كان لا يعلم حال المؤذن أو كثر المؤذنون، فيعمل بتقويم الصلاة المطبوع المبني على الحسابات.

• وأما الاحتياط بالإمساك قبل الفجر بعشر دقائق ونحوها فهو بدعة، وما يلاحظ في بعض التقاويم من وجود خانة للإمساك وأخرى للفجر فهو أمر خلاف السُّنَّة.

---

(١) رواه الحاكم.
(٢) رواه أحمد.
(٣) رواه أبو داود والدارقطني.
(٤) رواه ابن خزيمة.

• البلد الذي فيه ليل ونهار خلال الأربع والعشرين ساعة، على المسلمين فيه الصيام ولو طال النهار، أما البلاد التي يستمر الليل أو النهار أكثر من (٢٤) ساعة، فيصومون بحسب أقرب البلدان إليهم مما فيه ليل أو نهار متميزان.

المفطرات (مفسدات الصوم)

١ ـ **الجماع**: فمن جامع في نهار رمضان عامداً مختاراً، جماعاً تاماً، فقد أفسد صومه أنزل أو لم يُنزل، ويلزمه:

١ ـ التوبة.

٢ ـ إتمام ذلك اليوم.

٣ ـ قضاء صوم هذا اليوم بعد رمضان.

٤ ـ الكفارة المغلظة وهي: وجوب عتق رقبة، فإن لم يجد صام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع أطعم ستين مسكيناً؛ لأن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! هلكتُ!!، قال: «ما لك؟».

قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال ﷺ: «**هل تجد رقبة تعتقها؟**» قال: لا، قال: «**فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين**»، قال: لا، قال: «**فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟**»، قال: لا.. الحديث[١]. هذا الحكم في كلّ جماع (حتى لو كان زناً أو لواطاً أو إتيان بهيمة).

• ومن جامع عدة مرات في أيام متعددة من رمضان واحد نهاراً، فعليه كفارات بعدد الأيام التي جامع فيها، مع قضاء تلك الأيام، ولا يُعذر بجهله بوجوب الكفّارة، فلو جامع ثم قال: أنا أعلم أن الجماع مفسد للصوم، لكني لا أدري أن فيه كفارة مغلظة، فهنا ما دام عالماً أنه مفسد للصوم، لزمته الكفارة وإن لم يعلم بها[٢].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) اللجنة الدائمة.

• الزوجة الصائمة، إذا وطئها زوجها في نهار رمضان برضاها، فحكمها حكمه (في وجوب الكفارة)، وأما إن كانت مكرهة، واجتهدت في منعه، فلم تستطع، فلا كفارة عليها، والأحوط أن تقضي صيام ذلك اليوم فقط، أما الزوج فتلزمه الكفارة السابقة.

• وينبغي للمرأة التي تعلم أن زوجها لا يملك نفسه أن تتباعد عنه ولا تتزين في نهار رمضان، ويجب عليها قضاء ما أفطرته من رمضان ولا يُشترط إذن الزوج في القضاء، وإذا شرعت في قضاء يوم فلا يحلّ لها الإفطار إلا بعذر شرعي، ولا يحلّ لزوجها أن يفسد صيامها. أما صيام النافلة فلا يجوز لها أن تشرع فيه وزوجها حاضر إلا بإذنه؛ لقوله ﷺ: «**لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه**»(١).

• لو أراد رجل جماع زوجته فاحتال لذلك، بأن أفطر بالأكل أولاً، ثم جامع، فمعصيته أشدّ، وقد هتك حرمة الشهر مرتين؛ بأكله، وجماعه، والكفارة المغلظة واجبة عليه، وعليه التوبة.

• إذا أذن عليه الفجر وهو جُنُب وهو لم يغتسل بعد، من وطء أو احتلام، فصومه صحيح.

٢ ـ **المفسد الثاني من مفسدات الصوم**: إنزال المني بشهوة بفعل من الصائم: بسبب تقبيل أو لمس أو استمناء أو تكرار نظر، فإذا حصل شيء من ذلك، فسد صومه، وعليه القضاء فقط بدون كفارة؛ لأن الكفارة تختص بالجماع، وكذلك لو نام الصائم نهاراً فاحتلم فصومه صحيح؛ لأنه بغير اختياره، لكن يجب عليه الاغتسال من الجنابة.

٣ ـ **الأكل أو الشرب عمداً**: لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ [البقرة: ١٨٧]. «**وإذا نسي فأكل وشرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه**»(٢)، وفي رواية:

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

«**فلا قضاء عليه ولا كفارة**»، وإذا رأى الشخص صائماً يأكل ناسياً فعليه أن يذكره، لعموم قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وعموم قوله ﷺ: «**فإذا نسيت فذكّروني**»، ولأن الأصل أن هذا منكر يجب تغييره.

• ومن المفطرات ما يكون في معنى الأكل والشرب؛ كالأدوية والحبوب عن طريق الفم، والإبر المغذية، وكذلك حقن الدم، ونقله.

• وأما الإبر التي لا تغذي ولا تغني عن الأكل والشرب، ولكنها للمعالجة، كالبنسلين والأنسولين، أو إبر التطعيم، فلا تضرّ الصيام، سواء أخذت في العضلات، أو الوريد، والأحوط أن تكون الإبر بالليل.

• وإن دخل إلى حلقه شيء بغير اختياره، كما لو شرق أثناء المضمضة في الوضوء، فبلع شيئاً من الماء بغير قصد، فصومه صحيح، ولكن ينبغي للصائم أن لا يبالغ في المضمضة والاستنشاق؛ لئلا يدخل الماء لجوفه، قال ﷺ: «**وبالغ بالاستنشاق إلا أن تكون صائماً**»[1].

• أما النخامة (وهي المخاط النازل من الرأس) والنخاعة (وهي البلغم الصاعد من الباطن بالسعال والتنحنح) فإن ابتلعها وهي في أقصى حلقه، قبل وصولها إلى فمه ولسانه، فصومه صحيح؛ لأنه يشق تكلف إخراجها، أما إن وصلت إلى فمه، وصارت على لسانه، فهنا يجب إخراجها، فإن ابتلعها فسد صومه، إلا إن دخلت بغير قصده واختياره فلا تفطّر.

• والسواك سُنَّة للصائم في جميع النهار، وإن كان رطباً، وإذا استاك بسواك جديد له طعم فوجد طعمه في حلقه، تفله، ويُخرج ما تفتت من السواك داخل الفم فإن ابتلعه بغير قصد فلا شيء عليه.

• ولا بأس باستعمال المراهم المرطبة والملينة للبشرة، وشم الطيب واستعمال العطور، والبخور لا حرج فيه للصائم إذا لم يستنشقه ليدخل لجوفه.

• والتدخين مفسد للصوم، وهو حرام للصائم والمفطر.

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه.

• لو فعل الصائم ما يخفف به العطش عن نفسه، من اغتسال، ومضمضة، فلا بأس.

• لو أكل أو شرب، ظاناً بقاء الليل، ثم تبين له أن الفجر قد طلع، صح صومه لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ [البقرة: ١٨٧]، (مثال: لو كان أذان الفجر الساعة (٤) فجراً، فاستيقظ رجل ليتسحر فنظر لساعته فوجدها الثالثة والنصف، وأثناء سحوره سمع إقامة الصلاة من مسجد مجاور، فاكتشف أن ساعته متأخرة نصف ساعة، فهنا أكل وشرب ظاناً بقاء الليل ثم تبين له أنه قد طلع الفجر، فصومه صحيح).

• إذا ظن الشمس قد غربت فأفطر شاكاً في غروبها، ثم تبين له أنها لم تغرب، فعليه القضاء (عند جمهور العلماء)؛ لأن الأصل بقاء النهار واليقين لا يزال بالشك.

٤ ـ **إخراج الدم من البدن**: بحجامة أو فصد أو سحب دم ليتبرع به لإسعاف مريض، فيفطر بذلك، أما إخراج دم قليل كالذي يستخرج للتحليل، فهذا لا يؤثر على الصيام، وكذا خروج الدم بغير اختياره برعاف أو جرح، فهذا لا يؤثر على الصيام.

٥ ـ **التقيؤ**: وهو استخراج ما في المعدة من طعام أو شرب عن طريق الفم متعمداً، فهذا يفطر به الصائم، أما إذا غلبه القيء، وخرج بدون اختياره، فلا يؤثر على صيامه، لقوله ﷺ: «**من ذرعه القيء، فليس عليه قضاء، ومن استقاء عمداً، فليقض**»[1]، ومعنى: «**ذرعه القيء**» أي: خرج بدون اختياره، ومعنى قوله: «**استقاء**» أي: تعمد القيء.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي.

من عجائب الصلاة

● كان محمد بن خفيف رَحِمَهُ اللَّهُ به وجع الخاصرة.. فكان يشتد عليه حتى يقعده عن الحركة.. فكان إذا نودي بالصلاة.. يحمل على ظهر رجل إلى المسجد.. فقيل له: إن الله قد عذرك.. فلو خففت على نفسك.. فقال: كلا.. إذا سمعتم حي على الصلاة.. ولم تروني في الصف فاعلموا أني ميت في المقبرة ..لله درّهم من مرضى.. بل والله نحن المرضى.

● وكان منصور بن المعتمر.. إذا جن عليه الليل.. يلبس من أحسن ثيابه.. ثم يرقى إلى سطح بيته.. ويصلي.. فلما مات.. قال غلام جيرانهم لأمه: يا أماه.. الجذع الذي كان ينصب في الليل في سطح جيراننا.. لست أراه.. فقالت: يا بني.. ليس ذاك جذعاً ذاك منصور كان يصلي.. وقد مات..

مسائل متفرقة حول المفطرات

● هذه المفطرات (ما عدا الحيض والنفاس) لا يفطر بها الصائم إلا بشروط ثلاثة:

١ ـ أن يكون عالماً بأنها مفطّرة غير جاهل بها.

٢ ـ ذاكراً أنه صائم غير ناس.

٣ ـ مختاراً غير مُكْرَه.

● وغسيل الكلى الذي يتطلب خروج الدم لتنقيته ثم رجوعه مرة أخرى، مع إضافة مواد كيماوية وغذائية كالسكريات والأملاح وغيرها إلى الدم يعتبر مفطّراً[١].

---

(١) اللجنة الدائمة للإفتاء.

• الراجح أن الحقنة الشرجية، وقطرة العين والأذن، وقلع السنّ، ومداواة الجراح، كل ذلك لا يفطر؛ لأنه لا يغني عن الأكل والشرب.

• بخاخ الربو لا يفطّر لأنه غاز مضغوط يذهب إلى الرئة، وليس بطعام، وهو مضطر إليه في رمضان.

• وسحب الدم القليل للتحليل لا يُفسد الصوم، بل يُعفى عنه؛ لأنه مما تدعو إليه الحاجة[١].

• دواء الغرغرة الذي يعالج الحنجرة والبلعوم، لا يبطل الصوم إن لم يبتلعه.

• حفر السن، أو قلع الضرس، أو تنظيف الأسنان، أو السواك وفرشاة الأسنان، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق، لا يفطر، وكذلك من حشا سنّه بحشوة طبية، فوجد طعمها في حلقه، فلا يضر ذلك صيامه[٢].

• غسول الأذن، أو قطرة الأنف، أو بخاخ الأنف، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق، فلا يفطر.

• إدخال المنظار أو اللولب ونحوهما إلى الرحم، وما يدخل المهبل من تحاميل أو غسول، أو منظار مهبلي، أو إصبع للفحص الطبي، لا يفسد الصوم.

• وكذلك ما يدخل الإحليل؛ أي: مجرى البول الظاهر للذكر أو الأنثى، من قصطرة (أنبوب دقيق) أو منظار، أو مادة ظليلة على الأشعة، أو دواء، أو محلول لغسل المثانة، لا يفطر.

• المضمضة، والغرغرة، وبخاخ العلاج الموضعي للفم إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق، لم يفطر.

• غاز الأكسجين، لا يفطر.

• ما يدخل الجسم امتصاصاً من خلال الجلد كالدهونات والمراهم،

---

(١) فتوى ابن باز.

(٢) فتوى ابن باز.

واللصقات العلاجية الجلدية المحملة بالمواد الدوائية أو الكيميائية، مثل لصقات الإقلاع عن التدخين، ونحوها، لا تفطر.

• إدخال قصطرة (أنبوب دقيق) في الشرايين لتصوير أو علاج أوعية القلب أو غيره من الأعضاء، وكذلك دخول أي أداة أو مواد علاجية إلى الدماغ أو النخاع الشوكي، لا يفطر.

• إدخال منظار من خلال جدار البطن لفحص الأحشاء، لا يفطر، أما منظار المعدة فإذا صاحبه إدخال سوائل (محاليل) أو مواد أخرى فطر، وإلا فلا.

• من احتاج إلى الإفطار لإنقاذ أحد معصوم من مهلكة، فإنّه يُفطر ويقضي، كما قد يحدث في إنقاذ الغرقى وإطفاء الحرائق.

• من قاتل عدواً، أو أحاط العدو ببلده، والصوم يُضعفه عن القتال ساغ له الفطر ولو بدون سفر، وكذلك لو احتاج للفطر قبل القتال فيفطر، لقوله ﷺ لأصحابه قبل القتال: «**إنكم مُصَبِّحوا عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا**»[1].

• من أفطر يوماً في رمضان لعذر كالمسافر والمريض، فهل يجوز له أن يأكل ويشرب أمام الناس؟ الجواب: إن كان سبب فطره ظاهراً كالشيخ الكبير، والمريض الواضح مرضه، فلا بأس أن يفطر أمام الناس، ومن كان سبب فطره خفياً كالمسافر فالأولى أن يُفطر خفية حتى لا يتهمه الناس ويسيئوا به الظن.

من أحكام الصيام للمرأة

• لا تصوم الزوجة نافلة، وزوجها حاضر إلا بإذنه، فإذا سافر فلا حرج.

• الحائض أو النفساء إذا طهرت ليلاً فَنَوَت الصيام، ثم طلع الفجر قبل اغتسالها، فصومها صحيح.

---

(١) رواه مسلم.

• ينبغي للمرأة أن تجتنب استعمال موانع الحيض من أدوية وحبوب، والأفضل للحائض أن تبقى على طبيعتها وترضى بما كتب الله لها وتقضي أيام حيضها، مع العلم بأنه قد ثبت طبياً ضرر هذه الموانع وابتليت النساء باضطراب الدورة بسببها، فإن أصرّت المرأة وتعاطت ما تقطع به الدم فانقطع فعلاً، وصامت، أجزأها ذلك.

• دم الاستحاضة لا يؤثر في صحة الصيام.

• إذا أسقطت الحامل جنينها، فإن كان متخلّقاً، أو ظهر فيه تخطيط لعضو (كرأس أو يد)، فدمها دم نفاس، وإذا كان الساقط لا يزال علقة، أو مضغة لحم، لا يتبيّن فيه شيء من خَلْق الإنسان، فدمها دم استحاضة، وعليها الصيام إن استطاعت، وإلا أفطرت وقضت.

• وكذلك لو عملت عملية تنظيف، وانقطع الدم تماماً فصامت، صح صومها.

• النفساء إذا طهرت قبل الأربعين، صامت وصلّت، فإن رجع إليها الدم في الأربعين أمسكت عن الصيام؛ لأنه نفاس، وإن استمر بها الدم بعد الأربعين نوت الصيام واغتسلت (عند جمهور أهل العلم) وتعتبر ما استمر استحاضة، إلا إن وافق وقت حيضها المعتاد فهو حيض.

• إذا صامت المرأة بالنهار، ورأت في الليل على ملابسها، نقطاً من الدم، فلم تدر خرجت أثناء صومها أم بعده، فالأصل السلامة، وصيامها صحيح[١].

• الحامل والمرضع إن شق عليهما الصوم، فحكمهما كالمريض، يجوز لهما الإفطار عند الحاجة، وليس عليهما إلا القضاء، سواء خافتا على نفسيهما أو ولديهما. لقوله ﷺ: «**إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحامل والمرضع الصوم**»[٢].

---

(١) اللجنة الدائمة.

(٢) رواه الترمذي.

• الحامل إذا صامت، وأصابها نزيف، فصيامها صحيح؛ لأنه ليس حيضاً[١].

أحكام قضاء صيام رمضان

• يستحب المبادرة بالقضاء لإبراء الذمة، ولا يجب أن تكون أيام القضاء متتابعة، ويجوز له تأخير القضاء؛ لأن وقته واسع، ولا يجوز تأخيره إلى ما بعد رمضان الآخر إلا بعذر.

• وإن مات من عليه صوم استحب لوليه (قريبهُ) أن يصوم عنه؛ لأن امرأة قالت للنبي ﷺ: إن أمي ماتت وعليها صيام نذر، أفأصوم عنها؟ قال: «**نعم**»[٢]، وإن لم يصم عنه وليه أطعم عنه عن كل يوم مسكيناً.

وقوموا لله قانتين

• كان أبو زرعة الرازي إماماً في مسجد قومه عشرين سنة.. فجاءه يوماً.. قوم من طلاب الحديث فنظروا فإذا في محرابه كتابة.. فقالوا له: ما حكم الكتابة في المحاريب؟ فقال: قد كرهه قوم ممن مضى.. فأنا أنهى عنه وأكرهه.. فقالوا: هو ذا في محرابك كتابة.. أوما علمت بها..!! فقال: سبحان الله!! رجل يقف بين يدي الله تعالى.. ويدري ما بين يديه.

• وكان شعبة بن الحجاج يطيل الصلاة.. وما رأيته ركع في الصلاة قط إلا ظننت أنه نسي.. ولا قعد بين السجدتين إلا ظننت أنه نسي.

• وعبيدة بن مهاجر.. كان عابداً شاكراً.. متخشعاً ذاكراً.. وكان له أم مجوسية.. فكان يبرها أشد البر.. ويدعوها إلى الإسلام فتأبى عليه.. فرجع

---

(١) اللجنة الدائمة.

(٢) متفق عليه.

من صلاة العصر يوم الجمعة.. فبشرته أنها أسلمت.. ونطقت الشهادتين.. فخر ساجداً لله.. يبكي ويناجي.. فما رفع رأسه حتى غابت الشمس.

• وكانت حفصة بنت سيرين تسرج سراجها من الليل ثم تقوم في مصلاها.. وكانت تقرب كفنها.. لتذكر الموت في صلاتها.. فتخشع.

أحكام الحج

• حج بيت الله الحرام ركن من أركان الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقوله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً**»(١).

• وقال ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحج المبرور ثواب إلا الجنة**»(٢).

• فإذا عزم على الحج، فليرد المظالم لأهلها، ويرد الودائع ويسدد الديون لأصحابها، ويكتب وصيته، ويوكل من يقضي ما لم يتمكن من قضائه من الحقوق التي عليه، ويؤمن لأولاده نفقة حلالاً.

• ويجب الحج بشروط خمسة: الإسلام، العقل، البلوغ، الحرية، والاستطاعة، فمن توفرت فيه هذه الشروط، وجب عليه المبادرة بأداء الحج.

• والاستطاعة هي أن يكون المسلم صحيح البدن، يملك من المواصلات ما يصل به إلى مكة حسب حاله، ويملك زاداً يكفيه ذهاباً وإياباً زائداً على نفقات من تلزمه نفقته، ويشترط للمرأة خاصة أن يكون معها محرم.

• فالحج واجب على كل مسلم مستطيع مرة واحدة في العمر.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي.

مواقيت الحج

• **المواقيت**: هي الحدود التي لا يجوز للحاج أن يتعداها إلى مكة بدون إحرام.

والمواقيت خمسة:

• ذو الحُلَيْفَة، وتبعد عن مكة (٤٢٨) كم.

• الجُحْفَة، قرية بينها وبين البحر الأحمر (١٠) كم، وهي اليوم مهجورة، ويحرم الناس اليوم من رابغ التي تبعد عن مكة (١٨٦) كم.

• يلَمْلَمْ، وادي يبعد (١٢٠) كم عن مكة جنوباً، ويحرم الناس اليوم من قرية السعدية.

• قَرْن المنازل: واسمه الآن السيل الكبير في الطائف، ويبعد حوالي (٧٥) كم عن مكة.

• ذاتُ عِرْق: ويسمى الضَريبة يبعد (١٠٠) كم عن مكة، وهو اليوم مهجور لا يمر عليه طريق.

• ومن كان منزله دون هذه المواقيت؛ أي: أقرب إلى مكة، فإنه يحرم من منزله للحج والعمرة، وسكان مكة يحرمون للحج من بيوتهم، ولا يجب خروجهم للميقات للإحرام منه بالحج، وأما العمرة فيخرجون للإحرام بها من أدنى الحل؛ أي: من التنعيم أو عرفة أو غيرها.

• وكذا من ركب طائرة، فإنه يتهيأ بالتنظف قبل ركوب الطائرة، فإذا حاذى الميقات جواً، نوى الإحرام، ولبى وهو في الجو، ولا يجوز له تأخير الإحرام إلى أن يهبط في مطار جدة، فيحرم منها لأنها ليست ميقاتاً.

• ويجب على من جاوز الميقات بدون إحرام أن يرجع إليه ويحرم منه؛ فإن لم يرجع، وأحرم من دونه من جدة أو غيرها، فعليه فدية، بأن يذبح شاة توزع على مساكين الحرم، ولا يأكل منها شيئاً.

كيفية الإحرام

• أول مناسك الحج هو الإحرام، وهو نية الدخول في النسك، سمي بذلك لأن المسلم يُحرِّم على نفسه بنية الحج أو العمرة ما كان مباحاً له قبل الإحرام من النكاح والطيب وتقليم الأظافر وحلق الرأس وأشياء من اللباس.

۞ وقبل الإحرام يستحب:

• **أولاً**: الاغتسال، للتنظف وقطع الرائحة الكريهة، لذا فهو مستحب حتى للحائض والنفساء؛ لأن النبي ﷺ «**أمر أسماء بنت عميس وهي نفساء أن تغتسل**»(١)، وأمر عائشة أن تغتسل للإحرام بالحج وهي حائض.

• **ثانياً**: إزالة الشعر الزائد؛ كقص الشارب وإزالة الإبط والعانة.

• **ثالثاً**: التطيب في البدن؛ لقول عائشة رضي الله عنها: «كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه قبل أن يحرم ولحلّه قبل أن يطوف»(٢).

• **رابعاً**: يجب أن ينزع لباسه المعتاد، ويلبس إزاراً ورداءً أبيضين نظيفين، ويجوز بغير الأبيضين.

• أما المرأة فتحرم فيما شاءت من اللباس الساتر الذي ليس فيه تبرج أو تشبه بالرجال، دون أن تتقيد بلون محدد. ولكن تجتنب في إحرامها لبس النقاب والقفازين (النقاب: هو أن تغطي وجهها وتظهر عينيها، والقفازان: قماش مفصل على اليدين تغطي به المرأة يديها) لقوله ﷺ: «**ولا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين**»(٣).

• ولكنها تستر وجهها عن الرجال الأجانب بغير النقاب (بقطعة قماش تسدلها على وجهها)، لقول أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: «كنا نغطي وجوهنا من

---

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه البخاري.

الرجال في الإحرام»[١].

• ثم ينوي بقلبه الدخول في العمرة، ويتلفظ بما نوى فيقول: «**اللهم لبيك عمرة**»، والأفضل أن يتلفظ بالنية بعد استوائه على مركوبه؛ كالسيارة ونحوها.

• وإن كان يريد الإحرام بالحج فيلبي بحسب نسكه.. والأنساك ثلاثة:

• **التمتع**: وهو أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج (شوال، ذو القعدة، عشر ذي الحجة) فإذا فرغ من العمرة، نزع ملابسه وتحلل، فإذا جاء وقت الحج أحرم بالحج.

• **الإفراد**: أن يحرم بالحج فقط من الميقات، ويبقى على إحرامه حتى يؤدي أعمال الحج.

• **القران**: أن يحرم بالعمرة والحج معاً، أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل شروعه في طوافها، فينوي العمرة والحج من الميقات أو قبل الشروع في طواف العمرة، ويطوف لهما ويسعى.

• وعلى المتمتع والقارن ذبح هدي إن لم يكن من حاضري المسجد الحرام.

• وأفضل هذه الأنساك الثلاثة: التمتع؛ لأدلة كثيرة، وهو الذي سنشرحه هنا تجنباً للإطالة والتفصيل.

• يحرم بقوله: لبيك اللهم عمرة، وإن كان الإحرام للحج قال: لبيك اللهم حجاً.

• وليس للإحرام صلاة ركعتين تختصان به، ولكن لو أحرم بعد صلاة فريضة فهذا أفضل، لفعله ﷺ[٢].

• من كان مسافراً بالطائرة فإنه يحرم إذا حاذى الميقات جواً.

---

(١) رواه الحاكم وصححه.

(٢) رواه مسلم.

• إذا كان مريضاً، أو لديه عذر يخشى أن يعيقه عن إتمام عمرته أو حجه، فيقول بعد تلفظه بالنية: «**إن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني**». وفائدة هذا الاشتراط أنه لو عاقه شيء فإنه يحل من عمرته بلا فدية.

• بعد الإحرام يسن أن يكثر من التلبية، وهي: «**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك**» يرفع بها الرجال أصواتهم، أما النساء فيخفضن أصواتهن.

أعلف الحمار!!

• سفيان الثوري.. فقد حدث عنه عبد الرزاق.. أحد طلابه.. قال: قدم عليّ سفيان الثوري بعد العشاء فوضعت له العَشاء والزبيب والموز، فأكل أكلاً جيداً، فلما فرغ قام وتوضأ، ثم شد على وسطه إزاره واستقبل القبلة وقال: يا عبد الرزاق!! يقولون: اعلف الحمار ثم كده!! ثم صف قدميه يصلي حتى الصباح.

وقال ابن وهب: رأيت سفيان الثوري في الحرم بعد المغرب صلى ثم سجد سجدة فلم يرفع حتى نودي بالعشاء.

• قام أبو مسلم الخولاني ليلة فتعبت قدماه فضربهما بالسوط وأخذ يقول: أيظن أصحاب رسول الله ﷺ أن يسبقونا عليه؟ والله لنزاحمنهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا وراءهم رجالاً.

كيفية العمرة

• يستمر في التلبية حتى يدخل الحرم، فإذا دخله قطع التلبية واضطبع بإحرامه (يخرج كتفه الأيمن ويغطي الأيسر)، ثم استلم الحجر الأسود بيمينه (أي: مسح عليه) وقبّله قائلاً: الله أكبر، فإن لم يتمكن من تقبيله بسبب الزحام فإنه يستلمه بيده ويقبل يده.

• فإن لم يستطع استلمه بشيء معه كالعصا وما شابهها وقبّل ذلك الشيء.

• فإن لم يتمكن من استلامه استقبله بجسده وأشار إليه بيمينه ـ دون أن يُقبلها ـ قائلاً: «**الله أكبر**».

• ثم يطوف على الكعبة (٧) أشواط يبتدئ كل شوط بالحجر الأسود وينتهي به، ويُقبِّله ويستلمه مع التكبير كلما مر عليه، فإن لم يتمكن أشار إليه بلا تقبيل مع التكبير ـ كما سبق ـ ويفعل هذا أيضاً في نهاية الشوط السابع.

• أما الركن اليماني فإنه كلما مر عليه استلمه بيمينه دون تكبير، فإن لم يتمكن من استلامه بسبب الزحام فإنه لا يشير إليه ولا يكبر، بل يواصل طوافه.

• يستحب له أن يقول في المسافة التي بين الركن اليماني والحجر الأسود ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

• ليس للطواف ذكر خاص به فلو قرأ القرآن أو دعا أو ذكر الله فلا حرج.

• يسن للرجل أن يَرْمَلَ في الأشواط الثلاثة الأولى من طوافه، والرَمَل هو الإسراع في المشي مع تقارب الخطوات.

• ينبغي أن يكون على طهارة عند طوافه.

• إذا شك في عدد الأشواط فإنه يبني على اليقين؛ أي: يرجح الأقل، فإذا شك هل طاف (٣) أشواط أم (٤) فإنه يجعلها (٣) احتياطاً.

• إذا فرغ من طوافه اتجه لمقام إبراهيم عليه السلام وتلا: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

ثم صلى خلفه ركعتين بعد أن يزيل الاضطباع ويغطي كتفيه بردائه، ويسن أن يقرأ في الركعة الأولى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾، وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، فإن لم يتمكن من الصلاة خلف المقام بسبب الزحام فيصلي

في أي مكان بالحرم، ثم يستحب له أن يشرب من زمزم، ثم يستلم الحجر الأسود إن استطاع.

• ثم يتوجه للمسعى، فيبدأ بالصفا، فيقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة: ١٥٨].

ويقول: «نبدأ بما بدأ الله به»، ثم يرقى على الصفا فيستقبل القبلة ويرفع يديه داعياً يقول: **«الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»**، ثم يدعو بما شاء، ثم يعيد الذكر السابق، ثم يدعو ثانية، ثم يعيد الذكر السابق مرة ثالثة، ثمّ يخفض يده ويمشي إلى المروة، ويسرع بين العلمين الأخضرين في المسعى، فإذا وصل المروة فعل كما فعل على الصفا من استقبال القبلة والدعاء، وهكذا يفعل في بداية كل شوط، أما في نهاية الشوط السابع فلا يدعو.

• وليس للسعي ذكر خاص به، ولكن يذكر الله ويدعو بما شاء، وإن قرأ القرآن فلا حرج، ويستحب أن يكون متطهراً أثناء سعيه، وإذا أقيمت الصلاة وهو يسعى فإنه يصلي مع الجماعة ثم يكمل سعيه.

• ثم إذا فرغ من سعيه حلق شعر رأسه أو قصره، فإن كانت العمرة قريبة من وقت الحج فالتقصير أفضل، لكي يحلق شعره في الحج، أما إن كانت العمرة مفردة عن الحج فالحلق أفضل.

• لا بد أن يستوعب التقصير جميع أنحاء الرأس، فلا يكفي أن يقصر شعر رأسه من جهة واحدة.

• المرأة تقصر شعر رأسها بقدر أنملة الأصبع (قريباً من سنتيمتر واحد) من كل ظفيرة أو من كل جانب، لقوله ﷺ: **«ليس على النساء حلق إنما على النساء التقصير»**[1].

• ثم بعد الحلق أو التقصير تنتهي أعمال العمرة.

---

(١) رواه أبو داود.

بداية الحج
يوم التروية (٨) ذو الحجة

• إذا كان يوم التروية أحرم الحاج من مكانه الذي هو فيه، فاغتسل وتطيب، ثم ذهب إلى منى في الضحى، فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، يصلي كل صلاة في وقتها مع قصر الرباعية (أي: يصلي الظهر والعصر والعشاء ركعتين)، ثم يبت في منى.

يوم عرفة (٩) ذو الحجة

• فإذا طلعت شمس يوم عرفة توجه إلى عرفة، ويصلي الظهر والعصر قصراً وجمعاً في وقت الظهر، ويستحب للحاج الوقوف خلف جبل عرفة مستقبلاً القبلة؛ لأنه موقف النبي ﷺ، ويجتهد في الذكر والدعاء والاستغفار راكباً وماشياً وواقفاً وجالساً ومضطجعاً، ويختار الأدعية الواردة والجوامع، لقوله ﷺ: «**أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**»[1].

• ويوم عرفة يوم عظيم وما من يوم يعتق الله فيه رقاباً من النار كما يعتق في يوم عرفة، وما رُئي الشيطان أذل ولا أحقر منه في يوم عرفة، لما يرى من تنزل رحمات الله على عباده، فينبغي للحاج إظهار البكاء والانكسار والدعاء.

• ويبقى بعرفة إلى غروب الشمس ولا يجوز أن ينصرف منها قبل الغروب، فإن انصرف قبل الغروب، وجب عليه الرجوع، ليبقى فيها إلى الغروب، فإن لم يرجع، وجب عليه ذبح فدية، لتركه الواجب.

---

(١) رواه الترمذي.

• ووقت وقوف عرفة يبدأ بظهر يوم عرفة، ويستمر إلى طلوع الفجر ليلة العاشر، فمن وقف نهاراً، وجب عليه البقاء إلى الغروب، ومن وقف ليلاً ولو لحظة صح حجه، لقوله ﷺ: «**من وقف بعرفات بليل، فقد أدرك الحج**»(١).

• والوقوف بعرفة أعظم أركان الحج؛ لقوله ﷺ: «**الحج عرفة**»(٢).

الخروج من عرفة إلى مزدلفة والمبيت فيها

• بعد غروب الشمس ينطلق الحجاج من عرفة إلى مزدلفة؛ لأن النبي ﷺ لم يزل واقفاً بعرفة حتى غربت الشمس، وغادرها، وقد شَنّق لناقته الزمام، حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله، ويقول بيده اليمنى: «**أيها الناس! السكينة.. السكينة**»(٣)، ويكثرون من التلبية والاستغفار في طريقهم.

• فإذا وصل إلى مزدلفة، صلى بها المغرب والعشاء جمعاً مع قصر العشاء ركعتين بأذان واحد وإقامتين، لكل صلاة إقامة، وذلك فور وصولهم دون تأخير (وإذا لم يتمكنوا من وصول مزدلفة قبل منتصف الليل فإنهم يصلون المغرب والعشاء في طريقهم خشية خروج الوقت).

• ثم يبيت بمزدلفة حتى يصلي الفجر في أول الوقت، ثم يدعو الله إلى أن يُسْفر، ثم ينطلق إلى منى قبل طلوع الشمس.

• فإن كان من الضعفة كالنساء والصبيان ونحوهم، فإنه يجوز له أن يتعجل في الذهاب من مزدلفة إلى منى منتصف الليل ولا يلزمه الانتظار إلى الفجر، وكذلك يجوز لأولياء الضعفة الانصراف معهم بعد منتصف الليل، أما الأقوياء الذين ليس معهم ضعفة، فينبغي لهم البقاء حتى يصلوا الفجر، فإذا

---

(١) رواه الدارقطني والترمذي.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه مسلم.

صلوا الفجر أكثروا من الذكر والدعاء إلى أن يُسْفر، ثم ينصرفون إلى منى مكثرين من التلبية في طريقهم.

• فالمبيت بمزدلفة واجب من واجبات الحج، لا يجوز تركه لمن وصلها قبل منتصف الليل، أما من وصلها بعد منتصف الليل، فإنه يجزئه البقاء فيها ولو قليلاً، والأفضل أن يبقى إلى أن يصلي فيها الفجر.

• ويجوز لأهل الأعذار ترك المبيت بمزدلفة؛ كالمريض المحتاج لمستشفى.

اليوم العاشر (يوم النحر ـ العيد)

• ينطلق من مزدلفة إلى منى قبيل طلوع الشمس، ويأخذ حصى الجمار من طريقه قبل وصوله منى، هذا أفضل، أو يأخذه من مزدلفة، أو من منى، كله جائز وتكون الحصاة في حجم الظفر تقريباً؛ أي: أكبر من الحُمّص قليلاً.

• فيذهب لجمرة العقبة وتسمى الجمرة الكبرى، فيرميها بسبع حصيات، واحدة واحدة، بعد طلوع الشمس، ويمتد زمن الرمي إلى الغروب، وإن رمى في الليل جاز، وينتهي وقت الرمي بفجر يوم الحادي عشر.

• ولا بد أن تقع الحصى في حوض الجمرة، سواء استقرت فيه أو سقطت بعد ذلك، فيجب على الحاج أن يصوب الحصى إلى حوض الجمرة، لا إلى العمود الشاخص، فإن هذا العمود لم يبن لأجل أن يرمى، وإنما بني ليكون علامة على الجمرة، فلو ضربت الحصاة العمود، وطارت، ولم تمر على الحوض، لم تجزئه، وإن ضربت العمود وسقطت في الحوض لكنها تدحرجت منه وخرجت، فرميه صحيح.

• والضعفة يرمون بعد منتصف ليلة مزدلفة، وإن رمى غير الضعفة بعد منتصف الليل أيضاً، جاز لكنه خلاف الأفضل.

• ويسن ألا يبدأ بشيء حين وصوله إلى منى قبل رمي جمرة العقبة؛ لأنه تحية منى، ويستحب أن يكبر مع كل حصاة، ويقول: «**اللهم اجعله حجاً**

مبروراً وذنباً مغفوراً»[1]، ولا يرمي في يوم النحر غير جمرة العقبة.

• وبعد الرمي ينحر الحاج هديه إن كان متمتعاً أو قارناً، فيأكل منه ويتصدق ويهدي، ويمتد وقت الذبح إلى غروب الشمس يوم (١٣ ذي الحجة) مع جواز الذبح ليلاً، ولكن الأفضل المبادرة بذبحه بعد رمي جمرة العقبة يوم العيد، لفعله ﷺ: **«وإذا لم يجد الحاج ثمن الهدي صام (٣) أيام في الحج، ويستحب أن تكون يوم ١١ و١٢ و١٣ و(٧) أيام إذا رجع إلى بلده»**.

• ثم يحلق رأسه أو يقصره، والحلق أفضل، لقوله تعالى: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، ودعا ﷺ للمحلقين ثلاثاً، وللمقصرين مرة واحدة، وعند التقصير يجب أن يعم جميع شعر رأسه، ولا يجزئ قص بعضه أو جانب منه فقط؛ لقوله تعالى: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾، فأضاف الحلق والتقصير إلى جميع الرأس.

• والأصلع الذي ليس له شعر، يمر الموسى على رأسه؛ لقوله ﷺ: **«إذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه ما استطعتم»**.

• والمرأة تقص من كل ضفيرة قدر أنملة (عقلة أصبع)، فإن كان شعرها غير مضفور، جمعته، وقصّت من أطرافه.

• وبعد الرمي والحلق أو التقصير يحل للمحرم الطيب واللباس وغيره، إلا النساء، وهذا هو التحلل الأول ـ يحل له كل شيء إلا النساء ـ.

• ثم يتطيب ويذهب إلى الحرم ليطوف طواف الإفاضة لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٩]، ولقول عائشة رضي الله عنها: «كنت أطيب رسول الله ﷺ لحله قبل أن يطوف بالبيت»، ثم يسعى بعد هذا الطواف سعي الحج.

• وبعد هذا الطواف يحل للحاج كل شيء حرم عليه بسبب الإحرام حتى النساء، ويسمى هذا التحلل: التحلل الثاني أو التام.

---

(١) رواه أحمد.

• والأفضل أن يرتب فعل هذا الثلاثة هكذا: الرمي، ثم الحلق أو التقصير، ثم طواف الإفاضة، لكن لو قدم بعضها على بعض فلا حرج، ويحصل التحلل الأول بفعل اثنين من هذه الثلاثة، والتحلل الثاني يحصل بفعل هذه الثلاثة كلها، فإذا فعلها؛ حل له كل شيء.

• وصفة الطواف والسعي كما تقدم في صفة العمرة.

أيام التشريق (١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ذو الحجة)

• وبعد طواف الإفاضة يوم العيد يرجع إلى منى، فيبيت بها وجوباً؛ لأنه ﷺ لم يرخص لأحد أن يبيت بمكة، إلا للعباس لأجل سقايته[١]. فيبيت بمنى ثلاث ليالٍ (ليلة الحادي عشر (أي: مساء اليوم العاشر)، وليلة الثاني عشر، وليلة الثالث عشر) إن لم يتعجل، وإن تعجل، بات ليلتين: (ليلة الحادي عشر، وليلة الثاني عشر) ويصلي الصلوات في منى قصراً بلا جمع، بل كل صلاة في وقتها.

• ويرمي الجمرات الثلاث كل يوم من أيام التشريق بعد الزوال (بعد أذان الظهر)؛ لقول ابن عمر: «كنا نتحين، فإذا زالت الشمس، رمينا»[٢]، فقوله: «نتحين»؛ أي: نراقب الشمس فإذا دخل وقت صلاة الظهر رمينا، ولقوله ﷺ: «**لتأخذوا عني مناسككم**»[٣]، فالرمي في اليوم الحادي عشر وما بعده يبدأ وقته بعد الزوال، والرمي قبل الزوال لا يصح، ولا يجزئ، فكما لا تجوز الصلاة قبل وقتها فإن الرمي لا يجوز قبل وقته، (ورخص بعض أفاضل أهل العلم من المعاصرين) وبعض المتقدمين في الرمي قبل الزوال في أيام التشريق؛ لأن النبي ﷺ رمى بعد الزوال لكنه لم ينه عن الرمي قبل الزوال، وما سئل عن شيء قُدِّم وأخر في الحج إلا قال: «**افعل ولا حرج**»؛ ولأن

---

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

الترخيص بالرمي قبل الزوال أرفق بالناس، خاصة مع الزحام الشديد هذا الزمان، ولأن حديث ابن عمر المتقدم حكاية فعل، ولكن: الأولى الالتزام بقوله ﷺ: «**لتأخذوا عني مناسككم**»، وهو ﷺ ما رمى إلا بعد الزوال، والله أعلم».

• وعند الرمي يبتدئ بالصغرى ثم الوسطى، ثم الكبرى، بسبع حصيات لكل جمرة، مع التكبير عند رمي كل حصاة.

• ويسن له بعد أن يرمي الصغرى أن يتقدم قليلاً ويجعلها عن يساره ويستقبل القبلة ويدعو طويلاً رافعاً يديه، وبعد رمي الوسطى يتقدم ويجعلها عن يمينه ويستقبل القبلة ويدعو طويلاً رافعاً يديه، أما الجمرة الكبرى (جمرة العقبة) فإنه يرميها ولا يقف يدعو؛ لفعله ﷺ ذلك[1].

• ويجوز للمريض وكبير السن والمرأة الحامل والضعيفة، أن يوكلوا من يرمي عنهم، ويرمي النائب الجمار عند كلّ جمرة عن نفسه، سبع حصيات، ثم عن مستنيبه سبع حصيات.

• ثم بعد رمي الجمرات في اليوم (١٢) إن شاء الحاج تعجل وخرج من منى قبل المغرب، وإن شاء تأخر وبات ورمى الجمرات يوم (١٣) بعد الزوال، وهو أفضل؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وإن غربت عليه الشمس قبل أن يرتحل من منى يوم (١٢)، لزمه التأخر والمبيت والرمي في اليوم (١٣).

• وبعد فراغ الحاج من حجه وعزمه الرجوع لبلده أو السفر إلى غيره، فإنه يطوف طواف الوداع، قبل سفره من مكة، لقول ابن عباس رضي الله عنهما: «أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت، إلا أنه خُفف عن المرأة الحائض»[2]، فالحائض ليس عليها طواف وداع.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

هل طلع الفجر

• كان للحسن بن صالح جاريةٌ فاشتراها منه بعضهم.. فلما انتصف الليل عند سيدها الجديد قامت تصيح في الدار: يا قوم.. الصلاة.. الصلاة.. فقاموا فزعين.. وسألوها: هل طلع الفجر؟

فقالت: وأنتم لا تصلون إلا المكتوبة؟! ثم قامت تصلي.. فلما أصبحت رجعت إلى سيدها الأول.. وقالت له: لقد بعتني إلى قوم سوء لا يصلون إلا الفريضة ولا يصومون إلا الفريضة فردني فردها.. فليت شعري.. ماذا تقول تلك الجارية لو رأت فريقاً من مسلمي زماننا.. الذين تمر عليهم الأيام تترى.. وهم على فرشهم يتقلبون.. فلا الليل يقومون.. ولا صلاةَ الفجر يشهدون فكانوا كما قال الله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ۝٥٩﴾ [مريم: ٥٩].

مسائل متفرقة

حج الصبي

• يصح فعل الحج والعمرة من الصبي نفلاً؛ لأن امرأة رفعت إلى النبي ﷺ صبياً، فقالت: ألهذا حج؟ قال: «**نعم، ولك أجر**»(١).

• وقد أجمع أهل العلم على أن الصبي إذا حج قبل أن يبلغ، فعليه الحج إذا بلغ واستطاع، ولا تجزئه تلك الحجة عن حجة الإسلام، وكذا عمرته.

• كيفية إحرامه: إن كان الصبي دون التمييز ولا يفهم معنى الإحرام، عقد عنه الإحرام وليه، بأن ينويه عنه، ويجنبه المحظورات، ويطوف ويسعى به محمولاً، ويستصحبه في عرفة ومزدلفة ومنى، ويرمي عنه الجمرات.

---

(١) رواه مسلم.

• وإن كان الصبي مميزاً، نوى الإحرام بنفسه بإذن وليه، ويؤدي ما قَدِر عليه من مناسك الحج، وما عجز عنه يفعله عنه وليه مما يصح فيه التوكيل؛ كرمي الجمرات، ويُطاف ويُسعى به راكباً أو محمولاً إن عجز عن المشي. وكل ما يمكن الصغير مميزاً كان أو دونه ـ فعله بنفسه كالوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة، لزمه فعله، بمعنى أنه لا يصح أن يفعل عنه، لعدم الحاجة لذلك، ويجتنب في حجه ما يجتنب الكبير من المحظورات.

من أحكام المرأة

• لا يجوز للمرأة السفر لحج ولا لغيره بدون محرم؛ لقوله ﷺ: «**لا تسافر المرأة إلا مع محرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم**»[1].

• ومحرم المرأة هو: زوجها، أو من يحرم عليه نكاحها تحريماً مؤبداً بنسب؛ كأخيها وأبيها وعمها وابن أخيها وخالها، أو حرم عليه بسبب مباح؛ كأخ من رضاع أو بمصاهرة كزوج أمها وابن زوجها، ونفقة محرمها في السفر عليها، فيشترط لوجوب الحج عليها أن تملك ما تنفق عليها وعلى محرمها ذهاباً وإياباً.

• المرأة إذا حاضت أو نفست قبل الإحرام ثم أحرمت، أو أحرمت وهي طاهرة ثم أصابها الحيض أو النفاس وهي محرمة، فإنها تبقى على إحرامها وتعمل ما يعمله الحاج من الوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة ورمي الجمار والمبيت بمنى، إلا أنها لا تطوف بالبيت ولا تسعى بين الصفا والمروة حتى تطهر من حيضها أو نفاسها، لكن لو قدر أنها طافت وهي طاهرة، ثم نزل عليها الحيض بعد الطواف، فإنها تسعى بين الصفا والمروة، ولا يمنعها الحيض من ذلك؛ لأن السعي لا يشترط له الطهارة، ويجوز للمرأة أن تأكل حبوب منع العادة لكي لا يأتيها الحيض أثناء الحج.

---

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح.

أحكام الإنابة

• إن كان الشخص عاجزاً عن الحج بنفسه، وكان قادراً بماله دون جسمه، بأن يكون كبيراً هرماً أو مريضاً مرضاً مزمناً لا يرجى برؤه، لزمه أن يقيم من يحج عنه ويعتمر حجة وعمرة الإسلام من بلده أو غيره؛ لأن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله، إن أبي أدركته فريضة الله في الحج شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه، قال: «**حجي عنه**»[١]، ويشترط في النائب عن غيره في الحج أن يكون قد حج عن نفسه حجة الإسلام؛ لأنه ﷺ سمع رجلاً يقول: لبيك عن شبرمة، قال: «**حججت عن نفسك؟**»، قال: لا، قال: «**حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة**»[٢].

• ويعطى النائب من المال ما يكفيه تكاليف السفر ذهاباً وإياباً، وينبغي أن يكون مقصود النائب نفع أخيه المسلم، فيكون حجه لله لا لأجل الدنيا.

• والنائب ينوي الإحرام عن منيبه، ويلبي عنه، ويكفيه أن ينوي بقلبه النسك عنه، ولو لم يتلفظ باسمه، ويجوز للمسلم أن يحج عن أبويه إن كانا ميتين أو حيين عاجزين عن الحج، ويقدم أمه؛ لأنها أحق بالبر.

• ومن وجب عليه الحج ثم مات قبل الحج، أخرج من تركته نفقة من يحج عنه؛ لأن امرأة قالت: يا رسول الله، إن أمي نذرت أن تحج، فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: «**نعم، حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته، اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء**»[٣].

---

(١) متفق عليه.
(٢) إسناده جيد، وصححه البيهقي.
(٣) رواه البخاري.

محظورات الإحرام

• محظورات الإحرام هي المحرمات التي يجب على المحرم تجنبها بسبب الإحرام، وهي تسعة:

• **الأول**: إزالة الشعر من أي موضع من بدنه بلا عذر بحلق أو نتف؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٩٦].

• **الثاني**: قص الأظافر، لكن إن انكسر ظفره فأزاله للضرورة، جاز.

• **الثالث**: تغطية الرجل رأسه، بملامس كعمامة وطاقية، لكن لو استعمل مظلة، أو استظل بشجرة أو سقف سيارة، جاز.

• **الرابع**: لبس الرجل المخيط على بدنه من قميص أو سراويل، وكذلك القفازين والجوارب، لقوله ﷺ عن المحرم: «**لا يلبس القميص، ولا العمامة، ولا البرانس، ولا السراويل، ولا ثوباً مسه ورس ولا زعفران، ولا الخفين**»(١).

• وأما المرأة، فتلبس ما شاءت، إلا أنها لا تلبس النقاب، ولا البرقع (وهو لباس تغطي به المرأة وجهها فيه ثقبان على العينين)، بل تغطي وجهها بخمار أو جلباب، ولا تلبس القفازين، لقوله ﷺ: «**لا تنتقب المرأة، ولا تلبس القفازين**»(٢).

• **الخامس**: الطيب، فيحرم استعماله في بدنه أو لباسه؛ لأنه ﷺ قال في المحرم: «**ولا تمسوه بطيب**»(٣). وينبغي أن لا يتعمد شم الطيب أيضاً.

• **السادس**: صيد حيوانات البر؛ لقوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦].

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مسلم.

• **السابع**: عقد النكاح لنفسه (الزواج) أو لغيره (تزويج غيره كابنته وأخته)؛ لقوله ﷺ: «**لا يَنكَح المحرم ولا يُنكِح**»(١).

• **الثامن**: الجماع؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ﴾ [البقرة: ١٩٧]، قال ابن عباس: (الرفث: الجماع).

• فمن جامع قبل التحلل الأول، فسد حجه، ويلزمه إكماله، وقضاؤه العام القادم، وعليه ذبح بدنة، وإن كان الوطء بعد التحلل الأول، صح حجه، وعليه ذبح شاة.

• **التاسع**: مباشرة المرأة بلمس بشهوة، أو تقبيل، ونحوه.

• يجب على الحاج أن يبتعد عن هذه المحظورات، لئلا يقدح في حجه، ومن فعل شيئاً منها، فحكمه فيه تفصيل، من جهة لزوم الفدية أو عدم لزومها، ولا مجال لتفصيل ذلك هنا، ويمكن الرجوع إلى أهل العلم عند وقوع ذلك.

۞ وختاماً:

أسأل الله أن يتقبل منا عباداتنا، وأن يجعلها صحيحة على السُّنّة.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

(١) رواه مسلم.

فِي بَطْنِ الحُوتِ

.. أعمى يسدد الهدف..

لم أكن جاوزتُ الثلاثين حين أنجبتْ زوجتي أول أبنائي..

ما زلت أذكر تلك الليلة.. بقيت إلى آخر الليل مع الشلة في إحدى الاستراحات.. كانت سهرة مليئة بالكلام الفارغ.. بل بالغيبة، والتعليقات المحرمة..

كنت أنا الذي أتولى في الغالب إضحاكهم.. وغيبة الناس.. وهم يضحكون.. أذكر ليلتها أني أضحكتهم كثيراً.. كنت أمتلكُ موهبة عجيبة في التقليد.. بإمكاني تغيير نبرة صوتي حتى تصبح قريبة من الشخص الذي أسخر منه.. أجل كنت أسخر من هذا وذاك.. لم يسلم أحد مني حتى أصحابي.. صار بعض الناس يتجنبني كي يسلم من لساني..

أذكر أني تلك الليلة سخرت من أعمى رأيته يتسول في السوق.. والأدهى أني وضعت قدمي أمامه فتعثر وسقط يتلفت برأسه لا يدري ما يقول.. وانطلقت ضحكتي تدوي في السوق..

عدت إلى بيتي متأخراً؛ كالعادة.. وجدت زوجتي في انتظاري.. كانت في حالة يُرثَى لها.. قالت بصوت متهدج: راشد.. أين كنت؟

ـ قلت ساخراً: في المريخ.. عند أصحابي بالطبع..

كان الإعياء ظاهراً عليها..

ـ قالت والعبرة تخنقها: راشد.. أنا تعبة جداً.. الظاهر أن موعد ولادتي صار وشيكاً..

سقطت دمعة صامتة على خدها.. أحسست أني أهملت زوجتي.. كان المفروض أن أهتمَ بها وأقلل من سهراتي.. خاصة أنها في شهرها التاسع..

حملتها إلى المستشفى بسرعة.. دخلت غرفة الولادة.. جعلت تقاسي الآلام ساعات طوال..

كنت أنتظر ولادتها بفارغ الصبر.. تعسرت ولادتها.. فانتظرت طويلاً حتى تعبت.. فذهبت إلى البيت.. وتركت رقم هاتفي عندهم ليبشروني..

بعد ساعة.. اتصلوا بي ليزفوا لي نبأ قدوم سالم.. ذهبت إلى المستشفى فوراً.. أول ما رأوني أسأل عن غرفتها..

طلبوا مني مراجعة الطبيبة التي أشرفت على ولادة زوجتي.. صرخت بهم: أي طبيبة؟! المهم أن أرى ابني سالم.. قالوا:.. أولاً.. راجع الطبيبة..

دخلت على الطبيبة.. كلمتني عن المصائب.. والرضا بالأقدار..

ثم قالت: ولدك به تشوه شديد في عينيه، ويبدو أنه فاقد البصر!!

خفضت رأسي.. وأنا أدافع عبراتي.. تذكرت ذاك المتسول الأعمى.. الذي دفعته في السوق، وأضحكت عليه الناس..

سبحان الله كما تدين تدان! بقيت واجماً قليلاً.. لا أدري ماذا أقول.. ثم تذكرت زوجتي وولدي..

شكرت الطبيبة على لطفها.. ومضيت لأرى زوجتي..

لم تحزن زوجتي.. كانت مؤمنة بقضاء الله. راضية.. طالما نصحتني أن أكف عن الاستهزاء بالناس.. كانت تردد دائماً: لا تغتب الناس..

خرجنا من المستشفى.. وخرج سالم معنا..

في الحقيقة لم أكن أهتم به كثيراً.. اعتبرته غير موجود في المنزل..

حين يشتد بكاؤه أهرب إلى الصالة لأنام فيها.. كانت زوجتي تهتم به كثيراً.. وتحبه كثيراً.. أما أنا فلم أكن أكرهه.. لكنني لم أستطع أن أحبه!

كبر سالم.. بدأ يحبو.. كانت حبوته غريبة.. قارب عمره السنة، فبدأ يحاول المشي.. فاكتشفنا أنه أعرج.. أصبح ثقيلاً على نفسي أكثر..

أنجبت زوجتي بعده عمر وخالداً.. مرت السنوات.. وكبر سالم.. وكبر أخواه..

كنت لا أحب الجلوس في البيت.. دائماً مع أصحابي.. في الحقيقة كنت كاللعبة في أيديهم.. لم تيأس زوجتي من إصلاحي.. كانت تدعو لي دائماً بالهداية.. لم تغضب من تصرفاتي الطائشة.. لكنها كانت تحزن كثيراً.. إذا رأت إهمالي لسالم واهتمامي بباقي إخوته.. كبر سالم.. وكبر معه همي..

لم أمانع حين طلبت زوجتي تسجيله في إحدى المدارس الخاصة بالمعاقين.. لم أكن أحس بمرور السنوات.. أيامي سواء.. عمل، ونوم، وطعام، سهر..

في يوم جمعة.. استيقظت الساعة الحادية عشرة ظهراً.. لا يزال الوقت مبكراً بالنسبة لي.. كنت مدعواً إلى وليمة.. لبست وتعطرت وهممت بالخروج..

مررت بصالة المنزل.. استوقفني منظر سالم.. كان يبكي بحرقة! إنها المرة الأولى التي أنتبه فيها إلى سالم يبكي مُنْذ كان طفلاً.. عشر سنوات مضت.. لم ألتفت إليه.. حاولت أن أتجاهله.. فلم أحتمل.. كنت أسمع صوته ينادي أمه وأنا في الغرفة..

التفت.. ثم اقتربت منه..

ـ قلت: سالم! لماذا تبكي؟!

حين سمع صوتي توقف عن البكاء.. فلما شعر بقربي.. بدأ يتحسس ما حوله بيديه الصغيرتين.. ما به يا ترى؟! اكتشفت أنه يحاول الابتعاد عني!!

وكأنه يقول: الآن أحسست بي.. أين أنت منذ عشر سنوات؟! تبعته.. كان قد دخل غرفته.. رفض أن يخبرني في البداية سبب بكائه.. حاولت التلطف معه..

بدأ سالم يبين سبب بكائه.. وأنا أستمع إليه وأنتفض.. تدري ما

السبب!! تأخر عليه أخوه عمر.. الذي اعتاد أن يوصله إلى المسجد.. ولأنها صلاة جمعة.. خاف ألا يجد مكاناً في الصف الأول..

نادى عمر.. ونادى والدته.. ولكن لا مجيب.. فبكى.. أخذت أنظر إلى الدموع تتسرب من عينيه المكفوفتين.. لم أستطع أن أتحمل بقية كلامه.. وضعت يدي على فمه.. وقلت: لذلك بكيت يا سالم!!

ـ قال: نعم..

نسيت أصحابي.. ونسيت الوليمة..

ـ وقلت: سالم لا تحزن.. هل تعلم من سيذهب بك اليوم إلى المسجد؟

ـ قال: أكيد عمر.. لكنه يتأخر دائماً..

ـ قلت: لا، بل أنا سأذهب بك..

دهش سالم.. لم يصدق.. ظن أني أسخر منه.. استعبر ثم بكى.. مسحت دموعه بيدي.. وأمسكت يده.. أردت أن أوصله بالسيارة.. رفض قائلاً: المسجد قريب.. أريد أن أخطو إلى المسجد.. ـ إي والله قال لي ذلك ـ لا أذكر متى كانت آخر مرة دخلت فيها المسجد.. لكنها المرة الأولى التي أشعر فيها بالخوف.. والندم على ما فرطته طوال السنوات الماضية..

كان المسجد مليئاً بالمصلين.. إلا أني وجدت لسالم مكاناً في الصف الأول..

استمعنا لخطبة الجمعة معاً، وصلى بجانبي.. بل في الحقيقة أنا صليت بجانبه.. بعد انتهاء الصلاة طلب مني سالم مصحفاً..

استغربت!! كيف سيقرأ، وهو أعمى؟

كدت أن أتجاهل طلبه.. لكني جاملته خوفاً من جرح مشاعره.. ناولته المصحف.. طلب مني أن أفتح المصحف على سورة الكهف..

أخذت أقلب الصفحات تارة.. وأنظر في الفهرس تارة.. حتى وجدتها.. أخذ مني المصحف، ثم وضعه أمامه، وبدأ في قراءة السورة..

وعيناه مغمضتان.. يا الله!! إنه يحفظ سورة الكهف كاملة!!

خجلت من نفسي.. أمسكت مصحفاً.. أحسست برعشة في أوصالي.. قرأت وقرأت.. دعوت الله أن يغفر لي ويهديني..

لم أستطع الاحتمال.. فبدأت أبكي؛ كالأطفال..

كان بعض الناس لا يزال في المسجد يصلي السُّنَّة.. خجلت منهم.. فحاولت أن أكتم بكائي.. تحول البكاء إلى نشيج وشهيق..

لم أشعر إلا بيد صغيرة تتلمس وجهي.. ثم تمسح عني دموعي.. إنه سالم!! ضممته إلى صدري.. نظرت إليه.. قلت في نفسي: لست أنت الأعمى.. بل أنا الأعمى.. حين انسقت وراء فسّاق يجرونني إلى النار..

عدنا إلى المنزل.. كانت زوجتي قلقة كثيراً على سالم.. لكن قلقها تحوّل إلى دموع حين علمت أني صليت الجمعة مع سالم..

من ذلك اليوم لم تفتني صلاة جماعة في المسجد.. هجرت رفقاء السوء.. وأصبحت لي رفقة خيرة عرفتها في المسجد.. ذقت طعم الإيمان معهم.. عرفت منهم أشياء ألهتني عنها الدنيا.. لم أفوت حلقة ذكر أو صلاة الوتر.. ختمت القرآن عدة مرات في شهر..

رطبت لساني بالذكر لعل الله يغفر لي غيبتي وسخريتي من الناس..

أحسست أني أكثر قرباً من أسرتي.. اختفت نظرات الخوف والشفقة التي كانت تطل من عيون زوجتي.. الابتسامة ما عادت تفارق وجه ابني سالم.. من يراه يظنه ملك الدنيا وما فيها.. حمدت الله كثيراً على نعمه..

ذات يوم.. قرر أصحابي الصالحون أن يتوجهوا إلى إحدى المناطق البعيدة للدعوة.. ترددت في الذهاب.. استخرت الله.. واستشرت زوجتي.. توقعت أنها سترفض.. لكن حدث العكس!

فرحت كثيراً.. بل شجعتني.. فلقد كانت تراني في السابق أسافر دون استشارتها فسقاً، وفجوراً..

توجهت إلى سالم.. أخبرته أني مسافر.. ضمني بذراعيه الصغيرين مودعاً..

تغيبت عن البيت ثلاثة أشهر ونصف الشهر..

كنت خلال تلك الفترة أتصل كلما سنحت لي الفرصة بزوجتي وأحدث أبنائي.. اشتقت إليهم كثيراً.. آآآه كم اشتقت إلى سالم!! تمنيت سماع صوته.. هو الوحيد الذي لم يحدثني منذ سافرت.. إما أن يكون في المدرسة، أو المسجد ساعة اتصالي بهم..

كلما حدثت زوجتي عن شوقي إليه.. كانت تضحك فرحاً، وبشراً.. إلا آخر مرة هاتفتها فيها.. لم أسمع ضحكتها المتوقعة.. تغير صوتها..

- قلت لها: أبلغي سلامي لسالم..

- فقالت: إن شاء الله.. وسكتت..

أخيراً عدت إلى المنزل.. طرقت الباب.. تمنيت أن يفتح لي سالم.. لكن فؤجئت بابني خالد الذي لم يتجاوز الرابعة من عمره.. حملته بين ذراعي وهو يصرخ: بابا.. بابا..

لا أدري لماذا انقبض صدري حين دخلت البيت.. استعذت بالله من الشيطان الرجيم.. أقبلت إلى زوجتي.. كان وجهها متغيراً.. كأنها تتصنع الفرح.. تأمّلتها جيداً.. ثم سألتها: ما بك؟

- قالت: لا شيء..

فجأة تذكرت سالماً.. فقلت: .. أين سالم؟

خفضت رأسها.. لم تجب.. سقطت دمعات حارة على خديها.. صرخت بها.. سالم.. أين سالم؟

لم أسمع حينها سوى صوت ابني خالد يقول: بلثغته: بابا.. بابا.. ثالم لاح الجنة.. عند الله.. لم تتحمل زوجتي الموقف.. أجهشت بالبكاء.. كادت تسقطت على الأرض.. فخرجت من الغرفة..

عرفت بعدها أن سالم أصابته حمى قبل موعد مجيئي بأسبوعين..

فأخذته زوجتي إلى المستشفى.. فاشتدت عليه الحمى.. ولم تفارقه.. حين فارقت روحه جسده..

.. الملك..

بعض الناس.. تشتاق نفسه إلى الهداية.. لكنه يمنعه الكِبرُ من اتباع شعائر الدين..

نعم؛ يتكبر عن تقصير ثوبه فوق الكعبين.. وإعفاء لحيته، ومخالفة المشركين.. فجمال مظهره أعظم عنده من طاعة ربه..

وبعض النساء كذلك.. لا تزال تتساهل بأمر الحجاب.. حرصاً على تكميل زينتها.. وحسن بزتها.. أو تعصي ربها بنتف حاجبها.. أو تضييق لباسها.. وإذا نصحت استكبرت وطغت..

ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر.. فكيف إذا كان هذا الكبر مانعاً من الهداية..

كان جبلة بن الأيهم.. ملكاً من ملوك غسان.. دخل إلى قلبه الإيمان.. فأسلم، ثم كتب إلى الخليفة عمر ﷺ.. يستأذنه في القدوم عليه.. سرّ عمر، والمسلمون لذلك سروراً عظيماً..

وكتب إليه عمر: أن اقدم إلينا.. ولك ما لنا وعليك ما علينا..

فأقبل جبلة في خمسمائة فارس من قومه.. فلما دنا من المدينة لبس ثياباً منسوجة بالذهب.. ووضع على رأسه تاجاً مرصعاً بالجواهر.. وألبس جنوده ثياباً فاخرة.. ثم دخل المدينة.. فلم يبق أحد إلا خرج ينظر إليه حتى النساء والصبيان..

فلما دخل على عمر رحَّب به، وأدنى مجلسه!..

فلما دخل موسم الحج.. حج عمر، وخرج معه جبلة.. فبينما هو يطوف بالبيت.. إذ وطئ على إزاره رجل فقير من بني فزارة.. فالتفت إليه جبلة مغضباً.. فلطمه فهشم أنفه.. فغضب الفزاري.. واشتكاه إلى عمر بن الخطاب..

فبعث إليه فقال: ما دعاك يا جبلة إلى أن لطمت أخاك في الطواف.. فهشمت أنفه!

ـ فقال بكل كبر وغرور: إنه وطئ إزاري! ولولا حرمة البيت لضربت عنقه..

ـ فقال له عمر: أما الآن فقد أقررت.. فإما أن ترضيه.. وإلا اقتص منك ولطمك على وجهك..

ـ قال: يقتص مني، وأنا ملك، وهو سوقة!

قال عمر: يا جبلة.. إن الإسلام قد ساوى بينك وبينه.. فما تفضله بشيء إلا بالتقوى..

ـ قال جبلة: إذن أتنصر..

ـ قال عمر: من بدل دينه فاقتلوه.. فإن تنصرت ضربت عنقك..

ـ فقال: أخرني إلى غد يا أمير المؤمنين..

ـ قال: لك ذلك.. فلما كان الليل خرج جبلة وأصحابه من مكة.. وسار إلى القسطنطينية فتنصّر..

فلما مضى عليه زمان هناك.. ذهبت اللذات.. وبقيت الحسرات.. فتذكر أيام إسلامه.. ولذة صلاته، وصيامه.. فندم على ترك الدين.. والشرك برب العالمين..

فجعل يبكي ويقول:

تنصرت الأشراف من عار لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني منها لجاج ونخوة ... وبعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمي لم تلدني وليتني ... رجعت إلى القول الذي قال لي عمر
ويالليتني أرعى المخاض بقفرة ... وكنت أسير في ربيعة أو مضر
ويالليت لي بالشام أدنى معيشة ... أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ثم ما زال على نصرانيته حتى مات..

نعم.. مات على الكفر.. لأنه تكبر عن الذلة لشرع رب العالمين..

.. شيخ في مرقص..

ـ قال لي: كان في حارتنا مسجد صغير يؤم الناس فيه شيخ كبير.. قضى حياته في الصلاة والتعليم..

لاحظ أن عدد المصلين يتناقص.. كان مهتماً بهم.. يشعر أنهم أولاده..

ذات يوم التفت الشيخ إلى المصلين، وقال لهم: ما بال أكثر الناس.. خاصة الشباب لا يقربون المسجد، ولا يعرفونه..

ـ فأجابه المصلون: إنهم في المراقص، والملاهي..

ـ قال الشيخ: مراقص!! وما المراقص؟

ـ فقال أحد المصلين: المرقص صالة كبيرة فيها خشبة مرتفعة.. تصعد عليها الفتيات يرقصن والناس حولهن ينظرون إليهن..

ـ قال الشيخ: أعوذ بالله.. والذين ينظرون إليهن مسلمون..

ـ قالوا: نعم..

ـ فقال بكل براءة: لا حول ولا قوة إلا بالله.. يجب أن ننصح الناس..

ـ قالوا :يا شيخ.. تعظ الناس وتنصحهم في المرقص..؟

فقال: نعم.. ثم نهض خارجاً من المسجد.. وهو يقول: هيا بنا إلى المرقص..

حاولوا أن يثنوه عن عزمه.. أخبروه أنهم سيواجهون بالسخرية، والاستهزاء.. وسينالهم الأذى..

ـ فقال: وهل نحن خير من محمد ﷺ!!

ثم أمسك الشيخ بيد أحد المصلين.. وقال: دلني على المرقص..

مضى الشيخ يمشي.. بكل صدق وثبات حتى وصلوا إلى المرقص..

رآهم صاحب المرقص من بعيد.. ظن أنهم ذاهبون لدرس، أو محاضرة.. فلما أقبلوا عليه.. تعجب!!.. فلما توجهوا إلى باب المرقص..

ـ سألهم: ماذا تريدون؟

ـ قال الشيخ: نريد أن ننصح من في المرقص..

تعجب صاحب المرقص.. وأخذ ينظر إليهم.. واعتذر عن قبولهم.. أخذ الشيخ يساومه.. ويذكره بالثواب العظيم.. لكنه أبى.

فأخذ يساومه بالمال ليأذن لهم.. حتى دفعوا له مبلغاً من المال يعادل دخله اليومي.. فوافق صاحب المرقص.. وطلب منهم أن يحضروا في الغد عند بدء العرض اليومي! فلما كان الغد والناس في المرقص.. وخشبة المسرح تعج بالمنكرات.. والشياطين تحف الناس، وتصفق لهم.. وفجأة أسدل الستار.. ثم فتح.. فإذا شيخ وقور يجلس على كرسي.. دهش الناس.. وتعجبوا.. ظن بعضهم أنها فقرة فكاهية..

بدأ الشيخ بالبسملة.. والحمد لله.. والثناء عليه.. وصلى على النبي عليه الصلاة والسلام.. ثم بدأ في وعظ الناس..

نظر الناس بعضهم إلى بعض.. منهم من يضحك.. ومنهم من ينتقد.. ومنهم من يعلق بسخرية.. والشيخ ماض في موعظته لا يلتفت إليهم.. حتى قام أحد الحضور.. وأسكت الناس.. وطلب منهم الإنصات..

بدأ الهدوء يحيط بالناس.. والسكينة تنزل على القلوب.. حتى هدأت الأصوات.. فلا تسمع إلا صوت الشيخ.. قال كلاماً ما سمعوه من قبل.. آيات تهز الجبال.. وأحاديث وأمثال.. وقصص لتوبة بعض العصاة.. وأخذ يدافع عبراته ويقول:

يا أيها الناس.. إنكم عشتم طويلاً.. وعصيتم الله كثيراً.. فأين ذهبت لذة المعصية.. لقد ذهبت اللذة وبقيت الصحائف سوداء.. ستسألون عنها يوم القيامة.. سيأتي يوم يفنى فيه كل شيء إلا الله الواحد القهار..

أيها الناس.. هل نظرتم إلى أعمالكم.. وإلى أين ستؤدي بكم.. إنكم

لا تتحملون النار في الدنيا.. وهي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم.. فبادروا بالتوبة قبل فوات الأوان..

أيها الناس.. ماذا فعل الله بكم لتواجهوا بالعصيان.. أليس خيره عليكم نازل، وشركم إليه صاعد.. يتحبب إليكم بالنعم.. وتتبغضون إليه بالمعاصي..

وبدأ الشيخ متأثراً، وهو يعظ.. كانت كلماته قد خرجت من القلب.. فوصلت إلى القلب.. بكى الناس.. فزاد في موعظته.. ثم دعا لهم بالرحمة والمغفرة.. وهم يرددون: آمين.. آمين.. ثم قام من على كرسيه.. تجلله المهابة والوقار.. وخرج الجميع وراءه.. ـ نعم الجميع ـ وكانت توبتهم على يده.. عرفوا سر وجودهم في الحياة.. وما تغني عنهم الرقصات، واللذات.. إذا تطايرت الصحف، وكبرت السيئات.. حتى صاحب المرقص.. تاب وندم على ما كان منه..

.. الشيخ الضال..

أحياناً.. يعرف المرء الحق ويرغب في اتباعه.. لكنه يغرى بمتع الدنيا.. فيظل على معصيته.. نعم، يغرى إما بوظيفة، أو مال، أو جاه، أو صداقة فيترك استقامته على الدين بسببها.. ويؤثر الحياة الدنيا.. والآخرة خير وأبقى..

الأعشى بن قيس: كان شيخاً كبيراً شاعراً.. خرج من اليمامة.. من نجد.. يريد النبي عليه الصلاة والسلام.. راغباً في الدخول في الإسلام..

مضى على راحلته.. مشتاقاً للقاء رسول الله ﷺ.. بل كان يسير وهو يردد في مدح النبي ﷺ قائلاً:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ... وبت كما بات السليم مسهدا
ألا أيهذا السائلي أين يممت ... فإن لها في أهل يثرب موعدا
نبي يرى ما لا ترون وذكره ... أغار لعمري في البلاد وأنجدا

أجدك لم تسمع وصاة محمد نبي الإله حيث أوصى وأشهدا
إذ أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله فترصد للأمر الذي كان أرصدا

وما زال يقطع الفيافي، والقفار.. يحمله الشوق والغرام.. إلى النبي عليه الصلاة والسلام.. راغباً في الإسلام.. ونبذ عبادة الأصنام..

فلما كان قريباً من المدينة.. اعترضه بعض المشركين فسألوه عن أمره؟ فأخبرهم أنه جاء يريد لقاء رسول الله ﷺ ليسلم.. فخافوا أن يسلم هذا الشاعر.. فيقوى شأن النبي ﷺ فشاعر واحد، وهو حسان بن ثابت قد فعل بهم الأفاعيل.. فكيف لو أسلم شاعر العرب الأعشى بن قيس..

- فقالوا له: يا أعشى دينك ودين آبائك خير لك..

- قال: بل دينه خير وأقوم..

فنظر بعضهم إلى بعض، وجعلوا يتشاورون.. كيف يصدونه عن الدين..

- فقالوا له: يا أعشى.. إنه يحرم الزنا..

- فقال: أنا شيخ كبير.. وما لي في النساء حاجة..

- فقالوا: إنه يحرم الخمر..

- فقال: إنها مذهبة للعقل.. مذلة للرجل.. ولا حاجة لي بها..

فلما رأوا أنه عازم على الإسلام..

- قالوا: نعطيك مائة بعير، وترجع إلى أهلك وتترك الإسلام..

فجعل يفكر في المال.. فإذا هو ثروة عظيمة.. فتغلب الشيطان على عقله.. والتفت إليهم وقال: أما المال.. فنعم..

فجمعوا له مائة بعير.. فأخذها.. وارتد على عقبيه.. وكرَّ راجعاً إلى قومه بكفره.. واستاق الإبل أمامه.. فرحاً بها مستبشراً.. يرى أنه قد اجتمع له الشعر مع الجاه والغنى.. لكنه نسي أن الله بالمرصاد.. كيف يعصي الله لأجل دنيا.. والله عنده خزائن السمٰوات والأرض..

فلما كاد يبلغ دياره.. سقط من على ناقته فانكسرت رقبته ومات، خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين..

.. سارة..

الإشارة حمراء.. والطريق مليء بالسيارات.. لم يتبق على الموعد سوى بضع دقائق.. تباً لهذه الإشارة إنها طويلة.. يا ليتني كنت في الصف الأول.. لكنت قطعتها.. الثواني تمر بطيئة كأنها دقائق بل ساعات.. أنظر إلى الساعة حيناً، وإلى الإشارة حيناً آخر..

أضاءت الإشارة خضراء.. ضغطت على منبه السيارة أزعجت الجميع.. تحركت السيارات.. تجاوزت الأول.. كدت أصطدم بالثاني.. قيادتي للسيارة أفزعت من حولي.. حاولت أن أسرع.. لكنني لم أستطع..

مضى الوقت.. وضاع الموعد.. ولم أجد الأصدقاء.. لقد ذهبوا..

إلى أين أذهب؟.. احترت في الإجابة.. أطلقت زفرة من صدري.. يا ليتني كنت أعرف مكانهم..

السيارة تمضي بهدوء.. انطلقت أفكر.. أيقظني منبه سيارة أخرى.. نظرت إلى صاحب السيارة بغضب.. وأشرت إليه بيدي.. تمهل الدنيا لن تطير.. ونسيت حالي قبل دقائق..

قررت أن أقضي السهرة في البيت.. إنها فكرة جيدة.. فابنتي الوحيدة مريضة.. والأفضل أن أكون قريباً منها..

وأوقفت السيارة أمام محل الفيديو.. نزلت إلى محل.. اخترت عدة أفلام، وانطلقت إلى المنزل..

فتحت الباب.. ناديت على زوجتي.. احضري الشاي والمكسرات..

دَخلَت إلى الغرفة.. «يا لها من زوجة معقدة».. الآن ستقول لي: «اتق الله يا أحمد».. لقد تعودت على هذه الكلمات حتى تبلدت أحاسيسي نحوها.. لكنها زوجة مطيعة.. طيبة.. تشقى من أجل سعادتي..

دخلت ومعها الشاي، والمكسرات.. ابتسمت في وجهي..

ـ قالت: لا بد أنك سئمت السهر مع أصدقائك، وتريد أن تجلس في البيت..

ـ قلت: نعم.. تعالي، واجلسي.. فرحت وهمت أن تجلس..

وقمت أنا إلى جهاز الفيديو والتلفاز.. فانطلقت الموسيقى الصاخبة.. أرخت المسكينة رأسها وقالت: اتق الله يا أحمد.. وخرجت تجر أذيال الحسرة والهزيمة.. فهي لا تسمع الموسيقى..

ارتفعت الأصوات في الغرفة.. موسيقى.. صراخ.. ضحكات.. وانطلقت أشرب الشاي.. وأتناول المكسرات.. وعيناي قد تسمرتا في شاشة التلفاز..

انتهى الشريط الأول.. والشريط الثاني.. الساعة تشير إلى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل.. فجأة.. مقبض الباب يتحرك ببطء.. صرخت: ماذا تريدين؟.. لم أسمع جواباً.. انفتح الباب.. دخلت ابنتي المريضة.. فاجأني الموقف.. سكت برهة ولم أتكلم.. اقتربت مني.. نظرت إليَّ بهدوء شديد.. ثم قالت: اتق الله يا بابا.. اتق الله يا بابا.. ثم انصرفت، وأغلقت الباب..

ناديتها.. سارة.. سارة.. لم تجب.. انطلقت خلفها.. لا أكاد أصدق.. هل هذه ابنتي؟

فتحت باب الغرفة.. وجدتها سبقتني إلى فراشها.. ونامت في حضن أمها.. إنها هي.. عدت إلى غرفة الجلوس.. أغلقت جهاز الفيديو.. صوت ابنتي يملأ الغرفة.. اتق الله يا بابا..

قشقريرة سرت في جسدي.. تصبب العرق من رأسي.. لا أدري ماذا أصابني.. ما عدت أسمع إلا صوتها.. ولا أرى إلا صورتها.. كلماتها اخترقت كل الحواجز الجاثمة على صدري منذ زمن بعيد.. ترك صلاة.. معاصٍ.. دخان.. أفلام خليعة.. أيقظتني من الغفلة.. تسارعت نبضات

قلبي.. وألقيت بجسدي على الأرض.. حاولت أن أنام.. لكنني لم أستطع.. مضى الوقت سريعاً..

صور من الماضي استعرضتها أمامي.. ومع كل صورة أسمع صوت ابنتي يتردد.. اتق الله.. اتق الله.. وهنا.. ارتفع صوت الأذان.. اهتزت جوانحي.. ارتعدت فرائصي.. رعشة سرت في أطرافي.. جعل يردد: «الصلاة خير من النوم»..

ـ قلت: صدقت.. الصلاة خير من النوم.. أووه.. لقد كنت نائماً كل هذه السنين..

توضأت وخرجت إلى المسجد.. مشيت في الطريق وكأني لا أعرفه.. كأن نسائم الفجر تعاتبني أين أنت؟ وطيور السماء تقول: مرحباً بالنائم، الذي استيقظ أخيراً..

دخلت المسجد.. صليت ركعتين.. وجلست أقرأ القرآن.. تلعثمت في القراءة.. منذ زمن لم أقرأ القرآن..

شعرت أن القرآن يسألني: لم هجرتني منذ سنوات... ألست كلام ربك...

أخذت أردد في سورة الزمر: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزمر: ٥٣].. عجباً.. جميعاً.. ما أرحم الله بنا.

تمنيت أن أستمر في القراءة.. لكن المؤذن.. أقام الصلاة.. تجمدت في مكاني لحظة ثم تقدمت مع الناس.. وقفت في الصف.. وكأنني غريب.. انتهت الصلاة.. جلست في المسجد حتى أشرقت الشمس..

عدت إلى البيت.. فتحت باب الغرفة.. ألقيت نظرة على زوجتي وسارة.. كانتا نائمتين.. تركتهما وخرجت إلى العمل..

ليس من عادتي الذهاب مبكراً إلى العمل.. اندهش الزملاء بوجودي.. انطلقت عبارات التهنئة ممزوجة بالسخرية..

لم أبال بما يقولون.. تسمرت عيناي على الباب.. أنتظر قدوم إبراهيم

زميلي في المكتب.. الذي طالما نصحني.. إنه شخص طيب الأخلاق.. حسن المعاملة..

حضر إبراهيم.. فقمت من مكاني أستقبله.. لم يصدق عينيه..

- سألني: أنت أحمد؟!!

- قلت: نعم.. جذبت يده.. وقلت: أريد أن أحدثك..

- قال: لا بأس.. نتحدث في المكتب..

- قلت: لا.. نذهب إلى الاستراحة..

صمت إبراهيم.. وراح يصغي لكلماتي.. حدثته بحديث البارحة.. امتلأت عيناه بالدموع.. وابتسم ابتسامة عريضة..

- قال لي: ذاك نور أضاء قلبك، فلا تطفئه بظلمة المعاصي..

كان يوماً حافلاً بالنشاط، والجدية.. رغم أني لم أنم منذ البارحة.. ابتسامة تعلو وجهي.. تفان في العمل..

المراجعون يتجهون نحوي.. يطلبون مني مساعدتهم..

- بعضهم قال لي: ما هذا النشاط؟!

- أجبته: إنها صلاة الفجر في المسجد..

مسكين إبراهيم.. كان يتحمل العبء الأكبر من العمل.. أما أنا، فقد كنت أنام.. لم يشتك، ولم يتذمر.. يا له من إنسان طيب.. نعم إنه الإيمان عندما تخالط حلاوته القلوب..

مضى الوقت، ولم أشعر بالتعب والإرهاق..

- قال لي إبراهيم: أحمد.. يجب أن تذهب إلى البيت.. فإنك لم تنم منذ البارحة.. وسأقوم بعملك..

نظرت إلى الساعة.. لم يبق على الظهر سوى دقائق.. قررت البقاء.. أذن المؤذن.. فسارعت إلى المسجد.. جلست في الصف الأول.. شعرت بالندم على الأيام التي كنت أهرب فيها من العمل وقت الصلاة.. بعد الصلاة انطلقت إلى البيت..

في الطريق انتابني شعور بالقلق.. يا ترى كيف حال سارة؟ شعرت بانقباض.. لا أدري الماذا؟!

أحست أن الطريق هذه المرة طويل.. ازداد الخوف.. رفعت رأسي إلى السماء دعوت الله أن يعجل بشفاء ابنتي..

وصلت إلى البيت.. فتحت الباب.. ناديت زوجتي.. لم أسمع جواباً دخلت الغرفة مسرعاً.. زوجتي منطوية على نفسها تبكي.. التفتت إليَّ.. صرخت وهي تبكي: لقد ماتت سارة..

لم أتبين ما تقول.. اندفعت نحو سارة.. ضممتها إلى صدري.. حاولت حملها سقطت يدها نحو الأرض.. جسمها بارد.. كذلك يداها، وقدماها.. نبضها.. أنفاسها.. لم أسمع شيئاً.. نظرت إلى وجهها.. نورٌ يتلألأ.. كأنه كوكب دري.. أيقظتها.. حركتها.. هززتها..

صرخت أمها: سارة.. سارة.. لقد ماتت.. ماتت.. وانخرطت في البكاء.. لم أصدق ما أرى.. كأنه حلم.. انهمرت الدموع من عيني.. أخذت أشهق.. أنظر إلى وجهها الجميل.. وشعرها الناعم.. أقبّل فمها الصغير.. كأنها تردد الآن: عيب عليك.. عيب عليك.. يا بابا.. تذكرت أن هذه مصيبة.. أخذت أردد.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

اتصلت بإبراهيم..

ـ قلت له: تعال فوراً.. لقد ماتت سارة..

النساء في الداخل مع زوجتي يغسلن ابنتي.. انتهين من تغسيلها.. لففن على جسدها الطاهر خرقة بيضاء.. نادتني زوجتي..

دخلت كي أودع سارة الوداع الأخير.. كدت أسقط على الأرض.. تماسكت..

قبلتها على جبينها..

عاهدتها على الثبات حتى الممات.. نظرت إلى أمها.. فإذا هي زائغة العينين.. شاحبة الوجه.. تنتفض..

- قلت لها: لا تحزني.. فقد ذهبت إلى الجنة بإذن الله.. هناك سنلتقي.. فشمري كي تشفع لنا.. ثم قرأت قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور: ٢١].. بكت الأم وبكيت أنا..

صلينا عليها صلاة الجنازة.. ثم سرنا بها إلى المقبرة.. أنظر إلى الجنازة، وكأنني أنظر إلى النور الذي أضاء لي حياتي.. وصلنا المقبرة.. المكان موحش مخيف.. توجهنا إلى القبر.. وقفت على شفير القبر.. هنا سأضع ابنتي.. أمسك إبراهيم بكتفي وقال: اصبر يا أحمد.. نزلت القبر..

إنها دارك يا أحمد.. ربما اليوم وربما غداً.. ماذا أعددت لهذه الدار..

ناداني إبراهيم: أحمد خذ البنت.. وضعتها على صدري.. وددت لو أدفنها فيه.. ضممتها.. قبلتها.. ثم وضعتها على شقها الأيمن.. وقلت: بسم الله وعلى ملة رسول الله.. صففت اللبن.. سددت كل المنافذ.. خرجت من القبر.. بدأ الناس يهيلون التراب.. لم أملك دموعي..

.. ذكريات تائب..

هو شيخ كبير.. نجلس إليه.. بعدما كبر سنه.. ورق عظمه.. وكف بصره.. وهو يحكي ذكريات شبابه.. نجلس إلى كعب بن مالك رضي الله عنه.. وهو يحكي ذكرياته في تخلفه عن غزوة تبوك.. وكانت آخر غزوة غزاها النبي ﷺ..

آذن النبي ﷺ للناس بالرحيل وأراد أن يتأهبوا أهبة غزوهم.. وجمع منهم النفقات لتجهيز الجيش.. حتى بلغ عدد الجيش ثلاثين ألفاً، وذلك حين طابت الظلال والثمار.. في حر شديد.. وسفر بعيد.. وعدو قوي عنيد.. وكان عدد المسلمين كثيراً.. ولم تكن أسماؤهم مجموعة في كتاب..

قال كعب - كما في الصحيحين -:

وأنا أيسر ما كنت.. قد جمعتت راحلتين.. وأنا أقدر شيء في نفسي

على الجهاد.. وأنا في ذلك أصغي إلى الظلال.. وطيب الثمار.. فلم أزل كذلك.. حتى قام رسول الله ﷺ غادياً بالغداة..

ـ فقلت: أنطلق غداً إلى السوق فأشتري جهازي.. ثم ألحق بهم..

فانطلقت إلى السوق من الغد.. فعسر علي بعض شأني.. فرجعت..

ـ فقلت: أرجع غداً إن شاء الله فألحق بهم.. فعسر عليَّ بعض شأني أيضاً..

فقلت: أرجع غداً إن شاء الله.. فلم أزل كذلك..

حتى مضت الأيام.. وتخلفت عن رسول الله ﷺ.. فجعلت أمشي في الأسواق.. وأطوف بالمدينة.. فلا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، أو رجلاً أعمى، أو رجلاً أعرج قد عذره الله..

نعم تخلف كعب في المدينة.. أما رسول الله ﷺ فقد مضى بأصحابه الثلاثين ألفاً.. حتى إذا وصل تبوك.. نظر في وجوه أصحابه.. فإذا هو يفقد رجلاً صالحاً ممن شهدوا بيعة العقبة.. فيقول ﷺ: **«ما فعل كعب بن مالك»؟!**

ـ فقال رجل: يا رسول الله.. خلفه برداه والنظر في عطفيه..

ـ فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت.. والله يا نبي الله ما علمنا عليه إلا خيراً..

فسكوت رسول الله ﷺ..

قال كعب: فلما قضى النبي ﷺ غزوة تبوك.. وأقبل راجعاً إلى المدينة.. جعلت أتذكر.. بماذا أخرج به من سخطه.. وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي.. حتى إذا وصل المدينة.. عرفت أني لا أنجو إلا بالصدق..

فدخل النبي ﷺ المدينة.. فبدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين.. ثم جلس للناس.. فجاءه المخلَّفون.. فطفقوا يعتذرون إليه.. ويحلفون له.. وكانوا بضعة وثمانين رجلاً.. فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم.. واستغفر لهم.. ووكل سرائرهم إلى الله..

وجاءه كعب بن مالك.. فلما سلَّم عليه.. نظر إليه النبي ﷺ.. ثم تبسم تبسم المغضب.. ثم قال له: «**تعال**»..

فأقبل كعب يمشي إليه.. فلما جلس بين يديه..

ـ قال له ﷺ: «**ما خلّفك.. ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟**».

قال: بلى.

ـ قال: «**فما خلفك؟!**».

ـ فقال كعب: يا رسول الله.. إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا.. لرأيت أني أخرج من سخطه بعذر.. ولقد أعطيت جدلاً.. ولكني والله لقد علمت.. أني إن حدثتك اليوم حديث كذب ترض به علي.. ليوشكن الله أن يسخطك علي..

ولئن حدثتك حديث صدق.. تجد علي فيه.. إني لأرجو فيه عفو الله عني.. يا رسول الله.. والله ما كان لي من عذر..

والله ما كنت قط أقوى.. ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، ثم سكت كعب..

فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه.. وقال: «**أما هذا.. فقد صدقكم الحديث.. فقم.. حتى يقضي الله فيك**»..

فقام كعب يجر خطاه.. وخرج من المسجد مهموماً مكروباً لا يدري ما يقضي الله فيه.. فلما رأى قومه ذلك.. تبعه رجال منهم.. وأخذوا يلومونه..

ـ ويقولون: والله ما نعلمك أذنبت ذنباً قط قبل هذا.. إنك رجل شاعر.. أعجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون.. هلا اعتذرت بعذر يرضى عنك فيه، ثم يستغفر لك.. فيغفر الله لك..

ـ قال كعب: فلم يزالوا يؤنبونني.. حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسي..

ـ فقلت: هل لقي هذا معي أحد؟

ـ قالوا: نعم.. رجلان قالا مثل ما قلت.. فقيل لهما مثل ما قيل لك..

ـ قلت: من هما؟

ـ قالوا: مرارة بن الربيع.. وهلال بن أمية.. فإذا هما رجلان صالحان قد شهدا بدراً.. لي فيهما أسوة..

ـ فقلت: والله لا أرجع إليه في هذا أبداً.. ولا أكذب نفسي..

* * *

ثم مضى كعب ﷺ.. حزيناً كسير النفس.. وقعد في بيته.. فلم يمض وقت، حتى نهى النبي ﷺ الناس عن كلام كعب وصاحبيه..

ـ قال كعب: فاجتنبنا الناس.. وتغيروا لنا.. فجعلت أخرج إلى السوق.. فلا يكلمني أحد..

وتنكر لنا الناس.. حتى ما هم بالذين نعرف.. وتنكرت لنا الحيطان.. حتى ما هي بالحيطان التي نعرف.. وتنكرت لنا الأرض، حتى ما هي بالأرض التي نعرف.. فأما صاحباي فجلسا في بيوتهما يبكيان.. جعلا يبكيان الليل والنهار.. ولا يطلعان رؤوسهما.. ويتعبدان؛ كأنهما الرهبان..

وأما أنا فكنت أشب القوم، وأجلدهم.. فكنت أخرج.. فأشهد الصلاة مع المسلمين.. وأطوف في الأسواق.. ولا يكلمني أحد.. وآتي المسجد فأدخل.. وآتي رسول الله ﷺ فأسلِّمُ عليه.. فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه.. فأسارقه النظر.. فإذا أقبلت على صلاتي.. أقبل إلي، وإذا التفت نحوه.. أعرض عني..

* * *

ومضت على كعب الأيام.. والآلام تلد الآلام.. وهو الرجل الشريف في قومه.. بل هو من أبلغ الشعراء.. عرفه الملوك، والأمراء.. وسرت أشعاره عند العظماء.. حتى تمنوا لقياه..

ثم هو اليوم.. في المدينة.. بين قومه.. لا أحد يكلمه، ولا ينظر إليه، حتى إذا اشتدت عليه الغربة.. وضاقت عليه الكربة.. نزل به امتحان

آخر: فبينما هو يطوف في السوق يوماً.. إذا رجل نصراني جاء من الشام.. فإذا هو يقول: من يدلني على كعب بن مالك؟

فطفق الناس يشيرون له إلى كعب.. فأتاه.. فناوله صحيفة من ملك غسان.. عجباً!! من ملك غسان!!

إذاً قد وصل خبره إلى بلاد الشام.. واهتم به ملك الغساسنة.. فماذا يريد الملك؟!! فتح كعب الرسالة فإذا فيها..

أما بعد.. يا كعب بن مالك.. إنه بلغني أن صاحبك قد جفاك، وأقصاك.. ولست بدار مضيعة، ولا هوان، فالحق بنا نواسك..

فلما أتم قراءة الرسالة.. قال رضي الله عنه: إنا لله.. قد طمع فيَّ أهل الكفر.. هذا أيضاً من البلاء والشر..

ثم مضى بالرسالة فوراً إلى التنور.. فأشعله، ثم أحرقها فيه.. ولم يلتفت كعب إلى إغراء الملك..

نعم فتح له باب إلى بلاط الملوك.. وقصور العظماء.. يدعونه إلى الكرامة، والصحبة.. والمدينة من حوله تتجهمه.. والوجوه تعبس في وجهه.. يسلم فلا يرد عليه السلام.. ويسأل فلا يسمع الجواب..

ومع ذلك لم يلتفت إلى الكفار.. ولم يفلح الشيطان في زعزعته.. أو تعبيده لشهوته.. ألقى الرسالة في النار وأحرقها..

* * *

مضت الأيام تتلوها الأيام.. وانقضى شهر كامل.. وكعب على هذا الحال.. والحصار يشتد خناقه.. والضيق يزداد ثقله..

فلا الرسول ﷺ يمضي.. ولا الوحي بالحكم يقضي.. فلما اكتملت أربعون يوماً.. فإذا رسول من النبي ﷺ يأتي إلى كعب.. فيطرق عليه الباب.. فيخرج كعب إليه.. لعله جاء بالفرج..

- فإذا الرسول يقوله له: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك..

- قال: أطلقها.. أم ماذا؟

ـ قال: لا.. ولكن اعتزلها، ولا تقربها..

فدخل كعب على امرأته وقال: الحقي بأهلك.. فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر..

وأرسل النبي ﷺ إلى صاحِبَي كعب بمثل ذلك.. فجاءت امرأة هلال بن أمية..

ـ فقالت: يا رسول الله.. إن هلال بن أمية شيخ كبير ضعيف.. فهل تأذن لي أن أخدمه..؟

ـ قال: «**نعم.. ولكن لا يقربنك**»..

ـ فقالت المرأة: يا نبي الله.. والله ما به من حركة لشيء.. ما زال مكتئباً.. يبكي الليل والنهار.. منذ كان من أمره ما كان..

* * *

ومرت الأيام ثقيلة على كعب.. واشتدت الجفوة عليه.. حتى صار يراجع إيمانه.. يكلم المسلمين، ولا يكلمونه.. ويسلم على رسول الله ﷺ فلا يرد عليه.. فإلى أين يذهب..!! ومن يستشير!؟

ـ قال كعب رضي الله عنه: فلما طال عليَّ البلاء.. ذهبت إلى أبي قتادة.. وهو ابن عمي.. وأحب الناس إليَّ.. فإذا هو في حائط بستانه.. فتسورت الجدار عليه.. ودخلت.. فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام..

ـ فقلت: أنشدك الله.. يا أبا قتادة.. أتعلم أني أحب الله ورسوله؟

ـ فسكت..

ـ فقلت: يا أبا قتادة.. أتعلم أني أحب الله ورسوله؟

ـ فسكت..

فقلت: أنشدك الله.. يا أبا قتادة.. أتعلم أني أحب الله ورسوله؟

ـ فقال: الله ورسوله أعلم..

سمع كعب هذا الجواب.. من ابن عمه وأحب الناس إليه.. لا يدري أهو مؤمن أم لا؟ فلم يستطع أن يتجلد لما سمعه.. وفاضت عيناه بالدموع..

ثم اقتحم الحائط خارجاً.. وذهب إلى منزله.. وجلس فيه.. يقلب طرفه بين جدرانه.. لا زوجة تجالسه.. ولا قريب يؤانسه.. وقد مضت عليه خمسون ليلة.. مُنْذ نهى النبي ﷺ الناس عن كلامهم..

* * *

وفي الليلة الخمسين.. نزلت توبتهم على النبي ﷺ في ثلث الليل..

- فقالت أم سلمة رضي الله عنها: يا نبي الله.. ألا نبشر كعب بن مالك..

- قال: «**إذاً يحطمكم الناس.. ويمنعونكم النوم سائر الليلة**»..

فلما صلى النبي ﷺ الفجر.. آذن الناس بتوبة الله عليهم.. فانطلق الناس يبشرونهم..

- قال كعب: وكنت قد صليت الفجر على سطح بيت من بيوتنا.. فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى.. قد ضاقت علي نفسي.. وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت..

وما من شيء أهم إليّ.. من أن أموت.. فلا يصلي عليّ رسول الله ﷺ.. أو يموت.. فأكون من الناس بتلك المنزلة.. فلا يكلمني أحد منهم.. ولا يصلي عليّ.. فبينما أنا على ذلك..

إذ سمعت صوت صارخ.. على جبل سلع بأعلى صوته يقول: يا كعب بن مالك!.. أبشر..

فخررت ساجداً.. وعرفت أن قد جاء فرج من الله.. وأقبل إليّ رجل على فرس.. والآخر صاح من فوق جبل.. وكان الصوت أسرع من الفرس.. فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني.. نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه.. والله ما أملك غيرهما.. واستعرت ثوبين.. فلبستهما.. وانطلقت إلى رسول الله ﷺ.. فتلقاني الناس فوجاً.. فوجاً.. يهنئوني بالتوبة..

- يقولون: ليهنك توبة الله عليك.. حتى دخلت المسجد.. فسلمت على رسول الله ﷺ، وهو يبرق وجهه من السرور.. وكان إذا سُرَّ استنار وجهه.. حتى كأنه قطعة قمر..

ـ فقال لي: «**أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك..**».

ـ قلت: أمن عندك يا رسول الله.. أم من عند الله؟

ـ قال: «**لا.. بل من عند الله..**» ثم تلا الآيات.. فلما جلست بين يديه..

ـ قلت: يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله.. وإلى رسوله..

ـ فقال: «**أمسك عليك بعض مالك.. فهو خير لك..**».

ـ فقلت: يا رسول الله! إن الله إنما نجاني بالصدق.. وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت..

نعم.. تاب الله على كعب وصاحبيه.. وأنزل في ذلك قرآناً يتلى..

فقال ﷻ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٧ ـ ١١٨]..

.. في بطن الحوت..

كل الناس يذكرون الله عند الشدائد.. لكن منهم من يذكره ويطيعه.. فإذا زالت الشدة عصاه ونساه.. ومنهم من يستمر صلاحه وتوبته..

يونس عليه السلام.. دعا قومه إلى الإيمان.. فأعرضوا وتكبروا.. فغضب.. وركب البحر مع سفينة.. فلما ثقلت بهم خافوا أن يغرقوا جميعاً.. فعلموا أنه لا بد أن يخففوا الحمل بإلقاء أحد ركابها إلى البحر.. عملوا القرعة مراراً فوقعت على يونس.. ألقوه في البحر.. فالتقمه الحوت.. ثم نزل به إلى الأعماق..

كل شيء حدث بسرعة.. يونس في الظلمات.. تسمع حوله.. فإذا به يسمع تسبيح الحصى الذي في قعر البحر.. فانتفض.. ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.. فقرعت كلماته أبواب السماء.. فنزل عليه الفرج..

هذا خبر يونس عليه الصَّلاة والسَّلام..

أما يونس اليوم فيقول: كنت شاباً أظن أن الحياة.. مال وفير.. وفراش وثير.. ومركب وطيء.. وكان يوم جمعة.. جلست مع مجموعة من رفقاء الدرب على الشاطئ.. وهم كالعادة مجموعة من القلوب الغافلة..

سمعت النداء حي على الصلاة.. حي على الفلاح..

أقسم أني سمعت الأذان طوال حياتي.. ولكني لم أفقه يوماً معنى كلمة فلاح.. طبع الشيطان على قلبي.. حتى صارت كلمات الأذان؛ كأنها تقال بلغة لا أفهمها..

كان الناس حولنا يفرشون سجاداتهم.. ويجتمعون للصلاة.. ونحن كنا نجهز عدة الغوص، وأنابيب الهواء.. استعداداً لرحلة تحت الماء.. لبسنا عدة الغوص.. ودخلنا البحر.. بعدنا عن الشاطئ.. حتى صرنا في بطن البحر..

كان كل شيء على ما يرام.. الرحلة جميلة..

وفي عمرة المتعة.. فجأة تمزقت القطعة المطاطية التي يطبق عليها الغواص بأسنانه وشفتيه لتحول دون دخول الماء إلى الفم.. ولتمده بالهواء من الأنبوب.. وتمزقت أثناء دخول الهواء إلى رئتي.. وفجأة أغلقت قطرات الماء المالح المجرى التنفسي.. وبدأت أموت..

بدأت رئتي تستغيث، وتنتفض.. تريد هواء.. أي هواء..

أخذت أضطرب.. البحر مظلم.. رفاقي بعيدون عني.. بدأت أدرك خطورة الموقف.. إنني أموت.. بدأت أشهق.. وأشرق بالماء المالح.. بدأ شريط حياتي بالمرور أمام عيني.. مع أول شهقة.. عرفت كم أنا ضعيف..

بضع قطرات مالحة سلطها الله علي ليريني أنه هو القوي الجبار..

آمنت أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.. حاولت التحرك بسرعة للخروج من الماء.. إلا أني كنت على عمق كبير.. ليست المشكلة أن أموت.. المشكلة كيف سألقى الله؟!

- إذا سألني عن عملي.. ماذا أقول؟

أما أوّل ما أحاسب عنه.. الصلاة.. وقد ضيعتها.. تذكرت الشهادتين.. فأردت أن يختم لي بهما.. فقلت أشهـ.. فغصَّ حلقي.. وكأن يداً خفية تطبق على رقبتي لتمنعني من نطقها.. حاولت جاهداً.. أشهـ.. أشهـ.. بدأ قلبي يصرخ: ربّ ارجعون.. ربّ ارجعون.. ساعة.. دقيقة.. لحظة.. ولكن هيهات..

بدأت أفقد الشعور بكل شيء.. أحاطت بي ظلمة غريبة.. هذا آخر ما أتذكر.. لكن رحمة ربي كانت أوسع.. فجأة بدأ الهواء يتسرب إلى صدري مرة أخرى.. انقشعت الظلمة.. فتحت عيني.. فإذا أحد الأصحاب.. يثبت خرطوم الهواء في فمي.. ويحاول إنعاشي.. ونحن ما زلنا في بطن البحر..

رأيت ابتسامة على محياه.. فهمت منها أنني بخير.. عندها صاح قلبي.. ولساني.. وكل خلية في جسدي.. أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله.. الحمد لله..

خرجت من الماء.. وأنا شخص آخر.. تغيرت نظرتي للحياة..

أصبحت الأيام تزيدني من الله قرباً.. أدركت سر وجودي في الحياة.. تذكرت قول الله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾..

صحيح.. ما خلقنا عبثاً.. مرت أيام.. فتذكرت تلك الحادثة.. فذهبت إلى البحر.. ولبست لباس الغوص.. ثم أقبلت إلى الماء وحدي وتوجهت إلى المكان نفسه في بطن البحر.. وسجدت لله تعالى سجدة ما أذكر أني سجدت مثلها في حياتي.. في مكان لا أظن أن إنساناً قبلي قد سجد فيه لله تعالى.. عسى أن يشهد علي هذا المكان يوم القيامة فيرحمني الله بسجدتي في بطن البحر ويدخلني جنته اللهم آمين..

.. وغدراتي وفجراتي!!

ربنا أرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا.. ومن سعة رحمته.. أنه عرض التوبة على كل أحد.. مهما أشرك العبد وكفر.. أو طغى وتجبر.. فإن الرحمة معروضة عليه وباب التوبة مشرع بين يديه.. وانظر إلى ذاك الشيخ الهرم.. الذي كبر سنه..وانحنى ظهره.. ورق عظمه..

أقبل على رسول الله ﷺ.. وهو جالس بين أصحابه يوماً.. يجر خطاه.. وقد سقط حاجباه على عينيه.. وهو يدّعم على عصا.. جاء يمشي.. حتى قام بين يدي النبي ﷺ.. فقال بصوت تصارعه الآلام: يا رسول الله.. أرأيت رجلاً عمل الذنوب كلها.. فلم يترك منها شيئاً.. وهو في ذلك لم يترك حاجة.. ولا داجة؛ أي: صغيرة ولا كبيرة.. إلا أتاها.. لو قسّمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم.. فهل لذلك من توبة؟

فرفع النبي ﷺ بصره إليه.. فإذا شيخ قد انحنى ظهره.. واضطرب أمره.. قد هدّه مر السنين والأعوام.. وأهلكته الشهوات والآلام..

- فقال له ﷺ: «**فهل أسلمت؟**».

- قال: أما أنا.. فأشهد أن لا إلـه إلا الله، وأنك رسول الله..

فقال ﷺ: «**تفعل الخيرات، وتترك السيئات، فيجعلهن الله لك خيرات كلهن..**».

- فقال الشيخ: وغدراتي، وفجراتي..

- فقال: «**نعم**»..

- فصاح الشيخ: الله أكبر..الله أكبر..الله أكبر.. فما زال يكبر حتى توارى عنهم[1]..

---

(١) الحديث رواه الطبراني والبزار، وقال المنذري: إسناده جيد قوي، وقال ابن حجر: هو على شرط الصحيح.

.. هل تطرحه في النار؟!..

الله أرحم بعباده.. من آبائهم وأمهاتهم..

في الصحيحين:

أن النبي ﷺ لما انتهى من حرب هوازن.. أتي إليه بعد المعركة بأطفال الكفار ونسائهم.. ثم جمعوا في مكان.. فالتفت النبي ﷺ إليهم.. فإذا امرأة من السبي.. أم ثكلى.. تجر خطاها.. تبحث عن ولدها.. وفلذة كبدها.. قد اضطرب أمرها.. وطار صوابها.. واشتد مصابها.. تطوف على الأطفال الرضع.. تنظر في وجوههم.. يكاد ثديها يتفجر من احتباس اللبن فيه..

تتمنى لو أن طفلها بين يديها.. تضمه ضمة.. وتشمة شمة.. ولو كلفها ذلك حياتها.. فبينما هي على ذلك.. إذ وجدت ولدها.. فلما رأته جف دمعها، وعاد صوابها، ثم انكبت عليه.. وانطرحت بين يديه... وقد رحمت جوعه وتعبه، وبكاءه، ونصبه.. أخذت تضمه وتقبله.. ثم ألصقته بصدرها، وألقمته ثديها.. فنظر الرحيم الشفيق إليها.. وقد أضناها التعب... وعظم النصب.. وقد طال شوقها إلى ولدها.. واشتد مصابه ومصابها.. فلما رأى ذلها.. وانكسارها.. وفجيعتها بولدها.. التفت إلى أصحابه ثم قال:

«أترون هذه.. طارحة ولدها في النار»..

يعني: لو أشعلنا ناراً وأمرناها أن تطرح ولدها فيها.. أترون أنها ترضى..

فعجب الصحابة الكرام.. كيف تطرحه في النار.. وهو فلذة كبدها.. وعصارة قلبها.. كيف تطرحه.. وهي تلثمه، وتقلبه، وتغسل وجهه بدموعها.. كيف تطرحه؟ وهي الأم الرحيمة.. والوالدة الشفيقة..

ـ قالوا: لا.. والله .. يا رسول الله.. لا تطرحه في النار.. وهي تقدر على أن لا تطرحه..

ـ فقال ﷺ: **«والله ..لله.. أرحم بعباده من هذه بولدها»**.

.. في المستشفى..

• دخلت على مريض في المستشفى.. فلما أقبلت إليه.. فإذا رجل قد بلغ من العمر أربعين سنة.. من أنضر الناس وجهاً.. وأحسنهم قواماً..

لكن جسده كله مشلولٌ لا يتحرك منه ذرة.. إلا رأسه وبعض رقبته.. لو أخذت فأساً وقطعت جسده من رجليه إلى صدره لما شعر بشيء.. لا يدري أنه خرج منه بول، أو غائط إلا إذا شمَّ الرائحة يلبسونه حفائظ؛ كالأطفال يغيرونها كل يوم.. دخلت غرفته.. فإذا جرس الهاتف يرن.. فصاح بي وقال: يا شيخ أدرك الهاتف قبل أن ينقطع الاتصال..

فرفعت سماعة الهاتف ثم قربتها إلى أذنه، ووضعت مخدة تمسكها.. وانتظرت قليلاً حتى أنهى مكالمته.. ثم قال: يا شيخ.. أرجع السماعة مكانها.. فأرجعتها مكانها..

ـ ثم سألته: منذ متى وأنت على هذا الحال؟.

فقال: منذ عشرين سنة.. وأنا مشلول على هذا السرير..

• وحدثني أحد الفضلاء أنه مر بغرفة في المستشفى.. فإذا فيها مريض يصيح بأعلى صوته.. ويئن أنيناً يقطع القلوب..

ـ قال صاحبي: فدخلت عليه.. فإذا هو جسده مشلول كله... وهو يحاول الالتفات فلا يستطيع.. فسألت الممرض عن سبب صياحه..

ـ فقال: هذا مصاب بشلل تام.. وتلف في الأمعاء.. وبعد كل وجبة غداء، أو عشاء.. يصيبه عسر هضم..

ـ فقلت له: لا تطعموه طعاماً ثقيلاً.. جنبوه أكل اللحم.. والرز..

ـ فقال الممرض: أتدري ماذا نطعمه.. والله لا ندخل إلى بطنه إلا الحليب من خلال الأنابيب الموصلة بأنفه.. وكل هذه الآلام.. ليهضم هذا الحليب..

• وحدثني آخر أنه مر بغرفة مريض مشلول أيضاً.. لا يتحرك منه شيء أبداً..

ـ قال: فإذا المريض يصيح بالمارين.. فدخلت عليه..

فرأيت أمامه لوح خشب عليه مصحف مفتوح.. وهذا المريض منذ ساعات.. كلما انتهى من قراءة الصفحتين أعادهما.. فإذا فرغ منهما أعادهما؛ لأنه لا يستطيع أن يتحرك ليقلب الصفحة.. ولم يجد أحداً يساعده.. فلما وقفت أمامه..

ـ قال لي: لو سمحت.. اقلب الصفحة..

فقلبتها.. فتهلل وجهه.. ثم وجّه نظره إلى المصحف وأخذ يقرأ.. فانفجرت باكياً بين يديه.. معجباً من حرصه وغفلتنا..

• وحدثني ثالث أنه دخل على رجل مقعد مشلول تماماً في أحد المستشفيات.. لا يتحرك إلا رأسه..

فلما رأى حاله.. رأف به وقال: ماذا تتمنى.. ظنّ أن أمنيته الكبرى أن يُشفى.. ويقوم ويقعد.. ويذهب ويجيء..

ـ فقال المريض: أنا عمري قرابة الأربعين.. وعندي خمسة أولاد.. وعلى هذا السرير.. منذ سبع سنين.. والله لا أتمنى أن أمشي.. ولا أن أرى أولادي.. ولا أن أعيش مثل الناس..

ـ قال: عجباً!! إذن ماذا تتمنى؟!

ـ فقال: أتمنى أني أستطيع أن ألصق هذه الجبهة على الأرض.. وأسجد كما يسجد الناس..

• وأخبرني أحد الأطباء أنه دخل في غرفة الإنعاش على مريض.. فإذا شيخ كبير.. على سرير أبيض وجهه يتلألأ نوراً..

ـ قال صاحبي: أخذت أقلب ملفه فإذا هو قد أجريت له عملية في القلب.. أصابه نزيف خلالها.. مما أدى إلى توقف الدم عن بعض مناطق الدماغ.. فأصيب بغيبوبة تامة..

وإذا الأجهزة موصلة به.. وقد وضع على فمه جهاز للتنفس الصناعي يدفع إلى رئتيه تسعة أنفاس في الدقيقة.. كان بجانبه أحد أولاده.. سألته عنه..

فأخبرني أن أباه مؤذن في أحد المساجد منذ سنين..

أخذت أنظر إليه.. حركت يده.. حركت عينه.. كلّمته.. لا يدري عن شيء أبداً.. كانت حالته خطيرة..

اقترب ولده من أذنه وصار يكلمه.. وهو لا يعقل شيئاً..

فبدأ الولد يقول: يا أبي.. أمي بخير.. وإخواني بخير.. وخالي رجع من السفر.. واستمر الولد يتكلم.. والأمر على ما هو عليه.. الشيخ لا يتحرك.. والجهاز يدفع تسعة أنفاس في الدقيقة..

- وفجأة قال الولد: والمسجد مشتاق إليك.. ولا أحد يؤذن فيه إلا فلان.. ويخطئ في الأذان.. ومكانك في المسجد فارغ..

فلما ذكر المسجد والأذان.. اضطرب صدر الشيخ.. وبدأ يتنفس.. فنظرت إلى الجهاز، فإذا هو يشير إلى ثمانية عشر نفساً في الدقيقة.. والولد لا يدري!!

- ثم قال الولد: وابن عمي تزوج.. وأخي تخرج..

فهدأ الشيخ مرة أخرى.. وعادت الأنفاس تسعة.. يدفعها الجهاز الآلي..

فلما رأيت ذلك أقبلت إليه.. حتى وقفت عند رأسه.. حركت يده.. عينه.. هززته.. لا شيء.. كل شيء ساكن.. لا يتجاوب معي أبداً.. تعجبت..

قربت فمي من أذنه ثم قلت: الله أكبر.. حي على الصلاة.. حي على الفلاح.. وأنا أسترق النظر إلى جهاز التنفس.. فإذا به يشير إلى ثمانية عشر نفساً في الدقيقة.. فللّه درُّهم من مرضى.. بل والله نحن المرضى.. رجال قلوبهم معلقة بالمساجد.. نعم.. ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ

﴿الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٧ ـ ٣٨]..

هذا حال أولئك المرضى..

فأنت يا سليماً من الأمراض والأسقام.. يا معافىً من الأدواء والأورام.. يا من تتقلب في النعم.. ولا تخشى النقم..

ماذا فعل الله بك فقابلته بالعصيان.. بأي شيء آذاك.. أليست نعمه عليك تترى.. وأفضاله عليك لا تحصى؟ أما تخاف.. أن توقف بين يدي الله غداً..

ـ فيقول لك: عبدي ألم أصح لك في بدنك.. وأوسع عليك في رزقك.. وأسلم لك سمعك وبصرك..

ـ فتقول بلى..

ـ فيسألك الجبار: فلم عصيتني بنعمي.. وتعرضت لغضبي ونقمي.. فعندها تنشر في الملأ عيوبك.. وتُعرض عليك ذنوبك.. فتباً للذنوب.. ما أشد شؤمها.. وأعظم خطرها..

ـ وهل أخرج أبانا من الجنة إلا ذنب من الذنوب؟

ـ وهل أغرق قوم نوح إلا الذنوب؟

ـ وهل أهلك عاداً وثمود إلا الذنوب؟

ـ وهل قلب على قوم لوط ديارهم.. وعجل لقوم شعيب عذابهم؟

وأمطر على أبرهة حجارة من سجيل.. وأنزل بفرعون العذاب الوبيل..

إلا المعاصي والذنوب..

.. الجبال الراسيات..

في أول بعثة النبي عليه الصلاة والسلام كان يدعو إلى الإسلام في مكة سراً.. وكان المسلمون يختفون بدينهم..

فلما تكامل عددهم ثمانية وثلاثين رجلاً.. ألحَّ أبو بكر ﷺ على رسول الله ﷺ في الظهور..

- فقال ﷺ: **«يا أبا بكر.. إنّا قليل»**..

فلم يزل أبو بكر يلح عليه حتى خرج ﷺ إلى المسجد.. وخرج المسلمون معه.. وتفرقوا في نواحي المسجد.. كل رجل في عشيرته..

وقام أبو بكر في الناس خطيباً.. فكان أول خطيب دعا إلى الله.. فلما رأى المشركون من يسفه آلهتهم وينتقص دينهم.. ثاروا على أبي بكر وعلى المسلمين..

فجعلوا يضربونهم في نواحي المسجد ضرباً شديداً.. وأبو بكر يجهر بالدين.. فأحاط به جمع منهم.. فضربوه.. حتى وقع على الأرض.. وهو كهل قد قارب عمره الخمسين سنة.. ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة.. وجعل يطأ على بطنه وصدره... ويضربه بنعلين مخصوفين.. ويحرفهما على وجهه.. حتى مزق لحم وجهه.. وجعلت دماؤه تسيل... حتى ما يعرف وجهه من أنفه.. وأبو بكر مغمى عليه..

فجاءت قبيلته بنو تيم يتعادون.. ودفعوا المشركين عنه.. وحملوه في ثوب.. ولا يشكون في موته... حتى أدخلوه منزله.. وقعد أبوه وقومه عند رأسه.. يكلمونه فلا يجيب.. حتى إذا كان آخر النهار.. أفاق.. وفتح عينيه.. فكان أول كلمة تكلم بها أن قال:

ما فعل رسول الله ﷺ..؟؟

فغضب أبوه وسبه.. ثم خرج من عنده..

فقعدت أمه عند رأسه.. تجتهد أن تطعمه، أو تسقيه.. وتلحّ عليه..

وهو يردد: ما فعل رسول الله ﷺ..

- فقالت: والله ما لي علم بصاحبك..

- فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب.. فسليها عنه..

وكانت أم جميل مسلمة تكتم إسلامها.. فخرجت أمه حتى جاءت أم جميل فقالت:

إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله؟

فخافت أم جميل أن يكتشفوا إسلامها..

ـ فقالت: ما أعرف أبا بكر.. ولا محمداً.. ولكن إن أحببت مضيت معك إلى ابنك..

ـ قالت: نعم.. فمضت معها..

فلما دخلت على أبي بكر.. وجدته صريعاً دنفاً.. ممزق الوجه.. ودماؤه تسيل..

ـ فبكت وقالت: والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر.. وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم..

فالتفت إليها أبو بكر.. وما يكاد يطيق..

ـ فقال: يا أم جميل.. ما فعل رسول الله ﷺ؟

فنظرت أم جميل إلى أم أبي بكر، وكانت لم تسلم بعد.. فخشيت أن تخبر الكفار بأسرار المسلمين..

ـ فقالت أم جميل لأبي بكر: هذه أمك تسمع..

ـ قال: فلا شيء عليك منها..

ـ قالت: رسول الله ﷺ سالمٌ صالحٌ..

ـ قال: فأين هو؟

ـ قالت: في دار أبي الأرقم..

ـ فقالت أمه: قد عرفت خبر صاحبك.. فكل واشرب الآن..

ـ فقال: لا.. إن لله عليّ أن لا أذوق طعاماً، أو شراباً.. حتى آتي رسول الله ﷺ.. فأراه بعيني.. فأمهلتاه.. حتى إذا أظلم الليل.. وهدأ الناس.. حاول أن يقوم.. فلم يستطع.. خرجت به أمه وأم جميل يتكئ عليهما.. حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ.. فلما رآه النبي عليه الصلاة والسلام.. أكب عليه يقبله.. وأكبَّ عليه المسلمون.. ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة..

- وأبو بكر يقول: بأبي وأمي أنت يا رسول الله.. ليس بي من بأس.. إلا ما نال الفاسق من وجهي..

ثم قال أبو بكر: يا رسول الله.. هذه أمي برة بولدها.. وأنت رجل مبارك.. فادعها إلى الله ﷻ.. وادع الله لها.. عسى الله أن يستنقذها بك من النار، فدعا لها رسول الله ﷺ.. ثم دعاها إلى الله.. فأسلمت..

فانظر إلى هذا الجبل الراسي.. أبي بكر رضي الله عنه وتأمل في حرصه على الدعوة إلى الله.. واعجب من قوة ثباته على الدين..

فهلّا سألت نفسك - وسألتيها - ماذا قدّمت للإسلام؟ كم شخصاً اهتدى على يدك؟ هل تحملت البلاء في سبيل الله.. هل تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ كن شجاعاً بطلاً... كالجبال الراسيات، والله يعينك ويسددك..

.. قال: معاذ الله..

كان شاباً فقيراً.. يعمل بائعاً.. يتجول في الطرقات..

وكانت هي امرأة فارغة.. لا تكف عن التعرض للحرام.. كانت مصيدة للشيطان..

مرّ ذات يوم بجانب بيتها.. أطلت من طرف الباب، سألته عن بضاعته، فأخبرها.. طلبت منه أن يدخل لترى البضاعة.. فلما دخل أغلقت الباب.. ثم دعته إلى الحرام.. فصاح بها.. معاذ الله..

وتذكر حاله عندما تذهب اللذات.. وتبقى الحسرات.. تذكر يوم تشهد عليه أعضاؤه التي متعّها بالزنا.. رجله التي مشى بها.. يده التي لمس بها.. لسانه الذي تكلم به.. بل تشهد عليه.. كل ذرة من ذراته.. وكل شعرة من شعراته.. تذكر حرارة النيران.. وعذاب الرحمٰن..

ويوم يعلق الزناة في النار.. ويضربون بسياط من حديد.. فإذا استغاث أحدهم من الضرب.. نادته الملائكة: أين كان هذا الصوت وأنت تضحك.. وتفرح.. وتمرح.. ولا تراقب الله، ولا تستحي منه..!!

تذكر قول النبي عليه الصلاة والسلام: **«يا أمة محمد.. والله إنه لا أحد أغير من الله.. أن يزني عبده، أو تزني أمته.. يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً»**..

تذكر يوم رأى النبي عليه الصلاة والسلام في منامه رجالاً ونساءً عراة في مكان ضيق مثل التنور.. أسفله واسع وأعلاه ضيق.. وهم يصيحون ويصرخون.. وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم.. فإذا أتاهم ذلك اللهب صاحوا من شدة حره..

ـ فقال ﷺ: **«من هؤلاء يا جبريل؟»**.

ـ قال: هؤلاء الزناة والزواني.. فهذا عذابهم إلى يوم القيامة..»..

ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.. نسأل الله العفو والعافية..

ـ قالت له نفسه: افعل وتب..

ـ قال: أعوذ بالله.. كيف أهتك ستر ربي.. كيف أنظر إلى امرأة لا تحل لي والله ﷻ من فوقنا.. ينظر إلينا .. كيف نختفي من الخلق.. ونفجر أمام الخالق؟.. فبقي ساكناً يفكر في مخرج.. وينظر على الباب..

ـ فصاحت به الفاجرة: والله إن لم تفعل ما أريده منك صرخت.. فيحضر الناس فأقول: هذا الشاب.. هجم عليَّ في دازي... فما ينتظرك بعدها إلا القتل، أو السجن..

فأخذ الشاب العفيف يرتجف.. خوفها بالله فلم تنزجر.. فلما رأى ذلك.. فكر في حيلة يتخلص بها..

ـ فقال: أريد الخلاء ـ الحمام ـ.. فأشارت له إليه..

فلما دخل الخلاء.. نظر إلى نوافذه فإذا هو لا يستطيع الهرب من خلالها.. ففكر في طريقة يتخلص بها.. فأقبل على الصندوق الذي يجمع فيه الغائط.. وجعل يأخذ منه ويلقي على ثيابه... ويديه... وجسده.. ثم خرج إليها.. فلما رأته صاحت.. وألقت في وجهه بضاعته.. وطرته من البيت..

فمضى يمشي في الطريق.. والصبيان يصيحون وراءه: مجنون.. مجنون..

حتى وصل بيته.. فأزال عنه النجاسة.. واغتسل..

فلم يزل يُشمُ منه رائحة المسك.. حتى مات[1]..

.. ينغمس في أنهارها..

كان ماعز شاباً من الصحابة.. متزوجاً في المدينة..

وسوس له الشيطان يوماً.. وأغراه بجارية لرجل من الأنصار..

فخلا بها عن أعين الناس.. وكان الشيطان ثالثهما.. فلم يزل يزين كلّاً منهما لصاحبه حتى وقعا في الحرام..

فلما فرغ ماعز من جرمه.. تخلى عنه الشيطان.. فبكى وحاسب نفسه.. ولامها.. وخاف من عذاب الله.. وضاقت عليه حياته.. وأحاطت به خطيئته، حتى أحرق الذنب قلبه..

فجاء إلى طبيب القلوب.. ووقف بين يديه وصاح من حرّ ما يجد وقال:

«يا رسول الله.. إن الأبعد قد زنى.. فطهرني..

فأعرض عنه النبي ﷺ.. فجاء من شقه الآخر فقال:

يا رسول الله.. زنيت فطهرني..

- فقال ﷺ: **ويحك ارجع.. فاستغفر الله وتب إليه..**

فرجع غير بعيد.. فلم يطق صبراً.. فعاد إلى النبي ﷺ..

- وقال: يا رسول الله طهرني..

- فقال رسول الله: **ويحك.. ارجع فاستغفر الله وتب إليه..**

---

(١) ذكر القصة ابن الجوزي في المواعظ.

ـ قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني..

فصاح به النبي ﷺ.. وقال: **ويلك.. وما يدريك ما الزنا؟** ثم أمر به فطرد.. وأخرج..

ثم أتاه الثالثة.. والرابعة كذلك.. فلما أكثر عليه..

سأل رسول الله ﷺ قومه: **أبه جنون؟**

ـ قالوا: يا رسول الله.. ما علمنا به بأساً..

ـ فقال: **لعله شرب خمراً؟** فقام رجل فاستنكهه وشمه فلم يجد منه ريح خمر..

ـ فقال ﷺ: **هل تدري ما الزنا؟**

ـ قال: نعم.. أتيت من امرأة حراماً، مثل ما يأتي الرجل من امرأته حلالاً..

ـ فقال ﷺ: **فما تريد بهذا القول؟**

ـ قال: أريد أن تطهرني..

ـ قال ﷺ: **فأمر به أن يرجم**.. فرجم حتى مات..

فلما صلوا عليه ودفنوه مرَّ النبي ﷺ على موضعه مع بعض أصحابه.. فسمع النبي ﷺ رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا.. الذي ستر الله عليه ولم تدعه نفسه حتى رُجم رَجم الكلاب.. فسكت النبي ﷺ.. ثم سار ساعة.. حتى مر بجيفة حمار، قد أحرقته الشمس حتى انتفخ وارتفعت رجلاه..

فلما رآه رسول الله ﷺ قال: **«أين فلان وفلان؟»**.

ـ قالا: نحن ذان.. يا رسول الله..

ـ قال: **«انزلا.. فكلا من جيفة هذا الحمار..»**.

ـ قالا: يا نبي الله!! غفر الله لك.. من يأكل من هذا؟

ـ فقال ﷺ: **«ما نلتما.. من عرض أخيكم آنفاً أشد من أكل الميتة.. لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم.. والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها»**..

فطوبي.. لماعز بن مالك.. نعم وقع في الزنى.. وهتك الستر الذي بينه وبين ربه.. لكنه تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم[١]..

..المغني..

قال وهو يدافع عبراته: كانت قد وقفت على النافذة تراقبني بعينين دامعتين.. تلوح بيديها اللتين أهزلهما مر السنين..

كانت تدافع عبراتها... حتى غلبها البكاء.. فبكت..

وقفت أنظر إليها.. نشيجها يصل إلى مسمعي.. لكن المعاصي الجاثمة على صدري حالت بينه وبين الوصول إلى قلبي القاسي..

لم أرحم توسلاتها بالبقاء معها.. والالتحاق بجامعة في نفس المدينة.. أنانية.. حب للذات.. بحث عن حرية مزعومة.. وشخصية مستقلة بذاتها.. بل شهوات وملذات.. وشياطين من الإنس والجن يؤازر بعضهم بعضاً.. هروب من نصائحها ومواعظها.. من عطفها وشفقتها.. وخوفها أن أنحرف.. تركتها وهي واقفة تودعني.. غبت عنها وهي لم تفارق مكانها.. وداعاً أمي.. مرت عليّ الأيام، وأنا غائب عنها لم أعد أسمع عند خروجي: في حفظ الله يا ولدي.. إلى أين تذهب يا ولدي؟ وهناك... لم أعد أسمع: لماذا تأخرت يا ولدي؟

وهناك انطلقت في حياة اللهو والترف.. حياة الغفلة، والخوض في المعاصي والآثام..

صوتي الجميل أغرى رفقاء السوء الذين زينوا لي الغناء..

بدأت أغني وشياطين الإنس يغدقون عبارات الثناء التي لامست قلبي..

إلى أن جاء ذلك اليوم الذي دعوت فيه لكي أغني على المسرح.. عشت صراعاً رهيباً فما زال الحياء يحتل من قلبي مساحة صغيرة.. فعشت

---

(١) أصل قصته في الصحيحين، وسقتها من مجموع رواياتها.

بين الرفض والموافقة لحظات.. فقلبي يعاتبني: لا لست من يقف ليغني كما يفعل الفسقة.. لكن نفسي توبخني، وتلومني: هذه فرصتك لا تضيعها سوف تصبح مشهوراً... وبعد عناء وتردد وافقت..

صعدت على المسرح وما زال للحياء بقية.. لكنه رحل مع أول كلمة تغنيت بها.. اهتزت القاعة طرباً.. وتمايلت الأجساد نشوة.. عبارات الثناء، والمديح تستحثني على المواصلة كلما سكت..

لتمضي تلك الليلة ولتقضي على ما تبقى من إيمان..

رفقاء السوء من حولي قد ازدادوا.. الدعوات كثرت.. تنقلت من قاعة إلى قاعة.. تنقلت بين أصناف المعاصي والآثام.. سهرات خاصة وعامة..

قدمت لي دعوة للمشاركة في حفل غنائي في أحد القصور.. قدمت بعض الأغاني التي تفاعل معها الجمهور، وكنت بحق النجم القادم إلى الساحة الفنية.. تلقيت بعد هذه الحفلة دعوة من أحد أهل الفن يعرض عليّ رغبته في أن يتبناني فنياً ويهتم بي..

أخذت موعداً مع فنان مشهور عن طريق وكيل أعماله.. ليتم التنسيق بهذا الشأن.. وكان الموعد يوم الخميس..

الأيام تمضي سريعة..

قبل الموعد بيومين رجعت إلى أهلي.. لمشاركتهم في بعض المناسبات.. حركة دائبة في المنزل فزواج أخي يوم الخميس.. ويوم الأربعاء سيتم عقد قران اثنتين من أخواتي..

كانت أمي؛ كالنحلة.. تنتقل من مكان إلى مكان.. لا تكاد الدنيا تسعها من الفرح.. تردد الدعوات والتبريكات..

على شفتيها فرح لو قسم على العالم لابتسم.. تواصل الليل بالنهار..

تعد العدة للفرح الكبير.. تطمئن على كل شيء.. لا تدع صغيرة، ولا كبيرة إلا وتسأل عنها..

وجاء يوم الأربعاء سريعاً..

فإذا به يحمل الفاجعة التي غيرت مجرى حياتي.. الفاجعة التي أيقظتني من الغفلة.. أحيت قلبي الذي قد مات..

جاءت الفاجعة لتنتشلني من المستنقع القذر.. مستنقع الرذيلة.. مستنقع الغناء والطرب..

ماتت أمي.. كيف!! لا أدري.. المهم أنها ماتت..

بعد أن شاركتنا لحظات بسيطة من الفرح.. تنحت قليلاً..

وألقت بجسدها المنهك على سريرها.. وكأنها تقول: وداعاً صغاري.. لقد كبرتم.. تحول الفرح إلى حزن.. وجوه صامتة قد تملكتها الدهشة وألجمتها الفاجعة.. لا ترى إلا دموعاً تنهمر.. وقلوباً ترتجف..

ولا تسمع إلا نشيجاً ينطلق من كل زواية في المنزل.. كل شيء كان يبكي وينوح.. إلا أمي فقد كانت على فراشها ساكنة.. لا تدري عما حولها..

جهزوا جنازتها.. بدؤوا يغسلونها.. دخلت عليها بعدما غسلت.. ألقيت عليها النظرة الأخيرة.. كان وجهها هادئاً.. كما كان في الحياة..

نظرت إلى فمها.. عينيها.. يديها.. كانت بالأمس تنهاني عن مفارقتها خوفاً علي من الفساد..

قبلتها.. بكيت.. بكت أخواتي حولي.. أخرجوني من غرفة التغسيل..

مضت الساعات سريعة.. لم أشعر إلا وأنا أقف في الصف أصلي عليها.. جثتها هامدة.. والإمام يردد الله أكبر ..الله أكبر..

دعوت لها بكل جوارحي.. دعوت الله أن يغفر لي تقصيري في حقها.. حملت جنازتها مع من حملوا.. سرنا بها إلى القبر..

جعلت أهيل عليها التراب.. اللهم ثبتها.. اللهم ثبتها.. مضى النهار مع المعزين.. لكن كان لليل قول آخر.. أويت إلى غرفتي مبكراً.. أطفأت الأنوار.. ألقيت بجسدي على الفراش.. صورٌ من الماضي بدأت تظهر لي.. صوتها يملأ المكان.. يا ولدي قم.. لا تفتك الصلاة.. زملاؤك في المسجد ينتظرونك..

يا ولدي ابقَ معي.. واصل دراستك هنا.. لا تسافر.. يا ولدي انتبه لنفسك.. حسرات وندم.. هموم وغموم أطبقت على صدري.. لم أستطع أن أتنفس.. صور من العقوق.. شريط الذكريات يمر أمامي..

كانت تسعدني وأشقيها.. تفرحني وأبكيها.. تذكرت.. توسلاتها.. رجاءها.. لا تذهب.. لا تفعل.. زفرت وحسرات..

آآآآآه كم كنت عاقاً.. تُرى ماذا ينتظرني في الآخرة؟! «**لا يدخل الجنة قاطع**»؛ أي: قاطع رحم.. وأي رحم أعظم من رحم أمي.. أخشى أن يعجل لي العذاب في الدنيا بعقوق أولادي.. صرخت.. سامحني يا رب.. يا ليت أمي ترجع إلى الدنيا لأقبل رأسها.. بل لأغسل رجليها بدمعي.. ماذا فعلت المسكينة لأعاملها ببرود وكبر.. أليست هي التي حملت وأرضعت وسهرت..

آآآه.. ما أقسى قلبي.. أما حالي مع أبي فقد كان أكثر سوءاً..

بكيت بكاءً مراً.. قمت أصلي لكنني لم أستطع أن أقرأ فقد استعجم لساني.. كانت دموعي ساخنة فأذابت قسوة قلبي..

سجدت لله بللت موضع سجودي بالدموع..

النحيب مشفوع بدعوات صادقة تنطلق من الأعماق.. تؤمن عليها كل ذرة من ذرات جسدي..

عاهدت ربي على البر بها بعد موتها.. بالدعاء.. والصدقة، والاستغفار.. سألته أن يثبتني على ذلك.. رددت الدعاء: اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك انتهيت من الصلاة..

توجهت نحو الماضي الكئيب.. أقلب بين الدفاتر والأوراق..

فهنا دفتر يحمل بعض الأغاني.. وهنا رسائل.. وهناك صور.. هذا شريط أغان خاصة.. وهذه أشرطة لبعض الفساق..

عمدت إلى جيبي أخرجت ما فيه من بطاقات.. وجدت بطاقة الفنان الكبير.. تذكرت موعده.. يوم الخميس عصراً..

صرخت: أعوذ بالله.. مزقته بيدي..

جمعت كل شيء يذكرني بالمعاصي والآثام.. وضعتها في كيس وفي اليوم الثاني كان الفراق بيني وبينها..

.. البطل..

أما هو فقد كان شاباً نضراً.. نشأ في بيت عز وسلطان..

كان معظماً عند قومه.. مهيباً في بلده.. مقدماً بين أقرانه.. فريداً في زمانه.. سلمان الفارسي رضي الله عنه..

كان مجوسياً.. يعبد النار، وكان أبوه سيد قومه..

وكان يحبه حباً عظيماً.. وقد حبسه في بيته عند النار..

ومع طول ملازمته للنار.. اجتهد في المجوسية.. حتى صار قاطن النار الذي يوقدها.. وكان لأبيه بستان عظيم.. يذهب إليه كل يوم.. فشغل الأب في بنيان له يوماً في داره.. فقال لسلمان: فانطلق إلى ضيعتي فاصنع فيها كذا وكذا..

ففرح سلمان وخرج من حبسه.. وتوجه إلى البستان.. فبينما هو في طريقه إذ مر بكنيسة للنصارى.. فسمع صلاتهم فيها.. فدخل عليهم ينظر ماذا يصنعون.. وأعجبه ما رأى من صلاتهم.. ورغب في اتباعهم..

- وقال في نفسه: هذا خير من ديننا الذي نحن عليه.. فسألهم عن دينهم..

- فقالوا: أصله بالشام.. وأعلم الناس به هناك..

فلم يزل عندهم.. حتى غابت الشمس.. وتأخر على أبيه.. فلما رجع إليه..

- قال أبوه: أي بني أين كنت؟

- قال: إني مررت على ناس يصلون في كنيسة لهم.. فأعجبني ما رأيت من أمرهم وصلاتهم.. ورأيت أن دينهم خير من ديننا..

ـ ففزع أبوه.. وقال: أي بني.. دينك ودين آبائك خير من دينهم..

ـ قال: كلا والله.. بل دينهم خير من ديننا..

فخاف أبوه أن يخرج من دين المجوس.. فجعل في رجله قيداً.. ثم حبسه في البيت.. فلما رأى سلمان ذلك.. بعث إلى النصارى رسولاً من عنده..

ـ يقول لهم: إني قد رضيت دينكم ورغبت فيه.. فإذا قدم عليكم ركب من الشام من النصارى.. فأخبروني بهم..

فما مضى زمن حتى قدم عليهم ركب من الشام.. تجار من النصارى.. فبعثوا إلى سلمان فأخبروه..

ـ فقال للرسول: إذا قضى التجار حاجاتهم وأرادوا الرجوع إلى الشام فآذنوني..

فلما أراد التجار الرجوع أرسلوا إليه.. وواعدوه في مكان.. فتحيل حتى فك القيد من قدميه.. ثم خرج إليهم فانطلق معهم إلى الشام..

فلما دخل الشام.. سألهم: من أفضل أهل هذا الدين علماً؟

ـ قالوا: الأسقف الذي في الكنيسة.. فتوجه إلى الكنيسة.. فأخبر الأسقف خبره..

ـ وقال له: إني قد رغبت في هذا الدين.. وأحب أن أكون معك.. أخدمك.. وأصلي معك.. وأتعلم منك..

ـ فقال له الأسقف: أقم معي.. فمكث معه سلمان في الكنيسة..

فكان سلمان يحرص على الخيرات.. والتعبد والصلوت.. أما الأسقف فكان رجل سوء في دينه.. كان يأمر الناس بالصدقة ويرغبهم فيها.. فإذا جمعوا إليه الأموال.. اكتنزها لنفسه.. ولم يعطها المساكين.. فأبغضه سلمان بغضاً شديداً.. لكنه لا يستطيع أن يخبر أحداً بخبره.. فالأسقف معظم عندهم.. أما هو فغريب.. قريب العهد بدينهم..

فلم يلبث الأسقف أن مات فحزن عليه قومه.. واجتمعوا ليدفنوه..

فلما رأى سلمان حزنهم عليه قال: إن هذا كان رجل سوء.. يأمركم بالصدقة.. ويرغبكم فيها.. فإذا جئتموه بها.. اكتنزها لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئاً..

- قالوا: فما علامة ذلك؟

- أنا أدلكم على كنزه.. فمضى بهم حتى دلّهم على موضع المال.. فحفروه.. فأخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وفضة..

- فقالوا: والله لا ندفنه أبداً.. ثم صلبوه على خشبة.. ورجموه بالحجارة.. وجاءوا برجل آخر.. فجعلوه مكانه في الكنيسة..

- قال سلمان: فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس.. كان خيراً منه.. أعظم رغبة في الآخرة.. ولا أزهد في الدنيا.. ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً منه.. فأحببته حباً ما علمت أني أحببته شيئاً كان قبله..

فلم يزل سلمان يخدمه.. حتى كبر وحضرته الوفاة..

فحزن على فراقه.. وخاف ألا يثبت على الدين بعده..

- فقال له: يا فلان.. قد حضرك ما ترى من أمر الله.. فإلى من توصي بي؟

- قال: أي بني.. والله ما أعلم أحداً على ما كنت عليه.. لقد هلك الناس وبدلوا.. وتركوا كثيراً مما كانوا عليه.. إلا رجلاً بالموصل، وهو فلان.. وهو على ما كنت عليه فالحق به..

فلما توفي الرجل العابد.. خرج سلمان من الشام إلى العراق.. فأتى صاحب الموصل..

فأقام عنده.. حتى حضرته الوفاة.. فأوصى سلمان لرجل بنصيبين.. فشد رحاله إلى الشام مرة أخرى..

حتى أتى بنصيبين.. فأقام عند صاحبه طويلاً.. حتى نزل به الموت.. فأوصاه أن يصاحب رجلاً بعمورية بالشام.. فذهب إلى عمورية.. وأقام عند صاحبه.. واكتسب حتى كانت عنده بقرات وغنيمة.. ثم لم يلبث العابد أن مرض ونزل به الموت.. فحزن سلمان عليه..

ـ وقال له مودعاً: يا فلان إلى من توصي بي؟

ـ فقال الرجل الصالح: يا سلمان.. والله ما أعلم أصبح على مثل ما نحن فيه أحد من الناس آمرك أن تأتيه.. يعني لقد غير الناس وبدلوا..

ولكنه قد أظلك زمان نبي يبعث بدين إبراهيم الحنيفية.. يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين (أي: أرضين سوداوين) بينهما نخل.. به علامات لا تخفى: إنه يأكل الهدية.. ولا يأكل الصدقة.. بين كتفيه خاتم النبوة.. إذا رأيته عرفته.. فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل..

ثم مات، ودفن فمكث سلمان بعمورية ما شاء الله أن يمكث.. وهو يلتمس من يخرج به إلى أرض النبوة.. فما زال كذلك.. حتى مرَّ به نفر من قبيلة كلب.. تجار.. فسألهم عن بلادهم.. فأخبروه أنهم من أرض العرب..

ـ فقال لهم: تحملوني إلى أرضكم.. وأعطيكم بقراتي وغنيمتي؟

ـ قالوا: نعم.. فأعطاهم إياها.. وحملوه معهم.. حتى إذا قدموا به وادي القرى.. طمعوا في المال.. فظلموه وادعوا أنه عبد مملوك لهم.. وباعوه لرجل من اليهود.. فلم يستطع سلمان أن يدفع عن نفسه.. فصار عند هذا اليهودي يخدمه.. حتى قدم اليهودي يوماً ابن عم له من المدينة من يهود بني قريظة.. فاشترى سلمان منه..

فاحتمله إلى المدينة.. فلما رآها ورأى نخلها.. وحجارتها.. عرف أنها أرض النبوة التي وصفها له صاحبه.. فأقام بها.. وأخذ يترقب أخبار النبي المرسل..

ومرت السنوات..

وبعث الله رسوله عليه السلام فأقام بمكة ما أقام.. وسلمان لا يسمع له بذكر.. لشدة ما هو فيه من الخدمة عند اليهودي..

ثم هاجر ﷺ إلى المدينة ومكث بها.. وسلمان لا يدري عنه شيئاً..

فبينما هو يوماً في رأس نخلة لسيده.. يعمل فيها.. وسيده جالس أسفل النخلة.. إذ أقبل رجل يهودي من بني عمه.. حتى وقف عليه..

ـ فقال: أي فلان.. قاتل الله بني قيلة.. يعني: الأوس والخزرج.. إنهم الآن لمجتمعون على رجل بقباء.. قدم من مكة يزعمون أنه نبي.. فلما سمع سلمان ذلك انتفض جسده.. وطار فؤاده.. وارتجف على النخلة.. حتى كاد يسقط على صاحبه.. ثم نزل سريعاً، وهو يصيح بالرجل: ماذا تقول؟ ما هذا الخبر؟

فغضب سيده.. ورفع يده فلطمه بها لطمة شديدة.. ثم قال: ما لك ولهذا؟ أقبل على عملك.. فسكت سلمان.. وصعد نخلته يكمل عمله.. وقلبه مشغول بخبر النبوة.. ويريد أن يتيقن من صفات هذا النبي.. التي وصفها صاحبه.. يأكل الهدية.. ولا يأكل الصدقة.. وبين كتفيه خاتم النبوة.. فلما أقبل الليل.. جمع ما كان عنده من طعام.. ثم خرج حتى جاء إلى رسول الله ﷺ.. وهو جالس بقباء فدخل عليه فإذا حوله نفر من أصحابه..

ـ فقال: إنه بلغني أنكم أهل حاجة وغربة.. وقد كان عندي شيء وضعته للصدقة.. فجئتكم به..

ثم وضعه سلمان بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام.. واعتزل ناحية ينظر إليه ماذا يفعل؟

فنظر النبي ﷺ إلى الطعام.. ثم التفت إلى أصحابه..

ـ فقال: **كلوا**.. وأمسك هو ﷺ فلم يأكل..

فلما رأى سلمان ذلك قال في نفسه: هذه والله واحدة.. لا يأكل الصدقة.. وبقي اثنتان.. ثم رجع إلى سيده..

وبعدها بأيام.. جمع طعاماً آخر.. ثم أقبل على رسول الله ﷺ فسلم عليه..

ـ ثم قال له: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة.. وهذه هدية أهديتها كرامة لك.. ليست بصدقة..

ثم وضعها بين يديه ﷺ.. فمد يده إليها.. فأكل وأكل أصحابه..

فلما رأى سلمان ذلك قال في نفسه: هذه أخرى..

وبقيت واحدة.. أن ينظر إلى خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ.. ولكن أنى له ذلك.. رجع سلمان إلى خدمة سيده.. وقلبه مشغول بحال رسول الله ﷺ..

فمكث أياماً.. ثم مضى إلى رسول الله ﷺ يبحث عنه.. فإذا هو في بقيع الغرقد.. قد تبع جنازة رجل من الأنصار.. فجاءه فإذا حوله أصحابه.. وعليه شملتان مؤتزراً بواحدة.. مرتدياً بالأخرى.. كلباس الإحرام.. فسلم عليه.. ثم استدار ينظر إلى ظهره.. هل يرى الخاتم الذي وصف له صاحبه!! فلما رأى النبي ﷺ استدارته عرف أنه يستثبت في شيء وصف له.. فحرك كتفيه.. فألقى رداءه عن ظهره.. فنظر سلمان إلى الخاتم.. فعرفه.. فانكب عليه يقبله ويبكي..

ـ فقال له النبي ﷺ: **تحول**.. (أي: اجلس أمامي).. فاستدار حتى قابل وجه النبي ﷺ.. فسأله ﷺ عن خبره.. فقص عليه قصته.. وأخبره أنه كان شاباً مترفاً.. ترك العز والسلطان.. طلباً للهداية والإيمان.. حتى تنقل بين الرهبان.. يخدمهم ويتعلم منهم.. واستقر به المقام عبداً مملوكاً ليهودي في المدينة..

ثم أخذ سلمان ينظر إلى رسول الله ﷺ.. ودموعه تجري على خديه.. فرحاً وبشراً.. ثم أسلم.. ونطق الشهادتين.. ومضى إلى سيده اليهودي.. فزاده اليهودي شغلاً وخدمة.. فكان الصحابة يجالسون النبي ﷺ.. أما هو فقد شغله الرق.. عن مجالسته.. حتى فاتته معركة بدر ثم أُحد..

فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك قال له: «**كاتب يا سلمان**»؛ أي: اشتر نفسك من سيدك بمال تؤديه إليه..

فسأل سلمان صاحبه أن يكاتبه.. فشدد عليه اليهودي.. وأبى عليه إلا بأربعين أوقية من فضة.. وثلاثمائة نخلة.. يجمعها فسائل صغار.. ثم يغرسها.. واشترط عليه أن تحيا كلها..

فلما أخبر سلمان رسول الله ﷺ بما اشترط عليه اليهودي.. قال ﷺ لأصحابه: «**أعينوا أخاكم بالنخل**»..

فأعانه المسلمون.. وجعل الرجل يمضي إلى بستانه فيأتيه بما يستطيع من فسيلة نخل.. فلما جمع النخل..

فقال ﷺ: **يا سلمان.. اذهب ففقر لها ـ أي: احفر لها ـ لغرسها.. فإذا أنت أردت أن تضعها فلا تضعها حتى تأتيني فتؤذنني..**

فبدأ سلمان يحفر لها.. وأعانه أصحابه.. حتى حفر ثلاثمائة حفرة.. ثم جاء فأخبر النبي ﷺ.. فخرج ﷺ معه إليها.. فجعل الصحابة يقربون له فسيلة النخل.. ويضعه ﷺ بيده في الحفر..

ـ قال سلمان: فوالذي نفسي سلمان بيده.. ما ماتت منها نخلة واحدة..

فلما أدى النخل إلى اليهودي.. بقي عليه المال..

فأتى النبي ﷺ يوماً بذهب من بعض المغازي.. فالتفت إلى أصحابه وقال: «**ما فعل الفارسي المكاتب**.. فدعوه له **فقال** ﷺ: **خذ هذه فأد بها ما عليك يا سلمان**».. فأخذها سلمان.. فأدى منها المال إلى اليهودي.. وعتق.. ثم لازم النبي ﷺ حتى مات..

.. مفتاح الشر..

قال لي:

كان لي صديق حميم في مكانة الأخ.. مات الأسبوع الماضي فجأة في حادث سير.. أسأل الله أن يرحمه ويتجاوز عنه.. ليست المشكلة أنه مات.. فكلنا سنموت.. لكن المشكلة.. أن هذا الصديق له خبرة في الإنترنت.. وكان متعلقاً باكتشاف المواقع الإباحية.. وجمع الصور الخليعة.. حتى إنه صمم موقعاً إباحياً يحتوي على صور خليعة.. بل لديه مجموعة أشخاص مسجلين في الموقع.. يرسل إلى بريدهم كل فترة ما يستجد لديه من صور.. إباحية.. يرسلها الموقع إليهم آلياً..

ومات الرجل فجأة.. والمصيبة أننا لا نعرف الرمز السري للموقع للتصرف فيه، أو إغلاقه..

كنت أفكر في ذلك.. وأنا أنتظر الصلاة عليه في المسجد.. مشيت في جنازته.. وهو محمول على النعش..

كنت أفكر.. ما سيستقبله في قبره.. صور خليعة؟!.. حسبنا الله ونعم الوكيل!!

وصلنا إلى المقبرة.. قبور موحشة.. الناس يتزاحمون على القبر.. نظرت داخل قبره.. آآآآه.. كيف سيكون حاله فيه.. رأيت بعض الناس يبكي..

قلت في نفسي: هل سينفعه بكاؤهم!!

دفناه.. ثم ذهبنا وتركناه في ظلمة القبر وحده.. رجع أهله وماله.. وبقي معه عمله.. وما أدراك ما عمله..

والدته رأت في المنام صبية يمرون على قبره ويتبولون فوقه.. كانت تتساءل عن تعبيرها.. المسكينة لا تدري عن خفايا الأمور!!

سمعت عن هذه الرؤيا..

فقلت في نفسي: ما تحتاج إلى تعبير.. معناها واضح.. هؤلاء الصبية الذين يتبولون على قبره.. هم الذين أرسل إليهم الصور.. وبدؤوا هم بإرسالها لمن يعرفون.. يا للهول.. كيف سيتحمل آثام هؤلاء!! «**من دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من تبعه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً**».. حاولت جاهداً.. أن أحسن إليه.. خاطبت الشركة الكبرى المستضيفة للموقع ليوقفوا الاشتراك..

فاعتذروا عن عمل أي شيء.. بل لم يصدقوني.. لأني لا أعرف أرقامه السرية التي حجز بها الموقع.. صرخت بهم.. يا جماعة.. الرجل ماااااات.. لم يلتفتوا إلي..

جلست أتفكر في حاله.. تذكرت قوله ﷺ: «**إن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير**»، وأظنه واحداً منهم.

كم صرخت به: كيف تتحمل ذنوب الناس.. كيف تكون مفتاحاً للشر.. كيف تحمل أوزارهم في القيامة على كتفيك..

لكنه لم يكن يتأثر بكلامي.. كان يرى أنه شباب، ويريد أن (يُفَرْفش). وهذه أمور للتسلية فقط..

أعوذ بالله.. كم من شاب نظر نظرة إلى صورة فتبع ذلك وقوع في فاحشة.. وكم من فتاة وقعت في ذلك كذلك..

الرجل مات.. لكنه سيسأل يوم القيامة عن كل نظرة نظرها.. ونظروها.. وكل فاحشة واقعها.. وواقعوها.. وصورة نشرها.. ونشروها..

لا أدري كم سيستمر يتحمل آثامهم.. ولكن عسى الله أن يتجاوز عنه.. وحسبي الله ونعم الوكيل..

السماء لا تمطر..!!

بنو إسرائيل.. أصابهم قحط على عهد موسى عليه السلام.. فاجتمع الناس إليه..

- فقالوا: يا كليم الله.. ادع لنا ربك أن يسقينا الغيث..

فقام معهم.. وخرجوا إلى الصحراء.. وهم سبعون ألفاً، أو يزيدون.. اجتمعوا بين يديه.. وقاموا يدعون.. وهم شعث غبر.. عطاش جوعى.. وقام كليم الله يدعو: إلهي.. اسقنا غيثك.. وانشر علينا رحمتك.. وارحمنا بالأطفال الرضع.. والبهائم الرتع.. والمشايخ الركع..

فما زادت السماء إلا تقشعاً.. والشمس إلا حرارة..

- فقال موسى: إلهي.. اسقنا..

- فقال الله: **كيف أسقيكم؟ وفيكم عبد يبارزني بالمعاصي منذ أربعين سنة..**

فناد في الناس حتى يخرج من بين أظهركم.. فبسببه منعتكم..

- فصاح موسى في قومه: يا أيها العبد العاصي.. الذي يبارز الله منذ أربعين سنة.. أخرج من بين أظهرنا.. فبك منعنا المطر..

فنظر العبد العاصي.. ذات اليمين وذات الشمال.. فلم ير أحداً خرج.. فعلم أنه المطلوب..

ـ فقال في نفسه: إن أنا خرجت من بين هذا الخلق.. افتضحت على رؤوس بني إسرائيل..

وإن قعدت معهم منعوا المطر بسببي.. فانكسرت نفسه... ودمعت عينه.. فأدخل رأسه في ثيابه.. نادماً على فعاله..

ـ وقال: إلهي.. وسيدي.. عصيتك أربعين سنة.. وسترتني وأمهلتني.. وقد أتيتك طائعاً فاقبلني.. وأخذ يبتهل إلى خالقه..

فلم يستتم الكلام.. حتى ارتفعت سحابة بيضاء.. فأمطرت كأفواه القرب..

ـ فعجب موسى وقال: إلهي.. سقيتنا.. وما خرج من بين أظهرنا أحد..

ـ فقال الله: **يا موسى.. سقتيكم بالذي به منعتكم..**

ـ فقال موسى: إلهي أرني هذا العبد الطائع..

ـ فقال: **يا موسى.. إني لم أفضحه وهو يعصيني.. أأفضحه وهو يطيعني..**

القرار الشجاع..

الطفيل بن عمرو..

كان سيداً مطاعاً في قبيلته «دَوس»..

قدم مكة يوماً في حاجة.. فلما دخلها.. رآه أشراف قريش.. فأقبلوا عليه..

ـ قالوا له: من أنت؟

ـ قال: أنا الطفيل بن عمرو.. سَيِّدُ دَوس..

فنظر بعضهم إلى بعض.. وخافوا أن يراه النبي عليه الصلاة والسلام فيدعوه إلى الإسلام.. فإن أسلم هذا السيد.. قوي به الإسلام..

فاجتمعوا عليه، وقال له أحدهم: إن ههنا رجلاً في مكة يزعم أنه نبي.. فاحذر أن تجلس معه، أو تسمع كلامه.. فإنه ساحر.. إن استمعت إليه ذهب بعقلك..

ثم قال له الآخر مثل ذلك.. وزاد الثالث عليهما.. وأكثروا الكلام..

ـ قال الطفيل: فوالله ما زالوا بي يخوفونني منه.. حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً.. ولا أكمله.. بل حشوت في أذني كرسفاً ـ وهو القطن ـ خوفاً من أن يبلغني شيء من قوله.. وأنا مارٌّ به..

فغدوت إلى المسجد.. فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة.. فقمت منه قريباً.. فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله.. فسمعت كلاماً حسناً..

ـ فقلت في نفسي: واثكل أمي! والله إني لرجل لبيب.. ما يخفى عليَّ الحسن من القبيح.. فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول.. فإن كان الذي به حسناً قبلته.. وإن كان قبيحاً تركته..

فمكثت حتى قضى صلاته.. فلما قام منصرفاً إلى بيته تعبته.. حتى إذا دخل بيته دخلت عليه..

ـ فقلت: يا محمد.. إن قومك قالوا لي كذا وكذا.. ووالله ما برحوا يخوفونني منك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك.. وقد سمعت منك قولاً حسناً.. فاعرض عليَّ أمرك..

فابتهج النبي عليه الصلاة والسلام.. وفرح.. وعرض الإسلام على الطفيل.. وتلا عليه القرآن..

فتفكر الطفيل في حاله.. فإذا كل يوم يعيشه يزيده من الله بعداً.. وإذا هو يعبد حجراً.. لا يسمع دعاءه إذا دعاه.. ولا يجيب نداءه إذا ناداه.. وهذا الحق قد تبين له..

ثم بدأ الطفيل يتفكر في عاقبة إسلامه.. كيف يغير دينه ودين آبائه!!.. ماذا سيقول الناس عنه؟!

حياته التي عاشها.. أمواله التي جمعها.. أهله.. ولده.. جيرانه.. خلانه.. كل هذا سيضطرب..

سكت الطفيل.. يفكر.. يوازن بين دنياه وأخراه..

وفجأة إذا به يضرب بدنياه عرض الحائط.. نعم سوف يستقيم على الدين.. وليرض من يرضى.. وليسخط من يسخط.. وماذا يكون أهل الأرض.. إذا رضي أهل السماء؟!..

ماله ورزقه بيد من في السماء.. صحته وسقمه بيد من في السماء منصبه وجاهه بيد من في السماء.. بل حياته وموته بيد من في السماء..

فإذا رضي أهل السماء.. فلا عليه ما فاته من الدنيا..

إذا أحبه الله.. فليبغضه بعدها من شاء.. وليتنكر له من شاء.. وليستهزئ به من شاء..

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

نعم.. أسلم الطفيل مكانه.. وشهد شهادة الحق.. ثم ارتفعت همته.. وثارت عزيمته..

ـ فقال: يا نبي الله.. إني امرؤ مطاع في قومي.. وإني راجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام.. ثم خرج الطفيل من مكة.. مسرعاً إلى قومه.. حاملاً همَّ هذا الدين.. يصعد به جبل.. وينزل به واد.. حتى وصل إلى ديار قومه.. فلما دخلها.. أقبل إليه أبوه.. وكان شيخاً كبيراً..

ـ فقال الطفيل: إليك عني يا أبت.. فلست منك ولست مني..

ـ قال: ولم يا بني؟

ـ قال: أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ..

ـ قال: ديني هو دينك..

ـ قال: فاذهب فاغتسل، وطهر ثيابك.. ثم ائتني حتى أعلمك مما علمت..

فذهب أبوه واغتسل، وطهر ثيابه.. ثم جاء فعرض عليه الإسلام فأسلم..

ثم مشى الطفيل إلى بيته.. فأقبلت إليه زوجته..

ـ فقال: إليك عني.. فلست منك ولست مني..

ـ قالت: ولم؟ بأبي أنت وأمي..

ـ قال: فرَّق بيني وبينك الإسلام.. وتابعت دين محمد ﷺ..

ـ قالت: فديني دينك..

ـ قال: فاذهبي فتطهري.. ثم ارجعي إليَّ.. فولته ظهرها ذاهبة..

وكان لهم صنم اسمه ذو الشرى.. يعظمونه، ويرون أن من ترك عبادته أصابه الصنم بعقوبة.. فخافت المسكينة إن أسلمت أن يضرها، أو يضر أولادها..

فرجعت إليه وقالت: بأبي أنت وأمي.. أما تخشى على الصبية من ذي الشرى..؟

وذو الشرى صنم عندهم يعبدونه.. وكانوا يرون أن من ترك عبادته أصابه، أو أصاب ولده بأذى..

ـ فقال الطفيل: اذهبي.. أنا ضامن لك أن لا يضرهم ذو الشرى..

فذهبت فاغتسلت.. ثم عرض عليها الإسلام فأسلمت..

ثم جعل الطفيل يطوف في قومه.. يدعوهم إلى الإسلام بيتاً بيتاً.. ويقبل عليهم في نواديهم.. ويقف عليهم في طرقاتهم.. لكنهم أبوا إلا عبادة الأصنام.. فغضب الطفيل.. وذهب إلى مكة..

فأقبل على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله.. إن دَوْساً قد عصت وأبت.. يا رسول الله.. فادع الله عليهم..

فتغير وجه النبي عليه الصلاة والسلام.. ورفع يديه إلى السماء..

ـ فقال الطفيل في نفسه:.. هلكت دَوْس..

فإذا بالرحيم الشفيق ﷺ.. يقول: «**اللهم اهد دوساً.. اللهم اهد دوساً**»..

ثم التفت إلى الطفيل وقال: **ارجع إلى قومك.. فادْعُهُم.. وارفق بهم**..

فرجع اليهم.. فلم يزل بهم.. حتى أسلموا.. ومرت الأيام.. ومات النبي عليه الصلاة والسلام.. وما زال الطفيل ثابتاً بعده على الدين حتى استشهد في معركة اليمامة..

يرى مقعده في الجنة!!

شاب.. بلغ من عمره ستة عشر عاماً.. كان في المسجد يتلو القرآن.. وينتظر إقامة صلاة الفجر..

فلما أقيمت الصلاة.. رد المصحف إلى مكانه.. ثم نهض ليقف في الصف.. فإذا به يقع على الأرض فجأة مغمى عليه.. حمله بعض المصلين إلى المستشفى..

فحدثني الدكتور الذي عاين حالته.. قال:

أُتِيَ إلينا بهذا الشاب محمولاً؛ كالجنازة.. فلما كشفت عليه فإذا هو مصاب بجلطة في القلب.. لو أصيب بها جمل لأردته ميتاً..

نظرت إلى الشاب فإذا هو يصارع الموت.. ويودع أنفاس الحياة.. سارعنا إلى نجدته وتنشيط قلبه..

أوقفت عنده طبيب الإسعاف يراقب حالته.. وذهبت لإحضار بعض الأجهزة لمعالجته.. ثم أقبلت إليه مسرعاً.. فإذا الشاب متعلق بيد طبيب الإسعاف..

والطبيب قد ألصق أذنه بفم الشاب.. والشاب يهمس في أذنه بكلمات.. فوقفت أنظر إليهما.. لحظات..

وفجأة أطلق الشاب يد الطبيب.. وحاول جاهداً أن يلتفت لجانبه الأيمن.. ثم قال بلسان ثقيل: أشهد أن لا إلٰه إلا الله.. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. وأخذ يكررها.. ونبضه يتلاشى.. وضربات القلب تختفي.. ونحن نحاول إنقاذه.. ولكن قضاء الله.. كان أقوى.. ومات الشاب..

عندها انفجر طبيب الإسعاف باكياً.. حتى لم يستطع الوقوف على قدميه.. فعجبنا وقلنا له: يا فلان!.. ما لك تبكي!!.. ليست هذه أول مرة ترى فيها ميتاً.. لكن الطبيب استمر في بكائه ونحيبه..

فلما خف عنه البكاء..

ـ سألناه: ماذا كان يقول لك الفتى؟

ـ فقال: لما رآك يا دكتور.. تذهب وتجيء.. وتأمر وتنهى.. علم أنك الطبيب المختص به..

ـ فقال لي: يا دكتور.. قل لصاحبك طبيب القلب.. لا يتعب نفسه.. لا يتعب.. أنا ميت لا محالة.. والله إني أرى مقعدي من الجنة الآن..

على فراش الموت..

كتبت قصتها بيدها فقالت:

ما من يوم يمر علي إلا وأبكي.. كل يوم يمر أفكر فيه بالانتحار مرات.. لم تعد حياتي تهمني أبداً.. أتمنى الموت كل ساعة..

ليتني لم أولد، ولم أعرف هذه الدنيا.. بدايتي كانت مع واحدة من صديقاتي.. دعتني ذات يوم إلى بيتها.. وكانت من الذين يستخدمون الإنترنت كثيراً.. وقد أثارت فيَّ الرغبة لمعرفة هذا العالم..

لقد علمتني كيف يستخدم.. وكل شيء تقريباً على مدار شهرين.. حيث بدأت أزورها كثيراً..

تعلمت منها «التشات» بكل أشكاله.. تعلمت منها كيفية التصفح.. وبحث المواقع الجيدة والرديئة..

في خلال هذين الشهرين كنت في عراك مع زوجي كي يدخل الإنترنت إلى البيت..

وكان ضد تلك المسألة.. حتى أقنعته بأني أشعر بالملل الشديد.. ونحن نسكن بعيداً عن أهلي..

تحججت بأن كل صديقاتي يستخدمن الإنترنت.. فلم لا أستخدمه وأحادثهن من خلاله فهو أرخص من الهاتف.. وافق زوجي.. ويا ليته لم يفعل..

أصبحت بشكل يومي أحادث صديقاتي.. بعدها أصبح زوجي لا يسمع مني أي شكوى أو مطلب..

أعترف بأنه ارتاح كثيراً من إزعاجي وشكواي..

كان كلما خرج من البيت أقبلت؛ كالمجنونة على الإنترنت بشغف شديد.. أجلس الساعات الطوال..

بدأت أتمنى غيابه كثيراً..

أنا أحب زوجي.. وهو لم يقصر معي..

حتى وحالته المادية ليست بالجيدة مقارنة بأخواتي وصديقاتي.. إلا أنه كان يبذل لإسعادي بأي طريقة..

ومع مرور الأيام وجدت الإنترنت يسعدني أكثر فأكثر.. أصبحت لا أهتم حتى بالسفر إلى أهلي.. وقد كنا كل أسبوعين نسافر لنرى أهلي وأهله..

كان كلما دخل البيت فجأة ارتبكت فأطفئ كل شيء عندي بشكل يجعله يستغرب فعلي.. لم يكن عنده شك.. بل كان يريد أن يرى ماذا أفعل في الإنترنت..

ربما كان لديه فضول.. أو هي الغيرة.. حيث قد رأى يوماً محادثة صوتية لم أستطع! إخفاءها..

بعدها كان يعاتبني ويقول: الإنترنت مجال واسع للمعرفة.. وليس مضيعة وقت.. مرت الأيام، وأنا أزداد بالتشات فتنة..

تركت مسألة تربية الأبناء للخادمة.. كنت أعرف متى يعود.. فأطفئ الجهاز قبل مجيئه..

ومع ذلك أهملت نفسي كثيراً.. كنت في السابق أكون في أحسن شكل.. وأجمل زينة عند عودته من العمل..

وبعد الإنترنت بدأ هذا يتلاشى حتى اختفى كلياً..

كنت مشغوفة بالإنترنت.. لدرجة أني ذهبت خلسة بعد نومه.. وأرجع خلسة قبل أن يصحو من النوم..

ربما أدرك لاحقاً أن كل ما أفعله في الإنترنت هي مضيعة وقت، ولكن كان يشفق علي من الوحدة وبعد الأهل، وقد استغللت هذا أحسن استغلال..

كان منزعجاً لإهمالي الأولاد.. وبخني كثيراً.. وكنت أتظاهر بالبكاء.. وأقول أنت لا تعرف ماذا يدور في البيت في غيبتك.. فأنا مهتمة بهم حريصة عليهم.. لكنهم يتعبونني..

باختصار أهملت كل شيء.. حتى زوجي.. كنت أهاتفه عشرات المرات، وهو خارج البيت فقط أريد سماع صوته.. والآن وبعد الإنترنت أصبح لا يسمع صوتي أبداً إلا في حالة احتياج البيت لبعض الطلبات النادرة..

تولدت لدى زوجي غيرة كبيرة من الإنترنت..

مر علي ستة أشهر على هذا الحال..

بنيت علاقات مع أسماء مستعارة لا أعرف إن كانت لرجل أم أنثى..

كنت أحاور كل من يحاورني عبر التشات.. حتى وأنا أعرف أن الذي يحاورني رجل.. إلا أن شخصاً واحداً هو الذي أقبلت عليه بشكل كبير..

أحببت حديثه ونكته.. كان مسلياً.. بدأت العلاقة بيننا تقوى مع الأيام.. تكونت هذه العلاقة اليومية في خلال ٣ أشهر تقريباً..

كان يغمرني بكلامه المعسول.. وكلمات الحب والشوق.. ربما لم تكن كلماته جميلة إلى هذه الدرجة.. ولكن الشيطان جمّلها بعيني كثيراً.. كانت محادثاتنا كلها كتابة.. عبر «التشات»..

في يوم من الأيام طلب سماع صوتي.. فرفضت.. أصر على طلبه.. هددني بتركي، وأن يتجاهلني في التشات والإيميل..

حاولت كثيراً مقاومة هذا الطلب، ولم أستطع.. لا أدري لماذا.. حتى قبلت مع بعض الشروط.. أن تكون مكالمة واحدة فقط.. استخدمنا برنامجاً للمحادثة الصوتية.. رغم أن البرنامج ليس بالجيد.. ولكن كان صوته جميلاً جيداً وكلامه عذباً جداً..

ـ قال لي: صوتك غير واضح عبر الإنترنت.. أعطيني رقم هاتفك.. رفضت ذلك.. تعجبت من جرأته.. لم أجرؤ على مكالمته لمدة طويلة..

كنت أعلم والله أن الشيطان الرجيم كان يلازمني ويحسن صوته في نفسي ويصارع بقايا العفة والدين، وما أملك من أخلاق..

حتى أتى اليوم الذي كلمته من الهاتف.. ومن هنا بدأت حياتي بالانحراف.. لقد انجرفت كثيراً..

لن أطيل الكلام.. من يقرأ قصتي يشعر بأن زوجي مهمل في حقي.. أو كثير الغياب عن البيت.. ولكن العكس هو الصحيح.. كان يخرج من عمله، ولا يذهب إلى أصدقائه كثيراً من أجلنا أنا وأولادي..

ومع مرور الأيام، وبعد اندماجي بالإنترنت التي كنت أقضي بها ما يقارب ٨ إلى ١٢ ساعة يومياً.. أصبحت أكره كثرة تواجده في البيت.. ألومه على هذا كثيراً.. أشجعه بأن يعمل في المساء حتى نتخلص من الديون المتراكمة والأقساط التي لا تنتهي..

وفعلاً أخذ بكلامي.. ودخل شريكاً مع أحد أصدقائه في مشروع صغير..

بعد ذلك.. أصبح الوقت الذي أقضيه في الإنترنت أكثر وأكثر.. رغم

انزعاجه كثيراً من فاتورة الهاتف التي تصل إلى الآلاف أحياناً.. إلا أنه لم يقدر على صدي عن هذا أبداً.

بدأت علاقتي بصاحبي تتطور.. أصبح يطلب رؤيتي بعدما سمع صوتي مراراً.. بل ربما ملَّ منه..

لم أكن أبالي كثيراً، أو أحاول قطع اتصالي به.. بل كنت فقط أعاتبه على طلبه.. وربما كنت أكثر منه شوقاً إلى رؤيته..

لكني كنت أترفع عن ذلك.. لا لشيء.. سوى أنني خائفة..

أصبح إلحاحه يزداد يوماً بعد يوم.. يريد فقط رؤيتي لا أكثر.. قبلت طلبه بشرط أن تكون أول وآخر مرة نتقابل فيها.. تواعدنا، ثم التقينا في أحد الأسواق، وكان الشيطان ثالثنا..

في الحقيقة من أول نظرة أعجبني.. بل زيَّنه الشيطان في عيني..

لم يكن زوجي قبيحاً.. لكن الشيطان يزين الحرام.. افترقنا.. بدأ بعدها يقوي علاقته بي.. لم يكن يعرف أني متزوجة.. وأم أولاد.. رآني بعدها مراراً.. عرف عني كل شيء.. جعلني أكره زوجي.. اقترح عليَّ الطلاق من زوجي لأتزوجه..

بدأت أكره زوجي.. بدأت اصطنع معه المشاكل كل يوم ليطلقني.. لم يحتمل زوجي هذه المشاكل التافهة.. وبدأ يكثر الغياب عن البيت.. حتى وقعت الكارثة..

- قال لي زوجي يوماً: إنه ذاهب في رحلة عمل لمدة خمسة أيام.. عرض عليَّ أن أذهب مع الأولاد إلى أهلي.. أحسست أن هذا هو الوقت المناسب.. رفضت الذهاب لأهلي.. فوافق مضطراً، وذهب مسافراً في يوم الجمعة.. وفي يوم الأحد كان الموعد..

اتفقت مع الشيطان أن أقابله في مكان بأحد الأسواق.. ركبت معه سيارته، ثم انطلق بي يجوب الشوارع..

أول مرة في حياتي أخرج مع رجل غريب.. كنت قلقة، وكان يبدو عليه القلق أكثر مني..

ـ قلت له: لا أريد أن يطول وقت خروجي من البيت.. أخشى أن يتصل زوجي، أو يحدث شيء..

ـ قال لي: وإذا عرف زوجك!!.. ربما يطلقك وترتاحين منه..

لم يعجبني حديثه ونبرة صوته.. بدأ القلق يزداد عندي..

ـ قلت له: يجب ألا تبتعد كثيراً.. لا أريد أن أتأخر عن البيت..

بدأ يشغلني بأحاديث جانبية.. وفجأة وإذا أنا في مكان لا أعرفه.. مظلم وهي أشبه باستراحة، أو مزرعة.. بدأت أصرخ به: ما هذا المكان؟ إلى أين تأخذني؟..

وما هي إلا ثوان معدودات.. وإذا بالسيارة تقف.. ورجل آخر يفتح عليَّ الباب ويخرجني بالقوة.. وثالث داخل الاستراحة.. ورابع رأيته جالساً.. روائح غريبة تنبعث من المكان.. كان كل شيء ينزل علي كالصاعقة.. صرخت وبكيت واستعطفتهم..

أصبحت من شدة الرعب لا أفهم ما يدور حولي.. شعرت بضربة كف على وجهي.. وصوت يصرخ علي.. فزلزلني زلزالاً فقدت الوعي بعده من شدة الخوف.. وقع ما وقع.. وصحوت بعدها من إغمائي.. تملكني رعب شديد.. جسمي يرتعش.. لم أتوقف عن البكاء.. ربطوا عيني.. وحملوني إلى السيارة.. ورموني في مكان قريب من البيت..

دخلت البيت مسرعة.. بقيت أبكي وأبكي، حتى جفت دموعي.. أصبحت حبيسة غرفتي.. لم أر أبنائي.. ولم أدخل في فمي لقمة.. كرهت نفسي.. حاولت الانتحار.. أبنائي لم أعد أعرفهم.. أو أشعر بوجودهم..

رجع زوجي من السفر.. كانت حالتي سيئة لدرجة أنه أخذني إلى السمتشفى بقوة.. أعطوني مهدئات ومقويات.. طلبت من زوجي أن يأخذني إلى أهلي بأسرع وقت.. كنت أبكي كثيراً.. وأهلي لا يعلمون شيئاً.. يعتقدون أن هنالك مشكلة بيني وبين زوجي..

حاول أبي أن يتفاهم مع زوجي.. ولم يصل معه إلى نتيجة.. لأن زوجي أصلاً لا يعلم شيئاً.. لا أحد يعلم ما الذي حل بي.. حتى أن أهلي عرضوني على بعض القراء.. اعتقاداً منهم بأني مريضة..

باختصار.. أنا لا أستحق زوجي أبداً..

لذا طلبت منه الطلاق.. إكراماً له والله.. فأنا لا أستحق أن أعيش بين الأشراف مطلقاً..

أنا التي حفرت قبري بيدي.. وصديق «التشات» لم يكن سوى صائداً لفريسة من البنات اللواتي يستخدمن التشات..

حزن زوجي لحالي.. بل ترك عمله أياماً ليكون قريباً مني.. رفض أن يطلقني.. كان المسكين يحبني.. تعب حتى كوَّن أسرة وبيتاً، ولا يريد أن يهدمه..

كتمتُ سري في صدري.. وكل يوم يمر بي أزداد قهراً على قهري.. أيُّ ذلّ أصابني من أولئك الأنذال.. كيف أكون مزبلة لشرَّاب خمور ومتعاطي مخدرات يعبثون بجسدي كما شاءوا.. كم كنت غبية حمقاء.. كيف أمضيت أشهراً في صرف عواطفي لمن لا يستحقها..

وها أنا أكتب هذه القصة من على فراش المرض والهزال.. بل لعله يكون فراش الموت..

.. اتخذوه مهجوراً..

قالت:

كنت في الحرم المكي.. في قسم النساء.. وإذا بامرأة تطرق على كتفي.. تردد بلكنة أعجمية: يا حاجة!! يا حاجة!!..

التفت إليها.. فإذا هي امرأة متوسطة السن.. غلب على ظني أنها تركية.. سلمت علي.. وقعت في قلبي محبتها! سبحان الله الأرواح جنود مجندة..

كانت تريد أن تقول شيئاً.. تحاول استجماع كلماتها.. أشارت إلى المصحف الذي كنت أحمله.. ثم قالت بعربية مكسرة:

ـ أنت تقرأ في قرآن..؟!

ـ قلت: نعم!.. وإذا بالمرأة.. يحمر وجهها.. وتمتلئ عيناها بالدموع.. قد هالني منظرها.. بَدَأت في البكاء!!

ـ قلت لها: ما بك؟!

ـ قالت بصوت مخنوق، وهي تنظر بخجل.. أنا ما أقرأ قرآن..

ـ قلت: لماذا؟

ـ قالت: ما أعرف.. ومع انتهاء حرف الفاء.. انفجرت باكية..

ظللت أربت على كتفيها وأهدئ من روعها..

قلت: أنت الآن في بيت الله.. اسأليه أن يعلمك.. وأن يعينك على قراءة القرآن.. كفكفت دموعها..

وفي مشهد لن أنساه ما حييت.. رفعت المرأة يديها تدعو الله قائلة: «اللهم افتح قلبي.. اللهم افتح قلبي أقرأ قرآن.. اللهم افتح قلبي أقرأ القرآن»..

ـ ثم التفتت إليَّ وقالت: أنا أموت، وما قرأت قرآن..

ـ قلت لها: لا.. إن شاء الله سوف تقرئينه كاملاً، وتختميه مرات ومرات..

ـ سألتها: هل تقرأين الفاتحة؟

ـ فاستبشرت.. وقالت: نعم..

ثم بدأت ترتل. الحمد لله رب العالمين.. الرحمن الرحيم.. حتى ختمتها..

ثم جلست تعدد قصار السور التي تحفظها..

كنت متعجبة من عربيتها الجيدة إلى حد ما.. وهي تتكلم عن حياتها.. وما تبذله لتتعلم القرآن..

وفجأة تغير وجهها.. وقالت: «إذا أنا أموت ما قرأت قرآن.. أنا في نار!! أنا والله أسمع شريط.. بس لازم في قراءة!! هذا كلام الله.. كلام الله العظيم»، وبدأت المسكينة تدافع عبراتها، وهي تتكلم عن عظمة الله.. وحق كتابه علينا..

لم أتمالك نفسي من البكاء! امرأة أعجمية.. في بلاد علمانية.. تخشى أن تلقى الله، ولم تقرأ كتابه.. منتهى أملها في الحياة أن تختم القرآن..

تبكي.. وتحزن.. وتضيق عليها نفسها.. لأنها لا تستطيع تلاوة كتاب الله..

- فما بالنا قد هجرناه؟

- قد أوتيناه فنسيناه؟

- ما بالنا والسبل ميسرة لحفظه، وتلاوته وفهمه؟

- بالله.. على أي شيء تحترق قلوبنا؟ وما الذي يثير مدامعنا ويهيج أحزاننا؟

أسأل الله أن ينفع بهذه القصص، وأشير إلى أن بعضها قد اقتسبته من بعض المواقع في شبكة الإنترنت، ولم أجد أسماء كاتبيها.. فهم شركاء في الأجر، والثواب إن شاء الله..

جامع رسائل

فضيلة الشيخ

محمد العريفي

المجلد الثاني

دار التدمرية

بسم الله الرحمن الرحيم

د. محمد بن عبد الرحمن العريفي
Dr. Mohammad A. Al Areefi

أحمد الله تعالى أن يسر إخراج " مجموع رسائل العريفي " سائلاً الله النفع والقبول .. آمين .

وقد اجتهد الإخوة في دار التدمرية بإخراجه بشكل جيد ومراجعة دقيقة ، وذلك أن بعض المكتبات أخرجوا كتبا نسبوها إليّ دون تنسيق معي ولا مراجعة لها ، وبعضها خطب ومحاضرات مرتجلة استخرجوها من الانترنت والفضائيات وفرغوها كتابة ونشروها ! دون إذن ولا مراجعة مني ، وأكثرها يحتاج تصويبات يقتضيها تحويل الحديث من إلقاء لكتابة .. فتفاجأت بها في المكتبات حاملة اسمي على غلافها ! ..

لذلك وكلت دار التدمرية بطباعة ونشر كتبي ، ومتابعة من يطبعها بغير إذن .

فأصدروا : " استمتع بحياتك " و " نهاية العالم " و " الدرر البهية من كتب ابن تيمية " و " زبدة الفوائد من كتب ابن تيمية " و " مجموع رسائل العريفي " ، ويعملون حالياً في طباعة آخر كتبي : " العالمُ الأخيرُ " .

واشترطت عليهم بيع الكتب بسعر قريب من التكلفة ، ويخفضوا السعر للتوزيع الخيري ..

أسأل الله تعالى أن يرزقنا جميعاً العلم النافع والعمل الصالح .. آمين ..

كتبه /

محمد بن عبد الرحمن العريفي

الأستاذ بجامعة الملك سعود

خطيب جامع البواردي

الرياض ١٤٣١/١١/٨هـ ٢٠١٠/١٠/١٦م

P.O.Box 151597 Riyadh. 11775
Fax 00966 1 2440062
Mobile 00966 505845140
00966 555845140
ص.ب ١٥١٥٩٧ الرياض ١١٧٧٥
فاكس ٠٠٩٦٦ ١ ٢٤٤٠٠٦٢
جوال ٠٠٩٦٦ ٥٠٥٨٤٥١٤٠
٠٠٩٦٦ ٥٥٥٨٤٥١٤٠
www.arefe.com Email: arefes@yahoo.com

اركب معنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد:

أما الأول:

فقد جلس إليَّ مهموماً مغموماً.. ثم قال: يا شيخ.. مللت من الغربة..

فقلت: عسى الله أن يعجل رجوعك إلى أهلك وبلدك..

فاستعبر وبكى.. ثم قال: أما والله يا شيخ لو عرفت بقدر شوقي إليهم وقدر شوقهم إليَّ..

هل تصدق يا شيخ أن أمي قد سافرت أكثر من أربعمائة ميل لتدعو لي عند ضريح قبر الشيخ فلان.. وتسأله أن يردني إليها..!! فهو رجل مبارك تقبل منه الدعوات.. ويقضى الكربات.. ويسمع دعاء الداعين.. حتى بعد موته..!!

أما الثاني:

فقد حدثني شيخنا العلامة عبد الله بن جبرين..

قال: كنت على صعيد عرفات.. والناس في بكاء ودعوات.. قد لفوا أجسادهم بالإحرام.. ورفعوا أكفهم إلى الملك العلَّام..

وبينما نحن في خشوعنا وخضوعنا.. نستنزل الرحمات من السماء..

لفت نظري شيخ كبير.. قد رق عظمه.. وضعف جسده.. وانحنى ظهره.. وهو يردد: يا ولي الله فلان.. أسألك أن تكشف كربتي.. اشفع لي.. وارحمني.. ويبكي وينتحب..

فانتفض جسدي.. واقشعرّ جلدي.. وصحت به: اتق الله.. كيف تدعو غير الله!! وتطلب الحاجات من غير الله!! هذا الولي مخلوق مثلك.. عبدٌ مملوكٌ.. لا يسمعك ولا يجيبك.. ادعُ الله وحده لا شريك له..

فالتفت إلي ثم قال: إليك عني يا عجوز.. أنت ما تعرف قدر الشيخ

فلان عند الله!!.. أنا أؤمن يقيناً أنه ما تنزل قطرة من السماء.. ولا تنبت حبة من الأرض إلا بإذن هذا الشيخ..

فلما قال ذلك.. قلت له: تعالى الله.. ماذا أبقيت لله.. اتق الله..

فلما سمع مني ذلك.. ولاني ظهره ومضى..

وأما الثالث.. والرابع.. والخامس..

فأخبارهم فيما بين يديك من أوراق.. فسبحان الله.. أين هؤلاء اللاجئين إلى غير مولاهم.. الطالبين حاجاتهم من موتاهم.. المتجهين بكرباتهم إلى عظام باليات.. وأجساد جامدات.. أينهم عن الله..!! الملك الحق المبين!! الذي يرى حركات الجنين.. ويسمع دعاء المكروبين.. ولا يرضى أن يدعوا عباده سواه..

فابك إن شئت على حال الأمة.. وقلّب طرفك في بلاد الإسلام.. لترى أضرحة ومقامات.. وقبوراً ورفات.. صارت هي الملجأ عند الملمات.. والمفزع عند الكربات.

نشأ عليها الصغير.. وشاب عليها الكبير..

فهذه كلمات لهم وهمسات.. وأحاديث ونداءات.. بل هي صرخات وصيحات.. وابتهالات ودعوات.. للغارقين والغارقات..

الذين تلاطمت بهم الأمواج.. وضلوا في الفجاج..

حتى تخلفوا عن سفينة النجاة.. وماتوا وهم مشركون.. وهم يحسبون أنهم مسلمون..

إنها سفينة التوحيد.. التي هي كسفينة نوح.. من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك.. وكم رأينا في بلاد الإسلام.. من أقارب وإخوان.. وجيران وخلان.. ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً..

لذا جاء هذا الكتاب نداءً لهم جميعاً بأن يعبدوا الله وحده لا شريك له..

كتبه/ د. محمد بن عبد الرحمٰن العريفي
دكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصر
E-Mail: arefe@arefe.com

البحر المتلاطم

كانت الدنيا مليئة بالمشركين.. هذا يدعو صنماً.. وذاك يرجو قبراً.. والثالث يعبد بشراً.. والرابع يعظم شجراً.. نظر إليهم ربهم فمقتهم عربهم وعجمهم.. إلا بقايا من موحدي أهل الكتاب..

وكان من بين هؤلاء السادرين..

سيد من السادات.. هو عمرو بن الجموح..

كان له صنم اسمه مناف.. يتقرب إليه.. ويسجد بين يديه.. مناف.. هو مفزعه عند الكربات.. وملاذه عند الحاجات.. صنم صنعه من خشب.. لكنه أحب إليه من أهله وماله..

وكان شديد الإسراف في تقديسه.. وتزيينه وتطييبه وتلبيسه.. وكان هذا دأبه مذ عرف الدنيا.. حتى جاوز عمره الستين سنة..

فلما بُعث النبي ﷺ في مكة.. وأرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه.. داعيةً ومعلماً لأهل المدينة.. أسلم ثلاثة أولاد لعمرو بن الجموح مع أمهم دون أن يعلم..

فعمدوا إلى أبيهم فأخبروه بخبر هذا الداعي المعلم وقرؤوا عليه القرآن.. وقالوا: يا أبانا قد اتبعه الناس فما ترى في اتباعه؟

فقال: لست أفعل حتى أشاور مناف فأنظر ما يقول!!

ثم قام عمرو إلى مناف.. وكانوا إذا أرادوا أن يكلموا أصنامهم جعلوا خلف الصنم عجوزاً تجيبهم بما يلهمها الصنم في زعمهم..

أقبل عمرو يمشي بعرجته إلى مناف.. وكانت إحدى رجليه أقصر من الأخرى.. فوقف بين يدي الصنم.. معتمداً على رجله الصحيحة.. تعظيماً

واحتراماً.. ثم حمد الصنم وأثنى عليه ثم قال: يا مناف.. لا ريب أنك قد علمت بخبر هذا القادم.. ولا يريد أحداً بسوء سواك.. وإنما ينهانا عن عبادتك.. فأشرْ عليّ يا مناف.. فلم يردَّ الصنم شيئاً.. فأعاد عليه فلم يجب..

فقال عمرو: لعلك غضبت.. وإني ساكت عنك أياماً حتى يزول غضبك.. ثم تركه وخرج.. فلما أظلم الليل.. أقبل أبناؤه إلى مناف.. فحملوه وألقوه في حفرة فيها أقذار وجيف.. فلما أصبح عمرو دخل إلى صنمه لتحيته فلم يجده..

فصاح بأعلى صوته: ويلكم!! من عدا على إلهنا الليلة.. فسكت أهله.. ففزع.. واضطرب.. وخرج يبحث عنه.. فوجده منكساً على رأسه في الحفرة.. فأخرجه وطيبه وأعاده لمكانه..

وقال له: أما والله يا مناف لو علمتُ من فعل هذا لأخزيته.. فلما كانت الليلة الثانية أقبل أبناؤه إلى الصنم.. فحملوه وألقوه في تلك الحفرة المنتنة..

فلما أصبح الشيخ التمس صنمه.. فلم يجده في مكانه.. فغضب وهدد وتوعد.. ثم أخرجه من تلك الحفرة فغسله وطيبه.. ثم ما زال الفتية يفعلون ذلك بالصنم كل ليلة وهو يخرجه كل صباح فلما ضاق بالأمر ذرعاً راح إليه قبل منامه وقال: ويحك يا مناف إن العنز لتمنع أُسْتَها..

ثم علَّق في رأس الصنم سيفاً وقال: ادفع عدوك عن نفسك..

فلما جَنَّ الليلُ حمل الفتية الصنم وربطوه بكلب ميت وألقوه في بئر يجتمع فيها النتن.. فلما أصبح الشيخ بحث عن مناف فلما رآه على هذا الحال في البئر قال:

ورب يبول الثعلبان برأسه لقد خاب من بالت عليه الثعالب

ثم دخل في دين الله.. وما زال يسابق الصالحين في ميادين الدين..

وانظر إليه.. لما أراد المسلمون الخروج إلى معركة بدر.. منعه أبناؤه

لكبر سنه.. وشدة عرجه.. فأصر على الخروج للجهاد.. فاستعانوا برسول الله ﷺ فأمره بالبقاء في المدينة.. فبقي فيها.

فلما كانت غزوة أُحد.. أراد عمرو الخروج للجهاد.. فمنعه أبناؤه.. فلما أكثروا عليه.. ذهب إلى النبي ﷺ.. يدافع عبرته.. ويقول: يا رسول الله إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك إلى الجهاد.. قال: «**إن الله قد عذرك..**».

فقال.. يا رسول الله.. والله إني لأرجو أنا أطأ بعرجتي هذه في الجنة..

فأذن له ﷺ بالخروج.. فأخذ سلاحه وقال: اللهم ارزقني الشهادة ولا تردّني إلى أهلي.. فلما وصلوا إلى ساحة القتال.. والتقى الجمعان.. وصاحت الأبطال.. ورميت النبال..

انطلق عمرو يضرب بسيفه جيش الظلام.. ويقاتل عباد الأصنام.. حتى توجه إليه كافر.. بضربة سيف كُتِبَت له بها الشهادة.. فدفن رضي الله عنه.. ومضى مع الذين أنعم الله عليهم..

وبعد ست وأربعين سنة في عهد معاوية رضي الله عنه.. نزل بمقبرة شهداء أُحد.. سيل شديد.. غطّى أرض القبور.. فسارع المسلمون إلى نقل رُفات الشهداء.. فلما حفروا عن قبر عمرو بن الجموح.. فإذا هو كأنه نائم.. ليّنَ جسده.. تثنى أطرافه.. لم تأكل الأرض من جسده شيئاً..

فتأمل كيف ختم الله له بالخير لما رجع إلى الحق لما تبين له.. بل انظر كيف أظهر الله كرامته في الدنيا قبل الآخرة.. لما حقق لا إله إلا الله.

هذه الكلمة التي قامت بها الأرض والسمٰوات.. وفطر الله عليها جميع المخلوقات.. وهي سبب دخول الجنة.. ولأجلها خلقت الجنة والنار.. وانقسم الخلق إلى مؤمنين وكفار.. وأبرار وفجار..

فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين؟..

سفينة النجاة

وكم من إنسان هلك مع الهالكين.. واستحق اللعنة إلى يوم الدين.. بسبب أنه لم يحقق التوحيد.. فالله هو الرب الواحد.. لا يتوكل العبد إلا عليه.. ولا يرغب إلا إليه.. ولا يرهب إلا منه.. ولا يحلف إلا باسمه.. ولا ينذر إلا له.. ولا يتوب إلا إليه.. فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.. ولهذا حرم الله على النار من شهد أن لا إله إلا الله حقيقة الشهادة..

وانظر إلى معاذ رضي الله عنه.. لما مشى خلف النبي ﷺ.. فالتفت إليه النبي ﷺ فجأة ثم سأله..

يا معاذ: «**أتدري ما حق الله على العباد.. وما حق العباد على الله**»..

قال: الله ورسوله أعلم..

فقال ﷺ: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.. وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً..**».

وسأل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه النبي ﷺ فقال: يا رسول الله.. أي ذنب عند الله أعظم.. فقال ﷺ: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»..

نعم.. التوحيد من أجله.. بعث الله الرسل.. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].. والطاغوت هو كل ما عبد من دون الله.. من صنم أو حجر.. أو قبر أو شجر..

والتوحيد هو مهمة الرسل الأولى كما قال تعالى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥].. بل إن الخلق لم يخلقوا إلا ليوحدوا الله قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]...

والأعمال كلها متوقفة في قبولها على التوحيد.. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]... ومن حقق التوحيد نجا.. كما صح في الحديث القدسي عند الترمذي.. أن الله تعالى قال: «يا

ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»..

ولعظم أمر التوحيد.. خاف الأنبياء من فقده..

فذاك أبو الموحدين.. محطم الأصنام.. وباني البيت الحرام.. إبراهيم عليه السلام.. يبتهل إلى الملك العلَّام.. ويقول: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]... ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟

بداية الانحراف

أول ما حدث الشرك في قوم نوح..

فبعث الله نوحاً.. فنهاهم عن الشرك.. فمن أطاعه ووحد الله نجى..

ومن ظل على شركه.. أهلكه الله بالطوفان.. وبقي الناس بعد نوح على التوحيد زماناً.. ثم بدأ إبليس في الإفساد.. ونشر الشرك بين العباد.. ولم يزل الله تعالى يبعث المرسلين مبشرين ومنذرين..

إلى أن بعث خاتم النبيين محمداً صلى الله عليه وسلم.. فدعا إلى التوحيد.. وجاهد المشركين.. وكسر الأصنام..

ومضت الأمة من بعده على التوحيد.. إلى أن عاد الشرك إلى بعض الأمة بسبب تعظيم الأولياء والصالحين..

حتى بنيت الأضرحة على قبورهم.. وصرف الدعاء والاستغاثة والذبح والنذر لمقاماتهم..

وسموا هذا الشرك توسلاً بالصالحين ومحبة لهم بزعمهم.. وزعموا أن محبتهم لهؤلاء وتعظيم قبورهم.. تقربهم إلى الله زلفى..

ونسوا أن هذه حجة المشركين الأولين حيث قالوا عن أصنامهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]... والعجب أنك إذا أنكرت على هؤلاء شركهم.. قالوا لك:.. كلا بل نحن موحدون.. ولربنا عابدون..

ويظنون أن معنى التوحيد هو الإقرار بوجود الله وأحقيته بالعبادة دون غيره.. وهذا مفهوم قاصر.. للتوحيد..

فأبو جهل.. وأبو لهب.. بهذا المفهوم موحدون.. فإنهم يعتقدون أن الله هو الإله الأعظم المستحق للعبادة.. لكنهم أشركوا معه آلهة أخرى ظنوا أنها توصل إليه.. وتشفع لهم عنده..

قصة

روى البيهقي بسند حسن: أنه لما ظهر النبي ﷺ بدعوته بين الناس.. حاول كفار قريش أن ينفروا الناس عنده..

فقالوا: ساحر.. كاهن.. مجنون.. لكنهم وجدوا أن أتباعه يزيدون ولا ينقصون.. فاجتمع رأيهم على أن يغروه بمال ودنيا..

فأرسلوا إليه حصين بن المنذر الخزاعي.. وكان من كبارهم..

فلما دخل عليه حصين.. قال: يا محمد.. فرقت جماعتنا.. وشتت شملنا.. وفعلت.. وفعلت.. فإن كنت تريد مالاً جمعنا لك حتى تكون أكثرنا مالاً.. وإن أردت نساءً زوجناك أجمل النساء.. وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا.. ومضى في كلامه وإغرائه.. والنبي ﷺ ينصت إليه..

فلما انتهى من كلامه.. قال له ﷺ: «**أفرغت يا أبا عمران**»..

قال: نعم.. قال: «**فأجبني عما أسألك**».. قال: سل عما بدا لك..

* قال: «**يا أبا عمران.. كم إلها تعبد؟**».

- قال: أعبد سبعة.. ستة في الأرض.. وواحداً في السماء!!

* قال: «**فإذا هلك المال.. من تدعوا!؟**».

- قال: أدعوا الذي في السماء..

* قال: «**فإذا انقطع القطر من تدعوا؟**».

- قال: أدعو الذي في السماء..

* قال: «**فإذا جاع العيال.. من تدعوا؟**».

- قال: أدعوا الذي في السماء..

* قال: «**فيستجيب لك وحده.. أم يستجيبون لك كلهم..**».

- قال: بل يستجيب وحده..

فقال ﷺ: «**يستجيب لك وحده.. وينعم عليك وحده.. وتشركهم في الشكر.. أم أنك تخاف أن يغلبوه عليك**».. قال حصين: لا.. ما يقدرون عليه..

فقال ﷺ: «**يا حصين.. أسلم أعلمك كلمات ينفعك الله بهن**».. الحديث..

حقيقة

نعم كانوا يعبدون اللات والعزى.. لكنهم يعتبرونها آلة صغيرة تقربهم إلى الإله الأعظم وهو الله جل جلاله.. ويصرفون لها أنواعاً من العبادات.. لتشفع لهم عند الله.. لذا كانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].. كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت..

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان: ٢٥]..

وفي الصحيحين وغيرهما.. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث خيلاً جهة نجد.. لينظروا له ما حول المدينة.

فبينما هم يتجولون على دوابهم.. فإذا برجل قد تقلّد سلاحه.. ولبس الإحرام.. وهو يلبي قائلاً: لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك.. إلا شريكاً هو لك.. تملكه وما ملك.. ويردد: إلا شريكاً هو لك.. تملكه وما ملك..

فأقبل الصحابة عليه.. وسألوه أين يريد.. فأخبرهم أنه يريد مكة..

فنظروا في حاله فإذا هو قد أقبل من ديار مسيلمة الكذاب.. الذي ادعى النبوة.. فربطوه وأوثقوه وجاؤوا به إلى المدينة.. ليراه النبي ﷺ.. ويقضي فيه ما شاء..

فلما رآه النبي ﷺ.. قال لأصحابه: «**أتدرون من أسرتم. هذا ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة**»..

ثم قال: «**اربطوه في سارية من سواري المسجد.. وأكرموه**».. ثم ذهب ﷺ إلى بيته وجمع ما عنده من طعام وأرسل به إليه.. وأمر بدابة ثمامة أن تعلف ويعتنى بها.. وتعرض أمامه في الصباح والمساء.. فربطوه بسارية من سواري المسجد.. فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**».

قال: عندي خير يا محمد.. إن تقتلني تقتل ذا دم.. (أي: ينتقم لي قومي).. وإن تنعم تنعم على شاكر.. وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت..

فتركه ﷺ حتى كان الغد.. ثم قال له: «**ما عندك يا ثمامة؟**».

فقال: عندي ما قلت لك إن تقتلني تقتل ذا دم.. وإن تنعم تنعم على شاكر.. وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت..

فتركه ﷺ حتى بعد الغد.. فمر به فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**».

فقال: عندي ما قلت لك..

فلما رأى ﷺ أنه لا رغبة له في الإسلام.. وقد رأى صلاة المسلمين.. وسمع حديثهم.. ورأى كرمهم..

قال ﷺ: «**أطلقوا ثمامة**».. فأطلقوه.. وأعطوه دابته وودعوه..

فانطلق ثمامة إلى ماء قريب من المسجد.. فاغتسل.. ثم دخل المسجد.

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..

يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلي من وجهك.. فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي..

والله ما كان دين أبغض إلي من دينك.. فأصبح دينك أحب الدين إلي.. والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي..

ثم قال: يا رسول الله.. إن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟

فبشره النبي ﷺ بالخير.. وأمره أن يكمل طريقه إلى مكة ويعتمر.. فذهب إلى مكة يلبي بالتوحيد قائلاً.. لبيك لا شريك لك.. لبيك لا شريك لك.. نعم أسلم فقال: لبيك لا شريك لك.. فلا قبر مع الله يعبد.. ولا صنم يُصلَّى له ويُسْجَد.. ثم دخل ثمامة رضي الله عنه مكة.. فتسامع به سادات قريش فأقبلوا عليه..

فسمعوا تلبيته فإذا هو يقول.. لبيك لا شريك لك.. لبيك لا شريك لك.. فقال له قائل: أصبوت؟ قال: لا.. ولكن أسلمت مع محمد ﷺ..

فهموا به أن يؤذوه.. فصاح بهم وقال:

ولا والله.. لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة.. حتى يأذن فيها النبي ﷺ كانوا يعظمون الله.. أكثر من تعظيمهم لهذه الآلهة..

فقل لي بربك.. ما الفرق بين شرك أبي جهل وأبي لهب.. وبين من يذبح اليوم عند قبر.. أو يسجد على أعتاب ضريح.. أو يذبح له ويطوف.. أو يقف عند مشهد الولي ذليلاً خاضعاً.. منكسراً خاشعاً.. يسأله الحاجات.. وكشف الكربات.. يلتمس من عظام باليات شفاء المريض.. ورد المسافر..

عجباً.. والله يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الأعراف: ١٩٤].. وهذا الشرك.. الذي يقع عند القبور من ذبح لها.. وتقرب إلى أهلها.. وطواف عليها.. هو أعظم الذنوب..

نعم أعظم من الزنا.. وأعظم من شرب الخمر.. والقتل.. وعقوق الوالدين.. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]..

نعم . .الله لا يغفر أن يشرك به. . بينما قد يغفر الله للزناة. . ويعفو عن القتلة والجناة. .

ولقد أخبر النبي ﷺ كما في الصحيحين: أن امرأة بغياً من بني إسرائيل كانت تمشي في صحراء. . فرأت كلباً بجوار بئر يصعد عليه تارة. . ويطوف به تارة. .

في يوم حار قد أدلع لسانه من شدة الظمأ. . قد كاد يقتله العطش. .

فلما رأته هذه البغي. . التي طالما عصت ربها. . وأغوت غيرها. . ووقعت في الفواحش والآثام. . وأكلت المال الحرام. . لما رأت هذا الكلب. . نزعت خفها (حذاءها). . وأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء. . وسقته. . فغفر الله لها بذلك . .الله أكبر. . غفر الله لها. . بماذا. .؟

هل كانت تقوم الليل وتصوم النهار؟! هل قتلت في سبيل الله؟!

كلا. . وإنما سقت كلباً شربةً من ماء. . فغفر الله لها. . لأنها كانت تقع في المعاصي لكنها ما كانت تشرك بالله ولياً ولا قبراً. . ولا تعظم حجراً ولا بشراً. . فغفر الله لها. . فما أقرب المغفرة من العاصين وما أبعدها عن المشركين. .

قصة

بعض الناس يفزع ويضطرب. . ويحزن إذا رأى كثرة الزناة وشراب الخمور. . بينما لا يتأثر وهو يرى كثرة من يتمسحون بأعتاب القبور ويصرفون لها أنواع العبادات. . مع أن الزنى وشرب الخمر معاص كبار. . لكنها لا تخرج عن ملة الإسلام. . بينما صرف شيء من العبادة لغير الله هو شرك يموت به الإنسان كافراً. . ولذا كان العلماء الربانيون يجعلون تدريس العقيدة أصل الأصول. . كان أحد المشائخ قد ألف كتاب في أهمية التوحيد. . وأخذ يشرحه لطلابه. . ويعيد ويكرر مسائله عليهم. .

فقال له طلابه يوماً: يا شيخ نريد أن تغير لنا الدرس إلى مواضيع أخرى. . قصص. . سيرة. . تاريخ. .

قال الشيخ: سننظر في ذلك إن شاء الله.. ثم خرج إليهم من الغد مهموماً مفكراً.. فسألوه عن سبب حزنه فقال: سمعت أن رجلاً في قرية مجاورة..

سكن بيتاً جديداً.. وخاف من تعرض الجن له فذبح ديكاً عند عتبة باب البيت.. تقرباً إلى الجن.. ولقد أرسلت من يتثبت لي من هذا الأمر..

فلم يتأثر الطلاب كثيراً.. وإنما دعوا لذاك الرجل بالهداية.. وسكتوا.. وفي الغد لقيهم الشيخ.. فقال: تثبتنا من خبر البارحة.. فإذا الأمر على خلاف ما نقل إليَّ..

فإن الرجل لم يذبح ديكاً تقرباً إلى الجن.. ولكنه زنا بأمه.. فثار الطلاب وانفعلوا.. وسبوا وأكثروا.. وقالوا: لا بد من الإنكار عليه.. ومناصحته.. وعقوبته.. وكثر هرجهم ومرجهم..

فقال الشيخ: ما أعجب أمركم.. تنكرون هذا الإنكار على من وقع في كبيرة من الكبائر.. وهي لم تخرجه من الإسلام.. ولا تنكرون على من وقع في الشرك.. وذبح لغير الله.. وصرف العبادة لغير الله.

فسكت الطلاب.. فأشار الشيخ إلى أحدهم وقال.. قم ناولنا كتاب التوحيد نشرحه من جديد.. والشرك أعظم الذنوب.. ولا يغفره الله أبداً.. قال الله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]..

والجنة حرام على المشركين.. وهم مخلدون في النار.. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].. ومن وقع في الشرك.. أفسد عليه هذا الشرك.. جميع عباداته من صلاة وصوم وحج وجهاد وصدقة.. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]..

۞ والشرك له صور متعددة:

منها ما يخرج من الملة.. ويخلد صاحبه في النار إذا مات ولم يتب منه.. كدعاء غير الله.. والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله.. من القبور.. والجن.. والشياطين.. والخوف من الموتى.. أو الجن والشياطين أن يضروه

أو يمرضوه.. ورجاء غير الله فيما يقدر عليه إلا الله.. من قضاء الحاجات.. وتفريج الكربات.. مما يمارس الآن حول الأضرحة والقبور..

فالقبور تزار لأجل الاتعاظ والدعاء للأموات.. كما قال ﷺ: «**زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة**»..

وذلك للرجال.. أما النساء فلا يشرع لهن زيارة القبور.. لأن النبي ﷺ لعن زوارات القبور.. ولأن زيارتهن قد يحصل بها فتنة لهن أو بهن..

أما زيارة القبور لدعاء أهلها.. والاستغاثة بهم.. أو الذبح لهم.. أو التبرك بهم.. أو طلب الحاجات منهم.. والنذر لهم..

فهذا شرك أكبر.. ولا فرق بين كون المدعو المقبور نبياً أو ولياً أو صالحاً.. فكل هؤلاء بشر.. لا يملكون ضراً ولا نفعاً.. قال الله لأحب خلقه إليه محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف: ١٨٨]...

ويدخل في ذلك ما يفعله الجهال عن قبر النبي ﷺ من دعائه والاستغاثة به.. أو عند قبر الحسين.. أو البدوي.. أو الجيلاني.. أو غيرهم..

أما زيارة القبور للصلاة عندها والقراءة.. فهذه بدعة..

وإنما يشرع للزائر الاتعاظ والدعاء للمبيت فقط..

ومن العجب أن يذهب مسلم إلى المقبورين وهو يعلم أنهم جثث هامدة.. لا يستطيعون أن يتخلصوا مما هم فيه.. فيطلب منهم أن يستجيبوا الدعوات.. أو يفرجوا الكربات.. وكثير من هذه الأضرحة.. والقبور.. التي تعظم.. ويبنى عليها.. يكون لها خدم وسدنة.. يظهرون التقى والتقشف.. ويختلقون للناس الأكاذيب.. ويدعونهم إلى الشرك بالله..

يعبدون جوزة

إني أقول لأولئك الذين يدعون الأموات..

أمواتكم هؤلاء.. الذين تبكون على عتباتهم.. وترجون شفاعاتهم.. ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ۝٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ۝٧٣﴾ [الشعراء: ٧٢ ـ ٧٣]..

لا والله لا يسمعون.. ولا ينفعون.. بل يخذلون ويضرون..

وما أجمل ما فعله ذلك الغلام الصغير.. الذي عمره ١٣ سنة.. وسافر مع والده إلى الهند.. والهند بلاد كبيرة.. تتنوع فيها الآلهة.. يعبدون كل شيء.. من حيوان ونبات وجماد وبشر وكواكب..

دخل الغلام أحد المعابد.. فرأى الناس يعبدون ثمرة جوز الهند..

وقد رسموا لها عينين وأنفاً وفماً.. ويقدمون لها البخور والطعام والشراب..

ثم رآهم يصلّون لها.. فلما سجدوا لها.. أقبل الغلام إلى الثمرة فاختطفها وهرب بها.. فلما رفعوا رؤوسهم من سجودهم.. لم يجدوا إلههم.. فالتفتوا.. فإذا الغلام قد حمل الإله.. وفرَّ به هارباً.. فقطعوا صلاتهم.. وركضوا وراء الغلام.. فلما ابتعد عنهم.. جلس على الأرض.. ثم كسر الجوزة.. وشرب مائها وألقاها على الأرض.. فتصايحوا لما رأوا الإله مكسوراً.. فأخذوه وضربوه وتلتلوه.. ثم ذهبوا به إلى قاضي البلد..

فقال له القاضي: أنت الذي كسرت الإله؟

قال الغلام: لا.. ولكني كسرت جوزة.. قال القاضي: ولكنها إلاههم..

ـ قال الغلام: أيها القاضي!! هل كسرت يوماً جوزة هند وأكلتها؟

ـ قال القاضي: نعم.. قال الغلام: فما الفرق إذاً؟

فسكت القاضي واحتار.. ونظر إلى عبادها يريد منهم الجواب..

فقالوا: هذه الجوزة لها عينان وفم..

فصاح بهم الغلام قال: هل تتكلم؟ قالوا: لا..

قال: هل تسمع؟ قالوا: لا..

قال: فكيف تعبدونها إذاً؟ فبهت الذي كفر.. والله لا يهدي القوم الظالمين.. فنظر إليهم القاضي.. فخاف أن يتعرضوا للغلام بسوء..

فقال للغلام.. عقوبة لك.. قررنا تغريمك ١٥٠ روبية..

فدفعها الغلام مرغماً.. وخرج منتصراً..

ومما يزيد الطين بلة.. أن المتعلقين بالقبور.. لم يكتفوا بتعظيم الأموات.. وسؤالهم الحاجات.. وإنما صرفوا الأموال في تزيينها.. ورفعها.. والبناء عليها.. وتنقسم القباب والأضرحة المبنية على القبور.. إلى قسمين:

الأول: قباب تبنى في مقابر المسلمين العامة.. حيث تبدو القبة شاهقة وسط القبور..

والثاني: قباب تبنى في المساجد.. أو تبنى عليها المساجد.. وقد تكون في قبلة المسجد.. أو في الخلف.. أو في أحد جوانبه..

وقد حذر النبي ﷺ من ذلك فقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد.. لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» وهذا في قبره الشريف وفي كل قبر..

وعن علي رضي الله عنه أنه قال لأبي الهياج: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: **أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته.. ولا قبراً مشرفاً إلا سوّيته».. ونهى أن يجصص القبر.. وأن يقعد عليه.. وأن يبنى عليه.. أو أن يكتب عليه.. ولعن ﷺ المتخذين عليها (أي: القبور) المساجد والسُرج.. ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام.. لا على قبر نبي.. ولا غيره..**

الواقع الأليم

واليوم.. خذ على عجل الواقع الأليم..

• في مصر: أضرحة الأولياء التي تنتشر في مدن مصر وقراها.. ستة آلاف ضريح.. وهي مراكز لإقامة الموالد للمريدين والمحبين.. بل إنه من

الصعب أن تجد يوماً على مدار السنة ليس فيه احتفال بمولد ولي في مكان ما بمصر.. بل تعتبر القرية التي تخلو من أضرحة منزوعة البركة عندهم..

وتنقسم الأضرحة إلى كبرى وصغرى.. وكلما فخم البناء واتسع وذاع صيت صاحبه زاد اعتباره.. وكثر زواره..

فمن الأضرحة الكبرى في القاهرة: ضريح الحسين.. وضريح السيدة زينب.. وضريح السيدة عائشة.. والسيدة سكينة.. والسيدة نفيسة.. وضريح الإمام الشافعي.. وضريح الليث ابن سعد..

إضافة إلى ضريح البدوي بطنطا.. والدسوقي بدسوق.. والشاذلي بقرية حميثرة.. وقبر مزعوم للحسين.. يحج له الناس ويتقربون إليه بالنذر والقربات.. وتجاوز ذلك إلى الطواف به والاستشفاء.. وطلب قضاء الحاجات عند الملمات.. وضريح السيد البدوي.. له مواسم في السنة أشبه بالحج الأكبر.. يقصده الناس من خارج البلاد وداخلها.. من السُّنَّة والشيعة..

وجلال الدين الرومي.. الذي كتب على قبره ومزاره: صالح للأديان الثلاثة.. المسلمين واليهود والنصارى.. ويدعى هذا الوثن بالقطب الأعظم..

• أما في الشام فقد ذكر الباحثون الثقاة أن في دمشق وحدها ١٩٤ ضريحاً والمشهور منها ٤٤ ضريحاً.. وينسب للصحابة أكثر من سبعة وعشرين قبراً.. وفي دمشق ضريح لرأس يحيى بن زكريا عليه السلام.. يقع في المسجد الأموي.. وبجانب المسجد قبر لصلاح الدين.. وعماد الدين زنكي.. وقبور أخرى تزار ويتوسل بها...

وفي سوريا أيضاً: ضريح لمحيي الدين بن عربي صاحب «فصوص الحكم».. وهو ضال فاجر..

• وفي تركيا أكثر من ٤٨١ جامعاً لا يكاد يخلو جامع من ضريح.. أشهرها الجامع الذي بني على القبر المنسوب إلى أبي أيوب الأنصاري في القسطنطينية..

• وفي الهند يوجد أكثر من مئة وخمسين ضريحاً مشهوراً يؤمها الآلاف من الناس..

• أما العراق.. ففي بغداد وحدها أكثرُ من مئة وخمسين جامعاً وقلّ أن يخلو جامع منها من ضريح.. وفي الموصل يوجد أكثر من ستة وسبعين ضريحاً مشهوراً كلها داخل جوامع.. وهذا كله بخلاف الأضرحة الموجودة في المساجد والأضرحة المفردة[١]..

• وفي الهند: أصبح قبر الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني.. ويعملون أنواع العبادات.. كالسجود.. والنذور..

• وفي باكستان.. ضريح الشيخ علي الهجوري في لاهور.. وهو من القبور العظيمة.. والعجب أن الناس مفتونون بها.. مع أن أكثرها أضرحة مكذوبة.. لا حقيقة لها..

• فالحسين رضي الله عنه له قبر بالقاهرة يتقربون إليه.. ويصرفون له أنواعاً من العبادات من دعاء وذبح وطواف.

وفي عسقلان قبر للحسين أيضاً.. وفي سفح جبل الجوشن غربي حلب ضريح ينسب إلى رأس الحسين رضي الله عنه أيضاً.

وكذلك توجد أربعة مواضع أخرى يقال: إن بها رأس الحسين: في دمشق.. والحنانة ـ بين النجف والكوفة ـ.. وبالمدينة عند قبر أمه فاطمة رضي الله عنها.. وفي النجف بجوار القبر المنسوب إلى أبيه رضي الله عنهما.. وفي كربلاء حيث يقال: إنه أعيد إلى جسده[٢]..

• أما السيدة زينب بنت علي رضي الله عنهما فقد ماتت بالمدينة ودفنت بالبقيع.. إلا أن قبراً منسوباً إليها أقامه الشيعة في دمشق[٣]..

---

(١) انظر: الانحرافات العقدية ص٢٨٩ ـ ٢٩٤ ـ ٢٥٩.

(٢) انظر: الانحرافات العقدية ص٢٨٨؛ ومجلة (لغة العرب)، ج٧ السنة السابعة (١٩٢٩م)، ص٥٥٧ ـ ٥٦١؛ ومعالم حلب الأثرية، عبد الله حجار.

(٣) انظر: عبد الله بن محمد بن خميس.. شهر في دمشق ص٦٧.

ولا يقل عنه جماهيرية الضريح المنسوب إليها في القاهرة.. ولم تذكر كتب التاريخ أبداً أنها جاءت إلى مصر في الحياة أو بعد الممات..

• وأهل الإسكندرية بمصر يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن أبا الدرداء ﷺ مدفون في الضريح المنسوب إليه في مدينتهم.. ومن المقطوع به عند أهل العلم أنه لم يدفن في تلك المدينة[1]..

• وقل مثل ذلك في مشهد السيدة رقية بنت الرسول ﷺ بالقاهرة.. الذي أقامته زوجة الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله.. وضريح السيدة سكينة بنت الحسين بن علي ﷺ..

• ومن أشهر الأضرحة أيضاً: ضريح علي بن أبي طالب ﷺ، بالنجف بالعراق.. وهو قبر مكذوب فإن علياً دفن بقصر الإمارة بالكوفة.

• وفي البصرة قبر عبد الرحمٰن بن عوف ﷺ رغم أنه مات بالمدينة ودفن بالبقيع..

• وفي حلب ضريح لجابر بن عبد الله ﷺ مع أنه توفي في المدينة..

• بل ينسب الناس في الشام قبراً إلى (أم كلثوم) و(رقية) بنتي رسول ﷺ مع أنهما زوجتا عثمان ﷺ.. وماتتا في المدينة النبوية.. في حياة النبي ﷺ ودفنهما النبي ﷺ في البقيع في المدينة..

• ومن المقابر المكذوبة باتفاق أهل العلم القبر المنسوب إلى هود عليه السلام بجامع دمشق.. فإن هوداً لم يجئ إلى الشام.. وهناك قبر منسوب إليه في حضرموت..

• وفي حضرموت أيضاً قبر يزعم الناس أنه لصالح عليه السلام.. رغم أنه مات بالحجاز.. وله أيضا عليه السلام قبر في يافا بفلسطين.. التي بها كذلك مزار لأيوب عليه السلام.

---

(١) انظر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ٢/ ٣٣.

مقام الشيخ بركات

انظر كيف تلاعب الشيطان بعقول الناس.. حتى صرفهم عن عبادة رب الأرض والسمٰوات.. إلى تعظيم الأموات.. بل تعظيم التراب والرفات..

وقد تبدأ المسألة أحياناً بإشاعة عن قبر من القبور.. وأنه لزائره نافع.. ولداعيه شافع.. حتى تنتشر قَصص الكرامات بين الناس.. فتتحول إلى حقيقة.. ثم تبدأ صور الشرك تظهر عنده.. من طواف عليه.. ودعاء له من دون الله.. كما يقع عند أكثر ما تقدم من قبور.. سواء كانت نسبة القبر إلى صاحبه صحيحة أو مختلفة..

وهذا يذكرني بما حكاه أحدهم عن قصة ضريح الشيخ بركات.. وهذه القصة وقعت بين شابين هما عادل وسعيد.. تخرجا من الجامعة.. ثم توظفا مدرِّسين في قرية ينتشر فيها تعظيم القبور.. والاغترار بالنذور.. فقد كان عادل يتبادل الحديث مع سعيد وهما في طريقهما إلى المدرسة في القرية..

وفجأة صعد الحافلة متسول نصف معتوه.. كبير في السن يهتز ويتأرجح.. ويمسح لعابه بكمه المتهدل المتسخ.. يستجدي الركاب ويتهدد ويتوعد.. يهددهم بأنه سيدعو عليهم بأن تنقلب الحافلة بهم في عرض الطريق.. ويدعي أنه مستجاب الدعوة..

ويبدو أن سعيداً قد نشأ في أسرة.. متأثرة كثيراً بالكرامات والأولياء.. والأبدال والأوتاد! حيث فزع واضطرب.. ثم طلب من عادل أن يبادر إلى إعطائه بعض الدراهم خشية أن تنقلب الحافلة فعلاً.. لأن المتسول المذكور (عبد الكريم أبو شطة) من الدراويش المباركين المستجابي الدعوة..

فتعجب عادل وقال: نعم.. أهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بالكرامات.. ولكن هي للصالحين الأتقياء.. العاملين الأخفياء.. وليست لأمثال هذا من المجاديب.. الذين يتأكلون بدينهم..

فصاح به سعيد: لا تقل ذلك.. فإن الأحاديث عن الخوارق التي جرت

على يديه يتناقلها الصغير والكبير.. وسترى بعد قليل أنه سينزل ونمضي نحن في الحافلة.. ويسبقنا إلى القرية التالية ماشياً.. حيث سينتظرنا هناك.. نعم.. كرامة.. هل تنكر الكرامات؟

عادل: أنا لا أنكر الكرامات بشكل مطلق.. فالله قادر أن يكرم من شاء من عباده.. لكن أن تصبح الكرامات طعامنا وشرابنا وتدخلنا في باب إشراك هؤلاء العبيد والأموات مع الله ﷻ في الخلق والأمر والتصرف في الكون.. حتى نصبح نخافهم ونتقي غضبهم.. فلا..

سعيد: يعني أنت لا تصدق أن الشيخ أحمد أبو سرود قد جاء من عرفات إلى استانبول وأكل الكبة المشوية عند أهله وعاد ليلاً إلى عرفات؟

* عادل: يا سعيد.. بارك الله في عقلك أهذا الذي تعلمته في الجامعة؟

ـ سعيد: بدأنا بأسلوب السخرية!

* عادل: أنا لا أسخر منك.. ولكن أن يكون كلام العوام وخرافاتهم كلاماً منزلاً محكماً لا يقبل النقد.. فلا..

ـ سعيد: ولكن هذه الكرامات لا ينقلها العوام فقط.. بل إن ساداتنا المشايخ ينقلون كثيراً منها عن أصحاب المقامات والأضرحة.

* عادل: طيب يا سعيد ما رأيك لو برهنت لك برهاناً عملياً أن كل هذه المقامات والأضرحة خلط ودجل؟ وأن كثيراً من هذه الأضرحة لا حقيقة لها.. فلا قبر.. ولا مقبور.. ولا وليّ.. وإنما إشاعات ودجل انتشر عند الناس حتى صدقوه.. فانتفض سعيد وأخذ يردد: أعوذ بالله! أعوذ بالله!

ثم سكتا قليلاً.. وسارت الحافلة حتى وصلت بهم إلى الدوار الموصل إلى قريتهم.. فالتفت عادل إلى سعيد.. وقال: هل يوجد على هذا الدوار قبر أو مقام أو ضريح لأحد الأولياء يا سعيد؟

سعيد: لا.. وهل يعقل أن يدفن ولي في عرض الطريق.. وفي دوار..

عادل: إذاً ما رأيك لو أشعنا في القرية أن على هذا الدوار قبراً قديماً

لأحد الصالحين قد اندرس وضاعت معالمه؟ وألفنا قصصاً في كراماته.. واستجابة الدعاء عنده.. وننظر هل سيصدق الناس أم لا..

وأنا متأكد أن الناس ستحمل هذه الإشاعة محمل الجد.. وربما يقيمون في العام القادم مقاماً أو ضريحاً كبيراً للشيخ المزعوم! ويدعونه من دون الله.. وهو تراب على تراب.. لو حفروا حتى يصلوا الأرض السفلى لما وجدوا شيئاً..

ـ سعيد: دعك من هذا يا رجل.. وهل تظن الناس أغبياء.. سفهاء إلى هذا الحد.

* عادل: طيب.. أنت ماذا تخسر إذا تعاونت معي؟ ووافقتني.. أم أنت خائف من النتيجة.

* سعيد: لا لست خائفاً.. ولكن! أنا غير مقتنع..

عادل: حسناً.. بما أنك نصف موافق فما رأيك أن نطلق على الشيخ المزعوم اسم: الشيخ بركات؟ سعيد: طيب.. كما تشاء..

واتفق عادل وسعيد على إشاعة الأمر بأسلوب هادئ بين زملائهم المدرسين في المدرسة.. وعند الحلاقين ـ باعتبار أن دكان الحلاق من أهم وسائل الإعلان ـ فلما وصل القرية.. نزلا من الحافلة وتوجها إلى دكان الحلاق سليم.. فدخلا وحدثا الحلاق عن الأولياء.. وأن أحد الأولياء الصالحين مدفون منذ سنين.. وله مكانة عند الله.. وأن المستغيثين به قليل..

فسألهم الحلاق عن مكان قبره.. فأخبراه أنه عند الدوار الذي في مدخل القرية..

فقال الحلاق: الحمد لله الذي أكرمنا بولي في قريتنا.. كنت أتمنى هذا منذ زمن.. هل من المعقول أن القرى المجاورة «الجديدة» و«أم الكوسا» عندهم عشرات الصالحين.. ونحن لا يوجد عندنا ولا مقام واحد؟

قال عادل: الشيخ بركات يا حاج سليم كان من كبار الصالحين وكانت له مكانته عند الباب العالي..

فصاح الحلاق: إذاً أنت تعرف كل هذه المعلومات عن الشيخ بركات قدس الله سره وتسكت!!

ثم انتشر الخبر في القرية انتشار النار في الهشيم..

وبدأ الناس من كثرة حديثهم عنه.. يرونه في المنام..

وأخذوا يتحدثون في مجالسهم عن طوله الفارع.. وعمامته الضخمة.. وكراماته التي لا تحصى.. وكيف أن المئذنة كانت تنزل إليه إذا دخل وقت الأذان.. و.. و.. وبدأ الحديث في المدرسة بين أخذ ورد بين الأساتذة جميعاً.. فلما زاد الأمر عن حده.. لم يطق الأستاذ سعيد صبراً.. فصاح بهم.. أيها العقلاء.. دعوكم من هذه الخرافات يا ناس.. فقالوا بصوت واحد: خرافات.. تعنى أن الشيخ بركات غير موجود؟

سعيد: طبعاً غير موجود..

وليس لقبره حقيقة.. وهذه مجرد إشاعة.. والدوار تراب فوق تراب.. لا شيخ ولا ولي ولا مقام.

فانتفض المدرسون: ما الذي تقوله يا رجل؟ وكيف تجرؤ أن تقول هذا عن الشيخ بركات؟ الشيخ بركات هو الذي انفجر الينبوع الغربي في القرية على يديه.. وهو الذي..

اضطرب سعيد من كثرة صياحهم.. لكنه قال: لا تعطوا عقولكم لغيركم.. أنتم عقلاء ومتعلمون.. وليس كلما حدثكم أحد عن قبر أو ضريح.. أو تلاعب الشيطان بعقولكم في النوم صدقتموه..

عندها.. دخل مدير المدرسة في النقاش فقال: ولكن صفات الشيخ موجودة وأكيدة.. ألم تقرأ ما كتبت عنه الجريدة البارحة؟

فعجب سعيد.. وسأله: حتى الجريدة!! وماذا كتبت؟ قال المدير: تحت عنوان «اكتشاف مقام الشيخ بركات».

كتبت تقول: ولد الشيخ بركات ـ قدس الله سره ـ عام ١١٠٠هـ وهو من سلالة سيدنا خالد بن الوليد.. وقد درس على عدد كبير من العلماء

منهم فلان وفلان.. ولقد اشترك مع الجيش التركي في إحدى معاركه مع الصليبيين.

ولما اشتد القتال مع الصليبيين.. استبد به الحماس فنفخ عليهم من فمه.. فآثار رياحاً وزوبعة ضخمة.. رفعت جيش الصليبيين مسافة مائة متر في الهواء.. وسقطوا جميعاً مضرجين بدمائهم..

قال سعيد: ما شاء الله!! ومن أين جاء الصحفي بهذه المعلومات الدقيقة عن الشيخ بركات؟!!!

قال المدير: هذه حقائق.. أتظنه جاء بها من بيت أبيه؟!!.. هذا تاريخ..

قال سعيد: ولكن هذه دعوى وتحتاج إلى دليل.. فالبينة على من ادعى.. وعلي وعليك التثبت من صحة أي دعوى.. وإلا ادعى كل واحد منا ما يحلو له.. قبور.. أولياء.. كرامات..

ثم صاح بهم سعيد.. يا جماعة.. بصراحة: مقام الشيخ بركات.. قضية مختلقة.. وإشاعة ملفقة.. اخترعتها أنا والأستاذ عادل.. لنثبت بها غوغائية الناس وجهلهم.. وعدم تثبتهم.. وهذا الأستاذ عادل أمامكم فاسألوه إن شئتم.. فالتفتوا إلى عادل وقالوا: الأستاذ عادل رجل يحب الجدل مثلك.. وكل قضية يطلب عليها دليل.. وهو حاقد على الأولياء والصالحين..

ومهما ادعيت أنت وعادل.. فنحن مؤمنون بأن الشيخ بركات ـ قدس الله سره ـ موجود من زمن الأجداد.. والدنيا لا تخلو من الأولياء والصالحين ومقاماتهم.. نعوذ بالله من الضلال!!

فسكت عادل وسعيد.. وقرع الجرس وانصرف الأساتذة إلى الدروس.. وسار الأستاذ سعيد مذهولاً مما رأى يحدث نفسه: الشيخ بركات.. كرامات.. معقول؟ غير معقول!..

أيمكن أن يكون كل هؤلاء مخطئين!!؟ والجريدة كاذبة؟

غريب! والمشايخ بالأمس اجتمعوا في الدوار وأقاموا الحضرة والاحتفال للشيخ بركات؟ لكن الشيخ بركات اخترعه الأستاذ عادل!! أيمكن أن يكون الخرف أصابهم جميعاً؟ غير ممكن!! غير ممكن!!

وبدأت تتسرب إلى ذهن سعيد فكرة جديدة.. ربما أن الشيخ بركات موجود فعلاً.. وربما أن الأستاذ عادل يعلم ذلك مسبقاً.. لكنه أوهمه أنه هو الذي اخترع وجود الشيخ بركات.. فكر الأستاذ سعيد في ذلك.. لكنه استعاذ من الشيطان ليبعد هذه الفكرة من عقله.. لكنه لم يفلح..

وفي اليوم التالي.. استمر النقاش في المدرسة على هذا المنوال.. وكان العام الدراسي في أواخره.. وانتهت المناقشات بذهاب كل أستاذ إلى بلده عندما حانت العطلة الصيفية..

وفي العام التالي ركب الأستاذ عادل والأستاذ سعيد الحافلة ذاهبين إلى المدرسة في القرية.. وكان الأستاذ عادل قد نسي الموضوع تماماً.. مع أنه هو الذي اخترع القضية وأشاعها..

لكنه انتبه إلى الأستاذ سعيد وهو يتمتم بلسانه بأذكار وأدعية عندما اقتربوا من دوار القرية.. وكم كانت دهشتهم كبيرة عندما وصلوا إلى الدوار.. فوجدوا بناءاً جميلاً لمقام الشيخ بركات ينتصب شامخاً على الدوار.. وبجانبه مسجد كبير فخم على الطراز المعماري التركي..

ابتسم الأستاذ عادل وعلم أن الناس مساكين سفهاء.. وأن الشيطان قد أفلح في نشر الشرك بينهم.

فالتفت إلى الأستاذ سعيد.. ليشاركه التبسم..

لكنه فوجئ أن الأستاذ سعيد كان غائباً في أدعيته.. بل صاح سعيد بالسائق.. طالباً منه أن يتوقف قليلاً.. ثم رفع يديه وقرأ الفاتحة على روح الشيخ بركات[1]..

---

(١) مجلة البيان، بتصرف.

ماذا يفعلون هناك

يقصد كثير من القبوريين الأضرحة حاملين معهم الأغنام والأبقار.. والسكر والقهوة والشاي.. وأنواع الأطعمة إضافة إلى الأموال.. ليقدموها قرباناً إلى صاحب الضريح.. وقد يذبحون الأنعام تقرباً أيضاً للولي أو الشيخ.. ويطوفون بالقبر ويتمرغون بترابه.. ويطلبون قضاء الحوائج وتفريج الكربات منه..

بل تجد أن هؤلاء المفتونين.. يحلفون بالأموات والمقبورين.. فإذا أراد أحدهم أن يحلف على شيء لم يقبلوا منه أن يحلف بالله.. بل لو حلف بالله وقال: والله العظيم.. أو أقسم بالله.. ما قبلوا منه ولا صدقوه.. فإذا حلف باسم ولي من أوليائهم قبلوه وصدقوه..

وقد آل الأمر ببعض هؤلاء إلى أن شرعوا للقبور حجاً.. ووضعوا له مناسك.. حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتاباً وسماه: (مناسك حج المشاهد) مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام..

بل إنهم مبالغة منهم في البدعة والشرك.. جعلوا لزيارة الضريح آداباً.. فينبغي أن يخلع الزوار نعالهم عند زيارة الضريح.. احتراماً لصاحب الضريح.. ويتم دخول القبة بإذن من حارسها..

كما يتولى خادم الضريح (تطويف) الزوار حول الضريح كما يطوف المسلمون حول الكعبة.. ويتبرك الزوار بالضريح والقبة بطرق شتى: فمنهم من يأخذ من ترابها.. ومنهم من يضع يديه على السياج المعدني الذي حول القبر ويتمسح بها.. ثم يمسح على جسده وملابسه.

وإذا دخلت الضريح رأيت أعاجيب العبادة لغير الله..

دعاء المقبور والاستعانة به والإلحاح عليه في الدعاء..

بل ترى المرأة ترفع طفلها.. وتهزه وهي تخاطب الشيخ المقبور راجية

منه البركة في صغيرها.. ترى من يسجد وهو مستقبل القبر.. إضافة إلى تقديم النذور عند هذه القباب..

ومن الناس من يعكف عند القبور أياماً وشهوراً.. التماساً للشفاء أو لقضاء حاجة.. وقد ألحقت ببعض القباب غرف انتظار الزائرين لهذا الغرض..

كما يظهر على الزائر الخشوع والسكينة والتأثر الذي قد يصل إلى حد البكاء.. فصار هؤلاء المقبورون آلهة من دون الله.. والله لا يرضى أن يعبد معه نبي ولا ملك.. فكيف إذا عُبد معه غيرهم..

تشابهت قلوبهم

هؤلاء المقبورون لا يستطيعون نصر أنفسهم.. ولا نفعها.. فضلاً عن نفع غيرهم.. وما أقرب حال من يعظمونهم ويخافونهم.. من حال وفد ثقيف لما أسلموا فخافوا من صنم عندهم.. وهو لا يضر ولا ينفع..

فقد ذكر موسى بن عقبة: لما تمكن الإسلام في الناس.. بدأت القبائل ترسل وفودها لتعلن إسلامها بين يدي النبي ﷺ.

فأقبل بضعة عشر رجلاً من قبيلة ثقيف.. إلى النبي ﷺ.. فأنزلهم المسجد ليسمعوا القرآن.. فلما أرادوا إعلان إسلامهم.. نظر بعضهم إلى بعض فتذكروا صنمهم الذي يعبدون.. وكانوا يسمونه الربة..

فسألوا النبي ﷺ.. عن الربا والزنا والخمر فحرم عليهم ذلك كله.. فأطاعوا.. ثم سألوه عن الربة.. ما هو صانع بها؟

قال: «**اهدموها**».. قالوا: هيهات!! لو تعلم الربة أنك تريد أن تهدمها.. قتلت أهلها.. ومن حولها..

فقال عمر رضي الله عنه: ويحكم ما أجهلكم!! إنما الربة حجر..

قالوا: إنا لم نأتك يا ابن الخطاب..

ثم قالوا: يا رسول الله.. تولَّ أنت هدمها. أما نحن فإنا لن نهدمها أبداً..

فقال ﷺ: «**سأبعث إليكم من يكفيكم هدمها.. فاستأذنوه أن يرجعوا إلى قومهم.. فدعوا قومهم إلى الإسلام**».. فأسلموا ومكثوا أياماً.. وفي قلوبهم وجل من الصنم.. فقدم عليهم خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة في نفر من الصحابة.. فأقبلوا إلى الصنم وقد اجتمع الرجال والنساء والصبيان..

وهم يرتجفون.. وقد أيقنوا أنها لن تنهدم.. وسوف تقتل من يمسها..

فأقبل عليها المغيرة بن شعبة.. فأخذ الفأس.. وقال لأصحابه: والله لأضحكنكم من ثقيف.. فضربها بالفأس.. ثم سقط يرفس برجله.. فصاح الناس.. وظنوا أن الصنم قتله.. ثم قالوا لخالد بن الوليد ومن معه: من شاء منكم فليقترب..

فلما رأى المغيرة فرحتهم بنصرة صنمهم.. قام فقال: والله يا معشر ثقيف.. إنما هي لكاع.. حجارة ومدر.. فاقبلوا عافية الله واعبدوه.. ثم ضربها فكسرها.. ثم علا الصحابة فوقها فدموها حجراً حجراً..

واليوم.. جميع هذه الأضرحة والقبور.. لو جاءها موحّد فهدما على رؤوس أصحابها لما استطاعت الانتقام لنفسها.

كيف نشأ الشرك

لو تأملت كيف نشأ الشرك على الأرض.. لوجدت أنه الغلو في الصالحين ورفعهم فوق منزلتهم..

ففي قوم نوح.. كان الناس موحدين.. يعبدون الله وحده لا شريك له.. ولم يكن شرك على وجه الأرض أبداً.

وكان فيهم خمسة رجال صالحين.. هم وُد وسواع ويغوث ويعوق ونسر.. وكانوا يتعبدون.. ويعلمون الناس الدين.. فلما ماتوا.. حزن عليهم قومهم.. وقالوا: ذهب الذين كانوا يذكروننا بفضل العبادة..

ويأمروننا بطاعة الله.. فوسوس الشيطان لهم قائلاً: لو صوّرتم صورهم.. على شكل تماثيل.. ونصبتموها عند مساجدكم.. فإذا رأيتموهم ذكرتم العبادة فنشطتم لها.. فأطاعوه.. فاتخذوا الأصنام رموزاً.. لتذكرهم بالعبادة والصلاح!..

فكانوا فعلاً.. يرون هذه الأصنام فيتذكرون العبادة.. ومضت السنين.. وذهب هذا الجيل.. ونشأ أولادهم من بعدهم.. وكبروا وهم يرون آباءهم يثنون على هذه التماثيل والأصنام.. ويعظمونها.. لأنها تذكرهم بالصالحين.

ثم نشأ قوم بعدهم.. فقال لهم إبليس: (إن الذين كانوا من قبلكم كانوا يعبدونها.. وكانوا إذا أصابهم قحط أو حاجة لجئوا إليها) فاعبدوها..

فعبدوها.. حتى بعث الله إليهم نوحاً عليه السلام.. فدعاهم ألف سنة إلا خمسين عاماً.. فما آمن معه إلا قليل.. فغضب الله على الكافرين.. فأهلكهم بالطوفان.. هذا ما حدث في قوم نوح عليه السلام.. فكيف نشأ الشرك في قوم إبراهيم؟ كانوا يعبدون الكواكب والنجوم.. ويرون أنها تتحكم في الأكوان.. تكشف الكربات.. وتجيب الدعوات.. وتهب الحاجات..

يعتقدون أن هذه الكواكب (وسطاء) بين الله وخلقه.. وأنهم موكول إليهم تصريف هذا العالم..

ثم لم يلبثوا أن صنعوا أصناماً.. على صور الكواكب والملائكة.. وكان أبوه يصنع الأصنام فيعطيها أولاده فيبيعونها.. وكان يلزم إبراهيم للخروج لبيع الأصنام.. فكان إبراهيم ينادي عليها: من يشتري ما يضره ولا ينفعه؟

فيرجع إخوته وقد باعوا أصنامهم.. ويرجع إبراهيم بأصنامه كما هي.. ثم دعا أباه وقومه إلى نبذ هذه الأصنام.. فلم يستجيبوا له..

فحطم أصنامهم.. فحاولوا إحراقه فأنجاه الله من النار..

الوارثون للشرك

هذا حال قوم نوح وإبراهيم..

واليوم نأتي إلى القبوريين فنسأل: كيف تبدأ علاقتهم بالقبر أو الضريح؟ وكيف تنتهي بهم إلى الشرك؟

تبدأ العلامة بتقديس الأشخاص.. ذوي الصلاح والتقوى:

ومن ثم: تستحب زيارة تلك البقاع.. ليس لتذكر الموت والآخرة.. بل لتذكر الشيخ الصالح والاعتبار به.. ثم دعاء الله عندها رجاء الإجابة.. ثم لمس القبر وتقبيله.. والتمسح به..

ثم اتخاذه (واسطة) و(وسيلة) للاستشفاع به عند الله.. ويزعمون أن صاحب الضريح طاهر مكرم.. مقرب معظم.. له جاه عند الله.. بينما صاحب الحاجة متلطخ بالذنوب.. لا يصلح أن يدعو الله مباشرة.. فلا بدَّ أن يجعل صاحب القبر واسطة بينه وبين الله!!

ثم يقذف الشيطان في قلوب الزائرين.. يقول لهم: ما دام هذا المقبور مكرماً فقد يعطيه الله تصرفاً وقدرة.. فيبدأ الزائر يعظم المقبور في نفسه.. ويهابه.. ويرجوه.. ثم بعد ذلك يدعوه.. ويستغيث به.. ثم يبني عليه مسجداً.. أو قبة وضريحاً..

ويوقد فيه القناديل.. ويعلق عليه الستور.. ويعبده بالسجود له.. والطواف به.. وتقبيله واستلامه.. والحج إليه.. والذبح عنده.. ثم ينسجون حوله الكرامات.. والقصص والحكايات.. فهذه امرأة دعته فرزقت زوجاً.. والثانية أنجبت ولداً.. وهكذا..

وبعضهم يردد قائلاً.. من زار الأعتاب ما خاب.. أي: من زار الأضرحة والأعتاب (المقدسة).. قضيت حاجته ونال مراده..

بل سئل أحد التجار: لماذا تقسم للزبائن بضريح الشيخ.. ولا تقسم بالله؟

فقال: إنهم هنا لا يرضون بالقسم باسم الله.. ولا يرضون إلا بالقسم بضريح سيدنا فلان.. فانظر كيف صار تعظيمهم للضريح أكبر من تعظيمهم لله!!

وما دام الأمر كذلك.. فما الفرق بين كوم تراب.. وحجارة وأخشاب.. أو ضريح ومقام.. أو صور وأصنام.. أو أي شيء من المخلوقات؟ لا فرق.. المهم وجود (السر) والتوجه إلى صاحبه!.. واعتقاد أنه يضر وينفع.. ويغني ويشفع..وما أقرب حال هؤلاء بما حكاه أبو رجاء العطاردي رضي الله عنه.. لما قال: كنا في الجاهلية نعبد الأصنام.. والأحجار والأشجار..

فكان أحدنا يعبد حجراً.. فإذا رأى حجراً آخر أمثل منه.. ألقى حجره وعبد الآخر.. فإذا لم نجد حجراً جمعنا جُثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ثم طفنا به..

فخرجنا مرة في سفر.. ومعنا إلهنا الذي نعبده.. حجر قد جعلناه في خُرج.. فكنا إذا أشعلنا ناراً لطعام فلم نجد حجراً ثالثاً للقدر.. وضعنا إلهنا.. وقلنا: هو أدفأ له إذا اقترب من النار..

فنزلنا منزلاً يوماً.. وأخرجنا الحجر من الخُرج.. فلما ارتحلنا صاح صائح من قومي فقال: ألا إن ربكم قد ضل فالتمسوه..

فركبنا كل بعير صعب وذلول نبحث عن ربنا..

فبينما نحن نبحث إذ سمعنا صائحاً آخر من قومي يقول: ألا إني قد وجدت ربكم.. أو رباً يشبهه..

فرجعت إلى موضع رحالنا.. فرأيت قومي ساجدين عند صنم.. فأتينا فنحرنا عنده الإبل.. فأعجب من جهلهم في جاهلية ما قبل الإسلام.. وأعجب أكثر من جاهليتهم اليوم..

بالله عليك ما الفرق بين من يعبد حجراً.. ومن يعبد قبراً.. بين من ينزل حاجاته بأصنام.. ومن ينزلها برفات وعظام.. بين من يتعبد لقبور الأولياء.. ومن يتعبد لطين وماء..

نعم كل هؤلاء يقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى..
وهذا ما أوقع القبوريين في وثنية صريحة لا شك فيها ولا خفاء..

أربعة اعتراضات

الأول: قد يقول بعض المتعلقين بالقبور.. الداعين لها.. أنتم تشددون علينا.. فنحن لا نعبد الأموات.. لكن هؤلاء المقبورين أولياء صالحين.. لهم عند الله جاه ومكان.. فهم يشفعون لنا عند الله..

فنقول: هذا هو شرك كفار قريش في عبادتهم للأصنام..

فمشركو العرب كانوا مقرين بتوحيد الربوبية.. وأن الخالق الرازق المدبر هو الله وحده لا شريك له.. كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

ومع ذلك قاتلهم النبي ﷺ.. واستحل دماءهم.. وأموالهم.. لأنهم لم يفردوا الله ﷻ بجميع أنواع العبادة..

والآيات القرآنية.. والأحاديث النبوية.. التي حذرت من عبادة غير الله.. بيَّنت أن الشرك بالله هو أن يجعل العبد لله نداً شريكاً في العبادة سواءً كان صنماً أو حجراً.. أو نبياً أو ولياً أو قبراً.

نعم الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئاً يختص به الله سبحانه سواءً أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية كالصنم والوثن.. أو أطلق عليه اسماً آخر كالولي والقبر والمشهد.. ولو ظهرت علينا اليوم فرقة جديدة من الفرق.. وادعت أن لله صاحبة وولداً لصار حكمهم حكم النصارى.. وانطبقت عليهم الآيات التي نزلت في النصارى.. وإن لم يسمّوا أنفسهم نصارى.. لأن حكمهما واحد.. فكذلك عباد القبور اليوم..

الثاني: وقد يعترض بعض المتعلقين بالقبور.. ويقولون: نتقرب إلى المقبورين.. من الأولياء والصالحين.. من أجل طلب الشفاعة.. فهؤلاء

الموتى قوم صالحون كانوا في الدنيا صوامين في النهار.. بكائين في الأسحار.. فلهم جاه وقدر عند الله.. نحن نطلب منهم أن يشفعوا لنا عند الله..

فنقول لهم.. يا قوم.. ويحكم أجيبوا داعي الله وآمنوا به..

إن الله قد سمّى اتخاذ الشفعاء شركاً.. فقال سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨].

ونقول لهم أيضاً.. نحن نؤمن معكم.. بأن الله تعالى أعطى الأنبياء والأولياء الشفاعة.. وهم أقرب الناس إليه.. لكن ربنا نهانا عن سؤالهم ودعائهم..

نعم.. الأنبياء والأولياء والشهداء.. لهم شفاعة عند الله.. ولكنها ليست بأيديهم يشفعون لمن شاؤوا.. ويتركون من شاؤوا.. كلا.. بل لا يشفعون إلا بعد أن يأذن الله لهم.. ويرضى عن المشفوع..

الثالث: وقد يعترض بعض المتعلقين بالقبور فيقولون:..

إن الكثير من المسلمين في القديم والحديث يبنون على القبور.. ويتخذون المشاهد والقباب.. ويتحرون الدعاء عندها.. فهل الأمة كلها على باطل.. وأنتم على الحق..

فنقول لهم: أكثر هذه المشاهد والأضرحة مكذوبة.. لا تصح نسبتها إلى أصحابها.. كما تقدم..

وأيضاً.. فإن البناء على القبور وتحري الدعاء عندها.. من البدع المنكرة.. كما في قوله ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذّر ما صنعوا**»[1].

---

(١) متفق عليه.

الرابع: وهنا شبهة.. قد يقذفها الشيطان في بعض القلوب.. وهي أن قبر النبي ﷺ قد ضُمّن المسجد النبوي دون نكير.. ولو كان ذلك حراماً لم يدفن فيه.. كما يحتجون بوجود القبة على قبره ﷺ..

والجواب: أن النبي ﷺ دفن حيث مات.. والأنبياء يدفنون حيث يموتون كما جاءت بذلك الأحاديث..

فدفن في حجرة عائشة رضي الله عنها.. فلم يدفن في المسجد.. وإنما دفن في الحجرة.. هذا في أول الأمر..

والصحابة رضي الله عنهم دفنوه في حجرة عائشة كي لا يتمكن أحد بعدهم من اتخاذ قبره مسجداً.. كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.. قالت: فلولا ذلك أُبرِزَ قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً**»(١).

نعم دفن أول الأمر في بيت عائشة.. وكان بيت عائشة ملاصقاً للمسجد من الجهة الشرقية..

ومضت السنوات.. والناس يكثرون.. والصحابة يوسعون المسجد من جميع الجهات.. إلا من جهة القبر..

وسعوه من جهة الغرب والشمال والجنوب.. إلا الجهة الشرقية فلم يوسعوه منها لأن القبر يحجزهم عن ذلك..

وفي سنة ثمان وثمانين.. أي: بعد وفاة النبي ﷺ بسبع وسبعين سنة.. وبعدما مات عامة الصحابة الذين كانوا بالمدينة.. أمر الخليفة الوليدُ بن عبد الملك بهدم المسجد النبوي لتوسعته.. وأمر بتوسعته من جميع الجهات.. وإضافة جميع حُجر أزواج النبي ﷺ.. عندها وسع من الجهة الشرقية.. وأدخلت فيه الحجرةَ النبويةَ حجرةَ عائشة رضي الله عنها.. فصار

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

القبر بذلك في المسجد[١]..

فهذه قصة القبر والمسجد

إذن.. لا يصح لأحد أبداً.. أن يحتج بما وقع بعد الصحابة ﷺ.. لأنه مخالف للأحاديث الثابتة.. وما فهمه سلف الأمة.. وقد أخطأ الوليد بن عبد الملك ـ عفا الله عنه ـ في إدخاله الحجرة النبوية ضمن المسجد.. لأن النبي ﷺ نهى عن بناء المساجد على القبور.. وكان الأصل أن يوسَّعَ المسجد من الجهات الأخرى دون أن يتعرض للحجرة النبوية..

وكذلك القبة التي فوق قبره ﷺ.. فإنها ليس بناؤها منه ﷺ.. ولا من الصحابة ﷺ ولا من تابعيهم ولا تابعي التابعين ولا من علماء أمته وأئمة ملته.. بل هذه القبة المعمولة على قبره ﷺ من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين.. وهو قلاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور في سنة ٦٧٨هـ[٢]..

نداء.. نداء

أقول للمتعلقين بالمقبورين.. يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به..

بالله عليكم.. هل تعلمون أن السلف الصالح كانوا يجصصون قبراً.. أو يرجون بشراً؟ أو يتوسلون بضريح ومقام؟ ويغفلون عن الملك العلام؟

وهل تعلمون أن واحداً منهم وقف عند قبر النبي ﷺ أو قبر أحد من أصحابه وآل بيته.. يسأله قضاء حاجة من الحاجات.. أو تفريج كربة من الكربات؟

---

(١) انظر: الرد على الأخنائي ص١٨٤؛ ومجموع الفتاوى ٢٧/ ٣٢٣؛ تاريخ ابن كثير ٩/ ٧٤.

(٢) انظر: تحذير الساجد للألباني ص٩٣؛ وصراع بين الحق والباطل، لسعد صادق ص١٠٦؛ تطهير الاعتقاد ص٤٣.

وهل تعلمون أن الرفاعي والدسوقي والجيلاني والبدوي أكرم عند الله وأعظم وسيلة إليه من الأنبياء والمرسلين.. والصحابة والتابعين؟

وانظر إلى الصحابة في عهد عمر ﷺ في المدينة النبوية.. لما أجدبت الأرض.. وانقطع القطر.. وشكوا ذلك إلى عمر ﷺ..

خرج بهم ثم صلى صلاة الاستسقاء.. ثم رفع يديه وقال: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا بدعاء نبينا لنا فأسقيتنا.. اللهم وإنا نتوسل إليك بدعاء عم نبيك ﷺ.. ثم التفت إلى العباس ﷺ وقال: قم يا عباس فادعُ الله أن يسقينا.. فقام العباس ودعا الله تعالى.. وأمن الناس على دعائه وبكوا وابتهلوا.. حتى اجتمع فوقهم السحاب وأمطروا»..

فانظر إلى الصحابة الكرام.. وهم أكثر منا فقهاً.. وأعظم محبة للنبي ﷺ.. لما أصابتهم الحاجات.. ونزلت بهم الكربات.. ما ذهبوا إلى قبر نبيهم ﷺ.. وقالوا: يا رسول ﷺ!! اشفع لنا عند الله.. كلا.. فهم يعلمون أن دعاء الميت لا يجوز وإن كان نبياً مرسلاً.. أو ولياً مقرباً..

فهم إذا أرادوا الحاجات.. التمسوا كشف الكربات بالدعوات الصالحات..

فآهٍ ثم آهٍ.. لمساكين اليوم يزدحمون على عظام ورفات.. يلتمسون منها المغفرة والرحمات..

يا قومنا.. ويحكم.. هل تعلمون أن النبي ﷺ حينما نهى عن إقامة الصور والتماثيل.. نهى عنها عبثاً ولعباً.. أم أنه خاف أن تعيد للمسلمين جاهليتهم الأولى؟ بعبادة الصور والتماثيل؟

وأي فرق بين من يعظم الصور والتماثيل.. وبين من يعظم الأضرحة والقبور.. ما دام كل منها يجر إلى الشرك.. ويفسد عقيدة التوحيد؟

ومن وسائل الشرك.. الحلف بغير الله

فلا يجوز الحلف بالكعبة.. ولا بالأمانة.. ولا بالشرف.. ولا ببركة فلان.. ولا بحياة فلان.. ولا بجاه النبي.. ولا بجاه الولي.. ولا بالآباء والأمهات.. كل ذلك حرام.. لأن الحلف تعظيم لا يصح إلا لله..

وقد روى أحمد عن ابن عمر مرفوعاً: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»..

وقال ﷺ: «**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**».. فإذا حلف بغير الله.. وكان الحالف يعتقد أن عظمة المحلوف به كعظمة الله فهو شرك أكبر.. وإن اعتقد أن المحلوف به أقل من الله.. فهو شرك أصغر..

ومن جرى على لسانه شيء من هذا بغير قصد.. فكفارته أن يقول: لا إلٰه إلا الله، كما روى البخاري أن النبي ﷺ قال: «**من حلف فقال في حلفه: باللات والعزى فليقل: لا إلٰه إلا الله**».. ومن كان الحلف بغير الله يجرى على لسانه.. فيجب أن يجاهد نفسه على تركه.. وبعضهم يحلف بالله كاذباً.. ولا يجترئ أن يحلف بشيخه كاذباً.. ومن شرك الألفاظ الذي يجري على ألسنة بعض الناس.. كقول بعضهم: ما شاء الله وشئت.. أو: لولا الله وفلان.. أو: ما لي إلا الله وأنت.. وهذا من بركات الله وبركاتك..

والصواب أن يقول: ما شاء الله ثم فلان.. ولولا الله ثم فلان..

ومن وسائل الشرك

تعليق التمائم والحروز والأوراق والحجب.. خوفاً من العين وغيرها.. فإذا اعتقد أن هذه مجرد أسباب وطرق لرفع البلاء أو دفعه.. فهذا شرك أصغر.. أما إن اعتقد أنها تتحكم وتدفع البلاء بنفسها.. فهذا شرك أكبر لأنه تعلق بغير الله.. وجعل لغير الله تصرفاً في الكون مع الله..

۞ **والتمائم نوعان:**

النوع الأول: من القرآن: كمن يعلق قماشاً أو جلداً.. أو قطعة ذهب.. أو غيرها قد كتب عليه آيات من القرآن.. وهذه لا تجوز.. لأنها لم يرد فعلها عن النبي ﷺ وأصحابه.. وقد تجر إلى تعليق غيرها..

والنوع الثاني: من غير القرآن.. كمن يعلق ما كتب عليه أسماء الجن.. ورموز السحرة.. وهذا من وسائل الشرك عياذاً بالله..

قال ابن مسعود: من قطع تميمة من إنسان.. فكأنما أعتق رقبة.. ورأى حذيفة بن اليمان رجلاً قد علَّق في يده حلقة من صفر (حديد).. فقال له: ما هذا؟

قال: من الواهنة.. أي: خوف العين..

فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً.. لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبداً..؟؟ وكذلك الرقى.. وهي الأذكار والأوراد التي تقرأ على المريض..

فالجائز منها ما كان بكلام الله أو بأسماء الله وصفاته.. مثل أن يقرأ الفاتحة والمعوذات على المريض.. أو يدعو بشيء مما ورد في السُّنَّة النبوية.. أما ترديد أسماء الجن.. أو حتى ترديد أسماء الملائكة والأنبياء والصالحين.. فهذا دعاء لغير الله وهو شرك أكبر..

وكيفيتها: أن يقرأ وينفث على المريض.. أو يقرأ في ماء ويسقاه المريض..

ومن الشرك.. ادعاء علم الغيب

فلا يعلم الغيب إلا الله وحده.. قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]..

فلا يمكن لأحد أبداً.. أبداً.. أن يعلم الغيب.. لا ملك مقرب.. ولا نبي مرسل.. ولا ولي متعبد.. ولا إمام متبع.. كلا.. كلا.. لا يعلم الغيب إلا الله..

إلا أن يكون رسولاً يوحي الله إليه شيئاً من المغيبات.. كما أخبر الله نبيه ﷺ بمكائد الكفار له.. وأشراط الساعة.. ونحو ذلك..

فمن ادعى علم الغيب بأي وسيلة من الوسائل.. كقراءة الكف أو الفنجان.. أو النظر في النجوم.. أو الكهانة أو السحر.. فهو كاذب كافر..

وما يحصل من المشعوذين والدجالين من الإخبار بالمفقودات أو الغائبات.. وعن أسباب بعض الأمراض.. إنما هو باستخدام الجن والشياطين..

وقد يذهب بعض ضعاف الإيمان إلى المنجمين فيسألهم عن مستقبله وعن زواجه.. وهذا حرام.. ومن ادعى علم الغيب أو صدق من يدعيه فهو مشرك كافر..

ومن ذلك اللجوء إلى أبراج الحظ في الجرائد والمجلات.. أو الاتصال هاتفياً على بعض من يدعي معرفة الغيب.. أو سؤالُهم.. كل ذلك حرام..

ومن وسائل الشرك...
السحر والكهانة والعرافة

والسحر هو: عزائم وكلام وأدوية وتدخينات.. وله حقيقة.. وقد يؤثر في القلوب والأبدان.. فيمرض.. ويقتل.. ويفرق بين المرء وزوجه..

وهو من أعظم الذنوب: قال ﷺ: **«اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: وما هي؟ قال: الإشراك بالله والسحر»**..

فالسحر فيه استخدام الشياطين.. والتعلق بهم.. والتقرب إليهم بما يحبونه.. ليقوموا بخدمة الساحر.. وفيه أيضاً ادعاء علم الغيب.. وهذا كفر وضلال.. لذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩]..

وحكم الساحر القتل.. كما فعل جماعة من الصحابة رضي الله عنهم..

والعجب أننا أصبحنا في زمان.. تساهل الناس فيه بالسحر.. وربما عدّوا ذلك فناً من الفنون التي يفتخرون بها.. ويمنحون الجوائز لأصحابها.. ويقيمون للسحرة الحفلات.. والمسابقات.. ويحضرها آلاف المتفرجين والمشجعين.. وهذا من التهاون بالعقيدة.

وما أجمل أن يصنع بالساحر ما صنعه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه..

فإنه دخل على أحد الخلفاء فرأى بين يديه ساحراً.. يلعب بسيف في يده.. ويخيل للناس أنه يضرب (يقطع) رأس الرجل ثم يعيده..

فجاء أبو ذر من اليوم التالي.. وقد لبس رداءه.. وخبأ سيفه تحته.. ثم دخل على الخليفة.. فإذا الساحر بين يديه يلعب بالسيف.. ويسحر أمام الناس.. وهم في عجب وإعجاب..

فاقترب منه أبو ذر.. ثم أخرج سيفه فجأة ورفع وهوى به على رقبة هذا الساحر.. فأطار رأسه.. فسقط الساحر صريعاً.. وقال أبو ذر: سمعت النبي ﷺ يقول: «**حد الساحر ضربة بالسيف**»..

ثم التفت إليه أبو ذر وقال: أحيي نفسك.. أحيي نفسك..؟؟ وقد قال ﷺ: «**من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**».

ومما يجب التنبه له: أن السحرة والكهان والعرافين يعبثون بعقائد الناس.. بحيث يظهرون بمظهر المعالجين.. فيأمرون المرضى بالذبح لغير الله.. بأن يذبحوا خروفاً صفته كذا وكذا.. أو دجاجة..

وأحياناً يكتبون لهم الطلاسم الشركية.. والتعاويذ الشيطانية.. بصفة حروز يعلقونها في رقابهم.. أو يضعونها في صناديقهم.. أو في بيوتهم.. وبعضهم يظهر بمظهر الولي الذي له خوارق وكرامات.. كأن يضرب نفسه بالسلاح.. أو يضع نفسه تحت عجلات السيارة ولا تؤثر فيه..

أو غير ذلك من الشعوذات.. التي هي في حقيقتها سحر من عمل الشيطان.. يجريه على أيديهم.. وشياطينهم تخنس عند ذكر الله..

كما ذكر أحد الشباب أنه سافر يوماً إلى إحدى الدول.. ودخل أحد مسارحها.. وأخذ ينظر إلى ما يسمى السيرك..

قال: وبينما نحن ننظر إلى الألعاب المتنوعة.. فإذا بامرأة تأتي ثم تمشي على حبل بقدرة عجيبة.. ثم قفزت على الجدار.. ومشت عليه كما تمشي البعوضة.. والناس قد أخذ منهم العجب منها كل مأخذ.. فقلت في نفسي.. لا يمكن أن يكون ما تفعله حركات بهلوانية تدربت عليها.. صحيح أنا عاص.. لكني موحّد.. لا أرضى بمثل هذا فتحيرت ماذا أفعل؟

فتذكرت إني حضرت خطبة جمعة عن السحر والسحرة.. وكان مما ذكر الشيخ أن السحرة يستعملون الشياطين.. وأن الشياطين يبطل كيدها.. وتفنى قوتها إذا ذكر الله..

فقمت من على كرسيي.. ومضيت أمشي متجهاً إلى خشبة المسرح.. والناس يصفقون معجبين.. ويظنوني لفرط إعجابي.. أقترب من الساحرة..

فلما وصلت إلى المسرح.. وصرت قريباً من هذه الساحرة.. وجهت نظري إليها ثم قرأت آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾... فبدأت المرأة تضطرب.. وتضطرب.. فوالله ما ختمت الآية إلا وقعت على الأرض.. وأخذت تنتفض.. وقام الناس وفزعوا.. وحملوها إلى المستشفى.. وصدق الله إذ قال: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].. وقال: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٤]..

ومن وسائل الشرك..
تعظيم التماثيل والنصب التذكارية

والتماثيل جمع تمثال.. وهو الصورة المجسمة على شكل إنسان أو حيوان..

والنصب التذكارية: تماثيل يقيمونها على صور الزعماء والعظماء.. وينصبونها في الميادين والحدائق ونحوها..

وما وقع الشرك في الأرض إلا بسبب هذه التماثيل.. أما ترى قوم نوح لما صنعوا تماثيل لرجال منهم.. لم يمض عليهم زمن حتى عبدوهم من دون الله.. لذا نهى ﷺ عن نصب التماثيل.. وعن تعليق الصور.. لأن ذلك وسيلة إلى الشرك.. بل لعن ﷺ المصورين.. وأخبر أنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة.. وأمر بطمس الصور.. وأخبر أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة..

ومن وسائل الشرك.. التوسل البدعي

كالتوسل بجاه النبي ﷺ.. أو بذوات المخلوقين أو حقهم.. أو بطلب الدعاء والشفاعة من الأموات.. فلا يجوز أن يقول في دعائه: اللهم إني أسألك بجاه نبيك.. أو بحق فلان.. أو بروح الميت فلان.. كل هذا لا يجوز..

والتوسل الجائز المشروع.. هو التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته.. كأن يقول: يا رحيم ارحمني.. يا غفور اغفر لي..

وكذلك التوسل إلى الله تعالى بالإيمان والأعمال الصالحة.. كأن يقول: اللهم بإيماني بك وتصديقي لرسلك.. أدخلني جنتك..

والتوسل إلى الله بدعاء الصالحين الأحياء.. كأن يطلب من عبد صالح حي.. أن يدعوا الله له.. فإن دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجاب.. أما طلب الدعاء من ميت في قبره.. فلا يجوز..

فكل ما سبق هو من حقوق الله على عباده.. لا يجوز صرفه لغير الله تعالى..

ومن الإيمان بالله أيضاً

اعتقاد أن الله رب كل شيء وأنه المستحق للعبادة.. وله الأسماء الحسنى والصفات العلى.. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]..

ونؤمن بأن الله يتكلم متى شاء بما شاء كيف شاء.. كما قال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾.. والقرآن وجميع الكتب السماوية.. هي كلام الله..

ونؤمن بأن الله عالٍ على خلقه بذاته وصفاته.. وبأنه خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش.. واستواؤه على العرش يليق بجلاله وعظمته لا يعلم كيفيته إلا هو ﷻ..

ومع أنه عالٍ على عرشه.. إلا أنه يعلم أحوال خلقه.. ويسمع أقوالهم.. ويرى أفعالهم.. ويدبر أمورهم.. ونؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة.. قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]..

وكل ما أخبر الله به في كتابه وما أخبر به رسوله ﷺ من صفات ربنا فنحن مؤمنون بها.. مصدقون بحقيقتها.. على الوجه اللائق به ﷻ..

والإيمان بالملائكة

أن الله خلقهم من نور.. ووكلهم بأعمال يقومون بها..

وهم عباد لا يعصون الله ما أمرهم.. ويفعلون ما يؤمرون.. هم أكثر منا عدداً.. وأكثر خوفاً وتعبداً..

روى البخاري ومسلم أن في السماء بيتاً يسمى بالبيت المعمور يدخله كلَّ يوم سبعون ألف ملك فيصلون ثم يخرجون منه.. ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة..

وصحّ عند أبي داود والطبراني أنه ﷺ قال: «**أُذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله ﷻ من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرةُ سبعمائة عام**»..

ولبعض الملائكة أعمال خاصة.. فجبريل موكل بالوحي إلى الأنبياء.

وميكائيل بالمطر والنبات.. وإسرافيل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة.. وملك الموت موكل بقبض الأرواح.. ومالك خازن النار..

ولله ملائكة موكلون بالأجنة في الأرحام.. وآخرون موكلون بحفظ بني آدم.. ومنهم موكلون بكتابة أعمال بني آدم.. وملائكة موكلون بسؤال الميت في قبره.. وغير ذلك..

هؤلاء هم الملائكة.. وهم عالم غيبي.. نؤمن بوجودهم وإن كنا لا نراهم.. وهناك مخلوقات أخرى غائبة عنا أيضاً.. وهم: الجن وهم مخلوقون من نار.. وخلقهم الله قبل خلق الإنس.. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٦ ـ ٢٧]..

وهم مكلفون مأمورون بالعبادة.. فمنهم المؤمن ومنهم الكافر.. ومنهم المطيع.. ومنهم العاصي..

وهم يعتدون على الإنس أحياناً.. كما يعتدي الإنس عليهم أحياناً..

ومن عدوان الإنس عليهم أن يستجمر الإنسان (أي: يمسح فرجه بعد البول والغائط) بعظم أو روث.. ففي مسلم قال النبي ﷺ عن العظم والروث: «**لا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم من الجن**»..

ومن عدوان الجن على الإنس.. تسلطهم بالوسوسة.. وتخويفهم.. وصرعهم.. ويمكن للمسلم أن يتحصن منهم بالأذكار الشرعية.. كقراءة آية الكرسي.. والمعوذات.. والأذكار الشرعية الثابتة عن النبي ﷺ.. أما التقرب إليهم بالذبح لهم ودعائهم لاتقاء شرهم فهذا من صور الشرك..

ولا شك أن الجن والشياطين ضعفاء.. وكيدهم ضعيف.. ولكن الإنسان إذا كثرت معاصيه.. وصار ينظر إلى الحرام.. ويسمع المعازف.. وضعف إيمانه.. وقلَّ تعلقه بربه.. وغفل عن ذكر الله.. وعن التحصن بالأذكار الشرعية استطاعوا التسلط عليه..

قال تعالى عن الشيطان وجنده: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ٩٩ ـ ١٠٠]..

والإيمان بالكتب

وهي الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه.. هداية للخلق.. وهي كثيرة.. نؤمن بها كلها.. وقد أخبرنا الله بأربعة منها.. فالقرآن أنزله الله على محمد.. والتوراة على موسى.. والإنجيل على عيسى.. والزبور على داود.. عليهم الصلاة والسلام..

وكلها كلام الله تعالى.. والقرآن هو آخرها وأعظمها.. جمع الله فيه ما في الكتب السابقة.. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]..

والإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام

فقد بعث الله في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له.. وأول الرسل: نوح وآخرهم محمد عليهم الصلاة والسلام..

والرسل عددهم كثير.. منهم من أخبرنا الله باسمه.. وقص علينا خبره.. ومنهم من لم يخبرنا به.. فنؤمن بهم كلهم.. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]..

وهم بشر مخلوقون لا فرق بينهم وبين الناس إلا أنهم يوحى إليهم.. ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [فصلت: ٦]..

نعم.. هم بشر يأكلون ويشربون.. ويمرضون ويموتون.. ويجب الإيمان بهم جميعاً فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع.

قال الله تعالى عن قوم نوح: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥].. وقال عن قوم هود: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣].. مع أن كل أمة

لم تكذب إلا نبيها.. ولكن لأن رسالة جميع الأنبياء واحدة فمن كذب بواحد منهم فقد كذب بالجميع.

وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا محمداً ﷺ ولم يتبعوه هم مكذبون للمسيح ابن مريم..

لأنه بشّرهم بمحمد ﷺ وأمرهم باتباعه.. فلم يطيعوه.. وقل مثل ذلك في اليهود.. وغيرهم..

والإيمان باليوم الآخر

وهو التصديق بما ذكر الله في كتابه.. وأخبر به رسوله ﷺ.. بما يقع بعد الموت.. فتؤمن أولاً بعذاب القبر ونعيمه.. وهو ثابت بالكتاب والسُّنَّة.. قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥ ـ ٤٦]..

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١].. قال ابن مسعود وغيره: العذاب الأول في الدنيا.. والثاني عذاب في القبر.. ثم يردون إلى عذاب عظيم في النار..

أما الأحاديث في إثبات عذاب القبر ونعيمه.. فهي كثيرة.. بل قد صرح ابن القيم وغيره أنها متواترة.. وفي السُّنَّة أكثر من خمسين حديثاً في ذلك..

منها ما في الصحيحين أن النبي ﷺ مرَّ بقبرين.. فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**»..

ومنها ما في الصحيحين أنه ﷺ كان يقول في دعائه: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر..**».. وعذاب القبر ونعيمه أمور غيبية.. لا تقاس بالعقل..

ومن الإيمان باليوم الآخر

الإيمان بالبعث وإحياء الموتى حين ينفخ في الصور.. فيقومون حفاة عراة غرلاً (غير مختونين).. كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٥ ـ ١٦]..

والإيمان بالحساب والجزاء.. قال الله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥ ـ ٢٦].. والإيمان بالجنة والنار.. فالجنة.. دار المتقين.. فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر..

والنار هي دار العذاب.. فيها من العذاب والنكال ما لا يخطر على البال.. وتؤمن كذلك بأشراط الساعة الصغرى.. والكبرى.. كخروج الدجال.. ونزول عيسى عليه السلام من السماء.. وطلوع الشمس من مغربها.. وخروج دابة الأرض من موضعها.. وغير ذلك..

ونؤمن.. بالشفاعة.. والحوض والميزان.. ورؤية الله تعالى.. وغير ذلك من أمور الآخرة..

والإيمان بالقدر خيره وشره

فتؤمن بأن الله لسعة علمه يعلم الأمور قبل أن تقع.. فعلم كل شيء جملة وتفصيلاً.. وكتبه في اللوح المحفوظ.. وخلق جميع الكائنات ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].. ولا يحدث في هذا الكون شيء إلا وقد علم الله حدوثه.. وأذن به.. قال الله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

وكل إنسان له مشيئة وقدرة.. يختار بهما فعل الشيء أو تركه.. فهو إن أراد توضأ وصلى.. وإن أراد ضل وزنى.. لذا هو محاسب ومجازى.. ولا يجوز أن يحتج بالقدر على ترك الواجبات.. أو فعل المحرمات..

ومما يقدح في الإيمان

الاستهزاء بالدين.. فهو ردة عن الإسلام.. قال الله: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦]..

ومثل هذا ما يقوله بعضهم: إن الإسلام دين قديم لا يصلح لعصرنا.. أو إنه تأخر ورجعية.. أو يقول: إن القوانين الوضعية أحسن من الإسلام.. أو يقول في من يدعو إلى التوحيد وينكر عبادة القبور والأضرحة: هذا متطرف.. أو هذا وهابي.. أو يفرق المسلمين..

ومن أكبر القوادح في الإيمان.. الحكم بغير ما أنزل الله

فمن مقتضى الإيمان بالله الحكم بشرعه.. في الأقوال والأفعال.. والخصومات والأموال.. وسائر الحقوق.. فيجب على الحكام أن يحكموا بما أنزل الله.. ويجب على الرعية أن يتحاكموا إلى ما أنزل الله.. ولا يجتمع الإيمان مع التحاكم إلى غير ما أنزل الله.. فقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].. وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]..

فلا بدّ من الحكم بما أنزل الله.. في كل شيء في البيع والشراء.. والسرقة.. والزنا.. وغيرها.. وليس في أحكام الطلاق والزواج والأحوال الشخصية فقط.. ومن شرع قوانين للناس.. وزعم أن هذه القوانين تغني عن حكم الله.. أو تساوي حكم الله.. أو قال هي أنسب وأفضل من حكم الله فهو كافر.. نعم كافر.. قال الله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].. وقال الله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]..

وفي الصحيح أنه لما أنزل الله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].. قال عدي بن حاتم رضي الله عنه: يا رسول الله.. لسنا نعبدهم.. قال: «**أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه.. ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟**».. قال: بلى. قال ﷺ: «**فتلك عبادتهم**»..

ومن القوادح في الإيمان.. موالاة الكفار.. أو معاداة المؤمنين

ولا شك.. أنه يجب على المسلمين أن يعادوا الكافرين من اليهود والنصارى وسائر المشركين.. وأن يحذروا مودتهم.. كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]..

بل حرم الله محبة الآباء والإخوان.. إن كانوا كفاراً.. قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]..

والآيات في هذا المعنى كثيرة.. تدل كلها على وجوب بغض الكفار ومعاداتهم.. لكفرهم بالله.. وعدائهم لدينه.. ومعاداتهم لأوليائه.. وكيدهم للإسلام وأهله..

كما قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٨ ـ ١٢٠]..

وواقع اليهود والنصارى اليوم لا يخفى.. في كيدهم للإسلام ومحاربة أهله والتنفير منه.. وإنفاق الأموال الضخمة للصد عن سبيله..

ومن صور موالاة بعض المسلمين للكافرين اليوم: مخالطتهم من غير قصد الدعوة، أو مساكنتهم في بلادهم، أو السفر إليهم من غير ضرورة.. والتشبه بهم في اللباس، أو المظهر، أو طريقة الحياة.. أو التكلم بلغتهم من غير حاجة..

ومن أكبر القوادح في الإيمان

تنقص أصحاب النبي ﷺ.. أو سبهم.. أو تنقص أهل بيته الكرام..

فنحب أصحاب النبي ﷺ.. ولا نغلوا في حب أحد منهم.. لا في علي رضي الله عنه.. ولا في غيره..

ولا نتبرأ من أحد منهم.. ونبغض من يبغضهم.. ولا نذكرهم إلا بخير.. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]..

ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة فيما حدث يخطئون ويصيبون.. وكما عصم الله سيوفنا عن الدخول في تلك الفتن فلنعصم منها ألسنتنا.. ونقول: هم بشر لهم رب يجمعهم يوم القيامة ويحكم بينهم..

ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ لأبي بكر.. تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة.. ثم لعمر.. ثم لعثمان.. ثم لعلي رضي الله عنهم..

ومن القوادح في الإيمان

ما استحدثه بعض المسلمين من بدع يزعمون أنها تقربهم إلى الله.. كالاحتفال بمولد النبي ﷺ.. والقيام له في أثناء ذلك.. وإلقاء السلام عليه..

أو الاحتفال بمولد غيره من الأولياء والصالحين.. وذلك كله من البدع بالدين.. لم يفعله النبي ﷺ.. ولا الصحابة رضي الله عنهم.. وقد ثبت عنه ﷺ

أنه قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» أي: مردود عليه..

وقال: «**كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»..

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]..

وإحداث مثل هذه الموالد يفهم منه أن الله لم يكمل الدين.. حتى جاء المتأخرون فأحدثوا عبادات زعموا أنها تقربهم إلى الله.. وهذا اعتراض على الله ورسوله.. فلو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذي يرضاه الله لبيَّنه الرسول ﷺ للأمة..

وقد صرح العلماء بأنكار الموالد.. لأنها عبادة مبتدعة محدثة.. خاصة إذا وقع فيها غلو في الرسول ﷺ.. واختلاط النساء بالرجال.. أو استعمال آلات الملاهي.. وقد يقع فيها الشرك الأكبر بدعاء الرسول ﷺ.... والاستغاثة به.. وطلبه المدد.. واعتقاد أنه يعلم الغيب.. ونحو ذلك من الأمور الكفرية.. كما يردد بعضهم قول البوصيري:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حدوث الحادث العمم
إن لم تكن آخذ يوم المعاد يدي ... صفحاً وإلا فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

ومثل هذه الأوصاف: علم الغيب.. والمغفرة يوم القيامة.. والتحكم في الدنيا والآخرة.. لا تصح إلا لمن بيده ملكوت السمٰوات والأرض..

وهذه تقع كثيراً.. في الاحتفال بمولد النبي ﷺ.. أو مولد غيره من الأولياء.. فإن قيل:.. إن هذه الموالد يذكر فيها الرسول.. وتقرأ سيرته.. قلنا:..

هذا كلام حسن.. ولكن يمكن أن يذكر الرسول ﷺ وسيرته من غير

تحديد موعد معين كل سنة.. فيذكر على المنابر.. أو في المحاضرات.. أو المجالس العامة.. وغيرها..

وقد قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]..

وقد رددنا الاحتفال بالموالد إلى كتاب الله فوجدناه يأمرنا باتباع نبينا.. ويخبرنا بأن الدين كامل..

ورددنا الاحتفال بالموالد إلى سُنَّة الرسول ﷺ فلم نجد فيها أنه فعله ولا أمر به ولا فعله أصحابه.. فعلمنا أنه ليس من الدين.. بل هو من البدع المحدثة.. بل هو من التشبه باليهود والنصارى في أعيادهم.. ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله من الناس.. قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]..

ومن العجائب

أن بعض الناس يجتهد في حضور الاحتفالات المبتدعة.. ويتخلف عن الجمع والجماعات.. وبعضهم يظن أن النبي ﷺ يحضر المولد.. ولذا يقومون مرحبين.. وهذا باطل وجهل.. فإن الرسول ﷺ في قبره.. لا يخرج منه قبل يوم القيامة.. وروحه في عليين عند ربه في دار الكرامة.. قال ﷺ: **«أنا أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة»**..

أما الصلاة والسلام عليه.. فهي من أفضل القربات.. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]..

ونعلم جميعاً أنه لا يتم إيمان عبد حتى يحب الرسول ﷺ.. ويعظمه.. ومن تعظيمه وتوقيره.. اتخاذه إماماً متبوعاً..

فلا نتجاوز.. ما شرعه من العبادات.. قال الله: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ [آل عمران: ٣١]..

ومن البدع الظاهرة الاحتفال بليلة ٢٧ من رمضان

فهدي النبي ﷺ في رمضان الإكثار من العبادات.. وكان في العشر الأخير يزيد الاجتهاد.. وقال ﷺ كما في الصحيحين: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**».. «**ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**».. هذا هدي الرسول ﷺ في رمضان وفي ليلة القدر.. وأما الاحتفال بليلة سبع وعشرين على أنها ليلة القدر فهو مخالف لهدي الرسول ﷺ فالاحتفال بها بدعة.. خاصة أن ليلة القدر قد تكون ليلة السابع والعشرين.. وقد تكون غيرها من الليالي..

ومن البدع أيضاً الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج

ولا ريب أن الإسراء والمعراج من الدلائل على صدق الرسول ﷺ.. وقد ثبت الإسراء والمعراج في الكتاب والسُّنَّة.. والليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها لا في رجب ولا غيره..

ولو ثبت تعيينها لم يجز تخصيصها بشيء من عبادة أو احتفال.. لأن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم لم يحتفلوا بها.. ولم يخصوها بشيء..

والنبي ﷺ قد بلَّغ الرسالة.. وأدى الأمانة.. فلو كان تعظيم هذه الليلة والاحتفال بها من دين الله لبيَّنه لنا.

ومن البدع.. الاحتفال بليلة النصف من شعبان وتخصيص يومها بالصيام

وليس على ذلك دليل يجوز الاعتماد عليه.. وقد ورد في فضلها أحاديث ضعيفة لا يجوز الاعتماد عليها..

أما ما ورد في فضل الصلاة فيها فكله موضوع.. كما نبه على ذلك ابن رجب.. وروى ابن وضاح عن زيد بن أسلم قال:

ما أدركنا أحداً من مشيختنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى النصف من شعبان..

وختاماً.. ذكر العلماء أن المسلم قد يرتد عن دينه بأنواع كثيرة من النواقض التي تحل دمه وماله.. ويكون بها خارجاً عن الإسلام..

۞ ومن أخطرها وأكثرها وقوعاً عشرة نواقض:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى.. كما تقدم..

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً.

الثالث: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر. فكل من لا يدين بدين الإسلام فهو كافر، سواء كان نصرانياً أو يهودياً، أو بوذياً، أو غير ذلك.. وسواء كان قريباً أو بعيداً.

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه.. أو أن حكم غيره أحسن من حكمه.. كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه ـ فهو كافر. ويدخل في ذلك: من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنّها الناس أفضل من شريعة الإسلام.. أو أنها مساوية لها.. أو أنه يجوز التحاكم إليها (حتى لو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل).. أو اعتقد أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين.. أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين.. أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى. وكذلك من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر.

وكذلك: كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما.. وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة.. لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعاً.. وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة.. كالزنى.. والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله.. فهو كافر بإجماع المسلمين..

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فقد كفر.. لقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد: ٩].

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر.. والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

السابع: السحر.. ومنه الصرف (وهو أن يعمل لأحد الزوجين ما يبغضه في الآخر).. والعطف (وهو أن يعمل لأحد الزوجين ما يحببه في الآخر).. فمن فعله أو رضي به كفر.. والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين.. والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليه السلام.. وكما يعتقد بعض الصوفية أنهم تسقط عنهم التكاليف الشرعية.. فهو كافر لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

العاشر: الإعراض عن دين الله.. لا يتعلمه ولا يعمل به.. والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: ٢٢].

وقفة

إن الجريمة الكبرى.. والداهية العظمى.. أن يترك المرء الصلاة.. فتاركو الصلاة هم أنصار الشيطان.. وأعداء الرحمٰن.. وخصوم المؤمنين.. وإخوان الكافرين.. الذين يحشرون مع فرعون وهامان.. ويتقلبون معهم في النيران.. وقد قال ﷺ فيما رواه مسلم: «**بين الرجل وبين الكفر أو الشرك ترك الصلاة**».. وصح عند الترمذي والحاكم عن عبد الله بن شقيق عن أبي

هريرة رضي الله عنه قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة.. قال الشيخ ابن عثيمين: وإذا حكمنا على تارك الصلاة بالكفر.. فهذا يقتضي أنه تنطبق عليه أحكام المرتدين.. فلا يصح أن يُزوَّج.. فإن عُقد له وهو لا يصلي فالنكاح باطل.. وإذا ترك الصلاة بعد أن عُقد له فإن نكاحه ينفسخ ولا تحل له الزوجة.. وإذا ذبح لا تؤكل ذبيحته لأنها حرام.. ولا يدخل مكة.. ولو مات أحد من أقاربه فلا حق له في الميراث.. وإذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن مع المسلمين.. ويحشر يوم القيامة مع الكفار.. ولا يدخل الجنة.. ولا يحل لأهله أن يدعوا له بالرحمة والمغفرة لأنه كافر.. وحال تاركي الصلاة عند الموت أدهى وأفظع..

ذكر ابن القيم: أن أحد المحتضرين.. كان صاحب معاص وتفريط.. فلم يلبث أن نزل به الموت.. ففزع من حوله إليه.. وانطرحوا بين يديه.. وأخذوا يذكرونه بالله.. ويلقنونه لا إله إلا الله.. وهو يدافع عبراته.. فلما بدأت روحه تنزع.. صاح بأعلى صوته.. وقال: أقول: لا إله إلا الله!! وما تنفعني لا إله إلا الله؟!! وما أعلم أني صليت لله صلاة!! ثمّ أخذ يشهق حتى مات..

أما عامر بن عبد الله بن الزبير.. فلقد كان على فراش الموت.. يعد أنفاس الحياة.. وأهله حوله يبكون.. فبينما هو يصارع الموت.. سمع المؤذن ينادي لصلاة المغرب.. ونفسه تحشرج في حلقه.. وقد اشتدّ نزعه.. وعظم كربه..

فلما سمع النداء قال لمن حوله: خذوا بيدي..!! قالوا: إلى أين؟.. قال: إلى المسجد.. قالوا: وأنت على هذه الحال!! قال: سبحان الله..!! أسمع منادي الصلاة ولا أجيبه.. خذوا بيدي.. فحملوه بين رجلين.. فصلى ركعة مع الإمام.. ثمّ مات في سجوده.. نعم.. مات وهو ساجد..

وقال عطاء بن السائب: أتينا إلى أبي عبد الرحمٰن السلمي.. وهو مريض في مصلاه في المسجد.. فإذا هو قد اشتد عليه الأمر.. وقد بدأت

روحه تنزع.. فأشفقنا عليه.. وقلنا له: لو تحولت إلى الفراش.. فإنه أوثر وأوطأ.. فتحامل على نفسه وقال: حدثني فلان أن النبي ﷺ قال: «**لا يزال أحدكم في صلاة ما دام في مصلاه ينتظر الصلاة.. فأنا أريد أن أقبض على ذلك.. فمن أقام الصلاة.. وصبر على طاعة مولاه.. ختم له برضاه**»..

كان سعد بن معاذ رضي الله عنه.. صالحاً قانتاً.. متعبداً مخبتاً.. عرفه الليل ببكاء الأسحار.. وعرفه النهار بالصلاة والاستغفار.. أصابه جرح في غزوة بني قريظة.. فلبث مريضاً أياماً ثم نزل به الموت..

فلما أخبر به النبي ﷺ.. قال لأصحابه: «انطلقوا إليه».. قال جابر: فخرج وخرجنا معه.. وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالنا.. وسقطت أرديتنا.. فعجب أصحابه من سرعته.. فقال: «إني أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة فتغسله.. كما غسلت حنظلة».. فانتهى إلى البيت فإذا هو قد مات.. وأصحاب له يغسلونه.. وأمه تبكيه.. فقال ﷺ: «**كل باكية تكذب إلا أم سعد**».. ثم حملوه إلى قبره.. وخرج ﷺ يشيعه.. فقال القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتاً أخف علينا منه.. فقال ﷺ: «**ما يمنعه أن يخف وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قط قبل يومهم.. قد حملوه معكم.. والذي نفسي بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد.. واهتز له العرش**».. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧ ـ ١٠٨]..

ومن أكبر المعاصي.. منع الزكاة.. فهي الركن الثالث من أركان الإسلام.. وفي صحيح مسلم أنه قال: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**»..

وروى البخاري أنه قال: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه** ـ يعني شدقيه ـ **ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك. ثم تلا النبي الآية:** ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ

يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]»..

وأخيرا

يا أخي الكريم.. وأختي الكريمة..

يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به.. يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم.. والله إني لك ناصح.. وهذا الحق قد تبين لك.. وعرفت أن الدين واحد لا يتعدد.. فهو الله لا إلٰه إلا هو.. حي قيوم.. فرد صمد.. لا يرضى أن يشرك معه أحد.. ولا تكن من أولئك الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣].. بل قل: إنا موحّدون طائعون متبعون..

ولا تغتر بكثرة من يذبح عند القبور.. أو يشرك بالله عندها.. ولا تأخذك كثرة الأحاجي والقصص التي ينسجها هؤلاء عن مقبوريهم.. أنهم يكشفون الكربات.. ويجيبون الدعوات..

وانظر إلى أبي طالب عم النبي ﷺ.. الذي كان مصدقاً بأن النبي ﷺ حق.. وأن الدين الحق هو الإسلام.. ونبذ عبادة الأصنام.. حتى إنه كان يردد دائماً قوله: «والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيناً ودعوتني وعلمت أنك ناصحي فلقد صدقت وكنت فينا أميناً وعرضت ديناً قد عرفت بأنه من خير أديان البرية ديناً لولا الملامة أو حذارِ مسبة لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً» ولكن منعه من اتباع الحق.. خوفه من مخالفة الآباء والأجداد..

بل انظر إليه.. وهو على فراش الموت.. شيخ كبير قد رق عظمه.. وضعف جسده.. وحانت منيته..

والنبي ﷺ واقف عند رأسه يدافع عبراته.. ويقول: «**يا عمّ قل لا إله إلا الله**».. قل لا إله إلا الله.. وعند رأسه قد وقف كفار قريش.. فكلما أراد

أن يتلفظ بشهادة التوحيد قالوا له: أترغب عن ملة عبد المطلب.. أترغب عن ملة عبد المطلب.. ولم يزل النبي ﷺ يناشده أن يلفظ الشهادتين.. وهم يحثونه على البقاء على ملة آبائه وأجداده.. حتى مات.. وهو على دين آبائه وأجداده.. على عبادة الأصنام.. والشرك بالملك العلَّام.

مات.. وارتحل من هذه الدنيا ومقره إلى جهنم وبئس المصير.. والله قد حرم الجنة على الكافرين.. وفي الصحيحين أنه ﷺ سئل فقيل له: يا رسول الله إن عمك كان يحوطك وينصرك فهل أغنيت عنه شيئاً؟ فقال: «**نعم.. وجدته في غمرات من النار.. فأخرجته إلى ضحضاح من نار.. تحت قدميه جمرتان من نار يغلي منهما دماغه**»..

بل.. انظر إلى محطم الأصنام.. وباني البيت الحرام.. إبراهيمَ عليه السلام.. الذي ابتلي في مولاه.. وعذب في سبيل الله.. لا يستطيع يوم القيامة أن ينفع أباه.. لأن أباه مات مشركاً بالله..

فعند البخاري: قال ﷺ: «**يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة.. وعلى وجه آزر قترة وغبرة.. فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصيني؟! فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك.. فيقول إبراهيم: يا رب.. إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون.. وأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟**

فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين..

ثم يقال: يا إبراهيم.. ما تحت رجليك.. فينظر فإذا هو بذيخ (أي: ذئب) **متلطخ.. فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار**»..

فتنبه لهذا كله وتذكر ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧].. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩]..

وكن رجاعاً إلى الحق.. ناصحاً لغيرك.. داعياً إلى التوحيد..

اسأل الله للجميع الهدى والرشاد..

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله..

عاشق
في غرفة العمليات

من السويد

رن جرس هاتفي يوماً.. اتصال من «السويد»..

ـ السلام عليكم.. الشيخ محمد..؟!

ـ وعليكم السلام.. نعم..

يا شيخ.. أنا طبيب أحضر الدراسات العليا هنا في مالمو ـ السويد، وأطبق منذ خمس سنوات في أحد المستشفيات السويدية. هنا يا شيخ في هذا المستشفى.. إذا جاءهم مريض مصاب بمرض خطير.. وكان المرض قد تمكن منه.. والفرصة في حياته قليلة.. يضعون له مغذياً.. ويجعلون مع المغذي مادة مسكنة للألم، ومادة أخرى قاتلة.. فيبقى المريض يومين، أو ثلاثة على الأكثر.. ثم يموت.. فيستلمه أهله.. وهم يظنون أن وفاته طبيعية.. وهو في الحقيقة مقتول..

ـ قلت: أعوذ بالله.. هذا..

ـ فقاطعني قائلاً: عفواً يا شيخ.. لم ينته السؤال بعد.. اليوم يا شيخ كنت في قسم الطوارئ.. فجاء إلى المستشفى مريض مسلم.. سويدي من أصل باكستاني.. وهو يعاني من أحد الأمراض الخطيرة.. وقد تمكن من جسمه.. أدخلوه قبل قليل إلى القسم الخاص بهؤلاء المرضى.. ووضعوا له المغذي القاتل..

ـ فماذا يجب علي يا شيخ.. هل أخبر أهل المريض.. أم لا؟

ومضى صاحبي يبين لي عدد من قتلوا بهذه الطريقة.. ويتكلم عن مآسيهم.. وكان عاطفياً.. ومتحمساً جداً.. مضى يقص ويقص.. أما أنا فقد ذهبت بي الأفكار بعيداً.. جعلت أتأمل.. ماذا تمثل الحياة بالنسبة لهؤلاء.. كأس وغانية.. وفراش.

فإذا عجز أحدهم عن هذه الأمور لمرض، أو ألم.. رأوا أنه لا حاجة لبقائه حياً.. فلماذا يعيش!!.. نعم لماذا يعيش؟

وفرق من يأكل ليعيش.. ومن يعيش ليأكل..

لا يدرون أن بقاءه حياً.. ولو مريضاً مقعداً.. يرفع الله به درجاته.. فكل تسبيحة صدقة.. وكل تحميدة صدقة.. وكل تهليلة صدقة.. كل ألم يصيبه.. حتى الشوكة يشاكها يكفر الله بها من خطاياه..

وكم من شخص كان المرض بابه الذي دخل من خلاله إلى الجنة.. فلا يزال البلاء بالمؤمن حتى يدعه يمشي على الأرض.. وليس عليه خطيئة..

قال الإمام أحمد: «لولا المصائب لقدمنا القيامة مفاليس». وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المؤمن من وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى حتى الشوكة يشاكها؛ إلا كفَّر الله بها من خطاياه**»..

وقال: «**ولا يزال البلاء بالمؤمن في أهله، وماله، وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة**» الترمذي، عن جابر قال ﷺ: «**يود الناس يوم القيامة أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا لما يرون من ثواب أهل البلاء**»..

عن أنس مرفوعاً: «**إن عظيم الجزاء من عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**»..

وأخرج مسلم أنه ﷺ قال: «**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء فشكر الله فله أجر، وإن أصابته ضرّاء فصبر فله أجر، فكل قضاء الله للمسلم خير**»..

فقبل أن أبحر في هذا الكتاب.. أقول لكل مريض.. ـ مهما كان مرضه ـ ارض بما قسم الله لك، واعلم أنك إن صبرت واحتسبت، صار هذا المرض تكفيراً لخطيئتك.. ورفعة في درجتك.. وأظهر الرضا والتسليم لكل من زارك، ليعلموا أن لله عباداً يحبونه، يرضون بقضائه، ويصبرون على بلائه، يباهي الله بهم أهل السماء، ويجعلهم قدوة لأهل الأرض.. أفلا تكون منهم..

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾

كان أيوب عليه السلام.. صاحب مال وجاه وزوجات وأولاد.. وكان رجلاً قد رفع الله قدره فجعله نبياً.. في لحظة من ليل، أو نهار.. فقد أهله وولده وماله.. ولم يبق معه إلا زوجة واحدة.. ثم ازداد عليه البلاء.. فأصابه مرض عضال.. تعجب من قومه.. وخافوا من عدوى مرضه.. فأخرجوه من بينهم.. فعاش في خيمة في الصحراء، قد هدّه المرض.. وتقرّح جسده.. وعظم ضُرُّه.. وتركه الناس فلم يقربوه.. أما مرضه فقد سُئل المفسر مجاهد رحمه الله..

ـ فقيل له: ما المرض الذي أصاب أيوب.. أهو الجدري؟

ـ فقال: لا.. بل أعظم كان يخرج في جسده كمثل ثدي المرأة.. ثم ينفقئ فيخرج منه القيح والصديد الكثير. وطالت سنين المرض بأيوب عليه السلام.. وهو جبل صامد..

وفي يوم هادئ: بكت زوجته عند رأسه..

ـ فسألها: ما يبكيك؟

ـ فقالت: تذكرت ما كنا فيه من عز وعيش.. ثم نظرت إلى حالنا اليوم.. فبكيت..

ـ فقال لها: أتذكرين العز الذي كنا فيه.. كم تمتعنا فيه من السنين؟

ـ قالت: سبعين سنة..

ـ فقال: فكم مضى علينا في هذا البلاء؟

ـ قالت: سبع سنين..

ـ فقال: فاصبري حتى نكون في البلاء سبعين سنة.. كما تمتعنا في الرخاء سبعين.. ثم اجزعي بعد ذلك، أو دعي.. ومر عليه الزمان، وهو يتقلب على فراش المرض.. لكنه كان بطلاً.. نعم لو مررت به وهو

مريض.. ولحم جسده يتساقط لرأيت أنك تمر بجبل صامد.. لا تزعزعه الأعاصير.. ولا تحركه الرياح.. لسان ذاكر.. وقلب شاكر.. وجسد صابر.. وعين باكية.. ودعوة ماضية.. لم يفرح الشيطان منه بجزع.. وفي ساعة من نهار.. مر قريباً منه رجلان.. فلما رأيا ضره ومرضه.. قال أحدهما للآخر: ما أظن الله ابتلى أيوب إلا بمعصية لا نعلمها.. عندها رفع أيوب عليه السلام يده.. و.. ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]..

فلما نظر الله إليه.. نظر إلى عينين باكيتين.. ما نظرتا إلى حرام.. ويدين داعيتين: ما لمستا حراماً.. ولا امتدتا إلى حرام.. ولساناً حامداً.. ورأساً راكعاً ساجداً.. عندها هزت دعواته أبواب السماء فقال الله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٤].. وأثنى الله عليه فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]..

وما أجمل أن ينظر الله إليك أنت في مرضك.. فيراك صابراً محتسباً فترتفع إلى درجة ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾..

عروة بن الزبير!!

عروة بن الزبير كان من كبار التابعين.. فهو ابن الصحابي الجليل الزبير بن العوام.. أصيبت رجله بالآكلة.. فجعلت عظامه تتآكل ويسقط عنها اللحم.. فرآه الأطباء.. فقرروا قطع رجله حتى لا يمتد المرض إلى بقية جسده.. فلما بدؤوا يقطعونها أغمي عليه.. فقطعوها.. وألقوها جانباً.. فبدأ نزيف الدم يشتد عليه.. فغلوا زيتاً ثم غمسوا عروق الرجل فيه حتى توقف الدم.. ثم لفوا على الرجل خرقة.. وانتظروا عند رأسه.. فلما أفاق.. نظر إلى رجله المقطوعة ملقية في طست.. تسبح في دمائها..

ـ فقال: إن الله يعلم أني ما مشيت بك إلى معصية قط، وأنا أعلم..

فبدأ الناس يدخلون عليه ويعزونه في رجله.. ويصبرونه على مصابه..

فلما أكثروا عليه الكلام.. رفع بصره إلى السماء.. وقال: اللهم كان لي أطراف أربعة.. فأخذت طرفاً وأبقيت ثلاثة.. فلك الحمد إذ لم تأخذ ثلاثة وتترك واحداً.. اللهم ولئن ابتليت فلطالما عافيت، ولئن أخذت لطالما أبقيت، وكان حوله أولاده السبعة.. يخدمونه.. ويسلونه.. فدخل أحدهم إلى إصطبل الخيول لحاجة.. فمر وراء حصان عسيف فثار الحصان وضرب الغلام بحافره.. فأصابت الضربة أسفل بطنه.. فمات.. ففزع من حوله إليه.. وحملوه.. فلما غُسل وكفن.. جاء أبوه يتكئ على عكاز ليصلي عليه.. فلما رآه قال: اللهم إنه كان لي بنون سبعة.. فأخذت واحداً وأبقيت ستة.. فلك الحمد إذ لم تأخذ ستة وتترك واحداً. اللهم ولئن ابتليت فلطالما عافيت، ولئن أخذت لطالما أبقيت.. فما أجمل هذا الرضا.

كم من الناس يمرض بطنه فيجزع ويصيح.. وينسى سلامة رأسه ورجله.. وكم منهم من تمرض عينه.. فينسى سلامة لسانه وأذنه..

فاحمد الله على أن ابتلاك بمرض واحد.. ولم يجمع عليك عشرة أمراض.. والتفت إلى من حولك من المرضى واحمد الله الذي عافاك مما ابتلاهم به، وفضلك على كثير ممن خلق تفضيلاً..

لا.. ولا يكفينا منك ذلك، فالمؤمل فيك أكثر.. نريد منك أن تكون مهدياً هادياً.. صابراً مصبراً.. لا ترى مريضاً منكسراً إلا جبرته.. ولا حزيناً إلا أفرحته.. ولا متشكياً إلا وعظته..

فتكون ـ وأنت مريض ـ منا خير لغيرك.. وأنت أهل لذلك بإذن الله..

للمرض سببان!!

صاحبي كان مشهوراً بقراءة الرقية الشرعية على المصابين بالأمراض النفسية.. وربما قرأها على المصابين بالسحر والعين..

ـ قال لي: جاءني يوماً أحد كبار التجار.. يشكو ألماً شديداً في يده

اليسرى كان واضحاً أن الألم شديد.. وجه شاحب.. وعينان زائغتان.. جلس بين يدي بكل كلفة ثم قال: يا شيخ اقرأ علي!!

ـ قلت: مم تشكو؟!

ـ قال: ألم شديد.. لا أعرف سببه.. راجعت الأطباء.. المستشفيات.. التحاليل.. كل شيء سليم.. لا أدري ما أصابني.. لعلها عين سبقت إليَّ..

قرأت عليه الرقية.. ودعوت له.. وجاءني في اليوم الثاني وقرأت ودعوت.. واليوم الثالث كذلك.. والرابع.. وطالت الأيام.. والمرض لا يزداد إلا شدة.. فصارحته يوماً: يا فلان.. قد يكون ما أصابك بسبب دعوة من مظلوم آذيته في ماله، أو نفسه، أو عرضه.. أو.. فتغير وجهه وصرخ بي: أظلم!! أظلم ماذا. أنا رجل شريف.. أنا.. أنا.. هدأت من غضبه.. واعتذرت.. ثم خرج..

جاءني بعد عشرة أيام.. فإذا هو في صحة تامة.. أصرّ على أن يقبل رأسي ويدي..

ـ ثم قال: أنت والله سبب شفائي بعد توفيق الله..

ـ قلت: كيف.. والقراءة لم تنفع معك..

ـ قال: لما خرجت من عندك جعل الألم يزداد.. وجعلت كلماتك ترن في أذني.. نعم قد أكون ظلمت أحداً، أو آذيته..

فتذكرت أني لما أردت أن أبني قصري.. كان هناك أرض ملاصقة له فأردت شراءها لأجعلها حديقة للقصر.. وكانت الأرض ملكاً لأيتام وأمهم. أرسلت إليها أطلب شراء الأرض فرفضت..

ـ وقالت: وما أفعل بالمال إذا بعتها.. بل دعوا الأرض على حالها.. حتى يكبر الأولاد ثم يتصرفون بها.. حاولت إقناعها.. أغريتها بالمال.. فأبت.. لكن الأرض كانت نهمة بالنسبة إليّ..

ـ قلت: فماذا فعلت؟

ـ قال: أخذت الأرض ـ بطرقي الخاصة ـ واستخرجت لها إذن بناء من الجهات المختصة ـ أيضاً بطرقي الخاصة ـ.. وبنيتها..

ـ قلت: والمرأة؟ والأيتام؟

بلغها الخبر.. فكانت تأتي وتنظر إلى العمال يشتغلون في أرضها.. وتسبهم وتبكي.. وهم يظنونها مجنونة.. فلا يلتفتون إليها..

وأذكر أنها كانت ترفع يديها وتدعو وهي تبكي. ومنذ ذلك الحين بدأ في يدي آلام لا أنام منها في الليل.. ولا أرتاح في النهار..

ـ قلت: طيب.. وماذا فعلت لها؟

ـ قال: ذهبت إليها.. واعتذرت منها.. وبكيت.. وأعطيتها أرضاً في موقع آخر أحسن من الأرض الأولى.. فرضيت ودعت لي واستغفرت.. وخرجت من عندها.. ولجأت إلى الله بالدعاء وطلب المغفرة.. حتى بدأ الألم يتلاشى شيئاً فشيئاً.. حتى زال ولله الحمد..

انتهت القصة.. ولا أعني بإيرادي لها أن كل مرض يقع فهو عقوبة من الله لعبده.. كلا فلقد مرض النبيون والصالحون.. ولكن الذي أعنيه أن المرض يخرج الله به من العبد الكبر، والعجب، والفخر.. فلو دامت للعبد جميع أحواله.. مال.. جاه.. صحة.. أولاد.. لتجاوز وطغى. ونسي المبدأ والمنتهى.. ولكن الله يسلط عليه الأمراض والأسقام.. فيجوع كرهاً ويمرض كرهاً.. ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.. ولا موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً..

أحياناً يريد أن يفهم الشيء فيجهله.. ويريد أن يتذكر الشيء فينساه.. وأحياناً يشتهي الشيء وفيه هلاكه.. ويكره الشئ وفيه حياته.. بل لا يأمن في أي لحظة من ليل، أو نهار أن يسلبه الله ما أعطاه من سمعه وبصره.. أو من يدري!! ربما اختلس الله عقله.. أو سلب منه جميع نعمه..

فأي أحد من أذل العبد المتكبر لو عرف نفسه!!

ومن هنا سلّط الله على العبد الأمراض والآفات.. لينكسر ويقبل

على الله.. وهذا هو السر في استجابة دعوة هؤلاء: المريض.. والمظلوم.. والمسافر.. والصائم.. وذلك لقربهم من الله، وانكسار قلوبهم فغربة المسافر.. وتعب الصائم.. وذل المظلوم.. وآلام المريض.. فسبحان من يرحم ببلائه، ويبتلي بنعمائه..

جولة في.. مستشفى المجانين

كنت في رحلة إلى أحد البلدان لإلقاء عدد من المحاضرات..

كان ذلك البلد مشهوراً بوجود مستشفى كبير للأمراض العقلية.. أو كما يسميه الناس مستشفى المجانين..

ألقيت محاضرتين صباحاً.. وخرجت وقد بقي على أذان الظهر ساعة.. كان معي عبد العزيز.. رجل من أبرز الدعاة.. التفت إليه ونحن في السيارة..

ـ قلت: عبد العزيز.. هناك مكان أود أن أذهب إليه ما دام في الوقت متسع..

ـ قال: أين؟ صاحبك الشيخ عبد الله.. مسافر.. والدكتور أحمد اتصلت به ولم يجب.. أو تريد أن نمر المكتبة التراثية.. أو..

ـ قلت: كلا.. بل: مستشفى الأمراض العقلية..

ـ قال: المجانين!!

ـ قلت: المجانين..

ـ فضحك وقال مازحاً: لماذا.. تريد أن تتأكد من عقلك؟..

ـ قلت: لا.. ولكن نستفيد.. نعتبر.. نعرف نعمة الله علينا..

سكت عبد العزيز يفكر في حالهم.. شعرت أنه حزين.. كان عبد العزيز عاطفياً أكثر من اللازم.. أخذني بسيارته إلى هناك.. أقبلنا على مبنى؛ كالمغارة.. الأشجار تحيط به من كل جانب.. كانت الكآبة ظاهرة عليه..

قابلنا أحد الأطباء.. رحب بنا ثم أخذنا في جولة في المستشفى.. أخذ الطبيب يحدثنا عن مآسيهم.. ثم قال: وليس الخبر؛ كالمعاينة.. دلف بنا إلى أحد الممرات.. سمعت أصواتاً هنا وهناك.. كانت غرف المرضى موزعة على جانبي الممر.. مررنا بغرفة عن يميننا.. نظرت داخلها فإذا أكثر من عشرة أسرة فارغة.. إلا واحداً منها قد انبطح عليه رجل ينتفض بيديه ورجليه..

ـ التفت إلى الطبيب وسألته: ما هذا!!

ـ قال: هذا مجنون.. ويصاب بنوبات صرع.. تصيبه كل خمس أو ست ساعات..

ـ قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله.. منذ متى وهو على هذا الحال؟

ـ قال: منذ أكثر من عشر سنوات.. كتمت عبرة في نفسي.. ومضيت ساكتاً..

بعد خطوات مشيناها.. مررنا على غرفة أخرى.. بابها مغلق.. وفي الباب فتحة يطل من خلالها رجل من الغرفة.. ويشير لنا إشارات غير مفهومة.. حاولت أن أسرق النظر داخل الغرفة.. فإذا جدرانها وأرضها باللون البني..

ـ سألت الطبيب: ما هذا؟

ـ قال: مجنون..

شعرت أنه يسخر من سؤالي..

ـ فقلت: أدري أنه مجنون.. لو كان عاقلاً لما رأيناه هنا.. لكن ما قصته؟

ـ فقال: هذا الرجل إذا رأى جداراً.. ثار وأقبل يضربه بيده.. وتارة يضربه برجله.. وأحياناً برأسه..

فيوماً تكسر أصابعه.. ويوماً تكسر رجله.. ويوماً يشج رأسه.. ويوماً.. ولم نستطع علاجه.. فحبسناه في غرفة كم ترى.. جدرانها وأرضها مبطنة بالإسفنج.. فيضرب كما يشاء.. ثم سكت الطبيب.. ومضى أمامنا ماشياً..

أما أنا وصاحبي عبد العزيز.. فظللنا واقفين نتمتم: الحمد لله الذي عافانا مما ابتلاك به، ثم مضينا نسير بين غرف المرضى..

حتى مررنا على غرفة ليس فيها أسرة.. وإنما فيها أكثر من ثلاثين رجلاً.. كل واحد منهم على حال.. هذا يؤذن.. وهذا يغني.. وهذا يتلفت.. وهذا يرقص.. وإذا من بينهم ثلاثة قد أجلسوا على كراسي.. وربطت أيديهم وأرجلهم.. وهم يتلفتون حولهم.. ويحاولون التفلت فلا يستطيعون..

- تعجبت وسألت الطبيب: ما هؤلاء؟ ولماذا ربطتموهم دون الباقين؟

- فقال: هؤلاء إذا رأوا شيئاً أمامهم اعتدوا عليه.. يكسرون النوافذ.. والمكيفات.. والأبواب.. لذلك نحن نربطهم على هذا الحال.. من الصباح إلى المساء..

- قلت وأنا أدافع عبرتي: منذ متى وهم على هذا الحال؟

- قال: هذا منذ عشر سنوات.. وهذا منذ سبع.. وهذا جديد.. لم يمض له إلا خمس سنين!! خرجت من غرفتهم.. وأنا أتفكر في حالهم.. وأحمد الله الذي عافاني مما ابتلاهم..

- سألته: أين باب الخروج من المستشفى؟

- قال: بقي غرفة واحدة.. لعل فيها عبرة جديدة.. تعال.. وأخذ بيدي إلى غرفة كبيرة.. فتح الباب ودخل.. وجرني معه..

كان ما في الغرفة شبيهاً بما رأيته في غرفة سابقة. مجموعة من المرضى.. كل منهم على حال.. راقص.. ونائم.. و.. و.. عجباً ماذا أرى؟؟ رجل جاوز عمره الخمسين.. اشتعل رأسه شيباً.. وجلس على الأرض القرفصاء.. قد جمع جسمه بعضه على بعض.. ينظر إلينا يعينين زائغتين.. يتلفت بفزع.. كل هذا طبيعي.. لكن الشيء الغريب الذي جعلني أفزع.. بل أثور.. هو أن الرجل كان عارياً تماماً ليس عليه من اللباس، ولا ما يستر العورة المغلظة.. تغير وجهي.. وامتقع لوني.. والتفت إلى الطبيب فوراً.. فلما رأى حمرة عيني..

ـ قال لي: هدئ من غضبك.. سأشرح لك حاله..

هذا الرجل كلما ألبسناه ثوباً عضه بأسنانه وقطعه.. وحاول بلعه.. وقد نلبسه في اليوم الواحد أكثر من عشرة ثياب.. وكلها على مثل هذا الحال.. فتركنا هكذا صيفاً وشتاءً.. والذين حوله مجانين لا يعقلون حاله..

خرجت من هذه الغرفة.. ولم أستطع أن أتحمل أكثر..

ـ قلت للطبيب: دلني على الباب.. للخروج..

ـ قال: بقي بعض الأقسام..

ـ قلت: يكفي ما رأيناه..

مشى الطبيب ومشيت بجانبه.. وجعل يمر في طريقه بغرف المرضى.. ونحن ساكتان.. وفجأة التفت إليّ وكأنه تذكر شيئاً نسيه..

ـ وقال: يا شيخ.. هنا رجل من كبار التجار.. يملك مئات الملايين.. أصابه لوثة عقلية فأتى به أولاده وألقوه هنا منذ سنين..

وهنا رجل آخر كان مهندساً في شركة.. وثالث كان.. ومضى الطبيب يحدثني بأقوام ذلوا بعد عز.. وآخرين افتقروا بعد غنى.. و.. أخذت أمشي بين غرف المرضى متفكراً.. سبحان من قسم الأرزاق بين عباده.. يعطي من يشاء.. ويمنع من يشاء..

قد يرزق الرجل مالاً وحسباً، ونسباً ومنصباً.. لكنه يأخذ منه العقل.. فتجده من أكثر الناس مالاً.. وأقواهم جسداً.. لكنه مسجون في مستشفى المجانين..

وقد يرزق آخر حسباً رفيعاً.. ومالاً وفيراً.. وعقلاً كبيراً.. لكنه يسلب منه الصحة.. فتجده مقعداً على سريره.. عشرين أو ثلاثين سنة.. ما أغنى عنه ماله وحسبه!! ومن الناس من يؤتيه.. ويحرمه.. وربك يخلق ما يشاء، ويختار.. ما كان لهم الخيرة..

فكان حرياً بكل مبتلى أن يعرف هدايا الله إليه قبل أن يعد مصائبه عليه.. فإن حرمك المال فقد أعطاك الصحة.. وإن حرمك منها.. فقد

أعطاك العقل.. فإن فاتك.. فقد أعطاك الإسلام.. هنيئاً لك أن تعيش عليه وتموت عليه.. فقل بملء فيك الآن بأعلى صوتك: الحمممممممممد لله..

حلاوة الجزاء

كنت أمشي في صحراء.. فضللت الطريق.. فوقفت على خيمة قديمة.. فنظرت فيها فإذا رجل جالس على الأرض.. بكل هدوء.. وإذا هو قد قطعت يداه.. وإذا هو أعمى.. وليس عنده أحد من أهل بيته.. رأيته يتمتم بكلمات.. اقتربت منه، وإذا هو يردد قائلاً: الحمد لله الذي فضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً.. الحمد لله الذي فضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً..

فعجبت من كلامه وجعلت أنظر إلى حاله.. فإذا هو قد ذهبت أكثر حواسه.. وإذا هو مقطوع اليدين.. أعمى العينين.. وإذا هو لا يملك لنفسه شيئاً..

نظرت حوله.. أبحث عن ولد يخدمه.. أو زوجة تؤانسه.. لم أر أحداً.. أقبلت إليه أمضي.. شعر بحركتي..

ـ فسأل: من؟ من؟

ـ قلت: السلام عليكم.. أنا رجل ضللت الطريق.. وقفت على خيمتك.. وأنت الذي من أنت؟ ولماذا تسكن وحدك في هذا المكان؟ أين أهلك؟ ولدك؟ أقاربك؟

ـ فقال: أنا رجل مريض.. وقد تركني الناس.. وتوفي أكثر أهلي..

ـ قلت: لكني سمعتك تردد: الحمد لله الذي فضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً..!! فبالله عليك! فضلك بماذا؟!! وأنت أعمى.. فقير.. مقطوع اليدين.. وحيد..

ـ فقال: سأحدثك عن ذلك.. ولكن سأطلب منك حاجة.. أتقضيها لي؟

ـ قلت: أجبني.. وأقضي حاجتك..

ـ فقال: أنت تراني قد ابتلاني الله بأنواع من البلاء.. ولكن: الحمد لله الذي فضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً.. أليس الله قد أعطاني عقلاً؟ أفهم به.. وأتصرف وأفكر..

ـ قلت: بلى..

ـ قال: فكم يوجد من الناس مجانين..

ـ قلت: كثيييير..

ـ قال: الحمد لله الذي فضلني على هؤلاء الكثير تفضيلاً.. أليس الله قد أعطاني سمعاً؟ أسمع به أذان الصلاة.. وأعقل به الكلام.. وأعلم ما يدور حولي؟

ـ قلت: بلى..

ـ قال: فكم يوجد من الناس.. صمٌ لا يسمعون؟

ـ قلت: كثيير..

ـ قال: الحمد لله الذي فضلني على هؤلاء الكثير تفضيلاً.. أليس الله قد أعطاني لساناً؟ أذكر به ربي.. وأبين به حاجتي..

قلت: بلى..

ـ قال: فكم يوجد من الناس بكمٌ.. لا يتكلمون؟

ـ قلت: كثيير..

ـ قال: فالحمد لله الذي فضلني على هؤلاء الكثير تفضيلاً.. أليس الله قد جعلني مسلماً.. أعبد ربي.. وأحتسب عنده أجري.. وأصبر على مصيبتي؟؟

ـ قلت: بلى..

ـ قال: فكم يوجد من الناس من عباد الأصنام والصلبان.. وهم مرضى.. قد خسروا الدنيا والآخرة..؟!!

ـ قلت: كثيير..

ـ قال: فالحمد لله الذي فضلني على هؤلاء الكثير تفضيلاً..

ومضى الشيخ يعدد نعم الله عليه.. وأنا أزداد عجباً من قوة إيمانه.. وشدة يقينه.. ورضاه بما أعطاه الله.. كم من المرضى غيره.. ممن لم يبتلوا، ولا بربع بلائه.. ممن شلهم المرض.. أو فقدوا أسماعهم، أو أبصارهم.. أو فقدوا بعض أعضائهم.. ويعتبرون أصحاء، لو قارناهم به.. ومع ذلك.. عندهم من الجزع والتشكي.. والعويل والبكاء..

بل وضعف الصبر، وقلة اليقين بالأجر.. ما لو قسم على أمة لوسعهم.. سبحت بتفكيري بعيداً.. ولم يقطعه علي إلا قول الشيخ: هاه..!! أأذكر حاجتي..؟ هل تقضيها..؟

ـ قلت: نعم.. ما حاجتك؟!

فخفض رأسه قليلاً.. ثم رفعه وهو يغص بعبرته وقال: لم يبق معي من أهلي إلا غلام لي.. عمره أربع عشرة سنة.. هو الذي يطعمني ويسقيني.. ويوضئني.. ويقوم على كل شأني.. وقد خرج البارحة يلتمس لي طعاماً.. ولم يرجع إلى الآن.. ولا أدري.. أهو حي يُرجى.. أم ميت ينسى..

وأنا كما ترى.. شيخ كبير أعمى.. لا أستطيع البحث عنه.. فسألته عن وصف الغلام.. فأخبرني.. فوعدته خيراً. ثم خرجت من عنده.. وأنا لا أدري كيف أبحث عن الغلام.. وإلى أي جهة أتوجه؟!

فبينما أنا أسير.. ألتمس أحداً من الناس أسأل عنه.. إذ لفت نظري قريباً من خيمة الشيخ جبل صغير.. عليه سرب غربان قد اجتمعت على شيء.. فوقع في نفسي أنها لم تجتمع إلا على جيفة، أو طعام منثور..

فصعدت الجبل.. وأقبلت إلى تلك الطيور فتفرقت.. فلما نظرت إلى مكان تجمعها.. فإذا الغلام ميت مقطع الجسد.. وكأن ذئباً قد عدا عليه.. وأكله ثم ترك باقيه للطيور.. لم أحزن على الغلام بقدر حزني على الشيخ.. نزلت من الجبل.. أجر خطاي.. وأنا بين حزن وحيرة.. هل أذهب وأترك الشيخ يواجه مصيره وحده.. أم أرجع إليه وأحدثه بخبر ولده..؟! توجهت

نحو خيمة الشيخ.. بدأت أسمع تسبيحه وتهليله.. كنت متحيراً.. ماذا أقول.. وبماذا أبدأ..

مر في ذاكرتي قصة نبي الله أيوب عليه السلام.. فدخلت على الشيخ.. وجدته كسيراً كما تركته.. سلمت عليه.. كان المسكين متلهفاً لرؤية ولده..

ـ بادرني قائلاً: أين الغلام..؟

ـ قال: بل أيوب..

ـ قلت: أجبني أولاً.. أيهما أحب إلى الله تعالى أنت أم أيوب عليه السلام؟

ـ قال: فأيكما أعظم بلاءً. أنت أم أيوب عليه السلام؟

ـ قال: بل أيوب..

ـ قلت: إذن فاحتسب ولدك عند الله.. قد وجدته ميتاً في سفح الجبل.. وقد عدت الذئاب على جثته فأكلته.. فشهق الشيخ.. ثم شهق.. وجعل يردد.. لا إله إلا الله.. وأنا أخفف عنه وأصبره.. ثم اشتد شهيقه.. حتى انكببت عليه ألقنه الشهادة.. ثم مات بين يدي.. غطيته بلحاف كان تحته.. ثم خرجت أبحث عن أحد يساعدني في القيام بشأنه.. فرأيت ثلاثة رجال على دوابهم.. كأنهم مسافرون.. فدعوتهم.. فأقبلوا إليّ..

ـ فقلت: هل لكم في أجر ساقه الله إليكم.. هنا رجل من المسلمين مات.. وليس عنده من يقوم به.. هل لكم أن نتعاون على تغسيله، وتكفينه ودفنه..

ـ قالوا: نعم..

فدخلوا إلى الخيمة وأقبلوا عليه ليحملوه.. فلما كشفوا عن وجهه.. تصايحوا: أبو قلابة.. أبو قلابة.. وإذا أبو قلابة.. شيخ من علمائهم.. دار عليه الزمان دورته.. وتكالبت عليه البلايا.. حتى انفرد عن الناس في خيمة بالية.. قمنا بواجبه علينا.. ودفناه.. وارتحلت معهم إلى المدينة..

فلما نمت تلك الليل.. رأيت أبا قلابة في هيئة حسنة.. عليه ثياب بيض.. وقد اكتملت صورته.. وهو يتمشى في أرض خضراء..

ـ سألته: يا أبا قلابة . . ما صيرك إلى ما أرى؟!

ـ فقال: قد أدخلني ربي الجنة . . وقيل لي فيها: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾[1] [الرعد: ٢٤] . .

وقفة مع.. عيادة المريض

ـ لماذ نعود المريض؟ لأجل ماله؟

ـ كلا . . فمن يعود الفقراء؟!!

ـ لأجل قوته؟ كلا . . فمن يعود الضعفاء!!

ـ أم لحسبه ونسبه وجماله؟

كل هذه أسباب لا يلتفت إليها المخلصون . . وإنما نعوده لأجل الأجر والثواب، والوقوف مع إخواننا المسلمين في كراباتهم . .

عن ثوبان رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة**»، قيل: يا رسول ﷺ، وما خرفة الجنة؟ قال: «**جناها**»[2] . .

وعن علي رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة ـ الثمر المخروف أو المجتنى ـ**»[3] . .

وعن أم سلمة رضي الله عنها؛ قال ﷺ: «**إذا حضرتم المريض، أو الميت فقولوا خيراً، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون**»[4] . .

وعن عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضاً، أو أتي به إليه

---

(١) القصة بتصرف يسير من السير للذهبي . .
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه الترمذي وحسنه . .
(٤) رواه مسلم.

قال: «أذهب الباس، رب الناس، أشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»[١]..

مريض البرسام

أحمد كان غلاماً صغيراً في حجر والده.. ما تراه إلا ضاحكاً، أو لاعباً.. أصابه ألم في رأسه.. صبر عليه.. ثم اشتد عليه الألم.. حاولوا علاجه بشتى الطرق فلم يفلحوا.. بدأ رأسه يكبر وينتفخ شيئاً فشيئاً.. وصار ما بين جلد رأسه وعظمه.. قيح وصديد. لا يدرون له علاجاً..

حتى ثقل رأسه وغاب عن وعيه.. طرحوه على فراشه.. في بيت قديم.. جدرانه طين.. وسقفه من جذوع النخل..

ينتظرون موته.. مضت عليه أيام وهو على هذا الحال.. لا يكاد يتحرك.. وفي ليلة مظلمة.. كان السراج يشتعل معلقاً في سقف الغرفة.. وأخوه جالس عند رأسه يترقب.. وفجأة إذا بعقرب سوداء تخرج من بين أخشاب السقف.. وتمشي على الجدار وكأنها متوجهة نحو أحمد..

كان أخوه يراها.. لكنه لم يتحمس لدفعها عنه.. فلعلها أن تلدغه فيرتاح ويرتاحون!! أقبلت العقرب على أحمد... قام أخوه مبتعداً.. يرقبها من بعيد.. وصلت إلى الرأس المريض.. مشت عليه.. ثم لدغته..

ثم تركت قليلاً فلدغت.. ثم تحركت إلى موضع آخر من الرأس فلدغت.. وجعل القيح والصديد يسيل بغزارة من أنحاء رأسه..

والاخ ينظر إليه مندهشاً..!! ثم مشت العقرب تخوض في هذا القيح والصديد.. حتى وصلت إلى الجدار فصعدت عليه.. وعادت من حيث أتت..

دعا الأخ أباه وإخوته فأقبلوا عليه.. فلم يزالوا يمسحون الدم

---

(١) متفق عليه.

والصديد.. حتى ذهب انتفاخ الرأس.. وفتح الغلام عينيه.. ثم قام معهم.. (القصة ذكرها التنوخي في كتابه الفرج)..

فكم من محنة في طيها منحة.. ورب صابر كانت عاقبة صبره الفرج.. وأفضل العبادات انتظار الفرج.. الأمر الذي يجعل العبد يتعلق قلبه بالله وحده.. وهذا ملموس وملاحظ على أهل المرض، أو المصائب.. وخصوصاً إذا يئس المريض من الشفاء من جهة المخلوقين.. وحصل له الإياس منهم.. وتعلق قلبه بالله وحده.. وقال: يا رب.. ما بقي لهذا المرض إلا أنت.. فإنه يحصل له الشفاء بإذن الله.. وهو من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج..

يرفعهم درجات

دخل رسول الله ﷺ يوماً على عائشة.. فإذا هي قد عصبت رأسها بعصابة.. وأخذت تئن من شدة الألم..

- فقال: «**ما بالك يا عائشة؟**»..

- قالت: الحمى.. لا بارك الله فيها..

- فقال: «**لا تسبي الحمى فإنها تأكل خطايا ابن آدم كما تأكل النار الحطب**»[1]..

فالله قد يبتلي بعض عباده بالأمراض ليرفعهم درجات.. وقد يكون للعبد منزلة في الجنة ولم يبلغها بعلمه ابتلاه الله بأنواع البلاء ليرفعه إليها..

روى ابن حبان عنه ﷺ قال: «**إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل، فما يزال يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها**»..

وفي الأدب للبخاري عن أبي هريرة قال: ما من مرض يصيبني أحب إليَّ من الحمى.. لأنها تدخل في كل الأعضاء، والمفاصل وعددها ٣٦٠ مفصلاً..

---

(١) رواه مسلم.

البطل

لم يكن أبو عبد الله يختلف كثيراً عن بقية أصدقائي.. لكنه ـ والله يشهد ـ من أحرصهم الخير..

له عدة نشاطات دعوية من أبرزها ما يقوم به أثناء عمله.. فهو يعمل مترجماً في معهد الصم والبكم.. اتصل بي يوماً وقال: ما رأيك أن أحضر إلى مسجدك اثنين من منسوبي معهد الصم لإلقاء كلمة على المصلين..

ـ تعجبت!! وقلت: صم يلقون كلمة على ناطقين؟

ـ قال: نعم.. وليكن مجيئنا يوم الأحد..

انتظرت يوم الأحد بفارغ الصبر.. وجاء الموعد.. وقفت عند باب المسجد أنتظر.. فإذا بأبي عبد الله يقبل بسيارته.. وقف قريباً من الباب.. نزل معه رجلان.. أحدهما كان يمشي بجانبه.. والثاني قد أمسكه أبو عبد الله يقوده بيده.. نظرت إلى الأول فإذا هو أصم أبكم.. لا يسمع ولا يتكلم.. لكنه يرى.. والثاني أصم.. أبكم.. أعمى.. لا يسمع، ولا يتكلم ولا يرى..

مددت يدي وصافحت أبا عبد الله.. كان الذي عن يمينه ـ وعلمت بعدها أن اسمه أحمد ـ ينظر إليّ مبتسماً.. فمددت يدي إليه مصافحاً..

ـ فقال لي أبو عبد الله ـ وأشار إلى الأعمى ـ: سلم أيضاً على فايز..

ـ قلت: السلام عليكم.. فايز..

ـ فقال أبو عبد الله: أمسك يده.. هو لا يسمعك، ولا يراك..

جعلت يدي في يده.. فشدني وهز يدي..

دخل الجميع المسجد.. وبعد الصلاة جلس أبو عبد الله على الكرسي، وعن يمينه أحمد.. وعن يساره فايز.. كان الناس ينظرون مندهشين.. لم يتعودوا أن يجلس على كرسي المحاضرات أصم.. التفت أبو عبد الله إلى أحمد وأشار إليه..

فبدأ أحمد يشير بيديه.. والناس ينظرون.. لم يفهموا شيئاً..

فأشرت إلى أبي عبد الله.. فاقترب إلى مكبر الصوت وقال: أحمد يحكي لكم قصة هدايته.. ويقول لكم:.. ولدت أصم.. ونشأت في جدة.. وكان أهلي يهملونني.. لا يلتفتون إليّ.. كنت أرى الناس يذهبون إلى المسجد.. ولا أدري لماذا! أرى أبي أحياناً يفرش سجادته ويركع ويسجد.. ولا أدري ماذا يفعل.. وإذا سألت أهلي عن شيء.. احتقروني، ولم يجيبوني..

ثم سكت أبو عبد الله، والتفت إلى أحمد وأشار له.. فواصل أحمد حديثه.. وأخذ يشير بيديه.. ثم تغير وجهه.. وكأنه تأثر.. خفض أبو عبد الله رأسه.. ثم بكى أحمد.. وأجهش بالبكاء..

تأثر كثير من الناس.. لا يدرون لماذا يبكي.. واصل حديثه وإشاراته بتأثر.. ثم توقف.. فقال أبو عبد الله: أحمد يحكي لكم الآن فترة التحول في حياته.. وكيف أنه عرف الله والصلاة بسبب شخص في الشارع عطف عليه وعلمه.. وكيف أنه لما بدأ يصلي شعر بقدر قربه من الله.. وتخيل الأجر العظيم لبلائه.. وكيف أنه ذاق حلاوة الإيمان.. ومضى أبو عبد الله يحكي لنا بقية قصة أحمد.. كان أكثر الناس مشدوداً متأثراً..

لكني كنت منشغلاً.. أنظر إلى أحمد تارة.. وإلى فايز تارة أخرى.. وأقول في نفسي.. ها هو أحمد يرى ويعرف لغة الإشارة.. وأبو عبد الله يتفاهم معه بالإشارة.. ترى كيف سيتفاهم مع فايز.. وهو لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم..!! انتهى أحمد من كلمته.. ومضى يمسح بقايا دموعه.. التفت أبو عبد الله إلى فايز.. قلت في نفسي: هه؟ ماذا سيفعل؟!!

ضرب أبو عبد الله بأصابعه على ركبة فايز.. فانطلق فايز كالسهم.. وألقى كلمة مؤثرة.. تدري كيف ألقاها؟ بالكلام؟ كلا.. فهو أبكم.. لا يتكلم.. بالإشارة؟ كلا.. فهو أعمى.. لم يتعلم لغة الإشارة..

ألقى الكلمة بـ (اللمس).. نعم باللمس.. يجعل أبو عبد الله (المترجم) يده بين يدي فايز.. فيلمسه فايز لمسات معينة.. يفهم منها المترجم مراده..

ثم يمضي يحكي لنا ما فهمه من فايز.. وقد يستغرق ذلك ربع ساعة..

وفايز ساكن هادئ لا يدري هل انتهى المترجم أم لا.. لأنه لا يسمع ولا يرى.. فإذا انتهى المترجم من كلامه.. ضرب ركبة فايز.. فيمد فايز يديه.. فيضع المترجم يده بين يديه.. ثم يلمسه فايز للمسات أخرى.. ظل الناس يتنقلون بأعينهم بين فايز والمترجم.. بين عجب تارة.. وإعجاب تارة أخرى.. وجعل فايز يحث الناس على التوبة.. كان أحياناً يمسك أذنيه.. وأحياناً لسانه.. وأحياناً يضع كفيه على عينيه..

فإذا هو يأمر الناس بحفظ الأسماع والأبصار عن الحرام.. كنت أنظر إلى الناس.. فأرى بعضهم يتمتم: سبحان الله.. وبعضهم يهمس إلى الذي بجانبه.. وبعضهم يتابع بشغف.. وبعضهم يبكي.. أما أنا فقد ذهبت بعيييداً..

أخذت أقارن بـ قدراته وقدراتهم.. ثم أقارن بين خدمته للدين وخدمتهم.. الهم الذي يحمله رجل أعمى أصم أبكم.. لعله يعدل الهم الذي يحمله هؤلاء جميعاً.. والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر عنى.. رجل محدود القدرات.. لكنه يحترق في سبيل خدمة هذا الدين.. يشعر أنه جندي من جنود الإسلام.. مسئول عن كل عاص ومقصر.. كان يحرك يديه بحرقة.. وكأنه يقول: يا تارك الصلاة إلى متى..؟ يا مطلق البصر في الحرام إلى متى؟ يا واقعاً في الفواحش؟ يا آكلاً للحرام؟ بل يا واقعاً في الشرك؟ كلكم إلى متى.. أما يكفي حرب الأعداء لديننا.. فتحاربونه أنتم أيضاً!! كان المسكين يتلون وجهه ويعتصر ليستطيع إخراج ما في صدره.. تأثر الناس كثيراً.. لم ألتفت إليهم.. لكن سمعت بكاء وتسبيحات.. انتهى فايز من كلمته.. وقام.. يمسك أبو عبد الله بيده..

تزاحم الناس عليه يسلمون.. كنت أراه يسلم على الناس.. وأحس أنه يشعر أن الناس عنده سواسية.. يسلم على الجميع.. لا يفرق بين ملك ومملوك.. ورئيس ومرؤوس.. وأمير ومأمور.. يسلم عليه الأغنياء والفقراء.. والشرفاء والوضعاء.. والجميع عنده سواء..

كنت أقول في نفسي: ليت بعض النفعيين مثلك يا فايز.. أخذ أبو عبد الله بيد فايز.. ومضى به خارجاً من المسجد.. أخذت أمشي بجانبهما.. وهما متوجهان للسيارة.. والمترجم وفايز يتمازحان في سعادة غامرة.. آآآه ما أحقر الدنيا.. كم من أحد لم يصب بربع مصابك يا فايز، ولم يستطع أن ينتصر على الضيق والحزن.. أين أصحاب الأمراض المزمنة.. فشل كلوي.. شلل.. جلطات.. سكري.. إعاقات.. لماذا لا يستمتعون بحياتهم.. ويتكيفون مع واقعهم..

ما أجمل أن يبتلي الله عبده، ثم ينظر إلى قلبه فيراه شاكراً راضياً محتسباً.. مرت الأيام.. ولا تزال صورة فايز مرسومة أمام ناظري.. التقيت بأبي عبد الله بعدها.. فسألته عن فايز..

- فقال: آآآه.. هذا الرجل الأعمى له أعاجيب..

- قلت: كيف..

- قال: في حياتي لم أر أحرص على الصلاة من فايز..

فايز من منطقة خارج الرياض.. وقد جعلنا له غرفة صغيرة في معهد الصم يسكن فيها.. ووكلنا أحد العمال يهتم به.. يطبخ طعامه.. يوقظه للصلاة.. كان العامل يأتي إليه عند كل صلاة.. يفتح الباب ويحركه.. فيقوم فايز ويتوضأ.. وينتظر في الأسفل عند باب المعهد ليأخذ العامل بيده إلى الصلاة..

أحياناً يتأخر العامل.. فيضرب فايز الباب يستعجله.. فإذا تأخر العامل وخاف فايز فوات الصلاة مشى إلى المسجد.. وبينه وبين المسجد شارعان متواجهان.. يمشي، وهو يلوح بيديه لأجل أن يراه أصحاب السيارات - إن كان هناك سيارات - وكم من سيارات تصادمت بسببه.. وهو لا يدري عنهم..

فايز له أعاجيب..

في إحدى المرات جئت إلى المعهد عصراً فإذا مجموعة من الصم

ينتظرون عند باب المعهد.. ويشيرون بأن فايز عنده مشكلة.. أقبلت إلى فايز.. فلما رأيته فإذا هو غضباااان.. قد ألقى غترته جانباً.. ويشير بيديه.. والصم لا يفهمونه.. فلما وضعت يدي في يده.. عرفني.. فشد يدي.. وجعل يلمسني لمسات معينة.. ثم لمسته مثلها.. وسكن غضبه.. تدري ما الذي أغضبه؟

في فجر ذلك اليوم.. فاتته الصلاة مع الجماعة.. كان يقول: افصلوا هذا العامل.. استبدلوه بغيره.. ويدافع عبراته.. وأنا أسكن غضبه.. فرحم الله فايز.. ورحمنا..

الهم الكبير

ذهبت إلى دولة السويد في شهر رمضان.. كنت في رحلة دعوية لإلقاء بعض المحاضرات.. دعاني بعض الإخوة في أحد المراكز الإسلامية للقاء عدد من الشباب السويديين المسلمين.. دخلت المركز بعد الظهر.. فإذا هم مجتمعون في حلقة ينتظرون.. كانوا جالسين على الأرض..

لفت نظري غلام لم يتعدَّ عمره خمس عشرة سنة.. اسمه محمد.. جنسيته سويدي.. لكنه من أصل صومالي.. رأيته مقعداً على كرسي متحرك.. وقد ربطت يداه في جانبي الكرسي؛ لأنها تنتفض بشكل دائم، ولا يملك التحكم فيها.. وهو إلى ذلك كله لا يتكلم.. ورأسه ينتفض أيضاً طوال الوقت..

أشفقت عليه لما رأيته.. اقتربتُ منه.. فهشَ في وجهي وبدأ يتبسم وينظر إليَّ ويودَ لو كان يستطيع أن يقوم.. سلمتُ عليه فإذا هو لا يفهم العربية لكنه يتكلم الإنجليزية والسويدية بطلاقة.. إضافة إلى اللغة الصومالية..

بدأت أحدثه عن المرض وفضله وعظم أجر المريض.. وهو يهز رأسه موافقاً..

لاحظت أن أمامه لوحاً صغيراً قد علق عليه ورقة فيها مربعات صغيرة

وفي كل مربع جملة مفيدة: شكراً.. أنا جائع.. لا أستطيع.. اتصل بصديقي.. إلخ..

فعجبت من هذه الورقة.. فأخبرني أحد الحاضرين أن هذا الغلام إذا أراد الكلام ركبوا على رأسه حلقة دائرية يمتدُ منها عصا صغيرة فيحرك رأسه بين هذه المربعات حتى يضع طرف العصا على المربع المطلوب فيفهمون منه ما يريد..!! وهذه هي الطريقة الوحيدة للتفاهم معه.. فهو لا يتكلم.. ولا يتحكم بحركة يديه.. تكلمت معه عن فضل الله علينا بهذا الدين.. وأن المرء إذا وفق للإسلام فلا عليه ما فاته من الدنيا..

فاكتشفت أن محمداً هذا من أكبر الدعاة.. كيف!! أنا أخبرك بذلك:

وزارة الشئون الاجتماعية السويدية قد خصصت له رجلين موظفين يأتيان لخدمته في الصباح.. واثنين يأتيانه في المساء..

فإذا جاءه رجل غير مسلم.. طلب منه عن طريق الإشارة على هذه الورقة أن اتصل بصديقه فلان.. فإذا اتصل هذا الموظف بالصديق طلب منه محمد أن يسأل صديقه: ما هو الإسلام؟ فيجيب الصديق عن السؤال.. فيحفظه الموظف ثم يشرحه لمحمد.. ثم يطلب محمد من الموظف أن يسأل الصديق عن الفرق بين الإسلام والنصرانية؟.. فيجيب عن ذلك..

ثم يطلب منه أن يسأل عن حال المسلم، وغير المسلم يوم القيامة؟

فيجيب الصديق ويشرح الموظف.. حتى إذا فهم الموظف الكلام كله أشار له محمد إلى درج المكتب فيفتحه.. فيجد فيه كتباً في الدعوة إلى الإسلام.. فيأخذ منها ويقرأ. وقد تأثر بسبب ذلك أشخاص كثيرون..

فللّه درُّ محمد ما أكبر هَمته.. لم يقعده المرض عن الدعوة.. بل ولا عن البشاشة والسرور..

أرض بما قسم الله لك تكن مؤمناً.. واعلم بأن كل إنسان محاسب عن القدرات التي أعطاه الله إياها.. السمع.. البصر.. اللسان.. العقل..

وقد يتقبل الناس النصيحة من المريض المبتلى أكثر من تقبلهم لها من

الصحيح المعافى.. فلماذا لا تكون داعية، وأنت بهذا الحال؟ لست عاجزاً إن شاء الله..

ـ وقد تسألني وتقول: من أدعو؟!

ـ فأقول: ادعُ الأطباء.. الممرضين.. المرضى.. الزائرين..

كن رجلاً مباركاً.. تنصح هذا في الاهتمام بالصلاة.. وذاك في حفظ البصر والفرج.. والثالث في الاستفادة من وقته.. والرابع.. وهكذا..

خالد الأبكم

قال د. عبد العزيز: كانت عيادتي ذلك اليوم مزدحمة بالمرضى.. أكثرهم جاءوا من مناطق بعيدة وقرى نائية.. واضح هذا من مظاهرهم ولبسهم..

جعلوا يدخلون العيادة بالترتيب.. أمراض متفاوتة.. وظروف متنوعة..

دخل خالد.. طفل في العاشرة من عمره.. مع اثنين من المرافقين..

كان قد راجعني مراراً.. مع رجل كبير كنت أظنه أباه.. ليتابع ضعف سمعه الذي يعاني منه منذ ولادته.. جلس الثلاثة..

فعرفت أن أحد المرافقين هو والده.. والآخر الذي تعودت أن أراه معه.. وكان يتحدث طوال الوقت.. هو خاله الذي يهتم به ويتابع علاجه من سنوات..

جلس الخال يتحدث بإسهاب عن خالد، وكيف تحسن سمعه كثيراً مع السماعات التي ركبت في الفترة الأخيرة.. كان الخال يتحدث بشفقة.. وكأن المرض فيه هو.. وكان يردد: هل تصدق يا دكتور أنه بهذه السماعات.. صار سمعه في المستوى الطبيعي بفضل الله تعالى..

كان خاله سعيداً بهذا الأمر.. وكيف أن المعلمين في المدرسة التي يدرس فيها (الخاصة بالصم والبكم) متشجعون جداً لمستوى تحسن خالد الدراسي..

ـ قال الخال: يا دكتور.. وقد جئتك هذه المرة بأبي خالد.. كي تصف له السماعة الملائمة لعله أن يتحسن سمعه هو الآخر..

ـ قلت: أبوه أيضاً لا يسمع؟

ـ قال: نعم.. منذ سنين طويلة.. التفتُ إلى خالد..

ـ سألته: كيف حالك؟

ـ أجابني بسرعة: الحمد لله.. بخير..

ـ قلت: كيف هي المدرسة؟

ـ فقال: جيدة..

كان يسمع ويتكلم.. لكن نطقة ثقيل لا يزال يحتاج إلى تدريب وتقويم..

لكن مستوى ذكائه يتماشى مع سِنّه الطبيعي..

ـ سألت خاله: ما دام سمع خالد في تحسن.. ويحتاج إلى كثرة كلام ليستقيم نطقه.. فأقترح أن تسرعوا بنقله إلى مدرسة عادية.. ليتعايش مع وضعه الجديد..

سكت خالد.. وخفض رأسه.. وبدأ وجهه حزيناً، وكأني نكأت جروحاً..

أمارات تعجب كثيرة أراها على وجهه.. وكأنه لا يصدق أن الابن الصغير بات شخصاً عادياً.. له الحق في الحياة الطبيعية مثل غيره..

ـ قال: يجب أن يبقى في مدرسة الصم البكم..

ـ قلت: لم؟ ما المشكلة معكم؟

قال الخال: أسرة خالد تسكن في قرية بعيدة.. ولا أقدر أن أضعه في مدرسة عادية.. لأن خالد لا بد أن يحافظ على قدرته على التعامل مع الصم.. حتى يعرف كيف يحادث أهله!!

ـ قلت: يحادث أهله؟!!

ـ قال: نعم.. كل أعضاء الأسرة لا يسمعون.. الأب.. والأولاد..

ـ قلت: وخالد فقط الذي يتابع معنا العلاج؟

ـ قال: نعم.. تعلم يا دكتور أنه من الصعب أن نترك القرية كلنا معاً في آن واحد.. وخالد أمره مهم..

ـ قلت: كم هي أعمار أخواته؟

ـ قال: أخته الكبرى تجاوزت الخامسة عشرة تقريباً.. والثانية عمرها حوالي ثمانية أعوام..

ـ قلت له بعصبية: والآن جئتني بوالده المسن لكي نعالج مشكلة ضعف سمعه.. وتركت الأختين في الدار.. وهما في بداية حياتهما..؟! الأولى: فقدت فرصتها في التعليم.. وربما في بناء أسرة أيضاً.. والثانية: تريد أن تفقدها فرصتها هي الأخرى؟ أليس هذا حراماً؟! بل وتصر على أن يظل خالد في هذا الجو رغماً عن إرادته..!! بدأ الخال يدافع عن نفسه.. وأن الأمر ليس تمييزاً بقدر ما هو عدم قدرة على أن يأتي بهم أجمعين؟

جلست فترة طويلة أناقش هذا الخال بأن الأمر مسئولية في عاتقه.. فكما يقدر على إحضار خالد في كل المواعيد ويعتني بها فمن حق أخواته أيضاً أن يعشن حياة صحيحة.. وعدني الخال أخيراً.. وشكر لي اهتمامي.. ومضى خارجاً..

ـ وقف عند الباب، وقال: أعدك.. أن أحضرهم كلهم.. في سيارتي الصغيرة.. حتى لو وضعتهم فوق بعضهم البعض.. تبسمت في داخلي..

ليت كل الناس يحملون في داخلهم مثل هذا القلب الأبيض.. ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته.. والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه..

بين الطبيب والمريضة

ـ يحق لنا جميعاً أن نتساءل!! متى يعالج الطبيب المرأة؟

ـ والجواب أن: الأصل أن الطبيبة هي التي تعالج بنات جنسها..

لكن إذا لم يوجد طبيبة.. ووجدت الحاجة والضرورة فلا بأس أن يتولى العلاج طبيب رجل..

فيكشف على المرأة المريضة بقدر الحاجة.. فإذا كان الألم في ساقها لم يجز أن ينظر إلى غيره.. وكذلك لو كان الألم في يدها فينظر إلى يدها فقط لعلاجها.. دون أن ينظر إلى وجهها وشعرها.. لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

ولا يخلو الطبيب بالمرأة عند علاجها.. بل يبقى معها محرمها.. زوجها، أو أبوها.. فإن لم يكن محرم فتبقى الممرضة.. ومن الأعاجيب أن أحدهم أدخل زوجته على طبيب الأسنان، وجلس ينتظر بالخارج..

- فقيل له: لماذا لا تدخل مع زوجتك؟

- فقال: حتى تأخذ راحتها!! «لا تعليق!!»..

مع الطبيب

الطب مهنة شريفة.. وكان عيسى عليه السلام نبياً يعالج الناس.. فيبرئ الأكمه والأبرص.. بل كان يحيي الموتى بإذن الله..

فهو مهنة شريفة وعمل رائد.. فحري بالطبيب الناصح، أن يتحلى بأمور، منها:

١ - الأمانة والمحافظة على أسرار المرضى:

قال ﷺ: **«من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة»**[١]..

فبعض الناس بحكم مهنته يكون مُطلعاً على أسرار الآخرين؛ كالطبيب، والمفتي، وأمين السر، وغيرهم.. فهؤلاء يجب عليهم كتمان السر إلا إذا أذن صاحب السر بإفشائه..

---

(١) رواه مسلم.

ولكن يجوز إفشاء السر للمصلحة؛ كإبلاغ الجهات المختصة بإصابة المريض بمرض وبائي.. أو إبلاغ أحد الزوجين أن الآخر مصاب بمرض جنسي مُعدٍ؛ كالإيدز مثلاً..

٢ ـ عدم استغلال منصبه لمصالحه الشخصية:

خرجت يوماً من إحدى المحاضرات.. فجاءني شخص..

ـ وقال: يا شيخ أنا مسئول في شركة كبرى لإنتاج وتوزيع الأدوية.. وتصرف الشركة ملايين الريالات في الدعاية والتسويق.. وتضع تحت تصرفي سنوياً مبلغ مليون ريال إقامة علاقات مع الإطباء!!

ـ قلت: كيف..

ـ قال: نرسل للطبيب تعريفاً بمنتجاتنا.. ونبعث معه هدية.. ساعة.. طقم أقلام.. سماعة.. تتكفل به بتكاليف السفر لحضور بعض المؤتمرات الطبية.. أو تذاكر له ولعائلته لسفر سياحي..

وكلما كان المستشفى الذي يعمل فيه الطبيب أكثر سحباً لمنتجاتنا علمنا أن الطبيب يكتب الوصفات بهذه الأدوية.. وبالتالي نزيده إكراماً.. وعموماً لنا طرق في معرفة الطبيب النشيط معنا دون غيره..

ـ قلت له: طيب.. هل يمكن أن يدفع تشجيعكم هذا الطبيب إلى الضرر بالمريض؟

ـ قال: تشجيعنا وهدايانا.. تدفع الطبيب إلى صرف منتجاتنا مع ارتفاع سعرها عن غيرها.. مع إمكان الطبيب أن يصرف منتجاً لشركة أخرى له نفس المميزات والتأثير بسعر أقل..

وكذلك يقوم الطبيب أحياناً بصرف أدوية للمريض غير ضرورية.. كبعض مسكنات الحرارة، والفيتامينات.. مع عدم حاجة المريض الشديدة إليها غالباً.. ولكن لأجل أن يفيدنا.. ويستفيد..

ـ قلت: والضحية المريض المسكين.. وماله وعرق جبينه..

ـ قال: نعم.. لكن المريض ـ يا شيخ ـ مشتري الدواء لا محالة.. فنجعله يشتريه منا دون غيرنا..

ـ قلت: لكنه سيدفع مالاً زائداً لشراء منتجكم.. وشراء أدوية ومقويات لا يحتاجها.. لكن لتستفيدوا من ماله.. صحيح؟

ـ قال: نعم..

من هنا أستطيع أن أقول للإخوة الأطباء بكل صراحة.. إن ما تفعله بعض شركات الأدوية من الجرائم يجب أن لا يستجيب له الأطباء.. بل يجب أن يقاوموه..

بعض الشركات يعطوا الطبيب مدحاً للدواء.. وأوصافاً عجيبة للعلاج.. والطبيب الذكي لا يروج عليه دعايات كاذبة.. فمن أمانة الطبيب أن يصف للمريض الدواء الصحيح، ولو كان من شركة غير التي كونت معه علاقة.. أو عملت له دعاية.. أو أعطوه أشياء.. أو وعدوه بدعوة للخارج وإقامة في فنادق وتذاكر طيران.. وهدايا قيمة.. وساعات وحقائب ثمينة..

فقد يكون هناك دواء من شركة أخرى تركيبه وتأثيره واحد.. وهو أرخص.. فلماذا تعطي المريض الدواء الأغلى..؟ هذه خيانة للأمانة.. لم تنصحه لله.. لماذا تجعله يصرف أكثر والتركيبة واحدة؟!

٣ ـ وهنا جانب آخر من الأمانة.. لا يقل أهمية عن سابقه: وهو ستر العورات:

وقد رأينا جموعاً من الأطباء، والطبيبات على حرص كبير على ذلك.. في العناية بستر المريض عند العلاج.. وأثناء العملية وبعدها.. ومعاملته؛ كالنفس، أو أشد.. بل رأينا من الأطباء من يقوم بالمرور اليومي على المرضى فإذا رأى مريضاً نائماً مكشوف العورة، سارع إليه وغطاه بلحافه وستره.. وإذا رأى مريضاً غائب الوعي، وقد تحرك، وانكشف شيء من عورته.. سارع الطبيب إلى سترها.. ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة..

والإهمال الذي يقع في بعض المستشفيات.. هو نادر قليل.. ولكن لا بد من التنبيه عليه حتى يناصح الأطباء، والممرضون بعضهم بعضاً..

قال الدكتور حارث: في بداية عملي في الطب.. كنت أتولى إجراء بعض العمليات الخفيفة.. وفي غرفة العمليات يمر المريض بعد التخدير بمرحلة التجهيز والإعداد.. ولم أكن أدخل غرفة العمليات إلا بعد تجهيز المريض غالباً حينما يكون مستوراً إلا موضع الجراحة..

ودخلت مرة أثناء مرحلة التجهيز فرأيت شاباً قد تم تخديره، وهو مستلق على طاولة غرفة العمليات، وهو عار تماماً ليس عليه شيء يستره!! وذلك أن الممرضات الخاصات بنزع الملابس قد نزعن ملابسه بينما الممرضات الخاصات بلباس العمليات لم يسترنه بعد. وكان يوجد طبيب يتفحص أجهزة العملية وقد أهمل الأمر، وكأنه لا يعنيه.. ثم بدأ الأمر يزداد سوءاً في عملية المنظار وقسطرة البول.. ومن العسير أن أصف التفاصيل تأدباً مع القارئين.. بقيت ضائق الصدر أياماً..

وقالت الدكتورة سارة: أما في غرف العمليات فحدث ولا حرج.. فالمرأة توضع على طاولة العملية عارية تماماً.. إي والله.. ويكون في غرفة العمليات: اخصائي التخدير، وطلاب، وأطباء..

ـ وعندها أقول: غطوها..

ـ يقول الاستشاري رئيس الفريق الطبي: نحن جميعاً أطباء..!!

ـ فأقول في نفسي: طيب!! وإذا كنا أطباء نهتك عورات الناس؟!

وأنا متأكدة أنها لو كانت زوجته لما سمح لأحد بأن يراها.. وحتى لا يساء فهم مرادي لا بد أن أقول: هاتان الحادثتان اللتان أوردتهما أحسب أنهما نادرتان، وإنما ذكرتهما لتنبيه من كان غافلاً من إخواننا الأطباء والممرضين..

٤ ـ التواضع لله ولين الجانب..

٥ ـ معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بالعلاج والمرضى قدر المستطاع..

ينبغي للطبيب أن يتوفر له الحد الأدنى من الدراية بعلوم الفقه وأحكام العبادات، لأن الناس سوف يستفتونه في أمورهم الصحية ذات الصلة بالعبادات.. وبالذات تعليم المرضى كيفية الطهارة والصلاة..

وبعض المرضى قد لا يصلون.. لا بغضاً للصلاة.. وإنما جهلاً بكيفية طهارة وصلاة المريض.. ولما نصحنا بعض المرضى كان يقول: كيف أصلي وثيابي فيها نجاسة!! كيف أصلي وسريري إلى غير القبلة!! فمن المسئول عن هؤلاء؟!

فالطبيب الموفق يتعلم ويعلم أحكام النجاسات، وحكم لمس العورة، وما يترتب عليه من نقض وضوء، أو غيره.. والجمع بين الصلاتين عند الحاجة، متى يجمع، ومتى لا يجمع، وأحكام القبلة، الصلاة، الطهارة، التيمم.. ويوقظ المريض لصلاة الفجر.. واليوم صار الأمر أسهل إذ توفرت كتب متخصصة في جمع الفتاوى الطبية والأحكام الشرعية المتعلقة بالمرض.. يمكن للطبيب والمريض الاستفادة منها بسهولة..

٦ ـ شهادة الزور:

تعمد بعض الجهات الحكومية إلى طلب تقارير طبية من موظفيها لإثبات، أو نفي أمر مرضي ليبني عليه إجازة، أو تقاعد، أو صرف مكافأة.. أو غير ذلك..

فينبغي للطبيب إن أدلى بشهادة، أو كتب تقريراً طبياً أن يكون مطابقاً للحقيقة، وأن لا تدفعه نوازع القربى، أو الصداقة، والمودة أن يدلي بشهادة تخالف الواقع، فتكون شهادة زور، وقد قال ﷺ: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟** قالوا: بلى يا رسول الله! قال: **الإشراك بالله وعقوق الوالدين**.. ثم صمت ملياً وقال: **ألا وقول الزور ألا وقول الزور.. ألا وقول الزور.. فما زال يكررها حتى حسبوه لا يسكت»**[1]..

ولا تكتب بكفك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

---

(١) رواه الشيخان.

٧ ـ عدم انتقاد الأطباء الآخرين أمام المرضى:

يتعب الطبيب ـ والممرض أحياناً ـ حتى يصل إلى درجة متميزة من إتقان العمل، والإبداع فيه.. ومع ذلك فلا ينبغي له أن يكثر الحديث عن نفسه فيذكر محاسن عمله ودقة إنجازاته وأعماله، وبالمقابل ينتقص من زملاء مهنته حتى يجتذب المرضى الذين يعالجون لدى زميله، وقد يستثقل المرضى المعالج الذي يصرف وقته في ذكر منجزاته، خاصة إذا كان عمله الحقيقي لا يدلل عليه، والمرض نوعان: مرض القلب، وهو مرض معنوي، والثاني مرض الجسم، وهو مرض حسي، وما أجمل أن يتقن الطبيب علاج النوعين من المرض..

على فراش الموت

ـ ماذا يفعل الطبيب لو حضر محتضراً؟

إذا ظهرت علامات الموت على المريض وغلب على الظن أن قد حضر أجله فالسُّنَّة أن تلقنه شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأنه ﷺ قال: **«لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»**[1]، والتلقين يكون برفق، فلا تقل: يا فلان قل: لا إله إلا الله، فإن أجلك قد حضر!!

لا.. ولكن يمكن أن تذكر الله عنده، وتتشهد، فإذا سمع ذلك منك تذكر، وتشهد..

نعم إن كان كافراً فلا بأس أن تقول له ـ صريحاً ـ: قل لا إله إلا الله.. لأنه ﷺ قال لعمه أبي طالب حين حضرته الوفاة: **«يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله»**. وقال للغلام اليهودي الذي عاده وهو على فراش الموت: **«يا غلام قل لا إله إلا الله»**.. وكررها عليه حتى قالها.. ثم مات.. فقال ﷺ: **«الحمد لله الذي أنقذه من النار»**[2].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد.

وينبغي لمن حضر محتصراً أن يحسن ظنه بربه ويطمئن نفسه فقد يكون ذهنه مشغولاً على أولاده، أو بديون، وفقر.. فلا بد أن تذكره بأن الله هو الرزاق، وأن من خلق الخلق لن يضيعيهم سبحانه.. حتى يموت مرتاحاً مطمئناً..

الطبيب والدعوة

كنت أقرأ بحثاً حول التنصير.. كان بحثاً مرتباً حول أساليب التنصير واستغلال المواقف والحاجات.. فكان من العبارات المهمة قول إحدى منظمات الأطباء التنصيرية: (حيث تجد بشراً تجد آلاماً، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب، وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب فهنالك فرصة مناسبة للتبشير).. جعلت بعد هذه العبارة أبحث عن جهودهم في التنصير من خلال التطبيب.. فذهلت بجهود وقدرات..

ومن ذلك أن منظمة تنصيرية تدعى (عملية البركة الدولية)، وهي تابعة لمنظمة «شبكة الإذاعة المسيحية» التي يرأسها منصّر أمريكي يدعى «بات روبرتسون» مرشح الانتخابات الأمريكية عام ١٩٨٧م، قامت تلك المنظمة بتجهيز طائرة لوكهيد (1011-L50) وتحويلها إلى مستشفى طائر ضخم بتكلفة خمسة وعشرين مليون دولار، مزوّد بجميع المعدات اللازمة للعمليات الجراحية والعلاجية، بحيث يجوب مناطق كثيرة في العالم ويمكث في مناطق محددة، ومختارة لمدد تتراوح ما بين أسبوع إلى عشرة أيام، ويقدم خدماته بالمجان، ولكن كانت حقيقة هذا العمل المجاني هي تنصير الناس!

فقبل بدء الكشف والعلاج يُسأل عن ديانته، ثم يستمع لمحاضرة لمدة عشر دقائق حول المسيح عليه السلام، وعن دين النصارى، وضرورة البحث عن الخلاص في رحاب المسيح، ثم يعطى كمية من الكتب، والنشرات، ويُطلب منه دراستها، والحضور إلى عنوان معين بعد أيام!!

يا عجبي.. مستشفى طبي طائر للتنصير..، ألا تقدر أمة المليار على

مثله..؟!! رحم الله الإمام الشافعي لما قال عن المسلمين والطب: «ضيعوا ثلث العلم، ووكلوه إلى اليهود والنصارى»..

ومما يزيدنا يقيناً بأهمية الدعوة في المجال الطبي، وأن المستشفى أرض خصبة للدعوة: أن الطبيب ذو علاقة جذرية بحياة الآخرين، فمن من الناس لا يمرض ولا يعتل؟ كل الناس كذلك ـ غالباً ـ لذا ترى الناس يهرعون إلى طلب الاستطباب طمعاً في الشفاء، ويبذلون لذلك الغالي والنفيس، ويشعرون بالحاجة إلى الطبيب ويحرصون على التلطف معه.. وإقامة علاقة حسنة.. وكسب رضاه.. إذن أفلا يجدر بالطبيب أن يغتنم ذلك في بذل نصيحة لامرأة في حجابها.. أو عاق والديه.. أو تارك صلاة.. أو واقع في فاحشة..

وأهم من ذلك نصح المريض.. وبالذات في قضايا العقيدة من رقى وتمائم واحجبة وغيرها، والمريض يكون عادة في حالة من الضعف يتقبل فيها ما يشير إليه الطبيب.. فلعل كلمة واحدة منك تنقل شخصاً من الظلمات إلى النور..

ومن طرق الدعوة التي يمكن أن يتعاون فيها الطبيب:

- توزيع الأشرطة والمطويات النافعة، وتعليق المجلات الحائطية، وتكون موضوعاتها متنوعة حول أحكام طهارة المريض وصلاته، والدعاء والصبر، إلى غير ذلك..

- عمل مكتبة إسلامية مصغرة مقروءة، ومسموعة، ومرئية باللغتين العربية والإنجليزية لنفع المسلمين ودعوة غير المسلمين.

- إيجاد مكتبة صوتية إسلامية تجارية ـ على هيئة كشك أو محل ـ في صالة الاستقبال، ونحو ذلك، تؤجر على إحدى التسجيلات الإسلامية، وفي هذه الفكرة خير عظيم.

- تنسيق كلمات توجيهية في المساجد والمصليات التابعة للمستشفى.

- إقامة ندوات علمية طبية تبين إعجاز الله في خلق الإنسان.

الطبيب ومفاتيح الخير

جلست أفكر كثيراً في حال الطبيب مع مرضاه.. وقارنت الطب ببقية الوظائف.. فوجدت أن المدرس في الغالب يتعامل مع نوعية محددة من الناس.. متقاربين في توجهاتهم، وأفكارهم، ومستوى قدراتهم، وكيفية تعاملهم.. وبالتالي لن يتعب كثيراً في التعامل معهم..

ووجدت أيضاً أن المهندس يتعامل أيضاً مع مستويات متقاربة.. فلن يتعب ذهنياً كثيراً.. وقل مثل ذلك في الطيار فهو على مقود طيارته لا علاقة له بالركاب.. ومثله القبطان.. والبنّاء.. والحداد.. والنجار..

أما الطبيب فيجلس في عيادته ويدخل عليه المرض.. منهم الذكي اللماح الذي يفهم مراد الطبيب ويفهم منه الطبيب.. ومنهم الغبي عديم الفهم.. الذي سيتعب مع الطبيب.. ويتعب الطبيب.. يا دكتور ما فهمت.. لا أنت لم تفهم قصدي.. اشرح لي أكثر.. إلخ..

ومنهم سيئ الظن الذي يشغل الطبيب بقوله: إيش قصدك يا دكتور.. اتق الله لا تخسرني أموال في الأدوية.. ليش كل هالتحاليل؟ أنت قاعد تسرقنا!! ومنهم حسن الظن.. ومنهم الغضوب الذي ربما أزعج الطبيب بقوله: يا دكتور أنت ما تفهم.. كم مرة تعطيني علاج، ولا أشفى.. إذا ما تعرف تعالج لا تفتح عيادة.. الغلطان الذي يأتي لمثلك..

ومنهم الحليم.. ومنهم الكريم.. ومنهم البخيل.. ومنهم العربي والأعجمي.. والكبير والصغير.. والغني والفقير..

ولا تحسب الناس نوعاً واحداً فلهم طبائع لست تحصيهن ألوان

فلا بد للطبيب أن يكيف نفسه في التعامل مع كل موقف بما يصلح له.. بالصبر على المرضى عند علاجهم، وبالذات على كبار السن توقيراً لهم.. وعلى الأطفال رحمة بهم.. وعلى الملهوفين في الحالات الطارئة شفقة عليهم..

والمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير وأحب إلى الله من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم.. كما أخبر ﷺ..

ومن مفاتيح الخير:

١ ـ التلطف مع المريض بسؤاله عن أحواله في البيت وأولاده..

٢ ـ إعداد بعض الأشرطة، أو الكتيبات وإهداؤها إلى المرضى..

٣ ـ الرفق بأهل المريض وتحمل كثرة أسئلتهم والتأثير عليهم من خلال مناصحتهم..

٤ ـ احتساب الأجر أثناء المرور اليومي على المرضى.. فالمسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع..

٥ ـ التبسم في وجه المريض فتبسمك في وجه أخيك صدقة..

٦ ـ دلالة المريض على ما يسأل عنه من حاجة، أو مكان فمن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته..

٧ ـ احتسابك الأجر عند المبيت في غرفة المناوبة وحدك، وتركك الأهل والدار، ولعله يشملك قوله ﷺ: «**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها**»[١].

٨ ـ الحذر من التسرع في تشخيص الداء والتريث في وصف الدواء، ومن تطبب، ولم يعلم منه طب فهو ضامن..

٩ ـ الحرص على ستر عورات المسلمين، «**ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**»[٢]..

١٠ ـ الحذر من كثرة الكلام (والسواليف) مع المريض إذا كان في خارج العيادة مرضى ينتظرون، فمنهم من ترك عمله، ومشاغله، وأطفاله..

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

صلاة المريض

فترة اتفقت مع مجموعة من الزملاء على تكوين لجنة خيرية لزيارة المرضى ومواساتهم، ومساعدتهم عند الحاجة.

كان عددنا قليلاً رتبنا المستشفيات نزورها واحداً تلو الآخر، أول مستشفى زرناه كان يحتوى على أكثر من ٥٠٠ سرير.. مررنا على المرضى.. أهديناهم هدايا.. صبرناهم.. أجبنا عن أسئلتهم.. تفاجأنا بأن أكثر من ٤٠٪ من هؤلاء المرضى لا يصلون!! ولهم أعذار متنوعة.. فمنهم من ينوي جمع الصلوات إلى وقت خروجه.. ومنهم من يقول: كيف أصلي وأنا إلى غير القبلة؟! أو كيف أصلي وأنا لا أستطيع الوضوء؟ أو ثيابي ملطخة بالنجاسة؟ إلى غير ذلك..

مع أن الله تعالى قد سهل الأمر عليهم.. والشريعة رفعت الحرج.. وجعل الله مع العسر يسراً.. فلنعلم جميعاً أن الصلاة لا تسقط عن المسلم أبداً إلا في حالة فقدان العقل بجنون، أو إغماء طويل (غيبوبة)..

وهنا بيان موجز لكيفية طهارة المريض وصلاته:

للمريض في الطهارة عدة حالات:

١ ـ إن كان مرضه يسيراً لا يضره مع استعمال الماء؛ كالمريض بالصداع ووجع الضرس ونحوهما، فهذا لا يجوز له التيمم.

٢ ـ وإن كان به مرض يزداد باستعمال الماء، فهذا يجوز له التيمم.

٣ ـ المريض إذا لم يستطع الوضوء، أو الغسل بالماء لعجزه، أو لخوفه من زيادة المرض، فإنه يتيمم بتراب نظيف، لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟﴾ [المائدة: ٦]، فإن كان لا يستطيع التيمم يممه غيره، وإن يأخذ يدي المريض فيضرب بهما على التراب ثم يمسح وجهه وكفيه، وإن كان بدنه، أو ملابسه، أو فراشه متلوثاً بالنجاسة، ولم يستطع إزالة النجاسة، أو التطهر منها ـ جاز له

الصلاة على حالته التي هو عليها؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

٤ ـ من به جروح، أو قروح، أو كسر، أو مرض يضره استعمال الماء، فأصابته جنابة، جاز له التيمم للأدلة السابقة، وإن أمكنه غسل الصحيح من جسده وجب عليه ذلك وتيمم للباقي..

٥ ـ إذا كان المريض في محل لم يجد ماء ولا تراباً ولا من يحضر له الماء، أو التراب، فإنه ينوي الطهارة بقلبه، ويصلي على حسب حاله، وليس له تأجيل الصلاة؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

٦ ـ المريض المصاب بسلس البول، أو استمرار خروج الدم، أو الريح، ولم يبرأ بمعالجته، عليه أن يتوضأ لكل صلاة بعد دخول وقتها ويغسل ما يصيب بدنه وثوبه، أو يجعل للصلاة ثوباً طاهراً إن تيسر له ذلك. وإن تيسر أن يضع على فرجه قطناً، أو نحوه مما يمنع وصول النجاسة إلى ملابسه وبقية بدنه، فهو أفضل.

٧ ـ وإن كان المريض عليه جبيرة فيمسح عليها في الوضوء، والغسل، ويغسل بقية العضو، أما إن كان المسح على الجبيرة، أو غسل ما يليها من العضو يضره، أو كان فيه جروح لا يستطيع غسلها، ولا مسحها (كالحروق) اكتفى بالتيمم بعد انتهائه من الوضوء.

كيفية صلاة المريض..

أجمع أهل العلم على أن من لا يستطيع القيام، له أن يصلي جالساً، ويكون جلوسه حسب ما يسهل عليه فكيفما جلس جاز.

فإن عجز عن الصلاة جالساً، فإنه يصلي على جنبه مستقبلاً القبلة بوجهه، والمستحب أن يكون على جنبه الأيمن، فإن عجز عن الصلاة على جنبه صلى على ظهره، وتكون رجلاه جهة القبلة إن أمكن؛ لقوله ﷺ لعمر بن

حصين: «**صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب**»[1].
وزاد النسائي: «**فإن لم تستطع فمستلقياً**».

ومن قدر على القيام، وعجز عن الركوع، أو السجود لم يسقط عنه القيام، بل يصلي قائماً فيومئ بالركوع (يعني: يميل بجسمه خافضاً رأسه)، ثم يرفع من الركوع، فإذا أراد السجود جلس، وأومأ بالسجود؛ لقوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ولقوله ﷺ: «**صل قائماً**».

• وإن كان المرض شديداً، أو شللاً، ولم يقدر على الإيماء برأسه، نوى الركوع والسجود بقلبه، وإن لم يكن عنده من يوجهه إلى القبلة، ولم يستطع التوجه إليها بنفسه؛ صلى على حسب حاله، إلى أي جهة تسهل عليه.

• وبعض المرضى، ممن تجرى لهم عمليات جراحية، يتركون الصلاة؛ لأنهم لا يقدرون على أدائها بصفة كاملة، أو لعجزهم عن الوضوء، أو لأن ملابسهم نجسة، وهذا خطأ كبير؛ فلا يجوز ترك الصلاة. بل يصليها على حسب حاله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾.

• وبعض المرضى يقول: إذا شفيت؛ قضيت الصلوات التي تركتها، وهذا تساهل؛ فالصلاة تصلى في وقتها حسب المكان، ولا يجوز تأخيرها عن وقتها.

• وإذا نام المريض، أو غيره عن صلاة، أو نسيها وجب عليه أن يصليها حال استيقاظه من النوم، أو حال ذكره لها، ولا يجوز له تركها إلى دخول وقت مثلها ليصليها فيه؛ لقوله ﷺ: «**من نام عن صلاة، أو نسيها فليصلها متى ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك**».

• وإن شق عليه فعل الصلاة بوقتها فيجمع الظهر والعصر، والمغرب والعشاء جمع تقديم، أو تأخير حسبما يتيسر له، إن شاء قدم العصر مع الظهر وإن شاء أخر الظهر مع العصر، وإن شاء قدم العشاء مع المغرب، وإن شاء أخر المغرب مع العشاء، أما الفجر فلا تجمع مع ما قبلها، ولا مع ما بعدها.

---

(١) رواه البخاري.

أحكام صيام المريض

ـ كل مريض يشق عليه الصوم، يجوز له الفطر؛ لقول تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. أما المرض اليسير؛ كالسعال والصداع فلا يجوز الفطر بسببه.

ـ وإذا كان الصيام يزيد المرض، أو يؤخر الشفاء، ويحتاج نهاراً لأكل الدواء فيجوز له أن يُفطر، ويُكره له الصيام لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ـ إن كان الصوم يسبب له الإغماء، أفطر وقضى، وإذا أصبح صائماً فأغمي عليه أثناء النهار وأفاق قبل الغروب، أو بعده فصيامه صحيح ما دام لم يأكل، ولم يشرب، ومن أغمي عليه، أو وضعوا له مخدراً لمصلحته، فغاب عن الوعي، فإن كان ثلاثة أيام فأقل، فيقضي ـ قياساً على النائم ـ وإن كان أكثر فلا يقضي قياساً على من غاب عقله بجنون (ابن باز).

ـ المريض الذي يرجى برؤه وينتظر الشفاء (كمن أجريت له عملية جراحية) إذا شق عليه الصوم أفطر وقضى.

ـ المريض مرضاً مزمناً لا يُرجى برؤه (كمرض السرطان، والفشل الكلوي مثلاً)، وكذلك الكبير العاجز عن الصيام والقضاء، يُطعم عن كل يوم مسكيناً نصف صاع من قوت البلد (كيلو ونصف الكيلو من الرز).

ـ والمريض الذي أفطر بعض رمضان، وينتظر الشفاء ليقضي، ثم علم أن مرضه مزمن، وأنه لن يستطيع القضاء أبداً، فالواجب عليه إطعام مسكين واحد عن كل يوم أفطره.

ـ ومن كان ينتظر الشفاء من مرض يُرجى برؤه، فمات قبل أن يوجد وقت للقضاء، فليس عليه ولا على أوليائه شيء (مثال: شخص عمل عملية جراحية في ٢٥ رمضان، فأفطر بنية القضاء بعد الشفاء، فتوفي في ٣٠ رمضان، فهذا لا يلزم أهله عنه قضاء، ولا إطعام).

- ومن مرض فأفطر، ثم شفي وتمكن من القضاء، فتكاسل حتى مات، أُخرج من ماله طعام مسكين عن كل يوم، وإن تبرع أحد أقاربه بالصوم عنه فهو أولى لقوله ﷺ: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليّه**» (مثال: عمل عملية في ٢٥ رمضان، فأفطر بنية القضاء، فشفي في ٣٠ رمضان، وتكاسل عن القضاء حتى مات في شهر الحج، فهذا يلزم أهله عنه قضاء، أو طعام).

- ومن كان مرضه يعتبر مزمناً، فأفطر، وأطعم (لعجزه عن القضاء)، ثم تطور الطب فاكتُشف علاج لمرضه، فاستعمله وشفي، فلا يلزمه شيء عما مضى؛ لأنه فعل ما وجب عليه في حينه[1].

- ومن أصابه جوع أو عطش شديد، فخاف على نفسه من الهلاك، أفطر وقضى؛ لأن حفظ النفس واجب، ولا يجوز الفطر لمجرد الشدة المحتملة، أو التعب، أو خوف المرض متوهماً.

- الإطعام له صورتان: فيجوز أن يجعله آخر الشهر، فيطعم ٣٠ مسكيناً في آخر الشهر، ويجوز أن يطعم مسكيناً كل يوم.

كلمات إلى المرافق

تغلب الشفقة بعض الناس عندما يقعد المرض قريبه، أو حبيبه.. فلا يزال مرافقاً معه في المستشفى يقوم على خدمته، ومواساته.. وتسليته، ومؤانسته.

وقد يسهر المرافق والمريض نائم.. وقد يصحو المرافق، والمريض مغمى عليه بتخدير، أو نحوه.. وسهر المؤمن على أخيه المريض من أعظم القربات.. فكيف إذا كان لهذا المريض ذا رحم.. كوالد، وأخ، وزوج.. لا شك أن الأجر يكون أعظم..

وإذا كان نبينا ﷺ أخبر أن من زار مريضاً فلا يزال في خرفة الجنة، كأنه

---

(١) اللجنة الدائمة.

يجني من ثمارها.. ويستغفر له سبعون ألف ملك.. إذا كان هذا في الزائر.. فما بالك بمن يلازم المريض خدمة ومؤانسة..

إلا أن بعض المرافقين يجمع هذه الحسنات، ثم يفرقها بأخطاء يقع فيها.. لأن المرافق يتفرغ غالباً من أمور تعوّد أن ينشغل بها وقته في بيته، أو عمله، أو تجارته.. إذن ينبغي لنا جميعاً أن نتساءل.. كيف يقضي المرافق وقته؟

يتنوع بقاء المرافق مع المريض بتنوع مكان وجود المريض.. ففي المستشفى.. الرقية على المريض.. قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.. [الإسراء: ٨٢]. ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، وللقراءة على المريض تأثير عظيم..

في المستشفى العسكري

قال صاحبي: عبد الله كان شاباً صالحاً.. وكان لي علاقة، ومعرفة.. وقد علمتُ أن أباه مصاب بمرض في القلب، وأجريت له عدة عمليات.. وأدخل أخيراً إلى المستشفى وظلَّ فيه للعناية المركزة.. زُرتُه في المستشفى مراراً.. ثم اشتد به المرض فدخل في غيبوبة تامة لا يعقل مما حوله شيئاً.. ولما رأى صاحبي أن أباه لا يعقل شيئاً، وأن تكرار مجيء الزائرين أصبح مزعجاً علّق لافتة على باب الغرفة كتب عليها «الزياة ممنوعة بأمر الطبيب».. وبعد أيام.. اتصل بي، وهو مضطرب وقال: يا شيخ.. أريدك أن تزور والدي.. ولعلك أن تقرأ عليه شيئاً من القرآن..

ذهبت سريعاً إلى المستشفى.. ودخلت على أبيه.. فإذا هو كالجثة الهامدة على السرير.. في إغماء تامّ.. قد وُصّل بجسمه عدد من الأجهزة.. جهاز لقياس الضغط.. وآخر للسكر.. وثالث لضربات القلب.. ورابع للتنفس.. وخامس.. وبجانب السرير ممرض يراقب هذه الأجهزة وينظر إلينا بهدوء..

اقتربت منه، ووقفتُ عند رأسه وكلمته، فلم يرد عليَّ شيئاً..

- قلت: يا أبا فلان إن كنت تسمعني فحرّك أصبعك.. بقي ساكناً، لم يتحرّك فيه شيء..

بدأت أقرأ القرآن بصوت مسموع.. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾.. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾..

بدأ الشيخ ينتفض قليلاً.. لكنه لم يتكلم.. وفجأة أطلق أحد الأجهزة المحيطة بنا صوتاً؛ كصفارة الإنذار. ففزع الممرض، وقام إليه وغيّر في بعض أرقامه.. وجلس.. ثم صفّر جهاز آخر فقام وغير فيه.. وجلس.. ثم صفر الجهاز الثالث.. فلم يزل يتنقل بين هذه الأجهزة.. وأنا أقرأ..

وسمعت صاحبي يقول له: ..This Qoran.. This Qoran وهو ينظر إلينا باستغراب ودهشة.. أما أنا فاستمررت في التلاوة.. دون أن ألتفت إليهما.. استمرت التلاوة قرابة النصف الساعة.. ثم دعوتُ له.. وانصرفتُ..

أما عبد الله فبقي مع الممرض يخاطبه باللغة الإنجليزية.. وكنت أسمعه يردد كلمات: القرآن.. الإسلام..

أقبل إليّ عبد الله يشكر ويودع..

- فأمسكت يده وقلت: هل أني لم أفهم شيئاً مما جرى! ما هذه الأجهزة التي أزعجتنا؟! ولماذا اضطرب الممرض؟ ولماذا وقفت معه تكلمه عن القرآن؟! ولماذا؟..

- فقال: الأمر عجيب يا شيخ.. أنت تعرف أن والدي مصاب بمرض في القلب.. وأجريت له عدة عمليات.. وفي العملية الأخيرة قبل يومين توقف الدم فجأة في شرايين جسمه، ولم يكن الطبيب يتوقع ذلك، فلم يحرص قبل العملية على توصيل مضخة كهربائية لتحريك الدم في العروق عند الحاجة.. فتفاجأ الطبيب بذلك فقام سريعاً بتوصيل مضخة يدوية وكلّف أحد الممرضين بتحريكها بيده.. فكان هذا التصرف من الطبيب غير مجدٍ كثيراً..

لأن الدم توقف في العروق لمدة خمسين دقيقة أشرف والدي معها على الهلاك.. لكن الله تعالى أحسن وتلطف..

وبعد نهاية العملية.. حملوا أبي كالجثة الهامدة إلى غرفته.. فانخفض ضغط الدم حتى وصل إلى الأربعين.. فحاولوا أن يرفعوه بشتى الوسائل فلم يقدروا.. فأمر الطبيب بأن يُحقن والدي في الوريد بمادة كيميائية ترفع ضغط الدم.. وهذه المادة خطرة جداً.. لذا لا يسمح طبياً بأن يُحقن المريض بما يزيد عن مقياس اثنتي عشرة درجة؛ لأنه يموت في الغالب.. فتم حقنه بهذا المقياس فلم تتحسن حالته.. فزادوه إلى ثلاث عشرة درجة.. ثم أربع عشرة.. ثم خمس عشرة.. ثم ست عشرة.. فارتفع ضغطه إلى سبع وستين فتوقفوا.. مع أنه لا يزال منخفضاً جداً.. ثم ألقوه على هذا السرير ووضعوا هذه الممرضة تراقب حاله..

وبعدما بدأت ـ يا شيخ ـ بتلاوة القرآن بدأ ضغط الدم عند أبي يرتفع.. ويرتفع.. ثمان وستين.. تسع وستين.. سبعين.. فاضطربت الأجهزة.. وقامت الممرضة تخفّض من المادة التي وضعوها لرفع الضغط.. واستمر الضغط في الارتفاع خمس وسبعين.. ثمانين.. تسعين.. حتى ثبت الضغط على مائة وواحد وعشرين..

فهل عرفت سبب تعجب الممرضة.!!. فالأطباء.. الاستشاريون.. والأجهزة.. والأدوية.. لم تنفع شيئاً.. أين طبهم؟!.. أين تجارتهم؟!.. أين أدويتهم.. فسبحان من أنزل القرآن.. ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

فيمكن للمرافق أن يرقي المريض بـ:

قراءة الفاتحة سبع مرات مع النفث على الجزء المصاب، أو على الرأس..

وفي حديث أبي سعيد الخدري أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في سفر فمروا بحي من أحياء العرب فاستضافوهم، فلم يضيفوهم..

فجلس الصحابي في جانب الطريق.. فلُدغ سيد الحي.. فأقبل رجل منهم على الصحابة وقال: هل فيكم راق فإن سيد الحي لدغ، أو مصاب.

ـ فقال رجل منهم: نعم.

فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب، فبرأ الرجل، فأعطي قطيعاً من غنم، فأبى أن يقبلها وقال: حتى أذكر ذلك للنبي ﷺ.. فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: يا رسول الله، والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب، فتبسم ﷺ وقال: «**وما أدراك أنها رقية؟!** ثم قال: **خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم**»(١).

قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ والمعوذتين.. سبع مرات.. قول ٧ مرات: «**أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم أن يشفيك. بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس، وعين حاسدة بسم الله أرقيك، والله يشفيك**»(٢)..

أذهب الباس، رب الناس، اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يُغادر سقماً(٣).. **أعيذك بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة.. أذهب البأس، اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك لا يُغادر سقماً.. اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدواً، أو يمشي لك إلى صلاة.. «من عاد مريضاً لم يحضره أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله من ذلك المرض»**(٤).. إلى غير ذلك من الأذكار والأدعية الشرعية..

ومما يمكن للمرافق أن يغتنم في وقته:

١ ـ القراءة النافعة، سواء في تلاوة القرآن، أو الكتب النافعة.

٢ ـ الحذر من الغزل والمعاكسة.. نعم سواء كان المرافق رجلاً أو

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه أحمد.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه الترمذي، وغيره، صحيح.

امرأة.. فمع اتساع وقت الفراغ.. يلعب الشيطان لعبته.. فيغري الفتاة بالتسكع في ممرات المستشفى.. أو العبث بالهاتف..

ويغري الرجل كذلك بذلك..

وكم سمعنا عن منكرات وقعت في مستشفيات.. أو كان منطلقها المستشفيات.. بسبب المرافقين.. وتساهل بعض الفتيات المرافقات بحجابهن وضحكاتهن.. والشيطان ما مات..

٣ ـ ولا أنسى أن أقول للمرافق:

كن بطلاً

نعم كن بطلاً لا رجوفاً جزوعاً. قد لا نلوم المريض لو سمعنا منه أنيناً، أو آهات.. فلكل إنسان حد ينتهي إليه صبره..

لكنك تعجب كثيراً عندما ترى مرافقاً لمريض لا يكف عن البكاء، والجزع.. مع أن المنتظر منه أن يصبر المريض على المرض.. ويكون قدوة له في الصبر والرضا.. ولكن صار حال المرض معه.. كالمستجير من الرمضاء بالنار قد يشتكي بعض المرافقين بأنهم يغلبون على البكاء والحزن.. فأقول: نعم، لكن الصبر والمجاهدة أجمل بك.. وماذا تفيد كثرة التشكي والعويل؟ حتى لو أفضى المرض بحبيبك إلى الموت.. فاصبر صبراً جميلاً..

ـ قال ﷺ: «إذا مات ولد العبد،

ـ قال الله للملائكة: قبضتم ولد عبدي..؟ قبضتم ثمرة فؤاده..؟

ـ فتقول: الملائكة: نعم..

ـ فيقول: فماذا قال عبدي..؟

ـ فتقول الملائكة: حمدك واسترجع..

ـ فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد»[1]..

---

(١) رواه الترمذي، صحيح.

فإذا عظم ضرك، وضاق صدرك، فاجعل الدعاء والشكوى إلى الله تعالى ملاذك..

قال د. عبد الله

جاءت إلي تجر خطاها.. تحمل على ذراعيها طفلاً قد أنهكه المرض.. أم قارب عمرها الأربعين.. قد ضمت الصغير إلى صدرها.. كأنه قطعة من جسدها.. كانت حالته حرجة.. تسمع تردد النفس في صدره من على بعد مترين وثلاثة..

ـ سألتها: كم عمره؟

ـ قالت: سنتان ونصف السنة.

عملنا له الفحوصات اللازمة.. كان يعاني من مشاكل في شرايين القلب.. أجرينا له العملية.. وبعد يومين من العملية كان ابنها في صحة جيدة..

ابتهجت الأم وفرحت.. وصارت كلما رأتني سألتني: متى الخروج يا دكتور.. فلما كدت أكتب أمر الخروج.. فإذا بالصغير يصاب بنزيف حاد في الحنجرة.. أدى إلى توقف قلبه ٤٥ دقيقة..

غاب الصغير عن وعيه.. اجتمع الأطباء في غرفته.. ومضت الساعات، ولم يستطيعوا إفاقته.. تسرع أحد الزملاء وقال لها: احتمال أن يكون ابنك مات دماغياً.. واظن أنه ليس له أمل في الحياة..

التفت إليه لائماً لم قال ذلك..!! ونظرت إليها فوالله ما زادت على أن قالت: الشافي الله.. المعافي الله.. ثم تمتمت قائلة: أسأل الله إن كان له خيارٌ في الشفاء أن يشفيه.. ثم سكتت.. ومضت إلى كرسي صغير.. جلست عليه.. وأخذت مصحفها الأزرق الصغير، وجلست تقرأ فيه.. خرج الأطباء.. وخرجت معهم.. صرت أمر على الصغير.. حالته لم تتغير.. جثة على السرير الأبيض..

التفت إلى أمه.. حالها أيضاً لم يتغير.. يوماً أراها تقرأ عليه.. ويوماً تتلو القرآن.. ويوماً تدعو له.. بعد أيام أخبرتني إحدى الممرضات أن الصغير بدأ يتحرك.. حمدت الله..

ـ وقلت لها: مباركاً يا أم ياسر.. أبشرك ياسر بدأ يتحسن..

ـ قالت: كلمة واحدة، وهي تدافع عبراتها: الحمد لله.. الحمد لله..

مضت أربع وعشرون ساعة.. نفاجأ بالصغير.. يصاب بنزيف حاد مثل نزيفه الأول.. ويتوقف قلبه مرة أخرى.. ويتعب جسده الصغير.. ويفقد الحركة والإحساس.. دخل أحد الأطباء يعاين حالته.. فسمعته الأم يقول: وفاة دماغية.. رددت: الحمد لله على كل حال.. الشافي ربي..

بعد أيام شُفي الصغير.. لكنه لم تمض عليه ساعات.. حتى أصيب بنزيف في القلب.. ثم يفقد الحركة والإحساس..

ويفيق بعد أيام.. ثم يصاب بنزيف جديد.. حالة غريبة.. لم أر مثلها في حياتي.. تكرر هذا النزيف ست مرات.. ولا تسمع منها إلا: الحمد لله الشافي ربي.. هو المعافي.. بعد فحوصات وعلاجات متعددة.. سيطر أطباء القصبة الهوائية على النزيف بعد ستة أسابيع.. بدأ ياسر يتحرك.. وفجأة.. إذا به يبتلي بخرّاج كبير (ورم).. والتهاب في الدماغ.. عاينت حالته بنفسي..

ـ قلت لها: ابنك وضعه حرج جداً.. وحالته خطيرة.

ـ رددت: الشافي هو الله.. وانصرفت تقرأ عليه القرآن.. زال هذا الخرّاج بعد أسبوعين.. مضى يومان تماثل الغلام أثناءها للشفاء.. حمدنا الله على ذلك.. بدأت الأم تهيئ نفسها للخروج.. وبعد ثلاثة أيام.. إذا به يصاب بتوقف والتهاب حاد بالكلى.. أدى إلى فشل كلوي حاد كاد أن يميته..

والأم ما زالت متماسكة.. متوكلة.. منطرحة على ربها.. وتردد: الشافي هو الله.. ثم تذهب وتقرأ من مصحفها عليه.. مضت الأيام ونحن في

محاولات وعلاجات متتابعة لا تتوقف.. استمرت أكثر من ثلاثة أشهر.. تحسنت كلاه ولله الحمد.. لكن القصة لم تنته.. يصاب الصغير بمرض عجيب لم أره في حياتي..

بعد أربعة أشهر يصاب بالتهاب في الغشاء البلوري المحيط بالقلب.. مما اضطرنا إلى فتح القفص الصدري.. وتركه مفتوحاً ليخرج الصديد..

وأمه تنظر إليه وتردد: أسأل الله أن يشفيه.. هو الشافي المعافي.. ثم تنصرف عنه إلى كرسيها، وتفتح مصحفها..

كنت أنظر إليها أحياناً.. ومصحفها بين يديها.. لا تلتفت إلى ما حولها.. كنت أدخل غرفة الإنعاش.. فأرى أنواع المرضى، ومرافقيهم.. أرى مرضى يصرخون.. وآخرين يتأوهون.. ومرافقين يبكون.. وآخرين يجرون وراء الأطباء.. وهي على كرسيها ومصحفها.. لا تلتفت إلى صارخ.. ولا تقوم إلى طبيب.. ولا تتحدث مع أحد.. كنت أشعر أنها جبل.. بعد ستة أشهر في الإنعاش.. كنت أمر بالصغير فأراه لا يرى.. ولا يتكلم.. لا يتحرك.. صدره مفتوح..

ظننا أن هذه نهايته وخاتمته.. والمرأة كما هي تقرأ القرآن.. صابرة لم تشتك.. ولم تتضجر.. والله ما كلمتني بكلمة واحدة.. ولا سألتني عن حالة ولدها.. إلا إن ابتدأت أنا أحدثها عنه.. وكان زوجها قد جاوز عمره الأربعين.. يقابلني أحياناً عند ولده.. فإذا التفت إلي ليسألني.. غمزت الأم يده.. وهدّأته ورفعت من معنوياته.. وذكرته بأن الشافي الله.. بعد شهرين.. تحسنت حالته.. حوّلناه لقسم الأطفال في المستشفى.. تحسن كثيراً..

مارسوا معه أنواعاً من العلاجات والتدريبات.. وبعدها ذهب الطفل إلى بيته ماشياً.. يرى.. ويتكلم؛ كأنه لم يصبه شيء من قبل.. عفواً..

لم تنته القصة العجيب بعد.. بعد سنة ونصف السنة.. كنت في عيادتي.. فإذا بزوج المرأة يدخل عليّ.. وتدخل زوجته وراءه تحمل بين يديها طفلاً صغيراً صحته جيدة.. وكان للطفل مراجعة عادية عند أحد الزملاء لكنهم جاءوني للسلام عليّ..

ـ قلت للزوج: ما شاء الله.. هذا الرضيع رقمه ستة، أو سبعة في العائلة؟

ـ فقال: هذا هو الثاني.. والولد الأول هو الذي عالجته العام الماضي.. وهو أول مولود لنا.. جاءنا بعد ١٧ عاماً من الزواج والعلاج من العقم..

خفضت رأسي.. وأنا أتذكر صورتها وهي عند الولد.. لم أسمع لها صوتاً.. ولم أر منها جزعاً.. قلت في نفسي.. سبحاااااان الله. بعد ١٧ سنة من الصبر، وأنواع علاج العقم ترزق بولد تراه يموت أمامها مرات ومرات.. وهي لا تعرف إلا لا إله إلا الله ..الله الشافي.. المعافي. أي اتكال.. وأي امرأة هذه..

٤ ـ وما أجمل ألا يكتفي المرافق بملء وقته بالمفيد.. بل يحرص على ملء وقت المريض أيضاً بالمفيد.. كأن يحرصه على كثرة الذكر والاستغفار.. وأن يحضر له مسجلاً، وأشرطة نافعة.. أشرطة تلاوة.. محاضرات.. أحاديث.. أن يتابع معه أوقات الصلاة ويحرضه على أدائها.. أن يبعد عنه ما يضره.. أو يحمله أوزاراً من نظر، أو سمع محرم..

٥ ـ الرضا بالقضاء والقدر..

آداب زيارة المريض

ذكر في بعض كتب الأدب.. أن أحد الثقلاء دخل على مريض يعوده.. فما كاد يجلس حتى قال: فلان.. وجهك أصفر..

ـ قال المريض: الحمد لله على كل حال..

ـ قال: يبدو عليك الإرهاق..

ـ قال: الله يعين..

ـ قال: المرض ظاهر عليك.. متى بدأت علتك؟

ـ قال: منذ أيام..

ـ قال: مم تشتكي؟

ـ قال: شكوى يسيرة، وأسأل الله الشفاء..

ـ قال: ما هي؟

ـ قال: مرض معين..

ـ قال: ما هو؟ أليس له اسم!! طيب.. هل أنت بخير؟

ـ فقال المريض: كنت بخير قبل أن تدخل عليّ..

ـ قال: حسناً أنا ذاهب.. هل لك حاجة؟

ـ قال: نعم.. حاجتي أنك إذا خرجت من عندي فلا ترجع إليّ أبداً.. حتى جنازتي أعفيك من الصلاة عليها..

هكذا لسان حال بعض المرضى مع فريق من الزائرين.. فبعض الزوار ما إن يجلس عند المريض حتى يشغله بأسئلة لا تكاد تنتهي.. واقتراحات، وملحوظات.. وكأنه طبيب زائر، أو استشاري منتدب..

ومن هنا لزم أن نتذكر جميعاً الآداب الشرعية الواردة في زيارة المريض:

١ ـ أن يلتزم بالآداب العامة للزيارة؛ كأن يدق الباب برفق، ويخبر باسمه صريحاً، وأن يغض بصره..

٢ ـ أن تكون العيادة في وقت ملائم..

٣ ـ أن يستصحب هدية للمريض يفرحه بها ويريحه.. وحبذا لو كان شيئاً يستفيد منه المريض.. ككتاب نافع، أو شريط، أو مجلة.. أو شيئاً من الحلوى.. أو غير ذلك.. أما ما نراه من إحضار باقات الزهور.. والإسراف في ذلك.. فهذا تبذير.. ولا يستفيد منه المريض.. بل ذكر بعض الباحثين في تواريخ الأمم أن إحضار الزهور إلى المريض كان من عادات الإغريق (اليونان) إذ يعتبرون الزهور رمزاً لإله الرحمة.. ولا يزال النصارى إلى اليوم متأثرين بهذا الاعتقاد، ألا ترى أنهم يضعون على تابوت الميت، وعلى قبره زهوراً!!

٤ ـ أن يكون العائد رفيقاً هيناً ليناً.. يسأل المريض عن حاله برفق.. ولا يدقق معه أو يكثر المسألة..

٥ ـ أن يغض البصر.. إذ قد يظهر من المريض عورة، أو أمر مستقبح، فلا ينبغي للعائد أن يصرف بصره إليه.. بل يتعامى عنه..

٦ ـ ألا يطيل الجلوس حتى يضجر المريض.. وذلك أن المريض تعرض له حاجة إلى حمام.. أو تغيير لباس.. أو إخراج ريح.. أو نوم.. أو طعام.. فيخرج من العائدين أن يفعل شيئاً من ذلك أمامهم.. إلا إن كان العائد حبيباً مقرباً للمريض.. وكان المريض يرغب في جلوسه، ومؤانسته.. فلا بأس..

٧ ـ إدخال السرور على قلب المريض وتذكيره بالأجر[١]..

وأخيراً.. ومن آداب الزيارة:

أن يدعو العائد للمريض بالعافية والصلاح، وقد وردت في ذلك أدعية عديدة منها: «**أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك**» ٧ مرات، وأن يقرأ عليه الفاتحة والمعوذتين والإخلاص.

قبل العملية

تتنوع الأمراض وتتفاوت في خطورتها، وكيفية علاجها..

وقد يقرر الطبيب إجراء عملية للمريض.. وقبل إجراء العملية.. ليتك تقبل مني هذه النصائح:

١ ـ الاستعانة بالله تعالى.. ودعاؤه واللجوء إليه.. فهو الذي بيده كشف الضر والبلاء.. وناده كما ناداه أيوب: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.. [الأنبياء: ٨٣]، ومن أقرب من الله رحيماً مجيباً.. فابك بين يديه.. واشكُ همك إليه.. وتوكل عليه..

---

(١) أم منصور الجبالي رحمها الله؟!

٢ ـ **كن بطلاً.. واصبر**، وأظهر الرضا والتسليم.. بل الفرح والبشر لأهلك.. ولم حولك.. نعم حاول التغلب على مشاعرك قدر المستطاع.. ولن يصيبك إلا ما كتب الله لك.. فحزنك وجزعك لن يغيرا في الواقع شيئاً.. فلا تحزن الناس معك.. واعلم أن أمر المؤمن كله له خير.. فإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له.. وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له.. وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن..

فمن صبر فله الرضا.. ومن سخط فعليه السخط..

٣ ـ **كتابة الوصية**.. ولا تخف من ذلك.. فكتابتك لها لا تعني أنك ستموت!! لا.. بل قرر العلماء أن كتابة الوصية واجبة على كل من كان عنده شيء يمكن أن يوصي فيه بشيء.. من مال أو ولد أو دين.. أو غير ذلك..

قال ابن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه أن يبيت ليلتين.. إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه**»[1].

فخذ ورقة واكتب فيها.. لي عند فلان كذا.. ولفلان عندي كذا.. وأوصي في بيتي أن يفعل به كذا.. إلى غير ذلك..

أسأل الله لي ولك طول العمر مع حسن القول والعمل.. آمين..

الغنيمة الباردة

أخي المريض.. ـ يا شفاك الله ـ.. ما رأيك في عبادة كان النبي ﷺ يشتغل بها في جميع أحواله.. أمر الله المؤمنين بفعلها بعد الصلاة.. وبعد الصيام.. وبعد الحج.. وأمرهم أثناء القتال بفعلها.. أمرك بفعلها قبل الطعام..وبعده.. وقبل دخول الخلاء.. وبعده.. وقبل دخول البيت.. وبعده.. وقبل النوم.. وبعده.. وقبل لبس الثوب.. وبعده.. إنه ذكر الله.. وتحميده وشكره..

---

(١) رواه مسلم.

فالمؤمنون هم ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]، والذكر لا يحتاج إلى طهارة قبله.. ولا إلى ستر عورة.. أو استقبال قبلة.. أو قيام أو جلوس.. بل تعبد به.. متى شئت وكان أبو هريرة رضي الله عنه يسبح في اليوم والليلة أكثر من اثني عشر ألف تسبيحة.. ويقول: «أفتك بها نفسي من النار»..

ومن أفضل الذكر للمريض:

الدعاء: وقد روي أن للمريض دعوة مستجابة..

الاستغفار: فمن لزم الاستغفار.. جعل الله له من كل هم فرجاً.. ومن كل ضيق مخرجاً.. ورزقه من حيث لا يحتسب.. والاستغفار هو مفتاح للرزق.. وبركة في المال.. وصلاح في الولد.. وشفاء للمرض.. التسبيح والتهليل عموماً..

قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم**»، قالوا: بلى يا رسول الله.. قال: «**ذكر الله..**»[1]..

المريض والمعصية

ذهبت يوماً لزيارة أحد المرضى.. قد أصيب بمرض خطير.. كان المرض متمكناً منه.. وقد ضعف جسمه.. ورق عظمه.. وذبل جلده.. وكان بعض الأصحاب قد أخبرني أن الطبيب أسرَّ إليه بأن نهايته قريبة.. والعلم عند الله وحده.. أقبلت أمشي بهدوء إلى غرفته.. وأنا أنتظر أن يستقبلني صوت قراءة القرآن.. وأن أرى سجادة الصلاة مفروشة.. وأن أراه منكسراً مقبلاً على الله طرقت الباب... فأذن لي بالدخول.. وهو لا يدري من أنا. دخلت إلى غرفته.. هدوء قاتل.. ونور خافت..

---

(١) رواه أحمد والترمذي.

كانت الغرفة أشبه بالمقبرة.. المرآة قد غطت بملاءة بيضاء.. حتى لا يرى نفسه وينتبه لتساقط شعره فيذكر مرضه.. رآني فتهيأ للجلوس على سريره.. كان عنده مجموعة من أصدقائه.. أكبر همهم أن ينسوه مرضه.. يظنون أن أكبر خدمة يقدمونها إليه.. أن يضحكوه.. نعم.. يضحكوه.. ويضحكوه فقط.. كان الشاب يضحك فعلاً.. أو يتظاهر بالضحك.. لا أدري!! وقد نسي أن صحيفة عمله تطوى في كل لحظة.. وأن أكثر أجهزة جسمه قد تعطل عن العمل.. وأنه في أي لحظة يمكن أن يموت..

عندما جلست.. قام أحدهم إلى التلفاز وخفض من صوت الأغنية.. أحسست أنهم يشعرون بأني ثقيل.. أفسدت عليهم سهرتهم..

لا حول ولا قوة إلا بالله.. ما أقسى هذه القلوب..

جعلت أتلفت في أنحاء الغرفة.. تمنيت أن أرى مصحفاً.. سجادة صلاة.. مسجلاً وأشرطة قرآن.. لكني مع الأسف الشديد.. لم ألحظ من ذلك شيئاً.. كل ما هناك مجلات.. إحداها على غلافها صورة ملكة جمال فرنساً.. وأخرى على غلافها صورة أحد المطربين.. أذكر أني رأيت صورته يوماً في إحدى الجرائد.. ومجلة ثالثة عن الرياضة والشباب.. ورابعة.. وكلها بجانبه.. ويبدو من أوراقها أنه قد تصفحها مراراً..

في الحقيقة.. كدت أبكي، وأنا أنظر إليه.. بل كنت أدافع دمعة ترقرقت في عيني مراراً.. أصحابه حاولوا جاهدين أن يشركوني في الضحك.. كنت أجاملهم وأتبسم.. جعل أحد أصحابه يتذكر موقفاً طريفاً.. سمع أنه وقع لي في محاضرة.. أو خلال لقاء تلفزيوني.. ليضحكه.. ويضحكني.. كان المسكين يظن نفسه خفيف الظل فجعل يطرح الكلام والتعليقات السخيفة على الآخرين.. في الحقيقة كان ثقيل الدم جداً.. لا تكاد تحتمله، وهو ساكت.. فكيف إذا تكلم.. كنت أنظر إليه متكلفاً التبسم، وأقول في نفسي.. آآآه ماااا أصبرهم عليه.. لم أحتمل مجلسهم.. واستأذنت خارجاً..

مشيت في ممر المستشفى خطوات.. فلما كدت أبلغ الباب.. قلت في

نفسي: لا يجوز أن أذهب حتى أصدقه النصح.. فلعل لقائي هذا يكون الأخير.. وكان ظني صحيحاً فقد صار اللقاء الأخير..

رجعت إليه.. طرقت الباب ودخلت.. استأذنت أصحابه أن يدعوني معه برهة.. خرجوا وأغلقوا الباب بهدوء.. بقيت أنا وياسر.. أحدّ بصره إليَّ.. أظن أنه عرف ما سأقول..

ـ قلت له بكل صراحة: ياسر.. لا وقت للمجاملة.. تعلم أنك من أحب الناس إليّ.. وما زرتك وتركت أشغالي إلا شوقاً إليك.. سمعت بمرضك ففجعت.. وأظن أن حزني عليك لا يقل عن حزنك على نفسك.. ولئن كنت تبكي على نفسك دمعاً.. فإني أبكي عليك دماً..

خفض رأسه.. وبكى.. فخنقتني العبرة..

ـ قلت: ياسر.. دخلت عليك وأنا أعرفك.. ظننت أني سأراك على سجادتك.. أو بين يدي مصحفك.. فإذا أنت كرجل موعود بالخلود..

ياسر.. قد أخبرك الطبيب باستفحال مرضك.. وأن أيامك في الدنيا قد تكون معدودة.. ولا أدري هل تصلي معنا الجمعة القادمة.. أم نصلي عليك..

ازداد بكاؤه.. ياسر.. حريٌّ بمن تُطوى صحيفة عمله.. وتعد عليه أنفاس حياته.. ـ ومن يدري لعل كلانا كذلك ـ حريٌّ به أن يتقرب إلى ربه بما يستطيع.. فضلاً عن ترك المحرمات.. وإذا كان الصحيح المعافى مأمور بحب الله وطاعته.. فكيف بالمريض السقيم..

ياسر.. أين ما كنت أحدثك به من قبل.. حول الدعاء والاستغفار.. والذكر.. ياسر.. أين رقة قلبك.. ولطف تعبدك الذي عرفته فيك..

ياسر.. أين الشجاعة والبطولة التي عهدتك عليها.. أين قولك يوماً: لا بد للمرء أن يبصق في وجه الشيطان، ولا يلتفت إلى وسوسته.. كيف تبعد عن الله في شدة حاجتك إليه!! ازداد بكاؤه.. واسيته بكلمات ثناء.. ثم خرجت من عنده.. وبعد ثلاثة أيام صلينا عليه.. رحمه الله ورفع درجته.. آمين..

المرض أنواع

سافرت إلى هناك في رمضان.. كان الجو شديد البرودة فكنا نجتمع في قبو المركز الإسلامي نصلي التراويح.. ثم ألقي عليهم الدرس اليومي.. وكان يأتي به أحد أولاده.. يدفعه على عربة.. كان شيخاً كبيراً عاجزاً عن المشي..

فقدته ليلة من الليالي.. فقلت: لعل برودة الجو والأمطار حالت بينه وبين الصلاة في المسجد.. فمرت الليلة الثانية.. والثالثة، وهو لم يأت..

سألت ولده عنه.. فأخبرني أنه أصيب بوعكة صحية.. وهو منوّم في المستشفى منذ ثلاثة أيام.. اتفقت مع بعض المصلين أن نزوره عصر الغد..

ذهبنا إلى المستشفى.. دخلنا.. كان مظهرنا لافتاً للنظر.. أنا ألبس ثوباً.. وآخر يلبس قميصاً طويلاً.. وثالث يلبس بِنطالاً..

- سألتنا إحدى الممرضات.. هل أنتم جميعاً أولاده؟

- قلنا: لا..

- قالت: إذن أنتم جمعية خيرية..

- قلنا: لا..

- قالت: إذن من أنتم؟ ولماذا جئتم جميعاً إليه؟ ومن دفع لكم تكاليف المواصلات؟ لم أستغرب تعجبها.. فهي تعودت أن يمكث الشيخ الكبير في المستشفى الشهرين والثلاثة.. ولا يزوره أحد.. بل قد يموت ويتولى المستشفى تكفينه ودفنه.. وأولاده لا يسألون عنه.. أفهمناها أننا مسلمون.. وأنه أخ لنا في الإسلام..

مضينا إلى غرفة صاحبنا.. وبقي أحد الإخوة معها يحدثها عن

الإسلام.. دخلنا على أبي عماد.. كان شيخاً كبيراً.. آثار المرض عليه بادية.. قبلت رأسه.. فبكى..

ـ قلت له: كيف حالك..

ـ قال: الحمد لله.. لا أستطيع الصوم لكني أقرأ القرآن، وأذكر الله قدر استطاعتي.. ومضى الشيخ يتحدث بصوت يقطعه البكاء عن شوقه إلى المسجد.. وصلاة التراويح.. والإخوة يصبرونه..

أخذت أنظر في غرفته.. فلفت نظري شيخان كبيران.. طويلان.. من أهل هذه البلاد.. أوروبيان.. لم أكن أتقن لغتهما.. أرسلت أحد الإخوة يسلم عليهما.. ويسألهما عن حالهما.. كانا متعجبين منا.. والغريب أنهما سألانا الأسئلة نفسها التي سألتنا إياها الممرضة.. من أنتم؟ أي جمعية خيرية؟..

فلما أخبرناهم أنه لا قرابة بيننا وبينه إلا قرابة الدين.. وأنه لا يدفع لنا أجراً على زيارتنا.. جعل كل منهما ينظر إلى الآخر ويتعجب..

أذكر أن أحدهما قال متفاخراً على صاحبه: أنا ابنتي أرسلت لي بطاقة معايدة في العيد المنصرم..!! رجعت إلى صاحبي مودعاً.. وكان الرجلان يرمقانني من بعيد..

ـ فسألته عنهما.. هل بينكم أحاديث ومسامرة؟

ـ فقال: هذان يا شيخ يقضيان وقتهما بأعجوبة..

ـ قلت: كيف؟

ـ قال: ينامان إلى العصر.. فإذا استيقظا.. فإذا هما جائعان.. فتحضر لهما الممرضة الطعام.. فإذا شبعا بدءا يتأففان.. ويسخطان ويسبان.. فإذا ملأ صراخهما المستشفى.. جاءت الممرضة إلى كل منهما بزجاجة خمر.. وأظن أن فيها منوّماً.. فيشربانها.. وينامان إلى غد عصراً..!! ثم يستيقظان.. ويعيدان البرنامج نفسه..

الجزع من المرض

كان من طلابي في الكلية.. عمره قد قارب الأربعين.. وكنت أظنه لم يتجاوز الخامسة، والعشرين.. فقدته أياماً.. ثم رأيته.. فسألته عن غيابه..

- فقال: ولدي مريض.. وكنت أتابع علاجه..

- قلت: عسى الله أن يشفيه.. لكن ماذا أصابه..

- قال: أصابه تسمم في الدم... وأثر في الكبد والدماغ.. والآن انتشر المرض في جسده..

- قلت: الحمد لله على كل حال.. وأبشر بالأجر العظيم.. حتى لو قدر الله وفاته.. فأبشر فإن الصغير يشفع في والديه..

- فقال: يا شيخ.. صغير ماذا؟! عمره سبع عشرة سنة..

- قلت: الحمد لله ..الله يطرح البركة في إخوانه.. فكتم عبراته.

- وقال: يا شيخ.. ليس عندي من الذرية إلا هذا الولد..!! لكني ولله الحمد يا شيخ.. صابر محتسب.. وكل شيء بقضاء وقدر.. بالله عليك قارن بين هذا الصابر.. وبين فريق من الجزعة الضعفة الخورة.. من ضعيفي الإيمان.. عديمي التحمل.. الذين لا يصبرون، ولا يحتسبون..

حبة صغيرة.. فقط!!!

قالت الدكتور أريج: طرقت باب العيادة أدباً منها، وقد أذنت لها الممرضة بالدخول.. يرافقها زوجها وابنتها..

تتأملها فتراها امرأة في العقد الرابع من عمرها ممتلئة الجسم قليلاً.. مهتمة بنفسها بشكل واضح.. جلست على الكرسي.. وبدأت الحديث.. يا دكتورة.. أحتاج رأيك في المشكلة التي أعاني منها منذ وقت طويل..

ابتسمت مشجعة لها أن تبدأ.. وأخذت تفصل لي في الأمر الذي أرهقها

منذ سنين طويلة.. حبوب في وجهها.. وقد دارت على الكثير من الأطباء، ومراكز التجميل المختلفة لمعالجتها.. وها هي الآن تستخدم دواءً منذ أشهر وهذا النوع من العلاج معروف بأن متابعته الدقيقة مهمة جداً كي لا يؤثر على الكبد..

ـ قلتُ لها: أين هذه الحبوب..؟

ـ لم ترني مكانها وإنما استمرت في سرد معاناتها المادية، والنفسية خلال فترة العلاج.. وأنها تعبت فعلاً..

كررت سؤالي مرة أخرى.. (هلا سمحت لي أن أفحص الحبوب التي تقصدين؟).. عندها كشفت ما تبقى من وجهها..!! وأنا أكاد أمسح عيني شكاً فيما رأيت؟ عفواً..؟؟!! أين الحبوب التي تقصدينها يا عزيزتي؟

ـ قالت لي: ها هي يا دكتورة؟ إنها حبة واحدة فقط!! أنظر مرة أخرى.. إنها حبة صغيرة جداً لا تكاد تُرى..

ـ قلت لها: أهذا ما يزعجك الآن..؟

ـ قالت: نعم يا دكتورة.. أنا تعبانة نفسياً منها، أرجوك أن تساعديني..؟!!

عجباً.. قلت لها: لكني أرى وجهك بحالة ممتازة.. قاطعتني.. أووووه.. لا.. لا يا دكتورة.. إنه ليس بحالة طيبة، وأنا غير مقتنعة!!

تمالكت نفسي طويلاً، وبقوة.. فقد كنت أفحص قبلها.. من هم في حال أسوأ.. وقد ابتلاهم الله جل وعلا.. بأمراض شديدة.. لا علاج لها.. ولا أجدهم إلا شاكرين حامدين صابرين..

ـ قلت لها بصوت بطيء: يا عزيزتي أنا لا أرى أن الأمر بهذا السوء الذي تتخيلينه.. حتى الدواء الذي تستخدمينه الآن.. لا أرى له أي داعٍ، يمكنك أن تتوقفي عن تناوله اليوم، وهذه الحبة.. الصغيرة جداً..

لا أريدها أن تأخذ من حيز اهتماماتك الكثير، تفاءلي وانظري إلى الجوانب الجميلة والنعم الكثيرة التي وهبها الله لك، واشكريه عليها..

بعد ثوان من الصمت..

ـ قالت: دكتورة.. أريد أن أكمل العلاج، أريد أن تختفي هذه الحبة.. و.. قاطعتها أنا هذه المرة..

حسناً يا عزيزتي القرار قرارك أكملي تناول العلاج.. ومتى أردت أن تتوقفي عنه، مرحباً بك في العيادة.. كنت أتمنى أن يدللها زوجها أمامي..

ـ فيقول لها: لا تحتاجين الدواء يا زوجتي إن الحبة صغيرة، ولا تستحق هذا العناء..

فقد كنت أعرف أن تعليقه هذا سيكسر الكثير من الحواجز، والمخاوف لكنه كان صامتاً طوال الوقت!!

آآآه يا للرجال..! (ا.هـ عن د. أريج العوفي).

وأخيراً

أخي المريض.. الطبيب.. المرافق.. كانت هذه جولة سريعة حول المرض..

أسأل الله أن ينفع به، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قم فأنذر

بداية

كان موقفاً محرجاً ذلك اليوم لما دخلت على طلابي في الكلية.. كانت محاضرتي حول السيرة النبوية.. وقفت أمام الطلاب.. هم في السنة الثانية الجامعية.. أردت أن أقيس معلوماتهم لأعرف المستوى الذي أخاطبهم من خلاله.. سألتهم: يا شباب.. أعطوني أسماء أربع زوجات.. من زوجات النبي ﷺ؟ كان سؤالاً سهلاً طرحته بين أيديهم على استحياء.. كانوا أربعين طالباً.. رفع أحدهم يده صارخاً: يا دكتور..

ـ قلت: نعم..

ـ قال: خديجة..

فعددت بأصابعي قائلاً: خديجة.. أحسنت.. رفع الثاني يده: يا دكتور.. عائشة..

ـ قلت: ممتاز.. عائشة.. ثم سكتوا!!

سكتوا؟! الأربعون؟!! نعم سكتوا.. الأربعون!!

أخذت أطوف بنظري بينهم.. وأردد عبارات الأسف.. ألا تعرفون رسولكم.. ألا تعرفون أمهات المؤمنين (أفاااااا)!!

ـ فقال أحدهم: هاه.. يا دكتور.. دكتور.. تذكرت إحدى زوجاته..

ـ قلت: من..

ـ قال: آمنة!! آمنة.. هي أم رسول الله ﷺ.. وقد ظن المسكين أنها زوجته..

ـ قلت: آمنة!! هي أمه ..الله يخليك لأمك!!

فسكت خجلاً.. وخيّم الصمت عليهم.. والحزن عليَّ.. فأراد أحدهم أن يزيل الكآبة عن الشيخ.. بجواب يبهج خاطره..

ـ فقال: يا دكتور.. تذكرت اسم زوجة..

ـ قلت: هاه.. من؟

ـ قال: فاطمة!!

ضحك بعض الطلاب.. وظهر التعجب على آخرين.. وفريق ثالث.. لم يبدُ منهم أي تفاعل.. لأنهم يظنون الجواب صحيحاً.. يظنون فاطمة اسم زوجة من زوجاته ﷺ.

ـ قلت له: فاطمة رضي الله عنها.. هي ابنته.. سكت الطالب.. بل سكت الجميع..

ـ فقلت لهم: أخبروني يا شباب بأسماء خمسة من لاعبي فريق.. فريق.. وجعلت أتذكر فريقاً كروياً أسألهم عنه.. وخشيت أن يجيبوا الجواب الصحيح فأصاب بخيبة أمل.. فلم أذكر فريقاً قريباً.. وإنما تباعدت.. علهم يعجزون عن الجواب.. فقلت: من لاعبي فريق البرازيل..

ـ فتصايحوا: أنا.. أنا.. وجعلت الأسماء تهب عليّ هبوباً.. رونالدو.. تيتو.. إلخ.. وأنا أعد بأصابعي.. فإذا أصابع يدي الأولى تمتلئ.. ثم تمتلئ أصابع يدي الثانية.. ثم أعود إلى الأولى.. فإذا هم قد عدوا خمسة عشر اسماً!!

ـ فسألتهم: الذي أعرف أن عدد لاعبي الفريق لا يتعدى أحد عشر لاعباً..

ـ فلماذا ذكرتم خمسة عشر..؟ فقالوا: نحن ذكرنا لك أسماء اللاعبين الأساسيين.. والاحتياط.. والنكتة أنني لما كانوا يعدون أسماء اللاعبين.. كنت أعد بأصابعي وأعيد اسم اللاعب.. فإذا أخطأت في لفظ الاسم.. ضحكوا من (جهلي) وعدلوا لي الاسم.. وصدق الله.. ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المؤمنون: ٦٩]..

لا تعتذروا..

شعر طلابي بمقدار الحزن البادي على وجهي.. فبدؤوا يقولون معتذرين: يا شيخ.. لا تلمنا.. فالإعلام يبرز هؤلاء فنحفظهم..

ـ فقلت لهم: لا تعتذروا.. فالإعلام يملك أن يبرزهم.. لكنه لا يملك أن يلزمك بمتابعتهم.. وتتبع أخبارهم.. وحفظ أسمائهم.. وتذاكر قصصهم.. وجعلهم مادة لأحاديث مجالسنا.. ومواضيع منتدياتنا.. وألوان ألبستنا.. إلخ..

فكما يوجد قنوات للرياضة.. فهناك قنوات للثقافة.. والأخبار.. والشريعة.. والتعليم.. وقل مثل ذلك فيما تنشره الجرائد والمجلات ومواقع الإنترنت.. إلى غير ذلك.. فلا تعتذروا..

ومن الطريف أن أذكر.. أنني ألقيت محاضرة قبل أيام في إحدى القرى.. أؤكد: إحدى القرى.. كانت المحاضرة حول حياة النبي ﷺ.. ذكرت في آخر المحاضرة أهمية تعلم السيرة النبوية.. ثم ذكرت هذا الموقف الذي وقع بيني وبين طلابي..

كان أمامي بعض صغار السن الذين لا تتجاوز أعمارهم العشر سنين..

ـ فقلت في أثناء سردي للموقف: ثم سألت طلابي: أعطوني أسماء أربع من زوجات النبي ﷺ.. وأكملت القصة.. والأمر عادي..

ـ فلما قلت: ثم قلت لطلابي: هاه يا شباب.. أعطوني أسماء خمسة من لاعبي البرازيل..

تصايح الصغار الذين أمامي: أنا.. أنا.. أنا..

يظنوني أسأل الحاضرين!! فرأيتها فرصة لتسجيل موقف.. فالتفت إليَّ أحدهم..

ـ وقلت: هاه يا شاطر.. أجب..

ـ فقال: رونالدو.. و..

ـ قلت: يكفي.. تدرس في أي صف يا بطل؟

ـ فقال بكل براءة: رابع باء..!!

فالتفت إلى الثاني وقلت: هاه؟

ـ قال: تيتو..

ـ قلت: وأنت أي صف تدرس؟

ـ فقال: خامس جيم..

كادت الدموع تنزل من عيني.. ورأيت بعض الناس.. دمعت عيناه.. قهراً.. وحُقَّ له ذلك.. أدركت عندها أننا بحاجة إلى إبراز هذا الرسول.. الذي هو أحب إلينا من أرواحنا..

فكان هذا الكتاب المختصر في نوع من السيرة قلما يطرق.. وهو الكلام عن معجزاته وآيات نبوته ﷺ.. فعسى الله أن ينفع بهذا الكتاب ويرفع.. آمين.. آمين..

كتبه

د. محمد بن عبد الرحمٰن العريفي

أستاذ جامعي

خطيب جامع البواردي بالرياض

عضو الهيئة العليا للإعلام الإسلامي

arefe5@gawab.com

ص.ب ٨٧٦٥٤١ الرياض ٩٨٧٦٥

الرياض ١/٥/١٤٢٨هـ

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾؟

اسمه: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب..

قبيلته: قرشي هاشمي.

كنيته: أبو القاسم.

أمه: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب..

قبيلتها: قرشية زهرية..

ولادته: ولد ﷺ بمكة في دار عمه أبي طالب..

تاريخ ولادته: يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول من عام الفيل (الموافق ٢٠ إبريل/نيسان عام ٥٧١ للميلاد).

نشأ يتيماً: توفي أبوه وأمه حامل به.. حيث ماتت أمه وعمره ٦ سنوات فكفله جده عبد المطلب ثم مات جده.. فكفله من بعده عمه أبو طالب.. أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب.. من قبيلة بني سعد..

زواجه: تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية وهو في الخامسة والعشرين من عمره وهي في الأربعين، ماتت خديجة رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين.. تزوج بعد خديجة بقية نسائه الطاهرات..

فتزوج سودة بنت زمعة رضي الله عنها..

ثم تزوج عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما..

ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما..

ثم تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث رضي الله عنها..

ثم تزوج أم سلمة واسمها هند بنت أمية رضي الله عنها..

ثم تزوج زينب بنت جحش رضي الله عنها..

ثم تزوج جويرية بنت الحارث رضي الله عنها..

ثم تزوج أم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها..

ثم تزوج صفية بنت حيّ بن أخطب رضي الله عنها..

ثم تزوج ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها.. وهي آخر من تزوج رسول الله ﷺ..

أولاده: ثلاثة ذكور.. وأربع إناث.. ولدت له خديجة: القاسم.. وعبد الله.. وقد ماتا صغيرين.. وكان عبد الله يلقب بالطيب والطاهر.. وولدت له جاريته مارية القبطية إبراهيم.. ومات صغيراً أيضاً..

بناته: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة.. وهؤلاء كلهن من خديجة..

توفي جميع أولاده في حياته، إلا ابنته فاطمة..

بعثه الله تعالى رسولاً بوحي نزل عليه وهو يتعبد في غار حراء.. هو آخر الأنبياء والرسل.. وهو رسول إلى الناس أجمعين.. كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ: ٢٨].

وأنزل عليه في رمضان أول آية من القرآن الكريم وهي قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ [العلق: ١] وتتابع نزول القرآن عليه بواسطة جبريل عليه السلام.

بدأ دعوته سراً مدة ثلاث سنوات.. ثم أمره الله أن يجهر بها وينذر قومه، فأعلن الدعوة إلى توحيد الله تعالى ونبذ الأوثان. لقي صداً وعنتاً من كبار قريش وصناديدهم وأوذي أصحابه الكرام.. فأذن ﷺ لهم بالهجرة إلى الحبشة.. وهي أثيوبيا اليوم..

فهاجر إليها ثلاثة وثمانون رجلاً عدا النساء والأولاد.. ثم أمره الله تعالى بالهجرة إلى المدينة فهاجر إليها مع أبي بكر في السنة الأولى الهجرية الموافق سنة ٦٢٢م..

جرت بينه وبين قريش غزوات انتهت بفتح مكة سنة ثماني للهجرة.. دانت له العرب وأتته وفودها تعلن إسلامها سنة ٩ و١٠ للهجرة.

وفي سنة عشر للهجرة حج حجة الوداع وعاد إلى المدينة.. ثم توفي فيها في ١٢ ربيع الأول عام١١ للهجرة (الموافق ٨ يونيو/حزيران سنة ٦٣٢م)..

۞ من أهم الأحداث في حياته ﷺ..

الإسراء والمعراج: وكان قبل الهجرة بثلاث سنين وفيه فرضت الصلاة..

السنة ١هـ: الهجرة.. وبناء المسجد.. وبداية تأسيس الدولة.. وفرض الزكاة.

السنة ٢هـ: غزوة بدر الكبرى..

السنة ٣هـ: غزوة أُحد..

السنة ٤هـ: غزوة يهود بني النضير..

السنة ٥هـ: غزوة بني المصطلق.. وغزوة الأحزاب.. وغزوة يهود بني قريظة.

السنة ٦هـ: صلح الحديبية..

السنة ٧هـ: غزوة خيبر.. وفي هذه السنة اعتمر النبي ﷺ والمسلمون أول عمرة في الإسلام.

السنة ٨هـ: غزوة مؤتة بين المسلمين والروم.. وفتح مكة.. وغزوة حُنين ضد قبائل هوازن وثقيف..

السنة ٩هـ: غزوة تبوك.. وهي آخر غزواته ﷺ.. وفي هذه السنة دخل الناس في دين الله أفواجاً.. وسمي هذا العام عام الوفود.

السنة ١٠هـ: حجة الوداع.. وحج فيها مع النبي ﷺ أكثرمن مائة ألف مسلم.

السنة ١١هـ: وفاة رسول الله ﷺ..

وقد اخترت في هذا الكتاب أن نسبح في بحر معجزاته وآيات نبوته ﷺ

وهي كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية تزيد على ألف معجزة.. لكني أذكر منها ما تيسر..

آيات الأنبياء

آيات الأنبياء ومعجزاتهم.. خصّهم الله بها تصديقاً على رسالته.. وتكون المعجزات خارجة عن قدرة البشر.. ومعجزة كل رسول موافق للأغلب من أحوال عصره..

• فموسى عليه السلام.. حين بعث في عصر السحرة.. فلق الله له البحر.. وقلب العصا حيَّة..

• أما عيسى عليه السلام.. فبعث في عصر الطب وأنواع العلاج.. فخصه الله بإبراء المرضى.. وإحياء الموتى..

• أما محمد عليه السلام.. فقد جمع الله له من أنواع الآيات.. ما بهر البريات.. فنزل عليه القرآن.. الذي أعجز الفصحاء.. وغلب البلغاء.. وتبلد فيه الشعراء..

قال الله: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥٠ ـ ٥١].. ولكثرة دلائل نبوة محمد ﷺ لم يملك أحد أن يكذب بها إلا من عاند واستكبر.. بل حتى الكفار الذين حاربوه.. وضيقوا عليه.. هم مصدقون بنبوته في قلوبهم.. ولكن يمنعهم الكبر والغي من اتباعه.. أوما سمعت أبا طالب يقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ... فلقد صدقت وكنت فينا أمينا
وعرضت ديناً قد عرفت بأنه ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً

وحتى اليهود.. كانوا يعلمون أنه ﷺ هو النبي الحق الذي يجب عليهم

اتباعه.. ولكنهم تكبروا عن ذلك.. وسنقف هنا على أحد عشر نوعاً من معجزاته ﷺ..

النوع الأول

إخباره ببعض المغيبات

إخباره ﷺ بالمغيبات أنواع.. فأحياناً يخبر بغيب لم يقع بعد.. فيقع على ما أخبر به ﷺ تماماً.. من ذلك أنه: بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة.. انطلق سعد بن معاذ رضي الله عنه إلى مكة معتمراً.. فنزل على أمية بن خلف.. وكان بينهما ودٌّ وصداقة في الجاهلية.. ولم يكن وقع بين المسلمين والكفار حروب بعد..

فكان أمية إذا سافر إلى الشام.. نزل عند صديقه سعد بن معاذ في مكة.. وارتاح أياماً ثم واصل سفره.. وكذلك كان سعد.. يأتي مكة.. فينزل عند أمية.. لما نزل سعد عند أمية.. قال له: يا أمية.. انظر لي ساعة خلوة. لعلي أن أطوف بالبيت..

ـ فقال أمية: انتظر حتى إذا انتصف النهار.. وغفل الناس.. انطلقت.. فطفت.. فلما اشتدت شمس النهار.. وأوى الناس إلى بيوتهم.. خرج أمية بسعد.. متوجهاً به إلى البيت الحرام.. الكعبة..

في أثناء الطريق لقيهما رأس الكفر أبو جهل.. نظر أبو جهل إلى سعد بن معاذ فلم يعرفه.. فسأل أمية.. قال: يا أبا صفوان!! من هذا معك؟

ـ قال أمية: هذا سعد بن معاذ.. اليثربي.. أي: القادم من يثرب وهي المدينة.. فتذكر أبو جهل أن أهل يثرب.. هم الذين ناصروا النبي ﷺ.. وقبلوه مهاجراً إليهم..

ـ فغضب وقال: ألا أراك تطوف بالبيت آمناً.. وقد آويتم محمداً والصباة معه..

والصباة هم الذين غيروا دينهم.. فسكت سعد..

ـ فقال أبو جهل: وزعمتم أنكم تنصرونهم.. وتعينونهم.. أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً..

- سعد سيد في قومه.. ولا يرضى أن يهان بمثل هذا الكلام.. فغضب وقال: لئن منعتني من هذا.. لأمنعنك ما هو أشد عليك منه.. أمنعك من طريقك إلى الشام.. كان سعد يعلم أن أبا جهل تاجر له قوافل تذهب إلى الشام.. ولا بد أن تمر بالمدينة.. فهدده أن يقطع الطريق عليها..

ثار أبو جهل وسعد.. وتخاصما.. فتحير أمية.. لمن ينتصر؟ فهذا سيد قومه في المدينة.. وهذا سيد قومه في مكة.. فمالت نفسه مع أبي جهل..

- فقال لسعد: يا سعد.. لا ترفع صوتك على أبي الحكم.. فإنه سيد أهل الوادي..

- فقال سعد رضي الله عنه: وأنت دعنا منك يا أمية.. فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه قاتلك.. ففزع أمية وقال: يقتلني بمكة أم في غيرها؟!

- قال سعد: لا أدري..

فاضطرب أمية وفزع فزعاً شديداً.. وولى وهو يقول.. والله ما يكذب محمد أبداً.. ثم رجع أمية إلى أهله.. فدخل على زوجته.. وهو ينتفض وقال لها: يا أم صفوان.. ألم تسمعي ما قال لي سعد؟!

- قالت: وما قال لك؟

- قال: زعم أن محمداً أخبرهم أنه قاتلي..

ففزعت وقالت: بمكة؟

- قال: لا أدري..

- فقالت: والله ما يكذب محمد..

- فقال أمية: والله لا أخرج من مكة أبداً.. ومضت الأيام.. فأقبلت لقريش قافلة من الشام.. فخرج ﷺ ليعترض طريقها.. فأرسل قائد القافلة أبو سفيان إلى قريش في مكة يستنصرهم للخروج للقتال والدفاع عن القافلة..

ثار أهل مكة.. وقام أبو جهل يستنصر الناس.. ويستحثهم للخروج للقتال.. ويقول: أدركوا عيركم.. أموالكم.. بدأ الناس يتجهزون.. منهم

من يحد سيفه.. ومن يجمع متاعه.. ومن يجهز فرسه.. كل أهل مكة تجهزوا للخروج للقتال.. إلا واحد.. أمية بن خلف.. كره أمية أن يخرج.. وخاف على نفسه.. وجلس في ظل الكعبة.. فعلم أبو جهل أن أمية سيتخلف عن الخروج..

فأتاه فقال: يا أبا صفوان: إنك متى يراك الناس قد تخلفت.. وأنت سيد أهل الوادي.. تخلفوا معك.. فأبى أمية أن يخرج.. فهو يعلم أن محمداً ﷺ لا يكذب أبداً..

أبو جهل كافر حقير.. لكنه ذكي!! ابتكر أبو جهل طريقة يستحث بها أمية للخروج.. فماذا فعل؟! أخذ أبو جهل مبخرة ووضع فيها جمراً وطيباً.. ثم أقبل بهذا البخور إلى أمية وهو جالس بين قومه في ظل الكعبة.. وقال: خذ تطيب.. يا أبا صفوان.. تطيب إنما أنت من النساء..

أي ما دام أنك لن تخرج للقتال فمعناه أنك ستجلس مع النساء ونحن نخرج نقاتل عنك.. فخذ تطيب.. كما تتطيب النساء!!

آآآه.. ما أخبث أبا جهل!!! يعلم من أين تؤكل الكتف!! ما كاد أمية يسمع هذا الكلام.. حتى ثار.. وقام وهو يقول: أما إذ غلبتني.. فوالله لأشترين أجود بعير بمكة..

ـ ثم أقبل على بيته وقال: يا أم صفوان.. جهزيني..

ـ فقالت: يا أبا صفوان.. قد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي!!

ـ قال: لا.. وما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً.. وأعود..

كانت خطة أمية أن يسير مع الجيش.. بعض الطريق ثم يتخفى عنهم.. ويعود إلى مكة.. وفعلاً.. خرج أمية مع الجيش.. وجعل لا ينزل الجيش منزلاً أثناء الطريق.. لنوم أو طعام.. إلا ربط بعيره بجانبه.. استعداداً للهرب..

لكن أبا جهل كان بالمرصاد.. فلم يزل يسير مع الجيش.. حتى وصل

موقع معركة بدر.. وقتله الله بأيدي المسلمين..[١] وتحقق ما أخبر به ﷺ من أن المسلمين يقتلون أمية..

خطة لقتله ﷺ!!

وأحياناً يخبر ﷺ بشيء وقع.. لكنه وقع في موضع غائب عنه.. كأن يخبر بشيء وقع في مكة.. أو فارس.. أو اليمن..

ومن ذلك: بعد معركة بدر وهزيمة مشركي قريش فيها.. رجع كفار قريش إلى مكة.. وقد قتل منهم من قتل.. وأسر من أسر.. كانت مصيبة عظيمة على قريش..

أقبل عمير بن وهب.. إلى الكعبة فرأى صفوان بن أمية جالساً في الحجر في ظل الكعبة.. فجلس عمير إليه.. وجعلا يتبادلان الآهات.. فكلاهما مصاب.. عمير ابنه مأسور.. وصفوان أبوه مقتول..

ـ فقال صفوان: قبح الله العيشَ بعد قتلى بدر..

ـ قال عمير: أجلْ.. والله ما في العيش خير بعدهم.. ثم تحمس عمير فقال: لولا دينٌ عليَّ.. لا أجد له قضاء.. وعيالٌ لا أدع لهم شيئاً.. لرحلت إلى محمد فقتلته.. إن ملأت عيني منه.. فإن لي علة أعتل بها إن دخلت المدينة.. أقول: قدمتُ على ابني أفدي هذا الأسير.. فرح صفوان بقوله.. وشعر أنها فرصة للانتقام..

ـ فقال: عليَّ دينُك.. فأنا أقضيه.. وعيالك أسوة عيالي في النفقة.. فاذهب إلى محمد فاقتله.. شعر عمير أنه أوقع نفسه في فخ.. ولكن لا سبيل للتراجع.. قام صفوان مسرعاً.. وجهز لعمير راحلة.. ودفع إلى عمير سيفاً مصقولاً مسموماً.. وودع عمير أهله.. ومضى يسير مغادراً مكة وقد تكون نظراته إلى بيوتها وجبالها هي النظرات الأخيرة..

---

(١) رواه البخاري.

وصل عمير إلى المدينة.. توجه إلى المسجد.. نزل عند بابه.. وعقل راحلته.. وتناول سيفه المسموم.. وعلّقه في عنقه.. ودخل المسجد.. وتوجه إلى رسول الله ﷺ..

رآه عمر.. فصاح: هذا عدو الله.. الذي حرَّش بيننا يوم بدر.. انطلق عمر ليمنعه من الوصول إلى رسول الله.. لكنه وصل.. وقف عمير بين يدي النبي ﷺ.. وكانت خطته.. أن يغافل النبي ﷺ.. ويضربه فجأة بالسيف ويقتله.. ثم لا يهمه ما يقع بعد ذلك.. فقد قضى دينه.. وأمّن عياله..

مسكين.. كان يظن المسألة سهلة إلى هذه الدرجة!!

نظر النبي ﷺ إلى عمير.. ورأى السيف معه.. فقال: «**ما أقدمك؟**».

كان عمير متوقعاً هذا السؤال.. وبالتالي فالجواب جاهز.. قال: ابني أسير عندكم.. وجئت أفتديه.. ففادونا في أسرائنا.. فإنكم العشيرة والأهل..

ـ فقال ﷺ: «**فما بال السيف في عنقك!!**».

فعلاً!! من جاء ليفتدي أسير يعلق في عنقه كيس مال.. لا سيفاً..

ـ فقال عمير: قبحها الله من سيوف.. فهل أغنت عنا شيئاً يوم بدر..!! إنما نسيته في عنقي حين نزلت..

ـ فقال له رسول الله ﷺ: «**اصدقني.. ما أقدمك؟؟**».

ـ قال: ما قدمتُ إلا في أسيري..

ـ فقال ﷺ: «**فماذا شرطت لصفوان بن أمية في الحجر..؟؟**».

ففزع عمير.. وقال: ماذا شرطت؟!!

ـ قال: «**تحملت له بقتلي.. على أن يعول بيتك.. ويقضي دينك.. والله حائل بينك وبين ذلك**».. انتفض عمير.. وعجب كيف علم النبي ﷺ بخبره مع صفوان!

ـ فقال: أشهد أنك رسول الله.. وأن لا إلٰه إلا الله.. كنا نكذبك بالوحي وبما يأتيك من السماء.. وهذا الحديث كان بيني وبين صفوان في

الحجر.. لم يطلع عليه أحد غيري وغيره.. فما أخبرك به إلا الله[١]..

ودخل عمير في الإسلام.. وصار من خيار المسلمين.. فهذا من آيات نبوة محمد ﷺ التي رآها عمير فدخل في الإسلام بسببها..

الشاة المسمومة!!

وكذلك ما وقع منه ﷺ مع اليهود لما أرادوا قتله.. فإنه ﷺ وقعت له غزوة إلى اليهود في خيبر.. فحاصرهم.. حتى طال الحصار.. ثم استسلموا.. ودخل عليه الصلاة والسلام فاتحاً.. فأقبلت امرأة يهودية حاقدة.. وطبخت شاة.. وشوتها.. وجعلت فيها سماً.. ومن حقدها سألت: أي الشاة أحب إلى محمد؟

فقيل لها: الذراع.. فزادت السم في الذراع..

فلما استقر ﷺ مع بعض أصحابه في خيبر.. أقبلت اليهودية بطعامها.. ووضعته بين يدي النبي ﷺ وأصحابه.. وزعمت أنه هدية لهم!!

عجباً!! هل رأيت أحداً يهدي الموت؟!

كان الصحابة جائعين.. وكذلك كان ﷺ.. حصار طويل.. وزاد قليل.. وحر وتعب.. ثم شاة مشوية!! وضع الصحابة أيديهم آكلين.. ورسول الله ﷺ أخذ قطعة من الذراع فرفعها إلى فمه الطاهر.. ونهش من لحمها نهشة.. وفجأة صاح بأصحابه.. أن يتوقفوا عن الأكل.

فتوقفوا.. مندهشين..

ثم قال ﷺ: **«اجمعوا إليَّ من كان هاهنا من يهود..»**.

فجمعوهم له..

ـ فقال ﷺ: **«إني سائلكم عن شيء.. فهل أنتم صادقي عنه؟»**.

ـ قالوا: نعم..

---

(١) أخرجه موسى بن عقبة في مغازيه.

ـ فقال ﷺ: «**من أبوكم؟**».

كان لهذه القبيلة من اليهود جد.. لا يفتخرون بالانتساب إليه.. فيدعون الانتساب إلى جد آخر..

ـ فقالوا: أبونا فلان..

ـ فقال ﷺ: «**كذبتم.. بل أبوكم فلان..**».

ـ قالوا: صدقت..

ـ قال: «**فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟**».

ـ فقالوا: نعم.. يا أبا القاسم.. وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا..

ـ فقال لهم: «**من أهل النار؟**».

ـ قالوا: نكون فيها يسيراً.. ثم تخلفونا فيها..

ـ فقال ﷺ: «**اخسؤوا فيها.. والله لا نخلفكم فيها أبداً..**».

ـ ثم قال: «**هل أنتم صادقي عن شيء.. إن سألتكم عنه؟**».

ـ قالوا: نعم.. يا أبا القاسم..

ـ فقال: «**هل جعلتم في هذه الشاة سماً؟**».

قالوا: نعم.. نعم..

ـ قال: «**ما حملكم على ذلك؟**».

ـ قالوا: أردنا إن كنت كاذباً.. نستريح منك.. وإن كنت نبياً لم يضرك.. ولكن!! من أخبرك؟ فرفع ﷺ الذراع وقال: «**أخبرتني هذه الذراع**»[1]..

فصلوات ربي وسلامه عليه.. حتى الذراع أنطقها الله.. لما لم ترد أن تضر نبيه ﷺ.

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة.

ربي قتل ربكما!!

ومن إخباره ﷺ أيضاً بالمغيبات.. انه ﷺ بعث عبد الله بن حذافة رضي الله عنه إلى كسرى ملك الفرس.. يدعوه إلى الإسلام.. وصل الكتاب إلى كسرى.. وهو ملك عظيم في قومه.. يملك فارس كلها.. إيران.. وأفغانستان.. وباكستان.. وغيرها..

فلما قرأ كسرى الكتاب غضب.. ومزق الكتاب.. وقال: يكتب إليَّ بهذا الكتاب وهو عبدي!! كان كسرى متكبراً متغطرساً.. فلم يكتف بمتزيق الكتاب.. لا.. وإنما كتب إلى أمير اليمن باذان: بلغني أن في أرضك رجلاً تنبأ.. فابعث إليه من عندك رجلين جلدين فليربطاه وليأتياني به..

فبعث أمير اليمن باذان رجلين.. ليربطا النبي ﷺ ويحضراه إليه!!! مساكين!! خرج الرجلان حتى قدما المدينة فدخلا على رسول الله ﷺ فقالا له: انطلق معنا.. وإن أبيت فكسرى مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك.. فنظر إليهما النبي ﷺ فإذا هما قد حلقا لحاهما وأبقيا شواربهما.. فكره النظر إليهما وقال: «**ويلكما!! من أمركما بهذا؟؟**».

- قالا: أمرنا بهذا ربنا.. يعنيان كسرى..

- فقال ﷺ: «**لكن ربي ﷻ.. أمرني بإعفاء لحيتي وبقص شاربي..**».

- ثم قال لهما بكل هدووء: «**ارجعا حتى تأتياني الغد..**».

وجاء الوحي إلى رسول الله ﷺ.. أن الله سلط على كسرى ابنه فقتله.. فلما أتيا رسول الله ﷺ قال لهما: «**إن ربي غضب على ربكما فقتله.. فدمه في نحره ساخن الساعة..**».

يعني: مات الآن..!! فلا يزال دمه يجري منه حاراً..

فاستعظما الأمر.. وقالا له: هل تدري ما تقول؟! أنكتب بهذا عنك؟ أنخبر الملك به؟

- فقال ﷺ بكل ثقة: «**نعم.. أخبراه ذلك عني.. وقولا له: إن ديني**

وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى.. وينتهي إلى منتهى الخف والحافر..

ـ وقولا له: إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من الأبناء..».

فخرج الرجلان من عنده ﷺ يخبان السير إلى اليمن.. حتى قدما على باذان وأخبراه الخبر.. فإذا هو لم يبلغه ما وقع في فارس لبعد المسافة..

ـ فقال باذان: والله ما هذا بكلام ملك.. وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول.. ولننظرن ما قد قال.. فلئن كان ما قد قال حقاً فإنه لنبي مرسل.. وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا.. فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه ابن كسرى.. يخبره أنه صار الملك.. ويأمره بالطاعة.. فنظر باذان في وقت مقتل كسرى.. فإذا هي الساعة التي أخبر النبي ﷺ بها الرجلين.. فقال باذان: إن هذا الرجل لرسول الله.. ثم أسلم باذان لله تعالى.. وأسلم أهل اليمن[1]..

وعليك السلام.. خبيب..!!

قدم على رسول الله ﷺ بعد معركة أُحد قوم من قبيلتي عضل والقارة.. فقالوا: يا رسول الله.. إن فينا إسلاماً.. فابعث معنا نفراً من أصحابك.. يفقهوننا في الدين.. ويقرئوننا القرآن.. ويعلموننا شرائع الإسلام..

فبعث رسول الله ﷺ معهم نفراً ستة من خيار أصحابه.. وهم: مرثد بن أبي مرثد الغنوي.. وخالد بن البكير الليثي.. وعاصم بن ثابت.. وخبيب بن عدي.. وزيد بن الدثنة.. وعبد الله بن طارق .. رضي الله عنهم..

فخرجوا مع القوم.. وكانوا يمرون بقبائل كافرة.. ويتخفّون.. حتى وصلوا إلى موضع اسمه «الرجيع».. وهو قريب من قبيلة هذيل..

فسمعت بهم قبيلة هذيل.. فخرج إليهم مائة فارس من هذيل.. فاقتصوا

---

(١) ذكره ابن إسحاق في السيرة.

آثارهم.. حتى أتوا منزلاً نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة.

ـ فقالوا: هذا تمر يثرب.. فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم..

فلما أدركوهم.. هجموا عليهم.. فلجأ الصحابة إلى هضبة.. فأقبل القوم فأحاطوا بهم.. وحاولوا الصعود إليهم.. فلم يقدروا..

ـ فقالوا للصحابة: لكم العهد والميثاق.. إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلاً..

ـ فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر..

ـ ثم رفع بصره إلى السماء وقال: اللهم أخبر عنا رسولك ﷺ.. فثار الهذليون.. وقاتلوا الصحابة وجعلوا يرمونهم بالنبل.. حتى قتلوا عاصماً وأصحابه.. وبقي خبيب بن عدي.. وزيد بن الدثنة.. وعبد الله بن طارق..

فناداهم القوم.. وأعطوهم العهد والميثاق.. فاستسلموا لهم.. فنزل الصحابة إليهم.. فلما استمكنوا منهم.. حلوا أوتار قسيهم.. فربطوهم بها..

ـ فقال عبد الله بن طارق: هذا أول الغدر.. وأطلق يده من الرباط.. وأخذ سيفه.. وتأخر عنهم.. ورفع السيف.. وكان شجاعاً قوياً.. فلم يجرؤوا على الاقتراب منه.. فأخذوا يرمونه بالحجارة.. حتى مات رضي الله عنه..

وانطلقوا بخبيب.. وزيد.. حتى باعوهما بمكة.. فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر.. وكان خبيب قد قتل الحارث في معركة بدر.. وأما زيد.. فابتاعه صفوان بن أمية.. ليقتله عوضاً عن أبيه الذي قتله المسلمون في معركة بدر.. ودفعه صفوان إلى عبد له اسمه نسطاس.. ليقتله.. خرج به نسطاس من مكة ليقتله.. واجتمعت قريش.. لتراه.. فيهم أبو سفيان بن حرب..

ـ فقال له أبو سفيان ـ حين رأى زيداً مربوطاً ليقتل ـ: أنشدك بالله يا زيد: أتحب أن محمداً الآن عندنا.. مكانك نضرب عنقه.. وأنك في أهلك؟

ـ فقال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه.. تصيبه شوكة تؤذيه.. وأني جالس في أهلي..

ـ فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً.. كحب أصحاب محمد محمداً ﷺ.. ثم قتله نسطاس.. فرضي الله عن زيد..

وأما خبيب بن عدي.. فحبسوه أياماً.. فرأوا منه عجباً!!

ـ قالت ماوية وهي جارية عندهم: حبسوا خبيباً في بيتي.. فلقد اطلعت عليه يوماً.. وإن في يده عنقوداً من عنب كبير مثل رأس الرجل.. يأكل منه..!! وما أعلم في وقته في أرض الله عنباً يؤكل..

ـ وقال لي حين أجمعوا على قتله: ابعثي إلي بحديدة (سكين أو موسى) أتطهر بها قبل القتل.. أراد أن يزيل بها بعض الشعر من جسده..

ـ قالت: فناولت غلاماً لي سكيناً حادة.. فقلت له: أدخل بها على هذا الرجل البيت فأعطه إياها.. فلما ذهب الغلام.. ندمت وقلت: ماذا صنعت!! أصاب والله الرجل ثأره.. يقتل هذا الغلام فيكون رجلاً برجل..

فلما ناوله السكين.. أخذها من يده.. ثم قال: لعمرك ما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة إلي.. ثم خلى سبيله.. ثم خرجوا بخبيب ليصلبوه.. فلما عاين الموت.. قال لهم: إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين..

ـ قالوا: دونك فاركع.. فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما..

ـ ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة.. فكان خبيب رضي الله عنه أول من سن للمسلمين هاتين الركعتين عند القتل.. ثم رفعوه على خشبة.. فلما أوثقوه.. رفع بصره إلى السماء وقال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك.. فبلغه الغداة ما يصنع بنا..

ـ ثم دعا عليهم فقال: اللهم أحصهم عدداً.. واقتلهم بدداً.. ولا تغادر منهم أحداً.. ثم قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي شق كان في اللّه مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قتلوه.. هذا ما حدث في مكة..

وعلى بعد أكثر من أربعمائة كيلو.. في المدينة.. وفي اللحظة نفسها التي استشهد فيها خبيب.. كان التأثر بادياً على رسول الله ﷺ وهو بين أصحابه.. وهو يهم أن يخبرهم بخبر إخوانهم الذين أرسلهم دعاة.. فإذا هم شهداء..

فقال ﷺ: وعليك السلام خبيب.. وعليك السلام.. ثم قال: خبيب.. قتلته قريش..

رحم الله أبا ذر!!

لما سار رسول الله ﷺ إلى تبوك.. كان الطريق شاقاً.. والحر شديداً.. وجعل بعض الناس يتخلف.. والنبي ﷺ لا يشدد على من تخلف..

فإذا قيل: يا رسول الله.. تخلف فلان.. يقول: «**دعوه.. إن يكُ فيه خير فسيلحقه الله بكم.. وإن يكُ به غير ذلك فقد أراحكم الله منه..**».

خرج ﷺ وأصحابه.. ومضوا يسيرون على الرمال الحارة.. كان أبو ذر من خيار الصحابة.. وكان على بعير كليل ضعيف.. فتأخر عنهم..

فتلفت بعض الصحابة فلم ير أبا ذر.. فقالوا: يا رسول الله تخلف أبو ذر.. وأبطأ به بعيره.. فقال عنه ﷺ كما قال عن غيره: «**دعوه.. إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم.. وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه..**».

أبو ذر.. أتعبه بعيره.. وتعسّر عليه في المشي.. فلما رأى أبو ذر بعيره قد أبطأ عليه.. نزل.. وأخذ متاعه فحمله على ظهره.. ثم مضى ماشياً وترك البعير.. وأسرع ليلحق برسول الله ﷺ.. يسير في الحر والشمس.. على قدميه..

وفي أثناء الطريق.. نزل رسول الله ﷺ.. في بعض الطريق.. فقال بعض المسلمين: يا رسول الله.. هذا رجل ماش على الطريق.. مقبل علينا..

فنظر النبي ﷺ إلى هذا القادم.. الذي يمشي في شدة البحر.. ومتاعه على ظهره.. والغبار يخفيه تارة.. ويظهره تارة.. فقال ﷺ: «**كن أبا ذر..**».

فلما تأمله القوم.. قالوا: يا رسول الله.. هو والله أبو ذر.. فقال ﷺ.. وكأنه ينظر إلى الأفق البعيييييد: «**يرحم الله أبا ذر.. يمشي وحده.. ويموت وحده.. ويبعث وحده..**».

ومضت السنين. وتوفي النبي ﷺ.. وتولى بعده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.. وفي عهد عثمان.. خرج أبو ذر عن المدينة وسكن في الربذة.. في خيمة في الصحراء.. وسكن مع من تبقى من أهله.. زوجة وغلام..

فلما كبر وحضرته الوفاة.. جلست أم ذر عند رأسه تبكي.. فالتفت إليها وقال: ما يبكيك؟ فقالت: ما لي لا أبكي!! وأنت تموت بفلاة من الأرض.. وليس عندي ثوب يَسَعُكَ كفناً..

قال: فلا تبكي.. وأبشري.. فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفرٍ أنا فيهم: «**ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض.. يشهده عصابة من المؤمنين**».. وليس أولئك النفر الذين قال لهم ذلك أحد إلا وقد هلك في قرية جماعة.. وأنا الذي أموت بفلاة..

ثم قال أبو ذر بكل يقين: والله ما كَذبتُ.. ولا كُذِبتُ.. فأبصري الطريق..

ـ قالت: وأنَّى!! وقد ذهب الحجاج! وانقطعت الطرق!

ـ قال: اذهبي فتبصري..

فمضت المرأة تمشي.. فتصعد الكثيب.. فتنظر في أدنى الطريق وأقصاه فلا ترى أحداً.. فترجع إليه فتمرضه وتهتم به.. فإذا اشتد عليه الأمر.. قامت ونظرت في الطريق.. فلا ترى أحداً.. فترجع.. فبينما هي كذلك.. إذا هي برجال على رحالهم يقبلون من بعيد حتى وقفوا عليها..

ـ فقالوا: ما لك يا أمة الله..؟

ـ قالت: امرؤ من المسلمين يموت.. تكفنونه؟

- قالوا: من هو؟

- قالت: أبو ذر..

- قالوا: صاحب رسول الله ﷺ؟

- قالت: نعم..

فتصايحوا.. أبو ذر.. أبو ذر.. ودخلوا الخيمة مسرعين.. فلما جلسوا عند رأسه.. رحّب بهم.. وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم: «**ليموتن منكم رجل بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين**».. وليس من أولئك النفر أحد إلا هلك في قرية وجماعة.. وأنا الذي أموت بفلاة.. أنتم تسمعون؟ إنه لو كان عندي ثوب يسعني كفناً لي.. أو لامرأتي.. أنتم تسمعون؟

إني أشهدكم.. أن لا يكفنني رجل منكم.. كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً.. فنظروا.. فإذا ليس أحد منهم إلا قارف بعض ذلك.. إلا فتى معهم من الأنصار.. قال: يا عم.. أنا أكفنك.. لم أصب مما ذكرت شيئاً.. أكفنك في ردائي هذا.. وفي ثوبين معي من غزل أمي حاكتهما لي.. ثم لما مات وجهزوه.. مر بهم عبد الله بن مسعود.. في أصحاب معه من أهل الكوفة..

- فقال: ما هذا؟

- فقيل: جنازة أبي ذر.. فاستهل ابن مسعود يبكي.. وقال: صدق رسول الله ﷺ: «**يرحم الله أبا ذر.. يمشي وحده.. ويموت وحده.. ويبعث وحده**» ثم نزل ابن مسعود فوليه بنفسه حتى دفنه..

عجب الله من صنيعكما!

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ.. فقال: إني مجهود.. كان الجوع ظاهراً على محيا الرجل.. فأرسل النبي ﷺ إلى بعض نسائه يسألها إن كان عندها طعام.. فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء.. ثم أرسل ﷺ

إلى زوجته الأخرى.. يسألها.. هل يوجد عندها شيء.. خبز.. تمر.. لبن..

فقالت مثل ما قالت الأولى: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء.. فأرسل إلى الأخرى.. والأخرى.. حتى قلن كلهن مثل ذلك: ما عندهن إلا ماء.. فالتفت ﷺ إلى أصحابه.. فقال: من يضيف هذا الليلة .. رحمه الله.

كان أكثر الصحابة حالهم كحاله ﷺ.. إن وجدوا غداء لم يجدوا عشاء.. وإن وجدوا عشاء لم يجدوا فطوراً.. فسكت الصحابة.. والرجل ينتظر ضيافته.. فهو ضيف نبيهم عليه الصلاة والسلام.. فقام رجل من الأنصار.. فقال: أنا يا رسول الله..

ثم انطلق الأنصاري بالرجل إلى بيته.. دخلا.. فقال لامرأته: هل عندك شيء؟

ـ قالت: لا.. إلا قوت صبياني..

ليس في البيت إلا عشاء الصبيان تلك الليلة.. ولعله وجبتهم الوحيدة ذلك اليوم.. وهو مع ذلك قليل.. كان الموقف عصيباً.. لكنه موقف رجولي في الوقت نفسه..

ـ فقال الرجل: عللهم بشيء.. أي: أشغليهم حتى يناموا.. من غير عشاء.. فإذا جلس ضيفنا على الطعام.. فقومي إلى السراج كأنك تصلحينه.. فأطفئيه.. وأريه أنا نأكل معه.. وهكذا كان.. قعدوا مع الضيف في الظلام.. الرجل وامرأته يمضغان ألسنتهما.. والضيف يأكل الطعام..

وانتهت الوليمة.. وخرج ضيف رسول الله ﷺ ريان شبعان.. فلما أصبح الرجل الأنصاري.. غدا على النبي ﷺ.. فلما رآه ﷺ قال: «**قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**..» وإذا خبر السماء قد كشف له الحال[1]..

---

(١) رواه مسلم.

وقفة:

هذا هو النوع الأول من معجزاته ﷺ.. وهو بلا شك من إخبار الله تعالى له.. وإلا فنحن نعلم أن الغيب لا يعلمه إلا الله.. كما قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧]..

ولقد أمر الله نبيه أن يخبرنا بأنه لا يعلم الغيب.. فقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨]..

وعِلْمُ رسول الله تعالى لشيء من الغيب هو من آيات نبوته.. ولا يجوز لأحد كائناً من كان أن يدعي أنه يكشف له الغيب.. بل ولا يجوز تصديق من يدعون ذلك.. أو سؤالهم..

النوع الثاني

معجزاته الكونية.. انشقاق القمر

دعا النبي ﷺ الكفار بكل سبيل.. وهم يكذبون ويبحثون عن حجج وأعذار.. حتى قالوا له يوماً: شق لنا القمر!! فدعا النبي ﷺ ربه.. ودعا.. وفجأة.. انشق القمر نصفين!!

قال ابن مسعود رضي الله عنه: رأيت القمر منشقاً شقتين بمكة.. قبل مخرج النبي ﷺ منها. شقة على جبل أبي قبيس.. وشقة على السويداء[1]..

رأى الكفار ذلك.. فشدهت أبصارهم.. لكن غلبهم شيطانهم وقالوا: هذا سحر سحركم به.. ثم لأجل أن يخرجوا من حرج الموقف.. قالوا: انظروا المسافرين القادمين..

فإن كانوا وهم في ديارهم رأوا مثل ما رأيتم.. فقد صدق.. وإن لم يكونوا رأوا مثل ما رأيتم.. فهو سحر.. فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم..

---

(١) رواه البخاري.

فلما وصل أول المسافرين إلى مكة.. سألتهم قريش: هل رأيتم القمر منشقاً..

قالوا: نعم.. ليلة كذا وكذا.. ثم وصل بقية المسافرين.. وكلهم يجيبون الجواب نفسه.. فكذبت قريش واستكبرت وقالت: هذا قد سحر الناس كلهم..

وأنزل الله تعالى خبر هذه المعجزة في كتابه فقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ [القمر: ١ ـ ٧]..

والعجب أن الأبحاث العلمية المنشورة اليوم.. المتخصصة في دراسات حول القمر.. أثبتت وجود شق يقطع القمر نصفين.. وكأنه أصابه في ما مضى انشقاق..

أشار للسماء فأطاعته

ومن تأثيره ﷺ.. أنه أشار إلى السماء فأطاعته بإذن الله.. ففي فترة من عهد النبوة المبارك تقلص المطر. وأجدبت الأرض.. وماتت الزروع.. فبينما هو ﷺ يخطب الناس على منبره يوم الجمعة.. إذ دخل رجل المسجد.. ورسول الله ﷺ قائماً يخطب. فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً.. ولم ينتظر.. بل قطع الخطبة.. وصاح بأعلى صوته.. قال: يا رسول الله.. هلكت الأموال.. وانقطعت السبل.. فادع الله يغيثنا..

كان الرجل يتكلم من حرقة أصابته.. وهو يرى أولاده جوعى.. وأغنامه هلكى.. السبل تقطعت.. والأرض أجدبت.. والأموال نفدت..

كان رسول الله ﷺ يعيش هموم أصحابه.. فلم يتأخر وإنما رفع يديه إلى السماء.. ودعا.. وتضرع والتجأ وقال: «**اللهم اسقنا.. اللهم اسقنا.. اللهم**

اسقنا..» كان أنس ﷺ حاضراً بين المصلين.. فلما رأى النبي ﷺ يبتهل ويستسقي.. رفع بصره ينظر إلى السماء..

قال أنس: فلا والله.. ما نرى في السماء من سحاب ولا من قزعة.. وإن السماء لمثل الزجاجة.. وما بيننا وبين سلع من دار.. فوالذي نفسي بيده.. ما وضع يديه حتى ثار السحاب أمثال الجبال..

ثم لم ينزل رسول الله ﷺ عن منبره.. حتى رأيت المطر يتحادر عن لحيته..!! وأمطرت السماء.. سبعة أيام متواصلة.. حتى رويت الأرض.. وشبعت الأنعام. وفي الجمعة الأخرى.. قام ﷺ يخطب الناس على منبره المبارك.. وفجأة فإذا الرجل نفسه.. أو غيره.. يدخل من ذلك الباب نفسه.. ورسول الله ﷺ قائم يخطب.. فاستقبله قائماً.. فقال: يا رسول الله.. هلكت الأموال.. وانقطعت السبل.. فادع الله يمسكها عنا..

فرفع رسول الله ﷺ يديه.. ثم قال: «**اللهم حوالينا ولا علينا.. اللهم على الآكام.. والظراب.. وبطون الأودية.. ومنابت الشجر..**» ثم جعل ﷺ يشير بيده إلى نواحي السحاب في السماء..

قال أنس: فما يشير ﷺ بيده إلى ناحية إلا تفرجت.. حتى رأيت المدينة في مثل الجوبة.. أي: صارت المياه حولها.. وهي كالجزيرة..

وسال وادي قناة شهراً.. ولم يجيء أحد من ناحية.. إلا أبر بجود ومطر.. أي: كان من وصل إلى المدينة من سفر أخبرهم بكثرة الأمطار حولها.. وهذا من بركة دعائه ﷺ «حوالينا ولا علينا»[1] ولا شك أن تأثيره ﷺ في السحاب.. هو من القدرة التي مكّن الله تعالى نبيه ﷺ منها.. وتصرفه ﷺ فيما حوله.. هو بإذن الله ومشيئته.

كما كان عيسى عليه السلام.. يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله.. وإلا فلو شاء الله تعالى لما مكّن أحداً من البشر لا نبياً ولا غيره من فعل هذه الأشياء.. ولكنه ﷻ يمكّنهم منها.. لحكمة يريدها..

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

النوع الثالث

من معجزاته: تصرفه في الحيوان.. أم معبد

لما ضيقت قريش على المؤمنين في مكة.. جعلوا يهاجرون منها إلى غيرها.. ثم عزم ﷺ على الهجرة.. وخرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر.. معهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر.. ودليلهم على الطريق عبد الله بن أريقط الليثي.. كانت قريش قد جعلت الجوائز لمن يقبض عليهم.. وصار الناس يطلبونهم.. ويلتمسونهم في كل مكان..

في أثناء الطريق.. فنيت أزوادهم.. فمروا بخيمتين لامرأة من الأعراب اسمها أم معبد الخزاعية.. وكانت أم معبد امرأة جريئة.. تجلس خارج خيمتها.. عند الباب.. وربما أسقت من يمر بها ماء.. أو أطعمته شيئاً إن كان عندها.

فلما رآها النبي ﷺ ومن معه.. سألوها: هل عندها لحم.. أو لبن.. يشترونه منها.. فلم يكن عندها شيء من ذلك.. فاعتذرت وقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى..

فنظر النبي ﷺ حولها.. فإذا القوم ـ فعلاً ـ مرملون.. مسنتون.. أرضهم مجدبة.. وأنعامهم هزيلة.. كان ﷺ وأصحابه قد اشتد عليهم الجوع.. فلمح ﷺ في طرف بيتها شاة هزيلة.. فقال: «**ما هذه الشاة يا أم معبد؟!**».

ـ فقالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم..

ـ قال: «**فهل بها من لبن؟**».

ـ قالت: هي أجهد من ذلك..

ـ قال: «**تأذنين لي أن أحلبها؟**».

ـ قالت: إن كان بها حلب.. فاحلبها..

فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسحها.. وذكر اسم الله.. ومسح ضرعها.. وذكر اسم الله.. ودعا بإناء كبير.. وفجأة فإذا بالشاة.. يكبر

ضرعها.. ويمتلئ حليباً.. وتباعد رجليها عن بعضهما استعداداً للحلب.. فحلب ﷺ في الإناء حتى ملأه.. وسقى أم معبد.. وسقى أصحابه.. فشربوا.. حتى شبعوا.. ثم شرب هو ﷺ ثم حلب في الإناء ثانياً حتى ملأه.. وتركه عند أم معبد.. وخرج مع أصحابه..

فما لبثت أم معبد أن جاء زوجها أبو معبد يسوق غنماً هزالاً عجافاً.. لا طعام ولا مرعى.. فلما رأى اللبن.. تعجب!! وقال: من أين هذا اللبن.. يا أم معبد؟ ولا حلوبة في البيت! والشاة عازب!

- فقالت: لا.. والله إنه مر بنا رجل مبارك.. وحدث معه.. كذا وكذا.. فعجب أبو معبد.. وقال: صفيه لي.. فوالله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلب..

- فقالت أم معبد: رأيت رجلاً: ظاهر الوضاءة.. حسن الخلق.. مليح الوجه.. لم تعبه ثجلة.. ولم تزر به صعلة.. قسيم.. وسيم.. في عينيه دعج.. وفي أشفاره وطف.. وفي صوته صحل.. أكحل.. أزج.. أقرن.. في عنقه سطع.. وفي لحيته كثاثة.. إذا صمت فعليه الوقار.. وإذا تكلم سما.. وعلاه البهاء..

حلو المنطق.. فصل.. لا نزر.. ولا هذر.. كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن.. أبهى الناس.. وأجمله من بعيد.. وأحسنه من قريب.. ربعة لا تنساه عين من طول.. ولا تقتحمه عين من قصر.. غصن بين غصنين.. فهو أنضر الثلاثة منظراً.. وأحسنهم قداً.. له رفقاء يحفون به.. إن قال استمعوا لقوله.. وإن أمر تبادروا لأمره.. محفود محشود.. لا عابس.. ولا معتد..

ومضت أم معبد تصف أعظم رجل عرفته الدنيا.. فماذا عساها تذكر أو تترك!!

فقال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي تطلب.. ولو صادفته لالتمست أن أصحبه.. ولأجهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً..

استجابة جمل..

كَانَ أَهْلُ بَيْتٍ منَ الأنْصَارِ لَهُمْ جَمَلٌ يَسْنُونَ عَلَيْهِ.. أي: يستخرجون عليه الماء من البئر.. وَإِنَّ الْجَمَلَ اسْتُصْعِبَ عَلَيْهِمْ فَمَنَعَهُمْ ظَهْرَهُ.. وهاج عليهم.. فلم يستطيعوا استعماله.. ولا الركوب عليه.. فتعطلت منافعهم.. والناس فقراء لا يقدرون على شراء غيره..

فجاء أصحابه إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ لَنَا جَمَلٌ نُسْنِي عَلَيْهِ.. وَإِنَّهُ اِسْتُصْعِبَ عَلَيْنَا وَمَنَعَنَا ظَهْرَهُ.. وَقَدْ عَطِشَ الزَّرْعُ وَالنَّخْلُ..

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأصْحَابِهِ: **«قُومُوا»**.. فَقَامُوا يمشون معه.. فَمضى حتى دَخَلَ البستان.. فإذا الجمل فِي نَاحِيَةِ منه.. فَمَشَى النَّبِيُّ ﷺ نَحْوَهُ..

فخاف الأنصار أن يؤذي الجمل رسول الله ﷺ.. فَقَالوا: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنَّهُ قَدْ صَارَ مِثْلَ الْكَلْبِ الْكَلِبِ.. أي: مثل الكلب الهائج الثائر.. وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ صَوْلَتَهُ..

فَقَالَ ﷺ: **«لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ»**.. ومضى يمشي إليه.. فَلَمَّا نَظَرَ الْجَمَلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.. أَقْبَلَ يمشي نَحْوَ النبي عليه الصلاة والسلام.. حَتَّى خَرَّ سَاجِداً بَيْنَ يَدَيْهِ.. فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِنَاصِيَتِهِ.. أي: بأعلى رأسه.. والجمل بين يديه ذليل هادئ منساق بين يديه.. حَتَّى أَدْخَلَهُ فِي عَمَله.. وخطمه ﷺ وربطه..

فعجب الصحابة وقَالوا: يَا رَسُولَ اللهِ.. هَذِهِ بَهِيمَةٌ لَا تَعْقِلُ تَسْجُدُ لَكَ..!! وَنَحْنُ نَعْقِلُ.. فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ.. فَقَالَ ﷺ: **«لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ.. وَلَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا»**.. قال أبو نعيم في ما تضمنته هذه الحادثة وأمثالها: إما أَنْ يَكونَ النبي ﷺ أعطي علماً بمنطق هذه البهائم.. فذلك له آية كما كان لسليمان عليه السلام آية بعلم منطق الطير.. أو أنه علم ذلك بالوحي.. وأيُّ ذلك كان ففيه أعجوبة وآية معجزة.

وأخيراً: هذا التحكم في الحيوان هو بإذن الله تعالى.. ومحكوم بإرادة الله ومشيئته.. وإلا فقد يريد النبي ﷺ من الحيوان شيئاً ولا يكون.. كما حدث لما أقبل ﷺ راكباً ناقته القصواء معتمراً.. قبل فتح مكة..

وفجأة بركت به ناقته ﷺ.. فأرادها على المشي.. فأبت عليه.. فقال الناس: خلأت القصواء.. أي: عصت.. فقال عليه الصلاة والسلام: «**ما خلأت القصواء.. وما هو لها بخلق.. ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة.. يعني أصحاب الفيل.. أبرهة وأصحابه**»..

ثم قال ﷺ: «**لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها.. ثم حصل بينه ﷺ وبين قريش صلح الحديبية المشهور.. ورجع عليه الصلاة والسلام إلى المدينة**»[1]..

أما النوع الرابع

تأثيره ﷺ في الأمراض وشفائها

كان أبو رافع سلام بن أبي الحقيق.. زعيماً من زعماء اليهود.. وكان كثير الأذى لرسول الله ﷺ.. وكان يحرّض مشركي مكة على قتال النبي ﷺ..

وكان في حصن له بعيد عن المدينة بالقرب من خيبر.. فبعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار.. وهم من الخزرج.. فأمّر عليهم عبد الله بن عَتِيكْ.. وكان أبو رافع اليهودي يؤذي رسول الله ﷺ ويُعين عليه.. وكان ممن أعان قبيلة غطفان.. وأعان أيضاً مشركي العرب بالمال الكثير على رسول ﷺ..

ويقول لهم: أنا أتكفل بهذا كله لكم.. ويذهب إلى مشركي مكة ويقول لهم: تعالوا إلى محمد.. إنكم أولو بأس وقوة.. ثم تتركون هذا الرجل.. وكان هذا اليهودي له اليد الطولى في جمع الأحزاب في غزوة الخندق.. فهو الذي جمع كل المشركين..

---

(١) رواه البيهقي وأحمد بإسناد صحيح.

وجاء بهم صوب النبي ﷺ يتمنى هزيمتهم والقضاء على المسلمين.. وهو الذي أغرى يهود بني قريظة بأن يخونوا المواثيق والعهود مع النبي ﷺ.. هذا هو أبو رافع وهذه بعض إنجازاته..

عندها شُكّلت فرقة بقيادة عبد الله بن عتيك.. ومعه عبد الله بن عتبة.. وعبد الله بن أُنيس.. وانطلقوا من المدينة قبل غروب الشمس.. وكان أبو رافع في حصن له بأرض الحجاز بالقرب من خيبر..

فلما دنوا منه وقد غربت الشمس.. كان الحصن الذي يسكنه أبو رافع.. منيعاً.. له باب يفتح في الصباح فيخرج المزارعون ورعاة الغنم.. ثم يقفل.. ويفتح عند غروب الشمس ليدخلوا.. فقال عبد الله بن عتيك لأصحابه رضي الله عنهم: اجلسوا مكانكم.. فإني منطلق ومتلطّف للبواب.. لعلّي أن أدخل..

فأقبل عبد الله حتى دنا من الباب.. فإذا البواب دقيق حريص.. لا يدخل أحد إلا نظر إليه وعرف من هو.. جعل عبد الله بن عتيك يرقب الباب ليدخل..

فأقبل الناس عند غروب الشمس.. بمواشيهم ودوابهم وأدخلوها إلى الحصن وعادوا من الرعي.. وههنا فقد بعض اليهود من أهل الحصن حماراً لهم.. فخرجوا بشعلة نار يبحثون عنه.. وهذا بعد غروب الشمس.. جعلوا يطلبون ذلك الحمار..

وكان عبد الله قريباً من الحصن.. قال: فخشي أن يُعرف.. فغطى رأسه كأنه يقضي حاجة.. ووجد اليهود حمارهم فعادوا إلى حصنهم.. ثم نادى البواب: من أراد أن يدخل فليدخل.. ثم هتف البواب بعبد الله يحسبه منهم: إن كنت تريد أن تدخل فادخل.. فإني أريد أن أغلق الباب.. فقام عبد الله.. ودخل حصن اليهود.. ثم نظر في الداخل.. يريد مكاناً آمناً له يختبئ فيه..

فوجد مربط حمار عند باب الحصن.. فاختبأ فيه.. ولما دخل الناس لحظ عبد الله.. أين سيضع البواب المفاتيح التي للحصن.. فخبأ البواب مفاتيحه..

فلبث في مخبئه قليلاً.. حتى هدأ الناس.. وأطفؤوا السرج.. فقام فأخذ المفاتيح.. وفتح أبواب الحصن من الداخل.. وتركها مفتوحة شيئاً يسيراً..

وكانت ليلة مقمرة.. ثم مرّ على أبواب بيوت الناس من الخارج التي داخل الحصن.. وجعل يغلقها عليهم من الخارج..

حتى وصل إلى بيت أبي رافع.. وكان بيته في مكان مرتفع لا يوصل إليه إلا بسلم ودرج.. فسمع عبد الله صوت أبي رافع.. وكان يسمر مع عدد من أصحابه.. يخططون ويمكرون.. فجلس عبد الله في مكان لا يرونه ينتظر.. فتحدث أصحابه معه حتى انقضى أكثر الليل.. ثم خرجوا فرجعوا إلى بيوتهم.

فلما رأى عبد الله ذلك صعد إليه.. وجعل يفتح الأبواب ماضياً إلى غرفة أبي رافع بحذر.. وصار كلما فتح باباً أغلقه من الداخل.. حتى لو علم به الحراس يتأخر وصولهم إليه..

صعد عبد الله السلم.. فلما جاء عند باب دار أبي رافع.. فتح الباب.. فدخل فوجد الغرفة مظلمة.. وقد طفئ السراج.. وكان عبد الله بن عتيك ضعيف البصر.. كما ذكر المؤرخون.. فلم يدر أين الرجل؟! بصر ضعيف.. وظلمة شديدة!!

فنادى قائلاً: أبا رافع..

فتنبه أبو رافع للصوت.. وقال: من هذا؟

فانطلق عبد الله نحو الصوت.. وضرب أبا رافع ضربة بالسيف.. فدهش أبو رافع.. لكن السيف.. لم يصب الهدف تماماً.. فلم يمت..

فصاح أبو رافع.. وفشلت المحاولة.. فخرج عبد الله مسرعاً.. فلما جاوز الباب.. سمع صوت أبي رافع يئن.. لم يمت!!

فرجعت إليه مرة أخرى.. ودخل عليه كأنه أحد الحراس.. فإذا الغرفة مظلمة.. فغيّر عبد الله صوته وقال: ما لك يا أبا رافع؟ فجعل أبو رافع يصيح مستغيثاً: إن رجلاً في البيت ضربني بالسيف..

فانطلق عبد الله إليه وأهوى عليه بالسيف.. بضربة أخرى أثخنته.. ولكنها لم تقتله أيضاً.. عندها صاح أبو رافع.. وخرج عبد الله مسرعاً نحو الباب..

وبدأت الحركة في البيت.. والحراس يستيقظون.. وأبو رافع يئن.. فرجع إليه عبد الله.. وتكلم مغيراً صوته.. ما لك يا أبا رافع.. فتوجه عبد الله إليه.. ووضع السيف في بطنه.. ثم اتكأ عليه.. حتى خرج من ظهره..

قال عبد الله: فسمعت صوت عظام ظهره.. فعرفت أني قتلته.. توجه عبد الله نحو الباب يبحث عنه في الظلام.. وقد ثار الحراس.. واضطرب الناس.. وجد الباب.. فخرج مسرعاً منه وجعل يفتح الأبواب.. باباً باباً.. حتى أتى السُلّم.. وجعل ينزل مسرعاً..

فظن أن السلم انتهى.. فقفز.. فوقع على الأرض.. فانكسرت ساقه.. فحلَّ عمامته.. فربط بها ساقه.. ومضى يقفز على رجل واحدة.. نحو باب الحصن.. خرج عبد الله من الحصن.. وهو يعرج.. وصل إلى أصحابه وهم ينتظرون..

وقال لهم: انطلقوا.. فبشِّروا رسول الله ﷺ أما أنا فإني لا أبرح مكاني هذا.. حتى أسمع ناعيه.. وكانوا في الجاهلية إذا مات فيهم الرجل الشريف في قومه.. قال رجل في الصبح على شرفة بيت مرتفع.. ونادى في الناس يخبرهم.. وينشد فيه الأشعار..

فأراد عبد الله أن يتأكد تماماً أن الرجل مات.. فمضى أصحاب عبد الله.. وتركوا عنده دابة.. فلما كان الصبح.. صعد الناعي على السور.. وعبد الله بن عتيك ينظر إليه من خارج الحصن.. فقال الناعي: أيها الناس.. أنعي إليكم أبا رافع تاجر أهل الحجاز.. ففرح عبد الله.. وانطلق وراء أصحابه.. فأدركهم قبل أن يأتوا رسول الله ﷺ فلما وصل إلى النبي ﷺ صاح قائلاً: النجاء.. النجاء.. فقد قتل الله أبا رافع..

كانت ساق عبد الله مكسورة.. يمشي أعرج.. فلما رأى النبي عليه الصلاة والسلام ساقه المكسورة.. قال له: «**ابسط رجلك**».. فبسطها..

فمسح النبي ﷺ عليها بيده.. والناس ينظرون.. فما كادت يد رسول الله ﷺ تفارق رجل عبد الله حتى قام ليس بها بأس أبداً.. فهذا من آيات نبوته ﷺ[١]..

شفاء عيني علي رضي الله عنه

خرج ﷺ مع أصحابه إلى غزوة خيبر.. وطالت محاصرتهم لحصون خيبر.. ولم يتيسر فتحها لهم.. فقال ﷺ لأصحابه: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه.. يحب الله ورسوله.. ويحبه الله ورسوله**»..

فبات الناس طوال ليلهم.. يتفكرون.. ويتحثون.. فيمن سينال هذا الشرف.. وكان كل واحد منهم يرجو أن يعطاها.. فلما أصبح الناس غدوا على النبي ﷺ.. كلهم يتمنى أن يعطى الراية.. فقال ﷺ: «**أين علي بن أبي طالب؟**».

قالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه.. وكان في عيني علي رضي الله عنه رمد شديد... حتى غطى على بصره تماماً فلا يرى شيئاً.. فأرسل النبي عليه الصلاة والسلام إليه.. فجاء علي رضي الله عنه يقودونه بيده.. حتى جلس بين يدي النبي ﷺ..

ففتح النبي ﷺ عينيه.. فبصق فيهما.. ودعا له.. فبرأ من لحظته.. حتى كأن لم يكن به وجع.. فأعطاه ﷺ الراية..

ـ فقال علي: يا رسول الله.. أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟

ـ قال ﷺ: «**انفذ على رسلك.. حتى تنزل بساحتهم.. ثم ادعهم إلى الإسلام.. وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه.. فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً.. خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»[٢]..

---

(١) رواه البخاري عن البراء بن عازب.

(٢) رواه مسلم.

النوع الخامس

تأثيره ﷺ في الأشجار
يفهم الجذع.. ويواسيه

كان الناس في القديم.. يعتمدون في بناء بيوتهم.. على جذوع النخل.. والطين والحجارة.. وكان مسجد النبي ﷺ عبارة عن سواري وأعمدة من جذوع النخل.. فوقها عريش من عسيب النخل..

فكان النبي ﷺ يقوم يوم الجمعة يخطب الناس قائماً.. فإذا تعب أسند ظهره إلى جذع نخلة منصوب في المسجد..

ـ فقالت امرأة من الأنصار: يا رسول الله.. إن لي غلاماً نجاراً.. ألا آمره فيصنع لك منبراً؟

ـ قال ﷺ: «**إن شئت**».. فأمرت المرأة غلامها.. فصنع منبراً.. وجاء به ووضعه في المسجد.. فلما كان يوم الجمعة.. أقبل النبي ﷺ إلى المنبر.. فصعده.. ثم سلَّم على الناس.. وقعد.. وشرع بلال في الأذان.. في هذه الأثناء.. سمع الصحابة صوت بكاء.. وأنين.. ثم سمعوا صوت خوار كخوار الثور.. فإذا الصوت من جذع النخلة يبكي.. وجعلت النخلة تصيح.. حتى كادت أن تنشق.. وارتج المسجد..

فنزل النبي ﷺ من على منبره.. وتوجه نحو جذع النخلة.. فضمه إليه ﷺ فجعلت النخلة تئن.. وتئن.. كأنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت..

فالتفت ﷺ إلى أصحابه.. وقال: «**بكى.. لما فقد من الذكر.. أما والذي نفس محمد بيده.. لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة**»[1]..

---

(١) رواه مسلم وأحمد.

انقياد شجرتين له ﷺ

في قصة جابر الطويلة في حكاية حج النبي ﷺ.. قال: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِياً أَفْيَحَ.. فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ.. فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ.. فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئاً يَسْتَتِرُ بِهِ.. فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي.. فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا.. فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا..

فَقَالَ: «**انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ**».. فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ.. الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ.. والبعير المخشوش هو الذي يجعلون في أنفه عوداً ويربطونه بحبل.. فإذا تمانع عن المشي شدوا الحبل فآلمه.. فانقاد شيئاً فشيئاً.. فهو يصانع قائده..

قاد ﷺ الشجرة حَتَّى أَتَى بها إلى الشَّجَرَةَ الأُخْرَى.. فَأَخَذَ بِغُصنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا..

فَقَالَ: «**انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ**».. فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ.. حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمُنَصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا.. لأَمَ ﷺ بَيْنَهُمَا ـ يَعْنِي جَمَعَهُمَا ـ وَقَالَ: «**الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ**».. فَالْتَأَمَتَا..

قَالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقُرْبِي فَيَبْتَعِدَ..

فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي.. فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ.. فإذا أنا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مُقْبِلاً.. وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدِ افْتَرَقَتَا.. فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ؛ أي: كما كانت[1]..

---

(١) رواه مسلم.

النوع السادس

التأثير في الماء والطعام

سافر رسول الله ﷺ مع أصحابه.. في يوم شديد الحر.. فأطالوا المسير.. ولم يكن في طريقهم ماء ولا بئر.. فَاشْتَكَى النَّاسُ الْعَطَشَ إلى رسول الله ﷺ.. فكان لا بد أن يجد لهم حلاً.. فَنَزَلَ ﷺ فَدَعَا رجلاً من أصحابه وَدَعَا عَلِيًّا.. فَقَالَ: «اذْهَبَا فَابْتَغِيَا الْمَاءَ».. ذهب علي رضي الله عنه وصاحبه يبحثان عن الماء.. فبينما هما كذلك.. إذ لَقَّيَا امْرَأَةً بَيْن مَزَادَتَيْنِ.. أَوْ سَطِيحَتَيْنِ - قربتين - مِنْ مَاءٍ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا.. فَقَالَا لَهَا: أَيْنَ الْماءُ؟

قَالَتْ: عَهْدِي بِالْماءِ أَمْسِ هَذِهِ السَّاعَةَ.. وَنَفَرُنَا خُلُوف.. يعني الماء بعيد بينكم وبينه مسيرة يوم وليلة..

- قَالَا لَهَا: انْطَلِقِي إِذاً..

- قَالَتْ: إِلَى أَيْنَ؟

- قَالَا: إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ..

- قَالَتِ: الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِئُ؟

وكانَ المشركون يعيرون النبي ﷺ بهذا الاسم.. الصابئ أي: المغير دينه.. فلم يطل الصحابيان معهما الكلام.. بل قالا: هُوَ الَّذِي تَعْنِينَ.. فَانْطَلِقِي..

مضت المرأة معهم على بعيرها.. فَجَاءا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.. فسألها عن الماء.. فذكرت أنه بعيد.. وذكرت له أنها ضعيفة وأم أيتام..

فتناول النبي عليه الصلاة والسلام قربتي الماء.. ومسح عليهما بيديه.. ثمَ دَعَا بِإِنَاءٍ فَفَرَّغَ فِيهِ مِنْ أَفْوَاهِ الْمزَادَتَيْنِ.. ثمَ نُودِيَ فِي النَّاسِ: اسْقُوا وَاسْتَقُوا.. فجعل الناس يأتون بآنيتهم.. فمنهم من يشرب.. ومنهم من يملأ قربته.. ومنهم من يصب في إنائه.. فَسَقَى مَنْ شَاءَ وَاسْتَقَى مَنْ شَاءَ..

وَالمرأة قَائِمَةٌ تَنْظُرُ إِلى مَا يُفْعَلُ بِمَائِهَا.. حتى روي الصحابة وعبؤوا

آنيتهم.. وإن قربتيها لم يتغير حجمها.. ولا كثرة مائها.. فأراد ﷺ أن يحسن إلى المرأة.. مع أنه لم ينقص من مائها شيئاً.. فَقَال لأصحابه: «**اجْمَعُوا لَهَا**»..

فَجَمَعُوا لَهَا مِنْ بَيْنَ تمر عَجْوَةٍ وَدَقِيق كسر خبز.. حَتَّى جَمَعُوا لَهَا طَعَاماً فَجَعَلُوهَ فِي ثَوْبٍ.. وَحَمَلُوهَا عَلَى بَعِيرِهَا.. وَوَضَعُوا الثَّوْبَ بَيْنِ يَدَيْهَا.. ثُمَ قَالَ لَهَا ﷺ: «**تَعْلَمِينَ مَا رَزِئْنَا مِنْ مَائِكِ شَيْئاً**»..» أي: ما أنقصنا منه شيئاً.. وَلَكِنَّ اللهُ هُوَ الَّذِي أَسْقَانَا..

مضت المرأة إلى أَهْلَهَا.. وَقَد تأخرت عليهم.

ـ فَقَالُوا: مَا حَبَسَك يَا فُلَانَةُ؟

ـ قَالَت: الْعَجَبُ.. لَقِيَنِي رَجُلَانِ فَذَهَبَا بِي إِلَى هَذَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِئُ؟

فَفَعَلَ كَذَا وَكَذَا.. فَوَاللهِ إِنَّهُ لأَسْحَرُ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ وَهَذِهِ.. وأشارت إلى السماء والأرض.. أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ حَقّاً.. ثم قيل إن المرأة أسلمت بعد ذلك.. وأسلم قومها[1].

ميضأة أبي قتادة رضي الله عنه

سار النبي ﷺ مع أصحابه في سفر.. وقلَّ معهم الماء.. فخطبهم النبي ﷺ فقال: «**إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم.. وتأتون الماء إن شاء الله غداً**»..

فانطلق الناس.. وطال سيرهم.. فاشتد بهم العطش.. ولم يجدوا ما يتوضؤون.. فدعا النبي ﷺ بميضأة كانت مع أبي قتادة.. وهي قربة ماء صغيرة..

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

فأتاه أبو قتادة بها.. وكان فيها شيء قليل من ماء.. فتوضأ منها ﷺ وضوءاً يسيراً.. وبقي فيها شيء من ماء.. ثم قال ﷺ لأبي قتادة: «**احفظ علينا ميضأتك.. فسيكون لها نبأ!!**» ثم مضوا في سيرهم..

فطلع النهار.. وحمي كل شي.. والناس يقولون: يا رسول الله.. هلكنا.. عطشنا.. فقال ﷺ: «**لا هُلك عليكم**».. ثم قال: «**أطلقوا لي غُمَري**».. أي: أحضروا إناء وضوئي..

ثم دعا ﷺ بميضأة أبي قتادة.. فأحضرها أبو قتادة.. قربة صغيرة بين يديه.. فيها بقية ماء يسير.. فأخذها ﷺ.. وحل سقاءها.. وقلبها وأخذ يصب منها..

فلما رأى الناس الماء.. تكابّوا عليه.. وازدحموا.. فقال ﷺ: «**أحسنوا الملأ.. كلكم سيروى**».. ثم جعل رسول الله ﷺ يصب في الإناء.. ويسقيهم أبو قتادة.. حتى رووا وملؤوا آنيتهم.. فما بقي غير أبي قتادة.. وغير رسول الله ﷺ..

ثم صب رسول الله ماء.. فقال لأبي قتادة: «**اشرب**»..

ـ قال: لا أشرب حتى تشرب.. يا رسول الله..

ـ فقال ﷺ: «**إن ساقي القوم آخرهم شرباً**»..

ـ قال أبو قتادة: فشربت.. وشرب رسول الله ﷺ وشرب الناس كلهم.. وكانوا ثلاثمائة.. وهذا من بركته ﷺ ومعجزاته الظاهرة[1]..

وفي غزوة تبوك

غزوة تبوك.. مليئة بالعجائب.. أصاب المسلمين فيها جوع وعطش ومشقة.. فهو طريق طويل.. وعددهم كبير.. فجمع النبي ﷺ الظهر والعصر جميعاً.. ثم جمع المغرب والعشاء جميعاً..

---

(١) رواه أحمد ومسلم.

فقال ﷺ لأصحابه: «**إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك.. وإنكم لن تأتوها حتى يضحى ضحى النهار.. فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً.. حتى آتي**».. ومضى الجيش يسير.. فلما وصلها النبي ﷺ فإذا قد سبق إلى عين الماء رجلان.. والعين قليلة الماء جداً.. ونبع الماء منها شحيح..

فلما رأى النبي عليه الصلاة والسلام الرجلين سألهما: «**هل مسستما من مائها شيئاً؟**».

ـ قالا: نعم..

فغضب النبي ﷺ عليهما.. كيف يمسان الماء وقد منع من ذلك.. وأعلن في الناس النهي عنه.. فسبهما ﷺ.. وقال لهما ما شاء الله أن يقول.. والصحابة عطشى.. ثم أمر النبي ﷺ بعض الصحابة.. فغرفوا من العين ماء قليلاً.. ثم قليلاً.. وجعلوه في إناء صغير.. ثم غسل رسول الله فيه وجهه ويديه.. ثم صب هذا الماء في العين..

فما كاد هذا الماء المبارك منه ﷺ يمس ماء العين حتى جرت العين بماء كثير.. فاستقى الناس.. وشربوا.. ورووا.. وتوضؤوا.. ثم التفت ﷺ إلى معاذ فقال: «**يا معاذ.. يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً.. أي: مزارع وبساتين**»[1]..

تكثيره الطعام

ـ قال جرير رضي الله عنه: إنا يوم الخندق نحفر.. فعرضت كدية شديدة.. فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ.. فقالوا: هذه كدية عرضت.. فقال: «**أنا نازل**».. فقام وبطنه معصوب بحجر.. ولبثنا ثلاثاً لا نذوق ذواقاً.. فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب.. فعاد كثيباً أهيل..

ـ فقلت: يا رسول الله.. ائذن لي إلى البيت..

---

(١) رواه مسلم.

ـ فقلت لامرأتي: رأيت من رسول الله ﷺ شيئاً ما في ذلك صبر..

ـ قالت: عندي شعير.. وعناق..

فذبحتُ العناق.. وطحنت الشعير.. حتى جعلنا اللحم في البرمة.. ثم وليتُ إلى رسول الله ﷺ.. فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه..

ـ قال: فجئت فساررته.. فقلت: يا رسول الله.. طعيم لي.. فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان..

فذكرت له.. قال: «**كثير طيب**».. ثم صاح رسول الله ﷺ وقال: «**يا أهل الخندق.. إن جابراً قد صنع لكم سؤراً.. فحي هلا بكم**»..

ثم قال: «**قل لها: لا تنزع البرمة.. ولا الخبز من التنور.. حتى آتي**».. فقام المهاجرون والأنصار.. فلما دخل على امرأته قال: ويحك!! جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار.. ومن معهم.. فقالت: بك.. وبك..

قال: قد فعلت الذي قلت لي.. فأخرجت له عجيناً فبصق فيه.. وبارك.. ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها.. وبارك..

ثم قال: «**ادع خابزة فلتخبز معي.. واقدحي من برمتكم.. ولا تنزلوها**».. وهم ألف.. فأقسم بالله.. لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا.. وإن برمتنا لتغط كما هي.. وإن عجيننا ليخبز كما هو[1]..

تكثيره اللبن

قال أبو هريرة رضي الله عنه: والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد على الأرض من الجوع.. وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع..

ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه.. فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله.. ما سألته إلا ليستتبعني.. فلم يفعل..

ثم مرَّ عمر.. فسألته عن آية من كتاب الله.. ما سألته إلا ليستتبعني..

---

(١) رواه البخاري.

فمر فلم يفعل.. ثم مرَّ بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني.. وعرف ما في وجهي وما في نفسي..

ثم قال: «**أبا هر**».. قلت: لبيك يا رسول الله.. قال: «**إلْحقْ**»..

ومضى.. فاتبعته.. فدخل.. فاستأذن.. فأذن لي.. فدخلت.. فوجد لبناً في قدح.. فقال: «**من أين هذا اللبن؟**».

ـ قالوا: أهداه لك فلان.. أو فلانة..

ـ قال: «**أبا هر**».. قلت: لبيك يا رسول الله..

ـ قال: «**إلحقْ أهل الصفة.. فادعهم لي**»..

ـ قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام.. لا يأوون إلى أهل ولا إلى مال.. إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً.. وإذا أتته هدية أرسل إليهم.. وأصاب منها وأشركهم فيها.. فساءني ذلك..

وقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة!! كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها.. فإذا جاءوا.. أمرني.. فكنت أنا أعطيهم.. وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن..

ولم يكن من طاعة الله.. وطاعة رسوله بدٌ.. فأتيتهم.. فدعوتهم..

فأقبلوا.. فأذن لهم.. وأخذوا مجالسهم من البيت.. فقال: «**يا أبا هر**»..

ـ قلت: لبيك يا رسول الله.. قال: «**خذ.. فأعطهم**»..

فأخذت القدح.. فجعلت أعطيه الرجلَ فيشرب حتى يروى.. ثم يرد عليَّ القدح.. فأعطيه الآخر.. فيشرب حتى يروى.. ثم يرد علي القدح.. فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى.. ثم يرد علي القدح..

حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روي القوم كلهم.. فأخذ القدح فوضعه على يده.. فنظر إليَّ فتبسم فقال: «**أبا هر**».. **قلت: لبيك يا رسول الله**..

قال: «**بقيت أنا وأنت؟**».

ـ قلت: صدقت يا رسول الله..

ـ قال: «**اقعد فاشرب**».. فقعدت فشربت..

ـ فقال: «**اشرب**».. فشربت..

فما زال يقول: «**اشرب**».. حتى قلت: لا.. والذي بعثك بالحق.. ما أجد له مسلكاً..

قال: «**فأرني**».. فأعطيته القدح.. فحمد الله وسمَّى.. وشرب الفضلة[١]..

النوع التاسع

تأييد الله تعالى لرسوله ﷺ من قتال الملائكة

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: رأيت يوم أُحد.. عن يمين النبي ﷺ وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض.. يقاتلان عن رسول الله ﷺ أشد القتال.. ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده.. يعني جبرائيل وميكائيل عليهما السلام[٢]..

كفيناك المستهزئين..

كان جمع من كفار قريش.. كثيراً ما يتعرضون للنبي ﷺ تكذيباً.. واستهزاءً.. وكان أعظمهم أذى.. الوليد بن المغيرة.. والأسود بن عبد يغوث.. والأسود بن المطلب.. والحارث بن عيطل.. والعاص بن وائل السهمي فأتى جبريل يوماً إلى النبي ﷺ فشكاهم النبي عليه الصلاة والسلام إلى جبريل..

ثم مر بهم الوليد.. فأشار جبريل إلى أنمله.. أصبعه.. وقال: كفيته.. ثم أراه الأسود بن المطلب.. فأومأ جبريل إلى عنق الأسود.. وقال:

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

كفيته.. ثم أراه ﷺ الأسود بن عبد يغوث.. فأومأ إلى رأسه.. وقال: كفيته.. ثم أراه الحارث بن عيطل.. فأومأ إلى بطنه.. وقال: كفيته..

ومر به العاص بن وائل.. فأومأ إلى أخمصه.. أسفل قدمه.. وقال: كفيته.. فما مضى وقت.. حتى نزلت العقوبات.. كما وصف جبريل عليه السلام.. فأما الوليد.. فكان يمشي في طريق.. فمر برجل من قبيلة خزاعة قاعد يصلح سهاماً ونبلاً معه.

فأصاب الرجل أصبع الوليد فقطعها.. ثم لم تمض أيام حتى مات.. وأما الأسود بن عبد يغوث.. فخرج في رأسه قروح وجروح.. فمات منها.. وأما الأسود بن المطلب.. فعمي بصره.. وكان سبب ذلك.. أنه نزل تحت شجرة.. مع أولاده..

وفجأة جعل يقول: يا بني.. ألا تدفعون عني.. قد قُتلت.. فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً.. وجعل يقول: يا بني.. ألا تمنعون عني.. قد هلكت! ها هو ذا الطعن بالشوك في عيني.. فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً..

فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه.. ولم يمض وقت حتى مات.. وأما الحارث بن عيطل.. فأخذه الماء الأصفر في بطنه.. فانتفخ بطنه وكبر جداً.. حتى خرج غائطه من فمه.. فمات.. وأما العاص بن وائل فبينما هو في طريقه إلى الطائف على حمار.. فربض به الحمار على شجرة شوك.. فدخلت شوكة في أخمص قدمه فقتلته[1] وصدق الله ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر: ٩٥]..

الرياح والجنود على الأحزاب

اجتمع آلاف الكفار لغزو المدينة النبوية في معركة الأحزاب.. فعل النبي ﷺ وأصحابه ما في وسعهم.. لصد الأعداء عنهم.. فإذا بالله تعالى يغار لأوليائه.. وينصرهم.. وقال الله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]..

---

(١) رواه البيهقي بنحو من هذا السياق.

أرسل الله عليهم ريحاً أطفأت نيرانهم.. وكفأت قدورهم.. واقتلعت خيامهم.. وهدمت أبنيتهم.. وشردت خيولهم.. وفرقت إبلهم.. وأرسل الله جنوداً من عنده لا تُرى بالأبصار.. فزلزلتهم.. حتى اضطروا للعودة من حيث جاءوا..

وفك الحصار عن المدينة النبوية.. وأنزل الله تعالى ذكر هذه الحادثة ممتّناً على المؤمنين.. فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الأحزاب: ٩].

تأييده بالمطر

في غزوة بدر.. ظهرت في غزوة بدر أحداث جسام.. وآيات باهرات.. وكرامات ظاهرات.. لجند الله الصادقين.. تأييداً لهم.. وتثبيتاً لقلوبهم.. فلقد كان المسلمون في تلك الغزوة في قلة من العدد.. ونقص من العتاد والسلاح..

وأعداؤهم المشركون أكثر عدداً.. وأوفر سلاحاً.. وأشد حنكة ودراية بالحروب.. فالكفار كانوا أكثر ممارسة للحروب.. وتجربة لها..

وصل المشركون موقع بدر.. في موضع صلب.. ونزل المسلمون في موقع بدر على كثيب رمال تسوخ فيه الأقدام.. فأنزل الله المطر على الأرض التي فيها المسلمون.. حتى ثبتت عليه الأقدام.. وزالت عنهم وسوسة الشيطان..

فشربوا واغتسلوا وتطهروا.. وكان نزل المطر رحمة على المؤمنين.. ونقمة على المشركين.. فأصبحت أقدام الأعداء تنزلق.. لأنهم كانوا في أرض سبخة.. يضرها وجود الماء.. والمؤمنون في أرض طيبة.. لا غبار فيها..

وأشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ

عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: ١١].

النوع العاشر

حفظ الله لنبيه من أعلام نبوته

تكفَّل الله تعالى بحفظ نبيه ﷺ قال تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الحجر: ٩٤ ـ ٩٦]..

من أمثلة ذلك.. ما وقع لفرعون هذه الأمة.. أبي جهل.. كان أبو جهل متكبراً متغطرساً.. أقبل يوماً إلى أصحابه عند الكعبة.. وقال: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم..

قالوا: نعم..

فغضب وقال: واللات والعزى.. لئن رأيته يفعل ذلك.. لأطأن على رقبته.. تباً له.. ما أقبحه وأقبح أخلاقه!! فما هو إلا قليل.. حتى جاء النبي ﷺ يمشي بكل سكينة.. فصف قدميه قريباً من الكعبة.. وكبر مصلياً..

سجد النبي ﷺ وصار يناجي ربه.. كان هذا المنظر امتحاناً عاجلاً لشجاعة أبي جهل.. بالنسبة لأصحابه..

مضى أبو جهل يضرب الأرض بقدميه بكل كبر.. يظن أنه سيتمكن من أن يطأ على رقبة النبي الكريم ﷺ!! فما كاد أبو جهل يصل إلى النبي ﷺ حتى صرخ..

وأخذ يرجع إلى ورائه.. ويتقي بيديه أمامه.. وكأن حريقاً أو أذى سيصيب وجهه.. وصل إلى أصحابه منتقع الوجه.. أصفر اللون..

نظر إليه أصحابه.. فقالوا: ما لك؟

فقال وهو يلهث: إن بيني وبينه لخندقاً من نار.. وهَوْلاً وأجنحة.. فلما قضى ﷺ صلاته.. قال: «**لو دنا مني.. لاختطفته الملائكة.. عضوا.. عضواً**».. وأنزل الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ

عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾[1] [العلق: ٩ ـ ١٩].

قصة سراقة..

من أحداث الهجرة المباركة.. أن قريشاً لما جعلت الجوائز الكبار لمن قبض على النبي ﷺ أو صاحبه.. تاقت نفوس الناس لهذه الجوائز.. ممن تبعهم يبحث وينقب.. سراقة بن مالك.. استطاع سراقة فعلاً أن يصل إلى النبي ﷺ وأبي بكر.. واقترب.. واقترب.. وهو يطوي الأرض راكباً فرسه..

فقال أبو بكر: يا رسول الله أتينا..

فقال ﷺ: «**لا تحزن إن الله معنا**».

ثم دعا رسول الله ﷺ على سراقة.. فدخلت قدما فرسه في التراب.. حتى غاصت فرسه في الأرض إلى بطنها.. حاول سراقة أن يتخلص.. فلم يستطع..

فصاح بالنبي ﷺ فقال: إني قد علمت أنكما دعوتما علي.. فادعوا لي.. ولكما أن أرد عنكما الطلب.. فدعا النبي عليه الصلاة والسلام الله أن ينجيه.. فنجا..

فرجع سراقة إلى مكة.. وجعل لا يلقى أحداً من قريش متوجهاً جهة النبي ﷺ وصاحبه.. إلا قال: قد كفيتم هاهنا.. ويدفع الناس ليبحثوا في الجهات الأخرى.. وأنجى الله تعالى نبيه ﷺ وصدق الله ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]..

وكان سراقة بعدها ينشد مخاطباً أبا جهل:

أبا حكم والله لو كنت شاهداً ... لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

عجبت ولم تشكك بأن محمداً ... نبي وبرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف الناس عنه لأنني ... أرى أمره يوماً ستبدو معالمه
بأمر يود النصر فيه بإلبها ... لو أن جميع الناس طراً يحاربه[1]

من يمنعك مني؟

خرج النبي ﷺ مع أصحابه في غزوة من الغزوات.. فلما رجعوا.. نزلوا وادياً أثناء الطريق.. وتفرق الناس يستظلون بالشجر.. وينامون.. ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة.. فاضطجع في ظلها.. وعلَّق سيفه بغصن من أغصانها..

فبينما رسول الله ﷺ نائماً.. إذا برجل من المشركين كان يتبعهم.. أقبل هذا الرجل يمشي رويداً إلى النبي ﷺ حتى وقف على رأس النبي ﷺ وهو نائم..

ثم أخذ سيف النبي ﷺ المعلق على الشجرة.. واستله من غمده.. ثم رفعه على رأس النبي ﷺ وجعل يصيح وهو سكران بنشوة الانتصار.. ويقول: يااااا محمد من يمنعك مني؟ فتح النبي ﷺ عينيه.. فإذا بالرجل شاهر السيف.. وأصحابه متفرقون عنه..

كان الرجل ثائراً.. لم تفلح معه أي طريقة لتهدئته أو التفاهم معه.. ولا يسمع منه النبي ﷺ إلا ثلاث كلمات: من.. يمنعك.. مني؟

فقال ﷺ بكل ثقة: «**يمنعني منك ..الله**».

فنتفض الرجل وسقط السيف من يده..

فقام ﷺ والتقط السيف.. ورفعه وقال للرجل: «**من يمنعك مني؟**».

فاحتار الرجل.. ماذا يقول؟! اللات والعزى!! وأنَّى تنفعه اللات والعزى!! فلم يجد الرجل بداً من أن يقول بكل استسلام: لا أحد.. كن خير آخذ..

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

فقال له ﷺ: «**تسلم؟**».

قال: لا.. لكن أعاهدك أن لا أقاتلك أبداً.. ولا أكون في قوم هم حرب لك.. وكان الرجل ملكاً على قومه.. فعفا عنه النبي ﷺ ثم مضى إلى قومه.. فلم يلبث أن دخل في الإسلام[1]..

الأرض تنتصر للرسول ﷺ

كان في عهد النبي ﷺ رجل نصراني.. فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران.. وكان كاتباً قارئاً.. فكان من ضمن من يكتب للنبي ﷺ أحياناً..

وفجأة.. عاد الرجل نصرانياً.. ولحق بقوم من أهل الكتاب.. وجعل يتنقص النبي ﷺ ويشكك في القرآن.. ويقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له..

فلما رأى النبي ﷺ ذلك.. دعا عليه فقال: «**اللهم اجعله آية**».. فما مرَّ عليه أيام حتى أماته الله.. فأخذه أصحابه.. ودفنوه..

فلما أصبحوا فإذا الأرض قد لفظته فوقها!! فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه.. لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا.. فألقوه!! فحفروا له فأعمقوا ما استطاعوا.. فلما أصبحوا.. أقبلوا إلى قبره.. فإذا هو قد لفظته الأرض..

فقالوا: هذا أيضاً من فعل محمد وأصحابه.. لما هرب منهم صاحبنا نبشوا عن قبره فأخرجوه..!! ثم حفروا له وأعمقوا أكثر ما استطاعوا..

فلما أصبحوا.. فإذا الأرض أيضاً قد لفظته فوقها.. فعلموا أنه ليس من فعل الناس فتركوه منبوذاً على الأرض.. فظل ملقى على التراب.. تمر به الكلاب فتبول عليه.. وتعبث بجسده الذئاب.. وتفتت أعضاءه الطيور..

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

نعم.. ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾[1]..

مع بني النضير

كان في المدينة ثلاث قبائل من اليهود.. فيها بنو قريظة.. وبنو النضير.. وبنو قينقاع.. كان بين النبي ﷺ وبينهم عهداً على أن يتعاونوا في ديات القتلى.. وغيرها..

ذهب النبي ﷺ مع بعض أصحابه.. إلى بني النضير يوماً يستعينهم في دية قتيلين من بني عامر قتلهما الصحابي عمرو بن أمية خطئاً..

وكان بين قبيلة القتيلين.. وبين المسلمين عهد.. فكان لا بد من دفع دية القتيلين.. وصل ﷺ إلى يهود بني النضير.. عرض عليهم مساعدته في دية القتيلين..

قالوا: نعم.. يا أبا القاسم.. نعينك على ما أحببت.. لكن اليهود قوم غدر.. فأجلسوا النبي ﷺ في ظل جدار.. وغابوا عنه كأنهم يجمعون له المال.. فلما خلا بعضهم ببعض.. قالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه.. فمن رجل منكم يعلو على هذا البيت.. فيلقي عليه صخرة.. ويريحنا منه؟!

فتطوع لهذه الجريمة النكراء رجل منهم.. اسمه عمرو بن جحاش..

فقال: أنا لذلك..

فصعد ابن جحاش على سطح البيت الذي يتكئ النبي ﷺ على جداره.. ليلقي عليه صخرة.. ورسول الله ﷺ مع أصحابه.. في ظل الجدار.. فإذا بالخبر من السماء.. يتنزل على رسول الله ﷺ.. ويخبره الله بمكيدة القوم..

وإذا برسول الله ﷺ يقوم فجأة مسرعاً من مكانه.. راجعاً إلى المدينة.. وأصحابه مكانهم.. ينتظرون اليهود.. وقد ظنوا أن النبي ﷺ قام لحاجة وأنه

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

راجع إليهم.. فلما أبطأ النبي ﷺ على أصحابه.. قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة.. فسألوه: هل رأيت رسول الله ﷺ؟

فقال: رأيته داخلاً المدينة.. فعجب الصحابة من رجوعه.. فلما وصلوا إليه.. سألوه؟

فأخبرهم ﷺ بالخبر.. وبما كانت يهود أرادت من الغدر به.. ثم كان ما كان بعدها من الحرب بين النبي ﷺ وبين يهود بني النضير.. وحاصرهم حتى أخرجهم من المدينة..

النوع الحادي عشر

إجابة دعائه ﷺ

كان رسول الله ﷺ مستجاب الدعوة.. فيستجيب الله تعالى له.. في قضاء الحوائج.. وتفريج الكرب.. وشفاء المرض.. وتحقيق المطالب.. وحلول البركة.. وقد تقدم طرف من أدعيته المستجابة.. بأبي هو وأمي ﷺ وها نحن نورد المزيد.. فمن ذلك: أم أبي هريرة.. أن أم أبي هريرة بقيت على دين قومها.. تعبد الأصنام.. وكان أبو هريرة يدعوها إلى الإسلام.. وتأبى.. فَدَعَاها يَوْماً فأسمعته في رسول اللهِ ﷺ ما يكْرَهُ.. فبكى أبو هريرة.. ومضى إلى رَسُولَ اللهِ ﷺ وهو يبْكي..

ـ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ.. إني كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إلى الْإِسْلَامِ فَتَأبَى عَلَيَّ.. فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأُسمعَتنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ.. فَادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ..

فقال ﷺ: «اللهم اهْدِ أُمَّ أبي هُرَيْرَةَ»..

فَخَرَج أَبُو هُرَيْرَة مُسْتَبْشراً بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ فلما وصل البيت وحرك الباب ليدخل.. سَمِعَتْ أُمِه خَشْفَ قَدَمَيه..

فقالت: مَكَانَكَ يا أَبَا هُرَيْرَةَ.. وَسَمِع أبو هريرة خَضْخَضَةَ الْماءِ.. وكأن أمه تغتسل.. فانتظر قليلاً عند الباب ليدخل.. فإذا أمه قد اغْتَسَلَتْ.. وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا.. وَعَجِلَتْ عن خِمَارِهَا.. ثم فَتَحَتْ له الْبَابَ وقَالَتْ: يَا أَبَا

هُرَيْرَةَ.. أَشهد أَن لَا إِلهَ إِلا الله.. وأَشْهَدُ أن مُحمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.. استبشر أبو هريرة.. وغلبه الفرح حتى بكى.. فرَجَع إلى رسول اللهِ ﷺ يبْكي من الْفَرَحِ..

فقال يا رَسُولَ اللهِ.. أَبْشِرْ قَدْ اسْتَجَابَ الله دَعْوَتَكَ.. وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ..

ففرح النبي ﷺ.. وَحَمِدَ الله.. وَأَثْنَى عليه.. وقال لأبي هريرة خَيْراً..

فطمع أبو هريرة في زيادة الخير.. فقال: يَا رَسُولَ اللهِ.. ادْعُ اللهَ أن يُحَبِّبَنِي أنا وَأُمِّي إلى عِبَادِهِ المُؤْمِنِيْنَ.. وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا..

ـ فقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا ـ يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ ـ وَأُمَّهُ إلى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ.. وَحَبِّبْ إِلَيْهِمْ الْمُؤْمِنِينَ**»..

ـ قال أبو هريرة: فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي.. ولا يَرَانِي.. إلا أَحَبَّنِي[1]..

دعا لأبي طلحة وزوجه

تزوجت أم سليم أبا طلحة.. ورزقت منه بغلام صبيح.. هو أبو عمير.. وكان أبو طلحة يحبه حباً عظيماً.

بل كان ﷺ يحبه.. ويمر بالصغير فيرى معه طيراً يلعب به.. اسمه النغير.. فكان يمازحه ويقول: **يا أبا عمير ما فعل النغير؟**

فمرض الغلام.. فحزن أبو طلحة عليه حزناً شديداً.. حتى اشتد المرض بالغلام يوماً.. وخرج أبو طلحة في حاجة إلى رسول الله ﷺ وتأخر عنده.. فازداد مرض الغلام ومات.. وأمه عنده..

بكى بعض أهل البيت.. فهدأتهم.. وقالت: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه

---

(١) رواه البيهقي وأحمد بإسناد صحيح.

حتى أكون أنا أحدثه.. فوضعت الغلام في ناحية من البيت وغطته.. وأعدت لزوجها طعامه..

فلما عاد أبو طلحة إلى بيته.. سألها: كيف الغلام؟

ـ قالت: هدأت نفسه.. وأرجو أن يكون قد استراح.. فتوجه إليه ليراه.. فأبت عليه وقالت: هو ساكن فلا تحركه.. ثم قربت له عشاءه فأكل وشرب.. ثم أصاب منها ما يصيبه الرجل من امرأته.. فلما رأت أنه قد شبع واستقر..

ـ قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم.. أي: أسلفوا متاعاً لهم.. لأهل بيت فطلبوا عاريتهم.. ألهم أن يمنعوهم؟

ـ قال: لا..

ـ قالت: ألا تعجب من جيراننا؟

ـ قال: وما لهم؟!

ـ قالت: أعارهم قوم عارية.. وطال بقاؤها عندهم حتى رأوا أن قد ملكوها.. فلما جاء أهلها يطلبونها.. جزعوا أن يعطوهم إياها..

ـ فقال: بئس ما صنعوا..

ـ فقالت: هذا ابنك.. كانت عارية من الله.. وقد قبضه إليه.. فاحتسب ولدك عند الله..

ففزع.. ثم قال: والله.. ما تغلبيني على الصبر الليلة.. فقام وجهز ولده.. فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فأخبره.. فدعا لهما بالبركة.. فولدت له غلاماً سماه رسول الله ﷺ: عبد الله، فجاء من صُلبه تسعة أولاد.. كلهم قد حفظ القرآن[1]..

---

(١) رواه البيهقي وأحمد بإسناد صحيح.

استجابة دعائه على أعدائه

انظر إلى رسول الله ﷺ وقد جلس في مجلسه المبارك.. بعدما انتشر الدين.. ووُحِّد رب العالمين.. فجعل رؤساء القبائل يأتون إليه مذعنين مؤمنين.. ومنهم من كانوا يأتون صاغرين حاقدين.. وفي يوم أقبل رئيس من رؤساء العرب.. له في قومه ملك ومنعة..

أقبل عامر بن الطفيل.. وكان قومه يقولون له لما رأوا انتشار الإسلام: يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم.. وكان متكبراً متغطرساً..

فكان يقول لهم: والله لقد كنت أقسمت ألا أموت حتى تملِّكني العرب عليهم وتتبعَ عقبي.. فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش!!

ثم لما رأى تمكن الإسلام.. وانصياع الناس لرسول الله ﷺ.. ركب ناقته مع بعض أصحابه ومضى إلى رسول الله ﷺ دخل المسجد على رسول الله ﷺ وهو بين أصحابه الكرام..

فلما وقف بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام قال: يا محمد خالني.. أي: قف معي على انفراد.. وكان ﷺ حذراً من أمثال هؤلاء.. فقال: «**لا والله حتى تؤمن بالله وحده**»..

فقال: يا محمد خالني..

فأبى النبي ﷺ.. فلا زال يكرر.. يا محمد قم معي أكلمْك.. يا محمد قم معي أكلمْك..

حتى قام معه رسول الله ﷺ.. فاجتر عامر إليه أحد أصحابه اسمه إربد.. وقال: إني سأشغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فاضربه بالسيف.. فجعل إربد يده على سيفه واستعد.. فانفرد الاثنان إلى الجدار..

ووقف معهما رسول الله ﷺ يكلم عامراً.. وقبض أربد بيده على السيف.. فكلما أراد أن يسله يبست يده.. فلم يستطع سل السيف.. وجعل

عامر يشاغل رسول الله ﷺ.. وينظر إلى إربد.. وإربد جامد لا يتحرك.. فالتفت ﷺ فرأى إربد وما يصنع..

ـ فقال: «**يا عامر بن الطفيل.. أسلم**»..

ـ فقال عامر: يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت؟

ـ فقال ﷺ: «**لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم**»..

ـ قال عامر: أتجعل لي الملك من بعدك إن أسلمت؟

ـ فقال ﷺ: «**ليس ذلك لك ولا لقومك**»..

ـ فقال: أسلم على أن لي الوبر ولك المدر.. أي: أكون ملكاً على البادية وأنت على الحاضرة..

ـ فقال ﷺ: «**لا..**».

عندها غضب عامر وتغير وجهه.. وصاح بأعلى صوته: والله يا محمد.. لأملأنها عليك خيلاً جرداً.. ورجالاً مرداً.. ولأربطن بكل نخلة فرساً.. ولأغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء..

ثم خرج يزبد ويرعد.. فرفع رسول الله ﷺ بصره إلى السماء وقال: «**اللهم اكفني عامراً واهد قومه**».. فخرج مع أصحابه حتى إذا فارق المدينة.. تعب من المسير.. فصادف امرأة من قومه يقال لها سلوكية وكانت في خيمة لها.. فنزل عن فرسه ونام في بيتها..

فأخذته غدة وانتفاخ في حلقه كما يظهر في أعناق الإبل فيقتلُها.. ففزع واضطرب.. ووثب على فرسه.. وأخذ رمحه.. وأقبل يجول.. ويصيح من شدة الألم.. ويتحسس عنقه بيده ويقول: غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية.. فلم تزل تلك حاله يدور به فرسه.. حتى سقط عن فرسه ميتاً.. فتركه أصحابه.. ورجعوا إلى قومهم.. فلما دخلوا ديارهم.. أقبل الناس إلى إربد يسألونه: ما وراءك يا إربد؟ قال: لا شيء.. والله لقد دعانا محمد إلى عبادة شيء.. لوددت لو أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله.. فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له ليبيعه.. فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما..

وأنزل الله ﷻ في حال عامر وإربد: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: ١٠ ـ ١٣]..

وأخيراً

هذا النبي العظيم.. أيده ربه بالمعجزات.. واختار له أصحاباً أخياراً.. أحبوه أكثر من حبهم لأنفسهم وأولادهم.. ففي غزوة أُحد.. أقبل المشركون على رسول الله ﷺ يريدون قتله.. فأحاطه أصحابه بأجسادهم يصدون عنه الرماح.. وضربات السيوف.. تقد في أجسادهم دونه.. وكان أبو طلحة رضي الله عنه يرفع صدره ويقول: يا رسول الله لا يصيبك سهم.. نحري دون نحرك..

قال أبو بكر: أقبلت على النبي ﷺ فرأيت بين يديه رجلاً يقاتل عنه ويحميه.. فنظرت فإذا هو أبو طلحة.. فلم يلبث أن صُرع ووقع من كثرة الضرب عليه..

فأقبل أبو عبيدة يشتد كأنه طير.. فإذا أبو طلحة بين يديه ﷺ واقعاً على الأرض فقال النبي ﷺ: «**دونكم أخاكم فقد أوجب**».. فأقبلنا على أبي طلحة.. وقد أصابته بضع عشرة ضربة..

فلما انتهت المعركة تذكر رسول الله ﷺ أحد أصحابه الكرام.. من خيارهم.. ممن كان يقوم معه الليل.. ويصوم معه النهار.. ممن يبذل للدين كل شيء.. حتى روحه.. تذكر ﷺ سعد بن الربيع الأنصاري.. فسأل أصحابه قائلاً: «**من ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء أم في الأموات**»..

فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد.. فبحث عنه فوجده جريحاً في القتلى.. وقد شارف على الموت.. جراحه تنزف دماً.. وثيابه ممزقة.. وقد علاه الغبار.. وهو يصارع الموت..

فقال الرجل: يا سعد.. إن رسول الله أمرني أن أنظر أفي الأموات أنت أم في الأحياء؟

فالتفت إليه سعد وقال: أنا في الأموات.. فأبلغ رسول الله عني السلام..

وقل له: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته.. وأبلغ قومي عني السلام وقل لهم: لا عذر لكم عند الله إن خُلِص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف.. وقل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله.. إن سعداً يجد ريح الجنة.. ثم.. مااااات..

الكفار يشهدون

حتى الكفار شهدوا بهذه المحبة.. فقبل فتح مكة.. خرج ﷺ إليها معتمراً.. فلما أقبل على الحرم بعثت قريش إليه البعوث يردونه عن المسجد الحرام.. فكان ممن جاءه عروة بن مسعود وجعل يكلم النبي ﷺ وينظرُ إلى الصحابة حوله.. فوالله ما انتخم النبي ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم.. فدلك بها وجهه وجلده.. وإذا أمر ابتدروا أمره.. وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه.. وإذا تكلم خفضوا أصواتهم.. وما يُحدون إليه النظر تعظيماً له..

فلما رأى عروة ذلك رجع إلى أَصحابه.. فقال: أي قوم.. والله لقد وفدت على الملوك.. كسرى.. وقيصر.. والنجاشي.. والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابُه.. كما يعظم أصحاب محمد محمداً..

كانوا يحبونه

بل كان الصحابة يصرحون بهذا الحب العظيم حتى قال له عمر يوماً: يا رسول الله.. أنت أحب إليَّ من مالي وولدي.. بل والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي[١]..

وجاء رجل إليه ﷺ فقال: متى الساعة يا رسول الله؟

ـ قال: «**ما أعددت لها؟**».

ـ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله.

ـ قال: «**أنت مع من أحببت**»[٢]..

فما فرح الصحابة بشيء كفرحهم بهذه الكلمة.. أنت مع من أحببت..

وكانوا رضي الله عنهم إذا مشوا بجانبه أظلوه من الشمس.. وإذا سافروا معه فأتوا على شجرة ظليلة تركوها له ﷺ يرتاح في ظلها..

كيف أحبوه؟

ولكن بالرغم من كل هذه المحبة والإجلال.. والحب والوفاء.. والمكانة العظيمة له ﷺ في قلوب صحابته الكرام.. فإنهم لم ينزلوه فوق منزلته.. أو يرفعوه عن منزلة البشرية.. فمحمد بن عبد الله ﷺ.. هو رسول الله.. ونبيه.. وعبده.. نعم.. هو سيد ولد آدم.. والشافع يوم الحشر.. لكنه كما قال الله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦﴾ [فصلت: ٦]..

---

(١) رواه البيهقي وأحمد بإسناد صحيح.

(٢) رواه البيهقي وأحمد بإسناد صحيح.

فكونه ﷺ بشراً.. لا ينقص من قدره.. وقد بلّغ ﷺ رسالة ربه.. وتحمل الأذى.. حتى نصره الله.. وبلّغ دينه..

فما هو حق الرسول ﷺ على أمته؟

أهو إنشاد المدائح مع ما فيها من الغلو..؟؟

كلا.. فقد نهى ﷺ عن ذلك فقال كما في الصحيحين: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله**».. أم حقه.. في إقامة الموالد والاحتفال بالإسراء والمعراج؟؟

كلا.. فقد نهى ﷺ عن ذلك فقال كما في الصحيحين: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌ**».. أم حقه.. في الاستغاثة به.. ودعائه من دون الله؟ أو الطواف على قبره.. أو الحلف باسمه من دون الله..

كلا.. كلا.. فهذا كله من الشرك بالله.. إذن.. ما هي حقوقه ﷺ على أمته؟

أول الحقوق: اعتقاد أنه ﷺ عبد رسول.. وتقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين.. مع توقيره وإجلاله.. عليه الصلاة والسلام.. قال الله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧]..

ومن حقوقه: تصديقه فيما أخبر.. فهو لا ينطق عن الهوى.. فنصدق ما ذكره من أشراط الساعة.. وأحداث آخر الزمان.. وغير ذلك..

ومن حقوقه: الصلاة والسلام عليه.. قال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].. وتتأكد: عند ذكره..

فقد قال ﷺ: «**رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي..**»[1]..

وعند سماع المؤذن.. روى مسلم أنه ﷺ قال: «**إذا سمعتم مؤذناً فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي**»..

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حسن غريب.

وعند دخول المسجد والخروج منه.. فإذا دخل المسجد ﷺ قال: **«اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك»**[١].

وتستحب الصلاة عليه عند ختم الدعاء.. لقول عمر رضي الله عنه ما رواه الترمذي بسند صحيح: «الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك»..

ويتأكد الإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلتها.. قال ﷺ فيهما: **«من أفضل أيامكم يوم الجمعة، ففيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ»**..

ومن حقوقه: معرفة سيرته.. وتعداد فضائله ومعجزاته.. وتعريف الناس بسُنَّته.. بشرط الابتعاد عن الغلو والإطراء المحظور..

ومن حقوقه: العمل بشريعته.. والتأسّي بسُنَّته.. وتبليغ رسالته.. والبعد عن معصيته ومخالفته..

واتباعه في ظاهره وباطنه.. اتباع سُنَّته.. والاقتداء به في أفعاله.. وأقواله.. بل وحتى في طريقة أكله.. وشربه.. ونومه.. وفي جميع شؤونه.. فإذا سمعت قوله: **«خالفوا اليهود أعفوا اللحى وحفوا الشوارب»** أطعت واتبعت..

وإذا سمعت قوله: **«ما تحت الكعبين من الإزار ففي النار»** سارعت إلى تنفيذ أمره.. وقد قال الله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]..

بل.. إذا نهاك عن سماع الغناء.. أو أكل الربا.. أو حثك على بر الوالدين.. أو الصدقة.. سارعت إلى هذه القربات.. راضياً فرحاً مستبشراً.. قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١]..

---

(١) رواه أحمد.

وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]..

ومن حقوقه: طاعته والتحاكم إليه: قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]..

وقد أمر الله بطاعة نبيه ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعاً من القرآن.. كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله.. بل بيَّن الله تعالى أن دخول الجنة.. مقيد بطاعته ﷺ..

ـ قال ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩ ـ ٧٠]..

ـ وقال ﷺ فيما رواه البخاري: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»..

ـ قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟

ـ قال: «**من أطاعني دخل الجنة.. ومن عصاني فقد أبى**»..

والله تعالى يقول معلماً ومؤدباً لنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات: ١ ـ ٢]..

ولقد سمع الصحابة هذه الآيات.. فتأدبوا مع رسولهم ﷺ فما منهم أحد يعترض.. أو حتى يدلي برأي ما لم يطلب منه الرسول ﷺ ذلك.. بل يقوم ﷺ فوق رؤوسهم وهم مائة ألف في حجة الوداع.. في يوم النحر.. يوم عيد الأضحى.. ثم يسألهم: أي يوم هذا؟ أي شهر هذا؟ أي بلد هذا؟

فيقولون: الله ورسوله أعلم.. نعم.. يسألهم.. وهم يعرفون الجواب.. لكنهم يقولون: الله ورسوله أعلم.. تأدباً معه ﷺ فمن جاءه الأمر من الله.. أو من رسوله ﷺ فالواجب عليه الطاعة والتسليم.. ولا يحل له الاعتراض.. أو البحثُ عن مخارج وحيل..

روى مسلم عن ابن عمر ﷺ أن: الناس كانوا يصلون إلى بيت المقدس.. زماناً.. فلما حولت القبلة إلى الكعبة.. وأنزلت الآيات في ذلك.. أقبل رجل من عند رسول الله ﷺ إلى الناس في مسجد قباء..

فوجدهم فيه يصلون الصبح.. فصاح بهم وقال: إن رسول الله قد أنزل عليه الليلة.. وقد أمر أن يستقبل الكعبة..

فما كاد الرجل يتم كلماته.. حتى استداروا وهم في صلاتهم.. واستقبلوا الكعبة.. نعم.. نفذوا الأمر أثناء الصلاة.. دون تردد أو إبطاء..

بل.. روى البخاري عن أنس ﷺ قال: كنتُ ساقي القوم في بيتِ أبي طلحة يعني يسقيهم الخمر.. وذلك قبل أن تحرم..

ـ قال: وإني لقائمٌ أسقي فلاناً وفلاناً وفلاناً.. إذ جاء رجلٌ فقال: هل بلغَكم الخبر؟

ـ قالوا: وما ذاك؟

ـ قال: لقد حُرمت الخمر.. وقد أمر رسولُ الله ﷺ منادياً ينادي ألا إن الخمرَ قد حُرمت.. ثم قرأ عليهم الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠ ـ ٩١]؟

فلما سمعوا الآية.. والله إن بعض القوم كانت شربته في يده.. فلم يرفعها إلى فيه.. بل أراق ما في كأسه وقال: انتهينا ربنا.. انتهينا..

ثم التفتوا إلى قلال الخمر.. وجعلوا يكسرونها.. فما سألوا عنها.. ولا راجعوها بعد خبرِ الرجلِ..

نعم.. وما دخلَ داخلٌ.. ولا خرجَ خارج.. حتى اهراقوا الشراب.. وكسروا القلال.. ثم توضأ بعضهم.. واغتسل آخرون.. ثم تطيبوا.. وخرجوا إلى المسجد يخوضونَ في الخمر.. قد جرت بها سكك المدينة.. لم يقولوا تعودنا عليه منذ سنين.. ورثناها عن آبائنا.. وما تكونت عصابات

لتصنيع الخمر وترويجه.. كلا.. فهم مسلمون.. مستسلمون لأمر خالقهم ﷻ..

ومن أكبر الحقوق: الذب عن سُنَّته.. وعدم السخرية بشيء من هديه.. أو التنقص ممن يحرص على السُّنَّة في ملبسه وهيئته.. بل إن الاستهزاء من أصحاب السُّنَّة.. هو من صفات المنافقين..

قال الله لنفر من المستهزئين: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦]..

وختاماً.. أيها الإخوة والأخوات.. قد تبيَّن لنا أن حقوق رسول الله ﷺ.. أجل وأعظم.. وأكرم وألزم.. من حقوق السادات على مماليكهم.. والآباء على أولادهم.. فهو الذي أنقذنا الله به من النار.. وهدانا به من الضلالة..

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا شفاعة نبيه ﷺ..

اللهم لا تحرمنا أجره.. ولا تفتنا بعده.. وأسقنا من يده الشريفة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبداً.. آمين.. آمين..

إنها ملكة

البداية

أما هي.. فكانت فتاة روسية.. من عائلة محافظة.. لكنها (آرثوذوكسية) شديدة التعصب للنصرانية.. عرض عليها أحد التجار الروس أن تصحبه مع مجموعة من الفتيات.. إلى دولة خليجية.. لشراء أجهزة كهربائية.. ثم بيعها في روسيا.. كان هذا هو الهدف المتفق عليه بين الرجل.. وهؤلاء الفتيات.. وعندما وصلوا إلى هناك.. كشر عن أنيابه.. وعرض عليهن ممارسة الرذيلة.. وبدأ في تقديم الإغراءات لهن.. مال وافر.. علاقات واسعة.. إلى أن اقتنع أكثر الفتيات بفكرته.. إلا هذه الفتاة.. كانت شديدة التعصب لدينها النصراني.. فتمنعت.. فضحك منها.. وقال: أنت في هذا البلد ضائعة.. ليس معك إلا ما تلبسين من الثياب.. ولن أعطيك شيئاً.. وبدأ يضيق عليها.. أسكنها في شقة مع بقية الفتيات.. وخبأ جوازات سفرهن عنده.. وانجرفت الفتيات مع التيار.. وثبتت هي على العفاف.. لا زالت تلح عليه كل يوم.. في تسليمها جوازها.. أو إرجاعها إلى بلدها.. فيأبى عليها ذلك.. فبحثت يوماً في الشقة.. حتى وجدت جوازها.. فاختطفته.. وهربت من الشقة.. خرجت إلى الشارع.. لا تملك إلا لباسها.. هامت على وجهها.. لا تدري أين تذهب.. لا أهل.. ولا معارف.. ولا مال.. ولا طعام.. ولا مسكن.. أخذت المسكينة تتلفت حائرة يمنة ويسرة.. وفجأة رأت شاباً.. يمشي مع ثلاث نساء.. اطمأنت لمظهره.. فأقبلت عليه.. وبدأت تتكلم باللغة الروسية.. فاعتذر أنه لا يفهم الروسية.. قالت: هل تتكلمون الإنجليزية؟..

قالوا: نعم!.. فرحت.. وبكت..

وقالت: أنا امرأة من روسيا.. قصتي كذا وكذا.. ليس معي مال.. وليس لي مسكن.. أريد العودة إلى بلادي.. أريد منكم فقط إيوائي.. يومين

أو ثلاثة.. حتى أتدبر أمري مع أهلي وإخوتي في بلادي..

أخذ الشاب (خالد) يفكر في أمرها.. ربما تكون مخادعة..! أو محتالة..! وهي تنظر إليه وتبكي.. وهو يشاور أمه وأخته..

وفي النهاية.. أخذوها إلى البيت.. وبدأت تتصل بأهلها.. ولكن لا مجيب.. الخطوط متعطلة في ذاك البلد!.. وكانت تعيد في كل ساعة الاتصال.. عرفوا أنها نصرانية.. تلطفوا معها.. رفقوا بها.. أحبتهم.. عرضوا عليها الإسلام.. ولكنها رفضت.. لا تريد.. بل لا تقبل النقاش في موضوع الدين أصلاً.. لأنها من أسرة «أرثوذكسية» متعصبة تكره الإسلام والمسلمين!

فذهب خالد.. إلى مركز إسلامي للدعوة.. وأحضر لها كتباً عن الإسلام باللغة الروسية.. فقرأتها.. وتأثرت بها. ومرت الأيام.. وهم يحاولون ويقنعون.. حتى أسلمت.. وحسن إسلامها.. وبدأت تهتم بتعاليم الدين.. وتحرص على مجالسة الصالحات.. خافت أن ترجع إلى بلدها فترتد إلى نصرانيتها..

زواج

فتزوجها خالد.. وكانت أكثر تمسكاً بالدين.. من كثير من المسلمات.. ذهبت يوماً مع زوجها إلى السوق.. فرأت امرأة متحجبة.. قد غطت وجهها.. وكانت هذه أول مرة ترى فيها امرأة متحجبة تماماً.. فاستغربت من هذا الشكل!!..

وقالت: خالد.. لماذا هذه المرأة بهذا الشكل؟ لعل هذه المرأة مصابة بعلَّة شوهت وجهها.. فغطته؟..

قال: لا.. هذه المرأة تحجبت الحجاب الذي ارتضاه الله ﷻ لعباده.. والذي أمر به رسوله ﷺ..

فسكتت قليلاً.. ثم قالت: نعم.. فعلاً.. هذا هو الحجاب الإسلامي.. الذي أراده الله منا.. قال: وما أدراك؟.. قالت: أنا الآن إذا

دخلت أي محل تجاري.. لا تنزل أعين أصحاب المحل عن وجهي! تكاد أن تلتهم وجهي قطعة قطعة!!

إذن وجهي هذا لا بد أن يُغطى.. لا بد أن يكون لزوجي فقط يراه.. إذن لن أخرج من هذا السوق إلا بمثل هذا الحجاب.. فمن أين نشتريه..؟

قال: استمري على حجابك هذا.. كأمي وأخواتي.. قالت: لا.. بل أريد الحجاب الذي يريده الله.. مرت الأيام على هذه الفتاة.. وهي لا تزداد إلا إيماناً.. وأحبها من حولها.. وملكت على زوجها قلبه ومشاعره..

وفي ذات يوم نظرت إلى جواز سفرها.. فإذا هو قد قارب الانتهاء.. ولا بد أن يجدد.. والأصعب من ذلك.. أنه لا بد أن يجدد من المدينة نفسها الذي تنتمي إليها المرأة..

إذن لا بد من السفر إلى روسيا.. وإلا تعتبر إقامتها غير نظامية.. قرر خالد السفر معها.. فهي لا تريد السفر من غير محرم..

ركبوا في طائرة تابعة للخطوط الروسية.. وركبت هي بحجابها الكامل!!

وجلست بجانب زوجها شامخة بكل عزة.. قال لها خالد: أخشى أن نقع في إشكالات بسبب حجابك.. قالت: سبحان الله!.. تريد مني أن أطيع هؤلاء الكفرة وأعصي الله.. لا.. والله.. فليقولوا ما شاءوا..

بدأ الناس ينظرون إليها.. وبدأت المضيفات يوزعن الطعام.. ومع الطعام الخمر.. وبدأ الخمر يعمل في الرؤوس.. وبدأت الألفاظ النابية.. توجه إليها من هنا وهناك.. فهذا يتندر.. وذاك يضحك.. والثالث يسخر.. ويقفون بجانبها.. ويعلقون عليها..

وخالد ينظر إليهم.. لا يفهم شيئاً.. أما هي فكانت تبتسم وتضحك.. وتترجم له ما يقولون.. غضب الزوج..

فقالت: لا.. لا تحزن.. ولا يضيق صدرك.. فهذا أمر بسيط.. في مقابل ما جابهه الصحابة.. وما حصل للصحابيات من بلاء وابتلاء.. صبرت هي وزوجها.. حتى وصلت الطائرة..

في روسيا

قال خالد: عندما نزلنا في المطار.. كنت أظن أننا سنذهب إلى بيت أهلها.. ونسكن عندهم ثم بعد ذلك ننهي إجراءاتنا ونعود.. لكن نظرة زوجتي كانت بعيدة.. قالت لي: أهلي «آرثوذوكس» متعصبون لدينهم.. فلا أريد أن أذهب الآن!.. لكن نستأجر غرفة.. ونبقى فيها.. وننهي إجراءات الجواز.. وقبيل السفر نزور أهلي.. فرأيت أن هذا رأياً صواباً.. استأجرنا غرفة وبتنا فيها.. ومن الغد ذهبنا إلى إدارة الجوازات.. دخلنا على الموظف.. فطلب الجواز القديم وصور للمرأة.. فأخرجت له صوراً لها بالأبيض والأسود.. ولا يظهر منها إلا دائرة الوجه فقط..

فقال الموظف: هذه صور مخالفة.. نريد صورة ملونة.. يظهر فيها الوجه والشعر والرقبة كاملة!!.. فأبت أن تعطيه غير هذه الصور.. وذهبنا إلى موظف ثان.. وثالث.. وكلهم يطلبون صوراً سافرة.. وزوجتي تقول: لا يمكن أن أعطيهم صورة متبرجة أبداً.. فرفض الموظفون استقبال الطلب.. فتوجهنا إلى المديرة الأصلية..

فاجتهدت زوجتي أن تقنعها بقبول هذه الصور.. وهي تأبى.. فأخذت زوجتي تلح وتقول: ألا ترين صورتي الحقيقية.. وتقارنينها بالصور التي معك.. المهم رؤية الوجه.. الشعر قد يتغير.. هذه الصور تكفي؟!.. والمديرة تصر على أن النظام.. لا يقبل هذه الصور.. فقالت زوجتي: أنا لن أحضر غير هذه الصور.. فما الحل؟.. قالت المديرة: لن يحل لكم الإشكال إلا مدير الجوازات الأصلية الكبرى في موسكو.. فخرجنا من إدارة الجوازات..

فالتفتت إلي وقالت: يا خالد نسافر إلى موسكو.. عندها قلت لها: أحضري الصور التي يريدون..

ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.. فاتقوا الله ما استطعتم.. وهذه

ضرورة.. والجواز سيراه مجموعة من الأشخاص فقط.. للضرورة.. ثم تخفينه في بيتك إلى أن تنتهي مدته.. دعي عنك المشاكل.. لا داعي للسفر إلى موسكو..

فقالت: لا.. لا يمكن أن أظهر بصورة متبرجة..

بعد أن عرفت دين الله ﷻ..

في موسكو..

أصرت علي فسافرنا إلى موسكو.. واستأجرنا غرفة وسكناها.. ومن الغد ذهبنا إلى إدارة الجوازات.. دخلنا على الموظف الأول فالثاني فالثالث.. وفي نهاية المطاف.. اضطررنا للتوجه إلى المدير الأصلي.. دخلنا عليه.. وكان من أشد الناس خبثاً!.. عندما رأى الجواز.. أخذ يقلب الصور.. ثم رفع رأسه إلى زوجتي وقال: من يثبت لي أنك صاحبة هذه الصور؟؟.. يريدها أن تكشف وجهها ليراها.. فقالت له: قل لأحد الموظفات عندك.. أو السكرتيرات.. تأتي فأكشف وجهي لها.. وتطابق الصور.. أما أنت فلن تطابق الصور.. ولن أكشف لك وجهي.. فغضب الرجل.. وأخذ الجواز القديم.. والصور.. وبقية الأوراق.. وضم بعضها إلى بعض.. وألقاها في درج مكتبه الخاص..

وقال لها: ليس لك جواز قديم.. ولا جديد إلا بعد أن تأتين إلي.. بالصور المطابقة تماماً.. ونطابقها عليك..

أخذت زوجتي تتكلم معه.. تحاول إقناعه.. ويتكلمان بالروسية.. وأنا أنظر إليهما.. لا أفهم شيئاً.. لكني غضبت.. ولا أستطيع أن أفعل شيئاً.. وهو يردد: لا بد من إحضار الصور على شروطنا.. حاولت المسكينة إقناعه.. ولكن لا فائدة! فسكتت وظلت واقفة.. التفت إليها.. وأخذت أعيد عليها وأكرر: يا عزيزتي.. لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.. ونحن في ضرورة.. إلى متى نتجول في مكاتب الجوازات.. فقالت لي: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ

يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]. . اشتد النقاش بيني وبينها. . فغضب مدير الجوازات وطردنا من المكتب. . خرجنا نجر خطانا. . وأنا بين رحمة بها. . وغضب عليها. . ذهبنا لنتدارس الأمر في غرفتنا. . أنا أحاول إقناعها. . وهي تحاول إقناعي. . إلى أن أظلم الليل. . فصلينا العشاء. . وأنا مشغول البال على هذه المصيبة. . ثم أكلنا ما تيسر. . ووضعت رأسي لأنام. .

كيف تنام..

فلما رأتني كذلك. . تغير وجهها. . ثم التفتت إلي وقالت: خالد. . تنام!!

قلت: نعم. . أما تحسين بالتعب!!. . قالت: سبحان الله. . في هذا الموقف العصيب تنام!!. . نحن نعيش موقفاً يحتاج منا إلى لجوء إلى الله. . قم إلجأ إلى الله فإن هذا وقت اللجوء. . فقمت. . وصليت ما شاء الله لي أن أصلي. . ثم نمت. . أما هي فقامت تصلي. . وتصلي. . وكلما استيقظت. . نظرت إليها. . فرأيتها إما راكعة. . أو ساجدة. . أو قائمة. . أو داعية. . أو باكية. . إلى أن طلع الفجر. . ثم أيقظتني. . وقالت: دخل وقت الفجر. . فهلم نصلي سوياً. . فقمت. . وتوضأت. . وصلينا. . ثم نامت قليلاً. .

وبعدما طلعت الشمس. . استيقظت وقالت: هيا لنذهب إلى الجوازات!!

فقلت لها: نذهب إلى الجوازات!! بأي حجة؟! أين الصور؟؟. . ليس معنا صور؟!. . قالت: لنذهب ونحاول. . لا تيأس من روح الله. . لا تقنط من رحمة الله. . فذهبنا. . ووالله ما إن وطأت أقدامنا أول مكتب من مكاتب الجوازات. .

ورأوا زوجتي وقد عرفوا شكلها من حجابها. . وإذا بأحد الموظفين ينادي: أنت فلانة؟. . قالت: نعم!. . قال: خذي جوازك. . فإذا هو مكتمل تماماً. . بصورها المحجبة. . فاستبشرت. . والتفتت إلي وقالت: ألم أقل لك ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]. .

فلما أردنا الخروج.. قال الموظف: لا بد أن تعودوا إلى مدينتكم التي جئتم منها.. وتختموا الجواز منها.. فرجعنا إلى المدينة الأولى.. وأنا أقول في نفسي.. هذه فرصة لتزور أهلها قبل سفرنا من روسيا..

وصلنا إلى مدينة أهلها.. استأجرنا غرفة.. وختمنا الجواز..

رحلة العذاب..

ثم ذهبنا لزيارة أهلها.. وطرقنا الباب.. كان بيتهم قديماً متواضعاً.. يبدو الفقر على سكانه ظاهراً.. فتح الباب أخوها الأكبر.. كان شاباً مفتول العضلات.. فرحت المسكينة بأخيها.. وكشفت وجهها وابتسمت.. ورحبت!.. أما هو فأول ما رآها تقلب وجهه بين فرح برجوعها سالمة.. واستغراب من لباسها الأسود الذي يغطي كل شيء.. دخلت زوجتي وهي تبتسم.. وتعانق أخاها.. ودخلت وراءها.. وجلست في صالة المنزل.. جلست وحيداً..

أما هي.. فدخلت داخل البيت.. أسمعها تتكلم معهم باللغة الروسية.. لم أفهم شيئاً.. لكنني لاحظت أن نبرات الصوت بدأت تزداد حدة!! واللهجة تتغير!! والصراخ يعلو!!.. وإذا كلهم يصرخون بها.. وهي تدافع هذا.. وترد على ذاك.. فأحسست أن الأمر فيه شر!.. ولكنني لا أستطيع أن أجزم بشيء لأني لم أفهم من كلامهم شيئاً..

وفجأة بدأت الأصوات تقترب من الغرفة التي أنا فيها.. وإذا بثلاثة من الشباب.. يتقدمهم رجل كهل.. يدخلون علي.. توقعت في البداية أنهم سيرحبون بزوج ابنتهم!.. وإذا بهم يهجمون علي كالوحوش.. وإذا بالترحيب ينقلب إلى لكمات.. وضربات.. وصفعات!!.. أخذت أدافعهم عن نفسي.. وأصرخ وأستغيث.. حتى خارت قواي.. وشعرت أن نهايتي في هذا البيت.. ازدادوا لكماً وركلاً.. وأنا أتلفت حولي.. أحاول أن أتذكر أين الباب الذي دخلت منه لأهرب منه.. فلما رأيت الباب.. قمت سريعاً..

وفتحت الباب وهربت.. وهم ورائي.. فدخلت في زحمة الناس.. حتى غبت عنهم.. ثم اتجهت إلى غرفتي.. وكانت ليست ببعيدة عن المنزل.. وقفت أغسل الدماء عن وجهي وفمي.. نظرت إلى نفسي.. وإذا بالضربات والصفعات.. قد أثرت في جبهتي وخدي وأنفي.. وإذا بالدم يسيل من فمي.. وثيابي ممزقة.. حمدت الله أن أنقذني من أولئك الوحوش.. لكني قلت.. أنا نجوت لكن ما حال زوجتي؟!.. أخذت صورتها تلوح أمام ناظري.. هل يمكن أن تتعرض هي أيضاً لمثل هذه اللكمات والضربات.. أنا رجل.. وما كدت أتحمل.. وهي امرأة فهل ستتحمل!!.. أخشى أن تنهار المسكينة..

هل حان الفراق..؟

بدأ الشيطان يعمل عمله.. ويقول لي: سترتد عن دينها.. ستعود نصرانية.. وتعود إلى بلدك وحدك.. وبقيت حائراً.. ماذا أفعل؟ في هذه البلاد.. أين أذهب.. كيف أتصرف؟.. النفس في هذه البلد رخيصة.. يمكنك أن تستأجر رجلاً لقتل آخر بعشرة دولارات!.. أوه.. كيف لو عذبوها فدلتهم على مكاني.. فأرسلوا أحداً لقتلي في ظلمة الليل.. أقفلت علي غرفتي.. وبقيت فيها فزعاً خائفاً حتى الصباح.. ثم غيرت ملابسي.. وذهبت أتجسس الأخبار.. أنظر إلى بيتهم عن بعد.. أرقبه.. وأتابع كل ما يحصل فيه.. لكن الباب مغلق.. ظللت أنتظر.. وفجأة.. فتح الباب.. وخرج منه ثلاثة من الشباب.. وكهل.. وهؤلاء الشباب هم الذين ضربوني.. يبدو من هيأتهم.. أنهم ذاهبون إلى أعمالهم.. أغلق الباب وأقفل!.. وبقيت أرقب.. وأترقب.. وأنظر.. وأتمنى أن أرى وجه زوجتي.. ولكن لا فائدة.. ظللت على هذا الحال ساعات.. وإذا بالرجال يقدمون من عملهم ويدخلون البيت.. تعبت.. فذهبت إلى غرفتي.. وفي اليوم الثاني.. ذهبت أترقب.. ولم أر زوجتي.. وفي اليوم الثالث كذلك.. يئست من حياتها.. توقعت أنها ماتت

من شدة العذاب.. أو قتلت!.. ولكن لو كانت ماتت.. فعلى الأقل سيكون هناك حركة في البيت.. سيكون هناك من يأتي للعزاء.. أو الزيارة.. لكنني عندما لم أر شيئاً غريباً.. أخذت أقنع نفسي أنها حية.. وأن اللقاء سيكون قريباً..

اللقاء..

وفي اليوم الرابع.. لم أصبر على الجلوس في غرفتي.. فذهبت أرقب بيتهم من بعيد.. فلما ذهب الشباب مع أبيهم إلى أعمالهم.. كالعادة.. وأنا أنظر وأتمنى.. فإذا بالباب يفتح فجأة.. وإذا بوجه زوجتي يطل من ورائه.. وإذا بها تلتفت يمنة ويسرة.. نظرت إلى وجهها.. فإذا به دوائر حمراء.. ولكمات زرقاء.. من كثرة الصفعات والكدمات.. وإذا لباسها مخضب بالدماء.. فزعت من منظرها.. ورحمتها.. اقتربت منها مسرعاً.. نظرت إليها أكثر.. فإذا الدماء تسيل من جروح في وجهها.. وإذا يداها.. وقدماها.. تسيل بالدماء..

وإذا ثيابها ممزقة.. لم يبق منها إلا خرقة بسيطة تسترها.. وإذا بأقدامها مربوطة بسلسلة!.. وإذا بيديها مربوطة بسلسلة من خلف ظهرها.. لما رأيتها.. بكيت.. لم أستطع أن أتمالك نفسي.. ناديتها من بعيد..

ثبات.. ووصايا..

فقالت لي وهي تدافع عبراتها.. وتئن من شدة عذابها: اسمع يا خالد.. لا تقلق علي.. فأنا ثابتة على العهد.. ووالله الذي لا إله إلا هو.. إن ما ألاقيه الآن.. لا يساوي شعرة مما لاقاه الصحابة والتابعون.. بل والأنبياء والمرسلون.. وأرجوك يا خالد.. لا تتدخل بيني وبين أهلي.. واذهب الآن سريعاً.. وانتظر في الغرفة.. إلى أن آتيك إن شاء الله.. ولكن

أكثر من الدعاء.. أكثر من قيام الليل.. أكثر من الصلاة.. ذهبت من عندها.. وأنا أتقطع ألماً وحسرة عليها.. وبقيت في غرفتي يوماً كاملاً أترقبها.. وأتمنى مجيئها.. ومر يوم آخر.. وبدأ اليوم الثالث يطوي بساطه.. حتى إذا أظلم الليل.. وإذا بباب الغرفة يطرق علي؟!.. فزعت.. من بالباب؟! من الطارق.. أصبت بخوف شديد.. من الذي يأتي في منتصف الليل؟!.. لعل أهلها علموا بمكاني.. لعل زوجتي اعترفت.. فجاءوا إلي لقتلي.. أصبت برعب كالموت.. لم يبق بيني وبين الموت إلا شعرة.. أخذت أردد قائلاً: من بالباب؟..

فإذا بصوت زوجتي يقول بكل هدوء.. افتح الباب.. أنا فلانة.. أضأت نور الغرفة.. فتحت الباب.. دخلت علي وهي تنتفض.. على حالة رثة.. وجروح في جسدها.. قالت لي: بسرعة.. هيا نذهب الآن!.. قلت: وأنت على هذا الحال؟!.. قالت: نعم.. بسرعة.. بدأت أجمع ملابسي وأقبلت هي على حقيبتها.. فغيرت ملابسها.. وأخرجت حجاباً وعباءة احتياطية.. فلبستها.. ثم أخذنا كل ما لدينا.. ونزلنا.. وركبنا سيارة أجرة.. ألقت المسكينة بجسدها المتهالك الجائع المعذب.. على كرسي السيارة..

إلى المطار..

وأول ما ركبت أنا.. قلت للسائق باللغة الروسية: إلى المطار.. وكنت قد عرفت بعض الكلمات الروسية.. فقالت زوجتي: لا.. لن نذهب إلى المطار.. سنذهب إلى القرية الفلانية.. قلت: لماذا؟ نحن نريد أن نهرب.. قالت: صحيح.. ولكن إذا اكتشف أهلي هروبي.. سيبحثون عنا في المطار.. ولكن نهرب إلى قرية كذا.. فلما وصلنا تلك القرية.. نزلنا.. وركبنا سيارة أخرى إلى قرية أخرى.. ثم إلى قرية ثالثة.. ثم إلى مدينة من المدن التي فيها مطار دولي.. فلما وصلنا إلى المطار الدولي.. حجزنا للعودة

إلى بلادنا.. وكان الحجز متأخراً فاستأجرنا غرفة وسكناها.. فلما استقر بنا المقام في الغرفة.. وشعرنا بالأمان.. نزعت زوجتي عباءتها.. فأخذت أنظر إليها.. يا الله.. ليس هناك موضع سلم من الدماء أبداً!!.. جلد ممزق.. دماء متحجرة.. شعر مقطع.. شفاه زرقاء..

قصة الرعب..

سألتها: ما الذي حصل؟.. فقالت: عندما دخلنا إلى البيت جلست مع أهلي.. فقالوا لي: ما هذا اللباس؟!!.. قلت: إنه لباس الإسلام.. قالوا: ومن هذا الرجل؟!.. قلت: هذا زوجي.. أنا أسلمت وتزوجت بهذا الرجل المسلم.. قالوا: لا يمكن هذا..

فقلت: اسمعوا: أحكي لكم القصة أولاً.. فحكيت لهم القصة.. وقصة ذلك الرجل الروسي الذي أراد أن يجرني إلى الدعارة.. وكيف هربت منه.. ثم التقيت بك.. فقالوا: لو سلكتي طريق الدعارة.. كان أحب إلينا من أن تأتينا مسلمة.. ثم قالوا لي: لن تخرجي من هذا البيت إلا أرثوذكسية أو جثة هامدة!!.. ومن تلك اللحظة.. أخذوني ثم كتفوني.. ثم جاءوا إليك وبدأوا يضربونك.. وأنا أسمعهم يضربونك.. وأنت تستغيث.. وأنا مربوطة..

وعندما هربت أنت.. رجع إخوتي إلي.. وعاودوا سبي وشتمي.. ثم ذهبوا واشتروا سلاسل.. فربطوني بها.. وبدأوا يجلدونني.. فأتعرض لجلد مبرح بأسواط عجيبة.. غريبة!!

كل يوم.. يبدأ الضرب بعد العصر إلى وقت النوم.. أما في الصباح فإخواني وأبي في الأعمال.. وأمي في البيت.. وليس عندي إلا أخت صغيرة عمرها ١٥ سنة.. تأتي إلي وتضحك من حالتي.. وهذا هو وقت الراحة الوحيد عندي.. هل تصدق أنه حتى النوم.. أنام وأنا مغمى علي!.. يجلدونني إلى أن يغمى علي وأنام.. وكانوا يطلبون مني فقط أن أرتد عن

الإسلام.. وأنا أرفض وأتصبر.. بعد ذلك.. بدأت أختي الصغيرة تسألني لماذا تتركين دينك.. دين أمك.. دين أبيك.. وأجدادك..

يجعل له مخرجاً..

فأخذت أقنعها.. أبين لها الدين.. وأوضح لها التوحيد.. فبدأت فعلاً تشعر بالقناعة.. بدأت تتأثر! بدأت صورة الإسلام أمامها تتضح!.. ففوجئت بها تقول لي: أنت على الحق.. هذا هو الدين الصحيح.. هذا هو الدين الذي ينبغي أن ألتزمه أنا أيضاً!!.. ثم قالت لي: أنا سأساعدك.. قلت لها: إذا كنت تريدين مساعدتي.. فاجعليني أقابل زوجي!.. فبدأت أختي تنظر من فوق البيت.. فتراك وأنت تمشي.. فكانت تقول لي: إنني أرى رجلاً صفته كذا وكذا.. فقلت: هذا هو زوجي.. فإذا رأيته فافتحي لي الباب لأكلمه..

وفعلاً فتحت الباب فخرجت وكلمتك.. لكني لم أستطع الخروج إليك.. لأني كنت مربوطة بسلسلتين.. مفتاحهما مع أخي.. وسلسلة ثالثة.. مربوطة بأحد أعمدة البيت.. حتى لا أخرج.. مفتاحها مع أختي هذه.. لأجل أن تطلقني للذهاب إلى الحمام..

وعندما كلمتك.. وطلبت منك أن تبقى إلى أن آتيك.. كنت مربوطة بالسلاسل.. فأخذت أقنع أختي بالإسلام.. فأسلمت.. وأرادت أن تضحي تضحية تفوق تضحيتي.. وقررت أن تجعلني أهرب من البيت.. لكن مفاتيح السلاسل مع أخي.. وهو حريص عليها..

في ذاك اليوم أعدت أختي لأخوتي خمراً مركزاً ثقيلاً.. فشربوا.. وشربوا.. إلى أن سكروا تماماً لا يدرون عن شيء.. ثم أخذت المفاتيح من جيب أخي.. وفكت السلاسل عني..

وجئت أنا إليك في ظلمة الليل.. فقلت لها: وأختك.. ماذا سيحصل لها؟؟.. قالت: ما يهم.. قد طلبت منها أن لا تعلن إسلامها.. إلى أن نتدبر أمرها.. نمنا تلك الليلة.. ومن الغد رجعنا إلى بلدنا..

وأول ما وصلنا أدخلت زوجتي إلى المستشفى.. ومكثت فيها عدة أيام تعالج من آثار الضربات والتعذيب.. وها نحن اليوم ندعوا لأختها أن يثبتها الله على دينه..

يا أختنا الغالية..

ما سقت لك هذه القصة لأهيج عواطفك.. ولا لأستدر دمعاتك.. أو أستثير مشاعرك.. كلا.. ولكن لتعلمي أن لهذا الدين.. أبطالاً يحملونه.. يضحون من أجله.. يسحقون لعزه جماجمهم.. ويسكبون دماءهم.. ويقطعون أجسادهم..

ولئن كان كفار الأمس.. أبو جهل وأمية.. عذبوا بلالاً وسمية.. فإن كفار اليوم لا يزالون يبذلون.. ويخططون ويكيدون.. في سبيل حرب هذا الدين.. فاحذري من أن تكوني فريسة.. وحتى تنتبهي لعزك.. فاعلمي أن:

أول من سكن الحرم.. امرأة..

عند البخاري.. أن إبراهيم عليه السلام.. انطلق من الشام.. إلى البلد الحرام.. معه زوجه هاجر وولدها إسماعيل وهو طفل صغير في مهده.. وهي ترضعه.. حتى وضعهما عند مكان البيت.. وليس بمكة يومئذ أحد.. وليس بها ماء.. فوضعها هنالك.. ووضع عندهما جراباً فيه تمر.. وسقاء فيه ماء.. ثم قفى عليه السلام منطلقاً إلى الشام.. فتلفتت أم إسماعيل حولها.. في هذه الصحراء الموحشة.. فإذا جبال صماء وصخوراً سوداء.. وما رأت حولها من أنيس ولا جليس.. وهي التي نشأت في قصور مصر.. ثم سكنت في الشام في مروجها الخضراء.. وحدائقها الغناء.. فاستوحشت مما حولها.. فقامت.. وتبعت زوجها.. فقالت: يا إبراهيم.. أين تذهب.. وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء؟.. فما رد عليها.. ولا التفت إليها..

فأعادت عليه.. أين تذهب وتتركنا.. فما رد عليها.. فأعادت عليه.. وما أجابها فلما رأت أنه لا يلتفت إليها.. قالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم.. قالت: حسبي.. قد رضيت بالله.. إذن لا يضيعنا.. ثم رجعت.. فانطلق إبراهيم الشيخ الكبير.. وقد فارق زوجه وولده.. وتركهما وحيدين.. حتى إذا كان عند ثنية جبل.. حيث لا يرونه.. استقبل بوجهه جهة البيت.. ثم رفع يديه إلى الله داعياً.. مبتهلاً.. راجياً.. فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧].. ثم ذهب إبراهيم إلى الشام.. ورجعت أم إسماعيل إلى ولدها.. فجعلت ترضعه وتشرب من ذلك الماء.. فلم تلبث أن نفذ ما في السقاء.. فعطشت.. وعطش ابنها.. وجعل من شدة العطش يتلوى.. ويتلمظ بشفتيه.. ويضرب الأرض بيديه وقدميه.. وأمه تنظر إليه يتلوى ويتلبط.. كأنه يصارع الموت..

فالتفتت حولها.. هل من معين أو مغيث.. فلم تر أحداً.. فقامت من عنده.. وانطلقت كراهية أن تنظر إليه يموت.. فاحتارت.. أين تذهب؟!!. فرأت جبل الصفا أقرب جبل إليها.. فصعدت عليه.. وهي المجهدة الضعيفة.. لعلها ترى أعراباً نازلين.. أو قافلة مارة.. فلما وصلت إلى أعلاه.. استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً.. فلم تر أحداً.. فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف ذرعها.. ثم سعت سعي الإنسان المجهود.. حتى جاوزت الوادي.. ثم أتت جبل المروة فقامت عليها.. ونظرت.. هل ترى أحداً.. فلم تر أحداً.. فعادت إلى الصفا.. فلم تر أحداً.. ففعلت ذلك سبع مرات.. فلما أشرفت على المروة في المرة السابعة.. سمعت صوتاً.. فقالت: صه.. ثم تسمعت..

فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث فأغثني.. فلم تسمع جواباً.. فالتفتت إلى ولدها.. فإذا هي بالملك عند موضع زمزم.. فضرب الأرض بعقبه أو بجناحه حتى تفجر الماء.. فنزلت إلى الماء سريعاً.. وجعلت تحوضه بيدها وتجمعه.. وتغرف بيدها من الماء في سقائها.. وهو يفور بعدما تغرف..

فقال لها جبريل: لا تخافوا الضيعة.. إن ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه.. فللّه درها ما أصبرها.. وأعجب حالها.. وأعظم بلاءها.. هذا خبر هاجر.. التي صبرت.. وبذلت.. حتى سطّر الله في القرآن ذكرها.. وجعل من الأنبياء ولدها.. فهي أم الأنبياء.. وقدوة الأولياء.. هذا حالها.. وعاقبة أمرها.. نعم.. تغربت وخافت.. وعطشت وجاعت.. لكنها راضية بذلك ما دام أن في ذلك رضا ربها.. عاشت غريبة في سبيل الله.. حتى أعقبها الله فرحاً وبشراً.. وطوبى للغرباء.. فمن هم الغرباء؟.. إنهم قوم صالحون.. بين قوم سوء كثير.. إنهم رجال ونساء.. صدقوا ما عاهدوا الله عليه.. يقبضون على الجمر.. ويمشون على الصخر.. ويبيتون على الرماد.. ويهربون من الفساد.. صادقة ألسنتهم.. عفيفة فروجهم.. محفوظة أبصارهم.. كلماتهم عفيفة.. وجلساتهم شريفة.. فإذا وقفوا بين يدي الله.. وشهدت الأيدي والأرجل.. وتكلمت الآذان والأعين.. فرحوا واستبشروا.. فلم تشهد عليهم عين بنظر إلى محرمات.. ولا أذن بسماع أغنيات..

بل شهدت لهم بالبكاء في الأسحار.. والعفة في النهار..

حتى إنهم يفدون دينهم بأرواحهم.

تغلي بهم القدور..!!

ماشطة بنت فرعون.. لم يحفظ التاريخ اسمها.. لكنه حفظ فعلها.. امرأة صالحة كانت تعيش هي وزوجها.. في ظل ملك فرعون.. زوجها مقرب من فرعون.. وهي خادمة ومربية لبنات فرعون.. فمنَّ الله عليهما بالإيمان.. فلم يلبث زوجها أن علم فرعون بإيمانه فقتله.. فلم تزل الزوجة تعمل في بيت فرعون تمشط بنات فرعون.. وتنفق على أولادها الخمسة.. تطعمهم كما تطعم الطير أفراخها.. فبينما هي تمشط ابنة فرعون يوماً.. إذ وقع المشط من يدها.. فقالت: بسم الله.. فقالت ابنة فرعون: الله.. أبي؟.. فصاحت الماشطة بابنة فرعون: كلا.. بل الله.. ربي.. وربك..

ورب أبيك.. فتعجبت البنت أن يعبد غير أبيها.. ثم أخبرت أباها بذلك.. فعجب أن يوجد في قصره من يعبد غيره.. فدعا بها.. وقال لها: من ربك؟ قالت: ربي وربك الله.. فأمرها بالرجوع عن دينها.. وحبسها.. وضربها.. فلم ترجع عن دينها.. فأمر فرعون بقدر من نحاس فملئت بالزيت.. ثم أحمي.. حتى غلا.. وأوقفها أمام القدر.. فلما رأت العذاب.. أيقنت إنما هي نفس واحدة تخرج وتلقى الله تعالى.. فعلم فرعون أن أحب الناس أولادها الخمسة.. الأيتام الذين تكدح لهم.. وتطعمهم فأراد أن يزيد في عذابها فأحضر الأطفال الخمسة.. تدور أعينهم.. ولا يدرون إلى أين يساقون.. فلما رأوا أمهم تعلقوا بها يبكون.. فانكبت عليهم تقبلهم وتشمهم وتبكي.. وأخذت أصغرهم وضمته إلى صدرها.. وألقمته ثديها.. فلما رأى فرعون هذا المنظر.. أمر بأكبرهم.. فجره الجنود ودفعوه إلى الزيت المغلي.. والغلام يصيح بأمه ويستغيث.. ويسترحم الجنود.. ويتوسل إلى فرعون.. ويحاول الفكاك والهرب.. وينادي إخوته الصغار.. ويضرب الجنود بيديه الصغيرتين.. وهم يصفعونه ويدفعونه.. وأمه تنظر إليه.. وتودعه.. فما هي إلا لحظات.. حتى ألقي الصغير في الزيت.. والأم تبكي وتنظر.. وإخوته يغطون أعينهم بأيديهم الصغيرة.. حتى إذا ذاب لحمه من على جسمه النحيل.. وطفحت عظامه بيضاء فوق الزيت.. نظر إليها فرعون وأمرها بالكفر بالله.. فأبت عليه ذلك.. فغضب فرعون.. وأمر بولدها الثاني.. فسحب من عند أمه وهو يبكي ويستغيث.. فما هي إلا لحظات حتى ألقي في الزيت.. وهي تنظر إليه.. حتى طفحت عظامه بيضاء واختلطت بعظام أخيه.. والأم ثابتة على دينها.. موقنة بلقاء ربها.. ثم أمر فرعون بالولد الثالث فسحب وقرب إلى القدر المغلي ثم حمل وغيب في الزيت.. وفعل به ما فعل بأخويه.. والأم ثابتة على دينها.. فأمر فرعون أن يطرح الرابع في الزيت.. فأقبل الجنود إليه.. وكان صغيراً قد تعلق بثوب أمه.. فلما جذبه الجنود.. بكى وانطرح على قدمي أمه.. ودموعه تجري على رجليها.. وهي تحاول أن تحمله مع أخيه.. تحاول أن تودعه وتقبله وتشمه

قبل أن يفارقها.. فحالوا بينه وبينها.. وحملوه من يديه الصغيرتين.. وهو يبكي ويستغيث.. ويتوسل بكلمات غير مفهومة.. وهم لا يرحمونه..

وما هي إلا لحظات حتى غرق في الزيت المغلي.. وغاب الجسد.. وانقطع الصوت.. وشمت الأم رائحة اللحم.. وعلت عظامه الصغيرة فوق الزيت يفور بها.. تنظر الأم إلى عظامه.. وقد رحل عنها إلى دار أخرى.. وهي تبكي.. وتتقطع لفراقه.. طالما ضمته إلى صدرها.. وأرضعته من ثديها.. طالما سهرت لسهره.. وبكت لبكائه.. كم ليلة بات في حجرها.. ولعب بشعرها.. كم قربت منه ألعابه.. وألبسته ثيابه.. فجاهدت نفسها أن تتجلد وتتماسك.. فالتفتوا إليها.. وتدافعوا عليها..

الطفل الرضيع..

وانتزعوا الخامس الرضيع من بين يديها.. وكان قد التقم ثديها.. فلما انتزع منها.. صرخ الصغير.. وبكت المسكينة.. فلما رأى الله تعالى ذلها وإنكسارها وفجيعتها بولدها.. أنطلق الصبي في مهده، وقال لها: يا أماه اصبري فإنك على الحق.. ثم انقطع صوته عنها.. وغيب في القدر مع إخوته.. ألقي في الزيت.. وفي فمه بقايا من حليبها.. وفي يده شعرة من شعرها.. وعلى أثوابها بقية من دمعها.. وذهب الأولاد الخمسة.. وها هي عظامهم يلوح بها القدر.. ولحمهم يفور به الزيت.. تنظر المسكينة.. إلى هذه العظام الصغيرة.. عظام من؟ إنهم أولادها.. الذين طالما ملئوا عليها البيت ضحكاً وسروراً.. إنهم فلذات كبدها.. وعصارة قلبها.. الذين لما فارقوها.. كأن قلبها أخرج من صدرها.. طالما ركضوا إليها.. وارتموا بين يديها.. وضمتهم إلى صدرها.. وألبستهم ثيابهم بيديها.. ومسحت دموعهم بأصابعها.. ثم ها هم ينتزعون من بين يديها.. ويقتلون أمام ناظريها.. وتركوها وحيدة وتولوا عنها.. وعن قريب ستكون معهم.. كانت تستطيع أن

تحول بينهم وبين هذا العذاب.. بكلمة كفر تسمعها لفرعون.. لكنها علمت أن ما عند الله خير وأبقى.. ثم.. لما لم يبق إلا هي.. أقبلوا إليها؛ كالكلاب الضارية.. ودفعوها إلى القدر.. فلما حملوها ليقذفوها في الزيت.. نظرت إلى عظام أولادها.. فتذكرت اجتماعها معهم في الحياة.. فالتفت إلى فرعون وقالت: لي إليك حاجة..

ـ فصاح بها وقال: ما حاجتك؟

ـ فقالت: أن تجمع عظامي وعظام أولادي فتدفنها في قبر واحد.. ثم أغمضت عينيها.. وألقيت في القدر.. واحترق جسدها.. وطفحت عظامها..

فللّه درها..

ما أعظم ثباتها.. وأكثر ثوابها.. ولقد رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء شيئاً من نعيمها.. فحدث به أصحابه، وقال لهم فيما رواه البيهقي: **«لما أسري بي مرت بي رائحة طيبة.. فقلت: ما هذه الرائحة؟ فقيل لي: هذه ماشطة بنت فرعون وأولادها..»**..

الله أكبر.. تعبت قليلاً.. لكنها استراحت كثيراً.. مضت هذه المرأة المؤمنة إلى خالقها.. وجاورت ربها.. ويرجى أن تكون اليوم في جنات ونهر.. ومقعد صدق عند مليك مقتدر.. وهي اليوم أحسن منها في الدنيا حالاً.. وأكثر نعيماً وجمالاً.. وعند البخاري أن رسول الله ﷺ قال: **«لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً.. ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»**.. وروى مسلم أنه ﷺ قال: **«من دخل الجنة ينعم لا يبؤس، لا تبلى ثيابه، ولا يفني شبابه.. وله في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.. ومن دخل إلى الجنة نسي عذاب الدنيا»**.. ولكن لن يصل أحد إلى الجنة إلا بمقاومة شهواته.. فلقد حفت الجنة بالمكاره.. وحفت النار بالشهوات.. فاتباع الشهوات في

اللباس.. والطعام.. والشراب.. والأسواق.. طريق إلى النار.. قال ﷺ كما في الصحيحين: «**حفت الجنة بالمكاره.. وحفت النار بالشهوات**».. فاتعبي اليوم وتصبري.. لترتاحي غداً.. فإنه يقال لأهل الجنة يوم القيامة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٤].. أما أهل النار فيقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأحقاف: ٢٠]..

مال في قبر..!!

ماشطة بنت فرعون.. ثبتت على دينها برغم الفتنة العظيمة التي أحاطت بها.. فعجباً والله لفتيات.. لا تستطيع إحداهن الثبات، ولو على إقامة الصلاة.. فلا تزال تتساهل بأدائها حتى تتركها حتى تكفر.. وقد قال النبي ﷺ كما عند الترمذي: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**».. ومن تركت الصلاة خلّدها الله في النيران.. وعذابها مع الشيطان.. وأبعدها عن النعيم.. وسقاها من الحميم.. ذكر الذهبي في الكبائر.. أن امرأة ماتت فدفنها أخوها.. فسقط كيس منه فيه مال في قبرها فلم يشعر به حتى انصرف عن قبرها.. ثم ذكره فرجع إلى قبرها فنبش التراب..

فلما وصل إليها وجد القبر يشتعل عليها ناراً.. ففزع.. ورد التراب عليها.. ورجع إلى أمه باكياً فزعاً..

ـ وقال: أخبريني عن أختي، وماذا كانت تعمل؟..

ـ فقالت الأم: وما سؤالك عنها؟

ـ قال: يا أمي إني رأيت قبرها يشتعل عليها ناراً..

ـ فبكت الأم، وقالت: كانت أختك تتهاون بالصلاة.. وتؤخرها عن وقتها..

فهذا حال من تؤخر الصلاة عن وقتها.. فلا تصلي الفجر إلا بعد طلوع الشمس.. أو تؤخر غيرها من الصلوات.. فكيف حال من لا تصلي؟..

وقد أخبر النبي ﷺ عن رؤياه لعذاب من يخرج الصلاة عن وقتها..

فقال: «أتاني الليلة آتيان.. وإنهما ابتعثاني.. وإنهما قالا له: انطلق.. وإني انطلقت معهما.. وإنا أتينا على رجل مضطجع.. وإذا آخر قائم عليه بصخرة.. وإذا هو يهوي بالصخرة على رأسه.. فيثلغ رأسه.. فيتدهده الحجر ها هنا.. فيتبع الحجر فيأخذه.. فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه.. فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى.. فقلت: سبحان الله ما هذان؟.. فقال الملكان: هذا الرجل.. يأخذ القرآن فيرفضه.. (يعني: لا يعمل بما فيه).. وينام عن الصلاة المكتوبة».. ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم: ٣٣].

الملكة..

هل تعرفينها؟.. كانت ملكة على عرشها.. على أسرّة ممهدة.. وفرش منضدة.. بين خدم يخدمون.. وأهل يكرمون..

لكنها كانت مؤمنة تكتم إيمانها.. إنها آسية.. امرأة فرعون.. كانت في نعيم مقيم.. فلما رأت قوافل الشهداء.. تتسابق إلى أبواب السماء.. اشتاقت لمجاورة ربها.. وكرهت مجاورة فرعون..

فلما قتل فرعون الماشطة المؤمنة.. دخل على زوجه آسية يستعرض أمامها قواه.. فصاحت به آسية: الويل لك ما أجرأك على الله.. ثم أعلنت إيمانها بالله.. فغضب فرعون.. وأقسم لتذوقن الموت.. أو لتكفرن بالله ثم أمر فرعون بها فمدت بين يديه على لوح.. وربطت يداها وقدماها في أوتاد من حديد.. وأمر بضربها فضربت.. حتى بدأت الدماء تسيل من جسدها.. واللحم ينسلخ عن عظامها.. فلما اشتد عليها العذاب.. وعاينت الموت.. رفعت بصرها إلى السماء.. وقالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١].. وارتفعت دعوتها إلى السماء..

قال ابن كثير: فكشف الله لها عن بيتها في الجنة.. فتبسمت.. ثم ماتت.. نعم.. ماتت الملكة.. التي كانت بين طيب وبخور.. وفرح وسرور.. نعم تركت فساتينها.. وعطورها وخدمها.. وصديقاتها.. واختارت

الموت.. لكنها اليوم.. تتقلب في النعيم كيفما شاءت.. قد نفعها صبرها على الطاعات ومقاومتها للشهوات..

أول من أسلم.. امرأة..

ومضت تلك الملكة إلى ربها.. ولا زال الخير في النساء..

عند البخاري: أن النبي ﷺ قبل أن يوحى إليه بالنبوة.. كان يذهب إلى غار حراء.. بجانب المدينة.. فيتعبد فيه.. فبينما هو ﷺ في هدوء الغار يوماً.. إذ جاءه جبريل فجأة..

ـ فقال: اقرأ.. ففزع النبي ﷺ منه..

ـ وقال: «**ما قرأت كتاباً قط.. ولا أحسنه، وما أكتب، وما أقرأ..**».

فأخذه جبريل فضمه إليه.. حتى بلغ منه الجهد.. ثم تركه..

ـ فقال: اقرأ..

ـ فقال ﷺ: «**ما أنا بقارئ..**».

فأخذه فضمه إليه الثانية.. حتى بلغ منه الجهد.. ثم تركه..

ـ فقال: اقرأ..

ـ فقال ﷺ: «**ما أنا بقارئ..**».

فأخذه جبريل فضمه إليه الثالثة.. حتى بلغ منه الجهد.. ثم تركه..

ـ فقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ٢ ـ ٥]..

فلما سمع النبي ﷺ هذه الآيات.. ورأى هذا المنظر.. اشتد فزعه.. ورجف فؤاده.. ثم رجع إلى المدينة.. فدخل على خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها فقال: «**زملوني.. زملوني..**» (أي: غطوني بالفراش).. ثم اضطجع.. وغطوه.. وأم المؤمنين.. تنظر إليه.. لا تدري ما الذي أفزعه..

فلبث ﷺ ملياً حتى سكن روعه.. ثم التفت إلى خديجة فأخبرها الخبر..

- وقال لها: «**يا خديجة.. لقد خشيت على نفسي..**».

- فقالت خديجة: كلا.. والله لا يخزيك الله أبداً.. إنك لتصل الرحم.. وتقري الضيف.. وتحمل الكل.. وتكسب المعدوم.. وتعين على نوائب الحق..

ثم لم ينقطع خيرها.. ولم يقف حماسها.. وإنما أخذت بيده ﷺ.. فانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل ابن عمها.. وكان شيخاً كبيراً أعمى.. وكان امرءاً تنصّر في الجاهلية.. وكان يقرأ الإنجيل.. ويكتبه.. ويعرف أخبار الأنبياء..

فلما دخلت عليه خديجة.. جلست إليه ومعها رسول الله ﷺ..

- فقالت له: يا ابن عم! اسمع من ابن أخيك..

- فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟.. فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى.. وما سمع من القرآن..

- فقال ورقة: سبوح.. سبوح.. أبشر ثم أبشر.. هذا الناموس الذي أنزل على موسى..

- ثم قال ورقة: يا ليتني فيها جذعاً.. حين يخرجك قومك.. أي: شاباً قوياً لأخرج معك وأنصرك؟

- ففزع ﷺ وقال: «**أومخرجي هم؟!..**».

- فقال: نعم! إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي.. وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً.. أي: أنصرك نصراً عزيزاً أبداً..

ثم خرج ﷺ مع زوجه خديجة.. وقد أيقنت خديجة أن عهد النوم قد تولى.. وأنها مع زوج سيبتلى.. وقد تخرج من بيتها.. وتؤذى في نفسها.. وهي المرأة التي نشأت غنية منعمة.. حسيبة مكرمة.. وها هي تستقبل البلاء.. فهل تخاذلت عن نصرة الدين.. أو خلطت الشك باليقين.. كلا.. بل آمنت بربها.. ونصرت نبيها.. بمالها.. ورأيها.. وجهدها.. ولم يزل هذا حالها حتى لقيت ربها..

وقد روى مسلم أن النبي ﷺ أتاه جبريل فقال: يا رسول الله.. هذه خديجة.. قد أتتك ومعها إناء فيه إدام، أو طعام، أو شراب.. فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها.. ومني.. وبشرها ببيت في الجنة من قصب.. لا صخب فيه، ولا نصب.. هذا خبر خديجة.. أول من دخل في الإسلام.. ونبذ عبادة الأصنام.. فرضي الله عن أم المؤمنين خديجة.. رضي الله عن أمنا.. فهلا اقتدت بها بناتها.. هلا اقتديت أنت بها.. ليكون لك في الجنة مثلها بيت من قصب.. لا نصب فيه، ولا وصب..

الطعنة الأخيرة..!!

كانت أم عمار.. سمية بنت خياط.. أمة مملوكة لأبي جهل.. فلما جاء الله بالإسلام.. أسلمت هي وزوجها وولدها.. فجعل أبو جهل يفتنهم.. ويعذبهم.. ويربطهم في الشمس حتى يشرفوا على الهلاك حراً وعطشاً.. فكان ﷺ يمر بهم وهم يعذبون.. ودماؤهم تسيل على أجسادهم.. وقد تشققت من العطش شفاههم.. وتقرحت من السياط جلودهم.. وحر الشمس يصهرهم من فوقهم.. فيتألم ﷺ لحالهم.. ويقول: «**صبراً آل ياسر.. صبراً آل ياسر.. فإن موعدكم الجنة**».. فتلامس هذه الكلمات أسماعهم.. فترقص أفئدتهم.. وتطير قلوبهم.. فرحاً بهذه البشرى.. وفجأة.. إذا بفرعون هذه الأمة.. أبي جهل يأتيهم.. فيزداد غيظه عليهم.. فيسومهم عذاباً.. ويقول: سبوا محمداً وربه.. فلا يزدادون إلا ثباتاً وصبراً.. عندها يندفع الخبيث إلى سمية.. ثم يستل حربته.. ويطعن بها في فرجها.. فتتفجر دماؤها.. ويتناثر لحمها.. فتصيح وتستغيث.. وزوجها وولدها على جانبيها.. مربوطان يلتفتان إليها.. وأبو جهل يسب ويكفر.. وهي تحتضر وتكبر..

فلم يزل يقطع جسدها المتهالك بحربته.. حتى تقطعت أشلاء.. وماتت رضي الله عنها.. نعم.. ماتت.. فللّه درها ما أحسن مشهد موتها.. ماتت..

وقد أرضت ربها.. وثبتت على دينها.. ماتت. ولم تعبأ بجلد جلاد.. ولا إغراء فساد..

تشرب من ماء السماء..!!

نعم.. كانت النساء.. تصبر على البلاء.. كن يصبرن على العذاب الشديد.. والكي بالحديد.. وفراق الزوج والأولاد.. يصبرن على ذلك كله حباً للدين.. وتعظيماً لرب العالمين.. لا تتنازل إحداهن عن شيء من دينها.. ولا تهتك حجابها.. ولا تدنس شرفها.. ولو كان ثمن ذلك حياتها.. أم شريك غزية الأنصارية.. أسلمت مع أول من أسلم في مكة البلد الأمين.. فلما رأت تمكن الكافرين.. وضعف المؤمنين.. حملت همَّ الدعوة إلى الدين.. فقوي إيمانها.. وارتفع شأن ربها عندها.. ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهن إلى الإسلام.. وتحذرهن من عبادة الأصنام.. حتى ظهر أمرها لكفار مكة.. فاشتد غضبهم عليها.. ولم تكن قرشية يمنعها قومها..

فأخذها الكفار وقالوا: لولا أن قومك حلفاء لنا لفعلنا بك وفعلنا.. لكنا نخرجك من مكة إلى قومك.. فتلتلوها.. ثم حملوها على بعير.. ولم يجعلوا تحتها رحلاً.. ولا كساءً.. تعذيباً لها.. ثم ساروا بها ثلاثة أيام.. لا يطعمونها، ولا يسقونها.. حتى كادت أن تهلك ظمئاً وجوعاً.. وكانوا من حقدهم عليها.. إذا نزلوا منزلاً أوثقوها.. ثم ألقوها تحت حر الشمس.. واستظلوا هم تحت الشجر.. فبينما هم في طريقهم.. نزلوا منزلاً.. وأنزلوها من على البعير.. وأوثقوها في الشمس.. فاستسقتهم فلم يسقوها.. فبينما هي تتلمظ عطشاً.. إذ بشيء بارد على صدرها.. فتناولته بيدها فإذا هو دلو من ماء.. فشربت منه قليلاً.. ثم نزع منها فرفع.. ثم عاد فتناولته فشربت منه، ثم رفع.. ثم عاد فتناولته ثم رفع مراراً.. فشربت حتى رويت.. ثم أفاضت منه على جسدها وثيابها..

فلما استيقظ الكفار.. وأرادوا الارتحال.. أقبلوا إليها.. فإذا هم بأثر الماء على جسدها وثيابها.. ورأوها في هيئة حسنة.. فعجبوا.. كيف وصلت إلى الماء وهي مقيدة..

ـ فقالوا لها: حللت قيودك.. فأخذت سقائنا فشربت منه؟..

ـ قالت: لا والله.. ولكنه نزل علي دلو من السماء فشربت حتى رويت..

فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: لئن كانت صادقة لدينها خير من ديننا.. وتفقدوا قربهم وأسقيتهم.. فوجدوها كما تركوها.. فأسلموا عند ذلك.. كلهم.. وأطلقوها من عقالها، وأحسنوا إليها.. أسلموا كلهم بسبب صبرها وثباتها.. وتأتي أم شريك يوم القيامة، وفي صحيفتها.. رجال ونساء.. أسلموا على يدها..

امرأة من أهل الجنة..!!

نعم.. عرف التاريخ أم شريك.. وعرف أيضاً.. الغميصاء.. أم أنس بن مالك.. التي قال فيها النبي ﷺ فيما رواه البخاري: «**دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي فإذا هي الغميصاء بنت ملحان**».. امرأة من أعجب النساء.. عاشت في بداية حياتها كغيرها من الفتيات في الجاهلية.. تزوجت مالك بن النضر.. فلما جاء الله بالإسلام.. استجابت وفود من الأنصار.. وأسلمت أم سليم.. مع السابقين إلى الإسلام.. وعرضت الإسلام على زوجها فأبى وغضب عليها.. وأرادها على الخروج معه من المدينة إلى الشام.. فأبت وتمنعت.. فخرج.. وهلك هناك.. وكانت امرأة عاقلة جميلة فتسابق إليها الرجال.. فخطبها أبو طلحة قبل أن يسلم..

ـ فقالت: أما إني فيك لراغبة.. وما مثلك يرد.. ولكنك رجل كافر.. وأنا امرأة مسلمة.. فإن تسلم فذاك مهري.. لا أسأل غيره..

ـ قال: إني على دين..

ـ قالت: يا أبا طلحة.. ألست تعلم أن إلهك الذي تعبده خشبة نبتت من الأرض نجرها حبشي بني فلان؟

ـ قال: بلى..

ـ قالت: أفلا تستحي أن تعبد خشبة من نبات الأرض نجرها حبشي بني فلان؟ يا أبا طلحة.. إن أنت أسلمت لا أريد من الصداق غيره..

ـ قال: حتى أنظر في أمري.. فذهب ثم جاء إليها..

ـ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله.. وأنا محمداً رسول الله..

فاستبشرت.. وقالت: يا أنس زوج أبا طلحة.. فتزوجها.. فما كان هناك مهر قط أكرم من مهر أم سليم: الإسلام.. انظري كيف أرخصت نفسها في سبيل دينها.. وأسقطت من أجل الإسلام حقها.. نعم.. فتاة تعيش لأجل قضية واحدة هي الإسلام.. كيف ترفع شأنه.. وتعلي قدره.. وتهدي الناس إليه..

بل.. حينما قدم النبي ﷺ المدينة.. استقبله الأنصار والمهاجرون فرحين مستبشرين.. ونزل ﷺ في بيت أبي أيوب.. فأقبلت الأفواج على بيته لزيارته ﷺ.. فخرجت أم سليم الأنصارية من بين هذه الجموع.. وأرادت أن تقدم لرسول الله ﷺ شيئاً.. فلم تجد أحب إليها من فلذة كبدها.. فأقبلت بولدها أنس.. ثم وقفت بين يدي النبي ﷺ.. فقالت: يا رسول الله هذا أنس يكون معك دائماً يخدمك.. ثم مضت

وبقي أنس عند رسول الله ﷺ يخدمه صباحاً ومساءً..

ليلة مع أم سليم..!!

لم تكن أم سليم تتصنع البذل أمام الناس وتنساه في نفسها.. وإنما العجب حالها في بيتها.. من عناية بزوجها.. ورضاً بقسمة ربها.. تزوجت أم سليم أبا طلحة.. ورزقت منه بغلام صبيح.. هو أبو عمير. وكان أبو طلحة يحبه حباً عظيماً.. بل كان ﷺ يحبه.. ويمر بالصغير فيرى معه طيراً

يلعب به.. اسمه النغير.. فكان يمازحه ويقول: «**يا أبا عمير ما فعل النغير؟**».. فمرض الغلام.. فحزن أبو طلحة عليه حزناً شديداً.. حتى اشتد المرض بالغلام يوماً.. وخرج أبو طلحة في حاجة إلى رسول الله ﷺ.. وتأخر عنده.. فازداد مرض الغلام ومات.. وأمه عنده.. بكى بعض أهل البيت.. فهدأتهم وقالت: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه.. فوضعت الغلام في ناحية من البيت وغطته.. وأعدت لزوجها طعامه.. فلما عاد أبو طلحة إلى بيته..

ـ سألها: كيف الغلام؟

ـ قالت: هدأت نفسه.. وأرجو أن يكون قد استراح.. فتوجه إليه ليراه.. فأبت عليه وقالت: هو ساكن فلا تحركه.. ثم قربت له عشاءه فأكل وشرب.. ثم أصاب منها ما يصيبه الرجل من امرأته.. فلما رأت أنه قد شبع واستقر..

ـ قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟

ـ قال: لا..

ـ قالت: ألا تعجب من جيراننا؟

ـ قال: وما لهم؟!

ـ قالت: أعارهم قوم عارية.. وطال بقاؤها عندهم حتى رأوا أن قد ملكوها.. فلما جاء أهلها يطلبونها.. جزعوا أن يعطوهم إياها..

ـ فقال: بئس ما صنعوا..

ـ فقالت: هذا ابنك.. كانت عارية من الله.. وقد قبضه إليه.. فاحتسب ولدك عند الله..

ففزع.. ثم قال: والله ما تغلبيني على الصبر الليلة.. فقام وجهز ولده.. فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فأخبره.. فدعا لهما بالبركة..

قال راوي الحديث: فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة أولاد

كلهم قد قرأ القرآن.. فانظري كيف ارتفعت بدينها.. عن شق الجيوب.. وضرب الخدود.. والدعاء بالويل والثبور.. هل رأيتم امرأة توفي ابنها.. بين يديها.. وتقوم بخدمة زوجها.. وتهيئ له نفسها.. بل هل رأيت ألطف من لطفها.. أو ألين من طريقتها..

امرأة تربي زوجها..!!

إن امرأة بهذا الإيمان والدين.. والصدق واليقين.. لينتشر خيرها.. وتعم بركة فعلها.. على أهل بيتها.. فيصلح أولادها... وتستقيم بناتها.. ويتأثر زوجها بصلاحها.. فلا عجب أن يرتفع شأن أبي طلحة بعد زواجه منها.. كانت أم سليم تحثه على الدعوة والجهاد.. وطاعة رب العباد.. حتى إذا كانت غزوة أُحد.. خرج أبو طلحة مع المجاهدين.. فاشتد عليهم البلاء.. فاضطرب المسلمون.. وقتلوا.. وتفرقوا..

وأقبل المشركون على رسول الله ﷺ يريدون قتله.. فأقبل عليه أصحابه الأخيار.. وهم جرحى.. وجوعى.. دماؤهم تسيل على دروعهم.. ولحومهم تتناثر من أجسادهم..

أقبلوا على رسول الله ﷺ.. فأحاطوه بأجسادهم يصدون عنه الرماح.. وضربات السيوف.. تقع في أجسادهم دونه.. وكان أبو طلحة يرفع صدره ويقول: يا رسول الله لا يصيبك سهم.. نحري دون نحرك.. وهو يقاتل عن رسول الله ﷺ ويحامي..

والكفار يضربونه من كل جانب.. هذا يرميه بسهم.. وذلك يضربه بسيف.. والثالث يطعنه بخنجر.. فلم يلبث أن صرع ووقع من كثرة الضرب عليه.. فأقبل أبو عبيدة يشتد مسرعاً.. فإذا أبو طلحة صريعاً.. فقال النبي ﷺ: «**دونكم أخاكم فقد أوجب**».. فحملوه.. فإذا بجسده بضع عشرة ضربه وطعنة.. نعم.. كان أبو طلحة بعدها.. يرفع راية الدين.. وكان ﷺ يقول: «**لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة!!**».. هذا صوته في الجيش.. فما بالك بقوته وقتاله؟..

من النرويج إلى أفريقيا..!!

كيف تتقاعس فتيات اليوم عن نصرة الدين.. بل كيف ترى المنكرات ظاهرة.. بصور فاجرة.. أو علاقات سافرة.. ومحرمات في اللباس والحجاب.. مؤذنة بقرب نزول العذاب.. ترى هذه المنكرات بين قريباتها.. وأخواتها وزميلاتها.. ثم لا تنشط للإنكار.. وقد قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره**».. فهل غيرت ما استطعت من منكرات؟.. ليت شعري.. كيف يكون حالك يوم القيامة.. إذا تعلقت بك الصديقة والزميلة.. والحبيبة والخليلة.. وبكين وانتحبن.. لم رأيتينا على المنكرات.. ومقارفة المحرمات.. ولم تنهي، أو تنصحي.. أو تعظي وتذكري.. وانظري إلى تضحية الكافرات لدينهن..

يقول أحد الدعاة: كنت في رحلة دعوية إلى اللاجئين في أفريقيا.. كان الطريق وعراً موحشاً.. أصابنا فيه شدة وتعب.. ولا نرى أمامنا إلا أمواجاً من الرمال.. ولا نصل إلى قرية في الطريق.. إلا ويحذرنا من قطاع الطرق.. ثم يسّر الله الوصول إلى اللاجئين ليلاً.. فرحوا بمقدمي.. وأعدوا خيمة فيها فراش بال.. ألقيت بنفسي على الفراش من شدة التعب.. ثم رحت أتأمل رحلتي هذه.. أتدري ما الذي خطر في نفسي؟!

شعرت بشي من الاعتزاز والفخر.. بل أحسست بالعجب والاستعلاء! فمن ذا الذي سبقني إلى هذا المكان؟!.. ومن ذا الذي يصنع ما صنعت؟!.. ومن ذا الذي يستطيع أن يتحمل هذه المتاعب؟!..

وما زال الشيطان ينفخ في قلبي حتى كدت آتيه كبراً وغروراً.. خرجنا في الصباح نتجول في أنحاء المنطقة.. حتى وصلنا إلى بئر يبعد عن منازل اللاجئين.. فرأيت مجموعة من النساء يحملن على رؤوسهن قدور الماء..

ولفت انتباهي امرأة بيضاء من بين هؤلاء النسوة.. كنت أظنها ـ بادئ الرأي ـ واحدة من نساء اللاجئين مصابه بالبرص.. فسألت صاحبي عنها..

ـ قال لي مرافقي: هذه منصرة.. نرويجية.. في الثلاثين من عمرها.. تقيم هنا منذ ستة أشهر.. تلبس لباسنا.. وتأكل طعامنا.. وترافقنا في أعمالنا.. وهي تجمع الفتيات كل ليلة.. تتحدث معهن.. وتعلمهن القراءة والكتابة.. وأحياناً الرقص.. وكم من يتيم مسحت على رأسه! ومريض خففت من ألمه!..

فتأملي في حال هذه المرأة.. ما الذي دعاها إلى هذه القفار النائية وهي على ضلالها؟!.. وما الذي دفعها لتترك حضارة أوروبا، ومروجها الخضراء؟!.. وما الذي قوى عزمها على البقاء مع هؤلاء العجزة المحاويج، وهي في قمة شبابها؟!.. أفلا تتصاغرين نفسك.. هذه منصرة ضالة.. تصبر وتكابد.. وهي على الباطل..

بل في أدغال أفريقيا.. تأتي المنصرة الشابة من أمريكا وبريطانيا، وفرنسا.. تأتي لتعيش في كوخ من خشب.. أو بيت من طين.. وتأكل من أردئ الطعام كما يأكلون.. وتشرب من النهر كما يشربون.. ترعى الأطفال.. وتطبب النساء.. فإذا رأيتيها بعد عودتها إلى بلدها.. فإذا هي قد شحب لونها.. وخشن جلدها.. وضعف جسدها.. لكنها تنسى كل هذه المصاعب لخدمة دينها.. عجباً..

هذا ما تبذله تلك النصرانيات الكافرات.. ليعبد غير الله.. ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]..

ويقول آخر..

كنت في ألمانيا.. فطرق علي الباب.. وإذا صوت امرأة شابة ينادي من ورائه..

ـ فقلت لها: ما تريدين؟

ـ قالت: افتح الباب..

ـ قالت: أنا رجل مسلم.. وليس عندي أحد.. ولا يجوز أن تدخلي علي.. فأصرت علي.. فأبيت أن أفتح الباب..

ـ فقالت: أنا من جماعة شهود يهوه الدينية.. افتح الباب.. وخذ هذه الكتب والنشرات..

ـ قلت: لا أريد شيئاً.. فأخذت تترجى.. فوليت الباب ظهري.. ومضيت إلى غرفتي.. فما كان منها إلا أن وضعت فمها على ثقب في الباب.. ثم أخذت تتكلم عن دينها.. وتشرح مبادئ عقيدتها لمدة عشر دقائق..

فلما انتهت.. توجهت إلى الباب وسألتها: لم تتعبين نفسك هكذا..

ـ فقالت: أنا أشعر الآن بالراحة.. لأني بذلت ما أستطيع في سبيل خدمة ديني.. ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]..

وأنت.. أفلا تساءلت يوماً..

ماذا قدمت للإسلام.. كم فتاة تابت على يدك.. كم تنفقين لهداية الفتيات إلى ربك..

تقول بعض الصالحات: لا أجرؤ على الدعوة.. ولا إنكار المنكرات.. عجباً!!.. كيف تجرؤ مغنية فاجرة.. أن تغني أمام عشرة آلاف يلتهمونها بأعينهم قبل آذانهم.. ولم تقل إني خائفة أخجل.. كيف تجرؤ راقصة داعرة.. أن تعرض جسدها أمام الآلاف.. ولا تفزع وتوجل.. وأنت إذا أردنا منك مناصحة، أو دعوة.. خذلك الشيطان.. بل بعض الفتيات.. تزين لغيرها المنكرات.. فتتبادل معهن مجلات الفحشاء.. وأشرطة الغناء.. أو تدعوهن إلى مجالس منكر وبلاء.. وهذا من التعاون على الإثم والعدوان.. والدخول في حزب الشيطان.. ولتنقلبن هذه المحبة إلى عداوة وبغضاء..

قال الله: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧].. هذا حالهن في عرصات القيامة.. يلبسن لباس الخزي والندامة.. أما في النار.. فكما قال الله عن فريق من العصاة: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥]..

نعم يلعن بعضهن بعضاً.. تقول لصاحبتها التي طالما جالستها في الدنيا.. وضاحكتها وقبلتها.. تقول لها يوم القيامة: لعنك الله أنت التي أوقعتيني في الغزل والفحشاء.. فتصيح بها الأخرى: بل لعنك الله أنت.. فأنت التي أعطيتيني أشرطة الغناء.. فتجيبها: بل لعنك الله أنت.. أنت التي دللتيني على طرق الفجور.. عجباً.. كيف غابت تلك الضحكات.. والهمسات واللمسات.. طالما طفتما في الأسواق.. وضاحكتما الرفاق.. واليوم يكفر بعضكن ببعض.. ويلعن بعضكن بعضاً.. نعم.. لأنهن ما اجتمعن يوماً على نصيحة، أو خير.. فهن يوم القيامة يجتمعن.. ولكن أين يجتمعن؟.. في نار لا يخبو سعيرها.. ولا يبرد لهيبها.. ولا يخفف حرها.. إلا أن يشاء الله..

فأين نساؤنا اليوم؟..

أين نساؤنا عن سير هؤلاء الصالحات.. أين النساء اللاتي يقعن في المخالفات الشرعية في لباسهن.. وحديثهن.. ونظرهن.. ثم إذا نصحت إحداهن قالت: كل النساء يفعلن مثل ذلك.. ولا أستطيع مخالفة التيار.. سبحان الله!!.. أين القوة في الدين.. والثبات على المبادئ.. إذا كانت الفتاة بأدنى فتنة تتخلى عن طاعة ربها.. وتطيع الشيطان.. أين الاستسلام لأوامر الله..

والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦]..

أين تلك الفتيات العابثات.. اللاتي تتعرض إحداهن للعنة ربها.. فتلبس عباءتها على كتفها.. فيرى الناس تفاصيل كتفيها وجسدها.. إضافة إلى تشبهها بالرجال.. لأن الرجال هم الذين يلبسون عباءاتهم على أكتافهم.. ومن تشبهت بالرجال فهي ملعونة.. وأين تلك الواشمة.. التي تضع الوشم على وجهها على شكل نقط متفرقة.. أو على شكل رسوم في مناطق من جسدها.. وهذا فعل المومسات..

والنبي ﷺ قد قال: «**لعن الله الواشمة والمستوشمة**».. بل.. أين تلك المرأة التي تلبس الشعر المستعار.. أو ما يسمى بالباروكة.. والله تعالى قد لعن الواصلة والمستوصلة.. فهؤلاء النساء ملعونات.. أتدرين ما معنى ملعونة؟! أي: مطرودة من رحمة الله.. مطرودة عن سبيل الجنة.. أوترضين أن تطردي عن الجنة.. بسبب شعرات تنتفينها من حاجبيك.. أو عباءة تنزلينها على كتفيك.. أو نقاط من وشم في أنحاء جسدك..

المحرومات..!!

من اتباع الهوى.. والشيطان.. تكلف الفتاة في تزيين مظهرها.. ولو كان في ذلك التعرض للعنة الله.. ومن ذلك نمص الحواجب وترقيقها.. إما بالنتف أو الحلق.. وهو تحقيق لوعيد الشيطان لما قال لربه: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].. والنمص تعرض للعنة الله.. فقد صح عند أبي داود وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لعن رسول ﷺ الواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة المغيرات لخلق الله.. سبحان الله كيف تفعلين ما يعرضك للعنة الله.. وأنت تسألين الله المغفرة والرحمة في الصلاة وخارجها.. أليس هذا تناقضاً بين قولك وفعلك؟! تطلبين الرحمة وتفعلين ما يطردك منها.. إن هذا لشيء عجاب!!.. وأفتى أهل العلماء الربانيون بتحريمه.. وبين يدي أكثر من عشرين فتوى بتحريمه.. فمن مقتضى إيمانك بالله.. طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر.. بل إن النمص من التشبه بالكافرات.. ومن تشبه بقوم فهو منهم.. والله يقول يوم القيامة: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].. أي: أشباههم ونظراءهم.. ومن أحب قوماً حشر معهم.. ولا تقولي كثيرات يفعلن ذلك.. فكثيرات أيضاً يعبدن الأصنام.. فهل تعبدين معهن.. وكثيرات يعلقن الصليب.. فهل تفعلين مثلهن.. إن كثرة العاصيات لا تعذرك عند الله.. فأنت مسئولة عن عملك..

وكما كنت في ظهر أبيك وحدك.. ثم في بطن أمك وحدك.. ثم ولدت وحدك.. فإنك تموتين وحدك.. وتبعثين يوم القيامة.. وحدك.. وتمرين على الصراط وحدك.. وتأخذين كتابك وحدك.. وتسألين بين يدي الله وحدك..

قال الله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٩٣ ـ ٩٥]..

على موج البحر..

كم من الفتيات المؤمنات.. انجرفت إحداهن مع الأمواج.. فبدأت تتساهل بالحجاب والعباءة.. وترضى أن تتتبع ما يصنعه المفسدون.. بل يصممه الفجرة والكافرون.. من العباءات التي تظهر الزينة بدل أن تسترها.. عجباً!!.. كيف ترضين أن تكوني دمية يلبسونها ما شاوءا؟..

فهذه عباءة مطرزة.. وتلك مخصرة.. والثالثة على الكتفين.. والرابعة واسعة الكمين.. أصبحت أكثر العباءات.. تحتاج إلى سترها بعباءة.. فالحجاب.. إنما شرع لستر الزينة عن الرجال.. فإذا كان الحجاب في نفسه زينة.. فما الحاجة إليه.. وقد قال ﷺ فيما رواه مسلم: «**صنفان من أهل النار لم أرهما.. رجال معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس.. ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**».. فمن هي الفتاة التي لا تريد الجنة، ولا رائحتها؟.. أما تعلمين.. أنك بتبرجك وسفورك تصبحين وسيلة من وسائل الشيطان؟ هل ترضين أن تكوني سبباً في وقوع مسلم في الحرام؟ أتدرين أنك إذا لبست عباءة متبرجة.. ثم رأتك فتاة فاشترت مثلها فلبستها.. أتعلمين أن عليك وزرها ووزر من قلّدها هي أيضاً إلى يوم القيامة.. أيسرك أن تكوني قدوة في الشر..

تتجملين لمن؟!

ولو سألت امرأة تزينت بعباءة من هذه الأنواع..

ـ لماذا تلبسين هذه العباءة؟

ـ لقالت لك: هذه أجمل..

ـ فاسأليها عند ذلك: تتجملين لمن؟!! نعم تتجملين لمن؟!!

لخاطب شريف.. أو زوج عفيف.. إنها تتزين لينظر إليها سفلة الناس.. ممن لا يلتفتون لمراقبة الله لهم.. ممن لا يهمهم شرفها.. ولا عفتها أو كرامتها.. يسعى أحدهم لشهوة فرجه.. ولذة عينه.. ثم إذا قضى حاجته منها.. ركلها بقدمه.. وبحث عن فريسة أخرى.. هلا تفكرت يوماً.. لماذا أمرك الله بالحجاب.. نعم لماذا قال الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].. لماذا أمرك الله بستر زينتك.. وجهك وشعرك وسائر جسدك.. لماذا أمرك الله بهذا.. هل بينه وبينك خصام.. أو ثأر وانتقام.. كلا.. فهو الغني عن عباده.. الذي لا يظلم مثقال ذرة.. ولكنها سُنَّة الله الباقية.. وشريعته الماضية.. وقوله الذي لا يبدل.. وحكمه الذي يعدل.. قضى على الرجل بأحكام.. وعلى المرأة بأحكام.. ولا يمكن أن تستقيم الدنيا إلا بطاعته.. والمرأة الصالحة تسلم لربها في أمره..

والفائزون هم الذين يسلمون لله في أمره.. أما غيرهم.. فهم يسعون جاهدين.. لنزع عباءتك.. وهتك حجابك.. يستميتون لتحقيق غاياتهم.. وينفقون من أموالهم.. ويبذلون من أوقاتهم.. فهذه مجلة سافرة.. وتلك مقالة فاجرة.. وهذا برنامج يشكك في الحجاب.. يشيعون الفاحشة في الذين آمنوا.. يريدون التمتع بالنظر إلى زينتك في أسواقهم.. والأنس برقصك في مسارحهم.. والتلذذ بجسدك على فرشهم.. وبخدمتك لهم في طائراتهم.. فهم في الحقيقة يطالبون بحقوقهم لا بحقوقك.. عجباً لهم..!! لم يعرفوا من حقوق المرأة.. إلا حق التبرج ونزع الحجاب.. وحق قيادة

السيارة.. وحق السفر بلا محرم.. وحق العمل ومخالطة الرجال.. وحق الخروج في وسائل الإعلام.. إلى آخر تلك الحماقات التي يسمونها حقوقاً.. تباً لهم..!!

لم نسمعهم يوماً يطالبون بحقوق الأرامل والمعوقات.. أو يطالبون الأبناء بحقوق الأمهات.. يطالبون بالفساد.. ويظهرون أنهم يريدون رقي المجتمع..

وهذا حال المنافقين.. فهم أحفاد عبد الله بن أُبي بن سلول.. رأس المنافقين في عهد رسول الله ﷺ.. ألم ترى أنه اتهم أمنا عائشة رضي الله عنها بالزنا.. وأشاع المقالة ورددها بين الناس.. وزعم أنه يريد إشاعة الفضيلة.. وهو في الحقيقة أستاذ الرذيلة.. وموقد نارها.. ألا ترين أنه كان يشتري الإماء الجميلات ثم يأمرهن بالبغاء والزنا.. ليجمع المال من ذلك.. حتى فضحه الله في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النور: ٣٣].. فهم يرددون.. العباءة على الرأس تضايقك.. والثوب الطويل يثقل عليك.. والبنطال أسهل لمشيك.. وتغطية الوجه تكتم أنفاسك.. قوم أعجبوا بحضارة الكفار.. فظنوا أن الطريق إليها نزع الحجاب.. وتشمير الثياب.. وإن جولة واحدة في إحدى مدن الغرب أو الشرق تكفي لإدراك هذه الحقيقة.. فالمرأة تشتغل حمالة حقائب في المطار.. وعاملة نظافة في الطريق.. ومنظفة حمام في الشركة.. وإن كانت جميلة.. اشتغلت في مرقص أو بار..

فهذا سكير يعربد بها.. وذاك فاجر يعبث بجسدها.. والثالث يتخذها سلعة يتكسب منها.. فإذا قضوا حاجتهم منها صفعوا وجهها.. وإذا كبرت ألقيت في دار العجزة التي هي أشبه بالسجون.. بل بالمقابر.. عجباً.. أهذه هي الحرية التي يعنونها.. والله لئن كنا نتألم لمصاب مسلمة في الفلبين.. وأخرى في كشمير.. فإن المرأة هناك لا تجد من يتألم لها..

أنت ملكة.. ملكة..

يقول أحد الأطباء: كنت أدرس في بريطانيا.. وكانت جارتنا عجوزاً يزيد عمرها على السبعين عاماً.. كانت تستثير شفقة كل من رآها.. قد احدودب ظهرها.. ورق عظمها.. ويبس جلدها.. ومع ذلك.. فهي وحيدة بين جدران أربعة.. تدخل وتخرج وليس معها من يساعدها من ولد ولا زوج.. تطبخ طعامها.. وتغسل لباسها.. منزلها كأنه مقبرة.. ليس فيه أحد غيرها.. ولا يقرع أحد بابها.. دعتها زوجتي لزيارتنا ذات يوم.. فأخبرتها زوجتي بأن الإسلام يجعل الرجل مسئولاً عن زوجته.. يعمل من أجلها.. يبتاع طعامها ولباسها.. يعالجها إذا مرضت.. ويساعدها إذا اشتكت.. وهي تجلس في بيتها.. تجب عليه نفقتها ورعايتها.. بل وحماية عرضها ونفسها.. فإذا رزقت بأولاد.. وجب عليهم هم أيضاً برها.. والذلة لها.. ومن عقها من أولادها نبذه الناس وقاطعوه حتى يبرها.. فإن لم تكن المرأة ذات زوج وجب على أبيها أو أخيها.. أو وليها.. أن يرعاها ويصونها.. كانت هذه العجوز.. تستمع إلى زوجتي.. بكل دهشة وإعجاب.. بل كانت تدافع عبراتها، وهي تتذكر أولادها، وأحفادها الذين لم ترهم منذ سنوات.. ولا يزورها أحد منهم.. بل لا تعرف أين هم.. وقد تموت وتدفن، أو تحرق وهم لا يعلمون.. لأنها لا قيمة لها عندهم.. أنهت زوجتي حديثها.. فبقيت العجوز واجمة قليلاً..

ثم قالت: في الحقيقة.. إن المرأة في بلادكم: ملكة.. ملكة.. نعم والله.. أيتها الأخت الكريمة أنت عندنا ملكة.. نعم ملكة تسفك من أجلك الدماء.. فمن قتل دون عرضه فهو شهيد.. وترخص لأجلك الأرواح.. وتنفق الأموال.. ولأنك ملكة مصونة أمر الرجال حولك أن يحفظوك..

ألحان وأشجان..!!

بعض الفتيات قد يجرها الشيطان.. إلى سبيل الرذيلة.. بسماع الغناء.. والتعلق بالفحشاء.. وقد قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٦]..

كان ابن مسعود ﷺ يقسم بالله أن المراد به الغناء.. وفي الصحيح قال ﷺ: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**».. وصح عند الترمذي.. أنه ﷺ قال: «**ليكونن في هذه الأمة خسف وقذف ومسخ وذلك إذا شربوا الخمور واتخذوا القينات وضربوا بالمعازف**».. ونص العلماء على تحريم آلات اللهو والعزف.. والتحريم يشتد والذنب يعظم إذا رافق الموسيقى غناء.. وتتفاقم المصيبة عندما تكون كلمات الأغاني عشقاً وحباً وغراماً ووصفاً للمحاسن.. بل هي مزمار الشيطان.. الذي يزمر به فيتبعه أولياؤه.. قال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].. وقال ابن مسعود: الغناء رقية الزنا.. أي: أنه طريقه ووسيلته.. عجباً.. هذا كان يقوله ابن مسعود لما كان الغناء يقع من الجواري والإماء المملوكات.. يوم كان الغناء بالدف والشعر الفصيح.. يقول هو رقية الزنا.. فماذا يقول ابن مسعود لو رأى زماننا هذا.. وقد تنوعت الألحان.. وكثر أعوان الشيطان.. فأصبحت الأغاني تسمع في السيارة والطائرة.. والبر والبحر.. بل حتى الساعات والأجراس وألعاب الأطفال، والكمبيوتر، وأجهزة الهاتف.. دخلت فيها الموسيقى..

رقية الزنا..!!

والأغاني طريق لنشر الفاحشة.. وإثارة الغرائز.. فما يكاد يذكر فيها إلا الحب والغرام.. والعشق والهيام.. بالله عليك.. هل سمعت مغنياً غنى في

التحذير من الزنا؟ أو غض البصر؟.. أو حفظ أعراض المسلمين؟!! أو في الحث على صوم النهار.. وبكاء الأسحار.. كلا.. ما سمعنا عن شيء من ذلك..

بل أكثرهم يدعو إلى العشق المحرم.. وتعلق القلب بغير الله.. بل قد يجر إلى الداهية العظمى وهو عشق الفتاة لفتاة مثلها.. والإعجاب بها، ومصاحبتها.. نعم.. تحبها.. لا لأنها قوامة ليل.. أو صوامة نهار.. لا.. ولكن لجمال وجهها.. وملاحة بسمتها.. تعجبها حركاتها.. وتثيرها ضحكاتها.. تفتن بابتسامتها.. وتأنس بمجالستها.. بل.. وتعجب منها بكل شيء وإن كان قبيحاً.. وبعض الفتيات قد تتساهل بمثل ذلك.. بل قد يظهر منها ما يدل على استدعائها لذلك.. فكم نرى من الفتيات المائعات في حركاتهن وضحكاتهن.. بل وأسلوب الكلام.. وطريقة المشي.. إضافة إلى لبس الثياب الضيقة.. والتغنج والدلال.. وكثرة اللمسات والقبلات.. وتبادل الرسائل العاطفية.. والهدايا الشيطانية.. نرى أحياناً هذه المظاهر في بعض المدارس.. والكليات.. فلماذا تفعل الفتاة ذلك.. بسبب الإعجاب والعشق والمحبة.. وهذا هو الشذوذ عن الفطرة.. وهو مؤذن بنزول العذاب الذي نزل على قوم لوط..

فماذا فعل قوم لوط؟.. اكتفى رجالهم برجالهم.. ونساؤهم بنسائهم.. وقد ذكر الله خبر هؤلاء الفجار في القرآن.. وأن لوطاً صاح بهم وقال: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠].. وإذا وقعت هذه الفاحشة.. كادت الأرض تميد من جوانبها.. والجبال تزول عن أماكنها.. ولم يجمع الله على أمة من العذاب ما جمع على قوم لوط.. فإنه طمس أبصارهم.. وسود وجوههم.. وأمر جبريل بقلع قراهم من أصلها ثم قلبها عليهم.. ثم خسف بهم.. ثم أمطر عليهم حجارة من سجيل.. قال عز من قائل: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [هود: ٨٢]..

أما رسول الله ﷺ فقد صح عنه فيما رواه الترمذي: «**إن أخوف ما أخاف**

على أمتي عمل قوم لوط».. وصح فيما رواه ابن حبان: **«لعن الله من عمل عمل قوم لوط.. لعن الله من عمل عمل قوم لوط»**.. وصح في مسند أحمد أنه ﷺ قال: **«من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»**.. أما الصحابة فكانوا يحرقون اللوطية بالنار.. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: اللوطي إذا مات من غير توبة مسخ في قبره خنزيراً.. ومن كانت قد أسرفت على نفسها.. ووقعت في شيء من ذلك.. فلتسارع إلى التوبة والاستغفار.. والإنابة إلى العزيز الغفار.. نعم.. توبي إلى الله.. مزقي ما عندك من رسائل وأرقام.. وأتلفي الصور والأشرطة والأفلام.. أثبتي أن حبك للرحمٰن أعظم من كل حب.. أثبتي أنك تقدمين طاعة الله على طاعة الهوى والشيطان.

قاتل ومقتول..!!

أريدك أن تكوني داعية لغيرك.. آمرة بالمعروف.. ناهية عن المنكر.. كوني شجاعة.. نعم شجاعة.. ولا يخذلك الشيطان.. صفية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ.. عجوز قد جاوز عمرها الستين سنة.. ولكن لها بطولات وأعاجيب..

لما اجتمع الكفار من قريش وغيرها.. وتآمروا على غزو المدينة.. حفر المسلمون خندقاً في جهة من جهات المدينة.. وكانت الجبال تحيط ببقية الجهات.. وكان عدد المسلمين قليلاً.. فاستنفرهم النبي ﷺ للرباط أمام الخندق لصد من يتسلل إليهم من الكفار.. أما النساء والصبيان فقد جمعهم النبي ﷺ في حصن منيع.. ولم يترك عندهم من يحرسهم.. لقلة المسلمين وكثرة الكفار.. وبينما النبي ﷺ منشغل مع أصحابه في القتال عند الخندق.. تسلل جمع من اليهود حتى وصلوا إلى الحصن.. ثم لم يجرؤا على الدخول خشية من وجود أحد من المسلمين..

فاصطفوا خارج الحصن.. وأرسلوا واحداً منهم يستطلع لهم الأمر.. فجعل هذا اليهودي يطوف بالحصن.. حتى وجد فرجة فدخل منها.. وجعل يبحث وينظر.. فرأته صفية رضي الله عنها ففزعت وقالت في نفسها:

هذا اليهودي يطوف بالحصن.. وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود.. وقد شغل رسول الله ﷺ وأصحابه.. وإن صرخت فزعت النساء والصبيان.. وعلم اليهودي أن لا رجال في الحصن.. فتناولت سكيناً وربطتها في وسطها.. ثم أخذت عموداً من خشب.. ونزلت من الحصن إليه وتحينت منه التفاتة.. فضربته بالعمود على أم رأسه.. حتى قتلته.. فلما خمد.. تناولت سكيناً.. فللّه در صفية.. تلك العابدة التقية.. تأملي في جرأتها وبذلها نفسها لخدمة الدين.. فكم تبذلين أنت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. كم ترين في المجالس من النامصات.. وفي الأسواق من المتبرجات.. وفي الأعراس من المتعريات.. فماذا فعلت تجاههن؟!.. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

ومن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استحق اللعنة.. ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩]..

ولا تخجلي من ذلك فالدعوة تحتاج إلى جرأة في أولها.. ثم تفرحين بآخرها..

العروس..!!

والصالحات القابضات على الجمر.. إذا أتى إحداهن الأمر من الشريعة.. أطاعت.. وسلمت.. وأذعنت.. ولم تعترض.. أو تخالف.. أو تبحث عن مخارج.. وتأملي في خبر تلك الفتاة العفيفة الشريفة.. العروس.. كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له: (جليبيب) في وجهه دمامة.. فعرض عليه رسول الله التزويج..

ـ فقال: إذا تجدني كاسداً..

ـ فقال: «**غير أنك عند الله لست بكاسد**»، فلم يزل النبي ﷺ يتحين الفرص لتزويج جليبيب..

حتى جاء رجل من الأنصار يوماً يعرض ابنته الثيب على رسول الله ﷺ.. ليتزوجها..

ـ فقال ﷺ: «**نعم يا فلان.. زوجني ابنتك**»..

ـ قال: نعم ونعمين.. يا رسول الله..

ـ فقال ﷺ: «**إني لست أريدها لنفسي**»..

ـ قال: فلمن؟

ـ قال: «**لجليبيب**»..

ـ قال: جليبيب!! يا رسول الله!! حتى استأمر أمها..

ـ فأتى الرجل زوجته فقال: إن رسول الله يخطب ابنتك..

ـ قالت: نعم.. ونعمين.. زوج رسول الله ﷺ..

ـ قال: إنه ليس يريدها لنفسه..

ـ قالت: فلمن؟

ـ قال: يريدها لجليبيب..

ـ قالت: حلقى لجليبيب.. لا لعمر الله لا أزوج جليبيباً.. وقد منعناها فلاناً وفلاناً.. فاغتم أبوها لذلك.. وقام ليأتي رسول الله ﷺ..

ـ فصاحت الفتاة من خدرها بأبوها: من خطبني إليكما؟

ـ قالا: رسول الله ﷺ..

ـ قالت: أتردان على رسول الله ﷺ أمره؟ ادفعاني إلى رسول الله ﷺ.. فإنه لن يضيعني.. فكأنما جلَّت عنهما..

فذهب أبوها إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله.. شأنك بها فزوجها جليبيباً.. فزوجها النبي ﷺ جليبيباً.. ودعا لها وقال: «**اللهم صب**

عليهما الخير صباً.. ولا تجعل عيشهما كداً كدًا».. فلم يمض على زواجه أيام.. حتى خرج النبي ﷺ في غزوة.. وخرج معه جليبيب.. فلما انتهى القتال.. وبدأ الناس يتفقد بعضهم بعضاً..

ـ سألهم النبي ﷺ: «**تفقدون من أحد؟**».

ـ قالوا: نفقد فلاناً وفلاناً..

ـ ثم قال: «**هل تفقدون من أحد؟**».

ـ قالوا: نفقد فلاناً وفلاناً..

ـ ثم قال: «**هل تفقدون من أحد؟**».

ـ قالوا: نفقد فلاناً وفلاناً..

ـ قال: «**ولكني أفقد جليبيباً**»..

فقاموا يبحثون عنه.. ويطلبونه في القتلى.. فلم يجدوه في ساحة القتال.. ثم وجدوه في مكان قريب.. إلى جنب سبعة من المشركين قد قتلهم ثم قتلوه.. فوقف النبي ﷺ ينظر إلى جثته.. ثم قال: «**قتل سبعة ثم قتلوه.. قتل سبعة ثم قتلوه.. هذا مني وأنا منه**».. ثم حمله رسول الله ﷺ على ساعديه.. وأمرهم أن يحفروا له قبره..

قال أنس فمكثنا نحفر القبر.. وجليبيب ما له سرير غير ساعدي رسول الله ﷺ.. حتى حفر له، ثم وضعه في لحده..

قال أنس: فوالله ما كان في الأنصار أيم أنفق منها.. تسابق الرجال إليها كلهم يخطبها بعد جليبيب..﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥٢].. والنبي ﷺ يقول كما في الصحيح: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**..قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: **من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»..

في ميدان السباق..!!

المؤمنات.. يتسابقن إلى الأعمال الصالحات.. صغيرها وكبيرها.. ولهن في كل ميدان سهم.. ولا تعلمين ما هو العمل الذي به تدخلين إلى الجنة.. فلعل شريطاً توزعينه في مدرسة.. أو نصيحة عابرة تتكلمين بها.. يكتب الله بها لك رضاه ومغفرته.. ولقد أخبر النبي ﷺ كما في الصحيحين: **«أن امرأة بغياً من بني إسرائيل كانت تمشي في صحراء.. فرأت كلباً بجوار بئر يصعد عليه تارة ويطوف به تارة.. في يوم حار قد أدلع لسانه من العطش.. قد كاد يقتله العطش.. فلما رأته هذه البغي.. التي طالما عصت ربها.. وأغوت غيرها.. ووقعت في الفواحش.. وأكلت المال الحرام.. لما رأت هذا الكلب.. نزعت خفها.. حذاءها.. وأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء.. وسقته.. فغفر الله لها بذلك»** ..الله أكبر.. غفر الله لها.. بماذا؟ هل كانت تقوم الليل وتصوم النهار؟ هل قتلت في سبيل الله؟!.. كلا وإنما سقت كلباً شربة من ماء.. فغفر الله لها..

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها أخبرت عن: امرأة مسكينة جاءتها تحمل ابنتين لها.. فقالت: يا أم المؤمنين.. والله ما دخل بطوننا طعام منذ ثلاثة أيام.. فبحثت عائشة في بيت النبي ﷺ فلم تجد إلا ثلاث تمرات.. فأعطتها الثلاث تمرات.. ففرحت المسكينة بها.. وأعطت كل واحدة من الصغيرتين تمرة.. ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها.. فكانت البنتان لفرط الجوع.. أسرع إلى تمرتيهما من الأم إلى تمرتها.. فرفعتا أيديهما تريدان التمرة التي بيد الأم.. فنظرت الأم إليهما.. ثم شقت التمرة الباقية بينهما..

قالت عائشة: فأعجبني حنانها.. فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: **«إن الله قد أوجب لها بها الجنة»**.. أو أعتقها بها من النار.. فالقابضات على الجمر يتسابقن إلى الطاعات.. وإن كانت يسيرة صغيرة.. والأعظم من ذلك هو الحذر من المعاصي.. وعدم التساهل بها.. فقد قال

تعالى عن قوم تساهلوا بالمعاصي وتصاغروها: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]..

وأخبر النبي ﷺ كما في الصحيحين:... أنه رأى امرأة تعذب في النار.. فما الذي أدخلها إلى النار؟... هل سجدت لصنم؟... هل قتلت نبياً؟.. هل سرقت أموال الناس؟.. كلا.. دخلت امرأة النار في هرة.. سجنتها.. فلا هي أطعمتها.. ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت هزلاً.. قال ﷺ: «**فلقد رأيتها في النار والهرة تخدشها**»..

وروى البخاري.. أنه قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله إن فلانة تقوم الليل، وتصوم النهار.. وتفعل.. وتصدق.. لكنها.. تؤذي جيرانها بلسانها؟! فقال رسول الله ﷺ: «**لا خير فيها.. هي من أهل النار**».. قالوا: وفلانة تصلي المكتوبة.. وتصدق بأثوار - يعني: بأجزاء يسيرة من الطعام - ولا تؤذي أحداً.. فقال رسول الله ﷺ: «**هي من أهل الجنة**»..

الحرب..!!

هل تعلمين أن الحرب الموجهة إليك حرب ضروس يريدون منها استعبادك.. وهتك عرضك.. باسم الحرية والمساواة.. فما معنى الحرية التي يدعوا إليها المفسدون؟.. ولماذا لا يدعون إلى تحرير العمال المظلومين.. والضحايا المنكوبين.. والأيتام المنبوذين؟.. لماذا يصرون على أن المرأة العفيفة.. التي تعيش في ظل وليها.. ولو مد أحد العابثين يده إليها.. لما عادت إليه يده.. لماذا يصرون دائماً على أن هذه المرأة تحتاج إلى تحرير.. هل ارتداء المرأة للعباءة والحجاب لتحمي نفسها من النظرات المسعورة.. يعد عبودية تحتاج أن تحرر المرأة منها؟.. هل تخصيص أماكن معينة لعمل المرأة.. بعيدة عن مخالطة الرجال.. هو عبودية وذل للمرأة؟.. هل تربية المرأة لأولادها.. ورأفتها ببناتها.. وقرارها في بيتها.. هو عبودية تحتاج إلى تحرير؟.. ثم لماذا نجد أن أكثر من يتنابحون ويدعون إلى تحرير

المرأة.. وتكشفها لهم.. ويزعمون أن حجابها قيد وغل لا بد أن تتحرر منه.. لماذا نجد أن أكثر هؤلاء هم ليسوا من العلماء.. ولا من المصلحين.. وإنما أكثرهم من الزناة.. وشراب الخمور.. وأصحاب الشهوات المسعورة؟.. فلماذا يدعوا هؤلاء إلى تحرير المرأة؟.. لماذا يستميتون لإخراج العفيفة من بيتها.. لماذا؟..

الجواب واضح.. اشتهوا أن يروها متعرية راقصة فزينوا لها الرقص.. فلما تعرت وتبذلت.. وأصبحت تلهو وترقص في المسارح.. أرضوا شهواتهم منها.. ثم صاحوا بها وقالوا: قد حررناك.. واشتهوا أن يتمتعوا بها متى شاءوا.. فزينوا لها مصاحبة الرجال.. ومخالطتهم.. حتى حولوها إلى حمام متنقل يستعملونه متى شاؤوا.. على فرشهم.. وفي حدائقهم.. وباراتهم.. وملاهيهم.. فلما تهتكت وتنجست.. صاحوا بها وقالوا: قد حررناك..

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء

واشتهوا يروها عارية على شاطئ البحر.. وساقيه للخمر.. وخادمة في طائرة.. وصديقة فاجرة.. فزينوا لها ذلك كله وأغروها بفعله.. فلما ولغت في مستنقع الفجور.. تضاحكوا بينهم وقالوا: هذه امرأة متحررة.. فمن ماذا حرروها؟.. عجباً.. هل كانت في سجن وخرجت منه إلى الحرية؟. هل الحرية في تقصير الثياب.. ونزع الحجاب؟.. أم الحرية في التسكع في الأسواق.. ومضاجعة الرفاق؟.. هل الحرية في مكالمة شاب فاجر.. أو الخلوة بذئب غادر؟..

أليس الحرية الحقيقية.. والسيادة النقية.. هي أن تكوني عفيفة مستترة.. أبوك يرأف عليك.. وزوجك يحسن إليك.. وأخوك يحرسك بين يديك.. وولدك ينطرح على قدميك.. وهذه هي الكرامة العظيمة التي أرادها الله تعالى لك..

سفيرة النساء..!!

والمجتمع قسمان.. داخلي وخارجي.. فالرجل يقوم على القسم الخارجي فيعمل ويكتسب.. ويبني البيت.. ويعالج المريض.. ويطعم الجائع. ويقود السيارة.. ويبيع ويشتري.. والمرأة تربي الأولاد.. وتقوم على حاجة البيت.. ولا يصح الخلط بينهما.. بل كل فيما يخصه.. ألا ترى إلى ما أخرجه البيهقي في الشعب: أن أسماء بنت يزيد أتت النبي ﷺ.. وهو بين أصحابه فقالت: بأبي أنت وأمي.. إني وافدة النساء إليك.. واعلم - نفسي لك الفداء - أما إنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب.. سمعت بمخرجي هذا، أو لم تسمع.. إلا وهي على مثل رأيي.. إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء.. فآمنا بك.. وبإلهك الذي أرسلك..

وإنا معشر النساء محصورات مقصورات.. قواعد بيوتكم.. ومقضى شهواتكم.. وحاملات أولادكم..

وإنكم معاشر الرجال.. فضلتم علينا بالجمعة والجماعات.. وعيادة المرضى.. وشهود الجنائز.. والحج بعد الحج.. وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله.. وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً، أو معتمراً، أو مجاهداً.. حفظنا أموالكم.. وغزلنا أثوابكم.. وربينا أولادكم.. فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟.. فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: «**هل سمعت مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟**».. قالوا: لا..

فالتفت ﷺ إليها ثم قال لها: «**انصرفي أيتها المرأة.. واعلمي من خلفك من النساء.. أن حسن تبعل إحداكن لزوجها.. وطلبها مرضاته.. واتباعها موافقته.. تعدل ذلك كله**»..

فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر.. فرحاً واستبشاراً..

نعم كل في مجاله.. المرأة مملكتها بيتها.. فهي فيه ملكة.. وزوجها ملك.. وأبناؤهم الرعية..

ولكن قد تخرق هذه القاعدة.. عند الحاجة..

ما أغلاك عندنا..!!

نعم.. لأنك عندنا غالية.. فقد أوصى الله بك أباك وأمك: فقال ﷺ فيما رواه مسلم: «**من عال جاريتين حتى تبلغا.. جاء يوم القيامة أنا وهو..** وضم أصابعه».. وأوصى بك أولادك.. فقال ﷺ كما في الصحيحين.. للرجل الذي سأله فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟.. قال: «**أمك.. ثم أمك.. ثم أمك.. ثم أبوك**».. بل أوصى النبي ﷺ بالمرأة زوجها.. وذم من غاضب زوجته، أو أساء إليها.. فعند مسلم والترمذي أن النبي ﷺ قام في حجة الوداع.. فإذا بين يديه مائة ألف حاج.. فيهم الأسود والأبيض.. والكبير والصغير.. والغني والفقير.. صاح ﷺ بهؤلاء جميعاً وقال لهم: «**ألا واستوصوا بالنساء خيراً.. ألا واستوصوا بالنساء خيراً**».. وروى أبو داود وغيره.. أنه في يوم من الأيام أطاف بأزواج رسول الله ﷺ نساء كثير يشتكين أزواجهن.. فلما علم النبي ﷺ بذلك.. قام وقال للناس: «**لقد طاف بآل محمد ﷺ نساء كثير يشتكين أزواجهن**».. ليس أولائك بخياركم.. وصح عند ابن ماجه والترمذي أن النبي ﷺ قال: «**خيركم خيركم لأهله.. وأنا خيركم لأهلي**»..

من أجلك نسحق الجماجم..!!

بلغ من إكرام الدين للمرأة.. أنها كانت تقوم الحروب.. وتسحق الجماجم.. وتتطاير الرؤوس.. لأجل عرض امرأة واحدة.. ذكر أصحاب السير: أن اليهود كانوا يساكنون المسلمين في المدينة.. وكان يغيظهم نزول الأمر بالحجاب.. وتستر المسلمات.. ويحاولون أن يزرعوا الفساد والتكشف في صفوف المسلمات.. فما استطاعوا.. وفي أحد الأيام جاءت امرأة مسلمة

إلى سوق يهود بني قينقاع.. وكانت عفيفة متسترة.. فجلست إلى صائغ هناك منهم.. فاغتاظ اليهود من تسترها وعفتها.. وودوا لو يتلذذون بالنظر إلى وجهها.. أو لمسها والعبث بها.. كما كانوا يفعلون ذلك قبل إكرامها بالإسلام.. فجعلوا يريدونها على كشف وجهها.. ويغرونها لتنزع حجابها.. فأبت.. وتمنعت..

فغافلها الصائغ وهي جالسة.. وأخذ طرف ثوبها من الأسفل.. وربطه إلى طرف خمارها المتدلي على ظهرها.. فلما قامت.. ارتفع ثوبها من ورائها.. وانكشفت سوأتها.. فضحك اليهود منها..

فصاحت المسلمة العفيفة.. وودت لو قتلوها، ولم يكشفوا عورتها.. ولما رأى ذلك رجل من المسلمين.. سل سيفه.. ووثب على الصائغ فقتله.. فشد اليهود على المسلم فقتلوه..

فلما علم النبي ﷺ بذلك.. وأن اليهود قد نقضوا العهد، وتعرضوا للمسلمات.. حاصرهم.. حتى استسلموا ونزلوا على حكمه.. فلما أراد النبي ﷺ أن ينكل بهم.. ويثأر لعرض المسلمة العفيفة.. قام إليه جندي من جند الشيطان.. الذين لا يهمهم عرض المسلمات.. ولا صيانة المكرمات.. وإنما همّ أحدهم متعة بطنه وفرجه.. قام رأس المنافقين.. عبد الله بن أُبي بن سلول.. فقال: يا محمد أحسن في موالي اليهود، وكانوا أنصاره في الجاهلية.. فأعرض عنه النبي ﷺ.. وأبى.. إذ كيف يطلب العفو عن أقوام يريدون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.. فقالم المنافق مرة أخرى.. وقال: يا محمد أحسن إليهم فأعرض عنه النبي ﷺ.. صيانة لعرض المسلمات.. وغيرة على العفيفات.. فغضب ذلك المنافق.. وأدخل يده في جيب درع النبي ﷺ.. وجره وهو يردد: أحسن إلى موالي.. أحسن إلى موالي.. فغضب النبي ﷺ والتفت إليه وصاح به وقال: «**أرسلني..**»، فأبى المنافق.. وأخذ يناشد النبي ﷺ العدول عن قتلهم.. فالتفت إليه النبي ﷺ وقال: «**هم لك**».. ثم عدل عن قتلهم.. لكنه ﷺ أخرجهم من المدينة.. وطردهم من ديارهم..

حتى على النعش..!!

ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب.. أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ.. كانت دائمة الستر والعفاف.. فلما حضرها الموت.. فكرت في حالها، وقد وضعت جثتها على النعش.. وألقي عليها الكساء..

فالتفتت إلى أسماء بنت عميس..

- وقالت يا أسماء إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء.. إنه ليطرح على جسد المرأة الثوب فيصف حجم أعضائها لكل من رأى..

- فقالت أسماء: يا بنت رسول الله ﷺ.. أنا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة..

- قالت: ماذا رأيت.. فدعت أسماء بجريدة نخل رطبة فحنتها.. حتى صارت مقوسة؛ كالقبة.. ثم طرحت عليها ثوباً..

- فقال فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله.. تعرف بها المرأة من الرجل.. فلما توفيت فاطمة.. جعل لها مثل هودج العروس.. هذا حرص فاطمة على الستر وهي جثة هامدة.. فكيف لما كانت حية؟!..

سبحان الله!!.. أين أولئك الفتيات المسلمات.. اللاتي نعلم أنهن يحببن الله ورسوله.. وقلوبهن تشتاق إلى الجنة.. ولكن مع ذلك: تذهب إحداهن إلى المشغل النسائي فتكشف عورتها طائعة مختارة لتقوم امرأة أخرى بإزالة الشعر من أجزاء جسدها.. وقد قال ﷺ فيما رواه الترمذي: **«ما من امرأة تضع ثيابها.. في غير بيت زوجها.. إلا هتكت الستر بينها وبين ربها»**..

والنبي ﷺ قد قال فيما صح عند البيهقي: **«شر نسائكم المتبرجات المتخيلات، وهن المنافقات، لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم»**.. بل.. أين الفتيات المسلمات اللاتي نؤمل فيهن أن ينصرن الإسلام.. ويبذلن أنفسهن وأرواحهن خدمة لهذا الدين.. فنفاجأ بإحداهن قد لبست العباءة المطرزة.. أو الكعب العالي.. ثم ذهبت إلى سوق.. أو حديقة.. أو تلبس

إحداهن البنطال.. وتقول: لا يراني إلا إخوتي.. أو أنا ألبسه بين النساء.. وكل هذا لا يجوز.. كما أفتى بذلك العلماء.. بل قد تزيد بعض النساء بأن لا تكتفي بعمل المعصية بل تجر غيرها من الفتيات إليها.. فتنشر الصور المحرمة.. أو أرقام الهواتف المشبوهة.. أو المجلات المليئة بالعهر والفساد..

والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩]..

مسكينة..!!

إن تساهل المرأة بالتكشف والسفور.. يؤدي إلى فساد حياتها.. وأن تكون أحقر عند الناس من كل أحد.. سألت عدداً من الشباب.. ممن يتتبعون الفتيات في الأسواق، عند بوابات المدارس..

كيف تنظرون إلى الفتاة التي تستجيب لكم؟.. فقالوا لي جميعاً ـ والله ـ: إننا نحتقرها ونلعب بها وبعقلها.. فإذا شبعنا منها ركلناها بأرجلنا..

بل قال لي أحدهم: والله يا شيخ إني إذا ذهبت إلى السوق ورأيت فتاة عفيفة قد جمعت على نفسها ثيابها فإنها تكبر في عيني.. ولا أجرؤ على الاقتراب منها.. بل والله لو رأيت أحداً يقترب منها لتشاجرت معه.. بل انظري إلى ما يحدث في البلاد التي يزعمون أن فيها حرية.. يغتصب يومياً في أمريكا ألف وتسعمائة فتاة.. عشرون في المائة منهن يغتصبن من قبل آبائهن!!.. ويقتل سنوياً في أمريكا مليون طفل ما بين اجهاض متعمد، أو قتل فور الولادة!! وبلغت نسبة الطلاق في أمريكا ستين في المائة من عدد الزيجات..!! وفي بريطانيا مائة وسبعون شابة تحمل سفاحاً كل أسبوع!!..

كم من امرأة هناك والله تتمنى ما أنت عليه من تستر وعفاف.. ومن استغواها الشيطان.. فأطاعته وقدمت شهوات نفسها.. وتتبعت الموضات.. في اللباس.. والعباءة.. والنمص.. والوشم.. والأغاني.. والأفلام..

والمجلات.. وصارت هذه الشهوات أغلى عندها من اتباع شريعة ربها.. فهي عاصية.. وما خلقت النار إلا لتأديب العصاة.. أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ يوماً.. فسمعنا وجبة.. فقال النبي ﷺ: «**أتدرون ما هذا؟**.. فقلنا: الله ورسوله أعلم.. قال: **هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين خريفاً.. فالآن انتهى إلى قعرها**».. هذا حال من عصت ربها.. وأهملت آخرتها.. ولو أن أحداً أدخل النار.. ثم أخرج منها إلى الأرض.. لمات أهل الأرض من نتن ريحه.. وتشوه خلقه..

الهم الكبير..!!

لا تعيشي لنفسك فقط.. بل احملي همَّ الدين.. لا يكن همك لباس وحذاء.. وتسريحة شعر.. وإنما الهم الأكبر كيف تخدمين هذا الدين.. إذا رأيت عاصية فيكف تنصحينها.. كوني مباركة أينما كنت.. تفيدين النساء في مجالسهن.. توزعين عليهن الأشرطة النافعة.. تنصحين هذه.. وتترددين إلى مجالسهن.. فأنت أحسن الناس قولاً.. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، وأنت نحسبك من الصالحات.. اللاتي تغض إحداهن بصرها عن النظر إلى الرجال.. بل وتغض بصرها عن النظر إلى من قد تفتن بها من النساء.. ومن تساهلت بالنظر الحرام.. والخلوة المحرمة.. جرها ذلك إلى كبيرة الزنا.. أو السحاق عياذاً بالله.. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].. وعند البخاري أن النبي ﷺ رأى رجالاً ونساءً عراة في مكان ضيق مثل التنور.. أسفله واسع وأعلاه ضيق.. وهم يصيحون ويصرخون.. وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم.. فإذا أتاهم ذلك اللهب صاحوا من شدة حره.. قال ﷺ: «**فقلت من هؤلاء يا جبريل؟**.. **قال: هؤلاء الزناة والزواني.. فهذا عذابهم إلى يوم القيامة.. ولعذاب الآخرة أشد وأبقى**»..

نسأل الله العفو والعافية.. ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه..

قصة..

ذكر الدمشقي في كتابه «مطالع البدور».. عن أمير القاهرة في وقته شجاع الدين الشرزي.

ـ قال: بينما أنا عند رجل بالصعيد.. وهو شيخ كبير.. شديد السمرة.. إذ حضر أولاد له بيض حسان..

ـ فسألناه عنهم فقال: هؤلاء أمهم إفرنجية.. ولي معها قصة.. فسألناه عنها.. فقال: ذهبت إلى الشام، وأنا شاب أثناء احتلال الصليبيين له.. وأستأجرت دكاناً أبيع فيه الكتان.. فبينما أنا في دكاني إذ أتتني امرأة إفرنجية زوجة أحد قادة الصليبيين.. فرأيت من جمالها ما سحرني.. فبعتها، وسامحتها في السعر.. ثم انصرفت.. وعادت بعد أيام فبعتها وسامحتها.. فأخذت تتردد علي.. وأنا أتبسط معها.. فعلمت أني أعشقها.. فلما بلغ الأمر مني مبلغه..

ـ قلت للعجوز التي معها: قد تعلقت نفسي بهذه المرأة فكيف السبيل إليها؟

ـ فقالت: هذه زوجة فلان القائد.. ولو علم بنا.. قتلنا نحن الثلاثة..

فما زلت بها.. حتى طلبت مني خمسين ديناراً.. وتجيء بها إلي في بيتي.. فاجتهدت حتى جمعت خمسين ديناراً.. وأعطيتها إياها..

الليلة الأولى..

وانتظرتها تلك الليلة في الدار.. فلما جاءت إلي أكلنا وشربنا.. فلما مضى بعض الليل.. قلت في نفسي: أما تستحي من الله!! وأنت غريب.. وبين يدي الله.. وتعصي الله مع نصرانية!!.. فرفعت بصري إلى السماء وقلت: اللهم إني أشهدك أني عففت عن هذه النصرانية.. حياءً منك، وخوفاً

من عقابك.. ثم تنحيت عن موضعها إلى فراش آخر.. فلما رأت ذلك قامت وهي غضبى ومضت.. وفي الصباح.. مضيت إلى دكاني.. فلما كان الضحى.. مرت علي المرأة وهي غضبى.. ووالله لكأن وجهها القمر.. فلما رأيتها.. قلت في نفسي: ومن أنت حتى تعف عن هذا الجمال؟.. أنت أبو بكر.. أو عمر.. أم أنت الجنيد العابد.. أو الحسن الزاهد.. وبقيت أتحسر عليها.. فلما جاوزتني.. لحقت بالعجوز..

وقلت لها: ارجعي بها.. الليلة..

ـ فقالت: وحق المسيح.. ما تأتيك إلا بمائة دينار..

ـ قلت: نعم. فاجتهدت حتى جمعتها.. وأعطيتها إياها..

الليلة الثانية..

فلما كان الليل.. وانتظرتها في الدار.. جاءت.. فكأنها القمر أقبل علي.. فلما جلست.. حضرني الخوف من الله.. وكيف أعصيه مع نصرانية كافرة.. فتركتها خوفاً من الله.. وفي الصباح.. مضيت إلى دكاني.. وقلبي مشغول بها.. فلما كان الضحى.. مرت علي المرأة، وهي غضبى.. فلما رأيتها.. لمت نفسي على تركها.. وبقيت أتحسر عليها.. فسألت العجوز..

ـ فقالت: ما تفرح بها.. إلا بخمسمائة دينار.. أو تموت كمداً..

ـ قلت: نعم.. وعزمت على بيع دكاني.. وبضاعتي.. وأعطيها الخمسمائة دينار.. فبينما أنا كذلك.. إذ منادي النصارى ينادي في السوق..

ـ يقول: يا معاشر المسلمين إن الهدنة التي بيننا وبينكم.. قد انقضت.. وقد أمهلنا من هنا من التجار المسلمين أسبوعاً.. فجمعت ما بقي من متاعي، وخرجت من الشام، وفي قلبي الحسرة ما فيه.. ثم أخذت أتاجر ببيع الجواري.. عسى أن يذهب ما بقلبي من حب تلك ما فيه.. فمضى لي على ذلك ثلاث سنين.. ثم جرت وقعة حطين.. واستعاد المسلمون بلاد الساحل.. وطلب مني جارية للملك الناصر.. وكان عندي

جارية حسناء.. فاشتروها مني بمائة دينار.. فسلموني تسعين ديناراً.. وبقيت لي عشرة دنانير.. فقال الملك: امضوا به إلى البيت الذي فيه المسبيات من نساء الإفرنج.. فليختر منهن واحدة بالعشرة دنانير التي بقيت له..

الجائزة..

فلما فتحوا لي الدار.. رأيت صاحبتي الإفرنجية.. فأخذتها.. فلما مضيت إلى بيتي..

ـ قلت لها: تعرفيني؟!

ـ قالت: لا..

ـ قلت: أنا صاحبك التاجر.. الذي أخذت مني مائة وخمسين ديناراً.. وقلت لي: لا تفرح بي إلا بخمسمائة دينار.. ها أنا أخذتك ملكاً بعشر دنانير..

ـ فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله..

فأسلمت وحسن إسلامها.. فتزوجتها.. فلم تلبث أن أرسلت أمها إليها بصندوق.. فلما فتحناه.. فإذا فيه الصرتان التي أعطيتها.. في الأولى الخمسون ديناراً.. وفي الأخرى المائة دينار.. ولباسها الذي كنت أراها فيه.. وهي أم هؤلاء الأولاد.. وهي التي طبخت لكم العشاء.. نعم ومن ترك شيئاً لله.. عوضه الله خيراً منه.. والعبد قد يختفي من الناس.. ولكن أنى له أن يختفي من الله.. وهو معه..

غريقات في النهر..!!

والمرأة العفيفة.. لا تهتك سترها.. ولا تدنس عرضها.. وإن كان في ذلك فقدان حياتها.. ذكر الخطاب في كتابه «عدالة السماء»: أنه كان ببغداد قبل قرابة الأربعين سنة.. رجل يعمل جزاراً يبيع اللحم.. وكان يذهب قبل

الفجر إلى دكانه.. فيذبح الغنم.. ثم يرجع إلى بيته.. وبعد طلوع الشمس يفتح المحل ليبيع اللحم.. وفي أحد الليالي بعدما ذبح الغنم.. رجع في ظلمة الليل إلى بيته.. وثيابه ملطخة بالدم.. وفي أثناء الطريق سمع صيحة في أحد الأزقة المظلمة.. فتوجه إليها بسرعة.. وفجأة سقط على جثة رجل قد طعن عدة طعنات.. ودماؤه تسيل.. والسكين مغروسة في جسده.. فانتزع السكين.. وأخذ يحاول حمل الرجل ومساعدته.. والدماء تنزف على ثيابه.. لكن الرجل مات بين يديه.. فاجتمع الناس.. فلما رأوا السكين في يده.. والدماء على ثيابه.. والرجل فزع خائف.. اتهموه بقتل الرجل.. ثم حكم عليه بالقتل.. فلما أحضر إلى ساحة القصاص.. وأيقن بالموت.. صاح بالناس..

وقال: أيها الناس.. أنا والله ما قتلت هذا رجل.. لكني قتلت نفساً أخرى.. منذ عشرين سنة.. والآن يقام علي القصاص.. ثم قال: قبل عشرين سنة كنت شاباً فتياً.. أعمل على قارب أنقل الناس بين ضفتي النهر.. وفي أحد الأيام جاءتني فتاة غنية مع أمها.. ونقلتهما.. ثم جاءتا في اليوم التالي.. وركبتا في قاربي..

ومع الأيام.. بدأ قلبي يتعلق بتلك الفتاة.. وهي كذلك تعلقت بي.. خطبتها من أبيها لكنه أبى أن يزوجني لفقري.. ثم انقطعت عني بعدها.. فلم أعد أراها، ولا أمها.. وبقي قلبي معلقاً بتلك الفتاة.. وبعد سنتين أو ثلاث.. كنت في قاربي.. أنتظر الركاب.. فجاءتني امرأة مع طفلها.. وطلبت نقلها إلى الضفة الأخرى.. فلما ركبت.. وتوسطنا النهر.. نظرت إليها.. فإذا هي صاحبتي الأولى.. التي فرق أبوها بيننا.. ففرحت بلقياها.. وبدأت أذكرها بسابق عهدنا.. والحب والغرام.. لكنها تكلمت بأدب.. وأخبرتني أنها قد تزوجت وهذا ولدها.. فزين لي الشيطان الوقوع بها..

فاقتربت منها.. فصاحت بي.. وذكرتني بالله.. لكني لم ألتفت إليها.. فبدأت المسكينة تدافعني بما تستطيع.. وطفلها يصرخ بين يديها.. فلما رأيت ذلك أخذت الطفل.. وقربته من الماء وقلت: إن لم تمكنيني من نفسك..

غرقته.. فبكت وتوسلت.. لكني لم ألتفت إليها.. وأخذت أغمس رأس الطفل فإذا أشرف على الهلاك أخرجته.. وهي تنظر وتبكي.. وتتوسل.. لكنها لا تستجيب لي.. فغمست رأس الطفل في الماء.. وشددت عليه الخناق.. وهي تنظر.. وتغطي عينيها.. والطفل يضطرب يداه ورجلاه.. حتى خارت قواه.. وسكنت حركته.. فأخرجته فإذا هو ميت.. فألقيت جثته في الماء.. ثم أقبلت عليها.. فدفعتني بكل قوتها.. وتقطعت من شدة البكاء.. فسحبتها بشعرها.. وقربتها من الماء.. وجعلت أغمس رأسها في الماء.. وأخرجه.. وهي تأبى علي الفاحشة.. فلما تعبت يداي.. غمست رأسها في الماء.. فأخذت تنتفض حتى سكنت حركتها.. وماتت.. فألقيتها في الماء.. ثم رجعت.. ولم يكتشف أحد جريمتي.. وسبحان من يمهل ولا يهمل.. فبكى الناس لما سمعوا قصته.. ثم قطع رأسه..﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢].. فتأملوا في حال هذه الفتاة العفيفة.. التي يقتل ولدها بين يديها.. وتموت هي.. ولا ترضى بهتك عرضها.. فهذا طرف من أخبار أهل العفة..

بائع متجول.. عفيف..

وذكر ابن الجوزي في المواعظ: أن شاباً فقيراً كان بائعاً يتجول في الطرقات.. فمر ذات يوم ببيت.. فأطلت امرأة وسألته عن بضاعته.. فأخبرها.. فطلبت منه أن يدخل لترى البضاعة.. فلما دخل أغلقت الباب.. ثم دعته إلى الفاحشة.. فصاح بها..

ـ فقالت: والله إن لم تفعل ما أريده منك صرخت.. فيحضر الناس فأقول هذا الشاب.. اقتحم علي داري.. فما ينتظرك بعدها إلا القتل، أو السجن.. فخوفها بالله فلم تنزجر.. فلما رأى ذلك..

ـ قال لها: أريد الخلاء.. فلما دخل الخلاء.. أقبل على الصندوق الذي يجمع فيه الغائط.. وجعل يأخذ منه ويلقي على ثيابه.. ويديه..

وجسده.. ثم خرج إليها.. فلما رأته صاحت.. وألقت عليه بضاعته.. وطردته من البيت.. فمضى.. يمشي في الطريق والصبيان.. يصيحون وراءه: مجنون.. مجنون.. حتى وصل بيته.. فأزال عنه النجاسة.. واغتسل.. فلم يزل يشم منه رائحة المسك.. حتى مات.. فأين هذه العفة.. من فتيات اليوم.. تبيع إحداهن عرضها بمكالمة هاتفية.. أو هدية شيطانية.. وتنساق وراء كلام معسول من فاسق.. أو تنجر وراء شبهة من منافق..

دموع التائبات..!!

● ذكر ابن قدامة في كتابه «التوابين»: أن قوماً فساق.. أمروا امرأة ذات جمال أن تتعرض للربيع بن خثيم فلعلها تفتنه.. وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم.. فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب.. وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه.. ثم تعرضت له حين خرج من مسجده.. فنظر إليها.. فراعه أمرها.. فأقبلت عليه وهي سافرة.. فقال لها الربيع: كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين؟.. أم كيف بك لو قد سألك منكر ونكير؟.. فصرخت صرخة.. وبكت.. ثم تولت إلى بيتها.. وتعبدت.. حتى ماتت..

● وذكر العجلي في تاريخه: أن امرأة جميلة بمكة.. وكان لها زوج.. فنظرت يوماً إلى وجهها في المرآة..

ـ فقالت لزوجها: أترى يرى أحد هذا الوجه، ولا يفتتن به؟!

ـ قال: نعم..

ـ قالت: من؟!

ـ قال: عبيد بن عمير العابد الزاهد في الحرم..

ـ قالت: أرأيت إن فتنته.. وأكشف وجهي عنده..

ـ قال: قد أذنت لك..

فأتته؛ كالمستفتية فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام.. فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر..

ـ فقال لها: يا أمة الله.. غطي وجهك واتق الله..

ـ فقالت: إني قد فتنت بك..

ـ فقال: إني سائلك عن شيء.. فإن أنت صدقت.. نظرت في أمرك..

ـ قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك..

ـ قال: أخبريني.. لو أن ملك الموت أتاك يقبض روحك.. أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

ـ قالت: اللهم لا..

ـ قال: فلو أدخلت في قبرك فأجلست للمساءلة.. أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

ـ قالت: اللهم لا..

ـ قال: فلوا أن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين تأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك.. أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

ـ قالت: اللهم لا..

ـ قال: فلو أردت المرور على الصراط ولا تدرين تنجين أم لا.. أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

ـ قالت: اللهم لا..

ـ قال: فلو جيء بالموازين وجيء بك لا تدرين تخفين أم تثقلين.. أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

ـ قالت: اللهم لا..

ـ قال: فلو وقفت بين يدي الله للمساءلة.. أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

ـ قالت: اللهم لا..

ـ قال: فاتقي الله يا أمة الله.. فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك.. فرجعت إلى زوجها..

ـ فقال: ما صنعت؟

ـ قالت: أنت بطال.. ونحن بطالون.. الناس يتعبدون ويستعدون للآخرة.. وأنا وأنت على هذا الحال.. فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة.. حتى ماتت..

طوبى لها..!!

وكلما كانت المرأة بربها أعرف.. كانت منه أخوف.. فإذا قارفت ذنباً، أو معصية.. رجعت إلى ربها تائبة مفضية.. تخاف من ويلات الذنوب.. وتترك لذة عيشها.. في سبيل أن تلقى ربها وهو راض عنها.. فيغفر الله ذنبها.. ويستر عيبها.. وهو الذي يفرح بتوبة عباده إذا تابوا إليه..

● في الصحيحين: أن امرأة من الصحابيات.. كانت متزوجة في المدينة.. وسوس لها الشيطان يوماً.. وأغراه برجل فخلا بها عن أعين الناس.. وكان الشيطان ثالثهما.. فلم يزل يزين كلاً منهما لصاحبه حتى زنيا.. فلما فرغت من جرمها تخلى عنها الشيطان.. فبكت وحاسبت نفسها.. وضاقت حياتها.. وأحاطت بها خطيئتها.. حتى أحرق الذنب قلبها..

فجاءت إلى طبيب القلوب ﷺ.. ووقفت بين يديه.. ثم صاحت من حر ما تجد.. قالت: يا رسول الله.. زنيت.. فطهرني.. فأعرض عنها.. فجاءت من شقة الآخر.. فقالت: يا رسول الله.. زنيت.. فطهرني.. فأعرض عنها لعلها أن ترجع فتتوب بينها وبين الله.. فخرجت من عنده والذنب يأكل فؤادها.. فلم تطق صبراً.. فلما جلس ﷺ في مجلسه من الغد فإذا بها تقبل عليه.. فتقول: يا رسول الله.. طهرني.. فأعرض عنها.. فصاحت من حر فؤادها.. قالت: يا رسول الله.. لعلك تريد أن تردني كما رددت ماعزاً.. والله إني لحبلى من الزنا..

فالتفت إليها ﷺ.. ثم قال: «**أما لا فاذهبي حتى تلدي**».. فخرجت من المسجد ومضت إلى بيتها تجر خطاها.. قد كبر همها.. وضعف جسدها.. ودمعت عينها.. ذهبت تعد الساعات والأيام.. والآلام تلد الآلام.. فلما مضت تسعة أشهر.. ضربها المخاض.. فلم تزل تتلوى من الألم حتى ولدت.. فلما ولدت.. لم تنتظر نفاسها.. بل.. قامت من فراشها.. وحملت وليدها في خرقتها.. ثم مضت به إلى رسول الله ﷺ.. ثم وضعته بين يديه..

ـ وقالت: هذا قد ولدته يا رسول الله.. فطهرني..

فنظر النبي ﷺ إليها.. فإذا هي في تعبها ونصبها.. ونظر إلى وليدها فإذا هو صبي في مهده.. يتلبط بين يدي أمه..

ـ فقال: «**اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه**»..

فذهبت وغابت سنتين كاملتين عاشتها مع فلذة كبدها.. يتقلب في حضنها.. تغسل وجهه بدمعاتها.. وتودعه بنظراتها.. فلما فطمته من الرضاع.. لفت عليها ثيابها.. ثم خرجت بولدها من بيتها.. وناولته في يده كسرة خبز.. ثم أتت به يمشي معها.. حتى وقفت به بين يدي رسول الله ﷺ..

ـ فقالت: هذا يا نبي الله.. قد فطمته.. وقد أكل الطعام.. فطهرني..

فدفع النبي ﷺ.. الصبي إلى رجل من المسلمين.. ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها.. وأمر الناس فرجموها حتى ماتت.. نعم ماتت.. لكنها.. غسلت وكفنت..

وقام ﷺ ليصلي عليها.. وهو يقول: «**لقد تابت توبة.. لو تابها سبعون من المدينة لقبل منهم**».. هل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها.. ماتت.. وجادت بنفسها في سبيل الله.. ماتت.. فطوبى لها.. وقعت في الزنى.. وهتكت ستر ربها.. وشهدت الملائكة الكرام.. واطلع الملك العلام.. لكنها لما ذهبت اللذات.. وبقيت الحسرات.. تذكرت يوم تشهد عليها أعضاؤها التي متعتها بالزنا.. رجلها التي مشت بها.. يدها التي لمست بها.. لسانها

الذي تكلمت به.. بل تشهد عليها.. كل ذرة من ذراتها.. وكل شعرة من شعراتها.. تذكرت حرارة النيران.. وعذاب الرحمٰن.. يوم يعلق الزناة بعراقيبهم في النار.. ويضربون عليها بسياط من حديد..

فإذا استغاث أحدهم من الضرب.. نادته الملائكة: أين كان هذا الصوت وأنت تضحك.. وتفرح.. وتمرح.. ولا تراقب الله.. ولا تستحي منه!!..

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ خطب الناس فقال: «**يا أمة محمد.. والله إنه لا أحد أغير من الله.. أن يزني عبده.. أو تزني أمته.. يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم.. لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**».. فتابت توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم..

وختاماً.. أيتها الجوهرة المكنونة..

والدرة المصونة.. أهمس في أذنك بكلمات.. أرجو أن تصل إلى قلبك قبل أذنك.. لا تغتري بكثرة العاصيات.. لا تغتري بكثرة من يتساهلن بالحجاب.. ومغازلة الشباب.. أو يتعلقن بالعشق والهيام.. ومقارفة الحرام.. همهن المسرحيات والأفلام.. يعشن بلا قضية.. فنحن ـ بصراحة ـ في زمن كثرت فيه الفتن.. وتنوعت المحن.. فتن تفتن الأبصار.. وأخرى تفتن الأسماع.. وثالثة تسهل الفاحشة.. ورابعة تدعوا إلى المال الحرام.. حتى صار حالنا قريباً من ذلك الزمان.. الذي قال فيه النبي ﷺ فيما أخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما: «**فإن وراءكم أيام الصبر.. الصبر فيهن كقبض على الجمر.. للعامل فيهن أجر خمسين منكم.. يعمل مثل عمله**.. قالوا: يا رسول الله.. أو منهم.. قال: **بل منكم**».. حديث حسن.. وإنما يعظم الأجر للعامل الصالح في آخر الزمان.. لأنه لا يكاد يجد على الخير أعواناً.. فهو غريب بين العصاة.. نعم غريب بينهم.. يسمعون الغناء ولا يسمع.. وينظرون إلى المحرمات ولا ينظر.. بل ويقعون في السحر

والشرك.. وهو على التوحيد.. وعند مسلم أنه ﷺ قال: «**بدأ الإسلام غريباً.. وسيعود غريباً كما بدأ**».. فطوبى للغرباء.. نعم طوبى للغرباء.. وعند البخاري: قال ﷺ: «**إنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم**»..

وأخرج البزار بسند حسن أنه ﷺ قال: «**يقول الله ﷻ: وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين.. إذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة.. وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة**».. نعم.. من كان خائفاً في الدنيا.. معظماً لجلال الله.. أمن يوم القيامة.. وفرح بلقاء الله.. وكان من أهل الجنة الذين قال الله عنهم: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٥ ـ ٢٨].. أما من كان مقبلاً على المعاصي.. همه شهوة بطنه وفرجه.. آمناً من عذاب الله.. فهو في خوف وفزع في الآخرة.. قال الله: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾ [الشورى: ٢٢].. فتوكلي على الله إنك على الحق المبين.. ولا تغتري بكثرة المتساقطات.. ولا ندرة الثابتات..

أسأل الله أن يحفظك بحفظه.. ويكلأك برعايته.. ويجعلك من المؤمنات التقيات.. الداعيات العاملات.. ولسوف تبقين أختاً لنا.. حتى وإن لم تستجيبي لنصحنا.. نحب لك الخير.. ولسوف ندعوا الله لك آناء الليل.. وأطراف النهار.. ولن نمل أبداً من نصحك وحمايتك.. وأملنا أن الله لن يضيع جهدنا معك.. وما توفيقنا إلا بالله..

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته..

كتبه
أخوك الداعي لك بالخير
د. محمد بن عبد الرحمٰن العريفي
دكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة
ص.ب ١٥١٥٩٧ الرياض ١١٧٧٥
Email: arefe@arefe.com

جلسة مع مغترب

من هو المغترب؟

إنه مسلم أقام في بلاد الكفار.. ألقى فيها رحله.. استقر في جنباتها.. بعدما عصفت به الرياح.. وضاقت به الأرض.. ففارق الأهل والأوطان.. وسكن في شاسع البلدان.. وهو في شرق الأرض.. وأخوه في غربها.. وأخته في شمالها.. وابنه في جنوبها.. أما ابن عمه فقد انقطعت عنه أخباره فلا يدري إذا ذكره.. هل يقول: حفظه الله! أم يقول: رحمه الله؟!!

المغتربون كل واحد منهم له قصة.. وكل أبٍ كسير في صدره مأساة.. وفي وجه كل واحد منهم حكاية.. ولعلنا نقف في هذا الكتاب على شيء من واقعهم.. ونجلس معهم.. نفيدهم ونستفيد منهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله... وبعد:

حدثني الشيخ فقال:

كنت في بلد أوروبي يكثر فيه المغتربون من اللاجئين المسلمين الذين سكنوا في هذه البلاد طلباً لحياة أفضل، وبعدما انتهيت من صلاة التراويح وإلقاء المحاضرة بعدها، جاء إليّ أحد الأخوة الكرام وقال: يا شيخ أحد الأخوة العرب سمع عن مجيئك إلى هنا للدعوة فأحب أن تقابل ابنه!! فتعجبت وقلت: أقابل ابنه؟!!

لماذا لا أقابله هو؟! ولماذا لا يأتي إليّ ويطلب ذلك بنفسه؟

فقال: هو لا يصلي معنا، ولكن ولده يشكو من مشكلة، ويريدك أن تشارك في حلها.

فركبت مع هذا الأخ في سيارته وذهبنا إلى هناك.. فلما دخلنا فإذا بشيخ قد ناهز الستين سنة من عمره، طُرد فيها وشُرّد، وعُذّب وسجن، ثم استقر به المقام مع فلذات كبده في بلاد الكافرين، فعاش فيها آمناً مطمئناً يأتيه رزقه رغداً من كل مكان، سلم عليّ بحرارة ثم أدخلني إلى غرفة الجلوس.

وبعدها حدثني بطرف من قصة حياته المؤلمة وكيف أنه أتى إلى هذه البلاد طلباً لراحة البال في زمن الشيخوخة بعد شقاء الشباب وعذابه!! قلت له: وهل وجدت راحة البال؟

قال: فيما يظهر للناس: نعم بيت واسع.. وسيارة فارهة.. وراتب مجزي.. ولا عمل ولا نصب.. ولا كدح ولا تعب.. ولا تشريد ولا خوف.

كل من رآني ظن أنني مرتاح البال وتمنى لو أنه في مكاني، ولكن الحقيقة هي أنني أتعس الناس!!

لا أحكم أولادي ولا بناتي!!.. ولا أحكم زوجتي!!

بل لا أشعر أنني رجل له شخصيته ومسؤوليته.. حياتي رتيبة جدّاً! بل مملة جدّاً.. أشعر كأنني آلة أو جهاز ينتظر صانعه أن تنتهي مدة صلاحيته ليستبدله بغيره.

ثم تدارك هذا الشيخ الكبير نفسه وقال: عفواً يا شيخ!! أنا لم أطلب مقابلتك لأجل أن أبث إليك هذه الهموم، فهي أكبر من أن يحويها مجلس واحد.. وإنما أردت مقابلتك لأجل مشكلة لأصغر أولادي.

أصغر أولادي ـ يا شيخ ـ عمره تسع عشرة سنة، وقد جاء إلى هذه البلاد وعمره خمس سنوات، درس في مدارس هذه البلاد.. وخالط أهلها في مدارسهم.. وأسواقهم.. وبيوتهم.. وملاعبهم.. و.. ولم أكن أمنعه من شيء، بل لم أكن أتدخل في حياته.. لأن التربية الحديثة تقرر ذلك.. وإن شئت فقل إنني لم أكن أستطع أن أمنعه من شيء!! سواء كان محرماً.. أو فاحشة.. أو غير ذلك؛ لأنه يستطيع أن يتسبب في سجني أو معاقبتي لو أخبر الشرطة بذلك.. لن أطيل عليك: ولدي منذ فترة طويلة لا يصلي.. ولا يصوم.. بل هو غير مقتنع بالدين أصلاً.. كل الأديان يعتبرها ظلماً للعباد!!.. وفي الفترة الأخيرة بدأ يتضايق كثيراً.. ويعتزل في غرفته، ولا يخالطنا، بل صار في كل صباح يحلق رأسه بالموسى.. وله تقليعات غريبة!.

هل يمكن أن أدعوه لك لتقابله؟ فلعل الله أن يصلح حاله على يدك.

قلت: لا مانع من ذلك.

فصاح الأب للشقيق: محمد.. يا محمد.

وبعد لحظات.. دخل علينا محمد.. شاب قد امتلأ حيوية ونشاطاً.. لعبت به الشهوات كما لعب بها.. مدّ يده إلي وقال: السلام عليكم.. وعليكم السلام.. كيف حالك يا محمد؟.

تدخل الأب وقال: يا محمد هذا الشيخ أتى ليناقشك في الأفكار التي تثيرها دائماً عندي، يا ولدي أنت مسلم.. يا ولدي حرام عليك.. يا ولدي.. ثم بكى الشيخ.. واشتد بكاؤه.. وصمت.

فقلت لمحمد: ذكر أبوك أن عندك بعض الأسئلة الدينية، هل يمكن أن أسمعها؟.. ولكن ـ عفواً ـ قبل أن تذكرها.. هل تفهم اللغة العربية جيداً.

فقال: أفهم كثيراً منها، ولكن لا تتكلم معي بالفصحى.

فقلت له: في البداية يا محمد: هل أنت مقتنع بأن الله موجود؟!

فقال: شو يعني مقتنع؟!!

فقلت له: يعني: هل أنت مؤمن أن الله موجود؟!

فقال: شو يعني مؤمن؟!!

فقلت له: do you believe Allah

فقال: أوه!! نعم.. نعم.

فقلت: إن الله خلقنا ورزقنا وأمرنا بعبادته، وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين.. و..

وطال النقاش ولم يقتنع بأن الله تعالى رب حكم عدل يستحق الطاعة والعبادة.. فلما رأيت ذلك.

قلت له: أريد أن أسمع منك سورة الفاتحة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾.

فلما أراد أن يقرأها التبست عليه!!.. وإذا هو لا يحفظ قصار السور.

فقلت له: اقترب واجلس بجانبي، فلما جلس بجانبي وضعت يدي على صدره وقرأت عليه سورة الفاتحة ثلاث مرات.. فبدأت الدموع تسيل من عينيه، فأوقفت القراءة.

وسألته: لماذا تبكي؟!

فقال بصوت يقطعه البكاء: لا أدري.. لا أدري.

فوضعت يدي على صدره وتلوت: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ

خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢١ ـ ٢٤].

وقـولـه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقـولـه: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢].

وغيرها من الآيات التي فيها تعظيم وإجلال لله تعالى.. وكان الشباب يبكي بحرارة مع سماعه لهذه الآيات، بل كان يتقطع بكاءً.. حتى إنني بعدما انتهيت من التلاوة حاولت إكمال النقاش معه فلم يستطع أن يتكلم بكلمة.

فأمسكت يده وحاولت إيقافه على قدميه.. وقلت: قم صلّ ركعتين، وابدأ حياة جديدة.

فقام ذليلاً بين يدي خالقه ومولاه.. الذي سواه فعدله.. الذي خلقه فهو يهديه.. والذي هو يطعمه ويسقيه.. وإذا مرض فهو يشفيه.. والذي يميته ثم يحييه.

قام بين يدي الملك جل جلاله.. وبكى.. وبكى.. فالقطيعة بينه وبين ربه قد طالت سنوات.. وبعد الصلاة وعدني أن لا يغيب عن صلاة التراويح مع الجماعة، وحضور المحاضرات.. وكان ذلك ولله الحمد.

هذا هو الشاب **الأول**.

۞ أما الثاني:

فهو أخ لأحد المصلين المحافظين على الصلاة معنا في المركز الإسلامي، جاء إليّ وطلب مني مقابلة أخيه الذي لا يصلي ولا يصوم ولا يتعبّد لله تعالى بشيء أبداً.

ذهبت مع هذا الأخ فلما دخلت البيت، أجلسني في غرفة الاستقبال، ثم صاح: محمد.. يا محمد.. هذا اسم أخيه.. شاب عمره ثمان عشرة سنة.

جاء محمد وصافحني بلطف ثم جلس.. فقال أخوه: هذا يا محمد شيخ داعية زارنا في هذا البلد وأحب التعرف عليك!!

ردّ محمد بلطف: أهلاً وسهلاً.

بدأت الحديث معه عن الحياة وسبب خلقنا.. وما يستحقه الله تعالى من العبادة والطاعة.. وأن هؤلاء الكفار في ضلال مبين.. وأن السعادة الحقيقية في هذا الدين.

ثم تكلمت ـ بصراحة ـ عن المخالفات المنتشرة بين شباب المسلمين في هذه البلاد.. وعقوبة تارك الصلاة..و.

وبدا الفتى غير مكترث بكلامي ولا مبالٍ به.. رغم تكلفي التلطف وتزيين العبارات بالود والتبسم.. لكنه بدا غير جاد في تفهم ما أقول.

قلت له: يا محمد، أريد أن أسمع منك سورة الفاتحة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾.

فابتدأ في قراءتها فأخطأ وصوّبته.. ثم أخطأ وصوّبته.. ثم أخطأ وصوّبته.. فسكت!! نعم لا يحفظ سورة الفاتحة!!

قلت له: نحن نحبك.. ونحب لك الخير.. و.. وأريدك أن تأتي معنا لتصلي مع المسلمين، وتحضر المحاضرة بعد صلاة التراويح.

وبعد تمنّع شديد منه وافق على ذلك، وأتى معنا.. وصلى التراويح وحضر الموعظة.

ثم خرج ولم أره بعدها.. فسألت عنه أخاه؟!

فقال: يا شيخ!! أخي يقول إن الساعة التي قضاها في المسجد كأنها عشر سنوات.. ملل.

فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله.. ثم دعوت له بالهداية، وسكتّ.

أما الثالث:

فقد كنت في (السويد) وهي بلد يكثر فيه اللاجئون وبعد صلاة التراويح والمحاضرة (وكانت باللغة العربية) جاء إليّ أحد الأخوة العرب وقال: هنا بعض الشباب السويديين المسلمين يريدون الجلوس معك.. وكانوا متحلقين في المسجد ينتظرون.

فاستدعيت أحد الأخوة ليترجم بيني وبينهم.. وجلست وبدأتُ الحديث عن نعمة الهداية لهذا الدين وأهمية الثبات عليه، وهذا الأخ يترجم من العربية إلى الإنجليزية.

وفجأة نادى أحد المصلين باسم هذا المترجم فقام إلينا وتركنا.. فسكتّ أنتظر رجوع المترجم لأكمل الحديث.. فطال تأخره وطال سكوتي وسكوتهم.

وفجأة نطق أحد هؤلاء بلغة عربية مكسرة قائلاً: يا شيخ، أنا أستتيع أن أترشم كليلاً!!.

فعجبت منه وقلت: هل تفهم اللغة العربية؟!

فقال: أنا عربي فلسطيني!! أمي وأبي فلسطينيان!! لكني مولود في هذا البلد، وجنسيتي سويدي.. ومنذ ولادتي لم يحرص والداي على تعليمي اللغة العربية، لكني أفهم قليلاً.. (قال هذا الكلام بلغة عربية مكسرة مخلوطة بعبارات إنجليزية).

هذا طرف من أحوال أبنائنا من شباب المسلمين في ديار الهجرة.. هذا فضلاً عن أولئك الشباب الذين يجرون وراء شهواتهم ونزواتهم، ولم يوفقوا إلى الهداية والتوبة.

وكلامي هذا ليس فقط عن الشباب بل والفتيات أيضاً.. هؤلاء أبناؤنا وبناتنا.

أما أحوال الآباء فهي أنكى وأشد.

قال الشيخ: جاء إليّ منكسراً ذليلاً.. وقال: يا شيخ!! مللت من هذه الحياة!! كنت أسكن في بلد من بلاد المسلمين.. أسمع الأذان.. وأشهد الصلوات.. وأذكر الله مع الذاكرين.. وأركع مع الراكعين.. ولا أرى صليباً ولا كنيسة.

نعم كنت في عيش قليل لا أملك الأرصدة والأموال.. ولا شقة فاخرة.. ولا يعالجني مستشفى متطور.. لكنني كنت ملكاً متمكناً.. أتربع على عرش منزلي الصغير.. وأولادي وزوجتي حولي كأننا قمر حوله كواكب..

بالأمس كنا ولا يرجى تفرقنا والـيوم صرنا ولا يرجى تلاقينا

كنت أعلم أين يذهب ولدي.. ومع من تجلس ابنتي.. ومن تقابل زوجتي.

ثم زيّن لي بعض الأقارب أن آتي إلى هذا البلد المتطور الذي يعطيني الجنسية والراحة، والأمن والرفاهية، والراتب والعلاج.. و.. فانخدعت بذلك وجئت إلى السويد.

قبلت الدولة لجوئي.. أسكنوني في شقة فاخرة.. درسوا أولادي في مدارس متطورة.. عشت الأيام الأولى وكأني في حلم جميل.

نعم تبدل صوت الأذان.. بجلجلة النواقيس والصلبان.. الوجوه المتوضئة.. المشرقة المؤمنة.. تبدلت بوجوه عليها غبرة ترهقها قترة.

لكن هذه الحياة الجديدة.. والراحة والدعة جعلتني أغفل عن هذه الأمور.

مضت أيامي في هذه البلاد.. ومضت الشهور وبدأت أتنبه إلى هذا الواقع الفاسد.. أخاف على أولادي من حولي.. صرت كالجبان المختبئ من

عدوه الذي يمسك أولاده عن يمينه وشماله خوفاً عليهم من القتل.

وفي يوم من الأيام: طرق باب المنزل طارق، فلما فتحت الباب فإذا بفتاة شقراء!!

ـ ما تريدين؟!!

ـ أنا صديقةُ (موهمد) في المدرسة، وأريد أن أدخل عنده في غرفته!!

فزجرتها وطردتها.. وعاتبت ولدي وناصحته.

وبعد يومين.

طرق باب المنزل طارق، فلما فتحت الباب فإذا بشاب أشقر!!

ـ ما تريد؟!!

ـ أنا صديق (سارا) في المدرسة، وأريد أن أدخل عندها!! في غرفتها!!

فزجرته وطردته.

وأعلنت حالة الطوارئ في البيت.. وأصدرت المراسيم والأنظمة: ممنوع الاختلاط..

ممنوع الذهاب إلى أي مكان غير المدرسة.. أو المسجد يوم الجمعة.

ممنوع مقابلة الفتيات السويديات.. أو الشباب السويديين.

ممنوع.. ممنوع.

وأخذت أراقب تطبيق هذه الأنظمة بكل دقة.

ومضت الأيام وأحسست بالراحة وأن الأزمة انقضت.

حتى كانت الكارثة الكبرى!!.

في يوم من الأيام خرجت لأشتري بعض الأغراض الخاصة للبيت.. وبعد خروجي بدقائق خرجت زوجتي وابنتي إلى مكتب الشرطة وقدمتا شكوى ضدي!! بأنني أكبت حريتهن.. ولا أحسن التعامل معهم.. وأمنع البنت من أصدقائها!!.. والولد من صديقاته!!.. إلخ القائمة الطويلة.

فثارت ثائرة العدالة (!!) على هذا الأب المتخلف.. كيف يحول بين الحبيب وحبيبته؟! كيف يمنع الشباب والفتيات عن ملذاتهم؟!.. كيف يقع هذا في بلاد الحرية والتطور؟!.

فلما عدت إلى البيت.. متعباً.. محملاً بالأرزاق والأطعمة.. فإذا بالشرطة ينتظرونني!! فظننت أن البيت سرق في غيابي.. أو أن أولادي وفلذات كبدي تعرضوا لخطر.

ألقيت ما في يدي وهرعت إلى البيت لأدخل فإذا برجال العدالة والشرف (!!) يوقفوني!!

ـ أنت فلان؟

ـ نعم!! ماذا تريدون؟!!

ـ عندنا بلاغ ضدك!! تعال معنا.

واقتادوني إلى التحقيق.. ثم المحكمة.. وحُكم عليَّ بالسجن ثلاث سنوات.. لأكون عبرة للمعتبرين.

أما أولادي فقد أعطتهم العدالة (!!) منزلاً في غير المدينة التي سجنتُ فيها.. وصرفوا رواتب الأولاد باسم أمهم.. ولم يخبروني بعنوانهم.. ولم يسمحوا لي بالاتصال بهم.. ولا تسأل عن حالي اليوم.

هذا الأب الأول.. أما الثاني: فهي امرأة تسكن مع أولادها في شقتها في مدينة بالدنمارك.

وفي يوم من الأيام وقع شجار بين ولديها الصغيرين (٤، ٦ سنوات) فضربتهما.. فبكيا بصوت مرتفع.

فلما سمع جارها الدنماركي (الرحيم الشفيق) بكاء الأطفال اتصل مباشرة بالشرطة!!

فجاؤوا سراعاً وهجموا على الأم وخلصوا الأطفال من الظلم والكبت (!!).

أف لهم!! يظنون أنهم أرحم بالأبناء من أمهم!!.

وخلال ساعات تم ترحيل أحد الطفلين إلى مدينة في شمال الدنمارك ليتربى في كنف عائلة دنماركية ليس لديها أولاد.

أما الآخر فأُرسل إلى عائلة في النرويج..!! هذا خبر الطفلين.

أما الأم فبقيت تتجرع آلام الحسرة والفراق.. في أرض العدالة والحرية والرفاهية (!!).

أيها الأخ المغترب: كل واحد من المغتربين له قصة.

وكل أبٍ كسير في صدره مأساة.

وفي وجه كل واحد منهم حكاية.. فما هو الحل؟!.

هل الحل هو أن تستسلموا للواقع المرّ؟.. أم تحاولوا الإصلاح والحفاظ على دينكم وأولادكم بقدر المستطاع.. حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً.

من خلال واقع الأخوة المغتربين سواء في أمريكا أو كندا أو أستراليا أو بريطانيا أو فرنسا أو الدول الإسكندنافية أو غيرها.. أستطيع أن أخرج بهذه الوصايا، التي أرجو أن يكون حال من التزم بها أحسن من غيره:

۞ الوصية الأولى:

اعلم أن الكفار أعداء لا يمكن أن ينقلبوا أصدقاء محبين للمسلمين.. أبداً.. مهما أظهروا من العدل والحب والحفاوة فهم أعداء، ولا يرضيهم منك إلا الكفر.. ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]. ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [النساء: ٨٩].

نعم.. والله، فإذا كفرت ـ حماك الله من ذلك ـ أحبوك بعض الشيء.. لأنهم يفرقون بين الكافر الذي من جلدتهم وبين من دخل في دينهم من غيرهم.

قد تقول لي: هم يستقبلوننا ويرحبون بنا ويعاملوننا معاملة حسنة.. ويعطوننا الأموال ويوفرون لنا الراحة.

فأقول لك: إنهم يفعلون ذلك لمصالح يحصلون عليها منكم.. فهم باستقبالهم لك يربحون مكاسب كثيرة، إن لم يربحوها كلها ربحوا بعضها، هم باستقبالهم لك يكثرون عدد سكان بلادهم، وبالتالي يزيد اقتصادهم وتتطور دولتهم.. هم بك يكثرون عدد العمال والموظفين ويحافظون على عدد

السكان.. لا يتناقص.. لأن بني جلدتهم لا يتكاثرون ولا يحرصون على الإنجاب.. بل يكتفي أحدهم بعشيقة يتمتع بها حتى يموت دون أن يرزق بأولاد.. أو إن أراد أولاداً اكتفى بطفل أو اثنين على الأكثر.. فتجد أن كبار السن عندهم أكثر من الشباب.. وهم يخططون للمدى البعيد، ويشهد لذلك تقرير نشر قريباً من إدارة الهجرة في أمريكا يصرّح بأن أمريكا لا بدّ أن تستقبل عشرين مليون مهاجر سنويّاً لتحافظ على توازن البلد في السنوات القادمة.. فهم ما قبلوا لجوءك رحمة بك وإحساناً إليك.. كلا.. بل يستفيدون منك.

وإن لم يستفيدوا منك أنت؛ لأن فيك بقية إسلام وقد تعارض بعض ما يخالف الشريعة.. وقد يزعجهم حرصك على صلاتك وعبادتك.. استفادوا من أولادك.. فإن كان في أولادك تربية إسلامية فلم يستفيدوا منهم.. استفادوا من أولاد أولادك.. الذين ولدوا عندهم وتطبعوا بطباعهم وحملوا جنسياتهم.

هل تعلم أن دولة البرازيل دخلها خلال الخمسين سنة الماضية مليون مسلم، تنصَّر منهم إلى الآن نصف مليون!! ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]. ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [النساء: ٨٩].. ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]. مع أن غايتهم الكبرى هي أن تتخلى عن إسلامك.. أما اعتناقك للنصرانية فهو أمر ثانوي بالنسبة لهم بدليل أنهم هم أنفسهم غير متمسكين بالنصرانية تمسكاً تامّاً.

وتأمل معي: كم يُقتل من المسلمين بأيدي النصارى في بقاع كثيرة!! البوسنة.. كوسوفا.. الشيشان.. أريتريا.. السودان.. أندونيسيا.

هل تظن أن النصارى هنا يختلفون عن النصارى هناك؟!! إن الكفر ملة واحدة.

ومن تأمل بدقة في هذه البلاد التي تستقبل اللاجئين المسلمين وتحتفي بهم وجد أنها تغيبهم عن دينهم من خلال التعليم والوظيفة والاختلاط والنظام.. ويدندنون في كل مكان: حرية!!.. (Free) والحرية والرذيلة

ـ عندهم ـ وجهان لعملة واحدة ومن ظل متمسكاً بالأخلاق فهو رجعي متخلف!!.

۞ الوصية الثانية:

اعتبر بقاءك في هذا البلد ليس دائماً، نعم.. قرّر ذلك.. وأقنع به نفسك.. وزوجتك وأولادك.. بصرف النظر عن واقعيته.

فهذا حريٌ بأن يجعل انتماءك وولاءك لبلاد الإسلام لا لبلاد الكفر.. وسوف يأتي يوم تعود فيه إلى بلاد الإسلام.. تسمع الأذان.. وتصلي مع المصلين.

واقرأ هذه الفتوى بتمعن، وهي من فتاوى سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ حفظه الله ـ حيث سئل:

س: ما حكم الإقامة في بلاد الكفار؟

ج: الإقامة في بلاد الكفار خطر عظيم على دين المسلم وأخلاقه وسلوكه وآدابه، وقد شاهدنا وغيرُنا انحراف كثير ممن أقاموا هناك، فرجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا فساقاً، وبعضهم رجع مرتدّاً عن دينه وكافراً به وبسائر الأديان ـ وبعضهم بالله ـ حتى صاروا إلى الجحود المطلق، والاستهزاء بالدين وأهله، السابقين منهم واللاحقين.

ولهذا: كان ينبغي ـ بل يتعين ـ التحفظ من ذلك، ووضع الشروط التي تمنع من الهوى في تلك المهالك.

فالإقامة في بلاد الكفر لا بد فيها من شرطين أساسيين:

۞ الشرط الأول:

أمن المقيم على دينه، بحيث يكون عنده من العلم والإيمان وقوة العزيمة ما يطمئنه على الثبات على دينه، والحذر من الانحراف والزيغ، وأن يكون مضمراً لعداوة الكافرين وبغضهم، مبتعداً عن موالاتهم ومحبتهم، فإن موالاتهم ومحبتهم مما ينافي الإيمان، قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ

بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة: ٥١، ٥٢].

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: أن «**من أحب قوماً فهو منهم**»، وأن «**المرء مع من أحب**» ومحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطراً على المسلم؛ لأن محبتهم تستلزم موافقتهم واتباعهم، أو على الأقل عدم الإنكار عليهم، ولذلك قال النبي ﷺ: «**من أحب قوماً فهو منهم**».

۞ الشرط الثاني:

أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع، فلا يُمْنع من إقامة الصلاة، والجمعة والجماعات، إن كان معه من يصلي جماعة ومن يقيم الجمعة، ولا يمنع من الزكاة والصيام والحج، وغيرها من شعائر الدين.

فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة، لوجوب الهجرة حينئذ، قال في كتاب «المغني» (٨/ ٤٥٧) في الكلام على أقسام الناس في الهجرة: «أحدها: من تجب عليه: وهو من يقدر عليها ولا يمكنه إظهار دينه، ولا تمكنه إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار، فهذا تجب عليه الهجرة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧] وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب؛ ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته، وما لم لا يتم الواجب إلا به فهو واجب». اهـ.

وبعد تمام هذين الشرطين الأساسيين تنقسم الإقامة في دار الكفر إلى أقسام:

القسم الأول: أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه، فهذا نوع من الجهاد، فهي فرض كفاية على من قدر عليها، بشرط أن تتحقق الدعوة، وأن لا يوجد من يمنع منها أو من الاستجابة إليها؛ لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين، وهي طريقة المرسلين، وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه في كل زمان ومكان، فقال: «**بلغوا عني ولو آية**».

القسم الثاني: أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين، والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة، وبطلان التعبد، وانحلال الأخلاق، وفوضوية السلوك، ليحذر الناس من الاغترار بهم، ويبين للمعجبين بهم حقيقة حالهم.

وهذه الإقامة نوع من الجهاد أيضاً لما يترتب عليها من التحذير من الكفر وأهله، المتضمن للترغيب في الإسلام وهديه؛ لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء، لكن لا بد من شرطِ أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منها، فإن لم يتحقق مراده بأن مُنع من نشر ما هم عليه والتحذير منه، فلا فائدة من إقامته، وإن تحقق مراده مع مفسدة أعظم، مثل: أن يقابلوا فعله بسب الإسلام ورسول الإسلام وأئمة الإسلام، وجب الكفّ، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنعام: ١٠٨].

ويشبه هذا: أن يقيم في بلاد الكفار ليكون عيناً للمسلمين ليعرف ما يدبروه للمسلمين من المكايد، فيحذرهم المسلمون، كما أرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان إلى المشركين في غزوة الخندق ليعرف خبرهم.

القسم الثالث: أن يقيم لحاجة الدولة المسلمة، وتنظيم علاقاتها مع دولة الكفر ـ كموظفي السفارات ـ فحكمها حكم من أقام من أجله.

فالملحق الثقافي مثلاً يقيم فيرعى شؤون الطلبة، ويراقبهم ويحملهم على التزام الإسلام وأخلاقه وآدابه، فيحصل بإقامته مصلحة كبيرة يندرئُ بها شر كبير.

القسم الرابع: أن يقيم لحاجة خاصة مباحة كالتجارة والعلاج، فتباح

الإقامة بقدر الحاجة، وقد نص أهل العلم ـ رحمهم الله ـ على جواز دخول بلاد الكفار للتجارة وأثروا ذلك عن بعض الصحابة.

القسم الخامس: أن يقيم للدراسة، وهي من جنس ما قبلها ـ إقامة لحاجة ـ لكنها أخطر منها وأشد فتكاً بدين المقيم وأخلاقه.

القسم السادس: أن يقيم للسكن، وهذا أخطر مما قبله وأعظم؛ لما يترتب عليه من المفاسد: بالاختلاط التام بأهل الكفر، وشعوره بأنه مواطن ملتزم بما تقتضيه الوطنية، من مودة، وموالاة، وتكثير لسواد الكفار، ويتربى أهلُه بين الكفار، فيأخذون من أخلاقهم وعاداتهم، وربما قلدوهم في العقيدة والتعبد، ولذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «**من جامع المشرك، وسكن معه، فإنه مثله**» فإن المساكنة تدعو إلى المشاركة.

وعن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**» قالوا: يا رسول الله، ولِمَ؟! قال: «**لا تراءى نارهما**» رواه أبو داود والترمذي، وأكثر الرواة رووه مرسلاً عن قيس بن أبي حازم عن النبي ﷺ قال الترمذي: سمعت محمداً ـ يعني البخاري ـ يقول: الصحيح حديث قيس عن النبي ﷺ مرسل.اهـ.

وكيف تطيب نفس مؤمن أن يسكن في بلاد كفار!! تُعلن فيها شعائر الكفر، ويكون الحكم فيها لغير الله ورسوله، وهو يشاهد ذلك بعينيه ويسمعه بأذنيه، ويرضى به!! بل ينتسب إلى تلك البلاد، ويسكن فيها بأهله وأولاده، ويطمئن إليها كما يطمئن إلى بلاد المسلمين، مع ما في ذلك من الخطر العظيم عليه وعلى أهله وأولاده، في دينهم وأخلاقهم.اهـ.

۞ الوصية الثالثة:

أهم ما ينبغي على المسلم أن يعتني به هو دينه، فما قيمة المال والمسكن والوظيفة والمستشفى والعيش الرغيد في غير طاعة الملك المالك جل جلاله!!.

احرص على إقامة الشعائر أينما كنت.. ومن خصائص هذا الدين أنه

دين ظاهر.. أينما أدركتك الصلاة فصلّ.. في السوق.. في المدرسة.. في العمل.. في المصنع.. ولا تخجل من ذلك ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾.

قال الشيخ: كنت في السويد فذهبت مع اثنين من الأخوة المقيمين المغتربين لزيارة متحف للكتب القديمة وبعض الآثار.. وبعدما دفعنا رسوم الدخول وأمضينا دقائق.. أدركنا وقت صلاة العصر.

فقال أحدهما: يا شيخ هيا نخرج لنصلي ثم نعود.

فسألته مستغرباً: لماذا لا نصلي هنا؟!!

فقال: هاه!! نصلي أمامهم؟! لا.. لا.. هذا صعب جدّاً.. جدّاً.

قلت: لماذا صعب جدّاً.. جدّاً..؟!!

فقال: يا شيخ.. نصلي أمام السويديين؟!!

قلت: نعم نصلي أمام السويديين.. ولماذا لا نصلي أمامهم؟! ألست تراهم يقبّل بعضهم بعضاً أمامنا.. ولا يستحون!! ويضم بعضهم بعضاً.. ولا يخجلون.. ويشربون الخمر في الشوارع.. ويكشفون عوراتهم.. ويرتكبون الأفعال المخلة بالحياء.. ويعتبرون ذلك حرية.. ونحن أحياناً ننظر إليهم ونحن معجبون بهذه الحرية!!

فلماذا لا نصلي أمامهم ونعتبرها حرية؟!!

فوافق صاحبي على مضض.

فأخذنا جانباً من هذا المتحف واتجهت إلى القبلة ووضعت أصبعي في أذني.

فصاح بي صاحبي: يا شيخ!! ماذا تريد أن تفعل؟!

فأجبته بهدوء: سوف أؤذن.

فقال ـ باضطراب شديد ـ: يا شيخ تؤذن هنا؟!

قلت: نعم أليست حرية Free..!!.. أليسوا يغنون في الشوارع والطرقات.. ويسمون ذلك Free..!!.. سمّه أنت أيضاً: حرية Free..!!.

ثم أذنت وأقمت بصوت منخفض.. وصلينا.. وأكملنا زيارتنا.

ورآنا الناس ونحن نصلي جماعة.. نكبر ونسبح.. ونركع ونسجد.. ولم يمسك بنا رجال الشرطة.. ولم يدفعونا غرامة.. ولم يقتادونا إلى السجن.. ولم تنطبق السماء على الأرض.. فلماذا يخجل بعض الأخوة من الصلاة أمام الناس.. في الحدائق والأماكن العامة.. بل إن بعض المسلمين يجمعون بين الصلاتين من غير عذر سفر ولا مرض بسبب أنهم يخجلون أن يقيموا الصلاة أمام الناس.

أيها الأخ الحبيب: إن إظهار هذه الشعيرة وسيلة من أكبر الوسائل للدعوة إلى دين الإسلام.. ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦].

ولا أنسى أيضاً أن أذكرك أيها الرجل المبارك أن الشعائر الأخرى لا بدّ أن تظهر، مثل: عدم مصافحة النساء.. ولا الخلوة بهن.. أسأل الله أن يحفظك عفيفاً.. ويصون دينك وإيمانك.. آمين.

۞ الوصية الرابعة:

منزلك أخي المغترب هو مملكتك التي لا يكاد يزاحمك أحد عليها، وسوف تسأل عن أفراد هذا المنزل يوم القيامة، ومن أحسن التعامل مع أولاده وتنشئتهم تنشئة صالحة في صغرهم نفعوه في الدنيا والآخرة.. فأحسنوا إليه في حياته وحياتهم ببرّهم له.. وطاعتهم.. وعنايتهم.. وانتفع بهم بعد مماته بدعائهم واستغفارهم.. ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].. وكان من دعاء زكريا؛ أنه قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٣٨].. فلم يسأل ربه أي ذرية.. وإنما أرادها أن تكون ذرية طيبة.. لأن الذرية الفاسدة لا تزيدك إلا عنتاً ومشقة.

وإليك بعض التوجيهات الهامة في ذلك: احرص على إقامة الصلوات في أوقاتها جماعة مع أولادك في المسجد، فإن لم تتمكن من ذلك فاحرص

على إقامتها في البيت في أوقاتها دون تأخير، ولا تتساهل بغياب أحد من الأولاد عن صلاتها معكم جماعة، وذلك في جميع الصلوات.

احرص على الأذان لكل صلاة، ولا بأس أن تعلق ورقة في المنزل فيها بيان لأوقات الصلوات، وتجعل أحد الأولاد مسؤولاً عن الأذان للصلاة، بحيث يكون مكان الاجتماع للصلاة معروفاً غرفة محددة من غرفات البيت فيؤذن المؤذن فيها ويجتمع الباقون لإقامة الصلاة.

لا بد أن يكون في البيت مكتبة، ولو صغيرة، فيها بعض القصص والأحكام الشرعية وغير ذلك، من الكتب والأشرطة، ولا تبخل بما تنفقه من مال في ذلك، فإنه من النفقة في سبيل الله التي تؤجر عليها.

احرص على أن لا يمر أسبوع إلا ويكون في المنزل درس ديني، حيث يجتمع أفراد العائلة كلهم وتقرؤون شيئاً من كتاب رياض الصالحين أو التفسير أو غير ذلك، وهذا مهم جدّاً في ربط العائلة بعضهم ببعض، وحتى تحفكم الملائكة وتغشاكم الرحمة ويذكركم الله فيمن عنده، ولا تتساهل في تغيبهم عن الدرس.

وهذه الدروس المنزلية طبعاً لا تغني عن حضور الدروس المقامة في المركز الإسلامي.

إن اصطحابك لأولادك إلى المركز الإسلامي من وقت لآخر لحضور الصلوات والدروس العلمية فيه تقوية لإيمانهم، وربط لهم بإخوانهم المسلمين، وزرع الشعور بالعزة الإسلامية في نفوسهم.

لا تتكلم مع أولادك إلا باللغة العربية، وشدد الأمر في ذلك، امنع أولادكم من الكلام بغير اللغة العربية، ومن تكلم بلغة المدرسة أو الشارع فعاقبه وكن حازماً في ذلك، ولا تتسامح بكلمة ولا نصف كلمة.. هذا هام جدّاً.. جدّاً.

۞ الوصية الخامسة:

أولادك عجينة بين يديك تفعل ما تشاء ما داموا في سني الطفولة، وليس لك عذر إن قصرت في شيء من تربيتهم في هذه المرحلة، فاحرص على:

أن لا يبلغ ولدك سن الثالثة إلا وقد حفظته سورة الفاتحة، فإذا أتقنها فحفظه قصار السور كسورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

فإذا بلغ خمس سنين فحفّظه ما بعد ذلك من السور.

حتى إذا بلغ العاشرة من عمره فإذا به يحفظ ثلاثة أجزاء أو أربعة.

وهذا قد يبدو صعباً في البداية ولكن إذا تعوّد الابن على ذلك سهل عليه ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧].

سوف تتعب قليلاً، ولكن هل تريد الجنة من غير تعب!!

قال ﷺ: «**حُفّت الجنة بالمكاره، وحُفّت النار بالشهوات**».. وأنت لا تدري متى ترحل من هذه الدنيا وتفارق أولادك.. فحفظهم القرآن ليبقوا لك ذخراً يثقّل ميزانك عند الله تعالى يوم القيامة.

قال ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له**».. وأيّ صلاح أعظم من صلاح ولد حافظ لكتاب الله تعالى.

وانتبه من أن تكون أنت أو أولادك ممن اشتكى الرسول ﷺ منهم. كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۝٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠].

ويمكن أن تستعين في تدريس أولادك بأمور.. منها:

الأشرطة المسجلة: حيث يستمع الطفل إلى الشريط ويردد وراءه حتى يحفظ.

المدرّس الخاص: حيث يتفق عدد من الآباء مع مدرّس واحد يجلس مع أولادهم عدة جلسات في الأسبوع ويتابعهم أولاً بأوّل.

تشجيع الولد على الحفظ من خلال الجوائز.

التقليل من الألعاب والأجهزة التي تشغل الولد عن الحفظ؛ كألعاب الكمبيوتر ونحوها.

حدثني أحد الدعاة: أنه ذهب إلى مدينة في السويد لإلقاء المحاضرات

فرأى أحد الأخوة الأعاجم لا يفهم من اللغة العربية كلمة واحدة ومع ذلك له بنتان وولد أكبرهم عمره اثنتي عشرة سنة، وكلهم يحفظون القرآن كاملاً!!

نعم.. وقد رآهم صاحبي واختبرهم.

ومن حسُن قصده وخلصت نيته وفّقه الله تعالى وبارك فيه وفي ذريته.

ورأيت في الدنمارك رجلاً أسلم حديثاً، ولا يفهم من اللغة العربية كلمة واحدة، وكان حريصاً على حفظ القرآن وتعلم الدين، حتى إنه يحمل معه دائماً مسجلاً صغيراً وإذا رأى من يتقن العربية طلب منه أن يسجل له شيئاً من سور القرآن أو الأذكار أو نحو ذلك ثم يكرر الاستماع إلى ذلك حتى يحفظه ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وحدثني داعية آخر: أنه كان في أستراليا ورأى طفلين مسلمين يحملان الجنسية الأسترالية ـ وهما من أصل سنغافوري ـ أحدهما عمره خمس سنوات والآخر سبع سنوات، كلاهما يحفظ القرآن كاملاً..!.

وهما لا يفهمان من اللغة العربية كلمة واحدة.

وأخبرني هذا الداعية أنه اختبرهما وعجِب من قوة حفظهما، قال: حتى إنني خاطبت أحدهما ـ باللغة الإنجليزية ـ وقلت له: أخبرني بالآيات التي فيها كلمة (جهنم) فسردها لي بسرعة.. ثم طلبت منه الآيات التي فيها كلمة (الجنة) فسردها لي!!

وكان الذي اهتم بحفظ هذين الطفلين عليهما هو زوج أمهما.. وكان يحفظهما القرآن عن طريق الاستماع المتكرر للسورة من جهاز التسجيل حتى يحفظها الطفل، ثم ينتقل إلى غيرها.. فجزاه الله خيراً.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام فلاح

۞ الوصية السادسة:

احرص على أن تعلم أولادك الآداب الإسلامية منذ الصغر فإنهم ينشؤون عليها.

والآداب الشرعية متنوعة: مثل: آداب الطعام والشراب فيقول: بسم الله، قبل الأكل، والحمد لله بعده، ويأكل باليد اليمنى.

وآداب المجالسة فيسلم عند الدخول والخروج، ويحترم الكبير.

ويلتزم بآداب الكلام فلا يكذب ولا يتلفظ بألفاظ بذيئة.

وآداب الخلاء كذكر الله قبل الدخول، وعدم استقبال القبلة أثناء قضاء الحاجة.

وغير ذلك من الآداب، وما ذكرته مجرد أمثلة فقط.

فإذا أهملت تعليم ولدك الآداب الشرعية في صغره.

هل تدري ما النتيجة؟ سوف يتولى تأديبه غيرُك، فيتعلم في الحضانة أن يأكل بالشوكة بيده اليسرى.. ويتعلم في الحضانة أن لا يغلق باب الخلاء ولا يستر عورته عند قضاء الحاجة.. ويتعلم في الشارع السب واللعن والكلام الفاحش.

فتأمل الفرق بين التربيتين.

حدثني أحد المشايخ الدعاة يبلغ من العمر خمسين سنة أنه ألقى محاضرة في أحد المراكز الإسلامية في إيطاليا وتكلم أثناء المحاضرة عن تربية الأولاد والمسؤولية نحوهم.. وكان أغلب الحاضرين من العرب المغتربين.

قال الشيخ: وفجأة قام شيخ كبير قد تجاوز الثمانين وقطع محاضرتي وصاح بأعلى صوته وقال: يا شيخ!! أريد أن أزوجك ابنتي!! تزوجها وخذها معك!! أرجوك!! يا شيخ!! يا شيخ!! ثم بكى.. وبكى، فتعجبت منه لكنني لم أرد عليه.

فلما انتهت المحاضرة دعوته إليّ وشكرته على حسن ظنه بي، وبيّنت له أنني لا أرغب في الزواج، ثم سألته: ما سبب حماسك وبكائك؟ ومقاطعتك للمحاضرة؟؟

فقال: يا شيخ، نحن كنا أصدقاء أربعة أتينا إلى هذه البلاد مع أولادنا طلباً لحياة أفضل، وكبر أولادنا وبدؤوا يتفلتون من أيدينا.. ومضت السنون ومات أصحابي فتنصَّر جميع أولادهم وأنا أنظر.

أما أنا فقد كبر الآن سني.. ورقّ عظمي.. واقتربت منيتي.. أنا خائف

على ابنتي.. هي اليوم في المسجد.. وغداً لا أدري أين تكون ثم بكى.. وبكيتُ وبكى من حولنا.

۞ الوصية السابعة:

لا بدّ أن تتعاون مع أم أولادك وتجندها معك في تربيتهم، وتزرع فيها الصبر والاحتساب، فأحسن اختيار زوجتك، واحرص على أن تكون مؤمنة متحجبة عفيفة، ثم بعد الزواج احرص على ارتقاء إيمانها وزيادة معرفتها بالدين، وشجعها على حضور المحاضرات والدروس الشرعية، وقراءة الكتب النافعة واستماع الأشرطة المفيدة.

فإن الأم إذا صلحت صلح الأولاد تبعاً لها.

۞ الوصية الثامنة:

أخي الكريم!! منذ كم سنة أنت مقيم هنا في بلاد الغربة؟! بين الكفار الضالين!!

بعض المغتربين جاء إلى بلاد الغربة منذ عشر سنوات وبعضهم عشرين، ولا أبالغ لو قلت: إن بعضهم جاء منذ أربعين سنة.. سكن معهم في مساكنهم.. وخالطهم في وظائفهم.. وأسواقهم.. وشوارعهم.. ومطاعمهم.

ولكن الأسئلة الكبيرة التي أريدك أن تجيب عليها بصراحة: من خلال هذه الإقامة الطويلة: كم شخصاً أسلم على يدك خلال هذه السنوات؟.. بل كم شخصاً ناقشته عن الإسلام وأزلت ما في نفسه من شبهات أو سوء فهم عن الإسلام؟

كم كتاباً أو شريطاً في الدعوة إلى الإسلام وزعت؟.

كم مسلماً مقصراً نصحت؟

وفي الجانب الآخر أسألك: كم من الأموال جمعت؟.. وكم شقة اشتريت؟

وأعوذ بالله أن أسألك: كم معصية كبيرة قارفت؟؟

أيها الأخ الحبيب: إن أصحاب المذاهب الضالة الهدامة يعملون دائبين في الدعوة إلى مذاهبهم في دول أوروبا وغيرها أكثر من بعض المسلمين، فانظر إلى نشاط «شهود يهوه».. ونشاط «الشيعة».. وغيرهم.. مع أنك على حق وهم على الباطل.. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت: ٣٣].

كن مشعل هداية أينما كنت، احمل معك الكتب والأشرطة الدعوية ولن تكلف إلا مبلغاً يسيراً يعوضك الله به خيراً.

أحد المسلمين كان يعمل في شركة كبرى ويحدث نفسه بالدعوة دائماً لكنه يخجل ويتكاسل، وفي يوم من الأيام أحيل إلى التقاعد أحد زملائه من الموظفين الكبار، فعمل له أصحابه حفلة توديع، وأحضر كل واحد من زملائه هدية يودعه بها.

قال صاحبنا: واحترتُ ماذا أقدم له؟ فتذكرت أن هذا الموظف يحب التحف والأواني الأثرية القديمة، فاشتريت له تحفة جميلة وخبأت بداخلها كتاباً صغيراً عن الإسلام وكتبت عنواني عليه، وغلفتها بغلاف جميل وأهديتها إليه مع بقية زملائي.

ومضت الأيام، وبعد قرابة الشهرين فوجئت باتصال من صاحبي المتقاعد يبشرني بإسلامه ويخبرني أنه قرأ الكتاب كله.. ثم اشتاق أن يتعلم معلومات أكثر عن الإسلام فبدأ يبحث ويسأل حتى دخلت الهداية قلبه وأسلم.. والسبب الأول هو هذا الكتاب الذي خبأته له على استحياء.

والعجيب أن صاحبي المتقاعد بدأ يلومني: لماذا حجبت عني الهداية طوال تلك السنوات؟!

أيها المغترب الحبيب المبارك: هل تعلم كيف دخل الإسلام إلى الهند وباكستان والصين وكثير من بلاد إفريقيا.. وغيرها من البلاد البعيدة عن مهبط الرسالة؟؟

لم يدخلها عن طريق الدعاة.. ولا عن طريق الجهاد.. ولا عن طريق

المكاتبات.. ولا.. إنما دخلها عن طريق رجال مسلمين ليسوا علماء ولا دعاة، تجار ذهبوا إلى هناك في تجارة.. ذهبوا ليشتروا البضائع ويبيعوا بضائعهم.. ذهبوا لا يريدون إلا الدنيا والمال.. وماذا كانت النتيجة؟؟

جمع الله لهم الدنيا والآخرة.. جمعوا الأموال.. وتأثر أهل تلك البلاد بالمسلمين.. رأوا صلاتهم.. وحسن تعاملهم.. فسألوهم عن الإسلام فأخبروهم ودعوهم إليه.. فأسلم ما لا يحصى عدده من الناس بسبب هؤلاء التجار.

في الهند مائة مليون مسلم، ومن كان سبب هدايتهم؟!

وفي الصين أكثر من مائة مليون، من كان سبب هدايتهم؟!

وفي بلاد إفريقيا مئات الملايين، ومن كان سبب هدايتهم؟!

إنهم هؤلاء التجار الذين دخلوا هذه البلاد طلباً للدنيا فجمع الله لهم الحسنيين.

أيها الأخ المسلم الموفق: إن حالك لا يختلف كثيراً عن حال أولئك التجار، هم جاؤوا إلى تلك البلاد طلباً للدنيا، وأنت جئت إلى هذه البلاد طلباً للراحة الدنيوية والعيش الرغيد والأمن على النفس والولد.. فلماذا لا تجمع الدنيا والآخرة!! كما فعلوا هم.

أخي الكريم: لعل الله كتب الهداية لأهل هذه البلاد على يدك أنت ومن معك من المغتربين.

لعل الله قدّر عليكم من الظروف والمشاكل ما استجلبكم به إلى هذه البلاد لهداية هؤلاء، فلماذا لا تكونون دعاة إلى ربكم.. ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

وليس الدعوة للكفار فقط بل للمسلمين المقصرين المذنبين.. فهم وإن وقعوا في المعاصي أو قارفوا الكبائر فلا يزال فيهم إيمان وحب للدين ورغبة في العودة إليه.

قال أحد الدعاة: ألقيت محاضرة في مركز إسلامي بإحدى الدول الأوروبية.. وبعد المحاضرة جاء إليّ شاب تنبعث منه رائحة الدخان (السجائر) وقد بدت عليه آثار المعصية.. فصافحني وقبلني بحرارة.. ثم طلب مني أن أخبره كيف يستطيع أن يذهب للجهاد في الشيشان.. قلت له: أنت تريد أن تجاهد؟ قال: نعم.. قلت: أتدري ما الجهاد؟ إنه قتل للنفس.. ومفارقة للأهل والأولاد.. فقال: أليس الجزاء الجنة؟ قلت: بلى.. قال: كل شيء يهون.

۞ الوصية التاسعة:

كنت في أحد البلاد الأوروبية، وبعدما صليت التراويح وألقيت المحاضرة، دعاني أحد الأخوة إلى منزله لتناول الشاي.

وفي ذلك المجلس اجتمع معنا قرابة الثلاثين من الأخوة المغتربين، آثرت في البداية أن أستمع ولا أتكلم، بدأ الأخوة أحاديثهم، احتلال البلد الفلاني، وغزو البلد الآخر، وغلاء الأسعار، والضرائب، ثم اشتدّ النقاش.. وارتفعت الأصوات.. وضجّ الصياح، ثم تحول الأمر إلى سبّ وتقذيع، هذا حالهم.. أما حالي فهو أعجب وأغرب.. لأنني أول الأمر ظننت نفسي انتقلت إلى اجتماع هيئة الأمم المتحدة.

لكني بعدما تلفتُّ حولي تذكرت أني لا أزال بين هؤلاء الأخوة.. فبقيت هادئاً..

في البداية خجلت أن آمرهم بالسكوت.. وانتظرت أن تنخفض أصواتهم.. فلم يفعلوا، فلما طال الأمر التفتُّ إلى الذي بجانبي وقلت: هل سيطول الحال هكذا؟!!

فقال: ما رأيت شيئاً!! هم اليوم هادئون!! إن موعدهم الصبح!! أليس الصبح بقريب؟!!

ثم قال: هل تريد أن أسكتهم؟

قلت: هل تستطيع ذلك؟!! نعم أسكتهم.

فصاح بأعلى صوته: يا جماعة!! نريد أن نستفيد من الشيخ، يا جماعة!! هدووووء. فخجلوا وبدأ بعضهم يسكت بعضاً.

فقلت لهم: أسألكم سؤالاً:

كلكم تحفظون سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾؟

قالوا: نعم!!

فقلت: ما معنى ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾؟ فسكتوا!!.

قلت: كلكم تحفظون ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾.

قالوا: نعم!!

فقلت: ما معنى ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾؟ فسكتوا!!.

فقلت: أيها الأخوة الأخيار!! لو اشتغلتم في مجلسكم هذا بتفسير آية.. أو قراءة حديث.. أو النقاش حول تربية أولادكم.. أو حل مشاكل بناتكم.. لكن خيراً لكم مما أنتم فيه.

كم هي المجالس التي تجلسونها وينطبق عليها قوله ﷺ: «**ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم، إلا كان عليهم ترة** - يعني: حسرة وندامة - **فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم؟**».

وقوله ﷺ: «**ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه، إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة**».

ثم قلت لهم: هذا تفسير ابن كثير موجود على الطاولة أمامكم، فلماذا لا تستفيدوا منه؟!!

كيف تريدون أن تنصروا هذا الدين، وأن تدعوا الناس إليه، وأنتم تجهلون المبادئ الأساسية من الدين، لو سألتكم في بعض أحكام الصلاة، أو الصيام لوجدت أكثرهم بها جاهلاً.. ثم دعوت لهم وختمت المجلس.

وحدثني أحد الدعاة فقال: كنت في أمريكا في شهر رمضان، وألقيت محاضرة باللغة العربية حول الأسرة وتربية الأولاد ووسائل الثبات على الدين.

وما كادت المحاضرة تنتهي حتى قام أحدهم وسأل: لماذا الحاكم الفلاني

يفعل كذا وكذلك؟!! فأجبته بلطف قائلاً: أرجو أن تكون الأسئلة فيما يتعلق بموضوع المحاضرة.

فقام آخر فقال: لماذا الدولة الفلانية تقاتل دولة كذا؟!!

فاعتذرت عن الإجابة لأن الإجابة لا تفيدنا بشيء.

فقام أحدهم متحمساً وقد ظن أنني خائف من الإجابة، فقال:

يا شيخ!! لا تكن جباناً!! سيد الشهداء هو الذي يجهر بكلمة الحق عند سلطان جائز.. فيقتله.. فاجهر بكلمة الحق وإن وصلت إلى سلطان فقتلك!! أفلا تريد أن تكون سيد الشهداء؟!!

فقلت له: إذاً ما رأيك أيها الأخ الشجاع أن نجمع لك الآن ثمن تذكرة سفر، وتعود إلى بلدك وتجهر بكلمة الحق عند الرئيس (...)، ليقتلك فتكون أول الشهداء!!! ونحن بعدك إن شاء الله.

فضحك الجميع.. وأغرقوا في الضحك.. ثم ضج المسجد بالكلام والاعتراضات.

فصحت بأعلى صوتي قائلاً: يا جماعة!! أنا أحدثكم عن أمور تعيشونها يوميّاً وتقاسون آلامها، وأنتم تشغلونا بأمور لو تكلمنا عنها عشر سنين لما استفدنا منها شيئاً.

ثم رفعت صوتي أكثر، وقلت: من منكم يستطيع أن يمنع ابنته من الزنا؟؟

من منكم يستطيع أن يمنع امرأته من اتخاذ صديق أو عشيق؟؟

من منكم يستطيع أن يمنع ولده من شرب الخمر؟؟ أو ارتكاب الفواحش؟؟

من منكم يستطيع أن يلزم أولاده بالصلاة؟

.. أو بالصوم؟.. أو بالعفة عن المحرمات؟.. أو بعدم الاختلاط؟؟.

فسكتوا جميعاً.

فقام أحدهم وقال: بصراحة يا شيخ: لا أحد.. والله يا شيخ!! لا

أحد.. لو منعت ابنتي أو ولدي من شيء اشتكاني إلى الشرطة.. حتى زوجتي.

فقلت: أيها الأخوة الكرام: لن يسأل الله أحداً منكم يوم القيامة عن الحاكم الفلاني أو الدولة الفلانية.. ولا عن أسعار النفط.. وأين تصرف عائداته.

ماذا يفيدك الكلام في هذه الأمور ما دام أنه من باب معرفة الواقع المحيط بك، أما الاشتغال بها وإثارتها في المجالس والمحافل فهذا غير مناسب أبداً، بل هو مجلبة للجدال والخصومات وأنتم في غنى عن ذلك.. لن يضركم الجهل بها يوم القيامة.

لكن والله ليسألن كل منكم يوم القيامة عن أولاده وتربيتهم.. وبناته وصيانتهن.. وزوجته وحفظها.. قال النبي ﷺ: **«إن الله سائل كل راع عما استرعاه: أحفظ أو ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»**.

قال الشيخ: فلما سمعوا مني ذلك.. أنصتوا.. واستمعوا.

أيها الأخ الحبيب: احرص على طلب العلم.. وتعلم أحكام دينك.. بقراءة الكتب النافعة، واستماع الأشرطة المفيدة، ومجالسة طلاب العلم، وحضور مجالس الذكر.. احذر أن يمرّ عليك يوم دون أن تستفيد فيه فائدة جديدة.

سل نفسك: هل تتقن القرآن؟ كم تمضي من الوقت يوميّاً في قراءة الكتب النافعة وكم تمضي في مشاهدة التلفاز؟ ثم قارن بين الوقتين.. وسل نفسك.. ألا يستحق هذا الدين أن أبذل له أكثر وقتي تعلماً وتعليماً ودعوة.

أيها الأخ المبارك: احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وكن مؤثراً فعّالاً، إذا دُعيت إلى مجلس فخذ معك كتاباً نافعاً.. واقرأ عليهم ولو لمدة عشرة دقائق.. عن فضل قيام الليل.. أو فضل ذكر الله تعالى.. أو فضل الصدقة.. أو غير ذلك.. ليكون مجلسكم تحفه الملائكة وتغشاه الرحمة.. ويذكركم الله فيمن عنده.

أسأل الله تعالى أن يجعلك مباركاً أينما كنت.. آمين.

۞ الوصية العاشرة:

إن الفراغ الكثير يؤدي إلى كثير من المفاسد.. من أعظمها: كثرة الكلام والقيل والقال.. فتجد أن كثيراً من الأخوة المغتربين يجتمعون في مجالس متعددة فيبدأ أحدهم في غيبة الآخر أو الانتقاص من عرضه.. أو التدخل في شؤونه الخاصة.. أو تقديم اقتراحات وآراء في أمور شخصية دون أن يطلب منه ذلك.. وقد يكون الدافع إلى ذلك أحياناً الغيرة، وأحياناً تمتلئ القلوب ضغينة وحقداً.. وبغضاً وحسداً.

أيها الأخ الحبيب: كيف تريد أن نوحّد الأمة الإسلامية ونحن لم نستطع أن نوحّد صفوفنا المسلمة في بلد واحد؟!! بل فرّقتنا الأحقاد والخلافات.

إن صفاء النفس وسلامة الصدر على المسلمين عبادة من أعظم العبادات، بل هي من صفات أهل الجنة ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧].

وما أجمل قوله ﷺ لما سئل: أي الناس أفضل؟ فقال: «**كل مخموم القلب صدوق اللسان**» قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «**هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد**».

أحسن إلى المسلمين وإن أساؤوا إليك.. واحلم عليهم وإن غضبوا عليك.. واجعل صدرك واسعاً لإخوانك المسلمين.

وإنما الدنيا أيام معدودات.

كثير من الناس يستطيع أن يتقرب إلى الله تعالى بصلاة وصدقة وصيام.. ولكن قليلاً منهم من يستطيع أن يتقرب إلى الله بصفاء سريرته على المسلمين.. فاحذر من أن يطلع الله تعالى على صدرك فيرى فيه غلّاً وحسداً على المسلمين.

۞ الوصية الحادية عشرة:

انتبه.. احذر الزواج من امرأة نصرانية.. نعم قد تقول لي: إن ذلك جائز في شريعة الإسلام.. فأقول لك: نعم هو جائز.. ولكن عند النظر فيما ترتب ويترتب على هذا الزواج من ضياع الأبناء ـ غالباً ـ وكثرة الخلافات بين الزوجين، أو تخلي الزوج عن دينه، حتى يصل إلى حال يكون تعلقه بالإسلام وبمجرد الاسم فقط.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.. فلا صلاة.. ولا دعوة إلى الله.. ولا حجاب لزوجته.. ولا محاربة للاختلاط.. ولا.. ولا.

وكلّ هذا قد رأيته بنفسه ـ والله ـ عند رجال مسلمين أقدموا على الزواج من النصرانيات ثم بعدما ذهبت سكرة الزواج.. وفرحة الحياة الجديدة.. بدأ أحدهم يجني ثمار تسرّعه في الزواج من النصرانية.

۞ الوصية الثانية عشرة:

ما هو مصدر تلقي الدين بالنسبة إليك؟!.. سؤال مهم.. لاحظت أن بعض الأخوة المغتربين يتتبعون الرخص.. ويفرحون بمن يفتيهم بما يوافق أهواءهم.. بل بعضهم إذا سمع فتوى توافق هواه.. طار بها فرحاً ومدح المفتي قائلاً: هذا هو الشيخ العالم.. هذا هو الشيخ الذي يفهم الواقع.. هذا الذي يعيش جراح المسلمين.

يقول ذلك عن الفتوى وإن كانت تخالف الكتاب والسُّنّة.. أو فيها تمييع للدين.. أو تساهل بالنصوص الشرعية.. أو تحايل للبحث عن الرخص والأقوال الضعيفة.. فالمهم أنها فتوى.. فتوى!!.

أيها المسلم الحبيب: إن الله سيسألك يوم القيامة سؤالاً واحداً ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥]. لن يسأل عن الشيخ فلان ولا فلان.. وإنما عن اتباع الكتاب والسُّنّة.. فقط.

أعيد عليك السؤال المهم مرة أخرى: ما هو مصدر تلقي الدين بالنسبة إليك؟!

هل كل من لبس جبة أو عمامة وظهر في القنوات الفضائية يكون مفتياً.. ويصلح أن يكون مصدراً لتلقي الدين؟!

إن المقياس الذي ينبغي أن تحكم به على الشيخ المفتي هو أن تكون فتاواه موافقة للكتاب والسُّنّة.. ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله.

قال الشيخ: ألقيت محاضرة في أحد المراكز الإسلامية.. فجاء إليّ أحدهم وقال: يا شيخ لماذا تشدد في مسألة الاختلاط.. والشيخ الدكتور فلان في قناة (...) يقول: إن الاختلاط بين الرجال والنساء جائز في الولائم والحفلات إذا حسنت النية.. وكان نظر بعضهم إلى بعض بغير شهوة؟!

وألقيت محاضرة في مكان آخر فجاء إليّ أحدهم.. وقال: يا شيخ ما حكم الربا؟

قلت: حرام!! بجميع صوره وأشكاله.

فقال: إن الشيخ فلان في قناة (...) يقول: إنه ضرورة من ضرورات العصر.. ولا بأس به.

وجاء إليّ مستفتياً عن حكم المعازف والموسيقى ثم قال: قد أفتى الشيخ فلان أنها حلال.

فلا تجعل دينك عرضة لكل من أراد أن ينتقصه أو يفسده عليك.. فإنك ستحاسب وحدك.. وتسأل وحدك ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥].

۞ الوصية الأخيرة:

اذكر الوقوف بين يدي الله تعالى، واعلم أن هذه الدنيا دار ممرّ لا مقرّ.. واسأل الله تعالى حسن الخاتمة.

قال صاحبي: كنت أدرس الطب في كندا، ولا أنسى أبداً ذلك اليوم الذي كنت أقوم فيه بالمرور اليومي على المرضى في غرفة العناية المركزة في المستشفى، ولفت انتباهي اسم المريض الذي في السرير رقم (٣)، إنه محمد... أخذت أتفحص في وجهه الذي لا تكاد تراه من كثرة الأجهزة والأنابيب على فمه وأنفه، إنه شاب في الخامسة والعشرين من عمره مصاب بمرض (الإيدز) أُدخل إلى المستشفى قبل يومين إثر التهاب حادّ في الرئة.. حالته خطرة.. جدّاً جدّاً.. اقتربت منه.. حاولت أن أكلمه برفق: محمد..

محمد.. إنه يسمعني لكنه يجيب بكلمات غير مفهومة.. اتصلت ببيته فردت عليّ أمه.. يبدو من لكنتها إنها من أصل لبناني..عرفت منها أن أباه تاجر كبير يمتلك محلات حلويات.. شرحت للأم حالة ابنها، وأثناء حديثي معها بدأت أجراس الإنذار تتعالى بشكل مخيف من الأجهزة الموصلة بذلك الفتى مؤشرة على هبوط حادّ في الدورة الدموية، ارتبكت في حديثي مع الأم.. صرخت بها: لا بدّ أن تحضري الآن، قالت: أنا مشغولة في عملي وسوف أحضر بعد انتهاء اليوم، قلت: عندهما ربما يكون الأمر قد فات.. وأغلقت السماعة.

بعد نصف ساعة أخبرتني الممرضة أن أم الفتى وصلت وتريد مقابلتي.. قابلتها.. امرأة في متوسط العمر لا تبدو عليها مظاهر الإسلام.. رأت حالة ابنها فانفجرت باكية.. حاولت تهدئتها وقلت: تعلقي بالله تعالى واسألي له الشفاء، قالت بذهول: أنت مسلم؟!!

قلت: الحمد لله!! قالت: نحن أيضاً مسلمون.

قلت: حسناً.. لماذا لا تقفين عند رأسه وتقرئين عليه شيئاً من القرآن لعل الله أن يخفف عنه.

ارتبكت الأم.. ثم انخرطت في بكاء مرير.

وقالت: هاه! القرآن؟ لا أعرف!! لا أحفظ شيئاً من القرآن!!

قلت: كيف تصلين.. ألا تحفظين الفاتحة؟!!

فغصت بعبراتها وهي تقول: نحن لا نصلي إلا في العيد منذ أن أتينا إلى هذا البلد.

سألتها عن حال ابنها، فقالت: كان حاله على ما يرام، حتى تردّت بسبب تلك الفتاة.

قلت: هل كان يصلي؟

قالت: لا، لكنه كان ينوي أن يحج في آخر عمره (!!).

بدأت أجهزة الإنذار ترتفع أصواتها أكثر وأكثر.. اقتربتُ من الفتى

المسكين.. إنه يعالج سكرات الموت.. الأجهزة تصفّر بشكل مخيف.. الأم تبكي بصوت مسموع.. الممرضات ينظرون بدهشة.. اقتربت من أذنه وقلت: لا إله إلا الله.. قل لا إله إلا الله.. الفتى لا يستجيب.. قل لا إله إلا الله.. إنه يسمعني.. بدأ يفيق وينظر إليّ.. المسكين يحاول بكلّ جوارحه.. الدموع تسيل من عينيه.. وجهه يتغير إلى السواد.. قل لا إله إلا الله.. بدأ يتكلم بصوت متقطع: آه.. آه.. ألم شديد.. آه.. أريد مسكناً للألم.. آه آه.. بدأت أدافع عبرتي وأتوسل إليه قل لا إله إلا الله.. بدأ يحرك شفتيه.. فرحت.. يا إلهي سيقولها.. سينطقها الآن.. لكنه قال: (I cant.. I cant) أريد صديقتي.. لا أستطيع.. لا أستطيع.. الأم تنظر وتبكي.. النبض يتناقص.. يتلاشى.. لم أتمالك نفسي.. أخذت أبكي بحرقة.. أمسكت بيده.. عاودت المحاولة: أرجوك قل لا إله إلا الله. لا أستطيع.. لا أستطيع.. توقّف النبض.. انقلب وجه الفتى أسود.. ثم مات.. انهارت الأم.. وارتمت على صدره تصرخ.. رأيت هذا المنظر فلم أتمالك نفسي.. نسيت كلَّ الأعراف الطبية.. انفجرتُ صارخاً بالأم: أنتِ المسؤولة.. أنتِ وأبوه.. ضيعتم الأمانة ضيعكم الله.. ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

أخي المغترب: تأمل في حال هذا المسكين.. وماذا لو كان ولدك أو ابنتك.. أو أخوك.. أو أنت.. نعم أنت فاحرص على طاعة الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمرن: ١٠٢].

الجأ إلى الله تعالى في جميع أحوالك وسله العون والتوفيق في كل أعمالك.. سله صلاح الذرية ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].

وسله الثبات على الدين والنجاة من الفتن ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

احرص على ذكر الله تعالى في جميع أحوالك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟

ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ [الأحزاب: ٤١]. واستشعر مراقبته إن دعتك النفس إلى معصية واعلم أنه يراك ويراقبك.

ومجمل القول: اجعل بينك وبين ربك ﷻ علاقة خفية.. من قيام ليل.. أو صيام.. أو صدقة سرّ.. أو دعوة نصح للناس.. فإن من تعرف إلى الله في الرخاء عرفه في الشدة.

أسأل الله أن يحفظك ويوفقك.

وختاماً: أيها الأخ الحبيب.. أيها المسلم المغترب.

هذه وصايا استخرجتها لك من مكنون نصحي.. سكبت فيها روحي.. وصدقتك فيها النصح والتوجيه.

فلا يكن نصيبي منك أقل من دعوة لي بظهر الغيب تستنزل بها الرحمات لي ولك من أرحم الراحمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لا تحزن!
إن الله معنا

بسم الله الرحمن الرحيم

منذ فترة لم أره ضاحكاً، نعم يتبسّم أحياناً، لكن الحزن والكآبة أبداً ظاهران على محياه، يكثر السؤال عن أحوال المسلمين، يتتبع أخبار الاضطهاد والقتل والتشريد..

قال لي يوماً:

أحمد.. أوَلسنا على الحق وأعداؤنا على الباطل؟ قلت: بلى!!

أوَلسنا في صَفّ الرحمٰن، وهم في صَف الشيطان؟ قلت: بلى!!

أوَلسنا ندعو إلى الفضيلة وهم يدعون إلى الرذيلة؟ أوَلسنا مسالمين لا نعتدي ولا نظلم وهم السفاحون الخونة؟.. قلت: بلى.. بلى!!

فلماذا لا ينصرنا الله عليهم؟ لماذ نبقى في اضطهاد وتشريد؟.. أكاد أُجن! بل لو جاز قتل النفس لفعلتُ؛ ما نفيق من ألم صفعة إلا تتبعها أخرى! من الاعتداء على أفغانستان، إلى مذابح كشمير، وهدم المساجد في الهند، و.. و.. وآلام وويلات في بلاد الإسلام، حتى بلغنا من الذل أن ذُبحنا ذبح الشياه في البوسنة والهرسك، ثم في كوسوفا.. ولا ندري أين يكون الجرح القادم.

أطفال يتامى.. نساء أرامل.. فتيات يحملن في أحشائهن أبناء المعتدين! لم يستطعن أن يحصلن ولو على حبوب منع الحمل..

إلى متى يستمر حال الأمة هكذا؟! صار المسلم الآن لا ينتظر إذا أصبح إلا خبراً مبكياً، أو موتاً منسيّاً.. لا حول ولا قوة إلا بالله..

ثم بكى!.. بل اشتدّ بكاؤه.. وهو ينظر إليَّ.. ينتظر أن أُشاركه النياحة!!..

أدخلت يدي في جيبي وناولته منديلاً يمسح به بقية همه وغمه، ثم قلت له:

خالد! ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].. إن نصر الله قريب.. إي والله إنه قريب، وما يصيب أمة الإسلام الآن إلا آلام ما قبل الولادة.. نعم ولادة النصر والتمكين لهذا الدين.

والدين منصورٌ وممتحنٌ فلا تعجب فهذي سُنَّة الرحمٰن

۞ واستمع إلى هذه البشائر:

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف: ٨، ٩]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣]، وقال ﷻ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

فهذه كلها وعود جازمة بالنصر والتمكين، وعَدَنا بها مَن بيده ملك السماوات والأرض، وعدنا بها مَنْ قلوبُ العباد، وعقولُهم، ونواصيهم، وقواتُهم، وأسلحتُهم، وتخطيطاتهم، بيده وحده لا شريك له.. فهل تنكر من ذلك شيئاً؟..

ثم لا تنبهرْ عينك من كثرة الكافرين وتألبهم على المسلمين، ولا تخش من أسلحتهم، وتطورهم، وظهورهم، فإن كيدهم مهما عظُم فهو ضعيف ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق: ١٥ ـ ١٧] نعم أمهلهم رويداً.. وقد يكون هذا الروَيد سنةً أو سنتين أو عشراً أو عشرين أو ألفاً.. لكنه رُوَيد مهما طال، وهم اجتماعهم، واتفاقهم على حربنا، إلا أنهم والله يوشكون أن يختلفوا ويقتتلوا، ويكفي الله المؤمنين القتال ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤].

۞ واستمع إلى هذه البشائر:

عن تميم الداري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعزّ عزيز، أو بذلّ ذليل؛ عزّاً يُعز الله به الإسلام، وذلّاً يُذل الله به الشرك**»(١).

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلكاً عاضّاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبريّاً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**»(٢).

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»(٣).

وعن أُبي بن كعب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**بشّر هذه الأمة بالسناء، والنصر، والتمكين، ومن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا؛ لم يكن له في الآخرة نصيب**»(٤).

هل تعلم؟!! سوف نقاتل اليهود! نعم اليهود، الذين نجري الآن وراءهم نستجديهم السلام! سوف نقاتلهم، بل سوف نقتلهم، ويقاتلهم معنا كلّ شيء حتى الحجر والشجر!.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يُقاتل**

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم، وصححه الألباني.
(٢) أخرجه أحمد، وصححه العراقي، والألباني.
(٣) رواه مسلم.
(٤) أخرجه أحمد، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، والألباني.

المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبأ اليهودي من وراء الحجر والشجر! فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»[١].

وسوف نفتح مأرِز النصرانية، ونسيطر على أرض الفاتيكان، سوف نملك «روما» ونحكمها بالإسلام، نعم.. النصارى الذين يرسمون الصلبان بالسكاكين على صدور المسلمين في كوسوفا، وقبلها في البوسنة، وقبلها في بقاع كثيرة، سوف يؤدون لنا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، إلا أن يدخلوا في الإسلام.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ نكتب، إذ سُئل: أي المدينتين تُفتح أولاً: أقسطنطينية، أم رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تُفتح أولاً**»، يعني: القسطنطينية[٢].

۞ وهناك بشائر أخرى، منها:

أن دين الإسلام: هو الدين الذي يتوافق مع فطرة الإنسان، ويكفل له سعادتي الدنيا والآخرة، ولا يمكن أن يعيش الناس في أمنٍ وسعادة في ظل دين آخر..

جرائم الاغتصاب، والسرقة، والقتل، بل والتفكك الأسري، والأمراض النفسية، كلها في ازدياد يوماً بعد يوم في أكثر البلاد تطوراً وحضارة، لماذا؟ لأن أديانهم الباطلة والمحرّفة لم تفلح في تعليق قلوبهم بالآخرة..

في أمريكا في عام ١٩٩٧م: أصبح الذين لديهم خبرة في الإجرام بمختلف أنواعه ٣٤,٨ مليون، منهم ٧٤٪ جرائمهم كبيرة جدّاً!! ومن كل: ١٠٠٠ شخص، تم القبض على ١٩٩ سارقاً!![٣].

ووصل معدل الجريمة خلال عام واحد إلى ١٤٢٥ مليون جريمة!!

وبلغت نسبة الطلاق ٦٠٪ من عدد الزيجات!!

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه أحمد، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، والألباني.

(٣) تم استخراج هذه المعلومات، وما بعدها، من إدارة الإحصاءات الأمريكية.

ويُغتصَب يوميّاً ١٩٠٠ فتاة!! ٢٠٪ منهن يُغتصَبن من قِبل آبائهن!!

فهل تظن أن مجتمعاً مثل هذا يظلّ منصوراً متمكناً؟! ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ [مريم: ٨٤].

ومن البشائر: ما نشاهده يوماً بعد يوم في بلاد الإسلام، من إقبال الناس على التمسك بالدين، والاهتمام بأحكامه، بل وفي غير بلاد الإسلام نرى ازدياد الداخلين في الإسلام.

أما ما نشاهده اليوم من اضطهاد، وقتل، وتشريد للمسلمين، فهو لا يعني أن الأمة سيستمر حالها هكذا، لا، بل سيأتي يوم ينتصر فيه الإسلام، وعندما يأتي ذلك اليوم، فماذا يعني عُمر جيل من البشر؟ أو أجيال؟ النصر قادم.. ليس المهم متى سيأتي النصر؟، لكن المهم أنه سيأتي، مهما وقع من المصائب والآلام.. سيأتي ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

ولو قلبت صفحات التاريخ، لرأيت أنه قد حلّ بالمسلمين في أزمان مضت، مذابحُ، ومصائبُ، تشيب منها مفارق الولدان!! ثم لما حاسب المسلمون أنفسهم، ولجؤوا إلى ربهم، كشف الله كربتهم، وأبدل خوفهم أمناً، وذلهم عزّاً..

ومن ذلك: ما حل بالمسلمين عام ٦٥٦هـ لما نزل التتار ببلاد الإسلام، وانتهبوها، حتى وصلوا إلى بغداد ـ عاصمة الخلافة وقتئذٍ ـ فحاصروها، ثم قتلوا الخليفةَ، وجندَه، وحاشيتَه، واستباحوا بغداد أربعين يوماً يقتلون ما نالته أيديهم من الرجال والنساء والصبيان.. لم يكن لجنود التتار شغل إلا: القتل.. القتل..

أتدري كم قُتِل من المسلمين خلال أربعين يوماً؟ ذبحاً بالسكاكين، وطعناً بالرماح، وتغريقاً في دجلة؟!

إليك ما ذكره الإمام ابن كثير في «تاريخه»، واصفاً الحال، كله، قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدِروا عليه من الرجال، والنساء،

والولدان، والمشايخ، والكهول، والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار، وأماكن الحشوش، وقِنى الوسخ، ومكثوا كذلك أياماً! لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات، ويُغلقون عليهم الأبواب، فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، فيهرب الناس إلى السطوح، فيقتلونهم هناك حتى جرت الميازيب بالدماء في الأزقة!!

وقُتِل خلال الأربعين يوماً ألفَ ألفٍ وثمانمائة ألف!! فإنا لله وإنا إليه راجعون[١].. وكان الرجل يُستدعى فيخرج بأولاده ونسائه فيُساقون إلى المقبرة ثم يُذبحون ذبح الشياه، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه..

ولما انقضت الأربعون خرج التتار من بغداد، وبقيت خاوية على عروشها، القتلى في الطرقات كالتلال، وسقط عليهم المطر فأنتنوا، وتغيّر الهواء، ووقع بسبب ذلك وباءٌ مات بسببه خلق في الشام من سريان الهواء الفاسد إليهم!!

أما من كان مختبئاً في المقابر والمطامير، فخرجوا بعد الأربعين يوماً كأنهم موتى نُشِروا من قبورهم.. قد أنكر بعضُهم بعضاً.. لا يعرف الوالدُ ولدَه.. ولا الأخُ أخاه.. فلم يلبثوا أن أصابهم الوباء فتصرّعوا، ولحِقوا بمن مضى، واجتمعوا تحت الثرى، بأمر الذي يعلم السرّ وأخفى، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى»[٢].اهـ.

وبعد هذه المحنة العظيمة، كشف الله تعالى الكربة، ورفع البلاء، وراجع المسلمون دينهم، وعاد لهم عزُّهم ومجدُهم ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

ووقوع ذلك البلاء عليهم، بل ووقوع غيره قبله وبعده إلى زماننا هذا، لا يعني أن الله تعالى يبغض المسلمين، أو يفضل عليهم الكافرين، ولكن ﴿قُلْ هُوَ

---

(١) قد يُستغرب عدد القتلى، لكني راجعت ثمانية مراجع تاريخية، وكلها ذكرت الرقم نفسه: مليون وثمانمائة ألف.

(٢) ١٣/ ٢١٥ بتصرف.

مِّنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. .

ولعله يسأل سائل فيقول: كيف يكون المستقبل للإسلام؟ والأعداء قد اجتمعوا عليه وتكالبوا من كل جهة؟ وقد سلّطوا عذابهم ونيرانهم على المسلمين عامة، وعلى الدعاة إليه والمتمسكين به خاصة؟

كيف والأعداء يملكون القنابل النووية، والأسلحة الفتاكة، والمسلمون عُزَّل من السلاح؟.

إن هذا السائل لينسى: أن الذي ينصر المسلمين هو الله ـ جلَّ شأنه ـ لا جهدهم ولا قوتهم ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤] فالمسلمون سبب لتحقيق قدر الله وإرادته ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ [الأنفال: ١٧].

وينسى هذا السائل: أن الله يسبح له من في السماوات ومن في الأرض، ومما يسبح له قنابل هؤلاء وأسلحتهم وسجونهم ومعتقلاتهم.

وينسى هذا السائل: أن الله إذا أراد أمراً، فإنما يقول له: كن فيكون ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٥٠].

وينسى هذا السائل: أن الأعداء وصلوا إلى هذا المستوى الهائل من القوة والتمكين، بجهدهم البشري، وهو ليس حكراً على أحد، فالمسلمون قادرون على أن يسيروا في طريق التقدم العلمي، والمادي مع المحافظة على الأصول الإسلامية، بل يمكن أن يبدؤوا من حيث انتهى غيرهم، بل لو وقفت فاحصاً عن العقول التي شاركت في صنع هذه القنابل والأسلحة المتطورة لوجدتها لا تخلو من عقول إسلامية.

وينسى هذا السائل: أن الإسلام الذي انتصر ـ أول ما ظهر ـ على الرغم من كيد قريش واليهود ومشركي العرب، بل بالرغم من كيد فارس والروم، والصليبيين والتتار، هو الذي تواجهه الآن القوى المختلفة المتنازعة فيما بينها، من النصارى واليهود، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾

[المجادلة ٢١]، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢١ ـ ١٢٣].

۞ ولكن هناك أمور لا بد أن نراعيها لنستجلب النصر؟

أولها: أن نصلح حالنا مع ربنا جلّ جلاله، وأهم ذلك أن نخلص التوحيد له وحده سبحانه، ونتخلص من جميع صور الشرك؛ كدعاء غير الله، أو الاستغاثة بغير الله، أو تعظيم القبور وبناء المساجد عليها، أو الحلف بغير الله، أو غير ذلك من صور الشرك.

ثانياً: أن نقوّي علاقتنا بالله ﷻ، وأول ذلك أن نحرص على إقامة الصلوات الخمس، مع ما استطعنا من النوافل، مع الإكثار من تلاوة القرآن والذِّكر.

ثالثاً: أن نحاسب أنفسنا: لماذا وقعت علينا هذه العقوبات؟ إذ كيف ينصرنا الله ونحن نعصيه بأسماعنا وأبصارنا؟ ثم: هل ربينا أولادنا على الإسلام؟ هل علمناهم الصلاة؟ هل حفظناهم القرآن؟ هل حجّبنا نساءنا؟ ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

رابعاً: أن يبذل كل واحد منا ما يستطيع من جهود: مالية، وبدنية، وفكرية، لنشر الخير، ودعوة المسلمين جميعاً.. مهما كلفنا ذلك، ومهما بذلنا من جهد ووقت ومال، فإن هذا قليل في سبيل انتصار الدين وظهوره..

انظر! كم يبذل الأعداء من جهود وأموال في سبيل إضلال المسلمين، وتغييبهم عن واقعهم، من خلال مجلات ماجنة، أو قنوات هابطة، أو من خلال دعوات صريحة إلى التبرؤ من الإسلام، واستبداله بالنصرانية أو العلمانية اللادينية!! والله لو بذلنا نصف ما يبذلون لتغيرت أحوال العالم كلّه، فـ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٢٦].

خامساً: أنه مهما طال أمدُ انتظار النصر فلا ينبغي أن نيأس من حصوله.

عن خبّاب رضي الله عنه قال: أتيتُ رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ـ ولقد لقينا من المشركين شدة ـ فقلت: يا رسول الله!، ألا تدعوا الله لنا؟ فقعد وهو مُحمرّ وجهه، فقال: «**لقد كان من قبلكم ليُمشَط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمّنّ الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله**»[1].

سادساً: أن نزرع في نفوس الناس الثقةَ بهذا الدين وانتصاره، وننشر بينهم النصوص الشرعية، والدلائل الواقعية التي تؤكد ذلك.

سابعاً: لا ينبغي أن نستمع إلى المُخذلين، وضُعفاء الإيمان، الذين استسلموا لأعدائهم، وأعطوهم قيادهم، ويأسوا من رحمة الله ونصره ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب: ١٢] هذا حال المنافقين، أما المؤمنون فإنهم ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢].

أسأل الله تعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته.. آمين.

(١) رواه البخاري.

المفيد في تقريب

أحكام الأذان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ العلامة
عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

الحمد لله الذي شرع الشرائع وسن الأحكام وبيّن لعباده الحلال والحرام أحمده على جزيل الإنعام وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، الملك العلام وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأنام صلى الله عليه وعلى آله وصحبه البررة الكرام. وبعد:

فإن كاتب هذه الأسئلة والملاحظات وهو الشاب محمد بن عبد الرحمٰن بن ملهي العريفي أحد طلبة العلم وأهل الذكاء والفهم، وقد أحسن في ابتكاره لهذه الأسئلة الواقعية. وقد ألقاها علينا فأجبنا عليها شفهياً ولكنه سجل الجواب في شريط ثم نسخه وراجع الأحاديث وذكرها بنصها من المراجع، وأشار إلى مواضعها وهو جهد يشكر عليه. وختم ببعض ما يقع من الأخطاء المنتشرة من المؤذنين وبين وجه الخطأ وكل ذلك حرص منه على الإفادة ونفع المسلمين، فنوصي بقراءة المؤذنين لهذه التوجيهات والتعليمات حتى يعرفوا الحكم والحكمة وحتى يعملوا بالسُّنّة على بصيرة، ونوصي الجمهور بقراءة ما يختصّ بهم ومعرفة كيفية متابعة الأذان وحكمه ليحظوا بالأجر المرتب على ذلك. وجزى الله الكاتب أحسن الجزاء وأكثر من شباب المسلمين من يهتم بالعبادات ويحرص على إيضاحها للمسؤولين عنها، والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه

عبد الله بن عبد الرحمٰن الجبرين

عضو الإفتاء

١٤١٤/٦/١هـ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً..

أما بعد:

فلما كان الأذان شعار الإسلام وأهله، حيث ينادى به في كل يوم وليلة خمس مرات، اهتمّ العلماءُ في كتبهم بأمره، وسننه وأحكامه ومستحبّاته ومبطلاته، وما تكاد تفتح مصنفاً من مصّفات السُّنّة أو الفقْه إلّا ووجدت فيه كتاباً خاصاً بالأذان، وما هذا إلا لأهمية وشرف هذه العبادة.

وقد شرعتُ في جمع مسائل في الأذان تقع للمؤذن ولسامع الأذان، وعرضتها على صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن الجبرين ـ حفظه الله ـ وتفضل مشكوراً بالإجابة عليها.

وحاولت أن تكون المسائل التي أوردُها من المسائل التي تقع في واقع الناس، وابتعدت عن تلك الفروضات والمسائل النادرة التي يتوسّع فيها بعض الفقهاء.

ولا شك أن أسلوب السؤال والجواب من الأساليب المفيدة في جانب العلم والتعليم، قال الشيخ عبد الله الجبرين: «والعلم إذا كان سؤالاً وجواباً كان أوقع له في النفس وأحضر للقلب، إذ يسمع المتلقي السؤال فيتشوّق إلى معرفة الجواب، فإذا ذكر له الجواب أرعاهُ باله، وأنصت له إنصاتاً كاملاً حتى

ينتهي الجواب فيحفظه السامع حفظاً تامّاً»[١].

ثمّ إنّني قمتُ بترتيب هذه الفتاوى على أقسام سبعة:

القسم الأول: فتاوى في شروط الأذان والمؤذن.

القسم الثاني: فتاوى في ألفاظ الأذان وأحكامها.

القسم الثالث: فتاوى في صفة المؤذن أثناء الأذان.

القسم الرابع: فتاوى في أحكام ما يعرض لمُجيب المؤذن.

القسم الخامس: فتاوى في مبطلات الأذان ومكروهاته.

القسم السادس: فتاوى في أحكام إجابة الأذان والإقامة.

القسم السابع: فتاوى متفرقة.

وقدّمت قبل ذلك بمقدمة فيها ذكر فضل الأذان وفضيلة المؤذنين.

ثمّ ذيّلت ذلك كله بشيء من المخالفات والأخطاء التي تقع في الأذان، سواء من المؤذنين أو من سامعي الأذان، وذلك لتُعلم هذه الأخطاء ثمّ تُجتنب، وفي النية إن شاء الله تعالى أن تخرج أجزاء أخرى على نهج هذا الجزء تحمل فتاوى في الجنائز وأحكام المسافر وغيرها. ومما يجدر التنبيه عليه هنا أن جميع ما في هذه الأوراق من فتاوى ومخالفات مصحح ومراجع من قِبَل الشيخ ـ حفظه الله ـ.

فأحمد الله تعالى على ما يسَّر وأعان، وأسأله جل وعلا أن يجزي فضيلة الشيخ عبد الله الجبرين خير الجزاء، وأن يجعل هذه الورقات من العلم النافع الذي يفيد المرء في دنياه وآخرته ويجري عليه ثوابه بعد مماته، كما أسأله تعالى أن يرفع قدر هذا العالم في الدنيا والآخرة وأن ينفع به العالمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وكتب

محمد بن عبد الرحمٰن بن ملهي العريفي

١١/ ٥/ ١٤١٤هـ

ص.ب: ٦٩٤٤٦

الرياض ١١٥٤٧

---

(١) ذكر هذا في درس شبرا ٩/ ٥/ ١٤١٤هـ عند الكلام على حديث جبرائيل المشهور عن عمر رضي الله عنه.

فضل الأذان وفضيلة المؤذنين

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثمّ لم يجدوا إلّا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه**»(١).

* وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المؤذنون أطول أعناقاً يوم القيامة**»(٢).

* وعن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي صعصعة أنّ أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال له: إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك ـ أو باديتك ـ فأذّنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن، جنّ ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة، قال أبو سعيد: سمعتُه من رسول الله ﷺ(٣).

* وعن البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله وملائكته يصلون على الصف المتقدم، والمؤذن يغفر له مدَّ صوته، ويصدقه من سمعه من رطب ويابس، وله مثل أجر من صلى معهُ**»(٤).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**المؤذن يغفر له مدى صوته ويشهد له كل رطب ويابس، وشاهد الصلاة يكتب له خمس وعشرون صلاة ويكفر عنه ما بينهما**»(٥).

---

(١) متفق عليه. البخاري ٢/ ٩٧ الفتح؛ مسلم ٤/ ١٥٧ النووي. والاستهام: الاقتراع.

(٢) متفق عليه. رواه مسلم ٤/ ٨٩ النووي.

(٣) رواه البخاري ٢/ ٨٧، ٨٨ فتح.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٢٨٤؛ والنسائي ٢/ ١٣ وهي في صحيح الجامع برقم (٨٣٧) وغيرهما.

(٥) رواه أبو داود ١/ ١٤٢؛ وأحمد في مسنده ٢/ ٤٢٩؛ والنسائي ٢/ ١٣ وهو في صحيح الجامع برقم (١٥٢٠) وغيرهم.

* وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**يعجب ربك من راعي غنم في رأس شظية جبل يؤذن بالصلاة ويصلي فيقول الله ﷻ: انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني، قد غفرتُ لعبدي وأدخلتهُ الجنة**»[1].

(١) رواه النسائي ٢/ ٢٠؛ والبيهقي في سننه ١/ ٤٠٥ وغيرهما.

القسم الأول

فتاوى في شروط الأذان والمؤذن

﴿١﴾ ما حكم الأذان، هل هو واجب؟

﴿ج﴾ ذكر أهل العلم بأن الأذان فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، والصّلاة من غير أذان صحيحة.

﴿٢﴾ ما حكم الإقامة؟

﴿ج﴾ الإقامة كذلك فرض كفاية، وتصحّ الصلاة من غير إقامة.

﴿٣﴾ هل تشترط الموالاة في ألفاظ الأذان؟

﴿ج﴾ الموالاة لا بدَّ منها، فإذا تعمد المؤذن تقطيع الأذان بأن سكت بين التكبيرات سكوتاً طويلاً، أو سكت بين التكبيرات والتشهدات، فهذا لا يسمَّى أذاناً، فيلزمه عندئذٍ أن يأتي بالأذان من أوله، فإذا طال السكوت بعد جملة من جمل الأذان بطل ما سبقها ولزمه الإعادة.

﴿٤﴾ لو قطع المؤذن الموالاة لسبب شرعيّ، كأن يرعف أنفه فينصرف ليغسله أو يُنجد شخصاً أو نحو ذلك؟ فهل يعيد الأذان من أوله إذا انتهى بهذا العارض أم يكمل من حيث وصل؟

﴿ج﴾ نعم، يبدأ من جديد حتى وإن كان القطع لعذر شرعي، وذلك لأن الموالاة شرط من شروط الأذان.

﴿٥﴾ وهل يشترط الترتيب بين ألفاظ الأذان؟ وإذا تعمّد المؤذن تقديم الحيعلتين على الشهادتين أو نحو ذلك هل يبطل أذانه؟

﴿ج﴾ نعم، الترتيب كذلك لا بدَّ منه في الأذان، بل هو من شروطه،

فلو قدّم التشهّدات على التكبيرات أو قدم الحيعلة على التشهدات بطل أذانه.

﴿٦﴾ إذا نسي المؤذن فأخلّ بترتيب الأذان وقدم جملة على جملة أخرى ناسياً. فهل يبطل أذانه؟

﴿ج﴾ يُعفى عن الشيء اليسير.

﴿٧﴾ إذا أذن المؤذن، ثمّ تبين له بعد انتهائه من الأذان أنه قد أذن قبل دخول الوقت بربع ساعة تقريباً فماذا يفعل، هل يعيد الأذان إذا دخل الوقت؟

﴿ج﴾ إذا كان المؤذن قد أذن قبل الوقت ولم يتحقق دخول الوقت حال أذانه فهنا لا بدَّ من إعادة الأذان، فلو أذن قبل غروب الشمس ولو بخمس دقائق أو بدقيقتين، أو أذن قبل زوال الشمس للظهر ولو قبل الزوال بدقيقة أو دقيقتين، أو أذن قبل طلوع الفجر ولو بدقائق فكل ذلك يبطل أذانه ويوجب عليه أن يؤذن مرة أخرى.

﴿٨﴾ هل هذا الحكم يعمّم كذلك صلاة العشاء؛ أي: لو أذن قبل دخول وقتها هل يلزمه إعادة الأذان أيضاً؟

﴿ج﴾ بالنسبة للعشاء فوقته واسع، فلو أذن قبل دخول وقت العشاء أو بعده أجزأه ذلك لأن العشاء يجمع مع المغرب، فيعتبر وقته داخلاً بدخول وقت المغرب.

﴿٩﴾ هل العصر له حكم العشاء؛ لأنه مشترك معه في أن يجمع مع ما قبله؟

﴿ج﴾ نعم، العصر حكمه لو أذن قبل دخول وقته كحكم العشاء، يُجزِئه أذانه لأنه يدخل وقته بدخول وقت الظهر.

﴿١٠﴾ ما حكم الأذان للصلاة الفائتة، كأن يستيقظ جماعة ـ في صحراء ونحوها ـ للفجر بعد طلوع الشمس؟ هل يؤذنون وإن كان الوقت قد خرج؟

﴿ج﴾ نعم، يؤذنون، ويدلّ على ذلك ما جاء في حديث أبي قتادة رضي الله عنه عندما ساروا مع رسول الله ﷺ ليلاً ثمّ عرسوا في جانب الطريق ووكلوا بلالاً

يرقب لهم الفجر فغلبه النوم وغلبهم حتى ما أيقظهم إلّا حدّ الشمس وجاء فيه أن رسول الله ﷺ أمر بلالاً فأذن للصلاة[١] مع أن الوقت قد خرج، فهذا يدلّ على أنه يؤذَّن للفائتة كما يؤذَّن لغيرها.

﴿١١﴾ هل الأولى في صلاة الفجر التبكير بالإقامة حتى تكون الصلاة في أول الوقت أم التأخير؟

ج صلاة الفجر يسبقها عادة نوم وغفلة من الناس، وعليه يكون التأخير أفضل لأجل أن يجتمع الناس لها، وخاصة أن بعض الناس قد يحتاج إلى اغتسال ونحوه، فالأولى أن ينتظر المؤذن حتى يجتمع الناس.

﴿١٢﴾ أيهما أملك بوقت الإقامة، الإمام أم المؤذن؟

ج قد ورد ذلك في حديث، حيث قال ﷺ: «**المؤذن أملك بالأذان والإمام أملك بالإقامة**»[٢]. فلا ينبغي أن يقيم المؤذن حتى يشير له الإمام بذلك.

﴿١٣﴾ هل ورد تحديد وقت معين للانتظار بين الأذان والإقامة؟

ج التحديد وارد في حديث لكنه غير معين بمقدار الوقت حيث قال ﷺ: «**اجعل بين أذانك وإقامتك نفساً قدر ما يقضي المعتصر حاجته في مهل وقدر ما يفرغ الآكل من طعامه على مهل**»[٣]. وهذا المقدار يقارب العشرين دقيقة تقريباً.

---

(١) الحديث رواه البخاري ٢/ ٥٤ في المواقيت، باب الأذان بعد ذهاب الوقت؛ ومسلم برقم (٦٨١) في المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها؛ وأبو داود برقم (٤٣٧) وما بعدهُ في الصلاة، باب فيمن نام عن الصلاة أو نسيها، وغيرهم.

(٢) الحديث رواه أبو الشيخ في كتاب الأذان، عن أبي هريرة، وهو في ضعيف الجامع ٦/ ٣ حديث رقم (٥٩١٣).

(٣) الحديث أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زيادات المسند ٥/ ١٤٣؛ والضياء المقدسي في المنتقى من مسموعاته بمرو (ق١٤١/ ٢). وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٢/ ٥٧٦ حديث رقم (٨٨٧).

﴿١٤﴾ إذا كان الشخص سيصلي في صحراء ونحوها، فهل يشرع له الأذان أم أنّ علمه بدخول الوقت يكون كافياً؟

﴿ج﴾ إذا كان الإنسان في برية فإنه يُسنّ له أن يؤذن حتى وإن كان سيُصلي وحده، فقد جاء أن أبا سعيد الخدري ﷺ قال لعبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي صعصعة: إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك ـ أو باديتك ـ فأذن بالصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن، جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة، قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ[1]، فهذا الحديث يدلّ أنه يسنّ للمصلي وإن كان وحده في صحراء أن يؤذن للصلاة إذا حضرت.

﴿١٥﴾ إذا كنتُ خارج المدينة مع بعض الأصحاب وحضر وقت صلاة العشاء وأردنا تأخيرها إلى ثلث الليل طلباً للأفضل، فهل تؤذن عند دخول الوقت مباشرة أم نؤخّر الأذان مع الصلاة حتى يكون قُبيل الصلاة مباشرة؟

﴿ج﴾ الأولى أن يكون الأذان قبل الصلاة مباشرة، ولو أُخرت الصلاة إلى ثلث الليل فإن الأذان ينبغي أن يؤخّر معها أيضاً إلى ثلث الليل.

﴿١٦﴾ هل ورد أن المؤذن يلتفت في أذان يميناً وشمالاً؟

﴿ج﴾ نعم، جاء ذلك في قصة أذان بلال[2] ﷺ، وأنه كان يلتفت أثناء أذانه يميناً وشمالاً عند الحيعلتين.

﴿١٧﴾ ما كيفية هذا الالتفات، هل يقول: «حي على الصلاة» يميناً ثمّ الأخرى شمالاً ثمّ يعود يميناً ويقول: «حي على الفلاح» ثمّ الأخرى شمالاً أم كيف يفعل؟

﴿ج﴾ يقول: «حيَّ على الصلاة» يميناً كلا الجملتين، ثمّ يقول: «حي على الفلاح»، شمالاً كذلك كلا الجملتين.

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٨٧، ٨٨؛ ومالك في الموطأ ص٧٦؛ وأحمد ٣/ ٣٥، ٤٣ وغيرهم.

(٢) رواه البخاري (٦٣٤) عن أبي جُحيفة ﷺ؛ ورواه مسلم كذلك ٤/ ٢١٨.

﴿١٨﴾ عند الالتفات للحيعلتين «حي على الصلاة، حي على الفلاح» هل يلتفت المؤذن برأسه فقط أم يلتفت بجسمه كله؟

﴿ج﴾ الالتفات يكون عند الحيعلتين بالرأس فقط، وذلك بأن يلوي عنقه، كما في حديث معاذ ﷺ[1] أن المؤذن يلوي عنقه، ولكن هذا خاصّ بما إذا كان يؤذن في غير مُكبِّر للصوت (المكيروفون) أما إذا كان يؤذن في مُكبِّر فلا يلتفت لأن الالتفات عن لاقطة الصوت يضعفه.

﴿١٩﴾ لو جمع المؤذن بين أن يلوي عنقه ويلتفت بجسمه قليلاً ليكون الصوت أبلغ لمن هم على جانبيه، فما الحكم؟

﴿ج﴾ الأولى: أن يلوي عنقه فقط، ولا يحرك رجليه ولا يلتفت جسمه.

﴿٢٠﴾ إذا كان المؤذن يؤذن في مكبر الصوت (الميكروفون) فهل يُسنّ له الالتفات أيضاً؟

﴿ج﴾ الالتفات يكون للمؤذن إذا كان يؤذن على منارة ونحوها، أما إذا كان يؤذن أمام مكبر الصوت فلا يلتفت لأن الالتفات يُضعفُ صوته، بل يستمرّ في الأذان على ما هو عليه ووجهه مقابل لمكبر الصوت، خاصة وأن صوته يتوزع في جميع الجهات عن طريق مكبرات الصوت.

﴿٢١﴾ هل يُسنُّ للمؤذن أن يرتفع على مكان عالٍ عند الأذان؟

﴿ج﴾ كان هذا في الأزمنة الأولى ليكون صوته أبلغ وأقوى، وقد كان المؤذن في وقت مضى يرقى على سطح المنارة التي تكون أعلى شيء في المسجد ثمّ يؤذن ليسمع صوته أكثر الناس، أما في هذا الزمان فلا حاجة إلى أن يرقى المؤذن في مكان مرتفع لأن مكبرات الصوت تغني عن ذلك.

﴿٢٢﴾ هل ورد أن المؤذن يضع شيئاً من أصابعه في أذنيه أثناء الأذان؟

---

(١) حديث معاذ رواه أبو داود ١/ ١٤٠ بلفظ قريب من هذا اللفظ.

ج نعم، يضع المؤذن أثناء الأذان أصبُعيْه السبابتين في أذنيه، وقد ذكر ذلك الفقهاء واعتمدوا فيه على بعض الأدلّة.

﴿٢٣﴾ ما الحكمة من وضع الأصبعين في الأذنين بحال الأذان؟

ج الحكمة من ذلك، أن المؤذن مأمور برفع الصوت كثيراً أثناء الأذان، ومعلوم أنه إذا بالغ في رفع صوته خيف عليه من تفجر أذنيه أو تضررهما، فإذا جعل أصبعيه في صماخي أذنيه كان ذلك أدعى إلى عدم التضرر برفع الصوت.

﴿٢٤﴾ إذا أذن المؤذن في غير مكبر الصوت، كأن يؤذن في صحراء ونحوها، فما الحكم لو أذن وهو يدور دوراناً خفيفاً لكي يعمَّ أذانه جميع الأنحاء والجهات التي حوله؟

ج لا يُشرع ذلك، بل ينبغي أن يكون واقفاً، ولكن يلتفتُ في الحيعلتين يميناً ويساراً، ويكفي ذلك لإعلام على جانبيه وإسماعهم الأذان.

﴿٢٥﴾ ما الحكم لو أذن المؤذن وهو راكب سيارة أو نحوها؟

ج الأذان راكباً لا بأس به، ما دام أنه قد حصل أداء كلمات الأذان كما ينبغي حتى ولو على بعير أو سيارة، فإذا رفع صوته والسيارة تمشي حصل المقصود.

﴿٢٦﴾ لو أذن المؤذن وهو راكب ثمّ مشى بالسيارة ونزل ليصلي فهل يؤذن مرة أخرى أم يكفيه الأذان الأول؟

ج بل يكفيه الأذان الأول لأن المقصود قد حصل به.

﴿٢٧﴾ هل يجوز للمؤذن أن يؤذن وهو جالس؟

ج الأصلُ أن ذلك لا يجوز، بل ينبغي أن يؤذن قائماً حتى يكون صوته أعلى وأبلغ، أما في هذه الأزمنة فقد يكون الأمر أيسر؛ لأن المؤذن يؤذن غالباً في مكبّر الصوت.

﴿٢٨﴾ وبالنسبة للإقامة ماذا لو أقام الصلاة وهو جالس مع قدرته على القيام؟

ج الجواب كما ذكرنا في الجواب السابق أن الأصل عدم الجواز، إلّا أن الأمر في هذا الزمان أيسر؛ لأن الأذان والإقامة غالباً تكون في مكبر الصّوت. والله أعلم.

﴿٢٩﴾ عند جمع الصلاتين في السّفر هل يؤذن لكل صلاة ويقام أم يكتفى بأذان واحد وإقامة واحدة؟

ج عند الجمع في السّفر يؤذّن أذاناً واحداً فقط، ثمّ يُقام لكل صلاة إقامة خاصة، فيكون عند جمع الصلاتين أذان وإقامتان.

﴿٣٠﴾ هل يشترط للمؤذن أن يستقبل القبلة أثناء أذانه؟

ج يُستحبّ له ذلك وهو الأولى في حال الأذان، لكنه غير واجب، فإن القبلة أشرف الجهات فكان الأولى استقبالها دون غيرها.

﴿٣١﴾ إذا كان المؤذن يؤذن في برية ونحوها فهل يُشرع أن يعلو على مرتفع كتلٍّ ونحوه أم يؤذن كما هو دون تكلّف الارتفاع والعلوّ؟

ج نعم، يشرع المؤذن أن يرتفع على شيء عند الأذان، حتى يكون ذلك أندى لصوته وأبلغ وأعلى ولو كان في برية ليشهد له كل ما سمعه من حجر ومدر وشجر كما في الحديث[١].

﴿٣٢﴾ ذكر بعض أهل العلم أن المؤذن يقول عند نزول المطر الشديد: صلوا في رحالكم أو في بيوتكم؟ فما هو الضابط لمقدار هذا المطر الذي يجيز ترك الاجتماع للصلاة في المسجد؟

ج الحديث الذي في ذلك ورد في السّفر[٢] وأنهم كانوا مسافرين،

---

(١) تقدم الحديث في مبحث فضل الأذان.

(٢) الحديث رواه البخاري ٢/ ١١٢ فتح، عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يأمر مؤذناً يؤذن ثمّ يقول على أثره: «ألا صلوا في الرحال» في الليلة، الباردة أو المطيرة في السّفر.

والمسافرون عادة يكونون متفرقين في أنحاء البرية ويشقّ عليهم أن يأتوا جميعاً إلى المكان الذي يجتمعون فيه وبينهم وبين المكان الذي يجتمعون فيه طين ودحض ومستنقعات ومياه تحول بينهم وبين هذا المكان الذي يصلون فيه جماعة، فرُخص لهم في هذه الحالة أن يصلوا في رحالهم، وقوله: «رحالهم» دليل على أنهم يصلون وهم في البراري كلٌّ في رحْله، ولم يقل: «صلوا في بيوتكم» فالصلاة في الرحال يُراد بها صلاة المسافرين في رحالهم ومحطّ أثقالهم وأمتعتهم.

﴿٣٣﴾ بعض الناس يتساهل بالصلاة في بيته عند وجود أدنى قدر من المطر فما حكم ذلك؟

ج ○ لا يجوز أن يصلي الرجل في بيته إلّا لعذر شديد كأن يكون المطرُ مستمراً وليس عنده سيارة تنقله إلى المسجد أو يكون بينه وبين المسجد طين ومستنقعات يخوض فيها إلى ركبته أو إلى نصف ساقه في طين ودحض ومزلّة أقدام، فمع استمرار المطر الذي يبلّ الثياب ويغرقها ومع وجود الدّحض والمزلّة والطين يرخص له في هذه الحالة أن يصلي في بيته. وأما إذا لم يوجد ذلك فلا بدَّ من إجابة النداء، والصلاة جماعة في المساجد.

﴿٣٤﴾ إذا جئتُ مع صاحب لي إلى مسجد قد صُلّي فيه وقد فاتتنا صلاة الجماعة وأردنا أن نصلي جماعة، فهل الأولى لي الأذان أم عدمه؟

ج ○ الأولى عدم الأذان؛ لأن المقصود بالأذان الإعلام بدخول الوقت، وقد علمتم بدخوله فلا داعي للأذان.

﴿٣٥﴾ وبالنسبة للإقامة، هل يسنُّ لنا أن نقيم الصلاة أم نترك الإقامة أيضاً؟

ج ○ الإقامة تختلف في حُكمها عن الأذان فيُشرع لكما أن تقيما الصلاة قبل الشروع في الصلاة، فإنها شرعت للإعلام بالقيام إلى الصلاة، فإن صليتما بدون إقامة صحت الصلاة.

﴿٣٦﴾ إذا فاتتني صلاة الجماعة في المسجد وأردتُّ صلاتها في البيت، فهل يُشرع لي الأذان أم لا؟

ج لا يشرع لك الأذان؛ لأن المقصود من الأذان إعلام الناس بدخول وقت الصلاة، وأنت في هذه الحالة تصلي وحدك فلا يشرع لك الأذان.

﴿٣٧﴾ وبالنسبة للإقامة، هل يُشرع لي إذا كنتُ أُريد أن أصلي منفرداً صلاة مفروضة، أن أقيم الصلاة أم لا؟

ج إذا صليت منفرداً، فأنت مخيّر إن شئت أن تُقيم الصلاة، وإن شئت أن تقوم إلى الصلاة من غير إقامة كلاهما لا حرج فيه؛ لأن المقصود من الإقامة إعلام الحاضرين بإقامة الصلاة للقيام إليها والاصطفاف لها وما دام أنك وحدك فالأمرُ يختلف، فإنك قد قمت إلى الصلاة وليس هناك من تنبّهه لذلك.

القسم الثاني

فتاوى في ألفاظ الأذان وأحكامها

﴿٣٨﴾ إذا كان المؤذن يؤذن ونسي أحد ألفاظ الأذان أثناء الأذان كأن ينسى قوْل: حي على الصلاة ولم يتذكر إلّا وهو يقول: لا إلـه إلا الله: أي في ختام الأذان، فماذا يفعل؟

﴿ج﴾ إذا نسي المؤذن شيئاً من ألفاظ الأذان فإنه يقوله بعدما ينتهي فلو نسي: حي على الفلاح، فإنه يقولها بعد نهاية الأذان ولا حرج في ذلك ولا يلزمه أن يعيد ما بعدها.

﴿٣٩﴾ إذا نسي المؤذن التثويب ـ أي: قول: الصلاة خير من النوم ـ في أذان الفجر ولم يتذكر إلّا في ختام الأذان فماذا يفعل؟

﴿ج﴾ إذا نسيها المؤذن فإنه يقولها بعد انتهاء الأذان ولا حرج؛ أي: بعدما يقول: لا إلـه إلا الله: يقول: الصلاة خير من النوم مرتين، ولا حرج في ذلك ولا تلزمه إعادة الأذان.

﴿٤٠﴾ إذا أعاد المؤذن بعد اختتام الأذان ما نسيه فهل يكمل ما بعده أم لا؟ أي: إذا نسي أن يقول: الصلاة خير من النوم: فقالها بعد اختتام الأذان هل يكمل ما بعدها من التكبير والتهليل أم لا؟

﴿ج﴾ لا، لا يكمل ما بعدها؛ لأنه قد قال ما بعدها، لكن يقولها هي تداركاً لها فقط.

﴿٤١﴾ ماذا نفعل مع الروايات المتعدّدة الواردة في الأذان، أيهما نختار، أم أننا نؤذن بهذا مرّة وهذا مرّة؟

ج الصحيح أنك تؤذن بأذان بلال، وهو المشهور بين الناس الآن، وعدد جُمَلِهِ خمس عشرة جملة.

﴿٤٢﴾ أيهما أفضل في الأذان الترجيع أم عدمه؟

ج الأفضل عدم الترجيع، وذلك لأنه لم يذكر إلّا في حديث محتمل وهو حديث أبي محذورة[١] وفيه: أنّ النبي ﷺ علّمه الأذان وذكر له الترجيع فيه، ولكن الذي نرى أنّ النبي ﷺ ذكر له الترجيع تلقيناً له بالشهادة؛ لأنه كان حديث عهد بإسلام فأراد أن تستقرّ الشهادتان في قلبه.

﴿٤٣﴾ ما المقصود بالترجيع الذي ذكرتم أنه ورد في حديث أبي محذورة؟

ج الترجيع هو تكرار الشهادتين؛ أي: أن يأتي بالشهادتين: أشهد أن لا إلـٰه إلا الله.. مرتين ثمّ أشهد أن محمداً رسول الله.. مرتين يخفض بهما صوته، ثمّ يأتي بالشهادتين بعد ذلك بصوت مرتفع كصوت الأذان؛ أي: يقول: أشهد أن لا إلـٰه إلا الله مرتين. ثمّ أشهد أن محمداً رسول الله.. مرتين ثمّ يرفع بهما صوته بعدما قالهما وهو خافض لصوته، هذا هو الترجيع الذي جاء في حديث أبي محذورة[٢].

﴿٤٤﴾ لو فعل المؤذن الترجيع أحياناً وتركه أحياناً، هل هو الأولى أم يتركه دائماً؟

ج لا بأس في ذلك ـ إن شاء الله ـ لكن الأولى أن يستمرّ على أذان واحد وذكرنا أن أذان بلال هو الأولى بالاستمرار عليه، وهو المعمول به الآن وهو الذي كان يسمعه النبي ﷺ منه سفراً وحضراً ويقره.

---

(١) حديث أبي محذورة رواه مسلم في كتاب الصلاة، حديث رقم (٤) من حديث أبي محذورة رضي الله عنه؛ وأبو داود حديث رقم (٥٠٢)؛ والنسائي في كم الأذان من كلمة؛ وابن ماجه، حديث رقم (٧٠٩) وغيرهم.

(٢) تقدم تخريجه.

﴿٤٥﴾ عند خفض الصوت بالشهادتين الأوليين عند الترجيع، هل معنى هذا الخفض أنه يقولها في نفسه أم يحرك بهما شفتيه، وما هو الضابط في هذا الخفض؟

ج قولنا: يخفض بهما صوته، ليس معناه أن يقولهما في نفسه، بل يقولهما بصوت خفيف بحيث لو كان بجانبه أحد لسمعه، فلا يخفض بحيث لا يُسمع ولا يرفع فيجعله كقوة صوت الأذان، هذا هو الضابط للخفض المطلوب.

﴿٤٦﴾ هل وردت الإقامة بمثل ألفاظ الأذان؟

ج نعم، ذكر هذا بعض الفقهاء؛ كالحنفية فعندهم أن الإقامة مثل الأذان، غير أن الأذان يزيد بالترجيع، والإقامة تزيد بـ«قد قامت الصلاة»، أما التكبيرات فهي عندهم أربع في الأذان والإقامة، والتشهّد أربع في الأذان والإقامة إلّا أن الأذان يزيد بالترجيع، والأذان فيه أربع حيعلات والإقامة كذلك، والأذان عندهم تسع عشرة جملة أما الإقامة فسبع عشرة جملة، هكذا عندهم، ويستدلون على فعلهم بأن هذه هي إقامة أبي محذورة، ولكن الصحيح الذي تؤيّده الأدلّة هي إقامة بلال. ففي الصحيح عن أنس ﷺ قال: «أمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة»[1]؛ أي: يجعل كلمات الأذان شفعاً؛ أي: مرتين مرتين والإقامة مرة مرة ولأن الأذان لإعلام البعيدين فاحتاج إلى زيادة كلماته والإقامة لإعلام الحاضرين فنقصت كلماتها عن الأذان.

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان مثنى مثنى؛ مسلم، صلاة (٣) وغيرهم.

القسم الثالث

فتاوى في صفة المؤذن أثناء الأذان

﴿٤٧﴾ ما الصفات التي ينبغي أن تكون متوافرة في المؤذن؟

ج ○ الأصل أن المؤذن يكون: عاقلاً ـ رشيداً عارفاً ـ صيتاً ليبلغ صوته الناس ـ ويكون عالماً بالوقت حتى لا يقدم أو يؤخر ـ فصيحاً بالكلمات ليُفهم منه الأذان.

وذكر أهل العلم غير ذلك أيضاً من الأوصاف المستحبة كأن يكون ديّناً أميناً؛ لأن الناس يقلدونه في صلاتهم وصيامهم ولأنه قد يرتفع على منارة ونحوها فينظر إلى عورات بعض الناس، أو ما يخفونه فلا بد أن يكون أميناً.

﴿٤٨﴾ هل يجوز للمرأة أن تؤذن؟

ج ○ لا يجوز للمرأة أن تؤذن فالأذان خاصّ بالرجال وهو دليل على أن صوت المرأة عورة أمام الرجال الأجانب، ولهذا تنهى عن التسبيح في الصلاة لتنبيه الإمام إذا سها بل تصفق ببطن كفها على ظهر الأخرى.

﴿٤٩﴾ الأعجمي الذي لا يُحسن العربية ولا يخرجها من مخارجها كالذي يقول: هيّ على الصلاة.. ما حكم أذانه؟

ج ○ أذانهُ صحيح، وهو معذور لأن هذه غاية قدرته، لكن الأولى أن يؤذن من هو سليم اللسان من اللحن، صحيح النطق فصيحٌ.

﴿٥٠﴾ هل الأفضل أن يقيم الصلاة المؤذن نفسه، أم ليس هناك حرج لو أقام غيره؟

ج ○ الأولى أن يقيم الصلاة المؤذن نفسه، للحديث الذي عند أبي

داود وغيره أن رجلاً من صُدَاء أذن ثمّ لما حضرت الصلاة أراد بلال أن يقيم فقال رسول الله ﷺ: «**إن أخا صداء هو أذّن، ومن أذن فهو يُقيم**»[1] فالأولى أن الذي أذّن هو الذي يُقيم.

﴿٥١﴾ أيهما أولى أن يتولى الأذان المؤذن الأعمى أم المبصر؟

ج لا فرق بينهما بل كلاهما يؤذن، فقد ثبت أن ابن أم مكتوم كان أعمى ومع ذلك كان يقوم بالأذان، لكن بشرط أن يكون هناك من يخبره بأوقات الصلاة ومواقيت الأذان، ويدله على ذلك؛ لأن ابن أم مكتوم كان لا يؤذن حتى يقال له: أصبحت.. أصبحت[2]، فيدلّ ذلك على أنه كان هناك من يُعْلِمه ويخبره وهكذا إذا كان معه ساعة يعرف استعمالها.

﴿٥٢﴾ إذا كانت مجموعة نساء سيصلّين في مكان واحد (كمدرسة ونحوها) فهل يُسنُّ لهن الأذان؟ خاصة أنه لو أذنت إحداهن فإنه لا يسمعها إلا النساء؟

ج لا، ليس على النساء أذان بل يكتفين بالأذان في المساجد.

﴿٥٣﴾ إذا كانت مجموعة من النساء في مكان سيصلّين جماعة فهل عليهنّ حرج إذا أقامت إحداهنّ الصلاة، ورفعت صوتَها بالإقامة لتسمعها بقية النساء؟

ج إذا كُنَّ مجموعة نساء في مكان واحد، وسوف يُصلّين جماعة واحدة، فلا حرج عليهنّ إذا أقامت إحداهن الصلاة؛ لأنّ المقصود من الإقامة إعلام الحاضرين بالقيام للصلاة، فلا حرج في ذلك أما الأذان فلا تؤذن واحدة منهنّ.

﴿٥٤﴾ إذا قطع المؤذن الأذان قبل إكماله لعارض عرض له، وقام آخر

---

(١) أبو داود ١/ ١٤٢؛ والترمذي ١/ ١٢٨؛ وابن ماجه ١/ ٢٣٧؛ وأحمد ٤/ ١٦٩ كلّهم عن زياد بن الحارث الصدائي ﷺ، وهو في ضعيف الجامع برقم (١٣٧٧) ولكن العمل عليه عند أكثر أهل العلم كما قال الترمذي بعدما رواه: والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم: أن من أذن فهو يقيم. انظر ١/ ٥٩٧ تحفة.

(٢) رواه البخاري ٢/ ٩٩، باب أذان الأعمى إذا كان له من يخبره، من حديث سالم بن عبد الله عن أبيه.

ليكمل الأذان، فهل يبدأ من حيث وقف المؤذن الأول أم يبدأ من بداية الأذان؟

ج بل يكمل من حيث وقف الأوّل؛ لأن المقصود بالأذان إعلام الناس بدخول وقت الصلاة، ولا داعي لإعادة الأذان من أوّله.

٥٥ إذا عرض للمؤذن أثناء الأذان شيء يمنعهُ من إتمامه كأن ينطلق من أنفه رعاف فماذا يفعل؟

ج إن تمكن من إكمال الأذان ولو أن يُمسك بأنفه عند الرعاف أو بفمه ويكمل الأذان فهذا حسن، وإن لم يستطع قطع الأذان وأكملهُ غيره.

٥٦ إذا أصاب المؤذن سعال شديد متواصل أثناء الأذان فما يفعل؟

ج إن استطاع أن يكمل فهو الأولى وإن لم يستطع أن يكمل فيقطع الأذان ويكمل غيره.

٥٧ لو حدث أن رجلاً بجانب المؤذن عطس فحمد الله وسمعه المؤذن، فهل على المؤذن حرج إذا قال له: «يرحمك الله» ـ وهو يؤذّن ـ أفيدونا جزاكم الله خيراً.

ج لا بأس ولا حرج في ذلك أيضاً، فلو شمَّت المؤذنُ العاطس، لم يؤثر ذلك على صحّة أذانه أيضاً بل ولا على كماله.

٥٨ إذا عطس المؤذن أثناء الأذان فهل يحمد الله أم يؤجّل قول «الحمد لله» إلى ما بعد انتهائه من الأذان؟

ج إذا عطس المؤذن أثناء الأذان فلا بأس أن يحمد الله ولا يؤثر هذا على أذانه لعموم الأحاديث التي فيها الأمر بحمد الله بعد العُطاس.

٥٩ إذا أحدث المؤذن أثناء الأذان فهل يقطع أذانه ويستخلفُ أحداً غيره؟ أم ماذا يفعل؟

ج الأولى أن يكمل أذانهُ ولا شيء عليْه؛ لأنّ أذان المحدث صحيح، ولا حرج عليه في ذلك. والحمد لله.

٦٠ إذا احتاج المؤذن أن يتكلم بشيء في أثناء أذانه كأن يُنبّه شخصاً

على شيء أو يتكلم مع شخص بشيء يفوت، أو ينهى صغيراً عن شيء سيفعله، وإن لم يتكلم أثناء أذانه فإنّ هذا الشيء المهمّ يفوت، فما الحكم لو تكلّم؟

ج يظهر أنه لا بأس بذلك، فإنه وهو يؤذن لا بأس له عند الحاجة أن ينبه شخصاً أو يحذر إنساناً من شيء، كما لو رأى أعمى يمشي بجانب بئر ويوشك أن يقع فيه، أو لو رأى المؤذن حريقاً يخشى أن يزداد، أو رأى منكراً يفوت إنكاره لو أخره إلى ما بعد الأذان، ونحو ذلك. فما كان مهمّاً ويفوت وقته لا بأس للمؤذن أن يقطع أذانُه من أجله أو ينبه عليه أثناء الأذان.

٦١ ما تقولون في مؤذن كان يؤذن وسمع شخصاً يتكلم بكلام أغضبه فما كان من هذا المؤذن إلّا أن سبّ هذا الشخص وشتمه بكلام فاحش ـ وهو يؤذن ـ فما الحكم هل يبطل أذانه؟

ج الكلام المكروه كالسبّ والشّتم أو الكلام الفاحش، أو الكلام في شخص بكلام باطل، أو الغيبة والنميمة كلّ هذا لا يبطل الأذان لكنه قد ينقص أجر المؤذن كغيره.

٦٢ لو تكلم المؤذن أثناء الأذان بكلام لا يجوز كأن يسمع ذكر شخص فيغتابه أو يقول كلمة فيها سخرية به وغيبة ـ وهو يؤذن ـ فما الحكم هل يبطل أذانُه؟

ج الكلام المكروه أثناء الأذان؛ كالغيبة والنميمة أو الكلام في شخص بكلام باطل، كلّ هذا لا يبطل الأذان لكنه قد ينقص أجر المؤذن.

٦٣ لو حدث أن المؤذن بعدما عطس قال: «الحمد لله» فقال له رجل بجانبه: «يرحمك الله» فهل يجوز للمؤذن أن يردّ قائلاً: «يهديكم الله ويصلح بالكم» أم يؤجل ذلك إلى ما بعد انتهائه من الأذان؟

ج لا بأس أن حمد المؤذن الله فشمّته من بجانبه أن يقول: «يهديكم الله ويصلح بالكم» ولا يؤثر هذا على أذانه.

٦٤ إذا سمع المؤذن شيئاً فضحك منه وهو يؤذن، فهل يبطل أذانه؟

ج الضحك أثناء الأذان فيه خلاف، والصحيح أن لا يُبطل الأذان.

القسم الرابع

فتاوى في أحكام ما يعرض لمُجيب المؤذن

﴿٦٥﴾ إذا كان الشخص يتحدث مع آخر أو يتكلم في موضوع ما وأذن المؤذن فهل يلزمه أن يسكت ليردد أم أنه لو ردّد وهو يتحدث جاز له ذلك؟

ج لا مانع من إجابة الإنسان للمؤذن مع استمراره في الحديث أو الكلام أو ما أشبه ذلك، ولكن الأولى أن يُنصت.

وأذكر أن كثيراً من المشايخ كان إذا سمع المؤذن وهو يقرأ سكت عن القراءة واشتغل بإجابة المؤذن، هذا وهو في درس علم فمن باب أولى أن الإنسان إذا كان يتحدث أو يتكلم بكلام عادي أن يسْكت ويجيب المؤذن وحتى يُذكر الحاضرين بإجابة المؤذن فيسكتوا جميعاً ويتابعوا المؤذن، هذا هو الأفضل والأولى، وإن استمروا في حديثهم ولكنهم لم يشتغلوا عن الإجابة فلا مانع من ذلك.

﴿٦٦﴾ ذكر بعض الفقهاء أنه إذا كان المؤذن يؤذن فإنه يستحب للجالسين أن لا يقوم أحد ولا يذهب لأن في ذلك تشبهاً بالشيطان، فما صحة هذا الكلام؟

ج الحمد لله، ورد في الحديث أنه ﷺ قال: «**إذا نودي بالصّلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضي الأذان أقبل حتى إذا ثوّب بالصلاة أدبر حتى إذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرة نفسه يقول: أذكر كذا... أذكر كذا، لِمَا لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى**»[1]، وقد ورد أيضاً في حديث مرفوع.. «**إذا سمعتُمْ الغيلان** - أو إذا

(١) رواه البخاري ٢/ ٨٤ فتح؛ مسلم ٤/ ٩١ نووي؛ أحمد ٢/ ٤٦٠ وغيرهم.

تغولت الغيلان ـ **فنادُوا بالأذان**»[١]. فمن هذا نعلم أن الشيطان يهرب من سماع الأذان، لذلك كره بعض العلماء أن الإنسان أول ما يسمع المؤذن يقوم بسرعة. ويمشي لأنه في هذه الحالة يكون متشبهاً بالشيطان الذي يتحرك بسرعة إذا سمع الأذان ومع ذلك لا يمنع عنه حيث إنّ المقاصد متباينة وقد يقصد أمراً مباحاً أو مستحباً يحب الإسراع إليه، وليس قصده الهرب من سماع الأذان.

﴿٦٧﴾ هل المقصود بالكراهة مجرد الحركة، أم هو الفزع والحركة السريعة؟

﴿ج﴾ المقصود والمنهي عنه هو أن الإنسان عندما يسمع المؤذن يقفز بسرعة ويمشي عجلاً مسرعاً؛ كالمنهزم الهارب فهذا الذي يشبه الشيطان أما مُجرد الحركة والتقلب والالتفات فلا يكره، ولا يعتبر متشبهاً بالشيطان.

﴿٦٨﴾ هل المستمع الذي يجيب المؤذن ويُنْصت إليه يتساوى مع المؤذن في الفضل والثواب؟

﴿ج﴾ لا شك أن المؤذن أكثر أجراً، والأحاديث التي وردت تخصّ المؤذن؛ كقوله ﷺ: «**المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة**»[٢]، وكقوله: «**المؤذن يغفر له مدى صوته**»[٣]. فهذا لا يحصل للمستمع المجيب الذي يتابع المؤذن، وإنما الذي يحصل لهذا المجيب هو أجر الذكر، وأما أجر العمل الذي هو الأذان فلا يدركه غير المؤذن.

﴿٦٩﴾ إذا دخل الشخص المسجد والمؤذن يؤذن فهل يشرع في النافلة ـ تحية المسجد وغيرها ـ أم يجيب المؤذن وينتظر حتى يفرغ من أذانه ثمّ يُصلي؟

---

(١) انظر سؤال رقم (١١٩) ص٧٥. والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط عن أبي هريرة، وهو ضعيف. انظر: ضعيف الجامع رقم (٤٣٦).

(٢) رواه أبو داود، باب رفع الصوت بالأذان ١/ ١٤٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم ٤/ ٨٩ نووي من حديث معاوية رضي الله عنه.

ج الأولى أن ينتظر حتى ينتهي المؤذن من أذانه ويجيبهُ ثمّ يتنفّل لأن إجابة المؤذن عبادة يفوت وقتها أما تحية المسجد ونحوها فوقتها أوسع.

﴿٧٠﴾ هل هذا الحكم يشمل أيضاً ما إذا دخل شخص المسجد والمؤذن يؤذن الأذان الثاني لصلاة الجمعة، هل يتنفل مباشرة أم ينتظر حتى فراغ المؤذن؟

ج الحكم هنا يختلف، فالأولى له هنا أن يشرع فور دخوله في تحية المسجد حتى يتفرغ لسماع الخطبة، وذلك لأن إجابة المؤذن سنّة وسماع الخطبة واجب. والله أعلم.

﴿٧١﴾ لو كنتُ جالساً في المسجد قبل الأذان في محاضرة أو درس عمليّ فلمّا أذّن المؤذن في هذا المسجد انتهى الدرس وأردتُّ أن أخرج وأُصلي في مسجد آخر، فهل في هذا حرج خاصة أن خروجي كان بعد ابتداء المؤذن في أذانه؟ وهل يلزمني أن أصلي في هذا المسجد الذي أُذِّن وأنا فيه؟ وهذه المسألة كثيراً ما تقع لي ولغيري.

ج لا يجوز الخروج من المسجد بعد الأذان إذا كان يخشى أن تفوته الجماعة، أمّا إذا كان سيرْجع أو كان سيصلي في مسجد آخر قريب يعلم أنه سيدرك جماعته أو كان هذا الخارج من المسجد إماماً ويذهب إلى مسجده ليصلي بجماعته، فلا مانع والحديث الوارد[1] محمول على من تفوته الجماعة.

﴿٧٢﴾ إذا بدأ المؤذن في إقامة الصلاة فمتى يُشرع للسامعين أن ينهضوا من جلوسهم ويصفوا للصلاة؟

ج لم يرد في ذلك شيء محدّد، لكن ذكر بعض الفقهاء أنّ السامع يقوم عند قول مقيم الصلاة: قد، أي في أول قوله أثناء الإقامة: «قد قامت الصلاة»، ولكن الأمر في ذلك واسع ولم يرد فيه شيء معيّن كما ذكرنا.

---

(١) الحديث الوارد هو حديث أبي هريرة ﷺ أنه رأى رجلاً خرج من المسجد بعدما أذن المؤذن فقال: أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ. رواه مسلم في صحيحه برقم (٦٥٥).

القسم الخامس

فتاوى في مبطلات الأذان ومكروهاته

﴿٧٣﴾ هل يجوز للمؤذن أن يؤذن وهو محدث حدثاً أصغر (بول أو غائط...)؟

ج نعم؛ يجوز ذلك، ولكنَّ الأولى أن يكون المؤذن متوضئاً.

﴿٧٤﴾ إذا أذن الشخص وعليه حدث أكبر (جنابة) فهل أذانه صحيح؟

ج نعم؛ الأذان صحيح، ولكن دخول هذا الجنب إلى المسجد لا يجوز إلا لحاجة أو ضرورة، أما الأذان فصحيح.

﴿٧٥﴾ ما حكم أذان من به لثغة أو ثقل في لسانه ونطقه؛ كالذي يبدل الراء لاماً فيقول مثلاً: أشهد أن محمداً لسُول الله... أو يسول الله؟

ج إن وُجد غير هذا المؤذن ممن يخرج الحروف من مخارجها إخراجاً واضحاً بيّناً فهو أفضل وأولى، وإن لم يوجد فلا بأس للحاجة.

﴿٧٦﴾ لو أذن رجلٌ ناقص العقل لكن يحفظ كلمات الأذان، فهل يعتدّ بأذانه؟

ج لو أذن ناقص العقل أو الصغير ولكن لم يترك شيئاً من ألفاظ الأذان ولم يُخلَّ بشيء من كلماته فأذانه صحيح. ولكنه لا ينبغي أن يعين مؤذناً مستمراً.

﴿٧٧﴾ إذا أذن الصغير المميّز الذي يحفظ ألفاظ الأذان فهل هناك حرج، أم أن الكبير البالغ أولى؟

ج الأولى بالأذان هو الكبير المكلّف البالغ. ولكن إذا حصل الأذان من هذا الصغير وكان هذا الصغير ضابطاً لألفاظ الأذان مقيماً لحروفه فلا حرج في ذلك؛ لأن المقصود من الأذان يحصل به، فإن الناس يعلمون بدخول وقت الصلاة بهذا الأذان.

﴿٧٨﴾ لو تكلم المؤذن أثناء الأذان بكلام فيه استهزاء بعبادة من العبادات أو فيه سخرية بالأذان أو بآيات الله، هل هذا يُبطل الأذان؟

ج نعم؛ إذا تكلم المؤذن أثناء الأذان بكلام يوقع في الإثم أو الكفر؛ كالاستهزاء بالعبادة أو نحو ذلك ممّا يُعدّ ردّة فلا شكّ أنه يُبطل أذانه ويُسبب وقوع المؤذن في الردّة.

﴿٧٩﴾ المبالغة في التغني والتطريب، هل تبطل الأذان؟

ج الصحيح أنّها تُنقصهُ لكنها لا تبطله، لذلك صرح كثير من العلماء بأنها مكروهة، فهي مكروهة ولا تصل إلى حدّ الإبطال.

﴿٨٠﴾ أليس الأفضل في الأذان تحسين الصوت فما هو الضابط للتطريب والتلحين الذي ينهى عنه؟

ج الأصل في الأذان أن يكون صوتاً واحداً ولو طوّله، يكون صوتاً مستمراً على هيئة واحدة، فلا يجوز التلحين وقد نصّ على كراهته كثير من الفقهاء، نعم؛ مطلوب تحسين الصوت في الأذان لكن لا يصل إلى الحدّ الخارج عن العادة.

﴿٨١﴾ وكذلك بالنسبة للأخطاء اللغوية التي قد تغير المعنى؛ كخطأ بعضهم بقوله: آلله أكبر، فتصير كأنها استفهام، فهل هذه تبطل الأذان؟

ج هذه أيضاً مكروهة، وينبغي تصحيحها وتجنّبها لكنها لا تبطل الأذان.

﴿٨٢﴾ بعض العوامّ يؤذنون أو يقيمون الصلاة باللهجة العامية فيقلبون ـ مثلاً ـ القاف إلى زاي في قوله: قد قامت الصلاة، ونحو ذلك، فما الحكم؟

ج هذا أيضاً أذانه وإقامته صحيحان، لكن الأولى أن يتولى الأذان من هو فصيح، سليم اللسان من اللحن.

﴿٨٣﴾ في بعض المساجد يقوم المؤذن بالتبليغ عن الإمام في التكبيرات مع وضوح صوت الإمام وعدم الحاجة إلى تسميع الناس تكبيراته، لأنهم يسمعونها عن طريق مكبر الصوت، فما الحكم؟

ج التبليغ عن الإمام لا يُستعمل إلّا عند الحاجة، كما إذا كان الناس كثيرين ولا يسمعون تكبيرات الإمام لكِبَر المسجد أو ضعف صوت الإمام، فهنا يبلِّغُ مَنْ خلف الإمام سواء المؤذن أو غير المؤذن برفع الصوت، وأما مع عدم الحاجة ومع سماع المصلين لصوت الإمام بواسطة المكبر فلا حاجة إلى التبليغ وقد أبطل بعض العلماء صلاة المبلِّغ إذا كان يبلِّغ من غير حاجة أو ضرورة.

﴿٨٤﴾ صلاتا الخسوف والكسوف هل يؤذن لهما، من أجل جمع الناس؟

ج الكسوف والخسوف يحدثان فجأة، ولو أُذن لهما؛ كأذان الصلاة لاشتبه على الناس أنه أذان صلاة، ولكن إذا سمع الناس أذاناً خاصاً وهو قول: الصلاة جامعة عرفوا منه أنّهم يُدعون للاجتماع لصلاة كسوف أو خسوف ونحو ذلك فينادى لهما بالصلاة جامعة كما نص على ذلك الفقهاء وروي ما يدل عليه[1].

﴿٨٥﴾ هل ينادى بشيء لصلاة الجنازة، وذلك لجمع الناس لها؟

ج صلاة الجنازة لا تحتاج إلى النداء لها فإن الناس عادة يدعو بعضهم بعضاً ويخبرُ بعضهم بعضاً بها، والغالب أن الصلاة على الجنازة تكون في أوقات الصلوات الخمس، فعندما يجتمع الناس لصلاة من الصلوات الخمس تقدم لهم الجنازة ليصلوا عليها قبل الصلاة أو بعدها، فليس هناك داعٍ لإحداث أذان خارجي لصلاة الجنازة.

---

(١) بوّب البخاري عليه فقال: باب النداء بالصلاة جامعة في الكسوف ٢/ ٥٣٣ فتح. وانظر: المغني لابن قدامة ٢/ ٢٧٤.

﴿٨٦﴾ هل يجوز الأذان لصلاة العيد، وإذا احتاج فاعل ذلك بأنه من أجل جمع الناس لها؟

﴿ج﴾ الأذان خاصّ بالصلوات الخمس، فلا يشرع لغيرها من الصلوات الأخرى وإن كانت من الصّلوات التي يُجتمعُ لها، فلا ينادى لصلاة العيدين، بل صلاة العيدين وقتها معروف فيخرج الناس إليها في الوقت المحدد بعد طلوع الشمس عارفين بوقت أدائها دون أن يكون هناك حاجة إلى رفع الصوت كالأذان.

﴿٨٧﴾ ما حكم ما يزيده بعض المبتدعة ـ كالروافض وغيرهم ـ في الأذان من ألفاظ لم ترد في الشرع؛ كقول بعضهم: حي على خير العمل[1]. هل هذه الزيادة تبطل الأذان؟

﴿ج﴾ نعم، تبطل الأذان؛ لأن الأذان قربة وعبادة ولا يجوز أن يدخل فيها أحد زيادة على ما جاء عن النبي ﷺ، بل إن هذه الزيادة تعتبر تغييراً وبدعة محدثة فيبطل بها الأذان وتبطل بها هذه العبادة، فالذي يزيد في الأذان هو كالذي يزيد في الصلاة وفي أعمال الحج وما أشبه ذلك.

﴿٨٨﴾ ما حكم زيادة بعضهم أيضاً «أشهد أن علياً وليّ الله»، هل هذه تُبطل الأذان أيضاً؟

﴿ج﴾ هذه الزيادة تبطل الأذان؛ لأنه زاد في هذه العبادة ما ليس منها والكلام على حكم هذه العبارة كالكلام على سابقتها ـ في السؤال السابق ـ.

﴿٨٩﴾ بعض المؤذنين ـ هداهم الله ـ قد يجتهدون فيزيدون بعد انتهائهم

---

(١) فائدةٌ حول «حي على خير العمل»: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كما يعلم أن «حي على خير العمل» لم يكن من الأذان الراتب وإنما فعله بعض الصحابة لعارضٍ.. مجموع الفتاوى ٢٣/١٠٣. وقال البيهقي رحمه الله بعد أن نقل الروايات عن ابن عمر وعلي بن الحسين: «وهذه اللفظة لم تثبت عن النبي ﷺ فيما علم بلالاً وأبا محذورة ونحن نكره الزياة فيه وبالله التوفيق» ١/٤٢٥.

من الأذان عبارات وجملاً يزعمون أنهم يحثون الناس بها على الحضور للصلاة؛ كقول بعضهم: «صلوا جزاكم الله خيراً» أو «صلوا هداكم الله» ونحو ذلك، ويداومون على هذا الفعل فما الحكم جزاكم الله خيراً؟

ج هذا أيضاً من المحدثات، ولا يجوز لكن إذا لم يتخذ عادة وسُنّة وفعله المؤذن أحياناً ولم يستعمل فيه المكبر وإنما في الطريق أو أمام الأبواب لتنبيه الغافل أو إيقاظ النائم، كما يفعل رجال هيئة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، فلا بأس بذلك فهو من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿٩٠﴾ بعض المؤذنين إذا انتهى من أذانه قال في مكبر الصوت: اللهمّ رب هذه الدعوة التامة.. ويداوم على هذا الفعل بعد كلّ أذان، ويزعم أن ذلك لتعليم الناس وتذكيرهم، فما حكم هذا الفعل؟

ج لا يستحبّ رفع الصوت في المكبر بهذا الدعاء، لكن له أن يُعلم الناس هو وغيره الأذكار الواردة بعد الأذان، بل ويحفّظون الناس هذه الأذكار بطريقة مشروعة.

﴿٩١﴾ في بعض البلدان يزيد المؤذنون بعد انتهائهم من الأذان أذكاراً كالصلاة على النبي ﷺ بصوت مرتفع مطرَّب كهيئة الأذان فما حكم ذلك؟ مع مداومتهم في كلّ أذان على هذا الفعل.

ج من المعلوم أن الله تعالى أمر بالذكر الخفي كما قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعرف: ٢٠٥]، فرفع الصوت بالدعاء أو رفع الصوت بالذكر أو الصلاة على النبي ﷺ أو الذكر الجماعي وما أشبه ذلك، هذا كلّه يظهر لي أنه لا يجوز، وذلك لأنه محدث ومخالف لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقوله: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

فعلى هذا نقول إن الأولى للإنسان أن يُسِرَّ الذكر ولا يجهر به إلّا لمصلحة راجحة؛ كتذكير الناس أحياناً، دون أن يُتخذ ذلك عادة أو يُستمرَّ عليه.

﴿٩٢﴾ وفي بعض البلدان كذلك يشغل بعض المؤذنين أشرطة للقرآن الكريم بصوت عالٍ في مكبر الصوت قبل الأذان بخمس دقائق أو عشر، خاصّة في يوم الجمعة، فما حكم هذا العمل؟

﴿ج﴾ هذا أيضاً من المحدثات، وليس فعله بسُنّة، والكلام فيه كالكلام في جواب السؤال السابق أن هذا لا يجوز.

﴿٩٣﴾ ما قولكم ـ حفظكم الله ـ في مسألة أخذ الأُجرة على الأذان؟

﴿ج﴾ لا يجوز للمؤذّن أن يشترط الأجرة على أهل المسجد كأن يقول لهم: لا أؤذن لكم إلّا إذا أعطيتموني أجرةً قدرُها كذا وكذا من المال، فهذا لا يجوز لقوله ﷺ: «**واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً**»[1]. وفي أثرٍ أن الإمام أحمد رحمه الله سئل عن رجل قال لأهل مسجد: أُصلي بكم بمال قدره كذا وكذا، فقال الإمام أحمد: أسأل الله العافية، ومن يصلي خلف هذا؟ أي: أن هذا الرجل إنما عمل عمله للدنيا، وأذانه لأجل الدنيا، وصلاته كذلك لأجل الدنيا وإمامته كذلك، فلا يجوز للمؤذن أن يشترط.

﴿٩٤﴾ إذا كان المال أو الأجرة التي أخذها المؤذن هي من بيت المال، وليست من جماعة المسجد، الذين يؤذن لهم، فما الحكم؟

﴿ج﴾ إذا كانت الأُجرة من بيت المال فقد رُخِّص في ذلك؛ أي: إذا بُذل رِزْقٌ من بيت المال أو أُجري عليه أجرٌ معين لأنه يقوم بهذه الوظيفة الدينية التي هي الأذان، وصار الأجر غير مقصود للمؤذن وإنّما يأخذه تقوية له وتمكيناً له من الاستمرار في هذا العمل الذي هو ضبط الأذان في المسجد، فهنا لا مانع من أخذ الرزق والأجرة من بيت المال. والله أعلم.

(١) الترمذي ١/١٣٥؛ وأبو داود ١/١٤٦ وغيرهما.

القسم السادس

فتاوى في أحكام إجابة الأذان والإقامة

﴿٩٥﴾ ما حكم إجابة المؤذن (ترديد الأذان معهُ) هل هو واجب؟

ج الصحيح أن إجابة المؤذن سنّة، وليست واجباً؛ لأنّ النبي ﷺ أمر به وأخبر أن له فضلاً شرعياً وثواباً مُترتِّباً عليْه.

وقد روى أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ في سننه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن المؤذنين يفضلوننا، فقال ﷺ: «**قُلْ كما يقولون فإذا انتهيت فسَلْ تُعْطَه**»(١).

وهذا يدلّ على أن من يردّد الأذان مع المؤذن يلحقُ المؤذّن في الفضل والثواب وإن كان لا يدرك الثواب نفسه.

﴿٩٦﴾ هل يُشرعُ أن يجيب المؤذِّنُ نَفْسَهُ، فإذا قال ـ مثلاً ـ: أشهد أن لا إلـه إلّا الله قال في نفسه أو بصوت مُنخفض: أشهد أن لا إلـه إلا الله أو نحو ذلك، بحيث يصبح كأنه يردّد مع مؤذن آخر؟

ج ذكر هذا بعض العلماء في كتب الفقه، وقالوا: إنه الأولى للمؤذن حتى يجمع بين فضل الأذان وفضل إجابة المؤذن لا سيّما عند قوله: حي على الصلاة، حي على الفلاح، فإنه يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

﴿٩٧﴾ لو أن شخصاً رأى المؤذن يؤذن لكنه لا يسمع صوته لبعدٍ أو لصمم، فهل يجيبُه بأن يتحرى الألفاظ ويردد؟ أم ماذا يفعل؟

ج لا يلزمه ذلك؛ لأن إجابة المؤذن خاصة بمن يسمعُه.

---

(١) رواه أبو داود ١/ ١٤٤ من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

﴿٩٨﴾ نحن في المدينة نسمع المؤذن من خلال مكبرات الصوت فنجيبه ونردد معه الأذان، ولكنه ما يكاد ينتهي حتى يكون مؤذن آخر قد بدأ، وهكذا، وقد يمتدّ ذلك عشر دقائق أحياناً، فما العمل هل نجيب مؤذناً واحداً أم كلهم؟

﴿ج﴾ تُشرع إجابة المؤذن، ولعله يكتفى بمؤذن واحد، ولكن لا مانع من أن يجيب الإنسان المستمع أكثر من مؤذن وذلك؛ لأن هذا يعتبر كله سماع مؤذن، فإذا سمعت مؤذناً فأجبته ثمّ انقضى وسمعت آخر وأجبته فإجابتك للآخر تعتبر خير وزيادة أجر، فلا مانع من الترديد والإجابة لهم كلهم - إن شاء الله تعالى -.

﴿٩٩﴾ إذا أقيمت الصَّلاة ثمّ انشغل الإمام بوضوء أو غُسْل أو نحوهما وطال الفصل بين الإقامة ورجوعه، فهل إذا أراد الإحرام بالصلاة تُعاد الإقامة أم تكفي الإقامة الأولى؟

﴿ج﴾ الصحيح أن الإقامة لا تعاد، إذا كان الناس قد قاموا وصفوا للصلاة؛ لأن الإقامة مقصودة لإعلام الناس حتى يقوموا فإذا قاموا حصل المقصود، فلو انشغل الإمام بتسوية الصفوف، لم يلزم إعادة الإقامة كما جاء عن عمر ﷺ أنه كان يوكل رجالاً بإقامة الصفوف فلا يكبر حتى يخبر أن الصفوف استوت[1]، وهذا قد يأخذ وقتاً طويلاً يقدّم هذا ويؤخّر هذا.

وكذلك لو انشغل الإمام بتجديد وضوء أو غسل أو نحوهما ثمّ عاد لم يلزمه أن يعيد الإقامة، فقد جاء عند البخاري: «أن رسول الله ﷺ أقيمت له الصلاة فسوَّى الناس صفوفهم فخرج إلى الناس فتقدم وهو جنب، ثم قال: مكانكم فرجع فاغتسل ثمّ خرج ورأسه يقطر ماء فصلى بهم»[2].

﴿١٠٠﴾ إذا قال المؤذن: الصلاة خير من النوم، فماذا يقول الشخص المستمع؟

---

(١) رواه الترمذي: تحفة الأحوذي ٢/١٦.

(٢) رواه البخاري: الفتح ٢/١٢٢ عن أبي هريرة ﷺ، باب إذا قال الإمام: «مكانكم» حتى يرجع.

ج عند قول المؤذن: الصلاة خير من النوم، يقول المجيب: «صدقت وبررت» أو يقول: «صدق الله ورسوله.. الصلاة خير من النوم» فيجمع بين إجابة المؤذن بأن قال مثل ما يقول، وبين تصديقه فيما أخبر به.

﴿١٠١﴾ إذا قال المؤذنون: صلوا في رحالكم، فماذا يقول المجيب؟

ج إذا قال المؤذن: صلوا في رحالكم، فإن المجيب يقول كما يقول في العبارة التي جعلت هذه الجملة بدلاً منها، فقول: «صلوا في رحالكم» جعلت بدل قوله: «حي على الصلاة» فيقول المجيب عند ذلك: «لا حول ولا قوة إلّا بالله» هذا هو الأقرب. والله أعلم.

﴿١٠٢﴾ ما الحكمة من تخصيص ذكر «لا حول ولا قوة إلّا بالله» عند الحيعلتين؟

ج هذا إشارة إلى أن الإنسان عاجز عن الحضور للجماعة والقيام بها إلّا إذا قوّاه الله فالمجيب عندما يقول: «لا حول ولا قوة إلّا بالله» كأنه يقول بلسان حاله: أنا أجيبُ هذا النداء وأحضر الجماعة لكن بحول الله، وقوة الله، الذي يُمدّني ويقويني فليس لي حول ولا قوة ولا تحول من حال إلى حال إلّا بالله تعالى.

﴿١٠٣﴾ هل أجمع عند إجابة المؤذن بين «لا حول ولا قوة إلّا بالله»، و«حي على الصلاة»... «حي على الفلاح»؟

ج لا تجمع بل تكتفي بقول لا حول ولا قوة إلا بالله، خاصة أن جملة «حي على الصلاة، حي على الفلاح»، ليست دعاء ولا ذكر وإنما هي نداء من المؤذن للسامعين بالحضور للصلاة حتى يحصلوا على الفلاح وهو الفوز بالسعادة.

﴿١٠٤﴾ عندما تقام الصلاة، هل يُشرع للسامعين أن يجيبوا في الإقامة ويردّدوا كما يفعلون مع الأذان؟

ج نعم؛ الإقامة تجاب كما يجاب الأذان، بل هي يطلق عليها

أذان أيضاً، وفي الحديث: «بين كلّ أذانين صلاة، لمن شاء»[1].

﴿١٠٥﴾ إذا قال المقيم: «حي على الصلاة، حي على الفلاح»، فهل يقول السامع: لا حول ولا قوة إلّا بالله كما يقول في الأذان، مع العلم أن السامع يكون موجوداً مع المقيم داخل المسجد وليس بعيداً عنه؟

﴿ج﴾ نعم؛ تقول: لا حول ولا قوة إلّا بالله، عند الحيعلتين، وإن كنت معه في المسجد، وذلك أن المصلي بحاجة ماسّة إلى إعانة ربه وتقويته على العبادة عموماً وعلى أداء الصلاة كاملة ولا غنى له عن ربه طرفة عين.

﴿١٠٦﴾ هل يقول مُجيب الإقامة بعدها: «اللهمّ رب هذه الدعوة التامة...» أم أن هذا الذكر خاصٌ بالأذان؟

﴿ج﴾ إذا تمكن أن يقول: «اللهمّ رب هذه الدعوة التامة» فلا مانع من ذلك، وإن لم يتمكن لقصر الوقت سقط عنه؛ لأن هذا الذكر إنما ورد بعد الأذان.

﴿١٠٧﴾ إذا أذن المؤذن وأنا أقرأ القرآن، فهل أقطع القراءة وأجيب المؤذن أم أؤجّل إجابة المؤذن حتى الانتهاء من القراءة؟

﴿ج﴾ أختار أن تقطع القراءة وتجيب المؤذن، وذلك لأن إجابة المؤذن طاعة وعبادة يفوت وقتها، أما قراءةُ القرآن فعبادة باقية لا يفوت وقتها، فإذا سمع القارئُ المؤذنَ قطع قراءته وأجاب ثمّ إذا فرغ من الأذان أكمل قراءته. هذا هو الأولى.

﴿١٠٨﴾ إذا أذن المؤذن وكان السامع منشغلاً بمكالمة في هاتف أو نحو ذلك ولم ينتبه للأذان إلّا في منتصفه أو نهايته، فماذا يفعل هل يردد ويجيب من حيث ما سمع أم يعيد الأذان مجيباً من بدايته؟

---

(١) الحديث رواه البخاري ٢/١٠٦؛ ومسلم ٢/١٢٤ وغيرهما عن عبد الله بن مُغفل المزني ﷺ.

ج إذا كان السامع منشغلاً بمكالمة في هاتف أو كان يقضي حاجته أو نحو ذلك، فإنه إذا انتهى مما يشغله بادر وقضى كلمات الأذان التي فاتته حتى يتدارك ما فاته؛ لأن الأذان من الأذكار، والأولى للمسلم أن يحافظ على الأعمال الصالحة فيقضي ما فاته منها.

﴿١٠٩﴾ إذا كان الإنسان في مكان الخلاء لقضاء الحاجة، فكيف يجيب المؤذن؟

ج إذا كان جالساً على قضاء حاجته، فلا يجيب بلسانه ولكن يجيب ويردد معه بقلبه، أو يؤخر الإجابة إلى أن ينتهي من حاجة ثمّ إذا انتهى منها ردّد ما قاله المؤذن وأجاب.

﴿١١٠﴾ ولكن قد لا ينتهي من حاجته إلّا والمؤذن في نهاية الأذان أو قد انتهى من الأذان؟

ج نعم؛ لا حرج في ذلك، يجيب المؤذن إذا انتهى من حاجته حتى وإن كان المؤذن قد انتهى من الأذان أو في نهاية الأذان، فهو مخير بين أن يجيبه بقلبه في حال قضاء الحاجة، أو تأخير القضاء إلى ما بعد الانتهاء أو يجمع بينهما.

﴿١١١﴾ ما كيفية قضاء الأذان، هل يشترط فيه التوالي والترتيب؟

ج نعم؛ قضاؤه يكون على التوالي فيقول: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إلـه إلا الله، أشهد أن لا إلـه إلا الله».. إلى أن يتمّ الأذان.

﴿١١٢﴾ في بعض المرافق العامة ـ كالمستشفيات والفنادق وغيرها ـ يكتفون بإعلان الأذان من خلال سماعات موزعة على جميع مرافق المبنى، ويكون الأذان فيها من خلال شريط تسجيل موقَّت (مبرمج) على أوقات الصلاة، وليس هناك شخص يتولى مهمَّة الأذان، ففي هذه الحالة هل أُردّد مع هذا الشريط؟

ج نعم؛ تردّد معه؛ لأنه أذان لوقت صلاة، وتجيب المؤذن وإن كان من المسجّل. والمختار في مثل هذه المرافق التي يملكها ويتواجد فيها المسلمون المكلفون أن يسندوا الأذان إلى إنسان عاقل عارف بالوقت دون الاكتفاء بالأذان المسجَّل.

﴿١١٣﴾ هل يجزئ هذا الأذان الذي نودي به من خلال شريط مسجّل أم يلزم الناس إذا اجتمعوا للصلاة في المصلى أن يؤذنوا مرة أخرى؟

ج الأولى أن يؤذن لهم شخص، لكن إذا كانوا لا يستطيعون أو كانوا لا يعرفون أو لا يحفظون الأذان أجزأ عنهم الأذان الأول وإن كان من شريطٍ مُسجَّل.

﴿١١٤﴾ إذا كنتُ أستمع للأذان من خلال المذياع، فهل أُجيب وأُردد معه أم لا؟

ج إذا سمعت من يذكر الله فاذكره؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ [الزمر: ٤٥]، فإذا سمعت ذكر الله فإنك تفرح، فإذا سمعت المؤذن من خلال المذياع وغيره فأجب معهُ ولا تكن من الغافلين ولا من الذين إذا ذُكِّروا لا يذكرون.

﴿١١٥﴾ هل يجوز للمصلي أن يجيب المؤذن أثناء صلاته؛ لأن كليهما ذكر؟

ج لا يجيب المصلي المؤذنَ، وإنما إذا انتهى من صلاته يقضيه على الصفة التي ذكرنا سابقاً.

القسم السابع

فتاوى متفرقة

﴿١١٦﴾ أيهما أفضل شرعاً أن يتولى الشخصُ الأذان أم الإمامة؟

ج هذا فيه تفصيل. فالإمامة أفضل من حيث الأهلية، فالإمام أفضل أهليّة لأنه غالباً يكون حافظاً للقرآن وعالماً بالأحكام الشرعية.

أما المؤذن فغالباً ما يكون عامياً؛ لأن الأذان إنّما هو تصويت بهذه الكلمات وترديد لها.

فلأجل ذلك يشترط أهلية الإمام بأن يكون من أهل العلم، ومن حفظة وحملة القرآن أو أكثره، فالإمام ـ كما قدمنا ـ أفضل من حيث الأهلية. أما من حيث الأجر، فلا شكّ أن الذي ورد في فضل المؤذن أكثر؛ كقوله ﷺ: **«المؤذن أطولُ الناس أعناقاً»**[1]. وقوله: **«المؤذنون يغفر له مدّ صوته ويصدقه من سمعه من رطب ويابس»**[2]. لذلك يستحبه الكثيرون، فإذا كان المؤذن من حملة العلم وحفظة القرآن، وزاد على أن تولى الأذان فهذا فضل على فضل ويكون قد جمع بين الفضيلتين.

﴿١١٧﴾ ذكر بعض أهل العلم ـ جزاهم الله خير الجزاء ـ أن الأذان الأول للجمعة بدعة، فما رأيكم في هذا؟

ج ما دام أن الأذان الأول للجمعة أقره الصحابة في زمن

---

(١) رواه مسلم ٤/ ٨٩ نووي.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٢٨٤؛ والنسائي ٢/ ١٧، وهو في صحيح الجامع برقم (١٨٣٧).

عثمان ﷺ، واستمرّ العمل عليه إلى هذا الزمان، وفيه تنبيه الناس عن الغفلة، فلا مانع منه، ولا يقال: إنه بدعة؛ لأنه من سُنَّة خليفة من خلفاء المسلمين وقد أقرّه عليه الصحابة ـ كما ذكرنا ـ واستمرَّ عليه العمل. لكن ينبغي تقديمه قبل الزوال بساعة أو أكثر فأما تأخيره إلى الزوال فلا فائدة فيه حيث أن الناس قد اجتمعوا وهو إنما شرع للأمر بالاستعداد والتأهب وترك الشواغل التي تعوق من الحضور والتقدم إلى المساجد.

﴿١١٨﴾ الأذان الأول والثاني للفجر، هل هو خاصّ برمضان، أم يفعل في بقية الشهور قياساً على رمضان؟

ج الظاهر أنه خاص برمضان وأنه في العهد النبوي كان بلال ﷺ يؤذن في آخر الليل، ثمّ يؤذن ابن أم مكتوم عند الصباح، ودليل ذلك قوله ﷺ: **«لا يمنعنَّ أحدكم ـ أو أحداً منكم ـ أذان بلال من سحوره فإنه يؤذن ـ أو ينادي ـ بليل ليرجع قائمكم ولينبّه نائمكم»**[1]. قوله: **«من سحوره»** يدل على أنهم كلهم يتسحرون؛ أي: يصومون، وهو ﷺ خاطب في هذا الحديث الجمع ولم يقل: من أراد منكم الصوم فلا يغرّه أذان بلال بل قال: لا يمنعه من سحوره، فهذا يدل على أنهم كانوا يحتاجون إلى السّحور.

كذلك نقول: إن قوله: **«ليوقظ نائمكم»**؛ أي: يستيقظ للسّحور، وقوله: **«يرجع قائمكم»**؛ أي: ينبّه القائم المتهجِّد إلى قرب وقت السحور، فهذا يدلّ على أنّهم كلّهم كانوا يصومون فيحتاج هذا إلى قيام للسّحور، ويحتاج القائم إلى انتباه ومعرفة بوقت السحور.

فهذا دليل على أن الأذان الأول والثاني كانا في رمضان، أما في غير رمضان فإن المؤذن واحد، والحديث الذي فيه أن المؤذن يقول في الفجر في الأذان الأول: «الصلاة خير من النوم» المقصود فيه بالأذان الأول هو الأذان الذي عند الصبح حيث يقول المؤذن فيه: الصلاة خير من النوم، فينادي الناس

---

(١) البخاري ٢/١٠٣، باب الأذان قبل الفجر من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

بذلك؛ لأن الأغلب أن الناس في هذا الوقت يكونون نياماً فينبّههم على فضل الصلاة على النوم، أما الأذان الثاني هنا فهو الإقامة، وفي الحديث: «**بين كل أذانين صلاة**»؛ أي: الأذان والإقامة، فدلّ كل ما سبق على أنه لا يؤذن في غير رمضان إلا أذان واحد وإقامة. والله أعلم.

﴿١١٩﴾ هل ورد الأذان عندما يخاف الإنسان أو يفزع من الجن أو الغيلان؟

﴿ج﴾ نعم؛ روي عن سهيل بن أبي صالح قال: أرسلني أبي إلى بني حارثة ومعي غلام لنا ـ أو صاحب لنا ـ فناداه مناد من حائط باسمه، وأشرف الذي معي على الحائط فلم يرَ شيئاً، فذكرت ذلك لأبي فقال: لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك، ولكن إذا سمعت صوتاً فنادِ بالصلاة فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الشيطان إذا نودي بالصلاة ولّى وله حصاص**»[(١)].

وفي حديث أنه ﷺ قال: «**إذا تغوّلت الغيلان فنادوا بالأذان**» والغيلان: هي الجن المتشيطنة التي تتشبّه بالإنسان أو تصوّت وترفع صوتها وتُضلُّ الناس عن طرقهم، فالأذان يطردها، فإذا سمعوا أذاناً انصرفوا وابتعدوا، فهذا يدلّ على أنه يُشرع الأذان وإن لم يكن وقت الصلاة لطرد الجن والشياطين.

﴿١٢٠﴾ هل ورد فضل في الدعاء بين الأذان والإقامة؟

﴿ج﴾ ورد أن الوقت بين الأذان والإقامة من مظانّ وأوقات الإجابة، فقد جاء أنه ﷺ قال: «**الدعاء بين الأذان والإقامة لا يردْ**»[(٢)]. فلو دعا الإنسان بين الأذان والإقامة لكان حسناً.

---

(١) الحديث رواه مسلم ٤/ ٩١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ ورواه أحمد ٢/ ٣١٣ وغيرهما.
والحُصَاص: الضراط، وقيل: شدة العدو. ذكره النووي في شرح مسلم.

(٢) أخرجهُ أبو داود والنسائي في عمل اليوم والليلة؛ والترمذي وحسّنه من حديث أنس؛ والحاكم وصحّحه وهو في صحيح الجامع رقم (٣٤٠٢).

﴿١٢١﴾ ما رأيكم في الأذان في أذن المولود؟ وفي أي الأذنين يكون؟

ج نعم؛ ورد الإذان في أذان المولود لكن الأدلة التي وردت به فيها مقال، ولكن لا بأس لو فعله الإنسان، وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «تحفة المودود بأحكام المولود» أنه يُفعل[1].

﴿١٢٢﴾ في أيّ الأذنين يكون الأذان لو فعله الإنسان؟

ج الأذان يكون في الأذن اليمنى، مع أن الأحاديث فيها مقال كما ذكرنا.

﴿١٢٣﴾ وبالنسبة للإقامة هل وردت؟ وفي أي الأذنين؟

ج نعم؛ وردت كذلك لكنها أحاديث فيها مقال، وتكون في الأذن اليسرى.

﴿١٢٤﴾ أحياناً قد يجتمع الناس للصلاة في المسجد، ثمّ يكتشفون أن مؤذن المسجد لم يؤذن للصلاة ـ لعدم وجوده أو لانشغاله ـ فهل يؤذنون مع العلم أنه قد مضى على دخول الوقت زمن ليس بالقصير، بل قد جاء وقت الإقامة؟

ج بل يكتفون بالإقامة؛ لأن المقصود من الأذان جمع الناس للصلاة وحيث إنهم قد اجتمعوا فقد حصل المقصود، والناس يعرفون دخول الوقت في هذا الزمان بالساعات أو بالمؤذنين الآخرين ونحو ذلك.

فلا يحتاج إلى أذانٍ، خاصةً أنه ليس من شرط الصلاة أن يؤذن لها ولأن الأذان بعد مُضِيّ بعض الوقت قد يشوش على الناس لتأخره عن وقته. والله أعلم.

---

(١) مما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: تحفة المودود بأحكام المولود ص٢٢.

١ ـ ما رواه البيهقي في الشعب من حديث الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى رُفعت عنه أمّ الصبيان. رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٦٢٣) وهو في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٣٢١).

٢ ـ ما رواه أيضاً من حديث أبي سعيد عن ابن عباس أن النبي ﷺ أذن في أذن الحسن بن عليّ يوم ولد وأقام في أذنه اليسرى، قال: وفي إسنادهما ضعف.

من مخالفات وأخطاء المؤذنين

بعض المؤذنين يقعون في أخطاء ومخالفات في أذانهم سببها لهم الجهل بالدين أحياناً والاجتهاد من غير علم أحياناً أخرى، مع حرصهم على الخير واجتهادهم فيه، وهذه الأخطاء والمخالفات بعضها حدث في هذا الزمان القريب وبعضها وُجد منذ زمان مُتقدم ولا يزال موجوداً حتى زماننا هذا، وما هذا إلّا لقلة حرص الناس على طلب العلم وتعلّمه وتعليمه. ومن هذه الأخطاء:

١ ـ **التمطيط والتغني بالأذان**: قال الشيخ علي محفوظ رحمه الله في كتابه «الإبداع في مضار الابتداع»: ومن البدع المكروهة تحريماً التلحين، وهو التطريب؛ أي: التغني بهِ بحيث يؤدي إلى تغيير كلمات الأذان وكيفياتها بالحركات والسكنات ونقص حروفها أو زيادة فيها محافظة على توقيع الألحان فهذا لا يحلّ إجماعاً في الأذان كما لا يحل في قراءة القرآن ولا يحلّ أيضاً سماعه؛ لأن فيه تشبهاً بفعل الفسقة في حال فسقهم فإنهم يترنمون، وخروجاً عن المعروف شرعاً في الأذان والقرآن. اهـ[١].

وذكر الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه تعليقاً، أن عمر بن عبد العزيز قال لمؤذن: أذن أذاناً سمحاً وإلا فاعتزلنا، قال ابن حجر: والظاهر أنه خاف عليه من التطريب الخروج عن الخشوع[٢].

وقال فضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين ـ حفظه الله ـ: التطريب والتلحين هو ترقيق وترديدُ الصوت وتقطيعه حتى إنّ بعضهم لشدّة تلحينه وتطريبه يصبح

(١) الإبداع ص١٧٦.
(٢) فتح الباري ٢/ ٨٧، ٨٨.

كأنَّه يغني ـ أو نحو ذلك ـ وهذا مكروه، نعم؛ مطلوبٌ تحسين الصوت في الأذان، لكن لا يصل إلى الحدّ الخارج عن العادة. اهـ[١].

وبعض المؤذنين المطرّبين قد يحرص على التغني في أذانه حتى يقال: ما أجمل صوته، ما أحسن أذانه، خاصة في يوم الجمعة في الأذان الثاني حيث يجتمع الناس في الجامع ثمّ يؤذن أَمَامَهُم، وهذا ـ والعياذ بالله ـ قد اجتمع مع مخالفته بالتطريب مخالفة أخرى وهي الرياء بالعمل ـ نسأل الله العافية ـ والأذان لم يشرع لإطراب الناس وإنما شُرع لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة.

٢ ـ اللحن والخطأ اللغوي في الأذان: والمقصود باللحن ما يقع في أداء بعض المؤذنين من خطأ وتحريف وتغيير في نطق ألفاظ الأذان، وذلك بنطق حرف مكان حرف أو مدّ في غير موضع المدّ، أو مبالغة في المدّ في موضع مدّ طبيعي، وأشباه ذلك ممّا نسمعه، ومن ذلك:

أ ـ مدّ همزة «آللهُ» فتتحول الجملة إلى جملة استفهامية، فكأنه يقول: هل الله أكبر؟

ب ـ مدّ حرف الباء من قوله: أكبر، فيقول: أكبار، مع أن كلمة «أكبر» في الأصل أفعل تفضيل؛ أي: الله ﷻ أكبر من كلّ شيء، فإذا قلبها المؤذن إلى أكبار اختلف المعنى.

جـ ـ مدّ همزة «أشهد» فيقول: «آشهد» فتتحول الجملة إلى جملة استفهامية كأنه يقول: أأشهد أن لا إلـٰه إلا الله؟!

د ـ مدّ الضمّة في قوله: «أشهدُ» فتصبح «أشهدوآ» وهذا يغير معنى الجملة من خبر بالشهادة إلى أمرٍ بها.

هـ ـ تشديد النون في قوله: أشهد أنَّ لا إلـٰه إلا الله، مع أن الأصل أنها ساكنة فأصلها أشهد أنْ لا إلـٰه إلّا الله.

---

(١) من سؤال وُجه إليه في درس من دروس شبر، ربيع الآخر ١٤١٤هـ.

٣ ـ عدم دقة بعض المؤذنين في وقت الأذان فتجد بعضهم يؤذن قبل الوقت بدقائق وهذا يوهم من لا يصلون في الجماعة من النساء وغيرهم دخول الوقت فيُصلون الصلاة قبل وقتها.

٤ ـ وبعض المؤذنين يتأخر في الأذان حتى يمضي على دخول الوقت زمن قد يمتدّ إلى خمس دقائق أحياناً، فيضيّع على المصلين سُنّة الصلاة في أول الوقت.

٥ ـ وأحياناً قد يتعمد بعض المؤذنين التبكير بالأذان قبل الوقت خاصة في أذان الفجر في شهر رمضان، وهذا فيه محاذير كثيرة، منها: أن ذلك مخالف للسُّنّة، وأن هذا التقديم يجعل المسلم يمتنع عن المفطرات التي أحلها الله له، وكذلك أيضاً إيقاع السنة القبلية قبل وقتها، ويؤدي كذلك إلى مخالفة سُنّة تأخير السّحور بأن يعجله الناس ظناً منهم أن وقت الإمساك قد بدأ.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «... ومن البدع المنكرة ما أُحدث في هذا الزمان من إيقاع الأذان الثاني قبل الفجر بنحو ثلث ساعة في رمضان، وإطفاء المصابيح التي جعلت علامة لتحريم الأكل والشرب على من يريد الصيام زعماً ممن أحدثه أنه للاحتياط في العبادة، ولا يعلم بذلك آحاد الناس، وقد جرّهم ذلك إلى أن صاروا لا يؤذنون إلّا بعد الغروب بدرجة لتمكين الوقت زعموا، فأخروا الفطور وعجّلوا السحور وخالفوا السُّنّة، فلذلك قلّ عندهم الخير وكثر فيهم الشرّ والله المستعان»[1].

٦ ـ وبعض المؤذنين يتعمد تأخير أذان المغرب خاصة في رمضان ـ وقد يفعلها في يومي الاثنين والخميس أو غيرهما من الأيام المسنون صيامها ـ فتجده لا يؤذن في أول الوقت ويزعم أن ذلك أحوط للعبادة، وقد كان رسول الله ﷺ أشدّ احتياطاً وحذراً في عبادته ولم يرد عنه أنه فعل مثل ذلك.

بل إن هذا التأخير من هذا المؤذن يفوّت على الناس سنناً كثيرة؛ كتعجيل الفطور ـ للصائمين ـ والصلاة في أوّل الوقت وغيرها.

---

(١) فتح الباري ٤/١٩٩.

٧ ـ مداومة بعض المؤذنين على قول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» قُبيل البدء في الأذان، سواء قالها بصوت عالٍ في مكبر الصّوت أو بصوت منخفض.

٨ ـ وكذلك مداومة بعضهم على قول: «لا إلـه إلا الله» قُبيل الأذان، فتُصبح كأنّها مقدمة للأذان.

٩ ـ زيادة بعض المؤذنين ألفاظاً وجملاً يزعمُ أنه يحث الناس فيها على صلاة الجماعة؛ كقوله: «صلوا هداكم الله» أو «فاز من صلى» ونحو ذلك، وكأنّ ألفاظ الأذان غير كافية في دعوة الناس وتنبيههم لدخول وقت الصلاة والإتيان إليها، وقد سألتُ فضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين عن ذلك فذكر أنّه من المُحْدثات[١].

١٠ ـ زيادة المؤذنين ـ في بعض البلدان ـ الصلاة على النبي ﷺ بعد الانتهاء من الأذان، حيث يرفع صوته بالصلاة على النبي وآله وأزواجه... بصوت وترنّم كهيئة الأذان.

قال صاحب «السنن والمبتدعات»: والصلاة والتسليم بعد الأذان بهذه الكيفية المعروفة بدعة وضلالة وإن استحسنها كبار رجال الأزهر؛ كالدّجويّ وغيره[٢].اهـ.

وقال صاحب «الإبداع»: وكان ابتداء حدوث ذلك في أيام السلطان الناصر صلاح الدين بن أيوب.. فنقول: لا كلام في أن الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلّم عقب الأذان مطلوبان شرعاً لورود الأحاديث الصحيحة بطلبهما من كلّ من سمع الأذان لا فرق بين مؤذن وغيره، كما في «صحيح مسلم» عنه ﷺ: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثمّ صلوا عليّ فإن من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشراً**» الحديث لكن لا مع الجهر، بل بأن يسمع نفسه أو من كان قريباً منه.

---

(١) بتاريخ ٢/ ٥/ ١٤١٤هـ.

(٢) السُّنن والمبتدعات للشقيري رحمه الله ص٤٠.

إنما الخلاف في الجهر بهما على الكيفية المعروفة والصواب أنها بدعة مذمومة بهذه الكيفية التي جرت بها عادة المؤذن من رفع الصوت بهما؛ كالأذان والتمطيط والتغنّي، فإن ذلك إحداث شعار ديني على خلاف ما عُهد عن رسول الله ﷺ وأصحابه والسلف الصالح من أئمة المسلمين[١]. . .اهـ.

١١ ـ ما يفعله بعض المؤذنين من الإسراع في الأذان وحدرِ ألفاظه على وجه يشقّ على السامعين متابعته وإجابته أو الترديد معه.

قال صاحب «الروض المُرْبع شرح زاد المستقنع»: «يستحبُّ أن يتمهل في ألفاظ الأذان»، وقال ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ في الحاشية: «يستحبّ ذلك بلا نزاع لحديث: إذا أذنت فترسل والمترسل الذي يتمهّل في تأذينه ويبيّنه بياناً يفهمه من سمعهُ، من غير تمطيط ولا مدّ مفرط»[٢]. قال فضيلة الشيخ عبد الله الجبرين: «ومن الترسل أن يقف على كل جملة من التكبيرات والتشهدات ونحوها ولا يسرد التكبيرات بنفس واحد فإنه مخالف للترسل المأمور به في الحديث. وأما حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا قال المؤذن: الله أكبر . .الله أكبر. . فقال أحدكم: الله أكبر . .الله أكبر. . إلخ. فليس هناك ما يدل على أنه ﷺ لم يقف بعد التكبيرة الأولى مع أنه قاله معلماً لمن يجيب المؤذن وكان جالساً مع المخاطبين وليس فيه تعليم للمؤذن كيفية الإلقاء، وليس فيه أربع التكبيرات ولا التشهدات فدل على أن أراد تعليم من يتابع الأذان والله أعلم.

١٢ ـ زيادة لفظة: «حي على خير العمل» مرتين بعد الحيعلتين.

قال فضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين ـ حفظه الله ـ إن هذه الزيادة تبطل الأذان؛ لأن الأذان قربة وعبادة، ولا يجوز أن يدخل فيها أحد زيادة على ما جاء عن النبي ﷺ، بل إن هذه الزيادة تعتبر تغييراً وبدعة محدثة، فيبطل بها الأذان وتبطل بها هذه العبادة، فالذي يزيد في الأذان هو كالذي يزيد في الصلاة أو في أعمال الحج أو ما أشبه ذلك[٣].اهـ.

---

(١) الإبداع في مضار الابتداع ص١٧٢.
(٢) حاشية الروض المُرْبع ٢/ ٤٣٨ بتصرف يسير.
(٣) إجابة عن سؤال حول هذه الزيادة، وقد تقدم برقم (٨٧).

وقال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ٤٢٥): «وهذه اللفظة لم تثبت عن النبي ﷺ فيما علّم بلالاً وأبا محذورة، ونحن نكره الزيادة فيه وبالله التوفيق». اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «كما يعلم أن حي على خير العمل، لم يكن من الأذان الراتب وإنما فعله بعض الصّحابة لعارض»[(١)]. اهـ. وأكثر ما يزيد هذه الزيادة في الأذان هم الروافض ـ أخزاهم الله ـ ويخالفون بها سُنّة النبي ﷺ وشرع رب العالمين.

١٣ ـ زيادة لفظة: «أشهد أن علياً وليّ الله».

هذه العبارة يزيدها كذلك الروافض ـ أخزاهم الله ـ في الأذان. وقد قال فضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين ـ حفظه الله ـ هذه الزيادة تبطل الأذان؛ لأنه زاد في هذه العبادة ما ليس منها، والكلام في حكم هذه العبارة وبدعيتها هو كما ذكرنا في زيادة: حي على خير العمل[(٢)]. اهـ.

١٤ ـ رفع صوت المؤذن ـ أو غيره ـ بالتبليغ عن الإمام من غير حاجة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: أما التبليغ خلف الإمام من غير حاجة فهو بدعة غير مستحبة باتفاق الأئمة[(٣)]. وقال في موضع آخر: ولا ريب أن التبليغ لغير حاجة بدعة، ومن اعتقده قربة مطلقة فلا ريب أنه إما جاهل وإما معاند، وإلّا فجميع العلماء من الطوائف قد ذكروا ذلك في كتبهم، حتى في المختصرات قالوا: ولا يجهر شيء من التكبير إلّا أن يكون إماماً، ومن أصرَّ على اعتقاد أنه قربة فإنه يعزر على ذلك لمخالفته الإجماع، هذا أقلّ أحواله[(٤)].

قال الشيخ علي محفوظ: فتحصَّل أن التبليغ له أصل في السُّنة وأن غالب الناس وضعوه في غير موضعه واستعملوه على غير كيفيته بما علمت،

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٣/ ١٠٣.
(٢) من إجابة عن سؤال حول هذه الزيادة، وقد تقدم برقم (٨٨).
(٣) مجموع الفتاوى ٢٣/ ٤٠٣.
(٤) مجموع الفتاوى ٢٣/ ٤٠٢.

وبأنك ترى خلف الإمام مأموماً واحداً يرفع صوته بكيفيَّة مزعجة ويقع مثل ذلك إذا كان خلفه اثنان أو ثلاثة مثلاً، وقد يكون المسجد صغيراً يعمّه صوت أضعف إمام ويقع التبليغ فيه على وجه يشوّش على من المسجد، والتشويش حرام بلا خلاف نسأل الله السلامة والهداية[١]. اهـ.

وقد لخص رَحِمَهُ اللَّهُ مفاسد التبليغ المبتدع ومخالفته في الآتي:

ـ ذهاب الحضور والخشوع والسكينة من الصلاة.

ـ أن الإمام يصير في حكم المأموم؛ لأنه ينتظر انتهاء المبلغ من التكبير الطويل قبل انتقاله للركن الآخر.

ـ أن أكثر المبلغين يبلغون لغير حاجة شرعية، فتجدهم يبلغون برغم صغر المسجد أو ارتفاع صوت الإمام فلا حاجة للتبليغ حينئذ. اهـ.

وهذه العادة ـ التبليغ عن الإمام حتى من غير حاجة ـ تعوّد عليها ودأب على عملها كثير من أئمة ومؤذني المساجد وقد يصعب على نفوسهم التحول عنها، ولكنهم إذا علموا أنهم يتحولون منها إلى سنّة واجتهدوا في ذلك أعانهم الله تعالى.

وقد ارتبط في كثير من الأماكن التبليغ بمخالفة أخرى وهي:

١٥ ـ التبليغ مع التطريب والتغني: قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «التّبليغ هو التسميع وراء الإمام، وإنّما يُتسامح به للحاجة من كثرة المصلين أو عدم صوت الإمام لجميعهم فحينئذٍ يُسمِّعُ واحد بصوته الطبيعي بلا تكليف ولا تمطيط ولا تصور لتلاحين مخصوصة» إلى أن قال: «وفي التكلف لهذه التلاحين ما فيه من صرف القلب عن معنى الذكر المطلوب وجعل التكبير على أوزان الموشحات». اهـ. فتأمل كيف أن التبليغ كان المقصود منه تنبيه المأمومين على انتقال الإمام من أركان الصلاة ثمّ تحوّل إلى تطريب وتلحين وتغنٍّ، وقد قدّمنا في المخالفة السابقة ما فيه من تشويش وإشغال للمصلين.

---

(١) الإبداع في مضار الابتداع ص١٨١.

(٢) إصلاح المساجد ص٤٦.

١٦ ـ ترك أداء تحية المسجد للداخل أثناء الأذان الثاني في صلاة الجمعة، ثمّ الانشغال بالتحية عن الإنصات للخطبة؛ وذلك أن بعض الناس إذا دخل المسجد الجامع لأداء صلاة الجمعة ووجد المؤذن يؤذن الأذان الثاني أخذ في متابعة الأذان، ثمّ إذا فرغ من المتابعة شرع في أداء تحية المسجد وقد شرع الخطيب في ابتداء الخطبة، وهذه مخالفة والصّحيح أنه يشرع فور دخوله في أداء تحيّة المسجد ليتفرّغ بعدها للإنصات للخطبة.

وممّا يؤكد أن عليه التفرغ لسماع الخطبة قوله ﷺ: «**إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوّز فيهما**»[(١)]. قال الشوكاني رحمه الله: «وليتجوّز فيهما» فيه مشروعية التخفيف لتلك الصلاة ليتفرغ لسماع الخطبة[(٢)]. اهـ.

١٧ ـ اشتغال الداخل في غير الجمعة بأداء تحية المسجد والمؤذن يؤذن، وترك الإجابة. وهذه مخالفة أيضاً والصحيح أنه ينتظر حتى ينتهي الأذان ويجيب المؤذن ثمّ بعد ذلك يصلي النافلة.

قال فضيلة الشيخ عبد الله الجبرين: «الأولى لمن دخل والمؤذن يؤذن ـ غير الأذان الثاني في صلاة الجمعة ـ أن ينتظر حتى ينتهي المؤذن من أذانه ويجيبه ثّم يتنفَّل؛ لأن إجابة المؤذن عبادة يفوت وقتها أما تحية المسجد فوقتها أوسع»[(٣)]. اهـ.

١٨ ـ سبق المجيب المؤذن ببعض العبارات، فتجد بعض المجيبين يسبق المؤذن بقول: «لا إلـه إلا الله» في نهاية الأذان، وأحياناً قد يسبق المؤذن في غيرها، مع أن الأصل أن ينتظر حتى ينتهي المؤذن من الجملة ثمّ يقولها بعده. ليكون مجيباً له، وهذه المخالفة هي من آثار إفراط بعض المؤذنين في التغني والتطريب إذ تجد المؤذن يطيل في تطريب الجملة وتلحينها فيملّ السامع

---

(١) رواه مسلم وأحمد وأبو داود.
(٢) نيل الأوطار ٣/ ٢٩٣.
(٣) من جواب حول هذه المسألة، وقد تقدم برقم (٦٩).

ويقولها قبل أن ينتهي منها المؤذن. فتأمّل كيف تجرّ المخالفة مخالفات أخرى.

١٩ ـ الجهل بأحكام الأذان؛ خاصة من المؤذنين أنفسهم، فتجد أن بعض المؤذنين لو عرض له شيء في أذانه لما عرف كيف يتصرّف؛ لأنه جاهل بالأحكام الشرعية الواردة في الأذان.

ومن آثار هذا الجهل المخالفة الآتية:

٢٠ ـ أن بعض المؤذنين إذا أحدث ـ كأن يخرج منه ريح أو صوت ـ أثناء أذانه قطعه، مع أن الحدث لا يؤثر في صحَّة الأذان، بل أذانه صحيح ويكمله. قال فضيلة الشيخ عبد الله الجبرين: «أذان المؤذن وهو على حدث صحيح ولكن الأولى أن يكون متوضئاً»[(١)]. اهـ.

٢١ ـ إجابة المؤذن داخل الخلاء وقت قضاء الحاجة، والخلاء قد نهي الإنسان أن يتلفظ بذكر الله تعالى فيه، وقد سئل فضيلة الشيخ عبد الله الجبرين عن الإنسان الذي في مكان الخلاء لقضاء الحاجة كيف يجيب المؤذن فقال: «إذا كان جالساً لقضاء حاجته، فلا يجيب لسانه، ولكن يجيبه ويردّد معه بقلبه، أو يؤخر الإجابة إلى أن ينتهي من حاجته ثمّ إذا انتهى منها ردّد ما قاله المؤذن وأجاب». اهـ.

٢٢ ـ الخروج من المسجد بعد الأذان؛ وذلك بأن يكون الرجل جالساً في المسجد لغرض من الأغراض؛ كدرس أو محاضرة ثمّ إذا أذن المؤذن خرج ولم يصلّ مع جماعة المسجد.

وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلاً خرج من المسجد بعد أن أذن المؤذن، فقال: أما هذا فقد عصى أبا القاسم[(٢)].

قال النووي رحمه الله بعد أن ساق حديث أبي هريرة: «فيه كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان حتى يصلي المكتوبة إلّا لعذر»[(٣)].

---

(١) من جواب حول هذه المسألة، وقد تقدم برقم (٦٩).
(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٦٥٥).
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٥/١٥٧، ١٥٨.

وعن سعيد بن المسيب قال: يقال: لا يخرج أحد من المسجد بعد النداء، إلّا أحد يريد الرجوع إليه إلا مُنافق[١].

وقال فضيلة الشيخ عبد الله الجبرين: «لا يجوز الخروج من المسجد بعد الأذان إذا كان يخشى أن تفوته الجماعة، أما إذا كان سيرجع أو كان سيصلي في مسجد آخر قريب ويعلم أنه سيدرك جماعته، أو كان هذا الخارج إماماً ويذهب ليصلي في مسجده فلا مانع، والحديث الوارد محمول على من تفوته الجماعة».

٢٣ ـ الاكتفاء بالأذان عن طريق مسجلات الصوت، وكثيراً ما نجد ذلك في بعض المستشفيات والفنادق والمدارس وغيرها، حيث لا يتولى رفع الأذان شخص معين وإنّما إذا حضر وقت الصلاة اكتفوا بإذاعة الأذان من شريط مسجَّل وفي هذا عدة محاذير:

١ ـ تفويت الأجر والثواب على المؤذنين.

٢ ـ فيه مخالفة لقوله ﷺ: «**إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم**».

٣ ـ أنه يرتبط بمشروعية الأذان للصلاة سنن وآداب، ففي الأذان عن طريق التسجيل تفويت لها وإماتة لنشرها[٢].

٢٤ ـ قراءة القرآن في مكبرات الصوت قبيل الأذان بزمن، وهذا نجده في يوم الجمعة قبيل الأذان وأحياناً في غيرها من الصلوات، حيث يجتهد بعض المؤذنين ويشغل شريطاً مسجّلاً لتلاوة القرآن ويرفع صوته من خلال مكبرات الصوت ليسمع الناس. يفعل ذلك قبيل الأذان بعشر دقائق تقريباً ويزعم أن هذا للبركة، والاستعداد للصلاة ونحو ذلك. وفي ذلك عدة محاذير:

١ ـ أن هذه بدعة محدثة، كما ذكر ذلك فضيلة الشيخ عبد الله الجبرين ـ رعاه الله ـ.

---

(١) أخرجهُ مالك في الموطأ ١/ ١٦٢.

(٢) أخطاء المصلين، مشهور حسن سلمان ص١٨١.

٢ ـ أن فيه إيقاع الناس في حرج عدم الإنصات والاستماع للقرآن؛ لأن الناس يسمعونه من خلال مكبرات الصوت ومع ذلك يتحدثون وقد يكون حديثهم فيه منكر فيزداد الأمر سوءاً.

٢٥ ـ أذان النساء في المدارس وغيرها؛ حيث تجد ـ أي: الطالبات في المدرسة ـ يجتمعن للصلاة فتؤذن إحداهن، والمرأة ليس عليها أذان.

قال فضيلة الشيخ الجبرين: إذا كنّ مجموعة نساء في مكان واحد وسوف يصلين جماعة واحدة فلا حرج عليهنّ إذا أقامت إحداهنّ الصلاة؛ لأن المقصود بالإقامة إعلام الحاضرين بالقيام للصلاة، أما الأذان فلا تؤذن واحدة منهنّ. اهـ.

٢٦ ـ إجابة المؤذن من غير تفكُّر ولا حضور قلب، فتجد بعض الناس إذا سمع النداء أجاب المؤذن دون أن يُحضر قلبه فيما يتكلم به من ألفاظ، فتجده يردد الألفاظ كأنها حمل ثقيل يريد أن يلقيه عنه. وما أن ينتهي المؤذن حتى يقول الأذكار الواردة على عجل وانشغال.

والأصل أن الأذان ذكر لله تعالى وينبغي لذاكر الله تعالى أن يحضر قلبه ويتفكّر فيما يقول.

٢٧ ـ عدم الإنصات للأذان وعدم الحرص على الإجابة، وهذه متعلقة بما قبلها، حيث تبلّد الإحساس بثواب إجابة المؤذن عند بعض السامعين فصار المؤذن يؤذن ولا يحرص هذا السامع على إجابته، فيضيّع على نفسه ثواباً عظيماً، بل تجد بعضهم يتحدث أو يضحك ولا يكلّف على نفسه الانشغال بالإجابة أثناء حديثه، بل يفضل الانغماس في الضحك والكلام على إجابة المؤذن.

وقد قال النبي ﷺ: «**إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن**»[(١)]. وعن أم حبيبة أنه ﷺ كان إذا سمع المؤذن يؤذن قال كما يقول حتى يسكت[(٢)].

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٩٠ فتح؛ ومسلم ٢/ ٨٤؛ وأبو داود ١/ ١٤٤؛ والترمذي ١/ ١٣٤ وغيرهم.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ٣٢٦ وغيره.

وعن ابن جريج رَحِمَهُ اللَّهُ قال: حُدثتُ أن الناس كانوا ينصتون للمؤذن إنصاتهم للقراءة فلا يقول شيئاً إلّا قالوا مثله[١]. اهـ.

٢٨ ـ عدم وضع الأصبعين في الأذنين، فتجد بعض المؤذنين يؤذن وهو مسدل يديه على جانبيه دون أن يتكلف رفعها ليضع أصبعيه في أذنيه.

روى عبد الرزاق في «مصنفه» عن أبي جحيفة عن أبيه قال: رأيت بلالاً يؤذن.. وأصبعاه في أذنيه[٢].

وقد ذكره البخاري تعليقاً فقال: ويذكر عن بلال أنه جعل أصبعيه في أذنيه[٣].

(تنبيه): قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم يرد تعيين الأصبع التي يستحبّ وضعها وجزم النووي أنها المسبّحة، وإطلاق الأصبع مجاز عن الأنملة»[٤].

٢٩ ـ وضع إحدى اليدين على إحدى الأذنين، وتجد المؤذن يتقيّد بهذا في كلّ أذان حيث يُسْدلُ إحدى يديه ويرفع الأخرى إلى أذنه، وهذا ليس بسنَّة.

وقد تقدم الكلام على أن السنّة وضع الأصبعين في الأذنين في السؤالين رقم (٢٢، ٢٣).

هذا والله تعالى أعلم. وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد.

(١) نقله ابن حجر في الفتح ٢/ ٩٢.
(٢) مصنف عبد الرزاق ١/ ٤٦٧.
(٣) فتح الباري ٢/ ١١٤.
(٤) فتح الباري ٢/ ١١٦.

الخاتمة

أحمدُ الله تعالى على ما يسَّر وأعان وأسألهُ سبحانه المزيد من فضله وإحسانه.

أخي الكريم: إذا كان لديك أيّ اقتراح أو ملاحظة أو سؤال ترى من المناسب عرضهُ على الشيخ، فلا تتردّد بالكتابة إليّ، ولك مني جزيل الشكر والدعاء.

وكتب
عبد الرحمٰن بن ملهي العريفي
ص.ب. ٦٩٤٤٦
الرياض ١١٥٤٧
المملكة العربية السعودية

المفيد في تقريب

أحكام المسافر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ العلامة
عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا هذا الإسلام ديناً، وأوضح شرائعه وتعاليمه، نحمده سبحانه على جزيل فضله وسوابغ نعمه، ونسأله المزيد من فضله وعلمه، ونشهد أن لا إلـه إلا الله، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، ونشهد أنه بلغ ما أنزل إليه وبيّنه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

وبعد؛ فقد فتح الله تعالى على الكثير من شباب هذه البلاد وغيرها ورزقهم العلم النافع والعمل الصالح، وكان من آثار هذا الفتح المبين اهتمامهم بإخوتهم وأحبابهم وحرصهم على نجاتهم وسلامتهم ببيان الحق لهم وإرشادهم إلى ما ينفعهم، وتحذيرهم عما يضرهم، وذلك عن طريق الاتصال أو التسجيل أو الكتابة أو الرسائل، وقد حصل بذلك خير كثير، فهدى الله على أيديهم من أراد به خيراً، فأنقذهم من مهاوي الضلالة، ورزقهم التمسك بالحق والحرص عليه، ومن هؤلاء هذا الشاب الذي وضع هذه الأسئلة، ولا أزكي على الله أحداً، فإن ما تحتويه من أفكار وتقديرات تدل على نصحه وحرصه على بيان الحق ونجاة المسلمين، وقد أجبت عليها ارتجالاً دون أن أتمكن من مراجعة كتب أو نصوص لضيق الوقت الذي سجلت فيه، والكثير منها بيّنت فيه أنه رأي واجتهاد وإن كان مخالفاً لبعض العلماء أو ما في الكتب والمراجع، معتمداً على الملابسات والأحوال الحاضرة وقصدي بيان ما أظنه صواباً مع الترجيح بما أراه من الأسباب الواقعية، ولا أعيب على من خالفني اعتماداً على فتوى من أحد العلماء المعتبرين سيما في المسائل المستجدة التي

طريق الجواب فيها الاجتهاد والنظر، وأنا أتقبّل كل إرشاد أو توجيه أو تنبيه على خطأ أو ما هو خلاف الأولى، وألتزم الرجوع إلى الصواب، فإن الحق ضالة المؤمن، وبكل حال فما كان صواباً فمن الله فهو الذي وفق وأعان عليه وما كان خطأ فمني ومن الشيطان والله بريء منه، والكريم من عدت هفواته.

وأسأل الله أن ينفعنا بما علمنا، وأن يرزقنا علماً نافعاً وعملاً صالحاً، والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

عبد الله بن عبد الرحمٰن الجبرين
في ٢٩/١٠/١٤١٤هـ

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجه واقتفى أثره واستنّ بسنّتهِ إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنّ مما لا شكّ فيه أن السَّفر من الأمور التي يندرُ أن يستغني عنها أحد من الناس أو تنفَك حياته عنه، فهو عارض أكيد لكثير من الناس أو أغلبهم.

وتتعدد أنواع السّفر ووجهاته فقد يكون سفراً لأداء فريضة الحج أو ابتغاء رزق أو طلب علم أو علاج أو دعوة إلى الله أو سياحة وتفكُّر في ملكوت الله أو جهاد في سبيل الله.. أو غير ذلك من الأمور المشروعة المباحة.

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل التكاليف الشرعية في السّفر دون الحضر، فخفض على الناس ما فرض عليهم من أمور الطهارة والعبادة، بأحكام وأحوال خاصّة.

والذي ينظر في حال المسافرين ـ اليوم ـ يجد أن كثيراً منهم يجهلون بعض ضروريات أحكام المسافر، فتجد أحدهم تقعُ لهُ في سفره بعض المسائل في الطهارة أو الصلاة أو غيرهما، ثمّ يجهل الجواب فيها، فيقع في عبادته الخلل.

ومن خالط الناس وسمع منهم أسئلتهم واستفهاماتهم المتعلّقة بالسّفر والمسافر، علم أنّهم بحاجة إلى كتاب يجمع أحكام السّفر بأسلوب قريب ميسَّر.

لذا جمعت بعض الفتاوى التي تعرض للمسافر، وحرصتُ على أن تكون من المسائل التي يكثر وقوعها والسؤال عنها وأغفلت المسائل نادرة الوقوع، أو الفتاوى التي تخصّ آحاد الناس.

وقد عرضتُ هذه المسائل على فضيلة الشيخ العلّامة: عبد الله بن عبد الرحمٰن الجبرين ـ حفظه الله ـ فتفضّل بالإجابة عليها وإيضاح الأحكام فيها. فجزاه الله خير الجزاء.

وقد قسَّمت هذه الفتاوى إلى أقسام خمسة:

القسم الأول: فتاوى في طهارة المسافر.

القسم الثاني: فتاوى في صلاة المسافر.

القسم الثالث: فتاوى في صيام المسافر.

القسم الرابع: فتاوى عامة للمسافر.

القسم الخامس: فتاوى تهم المسافرين إلى الخارج.

ثم الخاتمة والفهرس.

ويأتي هذا الكتاب بعد الكتاب الأول الذي كان بعنوان: «المفيد في تقريب أحكام الأذان» وهي (١٢٤ فتوى) في أحكام الأذان من إجابة الشيخ العلامة ـ حفظه الله[١] ـ.

وقد هممتُ أن أختم هذا الكتاب بذكر بعض المخالفات التي تقع في السّفر ـ كما فعلتُ في الكتاب الأول ـ ولكني خشيتُ أن يكبر حجم الكتاب فتثقل قراءته على عامّة الناس.

ومما يجدر التنبيه عليه أنني بعدما أنهيت كتابة هذه الفتاوى عرضتها مرة

---

(١) وقد قسّمت الفتاوى فيه إلى سبْعة أقسام:
القسم الأول: فتاوى في شروط الأذان والمؤذن.
القسم الثاني: فتاوى في ألفاظ الأذان وأحكامها.
القسم الثالث: فتاوى في صفة المؤذن أثناء الأذان.
القسم الرابع: فتاوى في أحكام ما يعرض لمجيب المؤذن.
القسم الخامس: فتاوى في مبطلات الأذان ومكروهاته.
القسم السادس: فتاوى في أحكام إجابة الأذان والإقامة.
القسم السابع: فتاوى متفرقة.

أخرى قبل طبعها على فضيلة الشيخ العلامة عبد الله الجبرين فراجعها وصوّب ما كان فيها من خلل ثم قدم لها.

فكل ما تجد في هذه الورقات هو من كلام الشيخ ـ حفظه الله ـ وليس لي من العمل إلا الجمع ووضع الأسئلة والترتيب فقط.

فأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل وأن ييسر إخراج الأجزاء اللاحقة، وأن يجعل هذه الورقات في موازين الأعمال الصالحات، وأن لا يجعل في النية والقصد طلب شيء غير وجه الله تعالى. والله تعالى أعلم. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

وكتب
محمد بن عبد الرحمٰن بن ملهي العريفي
الرياض في ٢١/ ١٠/ ١٤١٤هـ
ص. ب. ٦٩٤٤٦ الرياض ١١٥٤٧

القسم الأول

فَتَاوَى في طَهَارة المسافر

﴿١﴾ رجل مسافر بالسيارة ودخل عليه وقت الظهر وهو في الطريق فبحث عن ماء في سيارته وبين أمتعته فلم يجد لكنه يعلم ويجزم أنه بعد نصف ساعة سيصل إلى مكان فيه ماء، فهل يجوز له أن يتيمّم ويصلي أم يلزمهُ أن يؤخر الصلاة حتى يصل إلى الماء؟

﴿ج﴾ كان علي رضي الله عنه إذا أقبل واقترب من مكان الماء يأمرهم أن يؤخروا الصلاة حتى يصلوا إلى الماء، وكانوا إذا أرسلوا وافداً ليأتي بالماء ينهاهم عن الصلاة في أول الوقت حتى يأتيهم الماء، إلّا إذا خاف خروج وقت الصلاة قبل وصول الماء كما رواه ابن أبي شيبة وغيره.

لذلك قال الفقهاء: إن التيمّم في آخر الوقت أفضل إذا كان يرجو وصول الماء، فإذا كان الوقت يخرج والماء لم يصل فإنه يتيمّم ويصلي في آخر الوقت، وعلى هذا فله أن يؤخر الصلاة حتى آخر وقتها لرجاء الماء، فإن خاف خروج الوقت تيمّم وصلى بالتيمّم، وأما إذا تحقق بأن الماء سيصل أو علم أنه سيأتي إلى الماء والوقت باقٍ فلا يجوز له أن يصلّي بالتيمّم.

﴿٢﴾ نحن نسافر بالسيارة أحياناً ويدخل علينا وقت الصلاة وليس معنا ماء، فنُوقف السيارة ونصلي بالتيمّم، فهل فعلنا صحيح أم يلزمنا أن نحمل الماء معنا في السيارة مع أنه لا مشقّة علينا في حمله مع متاعنا؟

﴿ج﴾ بل يلزمكم حمل الماء معكم إن لم يكن عليكم مشقة في حمله ما دام أنكم عارفون ومتحققون أنكم ستحتاجون إلى الماء في أثناء السفر والطريق للطهارة كما تحملونه للشرب ونحوه، أما إن كنتم تعلمون أنكم

ستجدون الماء أثناء الطريق في المحطات أو القرى التي تمرّون بها أو كنتم تعلمون أنكم ستصلون إلى البلد الذي تقصدون قبل خروج وقت الصلاة التي تلزمكم فتصلون هناك بوضوء فهنا لا يلزمكم حمل الماء معكم.

مع أنه قد يعرض للمسافر عارض يُحوجُه إلى استعمال الماء كما لو تعطلت سيارته أو نحو ذلك فالأولى أن يكون معهُ ماء.

فحاصل الكلام: أن المسافر إن كان يعرف أنه سيأتيه الوقت قبل أن يمرَّ ببلد أو محطة أو يصل إلى بلده لزمه أن يحمل معهُ من الماء ما يتوضأ به بقدر الحاجة إن لم يكن عليه مشقّة، أما إن توفرت الأسباب وعرف أنه لا يحتاج إلى حمله لكثرة المياه في الطريق أو لِقِصرِ المسافة فلا يلزمه ذلك.

﴿٣﴾ دخل عليَّ وقت الصلاة وأنا مسافر وكاد الوقت أن يخرج وليس معي ماء ولم أصل إلى محطة أو قرية فيها ماء، فهل يلزمني التكلف في البحث عن الماء كأن أفُكَّ الـ«مطّارة» الخاصة بماء المساحات وأستعمل الماء الذي فيها أم أُعتبر غير واجد للماء ويجزئني التيمّم؟

ج لا يلزمك مثل هذا التكلف ما دام أنك تعرف عادة أنه لي معك ماء، فتصلي بالتيمّم ولا حرج وماء المساحات يحتفظ به مع قلته للمسح نفسه.

﴿٤﴾ شخص تكاسل عن حمل الماء معه عند سفره مع أنه ليس في حمله مشقة وهو يعلم أنه سيحتاج إلى الماء بعد قليل للصّلاة وليس أمامهُ محطات أو قرى قريبة يستقي منها، ولما دخل عليه وقت الصلاة تيمّم وصلى فما حكم صلاته؟

ج هذا قد يأثم بهذا التفريط، ولكن حيث دخل عليه الوقت وهو لم يجد الماء فهو في حكم المسافر العادم للماء وإن كان مفرطاً.

ولكن يلزمهُ أن يبحث عن الماء ويذهب إليه بالسيارة ليحصل عليه إن كان قريباً. أما صلاته بالتيمّم في هذه الحالة فصحيحة لكنه قد يأثم على التفريط كما ذكرنا.

﴿٥﴾ رجل مسافر في السيارة ودخل عليه وقت الصلاة فبحث عن ماء معهُ ليتوضأ به للصلاة فلم يجد فتيمّم وصلى، وبعد الصلاة رأى تحت المقعد في السيارة قارورة فيها ماء لم يكن علم بها، فهل يلزمه الوضوء بالماء وإعادة الصلاة؟

﴿ج﴾ ما دام أنه قد بذل أقصى جهده في البحث عن الماء ولم يجد فلا تجب عليه الإعادة؛ لأنه لم يقع منه تفريط في البحث عن الماء، فيكون في هذه الحالة قد تحقّق فيه قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ وقد قال النبي ﷺ للذي لم يُعِدْ: «**أصبت السُّنَّة وأجزأتك صلاتك**»، وقال للذي أعاد: «**لك الأجر مرتين**»[1].

﴿٦﴾ نحن جماعة خرجنا للنزهة في البرّ مسافة (٣٠٠كم) عن بلدنا ومعنا ماء قليل مخصّص للطعام والشراب، وإذا حضر وقت الصلاة تيمّمنا وصلينا مع أنه يوجد بجانبنا قرية تبعد نصف ساعة بالسيارة، والسيارات ـ ولله الحمد ـ متوفرة عندنا ولكنا تكاسلنا عن الذهاب إلى هذه القرية لإحضار ماء للوضوء والغُسل وقد صلينا عدة أيام بالتيمّم فما حكم صلاتنا؟

﴿ج﴾ أنتم بفعلكم مفرّطون ومتساهلون، وصلاتكم مشكوك في صحّتها ما دام أن الماء يبعد عنكم نصف ساعة بالسيارة وليس عليكم مشقة في إحضاره، والسيارات متوفرة بين أيديكم. ففي مثل حالتكم يلزمكم أن ترسلوا سيارة لتأتي لكم بالماء، ولكن لا يلزمكم إعادة الصلوات الماضية للمشقة وللعذر بالجهل.

﴿٧﴾ رجل كان مسافراً في السيارة ودخل عليه وقت الظهر وبحث عن الماء معهُ فلم يجد فهل الأولى له أن يصلي بالتيمّم في وقت الظهر أم يؤخر الظهر ليجمعهما مع العصر ويصليهما بوضوء؟ لأنه بعد دخول وقت العصر سيصل إلى مكان فيه ماء.

---

(١) رواه أبو داود وغيره، وهو في صحيح سنن أبي داود للألباني ١/ ٩٢.

ج إذا كان وقت الصلاة قد شارف على الخروج وكانت الصلاة تجمع مع ما بعدها؛ كالظهر مع العصر وكان يعلم أنه إذا خرج وقت اختيار الظهر سيبقى وقت اختيار العصر فلهُ أن يجمع جمع تأخير فيؤخر الظهر حتى يصليها مع العصر ما دام أنه يؤمل وصول الماء أو الحصول عليه قبل خروج وقت العصر، كما أن له الجمع بين الظهر والعصر إذا جدّ به السير.

٨ رجل مسافر بالسَّيارة ودخل عليْه وقت المغرب فنزل فوراً وصلى بالتيمّم لعدم الماء مع علمه بأنه سيصل إلى محطة فيها ماء بعد ربع ساعة ومع ذلك صلى بالتيمّم حرصاً على أوّل الوقت فما حكم صلاته؟

ج إذا كان متأكداً من وصوله إلى الماء جازماً بوجوده بعد قليل وصلى مع ذلك بالتيمّم فإن صلاته غير صحيحة؛ لأنه صلى بالتيمّم مع إمكان الحصول على الماء، مع أنه معذور بمواصلة السير يجوز له التأخير ولو إلى العشاء جمع تأخير فعلى هذا نختار له الإعادة.

٩ إذا لبست الخفين ثمّ مسحتُ عليهما وأنا مقيم ثمّ سافرتُ فهل أحسِبُ لنفسي مدة مسح المقيم أم المسافر؟

ج صورة ذلك أن تبدأ بالمسح وأنت مقيم فتمسح وقتاً أو وقتين ثمّ تسافر ففي هذه الحالة يغلّب جانب الإقامة؛ لأنك أمضيت بعض الوقت من مدة المسح وأنت مقيم، فنغلّب جانب الإقامة احتياطاً للعبادة، ولأنه لا يمكن التجزئة بين مدة المقيم والمسافر فلا نستطيع أن نقول: امسح نصف يوم للقيم وزِد عليها يوماً ونصفاً للمسافر، هذا تلفيق ولا يستقيم وقد نص الفقهاء على أن من مسح في حضر ثم سافر أو بالعكس أو شك في ابتدائه يمسح مسح مقيم.

١٠ إذا حدث عكس المسألة السابقة فابتدأتُ المسح على الخفّين وأنا مسافر ثمّ وصلتُ إلى بلدي، فكم تكون المدّة؟

ج إذا بدأ الشّخص المسْح وهو مسافر فمسح وقتاً أو وقتين وهو

في السَّفر ثمّ وصل إلى بلده وأقام. ففي هذه الحال أيضاً تمّ مسح مقيم تغليباً أيضاً لجانب الإقامة لأنه الأحوط، ولأن الإقامة هي الأصل ولأن المسح رخصة فلا يترك لشكٍّ فيه ولا يستعمل المسح مع وجود الشكّ في الطهارة والمدّة ولا تؤدّى الصلاة بطهارة مشكوك فيها، فيُغلّب جانب الإقامة في الحالتين.

﴿١١﴾ إذا لبستُ الخُفّين وأنا مقيم، لكني لم أمسح عليهما إلّا بعد أن سافرت فهل أُتمُّ مدة مسح المقيم أم المسافر؟

﴿ج﴾ إذا لبس الشخصُ الخفّ وهو مقيم كما لو غسل قدميه وتوضأ لصلاة الفجر ثمّ لبس خفيه ثمّ صلى الفجر وحافظ على وضوئه إلى الضحى ثمّ انتقض وضوؤه في الضحى، ثمّ سافر قبل الظهر ومسح لصلاة الظهر وهو في السَّفر ففي هذه الحال له أن يتمّ مسح مسافر لأنه ما ابتدأ المسح إلّا وهو مسافر. ومدة المسح قيل: إنها تبدأ من أول مسح ـ وهو الذي رجّحه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ـ وقيل: إنها تبدأ من أول حدث، فإذا كان كذلك فإنّنا نتجاوز ونجعل المدة تبدأ من أول مسح فيمسح مسح مسافر. والله أعلم.

﴿١٢﴾ هل يمكن أن تزيد مدّة المسح على الخفّين للمسافر عن ثلاثة أيام عند وجود العسْر والمشقة؟

﴿ج﴾ ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أن المسافر قد يواصل السَّير ولا ينزل ولو لأيام متواصلة كثيرة، وذكر أنه ذهب مرة على البريد[1] من دمشق إلى مصر وكان البريد يسرع في السَّير ويواصل دون انقطاع لمدة أسبوع، قال: فلمّا دخل الوقت وواصلنا رأينا أن المشقّة تجلب التيسير فترجّح عندي أنه لا توقيت في هذه الحال للمسافر في المسح على الخفين وأن هذا المسافر يجوز له المسح وإن طالت المدة وزادت على ثلاثة أيام أو أربعة أو ستة، هذا ما

---

(١) البريد: مراكز تُجعل أثناء الطرق بين المدن تكون فيها دواب لنقل المسافر تناوباً أثناء الطريق الطويل تعجيلاً لوصوله في زمن يسير. انظر: لسان العرب ٣/٨٦، القاموس ص٣٤١.

ذكره ورجّحه رَحِمَهُ اللَّهُ وقد عمِل بهذا أثناء سفره على البريد. وكلامه مذكور في مجموع الفتاوى في المجلد الحادي والعشرين عند كلامه عن المسح على الخفين.

وقد ذكر شيخ الإسلام أيضاً أن هذا الحكم خاصّ بمن يواصل السَّير ويشقّ عليه النزول والوضوء ونحو ذلك، ونحنُ نرى رأيه في هذه المسألة، أمّا إذا لم يشقْ عليه النزع واللبس فنرى أنه لا يزيد على المدة المحدّدة للمسافر وهي ثلاثة أيام بلياليهن هذا الذي يترجّح عندنا. والله أعلم[1].

﴿١٣﴾ رجل مسافر بالسيارة وتوقف أثناء الطريق لينام، ولما استيقظ من نومه وجد أنه أصابته جنابة وليس معه إلّا ماء قليل لا يكفي إلّا للوضوء، فماذا يفعل؟

﴿ج﴾ إن كان الماء قليلاً فيستعمله للوضوء ثمّ يتيمّم عن الغسل، أما

---

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ـ ما ملخّصه ـ: «لما ذهبت على البريد وجدَّ بنا السَّير وقد انقضت مدة المسح.. غلب على ظني عدم التوقيت عند الحاجة كما قلنا في الجبيرة.. وجاء في مغازي ابن عائذ أنه كان قد ذهب على البريد من الجمعة إلى الجمعة فقال له عمر: منذ كم لم تنزع خفّيك؟ فقال: منذ يوم الجمعة! قال: أصبت.. وهذا القول أظنه أحد القولين لأصحابنا أنه إذا كان يتضرر بنزع الخف صار بمنزلة الجبيرة.. وذلك أن طهارة المسح على الخفين طهارة اختيارية وطهارة الجبيرة اضطرارية فماسح الخف لما كان متمكناً من الغسل والمسح وُقِّت له المسح، وماسح الجبيرة لما كان مضطراً إلى مسحها لم يوقّت وجاز في الكبرى فالخفّ الذي يتضرر بنزعه جبيرة، وضرره يكون إمّا في ثلج وبرد عظيم: إذا نزعه تضرر.. أو يكون الماء بارداً لا يمكن معهُ غسلها، فإن نزعهما يتمّم، فمسْحُهما خير من التيمّم، أو.. وقوله ﷺ: «**يمسح المقيم يوماً وليلة والمسافر ثلاثة أيام ولياليهنّ**» منطوقهُ إباحة المسح في هذه المدة والمفهوم لا عموم له، بل يكفي أن لا يكون المسكوت كالمنطوق، فإذا خالفه في صورة حصلت المخالفة، فإذا كان فيما سوى هذه المدة لا يباح مطلقاً، بل يُحظر تارة ويباح أخرى حصل العمل بالحديث، وهذا واضح، وهي مسألة نافعة جداً، فإنه من باشر الأسفار في الحج والجهاد والتجارة وغيرها رأى أنه في أوقات كثيرة لا يمكن نزع الخفين والوضوء إلّا بضررٍ يباح التيمّم بدونه.. انظر: مجموع الفتاوى ٢١/ ٢١٥ ـ ٢١٧.

إن كان الماء يكفي لبعض أعضاء جسده فإنه يستعمله لِمَا استطاع من جسده ويتيمّم للباقي، كما لو كان يكفي لرأسه وعنقه ومنكبيه وعضديه وصدره فإنه يغسلُ ما يستطيعهُ ويتيمّم عن باقي أعضاء جسده حتى يجد الماء فيغتسل، لعموم قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وفي الحديث قال ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»(١).

﴿١٤﴾ رجل مسافر حضره وقت الصلاة فأوقف سيارته في محطة على الطريق ليصلي فلم يجد فيها ماءً، لكنه وجد رجلاً يبيع الماء بسعر مرتفع أكثر من سعره عادة لكنه يستطيع شراءه، فهل يجب عليه أن يشتري منه ما دام قادراً على الشراء أم يصحّ له التيمُّم؟

ج لا يجب عليه أن يشتري منه ما دام أن هذا الماء بثمن مرتفع، أمّا إذا كان الثمن معتاداً أو كان مرتفعاً بشيء يسير عن سعره الأصلي فإنه يلزمه في هذه الحالة أن يشتري ويتوضأ إن قدر، وإلّا فلا يلزمه أن يشتري بل يكتفي بالتيمّم.

﴿١٥﴾ مسافر في السيارة، ووقف في أثناء الطريق ليتبوّل فأصاب ثوبه بعض بوله وليس لديه إلّا ماء قليل قد أعدّه للوضوء، فهل يستعمل هذا الماء القليل في إزالة النجاسة أم في رفع الحدث؟

ج فيه هذه الحالة نُرجّح أنه يرفع النجاسة العينيّة، فيغسل هذا البول عنه، وذلك لأنه نجاسة محسوسة، سواء كانت هذه النجاسة في الثوب أو في البدن، فإذا غسل هذه النجاسة وانتهى ما معه من ماء فإنه يتيمّم عن الحدث؛ وذلك لأن التيمّم ورد في الأصل عن الحدث لقوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ﴾ [النساء: ٤٣]، وإنّما أُلحقت به النجاسة من باب أنها تجب إزالتها فإذا لم يجد ما يزيلها به تيمّم لذلك.

---

(١) رواه البخاري وغيره.

﴿١٦﴾ رجل مسافر في طائرة وحضرهُ وقت الصلاة فذهب إلى دورة المياه ليتوضأ فلم يجد فيها ماءً وإنّما وجد مناديل فقط، فطلب من موظفي الطائرة ماءً فأخبروه أن الماء الموجود عندهم قليل ومخصص للشرب فقط، وليس عنده تراب ليتيمّم، فماذا يفعل؟

ج في هذه الحالة يتيمّم على أرضِ الطائرة، فيضرب بكفّيه الممرَّ الذي بين الكراسي ويتيمّم عليه ثمّ يصلي حسب حاله، وقد قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وهذا الحكم فيما إذا خشي خروج الوقت قبل وصوله؛ كطلوع الشمس قبل أن يصلي الفجر، أو غروبها قبل أن يصلي العصر أو نحو ذلك.

القسم الثَّانِي

فَتَاوى في صَلاة المُسَافر

﴿١٧﴾ رجل مسافر بالسيارة ووقف بعد غروب الشمس أثْناء الطّريق ليصلي المغرب والعشاء فلمّا نزل لم يهتدِ إلى معرفة جهة القبلة، فماذا يفعل؟

﴿ج﴾ ينبغي له أن يجتهد ويتحرَّى ثمّ يصلي إلى الجهة التي يغلب على ظنه أنها هي جهة القبلة حتى لو تبيّن له بعد الصلاة أنه صلى إلى غير القبلة لم يعد.

وقد جاء في بعض الأحاديث أن الصحابة ﷺ كانوا في سفر من الأسفار فاختلفوا في القبلة ليلاً، فصلى كلّ منهم إلى جهة ولما أصبحوا تبيّن أن بعضهم قد صلى إلى غير القبلة، ولم يأمرهم النبي ﷺ بالإعادة[1].

لكن إذا كان هذا الشخص في داخل قرية أو بلد وفرّط في سؤال الناس عن القبلة وأخطأ فإنه يعيد صلاته، أما إن كان في برّ ولم يجد أحداً يسألهُ فاجتهد غاية اجتهاده وتحرى ثمّ تبيّن له أنه أخطأ فلا إعادة عليه.

﴿١٨﴾ سافر رجلان من طلبة العلم في سيارة واحدة ووقفا ليصلّيا أثناء الطريق، فأشار أحدهما إلى جهة وقال هنا القبلة، وأشار الآخر إلى جهة أخرى وقال: هنا القبلة، وكلاهما يجزم جزماً شديداً ويقطع أن القبلة من جهته التي ذكر، فكيف يصلّيان؟

﴿ج﴾ ذكر أهل العلم أنه إذا اختلف اثنان في القبلة وكلاهما يجزم بصواب نفسِهِ وخطأ صاحبه فليس لأحدهما أن يتبع الآخر في جهته ما دام

---

(١) رواه الترمذي ٢/ ٣٢١ وقال: ليس إسنادهُ بذاك.

يجزم أنّ جهة صاحبه ليست هي القبلة، بل يصلي كلٌّ منهما إلى الجهة التي يجزم أن الصواب فيها وأن القبلة إليها.

أما إن كان أحدهما متردّداً والآخر جازماً فإن المتردّد هنا يتبع الجازم، ولو كان معهما رجل ثالث ليس من أهل العلم بالجهات ولا قدرة له على الاجتهاد وإنما هو مقلد لا يعرف القبلة ولا يدري كيف يجتهد فإنه يتبع أوثقهما في نفسِه وأقربهما إلى الصواب عنده.

﴿١٩﴾ رجل يسكن في حيّ في شرق الرياض وأراد السّفر بالسيارة إلى مكة وانطلق بسيارته من بيته قبل أذان العصر بنصف ساعة ولكنه ما كاد يصل غرب الرياض عند طريق مكة حتّى أُذّن لصلاة العصر فهل يلزمهُ الإتمام، مع أنه بعد دقائق سيفارق البنيان ويسير في طريق مكة، أم يجوز له القصر لأنه تحقق فيه أنه مسافر وابتعد عن بيته كثيراً؟ أفيدونا جزاكم الله خيراً.

﴿ج﴾ إذا دخل عليه وقت الصلاة وهو لا يزال في بلده قبل أنْ يفارق البنيان فيجب عليه في هذه الحالة الإتمام؛ لأنه لم يتحقق فيه السّفر بعد.

وقد نصّ الفقهاء رحمهم الله على أنه لا يجوز للمسافر أن يترخص أو يقصر حتى يفارق عامر قريته أو خيام قومه، فلو دخل عليه وقت الصلاة وهو لم يفارقها لزمهُ الإتمام.

﴿٢٠﴾ رجل وصل إلى بلده من سفر قُبيْل أذان العشاء بعشر دقائق وهو لم يصلّ المغرب بعدُ، هل يصلي المغرب فور وصوله أم ينتظر حتى يؤذَّن للعشاء ليتحقق فيه جمع المغرب والعشاء؟

﴿ج﴾ الأفضل أن يصليها مباشرة فور وصوله؛ لأن وقت المغرب لا يزال باقياً، وليكون أدّاها في وقتها.

وإن اشتغل قبل الصلاة بشيء من واجباتها أو ما يخصّها كالوضوء أو الغسل أو تغيير الملابس ـ إن كانت متّسخة ـ فدخل عليه وقت العشاء فصلى المغرب وبعدها العشاء، فلا بأس بهذا التأخير للعذر.

﴿٢١﴾ رجل وصل بلده من سفر مع صلاة العشاء ودخل المسجد ليصلي فإذا المؤذن يقيم لصلاة العشاء هو لم يصلِّ المغرب بعد فكيف يُصلّي؟

﴿ج﴾ لا بدَّ أن يصلي المغرب قبل العشاء حتى يحصل الترتيب بين الصلاتين، ولكن كيف يصلي؟ مشايخنا المتقدمون يقولون يصلي المغرب وحده أو يصلي مع رفقته إن كان مع رفقة ولا يدخل مع من يصلي العشاء، هذا الذي يفتي به مشايخنا السابقون ـ رحمهم الله ـ وعليه الفقهاء ولكن مشايخنا المتأخرون؛ كالشيخ ابن باز ـ حفظه الله ـ ترخّصوا في ذلك وقالوا: له أن يدخل معهم بنية المغرب وهم يصلون العشاء، فإذا صلى الإمام ثلاثاً وقام للرابعة جلس هذا وقرأ التشهّد وسلم لنفسِه أو انتظرهم حتى ينتهوا من الرابعة ويُسلّم معهم، ثمّ بعد ذلك يقوم ويُصلّي العشاء، فيكون ذلك قد حصل على أجر إدراك الجماعة ويعفى عن الاختلاف بين الإمام والمأموم للحاجة، هذا قولهم والمسألة اجتهادية فيها خلاف طويل.

وأنا أختار الرأي الأول وهو رأي مشايخنا الأولين؛ كشيخنا محمد بن إبراهيم وشيخنا عبد الله بن حميد ـ رحمهما الله ـ وهذا الرأي الأول هو الذي ذكره الفقهاء في مؤلفات الفقه القديمة حيث نصوا أنه لا يصلي المغرب خلف من يصلي العشاء، والمغرب والعشاء بينهما اختلاف في العدد فهذه ثلاث والأخرى أربع فإذا صلى ثلاثاً اضطُرّ إلى مفارقتهم فيقرأ التشهّد لنفسه ويسلّم، أو اضطرّ إلى عدم المتابعة فيجلس ينتظرهم وهم واقفون أو ما أشبه ذلك.

ولا شكّ أن هذا كله اختلاف داخل في قوله ﷺ: «**إنما جعل الإمام ليؤتمّ به فلا تختلفوا عليه**»[1].

فلهذه العلل ولغيرها رجّح مشايخنا ـ رحمهم الله ـ الرأي الأول القائل بعدم صلاة المغرب خلف من يصلي العشاء، فيصلي المغرب وحده حتى والإمام يصلي العشاء، فإذا انتهى من المغرب وأدرك شيئاً من العشاء معهم فحسنٌ وإن لم يدرك صلى وحده، وإن خفّف المغرب ليدرك معهم بعض العشاء فلا بأس.

---

(١) متفق عليه.

﴿٢٢﴾ ذكرتم ـ رفع الله قدركم ـ أنه لا يصلي المغرب خلف من يصلّي العشاء، فهل يجوز أن يصلّي الظهر خلف من يصلي العصْر؟

﴿ج﴾ ذكر بعض الفقهاء أنه لا يجوز أن يصلي الظهر خلف من يصلي العصر لاختلاف النية بينهما.

ولكن الصحيح الراجح إنه يجوز ذلك لأنّه ليس هناك اختلاف في الأفعال؛ لأن العدد واحد في الركعات ولا فرق في الهيئة بينهما فيصحّ أن يصلي الظهر خلف من يُصلّي العصر ولا يضر اختلاف النيّة وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

﴿٢٣﴾ كنتُ مسافراً وحضرتني صلاة الظهر فتوقّفت في مسجد بمحطة بنزين لأُصلي فدخلتُ المسجد وأدركتُ الإمام في الركعة الأخيرة وبعدما سلّم من صلاته احترتُ هل صلى قصراً فآتي بركعة واحدة لتتمّ لي ركعتان أم قد أتمّ فأكون قد أدركتُ ركعتهُ الرابعة فآتي بثلاث ركعات، فماذا أفعل؟

﴿ج﴾ غالباً أن الصلاة في مثل هذه المساجد التي تكون على الطرق تكون صلاة قصر لا إتمام وأن الإمام غالباً يكون مسافراً ويقصر، فإذا دخلت معهُ من بداية الصلاة فلا إشكال، تقصرُ معهُ إنْ قصر وتتمُّ معه إن أتمّ.

أما إن أدركت معهُ الركعة الأخيرة من صلاة العصر ـ ما ذُكر في السؤال ـ فإنك تعمل على الأصل فتأتي بعد سلامه بركعة واحدة وتكون قد صليت ركعتين قصراً للعصر بناء على الأصل، فإذا تبيَّن لك بعد صلاتك أن الإمام لم يقصرُ أو أنّه مقيم وأتمَّ فتقوم وتأتي بركعتين تكملُ بهما ما نقصك، وقد جاء في الحديث: **«فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتمّوا»**[1].

أما إن غلب على ظنك منذ دخولك أن هذا الإمام مقيم؛ لأنه مثلاً في مسجد كبير منظّم أو وجدت بجانب المسجد بعض المساجد أو كان لباسُه وهيئته تدلّ على أنه ليس بمسافر فإنك تتمُّ صلاة مقيم احتياطاً. والله أعلم.

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة: البخاري ٢/ ١١٧ فتح؛ مسلم ٥/ ٩٨ نووي.

﴿٢٤﴾ كنتُ مسافراً فحضرت صلاة العصر فأوقفتُ سيارتي عند مسجد محطة بنزين ودخلتُ مع الإمام بنية القصر، ولما جلس للتشهد الأول ظننتُ أنه سيسلّم فإذا به يقوم إلى الركعة الثالثة ويصلي صلاة مقيم أربع ركعات، فهل أعتمد على نيتي الأولى وأسلم من ركعتين أم أقوم معه وأصلي أربع ركعات؟

﴿ج﴾ يجب عليك أن تقوم معهُ وتغيّر نيّتك من نية قصر إلى نية إتمام وتصلي معهُ أربع ركعات، فإن المسافر إذا صلى مع المقيمين صلى أربعاً لقول ابن عباس: تلك السّنة.

﴿٢٥﴾ رجل أراد العمرة فسافر بالطائرة من الرياض إلى جدة بعد صلاة الفجر وقد حجز للعودة بالطائرة إلى الرياض بعد صلاة العشاء، فهل يجوز له أن يقصر هناك الظهر والعصر والعشاء؟

﴿ج﴾ لا يجوز له أن يقصر ما دام أنه عازم على الرجوع في يوم، حتّى لو سافر إلى بلد بعيد كما لو سافر في الصباح إلى مصْر وعاد في المساء فلا يترخص برخصِ السّفر ما دام أنه جازم على العودة في يومه، فإن اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية إن رجع في يومه لا يسمى مسافراً ولو قطع مسافة طويلة لا تقطع عادة إلا في عدة أيام فعنده رَحِمَهُ اللَّهُ أن العبرة في السفر بالزمن الذي يقضيه لا بالمسافة[1].

﴿٢٦﴾ مسافر صلى الظهر بمسافرين ونوى القصر، ولكنه نسي وقام إلى ركعة ثالثة، ثمّ تذكر بعدما قام وبدأ في الفاتحة فهل يرجع؟

﴿ج﴾ نعم؛ يرجع لأنه دخل بنية أنه مسافر، وهذه الركعة الثالثة تعتبر زيادة، فهي كالخامسة في حق المقيم، هذا هو الراجح لأنه ما نوى هو ومن معهُ إلّا صلاة ركعتين.

﴿٢٧﴾ رجل مسافر كبّر لصلاة الظهر وهو ناسٍ أنه مسافر، فلمّا دخل في الصلاة تذكر أنه مسافر فنوى القصر، فهل يجوز له ذلك، مع العلم أنه دخل الصلاة وفي نيته الإتمام؟

---

(١) راجع سؤال رقم (٩٨).

ج نعم، لا بأس بذلك فيقلب نيته من الإتمام إلى القصر ولا شيء عليه حيث لم يعمل ما تختل به صلاته وأنه مسافر يصلح له أن يترخص بالقصر.

﴿٢٨﴾ رجل مسافر صلى الظهر في مسجد مقيمين فقدّموه ليصلي بهم فلمّا كبّر للصلاة نوى القصر ولكنه لما دخل في الصلاة خشي أنه إن صلى ركعتين أن يلتبس الأمرُ عليهم أو يضطربوا، فغيّر نيتهُ من القصر إلى الإتمام وصلى بهم أربعاً فما حكم صلاته وصلاة من خلفهُ؟

ج لا بأس بفعله وصلاته صحيحة وصلاة من خلفه كذلك، بل حتى لو ابتدأ الصلاة منفرداً وهو مسافر بنية القصر ثمّ جاءهُ أُناس مقيمون ودخلوا معهُ فأراد إتمام الصلاة مراعاة لهم جاز له ذلك.

وإن سلم من ركعتين ثمّ قال لهم: أتمّوا صلاتكم فإني مسافر فهو أولى وهو الأصل، كما ورد من فعله ﷺ مع أهل مكة في غزوة الفتح[1].

﴿٢٩﴾ إذا كان المسافر على الطريق بسيارته فأيهما أفضل أن يقف ويصلّي كلّ صلاة في وقتها أم يجمع الصلاتين؟

ج يفعل الأيْسر عليه، ولكن العادة أن المسافر يحبُّ قطع الطريق بسرعة ولو كان ممن لا مشقة عليه في الوقوف، ولكنه يملّ غالباً من الطريق ويكره الوقوف فهنا الأفضل والأولى له الجمع.

﴿٣٠﴾ رجل مسافر وصل إلى بلده بعد صلاة العصر وهو لم يصلّ الظهر ولا العصر بل كان جمعهما جمع تأخير، فهل إذا صلى الظهر يتمّ أم يقصر؟ مع العلم أن الظهر دخل عليه وهو مسافر.

ج يجب عليه أن يصلي الظهر والعصر أربعاً وأربعاً تامة دون قصر وذلك لأنه انتهى من سفره وأصبح في حكم المقيم.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، باب «صلاة المسافر إذا كان إماماً»، وأخرجه غيره، وقال محقق جامع الأصول: إسناده صحيح.

﴿٣١﴾ كنتُ نائماً قبل الظهر ولم أستيقظ إلّا مع صلاة العصر فذهبتُ إلى المسجد وصليت العصر ثمّ سافرت في السيارة، ولما وقفتُ لأصلي المغرب تذكرتُ أنني لم أُصلّ الظهر، فهل أصليها الآن في سفري تامة أم أطبّق عليها أحكام السّفر وأقصرُها؟

﴿ج﴾ ذكر الفقهاء أنه لو ذكر صلاة سفر في حضر أتمّ ولو ذكر صلاة حضر في سفرٍ أتمَّ وذلك بناء على أن الأصل هو الإتمام.

فيلزمه أن يتمّ في الحالتين.

فلو ـ مثلاً ـ نسي الظهر في بلده وسافر وبعدما صار في أثناء الطريق تذكر صلاة الظهر ـ وهو في السّفر ـ فإنه يصليها أربعاً تغليباً لجانب الحضر.

وكذلك الأمر بالعكس لو دخل عليه وقت الظهر وهي في السَّفر ونسيها ولم يذكرها إلّا بعدما وصل إلى البلد في الليل فإنه يصليها أربعاً تغليباً لجانب الحضر.

﴿٣٢﴾ بعدما وصلتُ من سفري وأمضيت عند أهل أربعة أيام تذكرت أنني صليت العشاء أثناء سفري وأنا على غير طهارة وجزمتُ بذلك، فهل يجب عليَّ إعادتها وهل أصليها الآن ركعتين أم أربعاً؟

﴿ج﴾ نعم؛ يجب عليك إعادتها وتصليها أربعاً، وقد ذكرنا أن الفقهاء قالوا: من ذَكرَ صلاة سفر في حضر أتمَّ تغليباً لجانب الحضر حتى وإن كانت وجبت عليك في السَّفر ركعتين، لكن ما دام أنك ستصلّيها وأنت مقيم فتصلّيها تامة أربع ركعات.

﴿٣٣﴾ قوله: «الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب»[1]، وكذلك ما جاء في الحديث من النهي عن سفر الرجل وحيداً، هل يعمّ ذلك زمننا هذا فيُنهى الشخص عن السَّفر وحده بسيارته على الطرقات؟!

---

(١) رواه مالك في الموطأ في باب ما جاء في الوحدة في السّفر، وقال محقق زاد المعاد: إسناده حسن.

ج النهي الوارد في الأحاديث المذكورة لا ينطبق على زمننا هذا لأنّ كثيراً ممّا يقع في زمننا هذا قد لا يُسمَّى سفراً، فما كان بمقدار (٢٠٠كم) أو نحوها لا يسمَّى سفراً لقصر المدة فهو يُقطع في ثلاث ساعات أو نحوها.

وثانياً: أنه لا يقع للمسافر على الطريق وحدة أو خلوة بل الطرق ممتلئة بالسيارات والناس ذهاباً وإياباً، وهو أثناء سيره بسيارته يشاهد أمامهُ مسافرين وخلفهُ كذلك، فلا يعتبر وحيداً في هذا الطريق، بل الناس على جانبيه وأمامهُ وخلفه.

أما الحديث الذي فيه: «**الراكب شيطان...**»[1]. والحديث الآخر: «**لو يعلم الناس ما في الوحدة ما سافر رجل وحده**»[2]، فإن المراد بهذه الأحاديث الوحدة التي يسلك فيها المسافر طريقاً خالياً ويمشي فيه مُدّة طويلة لا يرى فيه أحداً، ولا شكّ أنه في هذه الوحدة في الطريق المنقطع الموحش قد يتعرض لمخاطر؛ كأن ينفد طعامهُ ويهلك أو يخطئ الطريق أو يعترضهُ قطاع الطريق أو تؤذيه السباع والهوام إلى غير ذلك، فيكون بتوحده في سفره قد عرض نفسهُ للأخطار، لذا جاء النهي عن سفرِ الوحدة.

﴿٣٤﴾ رجل يعمل سائقاً لشاحنة وسفره دائم متكرر فتمضي عليه الأيام والأشهر وهو يسافرُ بين المدن ينقلُ البضائع ونحوها، فهل يجوز لمثل هذا أن يترخص برخصِ السّفر؟

ج نعم؛ له أن يترخص برخص السفر ما دام في أثناء الطريق ولكن إذا وصل إلى إحدى البلاد التي يقصدها فإن الرخصة تنقطع عنه ويصبح في حكم المقيم.

فلو كان يتردّد ـ مثلاً ـ بين الرياض والدمام فإنه إذا وصل إلى الدمام لا يترخص بل يصوم ويتمّ الصلاة إذا كان له سكن يقصده ولو بالأجرة أو القرابة، وإذا وصل إلى الرياض كذلك صام وأتمَّ الصلاة، أمّا خلال الطريق

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري.

بينهما فله الترخص بجميع رخص السّفر وإن كان هذا حالهُ طول حياته.

﴿٣٥﴾ عندما نجمع صلاتين كالظهر والعصر أو المغرب والعشاء فكيف تكون الأذكار بعدهما؟

﴿ج﴾ الأحوط هنا للمصلي أن يأتي بأذكار الصلاة الأولى ثمّ يأتي بعدها بأذكار الصلاة الثانية، إذا تمكن من ذلك، فلو جمع الظهر والعصر فإنه يسبّح ثلاثاً وثلاثين ويحمد ثلاثاً وثلاثين ويكبّر ثلاثاً وثلاثين لصلاة الظهر ثمّ يأتي بمثل ذلك لصلاة العصر، هذا هو الأحوط والأفضل.

وإن اقتصر على أذكار الصلاة الأخيرة منهما دخلت فيها أذكار الصلاة الأولى؛ لأنه لم يقف بين الصلاتين ولم يقطع الاتصال بينهما بمجلسٍ يطول فيه كلامه، فيكتفي حينئذٍ بأذكار الصلاة الأخيرة.

وكذلك المغرب والعشاء يأتي بأذكار واحدة منهما وتسقط أذكار الصلاة الثانية، وإن كان الأفضل الإتيان بهما معاً.

﴿٣٦﴾ إذا صلى المسافر بالمقيمين فأيّهما أولى له القصر أم الإتمام؟

﴿ج﴾ ينبغي للإمام أن يُراعي حال المأمومين فإن كان المسافرون من المأمومين هم الأغلب والأكثر فإنه يصلي بهم قصراً أو يشير لغير المسافرين أن يتمّوا بعدما يسلّم كما كان النبي ﷺ يفعل حيث كان يدخل أحياناً ومعهُ أكثر الجيش فيصلون في الحرم فكان يصلي بهم ركعتين ـ والجيش عشرة آلاف ـ أمّا غير المسافرين الذين أسلموا وصَلّوا معهُ من أهل مكة فهم أقلّ من هؤلاء المسافرين فكان ﷺ يقصر ثمّ يقول: **«أتمُّوا صلاتكم يا أهل مكة فإنا قوم سَفَرٌ»**[1].

وإذا كان المسافر واحداً والمجموعة المقيمون الذي يصلون معهُ أكثر فالمختار له أن لا يصلي بهم أصلاً بل يصلي بهم واحد منهم، وإن صلى بهم فالأولى له أن يتم لأنه لو قصر لجعلهم ـ مع كثرتهم ـ يؤدّون بعض الصلاة

---

(١) تقدم تخريجه في السؤال رقم (٢٨).

منفردين، بالإضافة إلى أن بعضهم قد يكون جاهلاً فلا يعرف إتمام الصلاة فتلتبس عليه الصلاة أو قد يرتبك أو نحو ذلك.

﴿٣٧﴾ كنا مرة في سفر بالسيارة فجمعنا المغرب والعشاء جمع تقديم، وبعدما انتهينا من صلاة العشاء قام بعضنا ليصلي الوتر مع أنه لا يزال في وقت المغرب، فما حكم فعله؟

﴿ج﴾ يجوز له ذلك ولا حرج، ولكن ما دام أنه سيصلي الوتْر وحده ولا مشقّة عليه فالأولى له أن يؤخر الوتر إلى أن يدخل وقت العشاء. هذا هو الذي نختاره ونُفضِّله مع أن الأمر الأول جائز والفقهاء قد نصّوا على أنه يصليها بعد العشاء ولو قُدّمت ولكن المسألة فيها خلاف والخروج من الخلاف أولى، فيُفضّل أن يؤخر وتره إلى دخول وقت العشاء احتياطاً خاصاً مع عدم المشقّة عليه.

﴿٣٨﴾ لو كان جمع المغرب والعشاء من غير سفر كمطر ونحوه، فهل يجوز أيضاً أن يصلي الوتر مباشرة ولو في وقت المغرب أم يؤخرها حتى دخول وقت العشاء؟

﴿ج﴾ الجواب في هذه المسألة كالجواب في المسألة السابقة الأمر جائز لكن تأخيره للوتر حتى دخول وقت العشاء أفضل.

﴿٣٩﴾ رجل حمل حاجاته في سيارته وركب يريد السّفر قُبيْل أذان الظهر، وما كاد يستوي على السيارة حتى أُذِّن لصلاة الظهر، فهل يلزمهُ أن ينزل ويجيب النداء ويصلي مع الجماعة أم يُصلي على الطريق إذا انطلق؟

﴿ج﴾ إذا كان قد ركب سيارته وتهيّأ للسّفر وعزم عليه فلهُ أن يُصلي على طريقه، ولكن يلزمه أن يصليها أربعاً فإن وجد جماعة في المساجد التي على طريقه فحسنٌ، وإن لم يجد جماعة وصلاها منفرداً فلا بأس ولكن لا بدَّ أن يصليها أربعاً تامة لأنّهُ لزمتْهُ الأربع قبل أن يفارق البلد.

﴿٤٠﴾ هل الجمع الذي يكون للحاجّ في عرفة بين الظهر والعصر جمع تقديم هو لأجل السَّفر أم النُّسك؟

﴿ج﴾ بل لأجلِ النّسك أي: لأجل الحج والوقوف بعرفة فيُصلي الحاجّ الظهر والعصر جمع تقديم في وقت الظهر.

الحكمة من ذلك إطالة وقت الوقوف والدعاء بعرفة وليتفرّغ الحاجّ للدعاء والتضرّع إلى الله تعالى من وقت الظهر إلى غروب الشمس.

أما الجمع في مزدلفة فقد كان الناس قديماً يسيرون من عرفة إلى مزدلفة بعد الغروب على رواحلهم ودوابّهم ولا يصلُّون إلى مزدلفة إلّا بعد ساعتين أي: بعد دخول وقت العشاء، فيصلُّون المغرب والعشاء في وقت العشاء جمع تأخير.

أما الآن فالناس يتفاوتون، فمنهم من يقطع الطريق في خمس دقائق فيصل في وقت المغرب فهذا نقول له: لك الجمع أيضاً عندما تصل إلى مزدلفة فإذا وصلت فصلِّ الصلاتين فوراً؛ لأن بعض أهل العلم ذكر أن الجمع في مزدلفة نُسك، ومن الناس من يؤخره زحامُ السيارات فلا يصل إلّا في نصف الليل أو آخره فنقول له: لك تأخير الصلاتين إلى أن تصل مزدلفة بشرط أن لا يخرج وقت العشاء فإن خشي الوقت صلاهما في الطريق، فإن من الناس من يحتبس إلى طلوع الفجر أو بعده فلا يجوز له التأخير وهو يقدر على الإتيان بالصلاة ولو منفرداً.

﴿٤١﴾ أُسافر أحياناً في الطائرة قبل أذان الفجر ولا تصل الطائرة إلّا بعد طلوع الشمس فكيف أُصلي الفجر، هل أؤجّلها إلى وصولي أم أُصليها في الطائرة وكيف أصليها؟

﴿ج﴾ في هذه الحالة تجب عليك الصلاة قبل خروج الوقت وتُصلّي على قدرِ الاستطاعة، فإن تمكنت من الصلاة قائماً وإلّا صلِّ جالساً وتومئُ بالركوع والسّجود، وتجعل السّجود أخفض من الركوع وتحرص على استقبال القبلة إن تمكّنت وإن لم تتمكّن فصلّها لأي جهة حرصاً على أدائها في وقتها.

﴿٤٢﴾ عند الصلاة في الباخرة أثناء السَّفر هل يجب القيام أثناء الصلاة مع أنّها قد تهتزّ فيقع القائم؟

﴿ج﴾ الأصل أنه يجب عليه القيام واستقبال القبلة وإن لم يتمكّن من القيام صلى جالساً.

﴿٤٣﴾ ركبتُ الطائرة للسّفر قبل أذان الظهر (الساعة ١٢ ظهراً) وأعلم أن الطائرة لنْ تصل إلّا في الساعة الخامسة والنصف؛ أي: قبل المغرب بساعة، فهل يجوز لي أن أُصلي الظهر والعصر في الطائرة أم أجمعهما حتى أنزل وأصليهما؟

﴿ج﴾ ما دام أنك ستصل قبل خروج وقت صلاة العصر فالصواب في هذه الحالة أن تجمع الظهر مع العصر جمع تأخير وتصليهما بعد نزولك من الطائرة.

وكذلك لو ركب المسافر الطائرة قبل المغرب وهو يعلم أنه سيصل إلى البلد المقصود قبل أذان الفجر فإنه يجمع المغرب والعشاء جمع تأخير ويصليهما بعدما ينزل من الطائرة ولا يجزئه أن يصليهما في الطائرة مع اتّساع الوقت وإمكان صلاتهما بعد الوصول وقبل خروج وقت الثانية. والله أعلم.

﴿٤٤﴾ أحياناً أُسافر في القطار وأركب فيه بعد صلاة العصر ولا يصل إلّا بعد صلاة العشاء فهل الأولى أن أصلي فيه المغرب والعشاء ـ مع إمكان القيام واستقبال القبلة ـ، أم أجمعهما جمع تأخير وأُصليهما بعد الوصول والنزول منه؟

﴿ج﴾ إن لم يكن عليك مشقة في الصلاة فيه وأنت تستطيع استقبال القبلة وإتمام الركوع والسجود والقيام والطمأنينة فصلِّ فيه؛ لأن الصلاة في الوقت أولى من الجمع.

أما إن فُقد شيء من ذلك فالأولى أنْت تجمعهما وتصليهما بعد وصولك.

﴿٤٥﴾ فضيلة الشيخ، هل الجمع يكون دائماً مرتبطاً بالسَّفر؟

ج ليس من شرط الجمع أن يكون في السَّفر بل قد وردت حالات في الشرع يجوز فيها الجمع مع عدم السَّفر، منها:

* الجمع للمطر عندما يشتدّ ويستمرّ ويحبسُ الناس ويكون الطريق مليئاً بالطين والدحض ومزلّة الأقدام ففي هذه الحالة يجوز تقديم العشاء مع المغرب فتُجمعان جمع تقديم. ومثله في الظهرين تُقدّم العصر مع الظهر إذا كان الطريق شاقاً خطراً كما ذكرنا فيجوز الجمع كذلك تخفيفاً على الناس الذي ينحجزون في بيوتهم لعجزهم عن السير في المطر والدحض.

* والجمع للمرض، فالمريض الذي يشقّ عليه أن يتوضأ لكلّ صلاة ويصعب عليه الجلوس للصلاة والتهيؤ لها يجوز له أيضاً جمع التقديم أو التأخير حسب الأسهل عليه منهما.

* وجمع المستحاضة كذلك إذا كانت تغتسل لكلّ صلاة ويشقّ عليها الاغتسال فإنّها يجوز لها أن تجمع الصلاتين، وإن كان بعض العلماء يقول: إن جمع المستحاضة جمع صوريّ وهو تأخير الظهر وتعجيل العصر، فتُصلّي الظهر في آخر وقتها والعصر في أوّل وقتها وكذلك تفعل بالعشائين.

﴿٤٦﴾ رجل مسافر إلى مكّة ووصل إليها في وقت الظهر وهو متعب تعباً شديداً وخشي أن يُصلي الظهر وينام فلا يستيقظ لصلاة العصْر، فصلى الظهر والعصر جمع تقديم وهو في سكنه الذي استأجره، ثمّ نام إلى المغرب فما حكم فعله؟

ج له ذلك ما دام أنه جاء وهو مسافر فيكون كما لو صلاهما في الطريق، خاصة أنه متعب ومُرهق ويخشى إذا استمرّ في النوم أن لا يستيقظ إلّا في الليل فهنا نعتبره مسافراً وقد رخص بعض العلماء في الجمع لكل من جاز له القصر.

﴿٤٧﴾ لو فعل هذا الرجل مثل هذا الجمع من غير تعب ولا ضرورة ولكنه يقول: هذا الجمع أكثر راحة لي، فما رأيكم في فعله؟

ج إذا كان ليس متعباً فلا يجوز بل يلزمه أن يصلّي كل صلاة في وقتها لعدم الضرورة والمشقّة.

﴿٤٨﴾ خرجتُ مع جماعة من أقربائي في فصل الربيع للنزهة في البرّ وقطعنا مسافة (٣٠٠كم) عن بلدنا فهل يجوز لنا خلال إقامتنا أسبوعاً أو أسبوعين أن نجمع بين الصلاتين لأن ذلك أيسر علينا؟

﴿ج﴾ لا ينبغي لكم التساهل بالجمع والتهاون بأمر الصلاة ما دام أنكم نازلون ومقيمون أو شبه مقيمين.

ولا ينبغي أن تجمعوا بل تصلون كلّ صلاة في وقتها ولو مع القصر إذا تحقّقت فيكم شروط السّفر وإن كان سفركم سفر نزهة.

﴿٤٩﴾ متى يجوز الجمع بين الصلاتين للمسافر هل هو مع المشقة فقط؟

﴿ج﴾ من المعلوم أنه يجعل للمسافر مثلاً من الدمام إلى مكة الذي يواصل السَّير في هذا الطريق الطويل أن يفعل الأسهل عليه سواء جمع تقديم أو جمع تأخير، ويقاس على ذلك كلّ مسافر يأتيه الوقتان وهو في أثناء الطريق.

﴿٥٠﴾ ما معنى قولنا جمع تقديم وجمع تأخير، هل يشترط أن يكون في وقت إحدى الصلاتين بالضبط؟ أم ماذا؟

﴿ج﴾ صورة جمع التقديم أن يدخل عليه وقت الظّهر وهو نازل في مكان ولكنه عازم على المسير في لحظته فهنا يؤذن ويصلي الظهر في وقتها ويقدم العصر معها، ثم يواصل السّير إلى الليل ثمّ ينزل ـ ويكون قد أمضى وقتاً طويلاً بين النُّزوليّن ـ ثمّ يصلي المغرب والعشاء جمع تقديم في وقت المغرب ثمّ يسير إلى أن يصل مقصوده، فهذا جمع التقديم.

أما جمع التأخير فصورته أن يرحل من منزله قبل زوال الشمس بنصف ساعة أو نحوها فيدخل عليه الظهر وهو جادٌّ في السّير فيشقّ عليه أن يقطع سيره فيواصل حتى يدخل عليه وقت العصر فينزل ويصلي الظهر والعصر جمع تأخير، ثمّ يواصل سيره فيدخل عليه وقت المغرب وهو جادٌّ في السّير ويكرهُ الوقوف فيؤخر المغرب حتى يدخل وقت العشاء، فيصلي المغرب والعشاء في وقت العشاء جمع تأخير، ثمّ يبيت إن شاء أو يواصل، هذا هو معنى قولنا: جمع تقديم وجمع تأخير.

﴿٥١﴾ رجل مسافر من مكة إلى الرياض، وقبل أن يصل إلى بلده (الرياض) توقف وصلى الظهر والعصر جمع تقديم في وقت الظهر، ثمّ وصل إلى بيته قبل دخول وقت العصر، فهل يلزمهُ إذا سمع النداء لصلاة العصر أن يُجيب النداء ويُصلّي مع الجماعة؟

﴿ج﴾ نعم؛ يجب عليه إجابة النداء، وذلك لعدّة أمور:

ـ لأنه مقيم وفي بلده وبيته.

ـ ولأنه صلى العصر قبل أن تلزمه فهي لا تلزمهُ إلّا بدخول وقتها، وقد صلاها قبل دخول وقتها.

ـ لأنه صلّاها قصراً وعند وجوبها صار من أهل الإتمام حيث وصل إلى بيته وأهله.

فالذي أرى أنه يلزمه أن يجيب النداء ويصليها مع الجماعة أربعاً، أما الصلاة الأولى التي جمعها مع الظهر فتكون نفلاً، ولا تجزئه الصلاة الأولى لأنّه صلاها ركعتين وفرضه أربع وما نقل عن بعض الصحابة من صلاها قصراً وهو ينظر إلى المدينة لا ينافي ما ذكرنا، فإن الراكب إذ ذاك قد ينظر إليها ولا يصلها إلا بعد زمن طويل بخلاف هذا الزمان.

﴿٥٢﴾ فضيلة الشيخ: في عكس المسألة السابقة، لو وصل إلى البلد الذي سافر إليه، كأن يسافر رجل من الرياض إلى الطائف وقبل أن يصل إلى الطائف توقف بسيارته وصلى الظهر والعصر جمع تقديم ثمّ وصل الطائف قبل أذان العصر بنصف ساعة فإذا سمع النداء للعصر هل يلزمه إجابة؟

﴿ج﴾ الحكم كما ذكرنا في الجواب السابق، فإن أمكنهُ أن يسكن أو يستأجر قبل دخول وقت العصر فعليه إجابة النداء، أما إذا دخل عليه وقت العصر وهو لم يستقرّ ولم يسكن بل لا يزال يطلب مسكناً ويبحث عن بيت أو شقة ففي هذه الحالة يكون في حكم المسافر وتجزئه الصلاة الأولى ولا يلزمه إجابة النداء.

﴿٥٣﴾ رجل مسافر وقف في مسجد قرية أثناء الطريق ليصلي الظهر

فأدرك مع الإمام المقيم آخر ركعتين من الصلاة، فهل يجوز له أن يسلّم معهُ وتجزئه الركعتان؛ لأن فرضهُ في الأصل ركعتان أم يلزمه الإتمام؟

ج لا يجوز له أن يُسلّم من ركعتين، بل إذا صلى المسافر مع المقيم لزم المسافر الإتمام كالمقيم.

وقيل لابن عباس رضي الله عنهما: ما بال المسافر إذا صلى وحده صلى ركعتين وإذا صلى مع الجماعة صلى أربعاً، قال: تلك السّنة. فدلّ ذلك على أنه يلزمهُ الإتمام.

٥٤ لو أدرك المسافر مع الإمام المقيم التشهّد الأخير من صلاة الظهر ولم يدرك شيئاً من الركعات، فهل يجوز له أن يأتي بركعتين فقط بعد سلام الإمام؛ لأنه لم يدرك الجماعة أصلاً؟

ج لو أدرك المسافر التشهّد الأخير مع الإمام المقيم فإنه يلزمه في هذه الحالة إذا سلم الإمام أن يقوم ويصلي أربعاً وذلك لعموم قوله ﷺ: «**فما أدركتم** ـ أي: مع الإمام من الصلاة ـ **فصلوا وما فاتكم فأتمّوا**»[1] وقوله: «**إنما جعل الإمام ليؤتمّ به فلا تختلفوا عليه**»[2]، فهذه كلّها أحاديث تأمر المأموم بقضاء ما فاته من صلاة الإمام بعد سلامه، فيلزم من صلى مع القيم أن يصلي صلاة المقيمين.

٥٥ رجل في بيته عزم على السّفر وحمل حاجاته في سيارته فحضرت صلاة الظهر فأراد أن يصلي الظهر والعصر تامّتين جمع تقديم في وقت الظهر؛ لأن هذا يسهّل عليه ويُيسِّر فهل يجوز ذلك؟

ج لا يجوز له ذلك ما دام أنّه لم يزل في بلده، ولا يتحقق أنه سافر حتى يجدَّ في السَّير ويخرج من البلد.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

﴿٥٦﴾ ذكر بعض أهل العلم أن القصر في السّفر واجب على المسافر، فما رأيكم في هذا؟

﴿ج﴾ هذه المسألة فيها خلاف بين أهل العلم، والذين قالوا بالوجوب استدلوا بحديث: «**صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر**»[١] وبحديث عائشة رضي الله عنها: «إن الله فرض الصلاة ركعتين ركعتين فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة زيد في صلاة الحضر وأقرت صلاة السَّفر»[٢]، ولكن الصحيح أن الصلاة استقرت على أربع ركعات وأن القصر في السّفر عارض على الصلاة وهو من الرّخص ولهذا يُسمّى قصر الصلاة رُخصة سفر، والأصل أن الرّخص تُفعل عند المناسبة وتُفعل عند وجود سببها، فعلى هذا نقول إن قصر الصلاة في السّفر ليس واجباً ولكنه أفضل وأولى مع المشقّة، وأنه جائز مع عدم المشقة لكنه ليس هو الأفضل وأنه ممنوع مع عدم السّفر أو عدم العذر.

ومن الأدلة على ما ذكرنا من عدم وجوب القصر في السفر:

ـ حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ في السّفر يقصر ويتمّ ويصوم ويُفطر»[٣]، وفي رواية قالت: «كان رسول الله ﷺ يقصر وأُتمُّ»، وفي رواية: «قالت: يا رسول الله قصرت وأتممْتُ وأفطرت وصمْتُ فقال: أحسنتِ يا عائشة»[٤] فأقرها على مخالفته، وإن كان بعض العلماء لم يصحّح ذلك كالإمام ابن القيم رحمه الله[٥].

ـ ولكن ثبت في الصحيح أنها كانت تتمّ في السفر بعد النبي ﷺ فقيل لماذا؟ قال: تأولت كما تأوّل عثمان[٦]؛ أي: أن عثمان صلى في مِنى أربع

---

(١) رواه النسائي ٣/ ١١٨؛ وابن ماجه (١٠٦٤)؛ وصححه ابن حبان (٥٤٤) عن عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري ٢/ ٤٧٠؛ ومسلم (٦٨٥).

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ١٥٧ وأشار إلى ضعفه.

(٤) رواه البيهقي ٣/ ١٤٢؛ والدارقطني ٢/ ١٨٨، وقال محقق زاد المعاد: إسناده صحيح ١/ ٤٧٢.

(٥) انظر: زاد المعاد ١/ ٤٦٥.

(٦) رواه البخاري ٢/ ٤٧٠؛ ومسلم (٦٨٥) عن ابن عباس.

ركعات تماماً واختلفوا في عذره ومع ذلك تابعهُ الصحابة الذين كانوا يصلون معهُ، فكان ابن عمر ﷺ إذا صلى معهُ صلى أربعاً وإذا صلى في رحله صلى ركعتين، وكان ابن مسعود يصلي أربعاً حتى لو صلى في رحله، وهو مع ذلك يرى أن ذلك خلاف ما فعله النبي ﷺ حتى كان يقول:

ليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان[١]. واستدل في المغني بقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا﴾ [النساء: ١٠١] وبقول النبي ﷺ لعمر: «**صدقة تصدّق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته**»[٢][٣].

فإقرار الصحابة لعثمان، وفعلُ عثمان ﷺ مع وجود الصحابة دليل على أن القصْر ليس واجباً وإنما هو رخصة كسائر الرخص. والله أعلم.

﴿٥٧﴾ فضيلة الشيخ: ما دام أن القصر ليس واجباً فكيف الجواب عن حديث عائشة ﷺ: «إن الله فرض الصلاة ركعتين ركعتين..»[٤] الحديث، فجعلت الركعتين في السّفر هما الأصل المشروع المفروض؟

﴿ج﴾ نعم؛ أول ما فرضت الصلاة ركعتين ثمّ زيدت إلى أربع، وقولها: أقرت صلاة السّفر: كلام منها ﷺ ومعناه: أن صلاة السّفر ركعتان كما هو المشاهد وليس معناه أنه قيل لهم: لا تزيدوا في صلاة السّفر وإنّما بقيت ركعتان كما هو معروف ومشاهد. وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١].. وهذه الآية استدل بها الإمام ابن قدامة ﷺ في «المغني» على أن الإتمام وأن القصر لا جناح فيه وإنما هو جائز لأجل التخفيف[٥] وأنه رخصة.

وفي حديث يعلى بن أمية أنه قال لعمر: أرأيت قول الله تعالى: ﴿فَلَيْسَ

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٤٦٥؛ ومسلم (٦٩٥).
(٢) رواه مسلم (٦٨٦).
(٣) المغني لابن قدامة ٢/ ١٠٩.
(٤) رواه البخاري ٢/ ٤٧٠؛ ومسلم (٦٨٥).
(٥) المغني لابن قدامة ٢/ ٩٥.

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾ [النساء: ١٠١] قال: أليْس قد أَمِن الناس؟ فلماذا تقصر؟ فقال عمر: عجبتُ مما عجبت منه فسألت رسول الله ﷺ فقال: «**صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته**»(١)، ومعلوم أن الصدقة رخصة.

فكل هذا يدل على أن الأصل الإتمام وأن القصر رخصة.

﴿٥٨﴾ ذكرتم ـ حفظكم الله ـ أنه يجوز صلاة النافلة في السيارة أثناء السّفر فهل يشترط لذلك استقبال القبلة أو التكبير إلى جهتها عند ابتداء الصلاة؟

ج الصحيح أنه لا يلزمه ابتداء الصلاة جهة القبلة أو التكبير إلى جهتها، بل الأدلة عامّة في أنه يصلي النافلة بحسَب جهته لأيّ جهة كان ويكبر كذلك لأيّ جهة كان سواء كانت تكبيرة الإحرام أو الركوع أو السجود فيُصلي لأيّ جهة. وهذا الترك لاستقبال القبلة هو من رُخِص السّفر أصلاً.

ويومئُ بالركوع والسجود ويجعل السجود أخفضَ من الركوع.

﴿٥٩﴾ لو ابتدأ الشخصُ صلاة النافلة وهو في السيارة إلى غير القبلة ثمّ أثناء الصّلاة استطاع استقبال القبلة فهل يجب عليه حين الاستطاعة أن ينحرف إليها؟

ج ذكرنا في جوابٍ سابق أنه يستقبلُ القبلة ما استطاع ذلك فإذا تمكن من استقبالها أثناء صلاته وجب عليه أنْ ينحرف إليها.

﴿٦٠﴾ متى يقول المسافر دعاء السَّفر، هل يقوله أول ما يركب الدابة أم إذا تحركت به؟

ج بل يقوله أول ما يركب عليها، والدليل قوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾... الآية [الزخرف: ١٣]، فدلت

(١) رواه مسلم (٦٨٦)؛ وأبو داود (١١٩٩)؛ والترمذي (٣٠٣٧) وغيرهم.

الآية على أنه بمجرّد استوائه على ظهر الدابة أو على ظهر المركوب كالسيارة ونحوها فإنه يبدأ بهذا الذكر. ولا بأس بتأخيره حتى يجدّ به السَّير أو يخرج من البلد فالأمرُ فيه سعة ولله الحمد.

﴿٦١﴾ جماعة سافروا في السيارة ولما توقفوا قُبيل الفجر لصلاة الوتر ثمّ الفجر نزل بعضهم للصلاة وبعضهم أراد أن يصلي داخل السيارة بحجة أنه مسافر والجوّ بارد، مع أنه معهُ ما يتدفأ به، فهل يجوز له صلاة النافلة على الدابة من غيْر سيْر ولا ضرورة؟

﴿ج﴾ نعم؛ يجوز ذلك إذا استطاع استقبال القبلة، ولكن ليس له إلا نصف الأجر فإن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم.

﴿٦٢﴾ هل يجوز لغير المسافر أن يصلي النافلة في السيارة؟ كمن يسير مسيراً طويلاً داخل المدينة وأراد أن يتنفّل داخل السيارة؟

﴿ج﴾ إذا كان عليه مشقة في الوقوف أو كانت النافلة راتبة ويفوت وقتها قبل أن يصل مكانه المقصود لِقِصَرِ وقتها ـ كما في راتبة المغرب ـ فله في هذه الحالة أن يصليها داخل راحلته حسب القدرة.

﴿٦٣﴾ هل يسنُّ للإمام أن يخفف القراءة ونحوها في الصلاة إذا كان في السّفر أم يصليها كصلاتها في الحضر؟

﴿ج﴾ يجوز له التخفيف، وهذا ما يُسمَّى بالقصر المعنوي، فالقصر في السّفر نوعان:

الأول: قصر حسّي وهو قصر الرباعية إلى ركعتين.

الثاني: قصر معنوي وهو تخفيف الصلاة وتقصير القراءة في صلاة الصبح وتخفيف الركعات في غيرها.

وتفعل هذا عند وجود سببه وهو المشقة فإن المشقة تجلب التيسير لكن إذا زالت المشقة وخفت المؤونة وصار السّفر كالنزهة أو شبهها أو طالت مدة السّفر مع النزول حتى صارت له أحكام المقيم، فالصلاة في السّفر في هذه

الحالة تصبح كالصلاة في الحضر لا يخفّفها لا حسّاً ولا معنى.

﴿٦٤﴾ رجل سافر من الرياض إلى مدينة أبها وسيمكث بها يومين ثمّ يرجع، هل يجب عليه إجابة النداء إذا سمعهُ أم يجوز له الصلاة في مقرّ سكنه؟

﴿ج﴾ إذا وصل إلى أبها مثلاً ليقيم بها أياماً فإن نزل في فندق أو سكن في شقه استأجرها أو سكن عند صديق له في بيت وتمتّع بما يتمتّع به المقيم من فرش وسررٍ وهواءٍ طيب وجوّ معتدل وماء بارد وجميع أسباب الراحة، فهنا نعتبرهُ في حكم المقيم فعليه أن يجيب المنادي وعليه أن يتمّ الصلاة ولا يقصرها، هذا هو الذي يترجح عندنا أنه يعتبر في هذه الحالة في حكم المقيم لانتفاء المشقة التي في السفر الذي هو قطعة من العذاب يمنعه راحته ونومه وأكله ونحوه. أما إذا لم يستقرّ، كأن يبقى متنقلاً بسيارته يأكل في مطعم مثلاً أو يصلح طعامه خارج البلد في بر ونحوه، أو في خيمة نصبها، وينام في مكان غير مريحٍ كأن ينام في سيارته أو ينام خارج البلد، وهو لم يتخذ سكناً بل أثاثه في سيارته فنعتبره في هذه الحالة مسافراً فلهُ أن يترخّص برخص السَّفر وله أنْ يُصلي في محلّ رحله ونحو ذلك ولو طالت مدته أياماً أو أشهراً على هذه الحال وعليه يحمل فعل النبي ﷺ في سكناه في قبة في الأبطح في غزوة الفتح وحجة الوداع.

﴿٦٥﴾ أيهما أولى للمسافر في السيارة أن يتكلّف الوقوف لصلاة النافلة كالوتر أم يصليها على راحلته؟

﴿ج﴾ الأولى والأفضل أن يفعل الأيسر عليه والأرفق به، فإذا كان يشقّ عليه أن يقف لبعد المسافة وكان يحبّ مواصلة السّير ويكلّفه الوقوف فالأولى هنا أن يصليها على راحلته.

أما إذا لم يكن عليه مشقّة والمسافة قريبة ويمكنه أن يصل بسهولة فالأولى له أن يصليها على الأرض، فيوقف سيارته وينزل ويصليها على الأرض تامَّة كما يوقف السيارة لصلاة الفرض، هذا هو الأولى إن لم يكن في ذلك عليه حرج أو مشقّة.

﴿٦٦﴾ ذكر لي بعض طلبة العلم أن من السنّة ترك صلاة النوافل في السّفر إلّا الوتر وسنّة الفجر، فهل هذا يعني أن جميع النوافل تترك غير هاتين كنافلة الضحى والرواتب ونحوها؟

﴿ج﴾ السّفر مظنة المشقة، والمسافر غالباً يلاقي صعوبات ومشقات وشدائد تحوجه إلى الترخّص بقصر الرباعية وبترك النوافل وبالفطر في نهار رمضان وبغيره من الرخص، فلأجل ذلك يترخص المسافر بترك النوافل.

ولكن إذا زالت المشقة أو خفّت واحتمل الصبر فأرى أن المسافر في هذه الحالة ينبغي أن يتزوّد من الخير؛ كصلاة النوافل وصيام التطوع ويتزود من الأعمال الصالحة، التي كان يعملها وهو مقيم ولا يتركها بحجة أنه مسافر بل يفعلها ولا يزهد في الخير ما دام أن أسباب الراحة وأبواب الخير مفتوحة وليس عليه مشقّة.

وإذا شابه المسافرُ المقيم في نزوله في البلد اعتبرناه أيضاً في حكم المقيم في أنّه يتمُّ الرباعية ولا يفطر ولا يترخّص بشيء من الرخص.

وقد جاء في حديث ابن عمر ﷺ قوله: لو كنت مسبحاً لأتممت[1]؛ أي: إن إتمام الصلاة الرباعية أولى من الإتيان بالسبحة؛ أي: النافلة.

ولكن هذا الكلام محمول على أنه إذا ما كان هناك صعوبة وشدة على المسافر كما كان السّفر في زمانهم حيث كانوا يلاقون الصعوبات الكثيرة من مشقة وحرّ وظمأ، وغيرها.

﴿٦٧﴾ ما حكم السّفر بعد النداء الثاني[2] للجمعة؟

﴿ج﴾ لا يجوز السفر بعد النداء الثاني للجمعة؛ لأن هذا الذي يريد السّفر قد أصبح بسماعه للنداء الثاني ممّن يلزمه إجابة المؤذن وإجابة النداء، وهو داخل في المأمورين بإجابة النداء بقوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ

---

(١) رواه ابن ماجه وغيره، وصححه الألباني ـ حفظه الله ـ. انظر: صحيح سنن ابن ماجه (٨٧٨).

(٢) الذي يكون بعد دخول الخطيب.

﴿ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، فما دام أنه نودي بالجمعة فلا يجوز له أن يتركها ويسافر، إلّا عند الضرورات والضرورات لها أحكامها الخاصة.

﴿٦٨﴾ لو سافر قبل النداء الثاني كأن يسافر قبل الصلاة بساعتين أو ثلاث، هل في ذلك حرج؟

ج هذا أيضاً كرهه بعض أهل العلم حيث نصوا - رحمهم الله - على كراهة السّفر في يوم الجمعة حتى قبل النداء الأول؛ أي: أن يسافر ضحى، كرهوا ذلك وذكروا أنّ هذا السفر في هذا الوقت مظنّة عدم التوفيق وزوال البركة من السفر.

وقد سمعتُ من والدي رَحِمَهُ اللَّهُ بعض الكلام الذي يرويه عن غيره وقد يكون هذا الكلام من الآثار حيث قال: «المسافر يوم الجمعة قبل الصلاة حريٌّ أن لا يوفق» و«من سافر يوم الجمعة قبل الصلاة فأصابه بلوى فلا يلومنّ إلّا نفسه».

وقد حكى رَحِمَهُ اللَّهُ أن فلاناً عزم على السّفر وزعم أنه محتاج ومضطرّ إلى السّفر قبل صلاة الجمعة، فلمّا قام إلى بعيره وشدَّ عليه رحله وعلّق التّمر على جانبي البعير تعلق أصبع من أصابعه في الحبل الذي شدَّ به التّمر فثار به البعير وهو متعلق بأصبعه فيه وكاد أن ينقطع أصبعه؛ لأنه لا يزال مربوطاً في ظهر البعير، حتى فزع إليه الناس لشدّة صياحه وأناخوا البعير وخلّصوه، فذكروا أن هذه البلوى أصابته بسبب إحداثه هذا السّفر. وقد جاء فيما قدّمنا.. «من سافر يوم الجمعة قبل الصلاة فأصابه بلوى فلا يلومنّ إلّا نفسهُ».

ولكن قد تحمل الكراهة على ذاك الزمان حيث كانت المساجد قليلة وإذا سافر فاتته الجمعة، أمّا في زماننا هذا فإن المساجد كثيرة وفي إمكانه أن يصلي في المساجد التي تكون في البلاد التي على طريقه، فلو سافر - مثلاً - من القويعية إلى الرياض قبل الجمعة، فإنه يستطيع أن يصلي الجمعة في «الجلْه» أو «تبراك» أو «المزاحمية» أثناء طريقه إلى الرياض.

وإذا لم يجد جامعاً ليصلي فيه فصلاها ظهراً فلا شيء عليه؛ لأنه أصلاً في حكم المسافر.

﴿٦٩﴾ أحياناً أُشغِل نفسي وأنا أقود السيارة في السفر بقراءة القرآن غيباً وأمرُّ بآية سجدة فكيف أسجد وأنا أقود السيارة؟

﴿ج﴾ تومئ برأسك قليلاً للسجود مع استمرار نظرك في الطريق ولا تطيل السجود.

﴿٧٠﴾ إذا كان القارئ لآية السجدة ليس سائقاً وإنما راكباً من الركاب وأراد السجود، فهل يجب عليه التكلف وإلصاق جبهته بالأرض أم يكفيه الإيماء برأسه؟

﴿ج﴾ الراكب يختلف أمره عن السائق فإنه إذا تمكّن من السجود على مستوى الأرض سجد وإن لم يستطع كأن يكون على المقعد في سيارة صغيرة فيخفض رأس بقدر استطاعته ويدعو بدعاء السجود، ولا يلزمه أن يتوضأ قبل سجود التلاوة. وقد ذكر بعض أهل العلم أنه ينبغي له أن يتيمّم لكن الصحيح أنه لا يلزمه سواء قرأ آية السّجدة في السيارة أو وهو في بيته؛ لأن سجود التلاوة ليس بصلاة ـ كما اختار ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1] ـ وإنما سجود التلاوة وسجود الشكر من العبادات المستقلّة التي لا يلزم لها الطهارة ولا استقبال القبلة بل يسجد على أية حال ولا يشترط لها أيضاً طهارة المكان.

﴿٧١﴾ أُناس خرجوا للنزهة في مكان بعيد عن بلدهم ٢٠كم ولما حضر يوم الجمعة، رجع بعضهم إلى البلد وصلوا الجمعة وبعضهم صلاها في مكانهِ ظهراً فأيهما على الصواب؟

﴿ج﴾ هؤلاء جميعاً كان يلزمهم الرجوع لصلاة الجمعة والذين صلّوها ظهراً أخطؤوا لأن الجمعة تجب على من بينه وبين المسجد الجامع نصف

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢١/ ١٦٥.

نهار، كما روي عن ابن عمر ﷺ أنه قال: «الجمعة على من آواه المبيت قبل الليل» أي: أنه إذا صلى الجمعة وانصرف وصل إلى أهله قبل الليل.

ومثل هؤلاء الجماعة ما دام أنهم ليس بينهم وبين المسجد إلّا مسافة يسيرة تقطع بالسيارة في ربع ساعة أو نحوها فلا يجوز لهم أن يصلوها ظهراً، لكن على القول الذي يعتبر أنهم مسافرون ولو كانت المسافة قليلة يكونون على هذا القول الأخير في حكم المسافرين فتسقط عنهم الجمعة وإن كان هذا القول الأخير فيه نوع من الإفراط في التوسّع.

وهنا نعود إلى مسألة ضابط السّفر وهو أن السّفر يعتبر بالمدة لا بالمسافة وهو قول شيخ الإسلام رحمه الله وفيه يقول[1]: إنه إذا قطع مسافة قليلة في زمن طويل اعتبرناه مسافراً، لكنّ هؤلاء السائلين قطعوا مسافة قليلة في زمن قليل وإن كانوا خيّموا هناك واستقروا واعتبروا أنفسهم مسافرين في محلّ إقامتهم الجديد في البرّ لكن مع ذلك لا تسقط عنهم الجمعة لوجود الوسائل التي توصلهم إلى الجامع من غير مشقّة ولا حرج فلا يجوز لهم والحال كهذه ترك الجمعة.

﴿٧٢﴾ فضيلة الشيخ: لكنهم إذا ذهبوا ليصلّوا الجمعة قد يعتدي أحد على متاعهم فيسرقه أو يخرّبه أفلا يكون هذا عذراً لهم في الترخص؟

ج إذا خافوا على رحلهم وأثاثهم ومتاعهم فلا بأس أن يتركوا واحداً منهم أو اثنين لحراسته وحفظه، أما الباقون فيذهبون لصلاة الجمعة.

﴿٧٣﴾ أيهما أفضل جمع التقديم أم جميع التأخير لأن بعضهم قال: إن جمع التقديم أولى لأنه أبرأ لذمة المسافر لو عرض له شيء قبل دخول الوقت الثاني؟

ج ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن المسافر يفعل الأرفق به والأسهل عليه من جمع التقديم أو التأخير[2].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٩/٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) انظر: مجموع شيخ الإسلام ٢٤/٥٦.

فإن كان الأرفق به أن يصلي الظهر والعصر في وقت الظهر ثمّ يواصل السَّير فإنه يفعلهُ نظراً؛ لأن المطلوب رفع المشقة عنه وإن كان الأرفق به التأخير أخَّر حتى يُصلي في وقت الأخيرة منهما.

وإن استوى عنده الأمران (جمع التقديم وجمع التأخير) فالتقديم أولى؛ لأن المبادرة بأداء الصلاة في أول وقتها أولى وأفضل.

﴿٧٤﴾ رجل مسافر في صباح يوم الجمعة من الرياض إلى مكة ومرَّ أثناء سفره بقرية يسكن فيها أخوه فلمّا دخلها وهو يريد أن يأخذ من بيت أخيه حاجة ثمّ يذهب مباشرة دون نزول عنده، سمع الإمام يخطب للجمعة فهل يلزمهُ أن يحضر صلاة الجمعة أم لا؟

ج لا يلزمه ذلك لأنه يعتبر مسافراً وهذه ليست بلده وإنما هو عابر سبيل ووقوفه لحاجة وغرض سريع.

﴿٧٥﴾ ذكر بعض أهل العلم أن المسافر سفر معصية لا يحلّ له أن يترخّص برخص السَّفر من فطر رمضان وقصر ونحو ذلك، فما رأيكم ـ حفظكم الله ـ في ذلك؟

ج الصحيح أن الرخصة تستباح بكلّ سفر سواء كان سفر طاعة أو سفر معصية، وإنما الإثم على فعل المعصية نفسها سواء فعلها وهو مسافر أو وهو مقيم هو آثم بفعلها في الحالين.

والرخص التي في السّفر أُبيحت للمسافر لأجل المشقة ومسافر المعصية وإن كان عاصياً في سفره لكنه يلقى مشقّة فيه وهو مسلم له أحكام المسلمين فلا نمنعه من رخصة الله تعالى وتخفيفه من أجل معصيته، هذا هو الراجح.

﴿٧٦﴾ فضيلة الشيخ: ما دام أنّنا أبحْنا له الترّخص مع معصيته وتطاوله وبغيه فكيف نجيب عن قوله تعالى لمّا رخص في أكل الميتة للمضطرّ قال: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ فاشترط عدم البغي والعدوان؟

ج نعم قد احتجَّ بعض أهل العلم بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ

بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ عندما ذكر إباحة أكل الميتة للمضطرّ وقالوا: لا يجوز أن يأكل الميتة في سفر المعصية؛ لأن الله تعالى قال: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ فنقول في الإجابة عن ذلك: إن قوله ﷻ: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ محمول على من أنشأ السَّفر لأجل البغي والعدوان وقطع الطريق وتخويف الآمنين ونحو ذلك. فيُعتبر سفر هذا سفر ذنب ومعصية لا تباح له بسببها الميتة؛ لأنه يستعين بها على أكل الحرام وقطع الطريق. والله أعلم.

﴿٧٧﴾ رجل صلى الظهر في بلده ثمّ ركب سيارته ليسافر، فلمّا خرج من بلده توقف وصلى العصر ـ أيْ: قبل دخول وقت العصر ـ فما حكم ذلك؟

ج لا يصليها وهو في بلده ولكن إذا جدَّ في السَّير وفارق عامر بلده وأصبح على سفر صحَّ له أن يصلّيها ولو قبل أن يدخل وقتها المعتاد؛ لأنه إذا فارق بلده وفارق البيوت والمساكن فإنه في هذه الحالة يعتبر مسافراً.

﴿٧٨﴾ رجل مسافر في السيارة ونزل في مكان على الطريق ليرتاح فصلى الظهر ولم يجمع معها العصر؛ لأنه قرر أن يمكث أربع ساعات في مكانه، ولكنه عرض له عارض قبل أذان العصر بساعة ونصف، فأراد أن يسير، فهل يجوز له الآن أن يصلّي العصر أم يشْترط في الجمع أن تكون الصلاتان متصلتين؟

ج لا بأس أن يصلي العصر في هذه الحالة؛ لأنه مسافر وما فعله هو من رخص السّفر.

﴿٧٩﴾ هل يجوز الجمع في السفر دون قصر؟

ج الجمع جائز في الأصل دون القصر في حالات، كما في الجمع في المطر عندما يتصل المطر ويتكاثر ويشقّ على النّاس المجيء إلى المسجد، فيجمعون الظهرين أو العشاءين في وقت إحداهما جمعاً بلا قصر.

والجمع كذلك للمريض المضطرّ لأجل المشقة دون قصر.

أمّا المسافر فالرخصة التي وردت في حقه هي القصر وجعلها بعضهم

عزيمة وقال: إن القصر عزيمة وإن الجمع رخصة، ولهذا لا يُشرع الجمع إلّا في الحالات الحرجة كمواصلة السَّير فعلى هذا لا يجوز الجمع إلّا مع القصر في السَّفر، وإن ترخص وقصر وأحبَّ أنْ يوقّت؛ أي: يصلي كلّ صلاة في وقتها فهو الأفضل.

وقد ذهب البعضُ ـ كما ذكر عن بعض الصحابة ﷺ ـ إلى الإتمام في السَّفر، وقد يقال: يجوز لهم الجمع مع الإتمام إذا كان هناك مشقّة، ولكن هذا القول ـ وهو جواز الاقتصار على الجمع دون القصر ـ يعتبر شاذاً، فالصحيح كما ذكرنا أنه لا ينبغي الجمع للمسافر إلّا مع القصر.

﴿٨٠﴾ إذا كنا مسافرين بالسّيارة ويتكرّر وقوفنا للصّلاة فهل نؤذن كلّما وقفنا أم نكتفي بالإقامة؟

ج﴾ المسافر مأمور أن يؤذن كلّما أراد أن يصلي ولو كان وحده، فقد جاء أن أبا سعيد الخدري ﷺ قال لعبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي صعصعة: «إني أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك ـ أو باديتك ـ فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلّا شهد له يوم القيامة». قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ[1]، فتبيّن من هذا أن من فوائد الأذان للمسافر في الصحراء أن تشهد له البقاع وما حوله، ويكون بأذانه أيضاً قد ذكر الله تعالى ورفع اسمه وكبره.

وقد جاء في بعض الآثار أن الجبل لينادي الجبل باسمه: يا فلان هل مرّ بكم أحد يذكر الله؟ فقائلٌ لا وقائلٌ نعم. ذكره ابن القيم في «الوابل الصيب» في فوائد الذكر[2].

فإذا رفع المسافر في الصحراء صوته بالأذان كان هذا سبباً في أنه يكون من أهل ذكر الله تعالى في هذه البقعة.

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٨٧، ٨٨؛ ومالك في الموطأ ص٧٦؛ وأحمد ٣/ ٣٥، ٤٣.

(٢) أورده في الوابل الصيّب ص١٦٤، الفائدة (٨٥) عن مجاهد رحمه الله.

﴿٨١﴾ أحياناً لا نقف للصلاة في البرّ وإنما في المساجد التي تكون على الطرق في محطات البنزين، فإذا كنا جماعة ونزلنا للصلاة هل نؤذن؟

﴿ج﴾ إذا كان قد أُذن فيها مرّة لذلك الوقت فإن هذا الأذان يكفي، والعادة إذا دخل الوقت أذن أهل المحطة وصلّوا، ومن أتى من المسافرين بعد دخول الوقت صلى من غير أذان اكتفاء بالأذان الأول.

﴿٨٢﴾ وصلتُ مرّة من السفر مع بعض طلبة العلم فذكروا لي أن من السنّة للمسافر إذا وصل بلده أن يبدأ بالمسجد فيصلي فيه ركعتين، فهل هذا ينطبق على زماننا أم أن الغرض منه كان أن يعلم أهلُ المسافر بوصوله؟

﴿ج﴾ نعم؛ السنّة للمسافر إذا قدم من سفره أن يبدأ بالمسجد فيصلي فيه ركعتين، فقد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها لما قيل لها هل كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى قالت: «لا، إلّا أن يجيء من مغيبه»[(١)]، وجاء في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «وكان إذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين»[(٢)].

وفي حديث جابر لما جاء وأناخ بعيره عند رسول الله ﷺ لأخذ ثمنه أمره الرسول ﷺ أن يذهب إلى المسجد فيصلي فيه ركعتين[(٣)].

وكلّ ذلك يدلّ على أن هذا الأمر كان معروفاً مشهوراً.

والمشكل في هذه الأزمنة أن المساجد تغلقُ بين الصلوات، فإذا وصل في غير وقت صلاة لم يستطع أن يركع ركعتين في المسجد؛ لأنه يكون مقفلاً في هذه الحالة نقول له: صلّها في بيتك. والله أعلم.

﴿٨٣﴾ هل هذا يكون عند وصوله بلده نفسه أم حتى عند وصوله للبلد الذي يسافرُ إليه؟

﴿ج﴾ بل عند وصوله بلده نفسه الذي سافر منه ثمّ عاد إليه.

---

(١) رواه مسلم وغيره.
(٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه.

القسم الثَّالِث

فَتَاوى في صِيَام المسَافِر

﴿٨٤﴾ إذا سافر الشخصُ في نهار رمضان فأيهما أفضل له: الصوم أم الفطر؟

ج٥ كلاهما جائز الصوم والفطر، ولكن ذهب الجمهور إلى أن الصوم أفضل:

- لأنه إيقاع العبادة في محلّها ووقتها.

- ولأن الفطر إنما هو رخصة من الرخص لأجلِ المشقّة.

- ولأن الله تعالى ذكر السبب في إباحة الفطر فقال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] فعلّل بأنه رخصة لأجْل اليسْر.

وهذا هو مذهب الجمهور واستدلوا:

- بأن النبي ﷺ سافر في رمضان في غزوة الفتح فصام حتى بلغ كراع الغَمِيْم - قريباً من عسفان - وذلك نحو ثمانية أيام وصام الناس معهُ وهم عشرة آلاف، فقيل له: إن الناس قد شقّ عليهم الصيام، فعند ذلك أمرهم بالفطر وقال: «**إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم**»[(١)].

ففي هذا الحديث أمرهم بأن يستعدّوا للقاء عدوهم وذلك بالتقوي بالفطر، بل أنكر على الذين استمروا في الصيام؛ لأنهم لم يمتثلوا ما أمرهم به من الفطر والتقوي وقال عنهم: «**أولئك العصاة أولئك العصاة**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

ـ وقد ثبت أن النبي ﷺ صام مع المشقّة كما في حديث أبي الدرداء قال: كنا في سفر في حرّ شديد حتى إن أحدنا ليضع يده على رأسه من شدّة الحر، وما فينا صائم إلّا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة[١]، ولم يبيّن في هذا الحديث نوع هذا السَّفر هل هو لغزوة أم سرية أم حجّ أم عمرة؟ ويمكن أن هذا السَّفر كان في غير رمضان ـ وهو الأغلب ـ ويكون الصيام هنا صيام تطوّع. وذهب شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن الفطر أفضل مطلقاً وعلل بأن السَّفر يغلب عليه المشقة بل الأصل فيه المشقة والصعوبة، والمشقة تجلب التّيسير، ـ وهذا في زمنه رَحِمَهُ اللَّهُ ـ وذكر أيضاً أن هناك من يبطل الصيام في السّفر؛ كالظاهرية فهم يقولون: إن من صام في السفر فلا صيام له حتى قالوا: إن الصوم في السّفر كالفطر في الحضر. وأخذوا بظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، واستدلّوا بها على أنه حتى لو صام وهو مسافر فعليه عدّة من أيام أُخر ولو لم يفطر وكأنهم لم يُقدِّروا في الآية ما قدّره الجمهور فقد ذكر الجمهور أن تقدير الآية: ومن كان مريضاً أو على سفر فأفطر فعليه عدّةُ ما أفطر من أيام أُخر.

فيقول شيخ الإسلام: حيث إنَّ هناك من يُبطل الصوم في السَّفر وليس هناك من يُلزمُ بالصوم في السَّفر فإنه يفضل الشيء الذي لا خلاف فيه وهو الفطر[٢].

وكلامهُ رَحِمَهُ اللَّهُ مبنيٌّ على أن السَّفر مظنّة المشقّة وهو الواقع في زمانه فقد كان الصوم في السّفر فيه مشقّة كبيرة وكانت الأسفار في ذلك الوقت تطول ولا تخلو من صعوبة ومعاناة لشدة حرّ الشمس، والركوب على البعير وطول المسير ونحو ذلك.

والحاصلُ أن هذين قولان متقابلان وهما قول الظاهرية بوجوب الفطر

---

(١) رواه مسلم عن أبي الدرداء، وقد ذكر في روايةٍ لمسلم أن السّفر كان في شهر رمضان. انظر: مسلم ٧/٢٣٨ نووي.

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٥/٢٠٩، ٢١٠.

وتحريم الصوم في السَّفر وقول آخر بوجوب الصوم وتحريم الفطر ولو مع المشقّة.

والذي نختاره أن الصوم أفضل للمسافر إذا لم يكن عليه مشقّة والفطر أفضل مع وجود المشقّة؛ لأن النبي ﷺ ما أفطر حتى قيل له: إن الناس قد شقّ عليهم الصيام فأمرهم بالإفطار، وعليه يحمل حديث أبي موسى وغيره أن النبي ﷺ رأى زحاماً ورجلاً قد ظُلِّل عليه فقال: «**ما هذا؟**» فقيل: صائم، فقال: «**ليس من البرّ الصوم في السَّفر**»(١).

فيكون الصوم الذي يجهد الصائم ويشقّ عليه حتى يؤدي إلى سقوطه والتظليل عليه وازدحام الناس حوله وإسعافهم له هذا الصوم مع هذه المشقّة غير مستحبّ بل الفطر أولى وليس الصوم في هذه الحال من أعمال البرّ التي يُتنافسُ فيها وإن كان جائزاً كما فعل النبي ﷺ وابن رواحة رضي الله عنه(٢).

وعلى ما ذكرنا أيضاً يدلّ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه حيث ذكر أنهم كانوا مرة في سفر، فمنهم الصائم ومنهم المفطر قال: فنزلنا منزلاً في يومٍ حارٍ أكثرنا ظلاً صاحبُ الكساء ومنا من يتقي الشمس بيده، قال: فسقط الصوام وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب فقال رسول الله ﷺ: «**ذهب المفطرون اليوم بالأجر**»(٣).

ومثله حديث في السنن أن جماعة قدموا من سفر فجعلوا يثنون عند رسول الله ﷺ على صاحب لهم ويقولون ما كانا في ليل إلّا وهو قائم يُصلي ولا في نهار إلّا وهو صائم، فسألهم ﷺ: «**من يصلح شأنه**» حتى قال: «**من يحطّ عن راحلته، من يحمل متاعه على راحلته، من يصلح طعامه، من يصلح فراشهُ؟**» قالوا: نحنُ، فقال: «**فكلّكم خير منه**».

فإذا كان الصائم يتعب من الصوم ويحتاج إلى من يخدمهُ ومن يصلح

---

(١) متفق عليه عن جابر رضي الله عنه.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم عن أنس ٧/ ٢٣٥ نووي.

شأنه ويهيئ طعامه ويصلح راحلته ومن يظلّل عليه أو يبني خيمته ونحو ذلك، ففي هذه الحال يكون صومه لو صام خلاف الأولى. والله أعلم.

﴿٨٥﴾ فضيلة الشيخ: شخص اعتاد أن يصوم الاثنين والخميس ووافق سفره يوم خميس فهل الأولى له أن يصوم أو يُفطر؟

ج روت عائشة رضي الله عنها أن حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إني رجل أسرد الصوم، أفأصوم في السّفر، فقال: «**صُمْ إن شئت وأفطر إن شئت**»(١).

فهذا صيام تطوع وكان رضي الله عنه يحافظ على صيام التطوع ويكره أن تضيع عليه الأيام دون صيام، وكان مضطراً إلى الأسفار فلمّا سأل رسول الله ﷺ وكّل الأمر إليه وجعله بالخيار.

فنقول: إذا كان الشخصُ معتاداً صيام تطوع ولا صعوبة عليه ولا مشقّة فلا حرج عليه أن يصوم ولو كان في سفر.

﴿٨٦﴾ ركبتُ سيارتي بعد صلاة الفجر في رمضان وأنا عازم على السّفر، وقد حملتُ أهلي ومتاعي فأصابني بعض العطش من جرّاء حمل الحقائب والمتاع، فهل يجوز لي أن أُفطر خاصة أنني مسافر الآن؟

ج الذي نختاره أن المسافر لا يجوز له أن يفطر حتى يخرج من البلد ويفارق البنيان لعموم قوله تعالى: ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [البقرة: ١٨٥] فما دام أنك لا تزال داخل البلد ولو ركبت السيارة وعزمت على السّفر فلا يقال لك الآن على سفر حتى يتحقق سفرك بمفارقة البلد، فهنا يقال هذا على سفر وهذه مسافر، فإذا خرجت من البلد جاز لك أن تتناول المفطرات أما قبل أن تخرج فليس لك ذلك.

﴿٨٧﴾ ما قولكم ـ غفر الله لكم ـ فيما ذُكر عن أنسٍ رضي الله عنه أنه أفطر في بيته لما عزم على السّفر؟

---

(١) رواه مسلم ٢/٢٣٧ نووي.

ج الحديث الذي ذُكر عن أنسٍ رضي الله عنه أنه لما حمّل رواحله مدّ سماطهُ وقرب طعامه[1]، فيجاب عن هذا بأمور منها:

أولاً: أن منزل أنسٍ رضي الله عنه كان في ظاهر البلد، فقد كان يسكن ذاك الوقت في البصرة وكان منزله في طرف البلد.

ثانياً: كان عليه ـ في زمانهم ـ مشقة في الوقوف والنزول أثناء الطريق لتناول الأكل والطعام وهم حديثو عهد بمسير وسفر فرأى أنهم يتزوّدون بالطعام قبل ركوبهم حتى يواصلوا المسير إلى الليل، أو إلى آخر النهار دون انقطاع أو توقف. أمّا في السّفر على السيارات فليس الحكم كذلك، ولا توجد مشقة في الأكل والشراب سواء بإيقاف السيارة أو الأكل بداخلها وهي تسير.

فبهذا وبغيره يجاب عن الحديث المذكور.

٨٨ رجل في شهر رمضان عقد نيّة السّفر من الليل وعقد معها نيّة الفطر في السّفر، ثمّ لما صلى الفجر عرض له عارض منعهُ من السَّفر فأتمَّ صومه، فما حكم صومه هذا؟

ج الأصلُ أن المسافر يصبح صائماً ولو عقد نيّة السّفر ولا يعقد نيّة الفطر حتى يتحقق له الدخول في السّفر ومفارقة البنيان ولا يجوز له أن يعزم على الإفطار حتى يضرب الطريق ولا يقطع نيّة الصوم حتى يسافر، فيصبح صائماً وينوي الصيام فإذا جدّ به السّير نوى الإفطار وأفطر إن شاء.

وهذا التقييد ينفعهُ فيما لو عرض له ما يمنع من السّفر فيبقى على نيته الأولى وهي الصيام دون قطع أو إفساد.

أمّا ما ذُكر في السؤال من أن هذا الرجل لمّا أصبح كان ناوياً الإفطار فإنّ صيامه لا يُجزئه ويجب عليه القضاء حتى وإن لم يأكل ولم يشرب لأنه أصبح مفطراً بالنيّة، وقد نصّ الفقهاء على أنّ من نوى الإفطار أفطر وإن لم

---

(١) روه الترمذي في الصوم، باب من أكل ثمَّ خرج يريد سفراً.

يتناول مفطراً، وذكروا أيضاً أن من أصبح وهو لم يبيّت نيّة الصيام من الليل فلا صيام له، لحديث حفصة بنت عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**من لم يبيّت الصيام من الليل فلا صيام له**»[1]. والتبييت معناهُ العزم على الصيام والجزم عليه وعقد النيّة عليه.

فالحاصل أن هذا الشخص يلزمهُ القضاء مع الإمساك بقية يومه وإن لم يأكل ولم يُسافر؛ لأنّه نوى الإفطار. والله أعلم.

﴿٨٩﴾ رجل استيقظ بعد صلاة الفجر في نهار رمضان وهو صائم ولما جاء وقت الضحى توفّي أخوه في بلد آخر فعزم على السّفر إليه بعد صلاة الظهر، وعزم أيضاً على الفطر أثناء هذا السَّفر، ثمَّ لما صلى الظهر تعطلت سيارته فلم يسافر إلّا ليلاً فما حكم صيامه هل يعتبر باطلاً؟

﴿ج﴾ نحنُ نقول له أصلاً لا تنو الإفطار حتى تجدَّ في السَّير وتفارق البنيان فاسْتمِرَّ على نيّتكَ الأولى نيّةِ الصوم ولا تقطعها لأنك لا تدري ما يعرض لك، فلا تعزم على الإفطار ولا تنوِ الفطر حتى يجدّ بك السَّير وحتى تضرب الطريق.

فكونك تنوي الإفطار وأنت في البلد لا يجوز لك ذلك، وبِنيّتِك هذه على الفطر وعزمك على قطع الصوم أبطلت صيامك. فمن نوى الإفطار أفطر ـ كما قدّمنا ـ سواء تناول مفطراً أم لا ويجب عليه قضاء هذا اليوم مع الإمساك فيه أيضاً.

﴿٩٠﴾ رجل مسافر في نهار رمضان وكان مُفْطراً ووصل إلى بلده وبيته بعد الظهر، فهل يجوز له أن يأكل ويشرب لأنه مفطر أصلاً أم يلزمه الإمساك إلى غروب الشمس؟

﴿ج﴾ بل يلزمه الإمساك إلى غروب الشّمس؛ لأنه صار من أهل البلد مقيماً وليس مسافراً فيلزمهُ أن يمسك بقية يومه ذلك، ولو كان سوف يقضي

---

(١) رواه النسائي: صحيح الجامع (٦٤١١).

ذلك اليوم، فلا يجوزُ له أنْ يتعاطى شيئاً من المفطرات بقية يومه إلى غروب الشمس. وإن تعاطى مفطراً فيه كفارة كما لو جامع امرأته فإنه يلزمهُ كفارة؛ لأنه في الأصل يلزمُهُ الإمساك.

ومثله في الحكم كلّ من زال عذره أثناء النهار في رمضان فإنه لا يجوز له مواصلة الإفطار في هذه الحال.

﴿٩١﴾ قرأتُ لبعض العلماء أنه قال: إن المسافر لا يلزمهُ أن يُمْسِك بقية النهار إذا وصل بلده مفطراً لأننا إذا ألزمناه بالإمساك بقية يومه وألزمناه كذلك بقضاء هذا اليوم نكون قد ألزمناه بصيامين عن يوم واحد، وهذا غير وارد في الشرع، لذا لا يلزمه الإمساك إذا وصل وإنما يكتفي بالقضاء بعد رمضان، فما رأيكم حفظكم الله؟

ج من الأدلة على ما ذكرنا قوله تعالى: ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ وهذا الذي وصل من سفره ليس بعد وصوله على سفر، بل هو الآن مقيم في حضر فليس من أهل الرخصة في الفطر. ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وهذا الشخص في هذه الحال قد شهد الشهر وهو غير متلبّس بعذر يبيح له الفطر.

ومثله الحائض إذا زال عذرها في أثناء النّهار تكون قد شهدت الشّهر.

والذي قامت عنده البيّنة في أثناء النهار بدخول شهر رمضان يكون قد شهد الشّهر فيلزمه أن يُمسك بقية يومه من حين علمه بدخول الشهر وأن يومه من رمضان.

وألزمنا هؤلاء بالإمساك لحرمة الزمان، ولأن بقية اليوم الذي أفطروا أوّله هو من جملة الشهر الذي أُمروا بالإمساك فيه، وأوجبنا عليهم القضاء لأنه لا بدَّ للمكلّف من صيام الشهر كاملاً، فمن أفطر فيه يوماً أو بعض يوم لزمه أن يقضي ذلك اليوم الذي أفطره.

﴿٩٢﴾ رجل وصل إلى بلده من سفر وهو صائم في نهار رمضان، لكنه وصل وهو مجهد جهداً شديداً وأراد الفطر، هل يجوز له ذلك؟

ج الأصل أنه بعد وصوله إلى بلده يكون في حكم المقيم ولا يجوز له الفطر بل لو كان مفطراً للزمه الإمساك؛ لأن الله تعالى لما رخص في الفطر قال: ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ وهذا الرجل سفرهُ قد انقضى فليس له أن يُفطر.

ولكن إذا كان هذا الرجل مجهداً أو متعباً تعباً شديداً جداً، فإننا في هذه الحالة نُلحقُهُ بالمرضى المرخص لهم بالفطر في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ الآية، والمريض يحق له الإفطار، وما أصاب هذا الرجل من الإجهاد والإرهاق والتعب يُعتبر مرضاً يُبيح له أن يُفطر بقدر الحاجة.

﴿٩٣﴾ ذكرتم حفظكم الله أن المسافر في نهار رمضان إذا وصل بلده وهو مفطر فإنّه يلزمهُ الإمساك، ولكن إذا كان هذا المسافر لم يصل إلى بلده وإنّما وصل إلى البلد الذي سافر إليه، كأنْ يذهب من بلده الرياض فيفطر على الطريق ويصل إلى الدمام عصراً هل يلزمه الإمساك؟

ج إذا كان سيقيم في الدمام كإقامة أهلها كأن يسكن في فندق مثلاً أو شقة مريحة فيُعتبر هنا كحال المقيمين لا يترخص بل يلزمهُ الإمساك.

أما إن لم يكن في حكم المقيمين كأن يكون أثاثهُ في سيارته أو كانت إقامتهُ ليست كاملة، كما لو بنى خيمة في خارج البلد ولم يتمتّع بما يتمتّع به المقيمون من الأنوار والكهرباء والمكيفات والفرش والثلاجة والمطبخ.. ونحوها، فإنه يُعتبر مسافراً وله في هذه الحالة أن يستمرّ في فطره.

﴿٩٤﴾ شخص مسافر في نهار رمضان إلى مكة ليعتمر، فوصلها وهو صائم، ولكنه متعب ومجهد فهل يفطر للتقوي على العمرة؟

ج كان الأَولى به أن يتقوى بالفطر أثناء سفره قبل أن يصل، ولكن مع ذلك حيث أنه ليس من أهل مكة فقد رخص له بعض أهل العلم بالفطر واعتبروه مسافراً ولو مع استقراره ونزوله، وإن كان الأَوْلى والأفضل الإمساك بقية نهاره.

﴿٩٥﴾ رجل أصبح في يوم من أيام شهر محرم وهو صائم قضاء، وعزم على السَّفر بعد الظهر وعزم أيضاً على الفطر، ثمّ بعد صلاة الظهر بدا له أن لا يسافر فهل يعتبر صومه باطلاً بسب نية الفطر، مع أنه قضاء وليس في نهار رمضان؟

(ج) نعم؛ ينقطع صومه ويجب عليه صيام يوم بدله؛ لأن الصيام إمساك بنية فإذا انقطعت النية أثناء النهار بأن عزم على الإفطار وإبطال الصوم بطل صوم ذلك اليوم؛ لأن بطلان بعض اليوم بطلان لجميعه فإنّما الأعمال بالنيات.

القِسم الرَّابع

فتَاوَى عَامَّة للمسَافِر

﴿٩٦﴾ لماذا سُمِّي السَّفر سفراً ولم يُسَمَّ ـ مثلاً ـ نقلة أو مسيراً أو نحو ذلك؟

ج سمّي السفر سفراً لأنه يُسفرُ عن أخلاق الرجال، ولأنك إذا صحبتهُ يوماً أو ليلة لم تعرف أخلاقهُ، بخلاف ما إذا طالت المدة كيومين أو ثلاثة أو أكثر فإنك تعرف صدقه وشدّته ولينه وديانته وأعماله، فالسّفر هو الذي تطول فيه المدة حتى يسفر عن أخلاق الرجال.

وفيه الأثر المشهور عن عمر رضي الله عنه أنه شهد عنده شاهدان فقال: إني لا أعرفكما ولكن ائتياني بمن يعرفكما، فقال رجل: أنا أعرفهما، فقال عمر: هل جاورتهما مدة طويلة، حتّى تعرف مدخلهما ومخرجهما وحالهما؟ قال: لا، قال: هل صحبتهما في سفر حتى تعرف شدتهما وصدقهما ومحافظتهما وقيامهما؟ قال: لا، قال: لست تعرفهما، فأفاد بأنَّ السَّفر هو الذي تحصل فيه الصحبة الطويلة ويُسفر عن الأخلاق.

﴿٩٧﴾ بعض الناس إذا أراد السّفر ثمّ رأى قطاً أسود أو مرض أحد أطفاله أو حدث شيء أفزعهُ تشاءم من ذلك وتراجع عن السّفر فما حكم ذلك؟

ج لا يجوز هذا؛ لأن هذا من التطيّر وقد قال ﷺ: **«إنّما الطيرة ما أمضاك أو ردّك»**[1]، فإذا كان متردداً ثمّ رأى طائراً أو شبه ذلك فمضى لأجل ذلك الطائر فهذا تطيّر، أو إذا كان متوقفاً فرأى طائراً يناسبه فسافر لأجله اعتُبر متطيراً.

---

(١) رواه الإمام أحمد.

فالطيرة ما مضى لأجله أو رجع لأجله، كما لو كان مسافراً ثمّ برح ظبي بأنْ مرَّ عن يساره وهو ما يسمّونه بالبارح فرجع هذا المسافر لأجل ما رأى، أوّ رأى طائراً مرَّ عن يساره فتشاءم ورجع أو تشاءم بقطّ أسود أو كلب أسود أو بصراخ، أو رأى شخصاً لا يعجبه فتشاءم لذلك، فهذا كلّه من التطيّر.

﴿٩٨﴾ فضيلة الشيخ: ما قولكم ـ حفظكم الله ـ في ضابط السّفر وحدِّهِ وهل يحدّد بالعرف أم لا بالمسافة أم بالزمن؟

ج﴿٥﴾ يعتبر تحديد السّفر بالزمن وهذا الذي اختاره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ وأنه يعتبر بالمدة التي يُمضيها المسافر في الطريق بالمسافة[١].

فيقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الإنسان قد يقطع مسافة قليلة في زمن طويل فيُعتبر مسافراً كالذي يسير سيراً بطيئاً فلا يقطع المسافة القصيرة إلّا في زمن طويل. وقد يكون الأمر بالعكس بأن يكون سريع السَّير فيقطع مسافة طويلة في زمن يسير فلا يعتبرُ مسافراً. ثمَّ ضرب رَحِمَهُ اللَّهُ لذلك مثلاً في زمانه فقال: لو ركب رجل فرساً سريعاً سابقاً فقطع مسافة لا تقطع إلّا في أيام عادة ثمّ رجع في يومه أو في ليلته لم يُعتبر مسافراً ولا يُسمَّى مسافراً وذلك لأن غيبتهُ هذه لا تسمَّى سفراً.

ويختار شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أن المسافة ليست عبرة وإنما العبرة بالمدّة التي يقطع فيها المسافرُ هذه المسافة فإن طالت فهو مسافر وإن قصرت فليس بمسافر.

وهذا القول هو الأقرب في هذه الأزمنة مع وجود السيارات التي تقطع المسافات الطويلة في زمن يسير، فإذا سافر رجل مثلاً من القويعية إلى الرياض وقطع هذه المسافة في ساعتين أو نحوها وله أهل هنا وأهل هناك، أو سافر في الصباح وقضى شغله ثمّ عاد في المساء لم يُعتبر مسافراً ولم يفقد حتى إن جيرانه قد لا يشعرون أنّه غاب بل قد لا يشعر بعض أهله بذلك لأنهم شاهدوه

---

(١) راجع هذا في مجموع الفتاوى ج٢٤ في مواضع متفرقة منه، و١٩/ ٢٤٣، ٢٤٤.

في الصباح والمساء فلا يشعرون بفقده بل ولا يستقبلونه إذا جاء كاستقبالهم للمسافر ولا يحيّونه ويحتفون به كالمسافر بل يعتبرونه مقيماً بينهم فلا يسمّى مسافراً في هذه الحال، بخلاف ما إذا أطال المدة، فلا سافر إلى مكان يبعد عن بلده (٥٠كم) أو نحوها وبقي يومين يتجوّل هناك فإنه يُسمَّى مسافراً ولو كانت المسافلة قليلة. والله أعلم.

﴿٩٩﴾ ذكر بعض أهل العلم أن تحديد السّفر وضابطهُ يكون بالعُرف فما اصطلح الناس أو تعارفوا على أنه سفر فهو سفر وما لم يتعارفوا على أنه سفر فليس بسفر فما رأيكم ـ أحسن الله إليكم ـ في هذا القول؟

﴿ج﴾ نعم، هذا صحيح ويعتبر ضابطُ السّفر وتحديده بالعرف، ولكن بعرفِ مَنْ؟! لا شكّ أن أعراف العوام ومفاهيمهم تختلف وتتباين فيُعتبر في ذلك عرف العرب واصطلاحهم، وقد تعارف العرب على أن السفر هو الغيبة الطويلة أمّا الغيبة القصيرة فلم يتعارفوا على أنّها سفر.

ومن نظر في حال عامة الناس اليوم وجد أنهم يتساهلون ويسمُّون الشخص كلّما غاب مسافراً، فكلّ غيبة عندهم يسمُّونها سفراً، فإذا ذهب أحدهم من «الرياض» إلى «المزاحمية» مثلاً أو نحوها ممّا لا يبعد عن الرياض إلّا (٣٠كم) أوْ (٤٠كم) قالوا: سافر إلى المزاحمية، سافر إلى كذا، وهذا في الحقيقة ليس سفراً فيُنتبه لهذا.

﴿١٠٠﴾ فضيلة الشيخ: نشرت إحدى الجرائد مقالاً لأحد الكتّاب ذكر فيه قوله ﷺ: «السّفر قطعة من العذاب..» الحديث[1]، ثمّ بدأ هذا الكاتب يتهكم بهذا الحديث ويشكّك ويقول: السّفر قد يكون سياحة وفرجة ومتعة، ويسافر الشخصُ أحياناً فتمضي عليه الأيام كأنها لحظات لسعادته في سفره وراحته وانبساطه فكيف يكون السفر عذاباً.. فما الردّ ـ حفظكم الله ـ على مثل هذا؟

---

(١) الحديث متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ ولفظُهُ ـ: «السّفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامهُ وشرابهُ ونومه، فإذا قضى أحدكم نهمته في سفره فليعجّل إلى أهله».

ج الحديث صحيح ولكنه محمول على السّفر في ذلك الزمان فإن النبي ﷺ عندما تكلم بالحديث كان السّفر عند السامعين فيه مشقة وصعوبة، فإنهم كانوا يسافرون على الإبل وكان أكثر سيرهم على أقدامهم؛ لأن الرواحل قد تكون مرهقة ومحمّلة بالمتاع، فقد كانوا إذا طال بهم السّفر حمّلوا رواحلهم الزاد والمتاع؛ كالطعام والشراب والفرش والأواني فلا يبقى لهم مكان عليها فيضطرون للمشي على الأقدام. بل إنهم حتى لو ركبوا على رواحلهم فإن المشقة لا تزول فكان أحدهم يركب فوق الرّحل على ظهر البعير ويجمع ركبتيه وقد لا يتمكن من الجلوس إلّا بجلسة القرفصاء أو يجلس مُسْتوفزاً فلا ينزل إلّا وقد أُرهق، إضافة إلى أنه يكون بارزاً للشمس والشمس تشوي صدره وظهره، ثمّ إذا نزل احتاج إلى إعداد الطعام وإصلاحه وتهيئة علف لراحلته وجمع الحطب وإصلاح ظلّ ليجلس فيه وترتيب الفرش ونحو ذلك، فيكون عليه مشقة في إصلاح ذلك كلّه، فيكون السّفر فيه عذاب وصعُوبة ومشقة.

أما في هذه الأزمنة مع وجود هذه الرواحل السريعة في سيرها والمكيفة والمهيئة والتي لا يكلف الركوب فيها ولا قيادتها مشقّة والطرق مأمونة ويوجد ـ غالباً ـ على الطريق استراحات يجد فيها المسافرُ من يخدمه ويجد فيها الطعام والشراب والظل والفراش فتصبح الأسفار في هذه الحال لا مشقة فيها.

فيكون الحيث محمولاً على السفر المعتاد قديماً وإذا وُجد بعض المشقة حتى في زماننا هذا صار السّفر قطعة من العذاب.

﴿١٠١﴾ أيهما أفضل للمسافر أن يقطر الطريق ليلاً أمْ نهاراً؛ لأنني قرأتُ في بعض الكتب أن السير في الليل أقصر؛ لأن الأرض تطوى بالليل؟

ج نرى أن السفر بالليل كان أفضل فيما سبق لكثرة قطّاع الطرق وقد كانوا يهدؤون وينامون بالليل، أما في زماننا فقد يكون الأمر بالعكس، وقد جاء في الحديث: «**عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل**»[1]، وفي

(١) رواه أبو داود والحاكم وغيرهما. صحيح الجامع حديث (٣٩٤٣).

حديث آخر: «**واستعينوا بالروحة والغدوة وشيء من الدّلجة**»[1]، والغدوة: السير أول النهار، والروحة: السير آخر النهار، والدلجة: المسير أول الليل أو في بعض الليل.

لكننا نرى أنّ الأولى في زماننا هذا السَّير في النهار فهو أفضل وذلك للأمنِ من الأخطار والتقليل من الحوادث وللسير على بصيرة ووضوح في الطريق فينتبه المسافر إلى ما قد يعرض أمامهُ من إبل أو سيارات متعطلة أو نحو ذلك.

والملاحظ أن السّير بالليل في هذه الأزمنة يختلف عن زمانهم فهم كانوا يحبُّون السّير بالليل من أجل هدوء الناس؛ ولأنهم يقطعون أرضاً مفازة صحراء طويلة ليس فيها سكان فيفرحون بقطعها بسرعة دون أشغال أو توقف أو حرارة شمس أو نحو ذلك.

﴿١٠٢﴾ جاء عن النبي ﷺ أنه كان يسافر فجر يوم الخميس، فهل هذا عامّ في كل سفر وهل يُسنُّ إذا أراد أحدنا السَّفر أن يُنْشئَ سفره في فجر الخميس؟

ج إذا تيسّر له ذلك فهو الأفضل، أما إن كان الطريق قصيراً فيسافر في أيّ يوم تيسّر له ذلك.

وقد كان السفر في ذلك الوقت تطول مدّته فيستغرق نصف شهر أو نحوه وقد يمتدّ إلى أشهر بخلاف السفر في زماننا فإنه ينقضي في يوم ونحوه فلا حاجة إلى تخصيص يوم دون يوم أو الانتظار إلى يوم الخميس لإنشاء السّفر في فجره. والأمر فيه سعة ولله الحمد.

﴿١٠٣﴾ ذهبنا مرة مع بعض طلبة العلم إلى مكة للعمرة وأثناء رجوعنا أردنا المرور على ديار عادٍ وثمود والنظر في منازلهم وكيف أهلكهم الله تعالى فنهانا بعضنا عن ذلك وقال: إن دخول هذه المنازل أو الذهاب إلى هذه الديار محرم ولا يجوز، فما الجواب الصحيح في ذلك جزاكم الله خيراً؟

---

(١) رواه البخاري.

ج لا مانع من السّفر إلى هذه الديار لعموم الأدلة الآمرة بالاعتبار بأحوالهم؛ كقوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: ٤٦]، وقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨] أي: تمرون بديار هؤلاء الأقوام، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الحجر: ٧٦] أي: إنكم تمرون عليها في سبيلكم وطريقكم.

فلا بأس بالسّفر إلى منازل هؤلاء وديارهم للعظة والعبرة والنظرِ في قوّتهم وفي حيلهم مع قلة الإمكانات في ذلك الزمان، وليتفكر الناظر في آثارهم وفي عاقبتهم ومصيرهم لما عصوا الله تعالى وكيف أهلكهم جلّ شأنه.

أمّا الدخول إلى بيوتهم وزيارة مساكنهم على وجه الاستقرار والسكنى فيها أو الإعجاب بها والتعظيم لهم فهذا هو الذي نُهي عنه، وفي الحديث قال ﷺ: **«لا تدخلوا بيوت هؤلاء المعذبين إلّا أن تكون باكين أن يصيبكم ما أصابهم»**[(١)].

﴿١٠٤﴾ ورد في بعض الأحاديث[(٢)] النهي عن السّفر بالمصحف إلى أرض العدوّ، فهل هذا النهي باقٍ إلى الآن أم أنّه منسوخ؟

ج ذكر ذلك ابن مفلح رحمه الله في كتابه «الآداب الشرعية»[(٣)]، وذكره قبله الفقهاء وأكثروا من ذكره، ثمّ رأيت تعليقاً لمحمد رشيد رضا رحمه الله على كتاب «الآداب الشرعية» قال فيه[(٤)]: إن هذا النهي كان في زمن قلّة المصاحف حيث كانت تكتبُ بالأيدي ويُخاف من السّفر بالمصحف إلى أرضِ العدوّ أن

---

(١) متفق عليه. البخاري (٤٤١٩)؛ مسلم (٢٩٨٠).

(٢) قال ﷺ: «لا تسافروا بالقرآن فإنّي لا آمن أن ينالهُ العدو»، رواه مسلم وأحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: الآداب الشرعية لأبي عبد الله محمد بن مفلح رحمه الله ٢/ ٢٨٧.

(٤) انظر نصّ كلامه رحمه الله في المصدر السابق.

يسْتولُوا عليه ثمّ يغيرون ويزيدون وينقصون فيكون هذا تعرضاً وجرأة على كتاب الله وتلبيساً على القارئين.

أما الآن وقد حفظ القرآن ـ ولله الحمد ـ ووصل إلينا محفوظاً مصوناً، وقد فُسِّر وكُتب في كتب التفسير وطُبع وكثرتْ نسخُهُ وانتشر فنرى أنه لا مانع من السَّفر به في هذا الزمان والحال؛ لأن الأمر كما ذكرنا ومن تأمّل في واقعه وجد أنه يوجد في بلاد الكفار عشرات الألوف من المصاحف وأنه طُبع وانتشر عندهم مترجماً وغير مترجم، فعلى هذا يكون النهي لعلةٍ وقد زالت العلّة فيزول النهي، وقد تكفّل الله تعالى بحفظ كتابه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

﴿١٠٥﴾ أنا أعملُ في السعودية وبلدي يحارب الشباب الملتزمين بالدين حرباً شديدة ويضطهدهم ويسجنهم وإذا ذهبت إلى بلدي وأنا بهيئتي الملتزمة من إعفاء اللحية وتقصير الثوب أتعرّضُ لمضايقات ومساءلات وتضييق من موظفي المباحث والشرطة والجوازات، فهلْ عليَّ حرج لو حلقتُ لحيتي عند ذهابي؟

ج إذا كان الأمرُ كما ذكرت فأنت معذور وتكون كالمكره الذي عذرهُ الله تعالى بالكفر كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] وتكون كالذي خشي على نفسه.

فإذا عرفت مثلاً أنك ستكون عرضة للسجن الشاقّ والتوبيخ الشديد والإهانة والضرب الذي ينالك وينال أهلك وولدك، فأنت معذور مع احتسابك وحرصك على إظهار ما تستطيعه من الشعائر فيما بعد ذلك بقدر الاستطاعة.

ولكن هنا أمر ينبغي التنبّه له وهو أن بعض الناس قد يحلق لحيته لأوّل إهانة أو كلمة تمسُّه ويعدُّ ذلك إكراهاً وفتنة وهذا لا يجوز فإن التأخّر في المطار أو في الجوازات ولو لساعات طويلة أو حتى السّجن يوماً أو يومين لا يبيح للمسلم أن يحلق لحيته ويرضيهم بسخط الله، وإنّما ينبغي أن يصبر ويحتسب، فليُحذر من التوسّع في ذلك.

﴿١٠٦﴾ سافرت إلى إحدى البلدان الإسلامية ومكثتُ فيها أسبوعاً وكنتُ عندما تحضرني الصلاة لا أكاد أجدُ مسجداً لأصلي فيه إلّا وهو مبني على قبر أو في قبلته قبر أو مدفون فيه أحد الصالحين ـ كما يزعمون ـ فهل أُصلي مع الجماعة في هذه المساجد أم أُصلي في مكان سكني؟

﴿ج﴾ ينبغي أن تبحث عن مسجد ليس فيه قبر إن وُجد، وإن لم تجد فصلِّ في سكنك ولا تصلّ في مسجد فيه قبر.

ولكن يستثنى من ذلك صلاة الجمعة إذا لزمتك فإنك تبحث عن مسجد ليس فيه قبر، وإن لم تجد فصلِّ في مسجد قبره خارج عنه أوَ ليس في قبلة المصلين وإنّما هو خلفهم ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

﴿١٠٧﴾ مجموعة من المسافرين كانوا في الطائرة فوقع خلل فيها فسقطت وارتطمت بالأرض ثمّ احترقت ومات أكثر من فيها، فهل يعتبرون شهداء؟

﴿ج﴾ ذكرنا أن حوادث السيارات شبيهة بالهدم، فكذلك حادث الطائرة واحتراق من فيها نرجو أن لهم أجر الشهداء، ولكن ليس لهم حكم الشهداء في ترك تغسيلهم ونحوه، وقد فصّلنا في ذلك في جواب عن حوادث السيارات.

﴿١٠٨﴾ ما المقصود بما ذكره بعض أهل العلم أن من السّنة للمسافر إذا علا مرتفعاً أن يكبّر وإذا نزل منخفضاً أن يُسبّح، هل يكبّر ويسبّح مرة واحدة أم يستمرّ في ذلك؟

﴿ج﴾ لو كبّر أو سبّح مرة واحدة كفاه، ولكن إذا طال ذلك المرتفع استُحبَّ له أن يكرّر التكبير، كذلك إذا طال ذلك المنخفض كرر التّسبيح.

ويُعبَّر عن المرتفع بالعقبات التي على الطريق، فإذا علاها بدأ في التكبير. والمنخفض ضدّ المرتفع وهو أن يكون مثلاً في مجرى شِعْب أو وادٍ منخفض أو نحو ذلك، فهنا يبدأ بالتسبيح.

﴿١٠٩﴾ هل يُسنُّ له أن يرفع صوته بالتسبيح والتكبير؟

﴿ج﴾ لا يرفع صوته كثيراً لحديث أبي موسى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ارْبعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً..**»[1] فيُسنُّ أن يكبر ويُسبّح دون جهر شديد.

﴿١١٠﴾ ذُكر في بعض كتب الأذكار أن الشخص إذا أقبل على المدينة أو القرية وأراد دخولها أن يقول: «اللهمّ ربّ السمٰوات وما أظللن..»[2] فمتى يقال هذا الذكر هل هو عند ولوج المدينة أم عند رؤية مساكنها؟

﴿ج﴾ كانوا يقولونه عندما يرون مبادئ المدينة أو القرية التي أقبلوا عليها وعندما تبدو المساكن لهم.

وفي هذه الأزمة قد يرى المسافر من بعيد، فإذا رآها لا بأس أن يقول هذا الذكر، وإن أخّر الذكر حتى يدخل أوائل البيوت فلا بأس.

﴿١١١﴾ رجل يسكنُ في الرياض وزوجته تدرّس في مدينة الخرج؛ أي: ما يبعد عن الرياض قُرابة (٩٠كم) وهو يذهب بامرأته كلّ صباح إلى الخرج ويعود بها بعد الظهر، وطلبت بعض زميلاتها من المدرسات أن يذهبن معها، فهل في نقلِه لهنّ حرج حيث إنهنّ يذهبن معهُ من غير محرم؟

﴿ج﴾ قد تقدم أن المسافة الطويلة التي تُقطع في زمن يسير لا تُسمَّى سفراً، وأنَّهُ إذا كانت المرأة تذهب مع سائق ومعها مجموعة من النساء أو السائق معهُ إحدى محارمه كزوجته أو أخته فقد زال المحذور، لعدة أمور:

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الحاكم ٢/ ١٠٠، وصحّحه ووافقه الذهبي وحسّنه الحافظ في تخريج الأذكار ٥/ ١٥٤، ١٥٥ عن حاشية كتاب الوابل الصيّب، ولفظ الحديث: عن صهيب ﷺ أن النبي ﷺ لم يرَ قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها: «**اللهم رب السمٰوات السبع وما أظللْن، وربّ الأرضين السَّبع وما أقللْن، وربَّ الشياطين وما أضللْن، وربّ الرياح وما ذريْن، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها وأعوذ بك من شرّها وشرّ أهلها وشرِّ ما فيها**».

أولاً: لعدم الخلوة.

ثانياً: لعدم الجرأة من هذا السائق؛ لأنّ معهُ امرأته أو أخته ولكثرتهنّ.

ثالثاً: لقصر المسافة، حيثُ تقطع في ساعة أو نحوها، فلا بأس في ذلك إن شاء الله.

﴿١١٢﴾ امرأة تسكن في الرياض وعندها خمسُ بنات كبيرات وولد واحد يسكنُ في الطائف وأرادت أن تذهب مع بناتها من الرياض إلى الطائف مع السائق في السيّارة، فهل يجوز ذلك علماً بأنهنّ ليس معهن رجل محرم؟

ج الأَولى أن لا يسافرن إلّا مع محرم كأنْ يأتي ابنها الذي في الطائف ويأخذهن أو يسافر معهن، ولكن إذا اضطرت هذه المرأة وبناتها إلى السّفر ولم يستطع الولد الحضور إليهن وأُمِنتْ المفسدة من السائق، وكانت هناك حاجة شديدة إلى السَّفر ولم يجدن محرماً أبداً، فلعلّه في هذه الحالة يُرخّص لهن في السّفر بقدر الحاجة للضرورة.

﴿١١٣﴾ ما المحرم الذي يجزئ أن تسافر معه المرأة؟

ج هو زوجها أو من تحرم عليه بنسبٍ أو سبب مباح؛ كالأخ من الرضاعة وأبي الزوج وابن الزوج الذي تحرم عليه أبداً، أو المحارم الآخرين الذين هم أبوها وابنُها وأخوها وابن أخيها وابن أختها وعمّها وخالها، فهؤلاء كلّهم محارم.

﴿١١٤﴾ هل يشترط للمحرم الذي يسافر بالمرأة أن يكون قد بلغ سناً معيناً؟

ج إذا كان السَّفر يطول فلا بدَّ أن يكون المحرم مكلفاً بالغاً، أما إن كان السَّفر لا يطول كخمس ساعات وستّ، فلا يشترط في المحرم البلوغ فيجزئ، ولو كان صغيراً مميزاً قد قارب العشر سنوات.

﴿١١٥﴾ استقدمتُ خادمة من أندونيسيا واشترطت قبل مجيئها أن أسمح لها بالحجّ فلمّا جاء وقت الحجّ تحرّجت من إركابها في الحافلات لنقلها إلى مكة من غير محرم، فهل لو فعلتُ ذلك عليَّ بأس؟

ج لا بأس من إركابها في حافلات النقل الجماعي سواء كان مع حملة حجّ أو نقل، بشرط أن تكون الحافلة فيها مكان مخصص للنساء وبينهن وبين الرجال حاجز فيركبْن من باب يختصُّ بهنّ وينزلن منهُ ويسكنّ في مكة أثناء الحجّ في سكن أو خيام تختصّ بهنّ، ولا يحصل بينهن وبين الرجال اختلاط، وبشرط أن يكن متسترّات، فهذا جائز للحاجة إليه. أما غير الخادمات فحيث أنهنّ يستطعن السَّفر مع محارمهنَّ في السيارات أو نحوها فعليهنّ ألّا يسافرن إلّا مع محارمهنّ.

﴿١١٦﴾ بعض المدرسات تكون ساكنة في الرياض وتعيّن للتدريس في قرية أو مدينة قريبة كـ«القويعية» أو «الخرج» أو «الجلْة» ونحوها؛ أيْ: ما يبعد عن الرياض بمقدار (١٠٠كم أو ٢٠٠كم) وأحياناً تذهب مجموعة من المدرسات مع السائق في الصباح وتعود قُبيْل العصر، هل فعلهنّ جائز؟

ج قد يجوز حيث أنهنّ مجموعة من النساء وليس هناك خلوة من السائق بإحداهن فهنا لا يشترط المحرم بل إنّ هذا الذهاب والمجيء لا يُسمَّى سفراً على التعريف والضابط الذي ذكرناه للسّفر في جوابٍ سابق.

بل إنهنّ أيضاً لا يَعْتبرن أنفسهنّ مسافرات فلا يتهيّأن تهيؤ المسافر عند الذهاب ولا يُسْتقبلنَ استقبال المسافر عند الرجوع.

﴿١١٧﴾ رجل يريد أن يسافر بزوجته وأولاده وأخواته وعندهُ خادمة لا يدري أين يضعُها عند سفره ولا يأمن من أن يتركها وحدها في المنزل فهل عليه حرج لو سافر بها؟

ج لا بأس بذلك للضرورة والحاجة، ولكن ينبغي أن يجعلها بين النساء ولا يتركها في المنزل؛ لأن تركها وحدها قد يؤدي إلى مفاسد، لذا لا بأس أن يسافر بها مع عدم وجود محرمها للضرورة.

﴿١١٨﴾ أنا رجل كبير متزوج وعندي أولاد وأحياناً يمنعني والداي من بعض الأسفار، فهل يجب عليّ استئذان الوالدين عند كلّ سفر؟

ج إذا كان السّفر فيه مخاطرة وفيه تعرّض لأذى وأمراض أو تعرّض لموت ونحوه فلا بدّ من استئذان الأبوين كاستئذانهما لسفرِ الجهاد والحجّ الطويل الذي تطول فيه المدة ويتعرض فيه المسافر لقطاع طريق أو أذى.

ويجب عليه استئذانهما أيضاً إذا علم أنهما يحتاجان إلى خدمته.

أما إن انتفت هذه الأسباب فقد جرت عادة الناس أن يسافروا إلى البلاد القريبة مسيرة يوم أو يومين أو ثلاثة أيام أو نحو ذلك، ويعرف ويتحقق أن أبويه لا يكرهان ذلك ولا يمنعانه.

﴿١١٩﴾ فضيلة الشيخ: بالنسبة لصلاة الاستخارة قبل السّفر، هل تُفعل دائماً حتى لو كان السّفر سفر طاعة كالسّفر إلى مكة للعمرة ونحوها؟

ج نَعم؛ الأَولى أن صلاة الاستخارة تُفعل دائماً وذلك لأن الإنسان لا يدري ما يعرضُ له في سفره هذا، حتى لو كان سفر طاعة لحج أو عمرة أو جهاد أو طلب علم، فإن المسافر لا يدري هل الوقت مناسب للسّفر.. هل هذه السّفرة مناسبة.. هل يكون فيها رابحاً أم خاسراً.. إلى غير ذلك، فالأَولى أن يستخير في جميع الأسفار قبل الذهاب.

﴿١٢٠﴾ ذكر بعض أهل العلم أن الأَولى للمسافر أن يكتب وصيّته قبل السّفر، فهل هذا خاصٌّ بصاحب المال أم هو عامٌّ في كلّ مسافر؟

ج الوصية ليست خاصة بصاحب المال بل هي عامة في كلّ من عنده شيء يوصي به سواء أراد السّفر أم لم يرد، وذلك لعموم حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيتُ ليلتين إلّا ووصيّتُه مكتوبة عنده**»[1].

﴿١٢١﴾ ما السّبب في أن بعض أهْل العلم أكّد على كتابة الوصية قبل السّفر مع أن الأمر بكتابة الوصية عامّ كما تفضّلتم؟

---

(١) متفق عليه.

ج لأن السّفر مظنة غَيْبةٍ عن الأهل والمال ومظنّة أحداث تعرضُ للمسافر ولا يدري ما يقع عليه فيها، فيستحبّ له أن يجدد الوصية قبل سفره حتى يكون على حذر.

وكان كثير من السابقين - رحمهم الله - يستصحبُ في سفره من يستعين به على العمل الصالح ومن يُذكّرهُ بالموت والجنة والنار، حتى لا تُصيبهُ في سفره غفلة أو إعراض.

﴿١٢٢﴾ رجل أراد أن يسافر لعدة أشهر فرفضت زوجته رفضاً شديداً وأخذت تصيح وتبكي وتقول: اجلس عند أولادك ولا تسافر، فهل يلزمه طاعتها؟

ج الرجل أملك بنفسهِ وليس لها أن تلزمه بأن يجلس إذا أمَّن لها ولأولاده حاجتهم ونفقتهم، وأمّن سكنهم وجعل عندهم من يراعي شؤونهم ويؤنسهم فليس لها في هذه الحال منعه، والرجل أعلم وأدرى بحاجة نفسه وأولاده وما يصلح لهم.

﴿١٢٣﴾ بعض الرجال يسافر ويغيب عن زوجته السنتين والثلاث فما الحكم؟

ج لا يجوز أن يغيب الرجل عن زوجته أكثر من ستّةِ أشهر، ولكن إذا كان غيابه الطويل لمصلحة كطلب علم أو كسب حلال أو نحو ذلك وسمحت بذلك زوجته جاز ذلك بقدر الحاجة ولو امتدَّ غيابه سنتين أو ثلاثاً فمتى طلبت رجوعه وتمكن من ذلك لزمه الرجوع بقدر الحاجة.

﴿١٢٤﴾ رجل عليه دَيْن كثير وأراد السّفر، هل يجب عليه أن يستأذن من غرمائه قبل سفره؟

ج نعم؛ ينبغي أن يستأذن من غرمائه إذا كان يعرف أنهم شديدو الطلب وأنّهم لو علموا بسفره وأن سفره سفر عادة ليس سفر تجارة أو التماس مال وإنّما هو سفر عادة لزيارة مثلاً أو نزهة أو نحو ذلك، وأنه يُخلّ بمالهم

ودَيْنهم فلهم أن يمنعوه ويقولوا له: أعطنا نفقتك التي ستنفقها في هذا السفر، فاترك السّفر وأعطنا نفقتك وأوْفنا بها فلا يسافر إلا بإذنهم فإن منعوه ترك السفر ودفع لهم نفقته. أمّا إن كان يعرف أن غرماءه يتساهلون ولا يشدّدون عليه في الطلب جاز له في هذه الحال أن يترك استئذانهم.

﴿١٢٥﴾ ذكر بعض أهل العلم أنه لا يستحبّ للمسافر أن يأتي إلى بلده وأهله ليلاً واستدلوا بحديث: «نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً»[١]، وأحياناً نصِل من السَّفر في الليل ونأتي بيوتنا، فهل نعتبر قد وقعنا في المحظور؟ أفيدونا جزاكم الله خيراً.

﴿ج﴾ كان ذلك سابقاً في الوقت الذي لا يدري أهل المسافر متى يقدم عليهم ولم يحدد لهم وقت قدومه ولا يعرفون هل يقدم بعد شهر أو شهرين أو نحو ذلك وغيبة الناس في السفر سابقاً كانت طويلة فكان أحدهم إذا قدم على أهله في الليل، قد يجد امرأته في مظهر مُزرٍ فيكون ذلك سبباً لنفرته عنها؛ لأن المرأة غالباً إذا غاب عنها زوجها لا تعتني بنفسها كما لو كان حاضراً ولهذا علل النبي ﷺ في بعض الروايات النهي عن ذلك بقوله: «**حتى تمتشط الشعثة[٢] وتستحدّ[٣] المغيبة[٤]**»[٥]، وقد كانوا إذا أقبلوا على المدينة باتوا في طرفها قبل أن يدخلوها ثمّ جاؤوها نهاراً[٦].

أما في هذه الأزمنة فيعلم أهل المسافر ـ غالباً ـ باليوم بل وبالساعة التي يصل فيها فيستعدون لاستقباله، وتكون زوجته متهيئة، زيادة على أنه لا يكون هناك سفر طويل، بل الأسفار غالباً لا تستغرق إلّا أياماً معدودات.

---

(١) متفق عليه.

(٢) الشعثة: البعيدة العهد بالغَسْل وتسريح الشعر والنظافة.

(٣) الاستحداد: حلقُ العانة.

(٤) المُغيبة: التي غاب عنها زوجها.

(٥) متفق عليه.

(٦) أورد هذه الرواية ابن الأثير في جامع الأصول مع روايات أخرى. انظر: جامع الأصول ٥/ ٣٠.

إضافة إلى أن المسافر يكالم أهله بالهاتف في كلّ حين والمسافر في هذا الزمان لو أراد أن يقدم ليلاً يتصل على أهله ويخبرهم بمجيئه ويزول النهي بذلك.

﴿١٢٦﴾ ذكر بعض العلماء أن من مستحبات السّفر أن يجلب المسافر لأهله الهدايا من سفره، فهل ثبت هذا في السّنة أو في شيء من فعل السلف؟ أفيدونا جزاكم الله خيراً.

﴿ج﴾ جرت عادة الناس أن الذي يقدم من سفر طويل يأتي غالباً بتحفٍ وهدايا يُفرح بها أهلهُ عند وصوله.

فإن أهل المسافر إذا قدم أتحفوه بطعام ونحوه، وهو أيضاً ينبغي أن يتحفهم بما يتيسَّر من الهدايا والعطايا.

وجلب المسافر للهدايا من سفره أمر مشهور وبالأخص القادم من سفر الحجّ يتحفُ أهله بهدايا من الحرم أو نحوه.

وقد ذكر صاحب «المستطرف»[1] أن رجلاً هجا حجّاجاً قدموا من الحجّ ولم يهدوا له شيئاً فقال:

مَضَوْا ليَحُجُّوا والوجوه كأنها ... تكاد لفَرْطِ البِشْرِ أن تُوضِحَ السُّبْلا
وعادوا كأن القار فوق وجوههم ... فلا مرحباً بالقادمين ولا سهلا
أتونا فما جادوا بعود أراكةٍ ... ولا وضعوا في كفّ طفلٍ لنا بقلا

فهذا يدلّ على أن الحجاج اعتادوا أن يأتوا ولو بعود الأراك أو السّواك ونحوه.

﴿١٢٧﴾ ذكر بعض أهل العلم أن من الذين تُستجاب دعوتهم المسافر، فما الحكمة من ذلك؟

﴿ج﴾ هذا مشهور عند أهل العلم، وقد ذكر ابن رجب رحمه الله عند شرحه لحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي فيه: «**ثمّ ذكر الرجل يطيل السّفر أشعث**

(١) انظر: المستطرف في كل فن مستظرف للإبشيهي ٢/ ٥.

أغبر يمدُّ يديه إلى السّماء يا ربّ يا ربّ..»[1] وتكلم الشارح على قوله: «**يُطيل السّفر**» وقال: إن إطالة السّفر من أسباب إجابة الدّعاء، وذلك لأن المسافر غالباً يكون منكسر النفس متواضعاً مرهقاً بعيداً عن الترف والتنعُّم ممّا يكون سبباً في حضور قلبه وانكسار نفسِه عند الدعاء، وذلك من أسباب إجابته.

﴿١٢٨﴾ على الطرق الطويلة بين المدن توضع بعض اللوحات المكتوب عليها مقدار السرعة القصوى التي يُمنع المسافر من تجاوزها، فهل يجب علينا الالتزام بهذه السرعة وعدم مجاوزة الرقم المكتوب؟

ج الأصل الالتزام بذلك مخافة الحوادث ونحوها، وتقرير هذا المقدار من السرعة هو لتخفيف وقوع الحادث، كما لو وقع بَنْشر لإحدى السيارات أو حدث خلل في السيارة ويصعب مع السرعة الكبيرة تلافي الخطأ، فيحصل حادث انقلاب أو نحو ذلك، وغالباً تكون الحوادث الكبيرة بسبب السرعة، فالأصل الالتزام بمثل هذه السّرعة.

ولكن إذا كان الإنسان مستعجلاً وخشي أن يفوته شيء بتأخره، ووثق أن سيارته صالحة وليس فيها خلل، وكان الطريق واسعاً ليس فيه زحام، ووثق أيضاً مِنْ نفسه بالانتباه والتيقظ وعدم الغفلة، فهنا لو جاوز السرعة القانونية فلا حرج عليه، مع الكراهة فقد لا يتمالك السيارة وقد يعترض أمامه غيره إلخ.

﴿١٢٩﴾ بعض الناس يواصل قيادة سيارته على الطرق أثناء السفر وهو مجهد مُتعب وناعس ومع ذلك يصرّ على عدم الاستراحة ويواصل السير، فلو أصاب هذا حادث ومات له يعتبر منتحراً؟

ج هذا يعتبرُ مخاطراً، أمّا الانتحار فلا يعاقب عقوبة المنتحر، فإن

---

(١) الحديث رواه مسلم. وانظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب رحمه الله ص٨٥، ط. دار الفكر.

المنتحر هو الذي يتعمد قتل نفسه كما قال ﷺ: «**من قتل نفسهُ بشيء عذب به**»[1]، أما المذكور في السؤال فيعتبرُ مخاطراً في قتل نفسه وقتل غيره، وقد يلزمه ما يترتب على ذلك من الكفارات والديات أمّا أن نعتبره منتحراً فلا.

﴿١٣٠﴾ إذا مات شخص في حادث سيارة، هل يكون كمن مات تحت الهدم ويُعتبر شهيداً؟

ج) من المعلوم أن الشَّهيد الذي تطلق عليه الشّهادة بمعناها الأصلي هو المقتول في المعركة في سبيل الله وهو الذي قال فيه الله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وهو الذي وردت فيه الأحكام أنه لا يُغسَّل ولا يُكفن إلّا في ثوبيه ولا يُصلَّى عليه، وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وأما ما ورد في بعض الأحاديث من تسمية بعض الميتين شهداء؛ كالحريق والغريق وصاحب الهدم والمطعون والمبطون ونحوهم فمثل هؤلاء لهم الأجر فقط. وممّا يُلحق بصاحب الهدم من مات في حوادث السّيارات؛ لأنه أشد من الهدم فإنه يموت عند اصطدام السيارتين أو أكثر فيموت فجأة وقد يتمزّق وتتحطّم عظامه فهو شبيه بصاحب الهدم، وهو مأجور كأجر الشهداء الذين ذُكروا في الأحاديث، لكنه يغسل ويكفن ويصلى عليه.

فهؤلاء الشّهداء إنّما لهم الأجْر، أمّا الأحكام فهي خاصة بالمقتول في سبيل الله كما ذكرنا فهو الذي يدفن بثيابه بدون تغسيل وتكفين فإن سلبها كفن في غيرها.

﴿١٣١﴾ هل من السُّنّة أننا في كلّ سفر نؤمّر أحدنا، حتى لو كنا لا نختلف كثيراً؟

---

(١) الحديث اتّفق عليه الشيخان ولفظهُ عندهما: «**من قتل نفسه بحديدة فحديدتُه في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنّم خالداً مخلّداً فيها أبداً، ومن شرب سمّاً فقتل نفسهُ، فهو يتحسّاه في نار جهنّم خالداً مخلّداً فيها أبداً، ومن تردّى من جبل فقتل نفسهُ فهو يتردّى في نار جهنّم خالداً مخلداً فيها أبداً**».

ج ذكر بعض أهل العلم أن من السنّة للمسافرين أن يؤمروا أحدهم كما ورد به الحديث[١]، ويظهر أن الحكمة من ذلك هي مراجعة الأمير الذي جعلوه رئيساً عليهم والأخذ برأيه عند الاختلاف ونحوه، مع أن هذا الأمير لا يلزم من تأميره أن يفرض رأيه ويستعلي بقوله، ولكن يكون له مشاورة ونظر إلى أصحابه، ويستعين بهم في توقيت السّير والنزول ونحو ذلك.

وقد يقال: إن السفر الذي ورد الأمر بالتأمير فيه هو السفر الطويل، أمّا السّفر القصير الذي لا يكثر فيه الاختلاف فقد لا يلزم التأمير، وإن أمّروا فلا بأس.

﴿١٣٢﴾ نحن أربعة إخوة معنا أُمُّنا في سفر، ومن باب التقدير والاحترام لأُمّنا جعلناها أميرة علينا، فهل فعلنا صواب؟

ج فعلكم خطأ، فقد قال ﷺ: «**لا يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة**»[٢] وهذا الحديث عام ولو كانت أمّاً لهم، فيؤمروا أحدهم وإن شاء أن يشاورها ويستعين برأيها فهو حسن.

﴿١٣٣﴾ ذكر بعض العلماء أن النبي ﷺ نهى عن التعريس بجانب الطريق[٣] فما معنى ذلك؟

ج التعريس: هو نزول المسافر للنوم في آخر الليل، كما قال الحريري في مقاماته: غير أني كلّ يوم بين تعريس ورحلة.

فالتعريس هو أن يسير أول الليل، فإذا كان في آخر الليل نزل ونام. ومعلوم أن نوم المسافر قُرب الطريق ذريعة إلى وقوع الخطأ أو الدّهس من

---

(١) رواه أبو داود ولفظه: «**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمّروا أحدهم**» وهو في صحيح الجامع حديث (٥١٩).

(٢) رواه الإمام أحمد ٥/ ٥٠.

(٣) رواه ابن ماجه ولفظه عنده: «**إياكم والتعريس على جوّاد الطريق والصلاة عليها، فإنها مأوى الحيات والسّباع وقضاء الحاجة عليها، فإنّها الملاعن**» وهو في صحيح الجامع حديث (٢٦٧٠).

المارّين على الطريق، وذلك لأنه قد يسْتغرق في النوم فيعثرون فيه أو تطأه الدّواب والرّواحل أو ترتطمُ به أرجل المشاة وهم لا يشعرون به، وربّما كان ذلك سبباً لاختطاف بعض أمتعته لكونه مُستغرقاً في النوم ولا يشعر بمن يمرون به. فعليه عند التعريس أن يبتعد عن الطريق المسلوك بقدر معتاد ليأمن على نفسه وأهله وماله بإذن الله تعالى.

﴿١٣٤﴾ هل ينطبق هذا النهي على زماننا الآن؟

ج نعم؛ قد ينطبق، ولكن السيارات غالباً لا تكون خفيّة وتكون قريبة من صاحبها النائم والسيارات ليست كالرواحل، فإنهم سابقاً كانوا يسافرون على الرواحل فإذا نزلوا للنوم أطلقوا رواحلهم أو ربطوها بعيداً عنهم ولا يشعر المارون بهذا النائم ولا يرونه وقد يتعثرون به.

أما السيارات فالغالب أن صاحبها ينام بجانبها أو ينام بداخلها، ففي هذه الحالات تقلّ الأسباب وتزول العلل التي نُهي عن النوم والتعريس بجانب الطريق لأجلها.

﴿١٣٥﴾ بعض الناس إذا علم أن صديقاً أو قريباً له توفي في بلد معين شدّ الرحال وسافر إليه حتى يصلي عليه ويحضر دفن جنازته، فما حكم ذلك؟

ج لا بأس بذلك؛ لأن هذا الشخص عندما شدَّ الرحال لم يشدّها لأجل بقعة يتعبّد فيها ويعتقد أن للعبادة فيها مزية عن البلاد والأخرى، بل لأجل الصلاة على صاحبه، وشدّ الرحال المحرّم هو أن يسافر الشخصُ ـ مثلاً ـ إلى قبر لأجل مزيّة، أو إلى مسجد لأجل مزية تخصّه عن المساجد الأخرى مع وجود المساجد في بلده، أو سافر إلى مشهد معين يعتقد أن فيه بركة، أو ما أشبه ذلك، فهذا كلّه محرم.

ويستثنى من ذلك المساجد الثلاثة: المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، أما سفره للصلاة على مسلم فلا بأس به، وكذلك سفره لزيارة إخوانه المسلمين لا مانع منه ولا يدخل في النهي.

القسم الخامِس

فَتَاوَى تهمّ المسَافرين إلى الخَارِج

﴿١٣٦﴾ بعض المسافرين عند سفره إلى بعض بلاد الكفار أو بلاد المسلمين التي ينتشر فيها السفور والتكشّف، يتساهل بكشفِ امرأته لوجهها بل أحياناً تكشف شيئاً من شعرها بحجة أن أحداً لا يعرفها، وإذا نُصح قال: إنّها لو تستّرت تستّراً كاملاً لكانت ملفتة للنظر، فما حكم فعله؟

ج فعله خطأ وجهالة، فإن الواجب عليه أن يأمرها بستْر وجهها وشعرها وستْر قدميها وساقيها ويجب عليه أن يمنعها من التكشّف ولو كانت في بلاد غريبة ولو كان أهل تلك البلاد يستنكرون الحجاب أو إذا تحجّبت لفتت أنظارهم بل حتى لو كانوا ينظرون إليها أو يصوّرونها عندما تتستّر أو نحو ذلك.. كلّ ذلك لا يمنعه من أنْ يلزمها بالتّستر والاحتجاب حسب الاستطاعة والقدرة. لكن في بعض البلاد حتى البلاد الإسلامية إذا رأوها مُتسترة منعوها من الدراسة ونحوها، وجعلوها مخيفة أو مرهبة وضايقوها مضايقة شديدة في كلّ مكان، فهنا قد يكون هذا عذراً لها في أن تكشف وجهها أو بعضهُ عند شدّة الضرورة وبقدر الحاجة فقط من غير توسّع في ذلك.

﴿١٣٧﴾ امرأة سافر زوجها للدراسة في خارج البلاد وجلست هي عند أهلها فهل يجب عليها كلّما أرادت أن تسافر معهم إلى مدينة من المدن داخل البلاد، أن تتصل به وتستأذن؟

ج لا يلزم ذلك ما دامت عند أهلها إذا كان أهلها أهل رشد وصلاح وكان زوجها يعرف أنهم لا يعرّضونها للفتن أو الأخطار فليس له أن يمنعها إذا استأذنته بل ولا يلزمها أن تستأذنه لمثل هذا.

أما إذا عرفت شدة غيرته وحماسه ومحافظته، وعرفت أن هذا السّفر يعرضها للفتنة منها أو من غيرها، وعرفت كراهية زوجها لمثل هذه الأسفار والاختلاطات فهنا لا بدّ من استئذانه فإن الحكم يدور مع علّتِهِ.

﴿١٣٨﴾ أنا رجل أحبُّ السَّفر والسياحة وأُسافر أحياناً إلى بعض البلدان الإسلامية التي فيها منكرات وتكشُّف وسفور، ولكني لا أقعُ في شيء من الفجور ـ ولله الحمد ـ وليس من قصدي إلّا الانبساط والفُرجة، فما حكم سفري هذا وهل أنا آثم؟

﴿ج﴾ إذا كنت تقصد التّمشية والنزهة فنرى أن سفرك هذا مكروه ولا ينبغي لكثرة الفتن والأخطار، أما إن كنت تقصد الدعوة والتعليم ونشر الدين والنصح والتوجيه فنرى أن سفرك هذا مُسْتحبّ ولك به أجر لما فيه من إظهار شعائر الإسلام ومحاسنه والرد على من خرج عنه أو خالفه..

أما إن كنت تقصد التجارة وتنمية المال فيجوز سفرك بغير كراهة بشرط القدرة على إظهار الدين والجهر به والتمسُّك بتعاليم الإسلام، أما إن كنت لا تقدر في هذا السّفر على إظهار الدين كأن تضطرّ إلى أن تحلق لحيتك أو تترك الصلاة مع الجماعة أو تترك الأذان للصلاة والنداء لها وأنتم جماعة أو كنت تخاف على نفسِك من المداهنة أو التنازل عن بعض الأمور الشرعية أو الوقوع في شيء ممّا يقع فيه المشركون من عبادة القبور أو الذبح لها مجاراة للمشركين فهنا يحرم السَّفر وإن كان لتجارة.

﴿١٣٩﴾ والسّفر إلى بلاد الكفار هل له الحكم نفسه؟

﴿ج﴾ الحكمُ كذلك يُقال في بلاد الكفار بل الأمر فيه أشدّ، فإن كان يقدر على إظهار دينه ويؤمِّل أنه سيدعو إلى دينه بدعاءٍ قوليّ أو فعليّ فسفرهُ مستحبّ؛ كسفر الدّعاة الذين ينشرون الإسلام بين الكفار في بلادهم.

أما إن كان هذا المسافر لا يقدر على ذلك ويخاف أن يقع في المنكرات أو يخشى أن يفتتن بالنساء أو الخمور ونحوها فسفره في هذه الحالة محرم ولا يجوز.

أما إن كان السَّفر لحاجة كتجارة ونحوها فالأمر جائز بشرط إظهار الدين والاعتزاز به.

﴿١٤٠﴾ هل هناك حرج من لبس زيّ الكفار عند السّفر إلى بلادهم كلبس القميص والبنطال؟ مع أنهم لا يلبسون ملابسنا عندما يأتون إلينا.

ج قد أجاز بعض المشايخ لبس زيّهم في بلادهم إذا كان هناك ضرر من عدم لبسهِ، حيث إنهم في بعض البلاد ـ حتى البلاد الإسلامية ـ إذا رأوا شخصاً من هذه المملكة عرفوا أنه قد يغلب عليه الثراء والغنى بالنسبة إليهم فيتشدّدون في معاملتهم ويزيدون عليه في قيم السلع ولا يبيعونه إلّا بثمن مضاعف، لكن إذا ظهر بمظهر أهل بلادهم وتزيّا بزيّهم فقد لا ينتبهون له ويظنون أنّه كأحدهم ويبيعونه كما يبيعون أفرادهم.

لذلك كان كثير من الذين يسافرون إلى مثل تلك البلاد يلبسون مثل لباسهم لهذا الغرض.

وقد يضطرّ الشخصُ أيضاً للبس لباسهم؛ لأنه يخشى على نفسه من بعض اللصوص الذين إذا رأوا وفداً من بلاد غنيّة ظنوا أنّه يحمل نقوداً كثيرة فلا يأمن أن يخطفوه في مكان خال ثمّ يغتصبوا ما معه من مال وقد يقتلونه، فإذا تزيّا بزيّهم لم يُتفطَّن لهُ.

هذه هي الأغراض التي يعتذر بها من تزيّا بزيّهم، فإذا انتفت هذه الأغراض فإننا نقول: لا يجوز أن يتشبّه بهم لأنه في هذه الحال يكون متشبّهاً بالكفار، وفي الحديث: «**من تشبّه بقوم فهو منهم**»[1]، ولأن التشبّه بهم في الظاهر يؤدي إلى الموادّة لهم وتقليدهم في الباطن ويؤدي إلى التساهل بالركوب في مراكبهم والجلوس في مجالسهم واحترامهم وتعظيمهم وتوقيرهم، ونحو ذلك. هذا ما يظهر لنا.

والواقع أن كثيراً من أهل تلك البلاد إذا رأوا الوافد من مثل بلادنا وقد

---

(١) رواه أبو داود وغيره وهو في صحيح الجامع حديث (٦٠٢٥).

تمسّك بزيّه وثوبه وغترته فإنهم يحترمونه ويقدرونه ويفسحون له الطريق، وكذلك إذا رأوا أنه متمسِّك بدينه مُعْفٍ لحيته مقصِّر شاربه، وثوبه غير مسبل، فيعلمون أنه من أهل الصلاح فيحترمونه ويقدرونه حيث إنه لم يداهن ولم يتساهل بما فرض الله عليه. والله أعلم.

﴿١٤١﴾ عندما كنتُ طالباً في الجامعة استلمتُ ورقة تخفيض تذكرة بالطائرة لأسافر بسعر مخفض لأني طالب، فاشتريتُ التذكرة بهذا السّعر المخفض لكنني ما احتجتُ إليها إلّا بعدما تخرجت وتوظّفت، فهل يجوز لي الآن استعمالها؟

﴿ج﴾ يظهر لي أنك أحق بها حيث أنك دفعت ثمنها فلك الانتفاع بها ولو كنت دفعت الثمن وأنت طالب؛ لأنها بُذلت لك ودفعت ثمنها وأنت مستحقّ لها، فما دامت عندك فلك أن تستخدمها.

﴿١٤٢﴾ عند السّفر إلى بعض البلدان يعطّلك موظفو الجمارك أو الجوازات ويتعبونك في أمور يتعمدونها حتى تدفع لهم بعض المال خفية (بخشيش) كأن تدسّه في الجواز وتعطيه إياه فإذا رأى النقود سهّل أمورك ويسّرها، وإذا اشتكيت إلى المدير قال لك بكل صراحة: خلّص نفسك.. الدنيا مصالح!! فما حكم إعطائهم هذا المال؟

﴿ج﴾ ننصحكم أن لا تعطوهم شيئاً فإنهم إذا يئسوا منك ويئسوا من الثاني والثالث والرابع اضطروا أن يسوّوا بينكم وييسّروا أموركم تيسيراً واحداً من غير مال ولا (بخشيش)، أما إذا أعطاهم هذا وأعطاهم هذا فإنهم سيعطلون البقية حتى يعطوهم، وربّما كلفوا الفقراء والمعوزين والعاجزين وشقوا عليهم حتى يعطوهم فيكون هذا إعانة لهم على أكل المال بغير حق وذلك لأن وظيفتهم أصلاً أن يخدموا الناس ويسوّوا بينهم.

والحكومات التي وظفتهم تدفع لها رواتب وأموالاً مقابل عملهم فليس لهم حقّ أن يأخذوا من المواطنين والمسافرين زيادة على ما يدفع لهم مقابل عملهم، فعملهم الذي يستحقون عليه الأجر هو هذه الوظيفة.

فيا ليْت كلّ أحد يمتنع أن يعطيهم حتى إذا يئسوا سهّلوا لجميع الناس السّير ولم يعرقلوا أحداً.

ولكن مع كثرة من يعطيهم، ومع تعودهم على ذلك واستمرائهم له أصبح ذلك ديدناً لهم وأصبحوا يعوّقون كلّ مسألة حتى يحصل لهم هذا الأمر وتمشّى هذا على الكثير من الدوائر الحكومية التي يكون للفرد فيها معاملات أو مراجعات ـ كالجوازات والمرور ونحوها ـ فصار بعض الموظفين يتباهون بالأخذ من الناس فلا يُعطون أحداً معاملته أو يُنهون له مراجعته إلّا بعد أن يدفع لهم هذا المال الذي هو في الحقيقة رشوة وفي الحديث قال النبي ﷺ: «**لعن الله الراشي والمرتشي**»[1]، وقد صرحت الحكومة بمنع من يطلب هذه الرُّشى وحالت بينهم وبين ذلك وحاربتهم فينبغي على الناس أن يعينوا على ذلك.

﴿١٤٣﴾ فضيلة الشيخ: وقع لي ما ذكرتُ لكم في مكتب على حدود دولة.. وعرقلوني جداً حتى دفع لهم صاحب لي بعض المال فسيّروا الأمور وأنهوْا إجراءاتي، فهل أنا آثم أو صاحبي؟

ج لا شكّ أن هؤلاء الموظفين آثمون أمّا أنت فما دمت متضرراً ولا تستطيع أن تتحمّل ما يعرقلونك به فأنت هنا معذور والإثم عليهم.

﴿١٤٤﴾ أدرس في أمريكا ونرى في المحلّات نوعاً من الـ(بيرة) مكتوب عليها خالية من الكحول فما حكم شربها؟

ج الأَولى أن تتوقى شربها حسب الاستطاعة لأنها لا تخلو من شبهة، ولكن من وجد نفسه محتاجاً إليها لسبب فله شربها، وإذا كان الأمر بخلاف ما كتبوا فالإثم عليهم.

﴿١٤٥﴾ أحياناً عند السّفر في الطائرة على بعض الرحلات الدولية يُشغّل

---

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما وهو في صحيح الجامع بزيادة: «في الحكم» حديث (٤٩٦٩).

في الطائرة التلفاز على بعض الأفلام أو تشغل أغان وموسيقى هادئة!! فماذا يفعل الراكب المسلم الكاره لذلك وهل يأثم؟

ج لعله لا يأثم ما دام أنه ليس له اختيار، وإن استطاع أن يفعل كما فعل ابن عمر رضي الله عنهما فيسدُّ أذنيه حتى يذهب هذا الصّوت[1].. وإن لم يفعل فالإثم على من وضع هذه المعازف، فيفعل هذا الراكب ما يستطيعه من الإنكار أو يحاول أن لا يسمع ويقول: اللهمّ إنه منكر إنا له منكرون.

﴿١٤٦﴾ سافرتُ إلى أمريكا وبعدما أمضيتُ فيها سنين عُرضت عليَّ هناك الجنسيّة الأمريكية، فهل يجوز لي قبولها وإلغاء جنسيّتي عن بلدي المسلم؟

ج إن كان هناك مصلحة دينيّة شرعية من ذلك فلا بأس به فإن كنت إذا حملت جنسيّتهم استطعت أن تتحرك في الدعوة إلى دين الإسلام وتُظهر الإسلام في ذلك المجتمع وتتنقّل بحرية بينهم، وكنت مع ذلك قادراً على أن تظهر دينك وتعتزّ به ولديك القدرة مع ذلك على التأثير فيمن تدعوهم، وعلى أن تنشر الإسلام في تلك البلاد فلا بأس أن تستقرّ عندهم وتحمل جنسيّتهم، كما ذكرنا. أما إن كان جلوسك عندهم لأجل مصلحة دنيوية؛ كحرفة أو صنعة أو وظيفة أو نحو ذلك مع تعرّضك للإعجاب بهم ولرفع مكانتهم ولاحترامهم وتقديرهم وهم كفار، وما أشبه ذلك فلا يجوز في هذه الحالة أن تترك بلدك المسلم وتستقرّ في بلد كفر لما فيه من المخاطرة.

﴿١٤٧﴾ عندما سافرتُ للدراسة في الخارج في إحدى الجامعات فوجئتُ بأن السكن المقرر لي سكن مختلط حيث يتكوّن من عدة طوابق: طابق للطلاب وآخر للطالبات، مع أن أبواب هذه الطوابق مفتوحة على بعضها البعض ليلاً ونهاراً فما حكم السكن في مثل هذا؟

ج لا يجوز ذلك لأن الطالب في هذه الحال لا يأمن على نفسه، وينبغي أن يبحث عن سكن غير هذا، والغالب أن الكفار يقصدون ذلك، حتى

---

(١) رواه الإمام أحمد.

يقتلعوا الحماس والغيرة والعفة من نفوس الشباب، وحتى ينزعوا الاحتشام والحياء من نفوس الفتيات ويغرسوا في نفوسهنّ التبرّج والسّفور.

فننصح الطالب أن يلتمس غير هذا الإسكان أمّا إن لم يجد وكان مضطراً للسكن فيه فليجرّب نفسه، فإن وجد أنه يستطيع أن يملك نفسهُ ويحفظها ويعفّها فيسكن في هذا السّكن بقدر الحاجة لوجود الضرورة، أمّا إن خاف على نفسه من الوقوع فلينجُ بنفسِهِ من ذلك، ومن ترك شيئاً لله أبدله الله بشيء خير منه، ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب.

﴿١٤٨﴾ هناك بعض العوائل التي تدّعي التقدم والمدنية تُرسل بناتها للدراسة في الخارج بمفردهنّ، فما حكم ذلك؟

ج هذا لا يجوز أبداً، فأين الغيرة والأنفة من المنكرات ومن إقرارها؟. لا شك أن هؤلاء الذين يرسلون بناتهم ليدرّبهنّ الكفار الرجال قد ذهبت الغيرة والحمية من نفوسهم فإنّهم مسؤولون عن هؤلاء البنات، ولو طلبت البنت أصلاً أن تذهب فذهابها محرّم؛ لأنها تذهب مع غير محرم، ثمّ لأنها تتعلم على يدي رجال أجانب عنها مع تعرضها للفاحشة والفتنة منها أو بها.

زيادة على أنها تتأثر غالباً بفتن الشبهات التي لا يسلم منها مثلها في تلك البلاد.

﴿١٤٩﴾ يدرس معي طالب نصراني وقد كلمتُه عن الإسلام فطلب مني نسخة من المصحف المترجم، فهل يجوز لي أن أعطيه إياه؟

ج لا مانع من ذلك إذا رُجي إسْلامُه، فإن المصاحف المترجمة ما تُرجمت معانيها إلّا للدعوة إلى الإسلام لمن يرغب فيه، فمن طلب من الكفار مثل هذه المصاحف، فلا بأس أن يُعطى إيّاه ولو كان فيها القرآن بالعربية وترجمة معانيه باللغات الأخرى فإن ذلك لمصلحةٍ وهي ترغيبه في الإسلام والدعوة إليه.

﴿١٥٠﴾ أحياناً يهديني بعض زملائي من الطلاب النصارى بعض الهدايا ولا أدري ما نواياهم في هذا الإهداء، فهل يجوز لي القبول؟

ج لك أن تقبلها بصرف النظر عن نواياهم، فقد ثبت أن الرسول ﷺ كان يقبل هدايا المشركين، بل هدايا كبار المشركين، كما حدث من رئيس مصر ورئيس عمان في عهده ﷺ فقد أهدوا إليه هدايا وقبلها ولم يردّها، وعليك أن تستغلّ هذا في تقريبهم لدين الإسلام وتحبيبهم فيه.

﴿١٥١﴾ بعض العوائل المسلمة في بلدنا يرسلون أولادهم في العطل الصيفية للسكن مع عوائل في بريطانيا وأمريكا بحجة تعلم اللغة الإنجليزية فما حكم ذلك؟

ج لا يجوز ذلك لأن هذا خطر عظيم على هؤلاء الشباب وفيه تخريب وإفساد لأخلاقهم وعقائدهم وتشكيك لهم في الإسلام.

ولكن يُسْتثنى من ذلك مسألة وهي إن كان هؤلاء الشباب المسافرون قد رسخت العقيدة في قلوبهم وأُمِنَ عليهم أن يتأثروا بما يسمعونه أو يرونه من الكفار من شبهات أو شهوات ـ وما أقلَّ ما يسلم الشاب من التأثّر ـ فقد نقول: لا بأس في سفرهم لتعلّم اللغة، ولكن ينبغي أن يُعلم أن الصغار الذين في سن الخامسة عشرة ونحوها إذا تربّوا ولو زمناً يسيراً كلّ سنة كشهر وشهرين في مثل تلك البيئات المنحرفة فإنّهم يتأثرون بهم. والغالب أن أولئك الكفار ينشطون في بثّ التشكيكات في قلوب هؤلاء الشباب ويلبّسون عليهم دين الإسلام ويعظمون قدر الكفار في قلوبهم ويُطلعونهم على إنجازات أهل الكفر واختراعاتهم وصناعاتهم، ويغرسُون فيهم أن الإسلام هو الذي عاق أهلهُ فلم يفلحوا ولم يخترعوا ولم يتقدموا، فيكون ذلك سبباً في إضعاف دين هؤلاء الشباب وزعزعة العقيدة من نفوسهم.

﴿١٥٢﴾ فضيلة الشيخ: الأغلب أن هؤلاء الشباب يسكنون مع عوائل هناك فيها اختلاط؟

ج هذا أيضاً ممّا يعظم المصيبة إذ تحيط بالشاب الشهوات مع

الشبهات.. فيُبتلى بالفواحش والفتن فتفسدُ أخلاقهُ ودينه والعياذ بالله.

﴿١٥٣﴾ أنا طالب مسافر للدراسة في بلد نصراني وأدخل الفصل وفيه خليط من المسلمين والنصارى والهندوس وغيرهم. فهل أقول السلام عليكم؟

ج ○ لا بأس بذلك ولكن تقصد بهذا السلام المسلمين، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ مرَّ بمجلس فيه خليط من المسلمين واليهود والمنافقين فسلّم عليهم[١]. فهذا يدلّ على أنك تسلّم عليهم ويكون قصدك من يصلحون للسّلام وهم أهل الإسلام.

﴿١٥٤﴾ أحياناً يلاطفني في الفصل بعض المدرسين النصارى ويقولون: السلام عليكم يا فلان، فهل يجوز لي الردّ عليهم؟

ج ○ الأَوْلى أن تردَّ عليهم بقولك.. وعليكم «أو عليكم» ولكن إذا تحقّقت أنهم يقولون السلام (بإيضاح اللام) فلا مانع أن تردّ عليهم بـ عليكم السلام، لعموم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦] فالآية تعمّ كلّ مسلم.

وقد جاء في السنّة أن النبي ﷺ امتنع عن الردّ على اليهود؛ لأنّهم كانوا يقولون: السّام عليكم ـ أي: الموت ـ فقال ﷺ: «**إذا سلّم عليكم أهل الكتاب فإنّما يقول أحدهم: السام عليكم، فقولوا: وعليكم**»[٢].

﴿١٥٥﴾ أحياناً يبدؤوني بعض الطلاب النصارى بتحيتهم كقوله: «هلو» أو صباح الخير (باللغة الإنجليزية) أو نحو ذلك، فهل أجيبهم بمثل تحيّتهم؟

ج ○ لا مانع من أن تجيبهم، وذلك لأن هذا لا معنى له عند المسلمين وإن كان له معنى عندهم، فلا بأس هنا أن تكلّموهم بلغتهم كما يكلّم بعضهم بعضاً.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

﴿١٥٦﴾ فضيلة الشيخ: هل يجوز أن أبدأهم أنا بمثل هذه التحية فأقول لهم مثلاً إذا دخلتُ الفصل أو مررتُ بأحدهم: «هلو».

ج نرى أنه لا مانع من ذلك حيث أنك أنت الداخل عليهم في الفصل والمعتاد أن الداخل هو الذي يبدأ بالتحية وليس في ذلك توقير ولا تعظيم في العادة.

﴿١٥٧﴾ عند سفري إلى بلاد النصارى أُضطرُّ إلى معاملتهم بلُطفٍ ولين وتحبب لأكفّ شرهم عن نفسي، فما حكم ذلك؟ وهل يلزمني إظهار العداوة لهم ومجاهرتهم بالكره والبغضاء؟

ج نعم؛ يلزم إظهار العداوة للنصارى إذْ أنَّ في ذلك إذلالاً لهم وإهانة وتحقيراً وإشعاراً لهم بأنهم أذلة مهانون.

ولكن إذا كنت في بلادهم فمعلوم أنهم فيها هم الأعلون وهم أهل الظهور وأهل الشدّة والتمكين وأنك ستلقى منهم إهانة وتحقيراً وإذلالاً، لا سيَّما إن عاندتهم وكابرتهم وأغلظت الكلام عليهم.

فلأجل ذلك لا مانع من إلانة القول لهم ويكون ذلك من باب اتّقاء شرهم كما قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، فإذا كان يتقي منهم بطشهم أو إهانتهم أو إضرارهم جاز أن يظهر لهم خلاف ما يبطن.

إلّا إذا كان يرجو في بعضهم الخير والتأثر بالدين ويرغب في دعوتهم إلى الإسلام فلا بأس في التلطف لهم في هذه الحالة والرفق وعدم إظهار عداوة الدين لهم.

﴿١٥٨﴾ أنا مسافر للدراسة في بريطانيا وأحياناً تحصل مناظرات في بعض الأماكن بين علماء مسلمين وقساوسة نصارى، فهل تنصحون بحضورها ومشاهدتها برغم ما يذكر فيها من شبهٍ وتلبيسات؟

ج إن كان في هذه المناظرات فائدة كأن تستفيد، علماً عن دين

النصارى وتحريفاته والمداخل عليه فتستطيع أن تجادل من رأيت من النصارى وتبيّن له تحريف دينه. وقد تستفيد أيضاً معرفة تهافتِ الحجج التي يذكرونها عن الإسلام وتعلم أن حججهم كما قيل:

حجج تهافتُ كالزجاج تخالها حقاً وكلٌّ كاسرٌ مكسورُ

فإن كنت تستفيد من حضورها ومشاهدتها مثل هذه الفوائد فلك حضورها ولا بأس.

﴿١٥٩﴾ بعض الطلاب المسلمين المسافرين الدارسين في بلاد النصارى إذا جاء عيد «كريسمس» أو عيد «رأس السّنة» يبدؤهم زملاؤهم ومدرّسوهم النصارى بالتهاني بهذا العيد، فهل يجوز لهم أن يُجيبوهم بالتهنئة أم لا؟

﴿ج﴾ عندما يكون هؤلاء النصارى في بلاد الإسلام فلا يجوز منّا أن نهنئهم بأعيادهم ولا أن نشاركهم فرحتهم، بل يُنهى المسلمون عن قبول تحفهم وهداياهم، وكذلك لا تقبل منهم الأطعمة التي يقدمونها فرحاً بعيدهم، نرى أن ذلك كله لا يجوز في بلاد الإسلام.

وإذا كان الإنسان في بلادهم فإن الحكم واحد لا يجوز له ذلك، أمّا إذا كان من لم يفعل ذلك قد يلقى منهم إهانة فإنه يفعل بقدر ما يحصل به له عزة النفسِ وعدم الإهانة فيفعل من ذلك ما يكفّ به شرّهم عن نفسِهِ.

﴿١٦٠﴾ أنا طالب أدرس في بلد نصراني ومعي في الفصل بعض الطلاب النصارى وأحياناً أُثير معهم نقاشات عن دينهم مع أني ليس عندي علم كثير لا عن دينهم ولا عن كيفية الردّ على شبههم، فهل إثارتي لهذه النقاشات صواب أم خطأ؟

﴿ج﴾ أرى أنك إذا كنت بهذه النقاشات توقعُ في نفوسهم الشكّ والريب في دينهم، فإنك في هذه الحال وإن لم تقنعهم بالجواب ففعلك صواب.

كما لو قلت لهم مثلاً: إن الله تعالى أنزل على عيسى عليه السلام الإنجيل فكيف تحوّل هذا الإنجيل إلى أربعة أناجيل؟ بل هي أيضاً متخالفة وفي بعضها

ما ليس في البعض الآخر، وهذا دليل على أن هذه الأناجيل التي تتعبدون الله بها ليست هي الإنجيل الصحيح المنزل.. بل هذه الأناجيل مكتوبة بعد عيسى عليه السلام وقد كتبها بعض أفراد النصارى ثمّ عزاها إلى أشخاص كيوحنّا ومتّى ونحوهما.

فإنك إذا ذكرت لهم مثل هذه التحريفات في دينهم تشكّكوا في دينهم وقد يبحثون بعد ذلك عن دين ليس فيه تحريفات ولن يجدوا ذلك إلّا في الإسلام.

ولكن ينبغي لك مع ذلك أن تحرص على طلب العلم وتعلّم أمور دينك حتى تدعو على بصيرة.

﴿١٦١﴾ بعض الناس يسافر إلى بلاد النصارى فيدخل المطعم لغداء أو عشاء ويكون صاحبه والعاملون فيه كلّهم من النصارى فيأكل هذا الداخل من اللحم وهو لا يدري هل ذبحوه هم أو ذبحهُ غيرهم، فما الحكم؟

﴿ج﴾ نحن ننصح عموماً بعدم الأكل من اللحم الموجود في هذه المطاعم لأنه مشكوك في حِلِّهِ، فهو من المشتبه وقد قال ﷺ: «**فمن اتّقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام**»[1]، فننصح الداخل أن لا يأكل من اللحم وإنّما يقتصر على الأكل ممّا لا شبهة فيه كالسَّمك والخبز والأرز ونحو ذلك.

﴿١٦٢﴾ أحياناً عندما أسافر لبعض بلاد النصارى أشاهد بعض محلّات «القصابين» أو بائعي اللحوم وهم من النصارى وهم الذين ذبحوا هذه الذبائح ولكن الملاحظ أن دِين كثير من النصارى في زماننا تغيّر وتبدّل وغلب عليهم التحريف ولا أدري هل يطبّق شرعهم في ذبحه من ذكر الله ونحوه أم لا، فهل يجوز لي الأكل من ذبيحته؟

﴿ج﴾ صحيح أن النصارى لم يتمسّكوا بالتعاليم التي يفرض عليهم

---

(١) متفق عليه.

دينهم، فإنّ شرعهم يفرض عليهم أن يذبحوا بالسّكين الحادّة التي تُنهرُ الدم وأن يصفوا دم الذبيحة ويذكر اسم الله عليها، ولأجل ذلك أُحلت ذبائحهم، وحرمت ذبائح الكفار الذين لا يذكرون عليها اسم الله لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]، فإنّ الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه يعتبر فسقاً.

فلأجل ذلك نرى أن ذبائحهم مع هذه الحال لا تحلّ، والغالب أنهم لا يذبحون ذبحاً شرعياً، بل يكون ذبحهم غالباً غير شرعيّ فلا يباح لأجل ذلك. والله أعلم.

﴿١٦٣﴾ بعض الناس عند سفره إلى بعض البلاد التي ينتشر فيها السحرة والكهنة يتساهل بالدخول عليهم وأحياناً يقول: أنا لا أؤمن بهم ولكنْ أدخلُ لبعض الحاجات فما حكم ذلك؟

﴿ج﴾ حرام هذا الفعل سواء في سفر أو في حضر، ولا يجوز للمسلم أن يأتي السحرة ولا الكهنة ولا العرافين، لا في بلده غيرها.

ولو كان دخوله عليهم لضرورة أو حاجة ما دام يعرف أن هؤلاء كهنة وسَحرة ومشعوذة عرّافون، فليتّق الله وليحذر من ذلك فإن الوعيد شديد فيمن أتى العراف والساحر وسأله وصدّقه فقد قال ﷺ: «**من أتى عرّافاً فسألهُ عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين يوماً**»[١]، وقال: «**ليس منّا من تطيّر له أو تكهّن أو تُكهّن له أو سحر أو سُحر له، ومن أتى كاهناً فصدقهُ بما يقول فقد كفر به أُنزل على محمد**»[٢]. فلا يجوز التساهل في ذلك.

﴿١٦٤﴾ بعض المسافرين عند سفره إلى بلاد النصارى يتساهلُ بالدخول في الكنائس ومعابد النصارى لمجرّد الفرجة والسياحة، فما حكم ذلك؟

﴿ج﴾ الأصل أن هذا لا يجوز، ولكن قد يقال: إنّ مجرّد الفرجة

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البزّار بإسناد جيد، كما قال سماحة الشيخ ابن باز في رسالة له حول الموضوع.

والنظر وأخذ فكرة عن معابدهم وكيفيّتها ومعرفة دينهم، دون أن يصاحب ذلك تعظيم لهم أو احترام ولكن لمجرّد معرفة سذاجتهم وجهلهم وانحراف دينهم وقلّة فكرهم في هذه العبادات والمعابد، ولمعرفة تأسيس معابدهم وتاريخها وما يحيط بها من حوادث.

وهذا كلّه يحصل بدخولها مرة واحدة إن أصرَّ المرء على الدخول. أما تكرار دخولها أو دخولها لأجل التّعظيم والاحترام لهم فهذا لا يجوز شرْعاً.

﴿١٦٥﴾ لو حضرتني الصلاة وأنا بجانب إحدى هذه الكنائس هل يجوز لي الصلاة فيها؟

ج رخّص بعض المشايخ للمسلم إذا لم يجد مسجداً يصلي فيه ولم يجد مكاناً طاهراً قريباً يصلي فيه وإنما حوله حدائق قذرة أو طرق متّسخة أو مساكن مستقذرة، وخاف فوات الصلاة رخّصوا له في هذه الحال أن يصلي في مكان عبادة النصارى ولكن يستقبل القبلة ويخرج فور انتهائه من صلاته فإن وجد غيرها حرم عليه الصلاة فيها لقوله تعالى عن مسجد الضرار: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨].

﴿١٦٦﴾ بعض الناس يسافر إلى «مصر» فيذهب إلى المتاحف الفرعونية ويشاهد الجثث المحفوظة فيها والتي يزعمون أنها جثة فرعون وفلان وفلان.. من الأقوام السابقين. فما حكم دخول هذه المتاحف ومشاهدة هذه التماثيل؟

ج الذي نعلم أن هذه الجثث المحنّطة غير صحيح ما يُدّعى فيها من أنها قديمة وأثريَّة وإنّما الصحيح أن هذه الجثث حديثة التحنيط والوجود وقد لا تزيد أعمارها عن (٢٠٠ أو ٣٠٠) سنة، ومعلوم أن هذه الجثث لو كانت موجودة منذ القدم لعثر عليها الصحابة لما فتحوا مصر والشام والعراق وأفريقيا.

وهذه الجثث لم يذكرها أحد من المؤرخين في تواريخهم ولم يتعرضوا للكلام عنها، ممّا يدلُّ على أنها قريبة محدثة.

أما زيارتها لأجل النظر والاعتبار والاتعاظ، فلا أرى مانعاً من ذلك

لعموم الأدلة التي تدلّ على الأمر بالتفكر والاعتبار؛ كقوله تعالى: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣]، فزيارتها والنظر فيها يستدلّ به على أنّ هؤلاء قد كان لهم خبرٌ وقوة وبطش وملك ثمّ آل أمرُهم إلى أنهم سُلبتْ أرواحهم ولم يبق لهم من يذكرهم أو يذكَر بهم.

ونحنُ نرخص فقط في الزيارة لمن أراد الاتعاظ والاعتبار والتفكر فيزورها بقدر الحاجة، أمّا من يزور لأجل التمتّع أو التعظيم والإعجاب بهم ونحو ذلك فإننا لا نرخص له بل نمنعه من ذلك. والله أعلم.

﴿١٦٧﴾ لي زميل كافر يدرس معي ـ في أمريكا ـ وتوفي والده، فهل يجوز لي تعزيته؟ حتى لو كان ذلك من باب المجاملة؟

ج ○ إذا توفي شخص كافر فلا يجوز تعزية أهله به ولا تسليتهم ولا الدعاء له ولا الترحم عليه، كما أنه لا يجوز السلام عليهم ـ كما ذكرنا ـ ولا تشميتهم ولا الترحم على موتاهم ولا الدعاء لهم بأي دعاء كان.

﴿١٦٨﴾ إذا كان الابن مسلماً والأب كافراً، وتوفي الأب الكافر، فهل يجوز لي تعزية الابن بأبيه؟

ج ○ أما الولد المسلم فإنه ينبغي أن يُشجّع على إسلامه ويُدعى له بالثبات ويُذكَّر بحاله وحال أبيه، ونعمة الله عليه بالإسلام، ولا يعزى بأحد من أقاربه غير المسلمين، أما الدعاء للميت الكافر فلا يجوز أبداً.

﴿١٦٩﴾ عند جمع الصلاتين في السّفر هل يؤذن لكل صلاة ويُقام أم يُكتفى بأذان واحد وإقامة واحدة؟

ج ○ عند الجمع في السّفر يؤذن أذان واحد فقط، ثمّ يُقام لكل صلاة إقامة خاصة فيكون عند جمع الصلاتين أذان وإقامتان.

﴿١٧٠﴾ إذا وقفنا أثناء السفر للصلاة في المساجد التي على الطريق وقد فاتتنا الجماعة الأولى هل نؤذن للصلاة أم نكتفي بالإقامة؟

ج الأَوْلى عدم الأذان؛ لأن المقصود من الأذان الإعلامُ بدخول الوقت وأنتم قد علمتم هنا بدخوله وقد أُذّن في هذا المسجد أصلاً، أمّا الإقامة فتشرع لكم للصلاة.

(١٧١) بعض الشباب إذا سافر للخارج للدراسة أو نحوها وعلم أن مدّة السّفر تطول به، يخشى على نفسه الفتنة بالنساء فيختار امرأة ويتزوجها وهو ينوي أن يطلقها عند انتهاء مدة دراسته ويعطيها أثناء ذلك بعض الأدوية المانعة للحمل، فما حكم ذلك؟ مع العلم بأنه لا يخبرها أنه سيطلقها، ولا يتفق معها على زمن الزواج أو مدّته وإنّما يضمر ذلك في نفسه.

ج الزواج بنية الطلاق رخّص فيه مشايخنا، وقالوا إنه يعتبر نكاحاً كاملاً إذا كملت شروطه وليس فيه تحديدٌ لمدة الزواج أو نقصٌ لمقدار الصداق لأجل قصر المدة، بل أعطى المرأة صداقها كاملاً، وكانت المرأة ممن يحلّ نكاحها كالمسلمة أو الكتابية.

أما كونه ينوي في نفسِه شيئاً خفياً وهو طلاقها بعد انتهاء مدّة سفره فهذه النية لا تؤثر على صحة النكاح، ولكن لا ينبغي له أن يمنعها من الحمل إلّا برضاها، فإذا وافقت على ذلك فنعم أمّا إذا لم توافق فلا يجوز له أنْ يلزمها بأكل حبوب منع الحمل أو نحو ذلك.

فحاصل ما ذكرنا أن هذا الزواج يجوز للحاجة إذا كان يخشى على نفسِه الفتنة والزنى فيريد أن يعفَّ نفسهُ عن ذلك بهذا الزواج.

وهذا الزواج لا يعتبر كنكاح المتعة المحرم؛ لأن نكاح المتعة وقتهُ محدّد بداية ونهاية، كأن يقول الرجل لمن يريد أن يتزوَّج ابنته أو أخته زوّجتكها لمدة شهر أو لمدة أسبوع بكذا وكذا، فيحدّد مدة الزواج، إضافة إلى أن نكاح المتعة يكون الصداق فيه مخفضاً؛ لأن المدة محدّدة فقد لا يتجاوز دراهم معدودات. فاتضح لنا أن بين نكاح المتعة المحرّم والزواج بنيّة الطلاق فرقاً. والله أعلم.

أحمدُ الله تعالى على ما يسَّر وأعان، وأسأله سبحانه المزيد من فضله وإحسانه. أما بعد:

أخي القارئ الكريم طالب العلم:

هذا الذي بين يديك جهد من عبد فقير، إن كان لديكَ اقتراح أو ملاحظة أو سؤال غفلنا عنه وترى أن من المناسب عرضه على الشيخ، فلا تتردّد بالكتابة إليَّ، ولك مني جزيل الشكر والدعاء.

وكتب
محمّد بن عبد الرحمٰن العريفي
ص.ب ٦٩٤٤٦
الرياض ١١٥٤٧

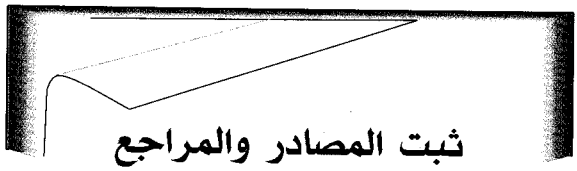

ثبت المصادر والمراجع

«الرسوم المتحركة وأثرها في عقيدة الناشئة»

القرآن الكريم:

- **الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة**، تأليف: عبد الرحمٰن بن بطة، تحقيق: رضا بن نعسان معطي، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٠٩هـ.
- **أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**، تأليف: صديق حسن خان القنوجي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة الطبع ١٣٠٧هـ.
- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، تأليف: علي بن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٠٨هـ.
- **أحكام القرآن**، تأليف: أحمد بن علي الجصاص، دار الكتاب العربي، بيروت.
- **الآداب الشرعية**، تأليف: محمد بن مفلح (الجد)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٦هـ.
- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، تأليف: أحمد بن محمد القسطلاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٣٩٩هـ.
- **أسباب النزول**، تأليف: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: أحمد صقر، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، الطبعة الثالثة، سنة الطبع ١٤٠٧هـ.
- **الاستقامة**، تأليف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد بن رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٠٤هـ.
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تأليف: محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مكة، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٢٦هـ.

- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تأليف: محمد بن أبي بكر بن القيم، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٢٣هـ.
- **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، تأليف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مطابع المجد التجارية.
- **بدائع الفوائد**، تأليف: محمد بن أبي بكر بن القيم، تحقيق: معروف بن مصطفى زريق وآخرون، دار الخير، بيروت، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٤هـ.
- **بيان الدليل على بطلان التحليل**، تأليف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: فيحان بن شالي المطيري، مكتبة لينة، مصر، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٤١٦هـ.
- **تحفة المودود بأحكام المولود**، تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٢٤هـ.
- **تشكيل عقلية إسلامية معاصرة**، تأليف د. عبد الكريم بكّار، دار الإعلام، الرياض، الطبعة الثالثة، سنة الطبع ١٤٢٩هـ.
- **تفسير القرآن العظيم**، تأليف: إسماعيل بن عمر عماد الدين بن كثير، دار طيبة، السعودية، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٨هـ.
- **التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ**، تأليف: محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، دار الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٠٨هـ.
- **جامع بيان العلم وفضله**، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الرابعة، سنة الطبع ١٤١٩هـ.
- **خطوة نحو التفكير القويم، ثلاثون ملمحاً في أخطاء التفكير وعيوبه**، تأليف د. عبد الكريم بكّار، دار الأعلام، الرياض، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٤٢٩هـ.
- **السحر، حقيقته، أنواعه، الوقاية منه**، تأليف راجي الأسمر، مكتبة المعرفة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٢٠هـ.
- **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف.

- **السنة**، تأليف: أحمد بن محمد أبو بكر الخلال، تحقيق: عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٥هـ.
- **السنن**، تأليف: محمد بن يزيد ابن ماجه، تحقيق: محمد بن مصطفى الأعظمي، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٠٣هـ.
- **سنن أبي داود**، تأليف: محمود بن محمد بدر الدين العيني، تحقيق: خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٢٠هـ.
- **سنن الترمذي (المسمى الجامع الصحيح)**، تأليف: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد بن محمد شاكر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **سنن النسائي**، تأليف: أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الأولى المفهرسة.
- **شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة اللالكائي**، تأليف: هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٢هـ.
- **شرح العقيدة السفارينية**، تأليف: محمد بن صالح بن عثيمين، دار البصيرة، الإسكندرية.
- **شرح العقيدة الطحاوية**، تأليف: علي بن علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق: بشير بن محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٠٥هـ.
- **شرح صحيح مسلم**، تأليف: يحيى بن شرف الدين النووي، مؤسسة قرطبة، مصر، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٤١٤هـ.
- **شعب الإيمان**، تأليف: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: حمدي الدمرداش محمد العدل، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٢٤هـ.
- **صحيح البخاري (المسمى الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة الطبع ١٤٠٨هـ.
- **صحيح مسلم (المسمى: المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ)**، تأليف: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد بن فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٣٧٤هـ.

- **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، تأليف: محمد بن أبي بكر بن القيم، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية، سنة الطبع ٤١٤هـ.
- **العقيدة الصحيحة وما يضادها**، تأليف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، السعودية، سنة الطبع ١٤٠٣هـ.
- **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، تأليف: محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمٰن محمد عثمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٤٢١هـ.
- **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، طبع الرئاسة العامة للإفتاء الرياض ١٤١٥هـ.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز دار الفكر، مصر.
- **القواعد الحسان**، تأليف: الشيخ العلامة عبد الرحمٰن بن سعدي، مكتبة الرشد، الرياض، سنة الطبع ١٤١٤هـ.
- **كشاف اصطلاحات الفنون**، تأليف الإمام التهانوي، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٢٦هـ ـ ١٩٩٦م.
- **لسان العرب**، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.
- **لقاء الباب المفتوح**، تأليف الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٦هـ.
- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، تأليف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٣٩٨هـ.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تأليف: أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: أحمد بن محمد شاكر دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة، سنة الطبع ١٣٧٣هـ.
- **مصنف ابن أبي شيبة**، تأليف: عبد الله بن محمد أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، سنة الطبع ١٤٠٦هـ.
- **معجم ألفاظ العقيدة**، تأليف: عالم بن عبد الله فالح، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٧هـ.
- **مقاييس اللغة**.
- **منهاج السُّنَّة النبوية**، تأليف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد بن رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٠٦هـ.

- **الموافقات**، تأليف: إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الخبر، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٧هـ.

دوريات:

- جريدة الجزيرة.

مواقع في الشبكة العنكبوتية:

- توجيهات مهمة لشباب الأمة/للعلامة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان.
http://www.hadielislam.com/vb/showpost.php?p=189 54 & postcount =7

- شبكة الشفاء الاسلامية:
http://vb.ta7a.com/t292601

- مجلة التبيان:
http://www.hadielislam.com/articles/article.php?a=878&back=aHR0c-DovL3d3dy5oYWRpZWxpc2xhbS5jb20vYXJ0aWNsZXMvc2VhcmNoLn-BocD9xPSVDNyVFMSVEMSVEMyVFNiVFMyUyMCVDNyVFMSVF-MyVDQSVDRCVEMSVERiVDOQ

- مركز الفتوى بإشراف د.عبد الله الفقيه:
http://www.islamweb.net/ver2/Fatwa/S...lang=A& Id=3127

- مقال الأستاذ: حاتم حمدي محمود:
http://www.google.com.sa/url?sa=t&source=web& ct=res&cd=28&ve-d=oCCEQFJAHOBQ&url=http%3 A %2 F %2 Fwww.wasateah.net %2 Fwasateah %2 Fwas ateah.net %2Fsection %2 Ffull story.cfm %3 Faid %3K 693 & ei=R8ESs9KFB8uBKQXNm8miBw&usg=AFQJCNHEhKG-BoN6tW4VIaZa7Z-pxG- 1WcQ&sig2=Ryj5xhmjcSsajou5AC2ItQ

- مقال د.خالد الحليبي:
http://www.google.com.sa/url?sa=t&source=web&ct=res&cd=42&ved=0-CAoQFjABOCg&url=http%3A%2F%2Fwww.almostshar.com%2Fweb%2-Fimages%2FMat%2F157.
doc&ei=wMUSS4-yN8PykAXSvYijBw&usg=AFQjCNGWIv6aoInXl-VoOAS1q95AlxoRZIQ&sig2=V-NXU7RmG3aBidPf69imMg

- مقالة د.شحاته محروس، أستاذ علم النفس بجامعة حلوان:
http:/muslimeng.org/vb/showthread.php?t=4586

ثبت المصادر والمراجع

«مناظرة البدع في القنوات الفضائية»

القرآن الكريم:

- **الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة**، تأليف: عبد الرحمٰن بن بطة، تحقيق: رضا بن نعسان معطي دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٠٩هـ.
- **إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة**، تأليف: عبد الله بن محمد ابن الصديق الغماري، عالم الكتب، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٤٠٦هـ.
- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، تأليف: علي بن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٠٨هـ.
- **الإحكام في أصول الأحكام**، تأليف: علي بن أحمد بن حزم الظاهري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٠٠هـ.
- **إحياء علوم الدين**، تأليف: محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، سنة الطبع ١٤٠٢هـ.
- **آداب البحث والمناظرة آداب البحث والمناظرة**، تأليف: محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: سعود بن عبد العزيز العريفي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٢٦هـ.
- **الأدب المفرد**، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري، وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف، الإمارات، سنة الطبع ١٤٠١هـ.
- **الأذكار**، تأليف: يحيى بن شرف الدين النووي، تحقيق: بشير بن محمد عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٠٨هـ.
- **الأذكياء**، تأليف: عبد الرحمٰن بن علي ابن الجوزي، المكتب التجاري.
- **إصلاح المساجد من البدع والعوائد**، تأليف: جمال الدين القاسمي، تحقيق: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة الطبع ١٣٩٧هـ.
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تأليف: محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مكة، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٢٦هـ.

- **الاعتصام**، تأليف: إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: مصطفى أبو سليمان الندوي، دار الخاني، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٦هـ.
- **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، تأليف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مطابع المجد التجارية.
- **الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع**، تأليف: عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٤١٦هـ.
- **الباعث على إنكار البدع والحوادث**، تأليف: عبد الرحمٰن بن إسماعيل أبو شامة المقدسي، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٠هـ.
- **تاج العروس**، تأليف: محمد مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية، مصر، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٣٠٦هـ.
- **تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي**، تأليف: محمد عبد الرحمٰن المباركفوري، تحقيق: عصام الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٢١هـ.
- **تفسير القرطبي (المسمى: الجامع لأحكام القرآن)**، تأليف: محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٢٧هـ.
- **تفسير المنار**، تأليف: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت.
- **تلبيس إبليس**، تأليف: عبد الرحمٰن بن علي ابن الجوزي، دار القلم.
- **تهذيب الأسماء النووي**، يحيى بن شرف دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- **تهذيب الأسماء واللغات**، تأليف: يحيى بن شرف الدين النووي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية**، تأليف: محمد بن علي بن حسين المكي، عالم الكتب، بيروت.
- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً**، تأليف: عبد الرحمٰن بن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١١هـ.
- **الجدل على طريقة الفقهاء**، تأليف: علي بن عقيل بن محمد بن عقيل، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.

- **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السُّنَّة**، تأليف: إسماعيل بن محمد الأصبهاني (قوام السُّنَّة)، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١١هـ.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، تأليف: أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني، دار الفكر.
- **درء تعارض العقل والنقل**، تأليف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد بن رشاد سالم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٠٠هـ.
- **الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة**، تأليف: محمد تقي الدين الهلالي، مكتبة الصحابة، الإمارات، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٢٤هـ.
- **الذخيرة من المصنفات الصغيرة**، حققها: أبو عبد الرحمٰن ابن عقيل الظاهري، ط١، الرياض: ع. ع. الظاهري، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ٣٣٢ص، (مطابع الفرزدق).
- **الذيل على طبقات الحنابلة**، تأليف: عبد الرحمٰن بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت.
- **الرعاية لحقوق الله**، تأليف: الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق: عبد القادر بن أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، .
- **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، سنة الطبع متعددة.
- **السُّنَّة**، تأليف: محمد بن نصر المروزي، تحقيق: علي بن عبد العزيز الشبل، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٢٢هـ.
- **السُّنَّة والبدعة**، تأليف: عبد الله محفوظ الحداد باعلوي.
- **سنن الترمذي (المسمى الجامع الصحيح)**، تأليف: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد بن محمد شاكر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **سنن الدارمي**، تأليف: عبد الله بن عبد الرحمٰن الدارمي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار القلم، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٢هـ.
- **السنن الكبرى**، تأليف: أحمد بن الحسين البيهقي، دار الفكر.
- **سنن النسائي**، تأليف: أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الأولى المفهرسة.
- **السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات**، تأليف: محمد بن أحمد الشقيري، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة الطبع ١٤٠٠هـ.

- **سير أعلام النبلاء**، تأليف: محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٠٤هـ.
- **شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة**، اللالكائي، تأليف: هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد حمدان دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٢هـ.
- **شرح السُّنَّة**، تأليف: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٢هـ.
- **شرح العقيدة الأصفهانية**، تأليف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٥هـ.
- **الشريعة**، تأليف: محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٨هـ.
- **صحيح البخاري (المسمى الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **صحيح الترغيب والترهيب**، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٢١هـ.
- **صحيح مسلم (المسمى: المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ)**، تأليف: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد بن فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٣٧٤هـ.
- **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**، تأليف: محمد بن عبد الله ابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٨هـ.
- **العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية**، تأليف: عبد الله بن يوسف الجديع، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٤١٦هـ.
- **علم أصول البدع**، تأليف: علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٣هـ.
- **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، تأليف: محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمٰن محمد عثمان دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٤٢١هـ.

- **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، طبع الرئاسة العامة للإفتاء الرياض ١٤١٥هـ.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر، مصر.
- **الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني**، تأليف: أحمد بن عبد الرحمٰن البنا الساعاتي، دار الحديث، القاهرة.
- **الفروق**، تأليف: أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، عالم الكتب، بيروت.
- **الفقيه والمتفقه**، تأليف: أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٧هـ.
- **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، تأليف: عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **كتاب السُّنَّة**، تأليف: أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة الطبع ١٤١٩هـ.
- **الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تأليف: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري دار الكتب الثقافية، الكويت.
- **لسان العرب**، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.
- **لقد شيعني الحسين**، لمؤلفه: إدريس الحسيني منشور في الموقع:
http://www.alkadhum.org/other/mktba/aqaed/sh_alhosin/index.htm
- **لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد**، تأليف: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٨هـ.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تأليف: علي بن أبي بكر الهيثمي، مؤسسة المعارف، سنة الطبع ١٤٠٦هـ.
- **مجموع الفتاوى**، تأليف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٣٩٨هـ.
- **مسائل الإمام أحمد بن حنبل برواية ابن هانئ**، تأليف: إسحاق بن إبراهيم بن هانئ، تحقيق: زهير بن سالم الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٠٠هـ.
- **المستدرك على الصحيحين**، تأليف: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى بن عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١١هـ.

- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تأليف: أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: أحمد بن محمد شاكر، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة، سنة الطبع ١٣٧٣هـ.
- **مشكاة المصابيح**، تأليف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٣٩٩هـ.
- **مصنف ابن أبي شيبة**، تأليف: عبد الله بن محمد أبو بكر بن أبي شيبة، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، سنة الطبع ١٤٠٦هـ.
- **المصنف لعبد الرزاق**، تأليف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٤٠٣هـ.
- **معجم الأدباء**، تأليف: ياقوت بن عبد الله الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٩٩٣م
- **المعجم الكبير**، تأليف: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق.
- **مفردات ألفاظ القرآن**، تأليف: الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان بن عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٢هـ.
- **مفردات ألفاظ القرآن**، تأليف: الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان بن عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٢هـ.
- **مناقب الإمام أحمد بن حنبل**، تأليف: عبد الرحمٰن بن علي ابن الجوزي، دار الآفاق الحديثة، الطبعة الثالثة، سنة الطبع ١٤٠٢هـ.
- **الموسوعة الفقهية**، تأليف: وزارة الشئون الإسلامية بالكويت، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٢١هـ.
- **موقف ابن تيمية من الأشاعرة**، تأليف: عبد الرحمٰن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٥هـ.
- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تأليف: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.
- **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، تأليف: أحمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس دار صادر، بيروت.
- **جريدة الاقتصادية**، صحيفة سعودية، تصدر عن الشركة السعودية بالرياض.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
فهرس إجمالي للكتب	٥
الرسوم المتحركة وأثرها في عقيدة الناشئة	٧
مقدمة	٩
الفصل الأول	
أهمية التربية على العقيدة	١٣
المبحث الأول: أهمية العقيدة ومنزلتها من الدين	١٥
المبحث الثاني: تأثر الصغير بالتربية المبكرة	١٨
المبحث الثالث: نشأة الرسوم المتحركة	٢٠
المبحث الرابع: الرسوم المتحركة، وتأثيرها على الأطفال	٢١
الفصل الثاني	
الرسوم المتحركة تأثيرها في العقيدة	٢٣
المبحث الأول: آثار واقعية لأفلام الرسوم المتحركة على الأطفال	٢٤
المبحث الثاني: نماذج لأخطاء عقدية في الرسوم المتحركة	٢٧
المطلب الأول: نماذج من أثرها على عقيدة الطفل في توحيد الربوبية	٣٠
المطلب الثاني: نماذج من أثر هذه الرسوم على عقيدة الطفل في توحيد الألوهية	٣٦
المطلب الثالث: احتواء بعضها على شعارات الأديان الأخرى	٤٢
المطلب الرابع: اشتمال بعضها على السحر	٤٦
المطلب الخامس: جرأة بعض الرسوم المتحركة على عقيدة الإيمان باليوم الآخر	٤٨

الموضوع — الصفحة

الفصل الثالث

العلاج ٥٧

المبحث الأول: حكم هذه الأفلام ٥٨

المبحث الثاني: تحصين الأطفال ٦٨

المبحث الثالث: بدائل مقترحة ٧٣

الخاتمة ٨٢

مناظرة البدع في القنوات الفضائية ٨٣

مقدمة ٨٥

الفصل الأول

مفهوم البدعة، والمناظرة ٨٧

المبحث الأول: البدعة، تعريفها، والنصوص الواردة فيها ٨٩

المبحث الثاني: الآثار الواردة عن السلف في التحذير من البدع ٩٧

المبحث الثالث: معنى المناظرة، وأدلتها ١٠١

المبحث الرابع: موقف السلف الصالح من مناظرة أهل البدع ١٠٦

الفصل الثاني

المناظرة في القنوات الفضائية ١١٣

المبحث الأول: مصالح مناظرة أهل البدع علانية ١١٤

المبحث الثاني: مفاسد مناظرة أهل البدع علانية ١١٨

المبحث الثالث: آداب المناظرة ١٢١

المبحث الرابع: توجيهات عامة لمناظر المبتدعة ١٣٨

الخاتمة ١٤٥

هل تبحث عن وظيفة ١٤٧

هل تبحث عن وظيفة؟! ١٤٩

رحلة إلى السماء ٢١٣

قصة المليونير.. ٢١٥

يأكل من ثمار الجنة!! ٢١٧

الموضوع | الصفحة

على فراش الموت ٢١٨
من أعجب الرؤى ٢٢٠
القبر ناداني ٢٢٣
وإنا إليه راجعون ٢٢٥
الموت لا يرحم أحداً!! ٢٢٧
رحلة إلى السماء.. ..... ٢٢٨
ما أغنى عني ماليه.. ..... ٢٣١
اعترافات ٢٣٣
في وداع أم الخبائث!! ٢٣٤
فإذا جاء أجلهم.. ..... ٢٣٥
أي بشر هؤلاء!! ٢٣٦
أغني في حبك.. ..... ٢٣٨

صرخة في مطعم الجامعة ٢٤١

مدخل ٢٤٣
تكسير الموجة ٢٤٥
المسألة فيها خلاف!! ٢٤٦
في المستشفى!! ٢٤٧
بين سارة وأريج ٢٤٨
مساواة.. ..... ٢٥١
بطولات ٢٥٢
أكرمكم أتقاكم ٢٥٥
مها.. في بنطال أحمر!! ٢٥٦
لماذا الفوارق؟! ٢٦٠
إن ربك حكيم عليم ٢٦٢
ولباس التقوى ٢٦٣

الموضوع	الصفحة
حمي الوطيس!!	٢٦٤
بم يكون الحجاب؟	٢٦٧
لقاء آخر	٢٦٩
في مطعم الجامعة	٢٧١
أدلة القرآن والسُّنَّة على وجوب تغطية الوجه	٢٧٢
إجماع الأئمة الأربعة على وجوب تغطية الوجه..	٢٨٢
النتيجة	٢٨٦
أقوال العلماء من شتى الأقطار بوجوب تغطية المرأة لوجهها	٢٨٧
سمعنا وأطعنا	٢٩٢
القرار الشجاع	٢٩٢
من يرى الملكة؟!	٢٩٤
ثلاث أدلة استدل بها القائلون بجواز كشف الوجه، والرد عليها	٢٩٦
قصة نزع الحجاب	٣٠٢
من أين انطلقوا!!	٣٠٢
في يوم آخر	٣٠٣
ثم تتابع تكسير السفينة..	٣٠٣
وانتشرت النار	٣٠٤
واتسع الخرق على الراقع	٣٠٥
أساليب!!	٣٠٥
نقطة الانطلاق!!	٣٠٦
الوداع	٣٠٦
وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	٣٠٩
تسعة أنفاس في الدقيقة	٣١٣
صلاة في المتحف	٣١٤
أحكام الطهارة	٣١٥

الموضوع | الصفحة

آداب قضاء الحاجة ٣١٦
خصال الفطرة ٣١٦
أحكام الوضوء ٣١٧
أحكام المسح على الخفين ٣١٩
نواقض الوضوء ٣٢١
جنة المؤمن في محرابه ٣٢١
أحكام الغسل ٣٢٢
وصفة الغسل الكامل ٣٢٢
أحكام التيمم ٣٢٣
إن الله يدافع... ..... ٣٢٤
أحكام الصلاة ٣٢٥
صفة الصلاة ٣٢٦
صليت!.. لا.. لم تصل ٣٣٢
صلاة المريض ٣٣٢
شروط الصلاة ٣٣٥
أركان الصلاة وواجباتها وسننها ٣٣٦
مسؤول عن رعيته ٣٣٨
صلاة التطوع ٣٣٩
صلاة التراويح وأحكامها ٣٣٩
السنن الراتبة مع الفرائض ٣٤٠
صلاة الضحى ٣٤١
سجود التلاوة ٣٤١
التطوع المطلق ٣٤٢
الأوقات المنهي عن الصلاة فيها ٣٤٣
وجوب صلاة الجماعة وفضلها ٣٤٣

الموضوع	الصفحة
كاد يحرق بيوتهم	٣٤٤
صلاة المسافر	٣٤٤
صلاة الجمعة	٣٤٧
آداب الجمعة	٣٤٨
(٧٠) سنة لم تفته صلاة	٣٥٢
صلاة العيدين	٣٥٢
صلاة الكسوف	٣٥٥
(٦٠) سنة ما سها في صلاة	٣٥٦
صلاة الاستسقاء	٣٥٦
أحكام الجنائز	٣٥٧
على فراش الموت	٣٦٥
أحكام الزكاة	٣٦٦
زكاة بهيمة الأنعام	٣٦٧
زكاة الذهب والفضة	٣٦٧
زكاة عروض التجارة	٣٧٠
(٧٠٠٠) درهم.. وسجن	٣٧١
زكاة الفطر	٣٧٢
مصارف الزكاة	٣٧٣
أهل الزكاة	٣٧٤
أحكام الصيام	٣٧٦
كتب عليكم الصيام	٣٧٦
آداب الصيام وسننه	٣٧٨
من أحكام الصيام	٣٧٩
أحكام صيام المسافر	٣٨١
هداية	٣٨٢

الموضوع | الصفحة

أحكام صيام المريض ٣٨٣
النية في الصيام ٣٨٦
أحكام الإفطار والإمساك ٣٨٦
المفطرات (مفسدات الصوم) ٣٨٨
من عجائب الصلاة ٣٩٢
مسائل متفرقة حول المفطرات ٣٩٢
من أحكام الصيام للمرأة ٣٩٤
أحكام قضاء صيام رمضان ٣٩٦
وقوموا لله قانتين ٣٩٦
أحكام الحج ٣٩٧
مواقيت الحج ٣٩٨
كيفية الإحرام ٣٩٩
أعلف الحمار!! ٤٠١
كيفية العمرة ٤٠١
بداية الحج يوم التروية (٨) ذو الحجة ٤٠٤
يوم عرفة (٩) ذو الحجة ٤٠٤
الخروج من عرفة إلى مزدلفة والمبيت فيها ٤٠٥
اليوم العاشر (يوم النحر ـ العيد) ٤٠٦
أيام التشريق (١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ذو الحجة) ٤٠٨
هل طلع الفجر ٤١٠
مسائل متفرقة حج الصبي ٤١٠
من أحكام المرأة ٤١١
أحكام الإنابة ٤١٢
محظورات الإحرام ٤١٣

الموضوع	الصفحة

في بطن الحُوت	٤١٥
أعمى يسدد الهدف..	٤١٧
الملك..	٤٢٣
شيخ في مرقص..	٤٢٥
الشيخ الضال..	٤٢٧
سارة..	٤٢٩
ذكريات تائب..	٤٣٤
في بطن الحوت..	٤٤١
وغدراتي وفجراتي!!	٤٤٤
هل تطرحه في النار؟!..	٤٤٥
في المستشفى..	٤٤٦
الجبال الراسيات..	٤٤٩
قال: معاذ الله..	٤٥٢
ينغمس في أنهارها..	٤٥٤
المغني..	٤٥٦
البطل..	٤٦٠
مفتاح الشر..	٤٦٦
السماء لا تمطر..!!	٤٦٨
القرار الشجاع..	٤٦٩
يرى مقعده في الجنة!!	٤٧٣
على فراش الموت..	٤٧٤
اتخذوه مهجوراً..	٤٨٠
اركب معنا	٤٨٣
البحر المتلاطم	٤٨٧
سفينة النجاة	٤٩٠

الموضوع | الصفحة

بداية الانحراف ٤٩١
قصة ٤٩٢
حقيقة ٤٩٣
قصة ٤٩٦
يعبدون جوزة ٤٩٨
الواقع الأليم ٥٠٠
مقام الشيخ بركات ٥٠٤
ماذا يفعلون هناك ٥١٠
تشابهت قلوبهم ٥١١
كيف نشأ الشرك ٥١٢
الوارثون للشرك ٥١٤
أربعة اعتراضات ٥١٦
فهذه قصة القبر والمسجد ٥١٩
نداء.. نداء ٥١٩
ومن وسائل الشرك.. الحلف بغير الله ٥٢١
ومن وسائل الشرك ٥٢١
ومن الشرك.. ادعاء علم الغيب ٥٢٢
ومن وسائل الشرك... السحر والكهانة والعرافة ٥٢٣
ومن وسائل الشرك.. تعظيم التماثيل والنصب التذكارية ٥٢٥
ومن وسائل الشرك.. التوسل البدعي ٥٢٦
ومن الإيمان بالله أيضاً ٥٢٦
والإيمان بالملائكة ٥٢٧
والإيمان بالكتب ٥٢٩
والإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام ٥٢٩
والإيمان باليوم الآخر ٥٣٠

الموضوع	الصفحة
ومن الإيمان باليوم الآخر	٥٣١
والإيمان بالقدر خيره وشره	٥٣١
ومما يقدح في الإيمان	٥٣٢
ومن أكبر القوادح في الإيمان.. الحكم بغير ما أنزل الله	٥٣٢
ومن القوادح في الإيمان.. موالاة الكفار.. أو معاداة المؤمنين	٥٣٣
ومن أكبر القوادح في الإيمان	٥٣٤
ومن القوادح في الإيمان	٥٣٤
ومن العجائب	٥٣٦
ومن البدع الظاهرة الاحتفال بليلة ٢٧ من رمضان	٥٣٧
ومن البدع أيضاً الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج	٥٣٧
ومن البدع.. الاحتفال بليلة النصف من شعبان وتخصيص يومها بالصيام	٥٣٧
وقفة	٥٣٩
وأخيراً	٥٤٢
عاشق في غرفة العمليات	٥٤٥
من السويد	٥٤٧
﴿إِنَّا وَجَدْنَهُ صَابِرًا﴾	٥٤٩
عروة بن الزبير!!	٥٥٠
للمرض سببان!!	٥٥١
جولة في.. مستشفى المجانين	٥٥٤
حلاوة الجزاء	٥٥٨
وقفة مع.. عيادة المريض	٥٦٢
مريض البرسام	٥٦٣
يرفعهم درجات	٥٦٤
البطل	٥٦٥
الهم الكبير	٥٦٩

الموضوع	الصفحة
خالد الأبكم	٥٧١
بين الطبيب والمريضة	٥٧٣
مع الطبيب	٥٧٤
على فراش الموت	٥٧٩
الطبيب والدعوة	٥٨٠
الطبيب ومفاتيح الخير	٥٨٢
صلاة المريض	٥٨٤
كيفية صلاة المريض..	٥٨٥
أحكام صيام المريض	٥٨٧
كلمات إلى المرافق	٥٨٨
في المستشفى العسكري	٥٨٩
كن بطلاً	٥٩٣
قال د. عبد الله	٥٩٤
آداب زيارة المريض	٥٩٧
قبل العملية	٥٩٩
الغنيمة الباردة	٦٠٠
المريض والمعصية	٦٠١
المرضى أنواع	٦٠٤
الجزع من المرض	٦٠٦
حبة صغيرة.. فقط!!!	٦٠٦
وأخيراً	٦٠٨
قم فأنذر	٦٠٩
بداية	٦١١
لا تعتذروا..	٦١٣
﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾؟	٦١٥

الموضوع	الصفحة
آيات الأنبياء	٦١٨
النوع الأول: إخباره ببعض المغيبات	٦١٩
خطة لقتله ﷺ!!	٦٢٢
الشاة المسمومة!!	٦٢٤
ربي قتل ربكما!!	٦٢٦
وعليك السلام.. خبيب..!!	٦٢٧
رحم الله أبا ذر!!	٦٣٠
عجب الله من صنيعكما!	٦٣٢
النوع الثاني: معجزاته الكونية.. انشقاق القمر	٦٣٤
أشار للسماء فأطاعته	٦٣٥
النوع الثالث: من معجزاته: تصرفه في الحيوان.. أم معبد	٦٣٧
استجابة جمل..	٦٣٩
أما النوع الرابع: تأثيره ﷺ في الأمراض وشفائها	٦٤٠
شفاء عيني علي رضي الله عنه	٦٤٤
النوع الخامس: تأثيره ﷺ في الأشجار يفهم الجذع.. ويواسيه	٦٤٥
انقياد شجرتين له ﷺ	٦٤٦
النوع السادس: التأثير في الماء والطعام	٦٤٧
ميضأة أبي قتادة رضي الله عنه	٦٤٨
وفي غزوة تبوك	٦٤٩
تكثيره الطعام	٦٥٠
تكثيره اللبن	٦٥١
النوع التاسع: تأييد الله تعالى لرسوله ﷺ من قتال الملائكة	٦٥٣
كفيناك المستهزئين..	٦٥٣
الرياح والجنود على الأحزاب	٦٥٤
تأييده بالمطر	٦٥٥

الموضوع	الصفحة
النوع العاشر: حفظ الله لنبيه من أعلام نبوته	٦٥٦
قصة سراقة..	٦٥٧
من يمنعك مني؟	٦٥٨
الأرض تنتصر للرسول ﷺ	٦٥٩
مع بني النضير	٦٦٠
النوع الحادي عشر: إجابة دعائه ﷺ	٦٦١
دعا لأبي طلحة وزوجه	٦٦٢
استجابة دعائه على أعدائه	٦٦٤
وأخيراً	٦٦٦
الكفار يشهدون	٦٦٧
كانوا يحبونه	٦٦٨
كيف أحبوه؟	٦٦٨
إنها ملكة	٦٧٥
البداية	٦٧٧
زواج	٦٧٨
في روسيا	٦٨٠
في موسكو..	٦٨١
كيف تنام..	٦٨٢
رحلة العذاب..	٦٨٣
هل حان الفراق..؟	٦٨٤
اللقاء..	٦٨٥
ثبات.. ووصايا..	٦٨٥
إلى المطار..	٦٨٦
قصة الرعب..	٦٨٧
يجعل له مخرجاً..	٦٨٨

الموضوع | الصفحة

يا أختنا الغالية.. ٦٨٩
أول من سكن الحرم.. امرأة.. ٦٨٩
تغلي بهم القدور..!! ٦٩١
الطفل الرضيع.. ٦٩٣
فللّه درها.. ٦٩٤
مال في قبر..!! ٦٩٥
الملكة.. ٦٩٦
أول من أسلم.. امرأة.. ٦٩٧
الطعنة الأخيرة..!! ٦٩٩
تشرب من ماء السماء..!! ٧٠٠
امرأة من أهل الجنة..!! ٧٠١
ليلة مع أم سليم..!! ٧٠٢
امرأة تربي زوجها..!! ٧٠٤
من النرويج إلى أفريقيا..!! ٧٠٥
ويقول آخر.. ٧٠٦
وأنت.. أفلا تساءلت يوماً.. ٧٠٧
فأين نساؤنا اليوم؟.. ٧٠٨
المحرومات..!! ٧٠٩
على موج البحر.. ٧١٠
تتجملين لمن؟! ٧١١
أنت ملكة.. ملكة.. ٧١٣
ألحان وأشجان..!! ٧١٤
رقية الزنا..!! ٧١٤
قاتل ومقتول..!! ٧١٦
العروس..!! ٧١٧

الموضوع — الصفحة

في ميدان السباق..!! ٧٢٠
الحرب..!! ٧٢١
سفيرة النساء..!! ٧٢٣
ما أغلاك عندنا..!! ٧٢٤
من أجلك نسحق الجماجم..!! ٧٢٤
حتى على النعش..!! ٧٢٦
مسكينة..!! ٧٢٧
الهم الكبير..!! ٧٢٨
قصة.. ..... ٧٢٩
الليلة الأولى.. ..... ٧٢٩
الليلة الثانية.. ..... ٧٣٠
الجائزة.. ..... ٧٣١
غريقات في النهر..!! ٧٣١
بائع متجول.. عفيف.. ..... ٧٣٣
دموع التائبات..!! ٧٣٤
طوبى لها..!! ٧٣٦
وختاماً.. أيتها الجوهرة المكنونة.. ..... ٧٣٨

جلسة مع مغترب ٧٤١
من هو المغترب؟ ٧٤٣

لا تحزن! إن الله معنا ٧٧٩

المفيد في تقريب أحكام الآذان ٧٩١
تقديم فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمٰن الجبرين ٧٩٣
مقدمة ٧٩٥
فضل الأذان وفضيلة المؤذنين ٧٩٧

الموضوع	الصفحة
القسم الأول: فتاوى في شروط الأذان والمؤذن	٧٩٩
القسم الثاني: فتاوى في ألفاظ الأذان وأحكامها	٨٠٨
القسم الثالث: فتاوى في صفة المؤذن أثناء الأذان	٨١١
القسم الرابع: فتاوى في أحكام ما يعرض لمُجيب المؤذن	٨١٥
القسم الخامس: فتاوى في مبطلات الأذان ومكروهاته	٨١٨
القسم السادس: فتاوى في أحكام إجابة الأذان والإقامة	٨٢٤
القسم السابع: فتاوى متفرقة	٨٣٠
من مخالفات وأخطاء المؤذنين	٨٣٤
الخاتمة	٨٤٦
المفيد في تقريب أحكام المسافر	٨٤٧
تقديم فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمٰن الجبرين	٨٤٩
المقدمة	٨٥١
القسم الأول: فَتَاوَى في طَهَارة المسافر	٨٥٥
القسم الثَّانِي: فَتَاوى في صَلاة المُسَافر	٨٦٣
القسم الثَّالِث: فَتَاوى في صِيَام المسَافِر	٨٩٢
القِسم الرَّابع: فتَاوَى عَامَّة للمسَافِر	٩٠١
القسم الخامِس: فَتَاوَى تهمّ المسَافرين إلى الخَارِج	٩٢٠
خَاتِمَة	٩٣٦